

اهداءات ۲۰۰۲

أ/ رهاد كامل الكيلاني

الهامرة



النَّفْيِّنِيرُ الْوَسِّيطُ لِلْتُرَانِ الْكِرِيْدِ

تأليف

لجنة من العلماء

بإشراف

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

الحزب الأول

الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ ـــ ١٩٩٢ م مطبعة المصحف الشريف

بشمالة الرمن الزميغ

يسر الأمانة العامة المجمع البحوث الإسلامية ، أن تقدم لقراء الثقافة الإسلامية ، كتاب : (التفسير الوسيط للقرآن الكريم) وهو ثمرة توصية لمس فيها الترتمر الرابع للمجمع ، حاجة المسلمين إلى وضع تفسير وسيط للقرآن الكريم، في أسلوب ميسر : يسهل للقارىء الوصول إلى معانيه .

ولقد مبارع المجمم ـ إثر صدور هذه التوصية ـ إلى العمل على تنقيذها ، مدركا خطورة الموضوع الذي يتصدى له ، مستجيبا للهفة المسلمين إلى تفسير للقرآن الكريم : ييسر لهم الرجوع إليه ـ باعتباره أساس وجودهم ، ومصدر شريحهم ـ فى وقت أخذوا يتلمسون فيه الطريق إلى ذاتهم ، وبناء حضارتهم : على أساس راسخ ، وبنيان متين .

فعقد مجلس المجمع عدة جلسات للنظر فى التخطيط ؛ لتنفيذ هذا المشروع ، ووافق على الخطة التى انتهى إليها ، وعهد إلى بعض أعضائه بالإشراف على إخراجه .

وقد سار العمل فى هلما المشروع على دوجتين : أولاهما يتم فيها وضع التفسير ، بتوزيع أُجْزاه القرآن على نخبة من العلماه المستازين ليقوم بكتابة التفسير ، وفقا للخطة العلمية التى أقرها المجلس . وثانيتهما : يتم فيها مراجعة ما كتب والتنسيق بينه ، بحيث يظهر فى أسلوب موحد واف بالمقصود .

وقد اشترك فى لجنة الننسيق من السادة أعضاء للجمع فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أحمد أبو زهرة ، والأستاذ محمد خلف الله أحمد ، والأستاذ الدكتور محمد مهدى علام .

وانضم إليهم من السادة العلماء :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العظم الغباشي .

٢ - السيد الأستاذ على عبد العظيم .

٣- فضيلة الأمتاذ الدكتور محمد السيد ندا .

- ٤ .. فضيلة الأستاذ الدكتور محمد حسين اللهين .
 - ه ـ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليم زيدان .
- ٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدى العلير .
- كما اشترك في بعض المراحل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحسيب طه حميدة .
- وإننا لننوجه إلى الله العلى القدير ، أن ممدهم بعونه وتوفيقه ، ليكملوا أداء هذه الرسالة الجليلة ، وأن يوفقهم إلى إتمامها ، في الصورة التي يرضي عنها الله والمؤسنون .

كما ترجومــمبحانهــأن يوفق الأمانة العامة إلى موالاة إصدار ما يتم من هذا التفسير . والله الموفق ، والهادى إلى الصواب .

۲۰ من ربع الأبل ۱۳۹۳ هـ تحريزا في ۲۹۲ من ربع الأبل ۱۳۹۳ هـ

الأمين العام نجمع البحوث الإسلامية دكتور عجد عبد الرحمن بيصار الحمد لله رب العلمين ، بعث محمدا خاتما للمرسلين ، وأنزل عليه القرآن العظيم ، بلسان عربي مبين ، وجعله حجة باقية على الزمان ، وتبراسا للهدى والعرفان ، ففتح به قلوبا غلقا ، وأسمع به آذانا ميا ، ويَعْسَرُ به أعينا عميا .

والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين : سيدنا ومولانا محمد صفوة خلق الله أجمعين : اختصه برسالته المثالدة، واصطفاه لدعوة الحق الباقية ، وشرفه بالعلم والعرفان، . وزيئه بأكرم السجايا وأكمل الأخلاق .

ورضوان الله ورحمته وبركانه ، على آله وأصحابه ، ومن نهج نهجهم ، واتبع سبيلهم من المؤمنين الصادقين ليل يوم الدين .

أما بعد ، فإن الفرآن الكريم : كتاب الله الخالد ، نزل به الروح الأمين ، على أكمل البشر ، وعاتم الرسل : سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بإذن رجم إلى صواط العزيز الحميد ، بعد ما اشتبه عليهم الفعلال بالهدى ، والجهل بالعرفان .

وكان ذلك من رحمة الله بعباده ، وعظم رأفته بخلقه .

وقد استطاع القرآن ـ ببلاغته وعظم هداه ـ أن يلين قلوب العرب بعد عناهم ، ويووض جماحهم بعد شاسهم ، فلانوا بعد صلابة ، وانقادوا بعد شرود ، واستجابوا بعد إباء ، إذ انشرحت له صدورهم ، وتفتحت له قلوجم .

ثم ما لبنوا أن انتقارا من الضلالة إلى الرشاد ، ومن البشاوة إلى الحضارة ، ومن الجهالة إلى الحضارة ، ومن الجهالة إلى العلم ، ومن الفرون ألله أن المؤد ، وصلى الله إذ يقول : « هُو الَّذِي بَنَتَ فِي الْأُنْتِيْنَ رَسُولاً مُنْهُمْ يَنْلُو عَلَيْهُمْ آلَكِنَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَوْ مَسْلال مُعِينِ . " ؟ . آياتِي وَيُوَكِّرُ مُنِهِمْ أَيُكُمْلُكُ مُنْتِينِ . " ؟ . ويقول : ٥ . ويقول : ٥ . . ويقول المُؤمِنينَ . " ؟ . " » . . ويقول المؤمنة الكياب والمُؤمِنينَ . " » . " » . . ويقول المؤمنة الكياب والمُؤمِنينَ . " » . " » . . ويقول المؤمنة الكياب والمؤمنة المؤمنة ال

⁽١) الجمعة ٢ (٢) المناشوة : ٨

وتحت راية هذا الذكر الحكيم : انتشر الإسلام فى العالمين وسادت اللغة العربية كثيرا من لغات الميلاد التي آمنت به ، وازهرت الحضارة الرفيعة فى ربوعها ، فإنه أباح لهم حمارتها والتمتع بطيباتها وزينتها ، إلى جانب أنه حقهم على السمو الروحى عن طريق العلم والعمل العمالم ، للفوز فى دار المخلود .

وفى ذلك يقول الله تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ النِّينَ أَخْرَجَ لِصِادِهِ والطَّبِّبَاتَ مِنَّ الرَّزْقَ قُلْ هِيَ لِلْمَايِنَ آمنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . ، ° '''

ويقول عز وجل : و وَمَنْ يَعْمَلُ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَايَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَفْمًا ، ```
ويقول سبحانه : وَفَىنْ يَعْمَلُ مِثْقَانَ ذَوِّ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَانَ ذَوَّ تَمَّالًا يَرَهُ ، '``
وفى ظلال تحسكهم بهداه ، استحقوا أن يكونوا خير أنه أخرجت للناس . وذلك لأنهم :
يأمرون بالمعروف ، وينهون من المنكر ، ويؤمنون بالله ، ويسلكون سبيل الرشاد .

ولما تراخى المسلمون فى الاعتصام به : انتشر مقدهم ، وذهبت ريحهم ، وتفرق شملهم ، فلا سبيل إلى استمادة أمجادهم وعرتهم وقوشهم ، إلا بأن يعودوا إلى التمسك بملا الكتاب العظم : وأن تدخير قلومم لترجيهه ، ونتقاد لإرشاده ، فى شئون الدنيا والدين .

ومن أبرز صفات المؤمنين الصادقين ، التجاوب العقل والروحي ، والعمل مع آى اللاكر الحكم : و إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ إِذَا قُرِكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُثِيَّتْ عَلَيْهِمْ آلِكُونَ اللَّهِنَ وَاكْنَهُمْ إِمَانًا وَمَلَى رَبُّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ اللَّهِنَ يَافُولُهُ اللَّهِنَ يَعْدَلُونَ بِمَنْقَاتِهِ عَلَى نَحْ ما يقوله سيحانه : و اللهُ تَزَلُّ أَحْسَنَ الْمَخْدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِها مَّنَاتِينَ تَعْشَيرٌ مِنْهُ جُلُودُ النَّذِينَ يَخْشُونَ رَبِّهُمْ إِنَّ الْمَنِينَ يَخْشُونَ ... اللهِ ... اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الله

وأَن يحفووا الفرقة بمد أَن جمعهمالله : و وَلا تَكُونُوا كَالَتِي نَفَضَتْ غُرْلَهَا مِن بَعْدِ فُوَّةٍ ... وَ` • وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيماً وَلا تَقْرَقُوا وَاذْكُرُوا نِمْنَهَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَهْدَاها عَلَما اللهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَهْدًاها بَأْسِبَابِ اللهُوهُ علما فَقَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصَّبِحُثُمْ بِنِهْمَتِهِ إِخْوَانًا ... الله ... وأن يأخذوا بأسباب اللهوة علما وصعلا: « وَأَعِلَمُوا لَهُم مَّا الشَّقَلَتُمْ مَنْ قُرةً ...) (أ)

⁽۱) الأحراف: ۲۲ (۲) الدائلة ب ۸ (۲) الدائلة ب ۲۸ (۲) الدائلة ب ۲۸ (۲) الدائلة ب ۲۸ (۲) الدائلة ب

⁽v) آل عران: ۱۰۳ (۸) الأنقال: ۱۰۰

القرآن والتفسير

القرآن هو المسدر الأول للمشيدة والشريعة الإسلامية ، لهذا عنى به علماًة المسلمين منذ عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى الآن تلاوة وتدبرًا ، ودراسة من جميع نواحيه : المبلاغية والتشريعية ، والاجتماعية والتُقلية والعلمية .

وهو المعجزة الكبرى لنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ودستور العقيدة والشريعة والأُخلاق لأُمنه .

ولما اتسعت الفتوح الإسلامية ، واختلط العرب بالأعاج ، فسدت عرويتهم بما شاما من لغات هؤلاء الأعاجم ، وأترف المسلمون ، فأصابتهم أمراض الترف ، من ضعف في التلدين ، الما اقتراف للمائتم وإشاعة للبدع . فخاف المسلمون من الطماء الأعلام على كتاب رجم أن يفسره من لا يحسن تفسيره ، أو من يزيغ به عن معناه لمغرض في نفسه ، كبدعة يريد ترويجها ، فألفوا التفاسير ، ووضعوا قيودًا وشروطًا للمفسر ، لا يصح تجاوزها ، على يسلم كتاب الله من التأويلات الفاسدة ، الناشئة عن الجهل ، أو مرض القلوب .

وأول المبينين هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد شرح من الآيات ما التيمس فهمه على أصحابه ، ثم تلاه بعض أصحابه ، ثم تدفق الخير من التابعين ومن يليهم ، ممن آتاهم الله بسطة في الطم ، ورسوخا في الإيمان . ومن أبرز مفسرى الصحابة : عبد الله بن عباس ، فقد عُرِف ... لدقة فهمه ، وصدق حسه .. بأنّه ترجمان القرآن ، وأنه حبر الأمة .

روى البخارى عن دقة فهمه أنه قال : و كان عمر يلخلني مع أشياخ بدر ، فكأن ، بعضهم وجد في نفسه ، بقال: لرم يدخل هذا معنا ، وإن لنا أبناه مثله ؟

فقال همر : إنه ممن علم ، فدعام ذات يوم فأدخلهم معه ، فما رأيت أنه دعانى فيهم يومث إله مراقب الله والفتح)؟ يومث إلا ليزيم ، فقال : ما تقولون فى قول الله تعالى : (إذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْمُ)؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نجمد الله ونستغفره ، إذا نصرنا وقتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجّلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — أعلمه له ، قال : إذا جاء نصر الله والقم عنه عنه الله على توابد كان تواباً ، فقال عمر : فا لا أعلم إلا ما تقول ؟ .

وقد كثرت الروايات هنه عناية بـآرائه .

وما يروى له من اختلاف فى الرأى فى المسألة الواحدة أحياناً ، فإن مرجمه إلى اختلاف الروايات قوة وضعفا ، أو أنه بدا له فيها من الأدلة ما لم يبد له أولا ، فعدل إلى ما رآه راجعًا ، وذلك حق الله على كل مجهد .

وقد عرف بالتفسير من الصحابة أيضا : الخلفاة الأربعة ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأُشعرى ، وعبد الله بن الزبير ، وغيرهم . ولم يتوقف أحد فى قبول تفسير الصحابة وإنما الأمر فى التابعين .

وقد وقع الإجماع على وجوب تفسير القرآن عا صحت روايته عن الذي - صلى الله عليه وسلم - أما ما روى عن الصحابة فى تفسيره ، فقد أخذ به الكثيرون : لسلامة عروبتهم ودقة فهمهم ، واحتال ساههم من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن الأكمة من كان يأخذ فى فهم المسحابي ، ما دام لم ينسبه المسحابي إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكما اجتهد الصحابة فى فهمه ، يجتهد غيرهم من أثبات العلماء ، أهل الاقتدار وسلامة الذين .

ولما جاء عصر التدوين ، جمع بعض المفسرين الأقوال المأفروة فى التفسير ، عن الرسو ل والصحابة والتابعين ، واقتصروا عليها . وجنح آخرون إلى إضافة ما هداهم الله إلى فهمه فى الذكر المحكم مع المأثور ، ليكون القارئ على بينة مما قيل فى تفسيره ، فيختار ما رجح عنده مما قوى دليله .

> ومنهم من كانت عنايته بالأحكام الفقهية أعظم ، كالقرطبي ، والجصاص . ومنهم من كانت عنايته بوجوه الإعجاز فيه أبلغ كأنى بكر الباقلائي .

ومنهم من كانت عنايته بالنحو أكثر كأبي حيان . ومنهم من قسره بحسب الآراه الفلسفية أو الطائفية .

ومنهم من فسره وفق النظريات العلمية ، وبالغ فى ذلك مبالغة كبيرة ، مع أن النظريات العلمية عرضة للتبديل والتغيير ، فإذا فسر بما يظهر مع الأيام فساده ، كان فى ذلك خطورة على عصمته من الباطل ، والله تعالى يقول : « لاَ يَالَّتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْقِهِ تَنْزِيلٌ مَنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (1)

أما تفسيره بالحقائل العلمية الوطيدة ، فلا مانع منه إن كان بغير تكلف ، بل بحس نية .

هذا ، إلى أن سيلا جارفًا من الأساطير الإسرائيلية ، والأقاصيص الخرافية ، تطرق إلى بعض كتب النفسير التي ألفها أعلام العلماء ، ونقلت عنهم من بعدهم بحسن نية .

وأكبر الظن أن هذه الأساطير والخرافات ، سرت إلى كتب القوم من أعداه الإسلام الذين عجزوا فى وقت ازدهاره عن حربه علنًا ، فنسخوا كتب أولئك الطماء ودسوا فيها تلك الأكاذيب ، بعد رحيلهم إلى دار الخلود فى غفلة عن عيون الرقباء، لتضعف الثقة بالقرآن وبعقليات المفسرين !

ويذلك يتم لهم ما أرادوا من حرب الإصلام عن طريق القلم ، بدلا من حربه بالسيف .

وهناك من المفسرين، من أوجزوا فى التفسير، فبالغوا فى الإيجاز حتى قل الانتفاع به .

وهناك من أطنبوا فجاوزوا القصد ، وضموا إلى تفسيرهم بعض المصطلحات الفنية التي لا يفهمها إلا المتخصصون، فصرت الاستفادة منه .

⁽١) فسلت ١ ٢٤

لهذا كله ، كان المتقفون الماصرون - على اختلاف ثقافاتهم - في أشد الحاجة إلى تفسير وسيط : يخلو من الإسرائيليات والخرافات ، ويبتمد عن الخلافات الطائفية ، ويتجنب الجدل القلسفي ما أمكن ، ويتضمن الأحكام الفقهية التي يساعد عليها ظاهر التصوص في إيجاز ، ويبتمد عن المصطلحات النحوية والبلاغية إلا ما دعت إليه الفرورة ، ولا يذكر من الأمور الملمية والكونية إلا ما ثبت منها قطماً ، وما انفق مع النص بلا تكلف ، ويمرض لربط الآيات والسور بعضها مع بعض ، ويبيّن أسباب النزول ، كل ذلك في لغة محبة إلى القارىء : تستدعى المتابعة ، وتلتي مع الرغية في الاستفادة .

وقد أدرك (مجمع البحوث الإسلامية) حاجة المسلمين فى هذا العصر إلى مثل هذا التفصير ؛ ليروى ظمأهم من معانى كتاب الله تعالى ، فقرر إخراجه استجابة منه لتلك الدواعى الشريقة .

فلذلك عهد إلى ثلاثة من أعضائه ، بالإشراف على إخراج هذا التفسير ، من حيز التفكير إلى حيز التنجيز . واستمان بمجموعة من العلماء الفضلاء الأذبات ، للقيام بهذا التفسير ، وانتظم من الجميم مؤتمر عام تعددت جلساته .

واستقر الرأى - أخيرًا - على المنهج الذي ينبغى أن يمفى فيه المشروع ، وتكونت لجان فرعية ؛ كل لجنة مؤلفة من عالمين يقومان بالتأليف ، وخصت كل لجنة بحزب من أحزاب القرآن ، فإن فرغت من تفسيره ، أخلت سواه . وهكلا .

واقتضت دقة العمل وتوحيد المنهج والأسلوب والروح ، تأليف لجنة لتنسيق ما يؤلفه السادة الأعضاء ، مكونة من أعضاء المجمع الثلاثة اللين تقرر إشوافهم على العمل ، ومن لفيف من الخبراء الباحثين ، حتى يخرج التفسير على نسق واحد محقةًا الأمل المنشود.

ولما كانت بعض آى الذكر المحكم ، تشير إلى نوع من الحقائق العلمية فى ملكوت السموات والأرض ، وحوالم الإنسان والحيوان والنبات ، أو تقضى استيفاء بعض الأحداث التاريخية ، أو الاستيفاق من بعض الآراء التى ينبغى أن تشرح الآيات بها ، رأت اللجنة أن تسرح الآيات بها ، رأت اللجنة أن تسمين بالخبراء المختصين بتلك الشئون ، عملا بقوله تعالى : و فَاسْأَلُوا أَهْلَ اللَّـكُرِ

⁽١) الأثبياء: ٧

منهج هذا التفسير

- ١ تسبق السورة مقدمة لها : تحوى أهم مقاصدها، حى يلم القارئ بمجمل أغراضها ،
 قبل أن يتناول فهم كل آية على حدتها .
- ٢ يُذْكُرُ نص الآية أو الآيات المترابطة ، وتتبع كل آية برقمها في المصحف ، مع التزام الرمو العباني في كتابتها ، ومراعاة العلامات والرموز التي انفق عليها في الرمم العباني .
- ٣- تُمند المدردات اللغوية بإيجاز ، مع التزام ما يتفق وظاهر معي اللفظ في الآية ، وتوك التفصيلات اللغوية التي لا تتصل بالمعي القرآني المراد .
 - ٤ تذكر أسباب النزول إن وجدت واستدعى التفسير ذكرها .
- ع ـ يربط منى الآية أو الآيات الكرعة بما سبقها ؛ ليتضح التسلسل البيانى فى السرد القرآنى
 يقدر الإمكان ، مم البعد عن التكلف أو الإغراب .
 - ٢ -تتجنب الإسرائيليات والأُخيار الخرافية .
 - ٧ . يترك التعرض للإشارات الصوفية ، والخلافات الطائفية ، والأَساليب الجدلية .
- ٨ ـ يذكر التفسير بعبارة واضحة سهلة ، يستطيع فهمها المثقف العادى ، ويبجد من أساوبها ما يرغبه في متابعة القراءة مع ذكر نصن الآية المراد تفسيرها ، قبل الشروع في التفسير ، مسبوقة برقمها .
- و ـ تترك المصطلحات الفنية التي تعوق القارىء غير المتخصص عن متابعة القواءة ، إلا إذا
 دعت الضرورة إليها لفرض التوضيح ، وإبانة المنى المراد .
- ١٠ ــ تذكر الأحكام الفقهية التي تظهر بوضوح من النص ، وعند اختلاف الفقهاء في الحكم المستفاد منه ، يذكر هذا الاختلاف لمسلحة القارىء، ولا يتوسع قيه ، وإن أمكن التوفيق بين الآراء ، يوفق بينها .
- ١١ إذا تكرر موضوع الآية في أكثر من سورة ، شرح في كل موضع شرحًا كافيًا ، ولكن
 التوسع في معناه ، يشوك إلى النص الأوفى في الموضوع ، ويشار إلى ذلك ، للرجوع إليه
 مند الحاجة .

- ١٧ إذا صحت وثبتت أمور كونية يمكن تفسير الآية بها ، ذكرناها في تفسيرها ، مستمينين بآراء الخبراء فيها .
- ١٣ ـ يقتصر في الكلام على أساء الحروف التي استهلت بها بعض السور على أرجح الأقوال ،
 وكذا في الكلام على القضاء والقدر ، ونحو ذلك .
 - ١٤ ــ تُرَدُّ شبهات الملحدين في شرح الآيات التي أثاروها فيها .
- ١٥ لا يتمرض لاختلاف الشّراء إلا إذا احتاج إليه تفسير الآية ، بأن ألماد مفى آخر أو حكما يتبغى أن يعلم .
- ١٦ ـ يتناول الشرح الآية جملةً جملةً ، وأحيانًا يكون التفسير وواء النص ، متناولا لمشتملات الآية كلها ، عندما يرى أن ذلك أوضح للقارىء ، وأيسر وأجمع للفكرة .
- ٧- عند الاستشهاد بآية أُخرى في الشرح ، يذكر رقمها وسورتها ، وعند الاستشهاد بالحديث النبرى الشريف ، تذكر درجته أو مصدره من كتب السنة المحمدة.
 - ١٨ عند الفراغ من شرح قصة قرآنية ، يذكر الغرض من ذكرها .
- ١٩ إذا وردت القصة القرآنية في أسفار العهد القديم أو الجديد ، ولم تتمارض مع النص القرآقي أشرقا إلى ذلك إن رأينا فيه قائدة ، فإن خالفته ، فالمول عليه هو ما في القرآن الكريم ، ولذا تغفل الإشارة إليها في أسفارهم .
- ٢٠ التؤمت اللجنة القصد في التعبير ، ما ثم يقتض موضوع الآية البسط ، فإنها تسلك
 سبيله لصلحة القراء .
 - هذا هو المنهج الذي سارت طيه اللجنة .
- وهى تقرر أنها انتفعت بجهود أعلام الفسرين القداى والمناصرين ــ جزاهم الله على ما قدموا خير الجزاء ــ كما أضافت ما وصل إليه العلم في شتىالميادين .

ويعد

فإن اللجنة تتوجه إلى الله تعالى أن يجعل عملها خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يتقبل منها ما قامت به ، وأن يخو حما يكون منها من تقصير .

والله الموقق للصواب . أعضاء اللهنة

هذه السورة الكريمة ، نزلت بمكة قبل الهجرة ، وهي سبع آيات ، نزلت بيامها ، وسميت الفاتحة لأبا أول القرآن في ترتيب المسحف ، فهي فاتحته .

وهذه السورة - مع قلة آياتها وإيجازها - تشتمل على مقاصد القرآن كله .

فالقرآن نزل لتعريف الناس برب العالمين ، وما يتصف به من صفات جليلة ، ولحهم على حمده وهبادته ، وإثبات يوم الجزاء ، وأن الملك له تعالى فى هذا اليوم ، وأنه يجب توحيده بالعبادة دون شريك ، والاستعانة به تعالى فى جميع الششون ، إذ لا يوجد شى؟ ولا يتم إلا بحونته .

ولهذا يطلب من العباد أن يستعينوا به فى أمرهم كله ، وأن يخميم الطريق المستقيم ، وأن يكفيهم شر طريق المنضوب عليهم والفسالين ، وقد اشتملت الفاتحة على هذا كله فى إيجاز ، فلا فراية فرأن تسمى أم الكتاب ، وأن يفتتح ما القرآن الكريم ، وأن تفرض في المسلاة.

(لِشَّ لِلَّهِ الرَّحْنِ الرَّحْنِ الرَّحْنِ الرَّحِيمِ ﴿ مَثِلِكِ الْحَمْدُ فَيْ وَبِّ الْعَلْمِينَ ﴿ الرَّحْمَدِينَ الرَّحِيمِ ﴿ مَثِلِكِ يَوْمُ الدِّينِ ﴿ الْمَالَمُ وَلَمْ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللْلِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِولِ وَاللَّهُ وَاللْمُؤْمِدُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِلُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللْمُؤْمِدُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَاللْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُومِ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِ

لا كانت الفاتحة تتل فى كل ركمة فى الصلاة ، فإن استحضار معاتبها فى ذهن المحلى ، أمرٌ مطاوب ، الأته يشى بها على ديه ويناجيه ، فلهالما قفمنا تفسيرها بمجمل مرقم المانبها فيا يل :

۱ -أستمين متيمنا متبركا (يِسْمِ اللهِ) الذي لا معبود بحق سواه ، (الرَّحْمُنِ) المنم بجلائل النم ، (الرَّحِمِ) : المتم يدقائقها .

٢ - الثناء كله أنه تعالى ، على ما أساء من النيم على عباده ، وعلى ما اتصف به من
 صفات الكمال ، الأنه منشئ، العالمين ، ومبافهم كما لاتهم ، وحافظهم .

٣- (الرَّحْسُ) واسع الرحمة لعباده جميعا في الدنيا ، إذ عمهم بنصته فلم يحرم منها كافرا ولا فاسقا .

(الرَّحِم) واسع الرحمة لعباده المؤمنين فى الآخرة ، يقبل من محسنهم ويحسن ثوابه ، ويعفو عن مسيئهم ويقبل متابه .

٤ - مالك يوم العزاء، فلا سلطان فيه لأحد سواه ، فى ظاهر الأمر وباطنه : يحاسب فيه صاده ، فيحاليه من أطاع ، فيحليه بطيه حباب .

هـ نخصك ـ يا من هذه صفاتك العلية ـ بالعبادة ، فلا نشرك فيها أحداً سواله ،
 فأنت وحدك المعبود ونخصك بالاستمانة ، فأنت وحيك المعين .

 ٦-وفقنا يارب ، واهدنا الطويق المستقيم ، الذى سنه كتابك العظيم ، وبيّنه رسولك الأمين .

 ٧-(صراط اللين أنصت عليهم): في الدنيا بالتوفيق إلى طاحتك ، وفي الآخرة بحسن مثوبتك ، لا صراط اللين غضبت عليهم لكفرهم ، ولا الضائين اللين لم جندوا بمدال.

التفسير

١٠- (يِسْمِ اللهِ الرَّحْسُنِ الرَّحِيمِ) :

أجمع المسلمون على أن البسملة من القرآن ، لأبها وردت في سورة الشمل الآية (٣٠).
 واختلف العلماء في مكانها من سور القرآن :

فأكتر طماء السلف، على أن البسملة آية من الفاتحة . ولذا تنجب قراعتها منتدحة با فى الصلاة ، وبها تم آياتها السبع ، كما أنها آية من كل مورة . وممن قال بللك : قراءً مكة ، والكوفة وفقهارهما ، والشافعي وأصحابه . ويوبّيد مذهبهم : إثباتها فى المصاحف أول كل صورة ، ما عدا ، التوية ، م ما ورد من الأمر بتجريد الفرآن عن كل ما ليس منه , ولذلك لم يكتبوا ، و آمين ، فى آخر الفائدة ، لأنها دعاة مطلوب بعدها ، وليس منها .

وذهب آخرون إلى أنها آية من الفاتحة وحدها ، وبه أخذ بعض الشافعية وحمزة ، ونسب إلى الإمام أحمد ، وقد أقام الفخر على ذلك ست مشرة حجة منها نصوص من السنة : وقراة المعينة والبصرة والشام وفقهاومًا ، ومالك والأوزاعي ... على أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، ولا من أي سورة أخرى ، وإنما اثبتت في المصحف المثبرك بها والقصل بين السور .

(يشم الله) : المراد بالاسم هنا : المسمى ، وهو ذات الله تعالى ، فإنه سبحانه هو المستمان به فى كل أهر يؤتى بالبسملة فيه. والدليل على ذلك أنه لما نزل : (سَبِّح الْمَمْرَبِكُكَ الْعَلَى) أول سورة الأعلى ، قال رسول الله صمل الله عليه وسلم : : اجعلوها فى سجود كم ه " . . . واجعلوها فى سجود كم ه " . . . وكان يقول فى سجوده : « سبحان ربى الأعلى ، ولم يقل : سبحان الم ربى الأعلى .

وقال الألوسى :الاسم يطلق على نفس اللنات والحقيقة والوجود والدين ، وهى هندهم أمياء مترادلة ،اكما قال الإمام ابن فورك فى كتابه الكبير فى الأساء والصفات ، وأبو القاسم السهيل فى شرح الإرشاد ، شم قال : ومنه (سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَ) إِنّا التسبيح إلى يتوجه إلى الذات الأقدس . إلى آخر ما قال .

وعكن تقلير فعل محلوف تقليره: أبتدئ باسم الله، ويكون ذكر الاسم هنا على ... معناه المشهور .

ولفظ الجلالة (الله) . علم على الذات العلية ، وهو الإلّه المعبود بحق ، الذي يخلق هياده ويرزقهم ، ويدبر شترتهم ويقتدر عليهم ، وله ما في السعوات وما في الأرض.

(الرَّحْمُنِ الرَّحِيمِ): تذكير برحمته التي وسعت كل شيء ، وبذلك جمع الله لعباده في المسلمة من أسالته الشريفة يمين ما يقتضى الإجلال والتقليس والعبادة وهو لفظ الجلالة علم الذات ، وبين ما يقتضى الأنس والأمل في الشير ، وهو الرحمن الرحم ، ليأتسوا برجم، ولا يقتطوا من رحمة الله تعالى .

⁽١) رواه أبو دارد وأحد .

وسيأتى الكلام على معناهما في الفاتحة .

وينبقى أن يضمر القارئ فى نفسه معانى ما جاءت البسملة من أجله ، كالقراءة ، والنبرك ، والاستعانة وتحوها . . .

٢ ــ (الْحَمَّدُ أَفِي) ــ ٢

الشكر والعمدة فيه .

الحمد: هو الثناءُ على الجميل الذي يصدر عن المحبود باختياره ، من نعمة أو غيرها . أما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء على صاحبها بالقول ، أو مقابلة نعبته بعمل يدل على الاعتراف با : كآداب الجوارح ، أو الشهور القلى بفضل صاحبها . ولذلك يقول الشاعر :

أَقادتكم النعماء منى ثلاثة بدى ولسائى والضمير المحجبا والحمد شعبة من شعب الشكر الثلاث ، ولكنه أدل على إجلال المنم وشكره من سائر الشعب ؛ لخفاء الاعتقاد ، وما في آداب الجوارح من الاحمال فلذا جعل الحمد رأس

قال صلى الله عليه وسلم : « الحمد رأس الشكر ، ما شكر الله عبد لا يحمده * "" وأل في الحمد للاستغراق ، وللمني : جميل المحامد لله تعالى .

ولفظ الجلالة (الله) يشعر باستحقاقه تمالى وحده للحمد ، كما يشمر به لفظ (رُسًّ) في قوله :

(رَبِّ الْمَالَمِينَ) : أى أنه تعالى مستحق للحمد ؛ لألوهبته ولأنه رب العالمين ، أى منشئهم ومبلغهم إلى كمالاتهم اللاتفة بهم ، وحافظهم حتى ينتهوا إلى غاياتهم .

وكلمة : (الْعَالَميينَ) جمع عالَم، وهو ما سوى الله من جميع المخلوقات ، فيشمل العاقل وغيره من الأجناس .

وحكمة بدء الفاتحة بالحمد أنه ، الإثبارة إلى حصول النعم الإلٰهية التي أحاط الله بها عباده ، وأن الصل يحمده تعالى على ذلك .

٣- (الرَّخْمَانِ الرَّحِيمِ) :

أصل الرحمة فى اللغة : رقة الفلب وانعطافه بالشفقة . وهذا المنى ينطبق على المخلوقات فإطلاقه على الله تعلل، إنما يكون باعتبار لازمه الذى يليق به تعلل، وهو التفضل والإحسان.

⁽١) دواه الطبراني وعبدالرزاق والليبتي عن ابن عرو ، والحديث حسن ، ورواه الديلسي بسند رجاله ثقات.

والرحمن الرحم : صفتان لله ـ تمالى ـ وصيغة كلتيهما : تدل على الكثرة ، وقد جمع بيين الرحمن والرحم ، لتأكيد كثرة رحمته جل وعلا .

. ويختص الوصف بالرحمن شرعا ، يالله ـ تمالى ـ يخلاف الرحيم، فيصح إطلاقه على المخلوقات .

ومن ذلك قول الله تعالى فى وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – د . . . حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالْمُؤْرِنِينَ رَكُونُ ّ رَّجِمٌ ۖ ء '' وقوله تعالى فى وصف الأمنين : د . . رُحَمَّاكُ بَيْنَتُهُمْ . . . '''

١ - (مَالِكُ يَوْمِ اللَّينِ) :

هذا هو رابع الأوصاف للفظ الجلالة : وصف أولا بكونه : (رَبَّ الْعَالَمْيينَ) ، وثانيا يقوله : (الرَّحْشُنِ) ، وثالثا يقوله : (الرَّحِمِ) ، ورابعا بقوله : (مَالِكُ يُوْمِ النَّيْنِ) . والمالك : من له التصرف الشامل فيا يملك يدون منازع . والدين : هو الجوالة على الأحمال .

ومعنى : (مَالِكِ يَوْمِ اللَّيْنِ): المالك لكل ما فى هذا اليوم من جنة ونار ، وإنس ، وجن ، وحساب وجزاء – من ثواب أو حقاب – وهير ذلك .

وهذه الآيّة دالة على المعاد ، ومجازاة كل مخلوق بما قدم من همل ، ولو لم يكن معاد للخلق يجازون فيه ، لكان الموت هو نباية الجميع . وبذلك يستوى المؤمن والكافر ، والهو والفاجر والمصلح والمفسد ، وذلك أمر يتناقءهم العدالة الإلهية ، ولا تسلم به المبادئ العقلية .

لهذا اقتضت حكمة الله أن يكون للناس معاد ، يجازون فيه بالثواب أو العقاب على ما قدم! :

و مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِطَلَّامِ لَلْتَهِيدِ ، (").

ووصف الله بـ (رَبَّ الْمَالَدِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ اللَّمِنِ) لإظهار استحقاقه تعالى للحمد ، وللإشعار – من طريق الفهوم – بأن من لم يتصف بتلك الصفات ، لا يستحق أن يحمد ، فضلا من أن يعيد !

٥ - (إِيَّاكَ نُعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَجِينُ) :

من أول السورة إلى هنا ، كان الأُسلوب للغيبة ، ثم تغير هنا إلى الخطاب حيَّى آخر السورة .

وفوق ما يفيده تغير الأماوب من التنبيه إلى موضوع الكلام ، فإن فيه إشارة لطيقة إلى ترق الحامد كلما أثنى على ربه ، وأعلص فى مناجاته ، فينتقل من مقام الغبة إلى مقام العضور ، وذلك حال المصل الذى يقرأ الفاتحة ، فإنه حين يدخل الصلاة ، يكون قريب عهد ما كان يشغله من الشئون قبل الدخول فيها ، فإذا أقبل على ربه بحمده له ، وثنائه عليه ، تاركا شواغله ، انتقل إلى مقام الإحسان فى عبادته ، وهو أن يعبد الله كأنه يراه . على ما سنبينه .

وهذا يقتضى أن ينتقل من الغيبة إلى موقف المخاطب لمولاه ، فيقول :

(إِيَّاكَ نَمْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَمِينُ. اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) .

هذا ، وتقديم ضمير المفعول (إيداك) ، في كل من الجملتين ، للاهتمام ، مع إفادة القصر ، كأنه قبل : إيداك يا ألله وحدك نعبد ، وإياك يا ألله دون سواك تستمين . وفي ذلك إقرار له تمالى ، بالأوهبة والوحدانية .

وقدمت جملة (إِيَّاكُ نَشِبُدُ) على جملة : (إِيَّاكَ نَشْتَبِينُ) ، لأَن المقصود الأَوَّلِيَّ هو العبادة ، ولما كان فعل الطاعة وتوفرالدواعي إلى فعلها ، لا يتان إلا يمعونة الله وتوفيقه ، فلهلما يطلب العبد الاستعانة بالله عقب تخصيصه بالعبادة ، إذ أن العبد لا حول له ولا قوة إلا بالله .

والعبادة للعبود هى الطاعة الخالصة له ، المبنية على حبه ، المؤداة على وجه يشحر بمنتهى المفسوع له .

ولكون العبادة بهذا المعنى : فلا تكون إلا أه وحده (۱۱ وهي أحص من الطاعة التي تتحقق في مطلق الإستثال ، وهي أحص من الطاعة التي تتحقق في مطلق الإستثال ، فكل عبادة طاعة ، وليس كل طاعة عبادة ، فأنت إذا امتثلت أمر والديك أبه ولى أمرك ، يقال لك : أنت أطحهم ، ولا يصح أن يقال : أنت عبلتهم ، فالعبادة ألحل مقام في الطاعات ، وهي المعراج الروسي الذي يصمد فيه العباد إلى درجة ،

⁽ i). لأنه هو المستحق لأن يعبد درن سواء ، فنشره، يكامل القدرة ومشيم السلطان ، وجميع ألوان الإنمام ، وجميع صفات الأفروغية ، فلما يضمه تقلوئ للفائحة بالنبادة فيقول : (إيجال تعبد) .

كأبم فيها يشهدون الحق - مبجانه وتعالى - فإن لم يصلوا إلى ذلك ، فليشعروا بأنه تعالى يراهم ، وذلك هو مقام الإحسان الذي يشير إليه الحاميث الشريف بقوله - عليه الصلاة والسلام - فى تعريف الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهاته يراك⁽⁶⁾.

والعبادة : تشمل عمل القلوب ، وعمل الجوارح . وتشمل فعل المأمور به ، وتراك المنهى عنه . فلا يتحقن منى العبادة إلا بذلك كله .

وفى الآية سرّال : وهو أن مقام السودية يقتضى التواضع والللة لله تعالى . فكان الظاهر أن يقول العبد : إياك أحبد ، وإياك أستمين وبضمير الفرد اللك لا يعظم نفسه » .

والجواب : أن النون فى (تَعَبُدُ) ، و (تَسْتَكِينُ) ، ليست للمتكلم المعظم نفسه ، ولكنها للمتكلم ومعه غيره من المؤمنين ، فكلهم يعبد الله ، ويستعين به وحده ، فهلما إقرار من المصلى ، وشهادة منه بأن هلما هو شأن المؤمنين مع رجم . وفى ذلك إدراج لعبادته واستمانته ، شمن عبادتهم واستمانتهم ، . رجاء القبول ببركة ذلك .

ومن أجل هذا الملحظ ... ولما سبق .. طلبت الصلاة في جماعة .

٣ - (اهْدِنا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) :

بعد أن يخص العبد ربه بالعبادة ، والاستمانة مخاطبا له بقوله : ﴿ إِيالَةَ تَشَدُّ وَإِيَّالَةً تُشَكِّرِينُ ﴾ يناجيه ، ويطلب منه الهداية إلى الطريق المستقيم ، فإن الله وحده هو الماتح للخير ، والهادى إلى الصراط القويم .

والهداية : هي البيان والإرشاد ، سواه اهتدى من ترشده أم لم يهتد ، وقد يراد منها :

خلق الاهتداء في القلب . وهي يهذا المعنى مختصة بالله .. تعالى ــ إذ لا يقدر عليها سواه ،

ولما كانت من أشرف المطالب وأسناها . شرع الله لعباده أن يرجوها منه سبحانه بقولهم : (الهُنِنَا الصَّرَاطُ الشُّسَتَقِمَ) .

أما الصراط : فهو الطريق الذي يسلكه السائر إلى القصود ، وهو نوعان : حسى ومعنوى ؛ فالطريق إلى منزلك حسى ، والطريق إلى الله معنوى ، وهو الطاعة . ووصف الطريق بالمستقم ، للاحتراز عن الطريق المنحرفة المعوجة ، وهي طريق أهل الفسلال

⁽١) رواء الحبسة.

ومعروف ، أن الخط المستقم هو أقرب مسافة بين نقطتي المبتدأ والمنتهي .

وإذا كان المقصود للعباد فى رحلة الحياة الننيا ، هو الوصول إلى الله تعالى : فإن أقرب الطرق إليه هو الصراط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه. قال تعالى : و وَأَنَّ هَلْمَا صِرَاطِى مُسْتَقِيسًا فَاتَّهِمُوهُ وَلاَ تَشْيِعُوا السُّيلُ تَفَقَرْقَ بِكُمْ مَنْ سَبِيلِهِ " ؟ .

فقى وصف الصراط بالمستقيم ، إشارة لطيفة إلىأن سبيل الله هي أقرب الطرق إلىمرضاته تعالى . وأما غيرها فهاما أنها لا توصل إلى الله أصلا ، وهي صراط المفضوب عليهم والضالين ، وإما أنها توصل بعد محنة العقاب ، وهي صراط العصاة المؤمنين .

٧- (صِرَاطَ الَّذِينَ ٱنْعَنْتَ عَلَيْهِمْ . . .) الآية . .

(غَيْرِ الْمُنْضُوبِ عَلَيْتِهِمْ) ، المغضوبُ عليهم : هم اللين خرجوا عن طاعة الله ورسوله ، وأُفسلوا دينهم بالكفر والمعاصى ، فغضب الله عليهم ، أى أراد الانتقام منهم لذلك .

(وَلَا الصَّالَّينَ) . الضالون ، هم الذين أفسدوا عقيدتهم بالجهل بدنين الله ، فانحرفوا عن سواء السبيل .

هذا ، واشتهر بين القسرين : أن المراد بالمغضوب عليهم : اليهود ، لقول الله فيهم :

(مَن لَمَنَهُ اللهُ وَغَفِيبَ عَلَيْهِ ﴾ " وقوله : ٥ وَيَاعُوا بِغَضَبِ مِّنَ اللهِ ٥ . وأن المراد بالفهالين : النصارى ، لقول الله ليهم : ٥ قَدْ صَلَّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَئِيرًا وَضَلَّوا عَنْ مَوَاه السَّبِيلِ ١ وَلَأَن الرسوك ـ صلى الله عليه وسلم ــ فسرهما بدلك كما رواه عنه أحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، وصنه .

⁽١) الأتمام : ١٥٣ (٢) التباء : ١٥

AA : 278771 (5) 17872 : AA (5) 17872 : AA

والظاهر : أن تفسير الرسول لهما باليهود والنصارى ، للخولهما فى عموم معناهما ، وقد شرحنا المراد منهما فيا تقدم ، وهو شامل لهاتين الطائفتين وغيرهما من أهل الكفر والضلال .

وقارىء الفاتحة يختمها في الصلاة أو سواها بقوله و آمين ، وليسي منها ، ولكنه مسنون وهو اسم قعل أمر معناه : استجب .

واعلم أن الفاتحة تسمى السبع المتاتى؛ لقوله تعالى: « وَلَقَدْ آثَيْنَاكَ سَيْمًا مِّنَ الْمُعَانِي ، ؟ (") ولأَم تفى - أَى تكرر - في الصلاة وغيرها . فحافظ أَمِا المؤمن على تلاومها في أذكارك ، فهي كثيرة الخيرات ، جمة البركات .

⁽١) الحجر: ٨٧

سسورة البقرة

مقاصدها : تشتمل هذه السورة على مقاصد عظيمة ، منها ماياتى :

١ - التنويه بشأن الكتاب العزيز، الذى هو أصل التشريع السماوى ، وأساس الفانون
 الإسلامى .

(ذَا لِكَ الْكَتَابُ لا رَبْبَ فيهِ مُدِّي للْمُتَّقِينَ (٢)).

٢ - بيان أحوال الناس من الدعوة الإسلامية ، وهم فرق ثلاث :

(1) هرقة المؤسنين الصادقين : (الدين يُؤينُونَ بِالنَّيْبِ وَيَتْعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَوْقَنَاهُمْ
 يُسْفِقُونَ (٢) وَالنِّينَ يُؤمنُونَ بِمَنَا أَمْزِلَ إِلَيْكَ وَمَنَا أَمْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالنِّعِرَةِ
 هُمْ يُرونُونَ (١) أُولَشْكَ مَلَى مُلْدَى مَن رَبِّهِمْ وَالولنِكِ مُمَّ الْمُعْلَمُونَ (٥)).

(ب) فرقة الكافرين المشركين : (إِنْ اللَّهِينَ كَفَرُوا سَوَاعَ عَلَيْهِمْ ءَأَنلَمُوتُهُمْ أَمْ لَمْ
تُنلِونُمُ لاَ يُؤْمِنُونَ (١) .

(ج) فرقة المنافقين ، وهم أضر أهداء اللَّين : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَكُولُ عَانَنًا بِاللَّهِ وَبِالْيُوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (^أ) .

وقدعي القرآن بلُّوصافهم وأحوالهم في ثلاث عشرة آية .

٣ - نذكير الطوانف الثلاث ، بنعمة الخلق لعلهم يعتبرون ، فيستمسكوا بالعروة الوثقى :
 (يَسُهُمُ النَّاسُ احْبُدُوا وَبِكُمُ اللَّي حَلْقَكُمُ وَاللَّيهِنَ مَن قَبْلِكُمْ لَمُلْكُمْ تَشْقُونَ (١٧)) .

 ع. توجيه التحدى لن أنكر معجزة القرآن : (وَإِن كُنتُمْ فِي زَيْبٍ مَمَّا نَوْلَنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مَّن مِثْلِمٍ ، وَادْهُوا شُهَدَاءَكُمْ مَن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَافِقِينَ (٢٣)) .

م - بيان الدلائل الكونية المقرونة بالنهم الإلليمية ، لإنمناع الخلق بالبحث وللعاد :
 (هُرَّ اللَّهِي خَلَقَ لَكُمْ مَّاقِ الْأَرْضِ جَبِيمًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء لَمَسَوَّاهَنَّ صَبْعٌ سَمَّوَاتٍ ومُوَّ يَكُلُ السَّمَاء لَمَسَوَّاهَنَّ صَبْعٌ صَمَّواتٍ ومُوَّ يَرِكُلُ شَيْءً طَيِمٌ (١٣)) .

٣ - صناية الله تعالى بحلاقة البشرق الأرض ، إذ جعل أول خليفة قيها آدم - عليه السلام - وعلقه وأستاح للمستورة الأرض ، كما قال جل شأنه : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَكَوِكَةِ لِلْمَكَوِكَةِ لِلْمَكَوِكَةِ الله وَالله وَ

مناية القرآن بذكر قصص بنى إسرائيل ، لأَمم أكثر الأَمم نعماً ، وأشدهم عصيانًا وكثراً : (يَا بَنِي إَسْرَائِيلَ أَذْكُوا نِمْنِي النِّي أَنْمَنْتُ عَلَيْكُم ، وَأَوْفُوا نِمَهْنِي أُون بِمَهْدِكُم وَلَائِي وَمَهْنِي كُمْ وَلَائِي كَانْمَنْتُ عَلَيْكُم ، وَأَوْفُوا نِمَهْنِي أُون بِمِهْدِكُم وَلَيْكَي فَارْهَبُون) . (مُنْ)

٩ - قصة موسى - عليه السلام - مع بنى إسرائيل في شأن البقرة التى سميت السورة باسمها:
 (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفُوسِهِ إِنَّ اللهِ يَأْمُر أَحُم أَنْ تَلْبُحُوا بَقَرَةً . . .) الآية (١٧).

١٥ قصص الرسل مع أسمهم من بعد موسى ، لبيان ما تحملوه فى سبيل الدعوة لى الله :
 (وَلَقَلْ عَاتَيْنًا مُوسَى الْكِتَابَ وَتَغَيْنًا مِن بَشْهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنًا عِيسَى ابْنَ مَرْتَمَ الْبُيتُناتِ وَالْمُسْدَةُ وَبُورُ مِن الْبَيْنَاتِ مَا لَكُورُ مِن الْإِنْدِ (١٩٠).

 ١١ - تبيين موقف أهل الكتاب الكفار - من المؤمنين حتى لايتخلوهم أولياء : (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرَدُّونَكُمْ مِّن بَدْدٍ لِيمَاتِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مَنْ هِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَقْدِ مَلَتَبِيْنَ لَهُمُ الْحَقُّ . . .) الآية (١٠٩) .

١٧ - العتاية بقصة إبراهيم وإصماعيل - عليهما السلام - في بناء الكعبة بمكة ؛ الأبها أول
 بيث وضع للناس في الأرض ، وقد جمله الله مثابة للناس وأمنا .

١٣- اختبار الناس بتحويل القبلة من بيت القدس إلى الكعبة المشرفة : (. . . وَمَا جَمَلُنَا القيئلَة الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِيَعْلَمُ مَن يَنْسِعُ الرَّسُولَ مِنْ يَنفَلِبُ عَلَى عَقِبَيَّهِ ، وَإِن كَانَتُ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الْلَّهِنَ مَنْكَى اللهُّ . .) الآية (١٤٣) .

 ٦٦- بيان عبادة الصوم التي بها طهارة القلوب، وذكاة النفوس: (يَنْأَيُّهَا اللَّهِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ تَتَقُونَ . . . (١٨٢٠) ، (شَهْرُ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصَّلِكُمْ تَتَقُونَ . . . (١٨٢٠) ، (شَهْرُ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصَّلَكُمْ تَتَقُونَ . . . (١٨٢٠) ، (شَهْرُ وَمَهْمُ الصَّلَيْعَ الْمَؤْوَانِ فَيِهِ القُرْآنَ فَيهِ القُرْآنَ فَيهِ القُرْآنَ فَيهِ القُرْآنَ فَيهِ المَّرِّ اللَّهُمُ فَلْيَصُمْ فَلْيَصُوبَ اللَّهُمُ فَلْيَصُمْ فَلْيَصُوبَ اللَّهُمُ فَلْيَصُمْ فَلْيَصُمْ فَلْيَصُمْ فَلْيَصُمْ فَلْمَعْ فَلْيَصُمْ فَلْمَعْ فَلْمَعْ فَلْمَعْمِ اللَّهُمُ فَلْيَصُمْ فَلْيَصُمْ فَلْمَعْمِ فَلْمَعْ فَلْمَعْمِ فَلْمَعْمِ فَلْمَعْمِ فَلْمَعْمِ فَلْمَعْمِ فَلْمَعْمِ فَلْمَعْمِ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمْ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمْ فَلْمُعْمِونَ المَّهْمِ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمْ فَلْمُعْمِونَ المَعْمِ اللَّهُمْ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمْ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمْ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمْ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمُ فَلَاعِهُمْ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمُ فَلْمُعْمِونَ الْمُعْمِونَ اللَّهُمُ وَاللَّهُمُ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمُ فَلَوْمِ الْعَلَيْمِ وَاللَّهُمُ فَلَاعِمُ الْمُعْمَانِ اللَّهُمُ فَلْمُعُمْ فَلْمُعْمِونَ اللَّهُمُ وَلَوْمُ الْمُعْمَانِ اللَّهُمُ وَلَمْعُونَ الْمُعْمِونَ الْمُعْمَى وَالْمُونَ الْمُعْمِلُونَ الْمُعْمَانِ اللَّهُمُ وَلَمُعْمَانَ اللَّهُمُ وَلِمُونَ الْمُعْمِونَ الْمُعْلَقُونَ الْمُعْمِونَ وَلَمْ الْمُعْمَانِ اللْمُعْمِونَ اللْمُعْمِونَ الْمُعْمِونَ اللْمُعْمِونَ الْمُعْمِونَ اللْمُونَ الْمُعْمِونَ الْمُعْمِونَ اللْمُعْمِونَ اللَّهُمُ الْمُعْمِونَ الْمُعْمِونَ اللَّهُمُ الْمُعْمِونَ اللَّهُمُ الْمُعْمِونِ الْمُعْمِونَ اللْمُعْمِونَ اللْمُعْمِونَ المُعْمِونَ الْمُعْمِونَ الْمُعْمِعُونَ الْمُعْمِونَ الْمُعْمِعِمُ الْمُعْمِعُونَ الْمُعْمِعِمُ الْمُعْمِعُونَ الْمُعْمِعُونَ الْمُعْمِعِمُ الْمُعْمِعُمُونَ الْمُعْمِعُمُ الْمُعْمِعُ الْمُعْمِعُمُ الْمُعْمِعُونَ الْعِمْمُ الْمُ

المُشْرِكَةِ تَحَى يُؤْمِنَّ ، وَلَأَنَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَبْرٌ مَّنْ مُشْرِكَة وَلَوْ أَضْجَتَكُمْ وَلا تُنكِمُوا الْمُشْرِكِينَ حَمَّى يُؤْمِنُوا وَلَتَمَادُ مُؤْمِنَ خَيْرٌ مِّنْ تُشْوِلِهِ وَلَوْ أَصَجَبَكُمْ . . .) الآية (٢٢١)

٩١ – وضع حد للشقاق بين الزوجين والمحافظة على طهارة الأنساب، ببيان أحكام الطلاق ، والمعدة للمطلقة ، والمدون عنها زوجها (الطّلَاقُ تَرْتَانِ . . .) الآية (٢٢٩) (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتُرَيُّسَنَ بِأَنْفُسُونٌ لَلَاتِهَ وَكُنْهُ وَوَهِ . .) الآية (٢٢٨) ، (وَالنَّيْنَ يُتُوفُونَ مِسْكُمْ وَيَلَدُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبُّسُنَ بِأَنْفُسُونٌ أَرْبُكُمْ وَيَلَدُونَ أَزْوَاجًا) . .) الآية (٢٢٤) .

. ٢٠- بيان التفاضل بين الرسل على حسب درجاتهم عند الله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَشَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ . . .) الآية (٢٥٣)

١١- الحث على الإنفاق في سبيل الله : (مَثَلُ اللَّمِينَ يُسْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمْنُل حَيَّةً أَسْبَعَتُ مَنْ مَنْفَقِ وَاللهُ يَلْمَاعِثُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّ

الزِّيّا . .)الآية ^(٢٧٩) ، (يَشْحَى اللهُ الزِّيّا وَيُوبِي السَّنقَاتِ. .) الآية ^(٢٧٦) ، (فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا غَانْذَهُ وِحِرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ الْوَالِكُمْ لَاتَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٦)).

٣٧_الأَمر بقيد الديون وتسجيلها في وثائق ، حتى لاتقع المشكلات في المعاملات المالية (يَاأَيُّهَا اللَّهِنَ آمَنُوا إِذَا تَمَايَنَتُمْ مِنْدَيْنِ إِلَى أَجْرًا مِنْسُكًى فَاكْتُبُوهُ . . .) الآية (٢٨٦) .

هذه بعض المفاصد والأهداف من سورة البقرة . وهي مدنية . و آياتها مست وثمانون وماثنتان . والمدنى : مانزل بعد الهجرة .

بِسُــِ لِللَّهِ ٱلرَّحْيِزُ ٱلرَّحِبُ يُعِ

(المَّمَ فَ ذَلِكَ الْكِتَنَبُّ لَا رَبِّبَ فِيهُ هُدُى لِلْمُتَّقِينَ ﴿ اللَّهِ مِنْ أُهُدَى لِلْمُتَّقِينَ ﴿ اللَّذِينَ لُؤْمِنُونَ بِالْفَرِينَ الصَّلَوَةَ وَمِمًّا رَدْقَنَهُمْ مُنْفِقُونَ ﴾ وَاللَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلْيَكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرةِ هُمَّ يُوفِقُونَ ﴿ وَاللَّهِ مِنْ وَمُلْكَ وَبِالآخِورَةِ هُمَّ يُوفِقُونَ ﴾ يُوفِئُونَ ﴿ وَالْمَالِمُفَلِمُونَ ﴾ يُوفِئُونَ ﴿ وَالْمَلْمُونَ ﴾ والمُنْفِحُونَ ﴾ والمُنْفِحُونَ ﴾ والمُنْفِحُونَ ﴿ اللَّهُ المُنْفِحُونَ ﴾ والمُنْفِعُونَ ﴿ اللَّهُ المُنْفِعُونَ ﴾ والمُنْفِعُونَ ﴿ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّلَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّالَةُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ ال

القبريات :

(الله) يقول السلف : إنها وأمثالها في فواتح السور من المتشابه ، اللبي استأثر الله بعلمه .

ويقول غيرهم : إنها للتنبيه . وقيل غير ذلك . وسيأتي بيان مافيه .

(لاَ رَبُّ فِيهِ) : لاينبني أنيشك في صحه .

(هُدِّى لِّلْمُتَّقِينَ) : إرشاد لهم .

(يُؤُمِنُونَ بِالنَّيْسِ) : يصلقون يما غلب عن حسَّهم ، مما أخبر عنه الكتاب الذي لاربب به .

(وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ : يؤدونها في أوقانها ، كاملة الأركانوالشروط .

(وَمِنَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : ومما أنعمنا عليهم يبذلون في سبيل الخير .

(أُولَسُّكَ عَلَى هَدَّى مَّن رَّبِهِمْ) : أَى أُولئك الموصوفون عا تقدم ، متمكنون من هدى رجم . (وَاُولَسُّكَ مُمُ المُقْلِمُونَ) : أى مما يرجون ، الناجون مما يكرهون .

التفسير

 ١ - (النّم) : افتتح الله بعض سور القرآن ، بأسماه بعض الحروف ، وعددها تمانية وسبعون حوفا فى جملة السور . وهى تكرار لأربعة عشر حوفا فى أواثل تسع وعشرين سورة ، مئها سورة البقرة هذه ، وأولها : (النّم) .

وقد ذهب كثير من السلف ، إلى أن معانى هذه الحروف وأغراضها ، سر من الأسرار التي استأثر الهُ تعالى بعلمها ، فتكون من التشابه الذي لإيطه تراويله إلا الله عزوجل

أما علماه الخلف ، فقد حاولوا بيان القصود منها ، لأن القرآن جاء بلغة العرب ليفهموه ، ومن أحسن ماقيل في ذلك : إنها تشير إلى أن القرآن، مكون من كلمات أساسها هذه الحروف التي تنظمون منها - أيها العرب - كلامكم ، ومع ذلك عجزتم عن أن تأثوا عثله ، وفيكم القصحاء والبلغاء . فإذا جاء به الذي الأمى ، فالله تعالى هو الذي أنزله إليه ، ولم يأت به من عند نفسه ، لأنه مثلكم في البلاغة وفي الفصاحة . فإذا كنتم عاجزين عن الإتيان عنله ، وأتم أنمة البلاغة ، فهو مثلكم في ذلك الفجر .

فالقرآن فوق مقدرة البشر جميعا . ومن أحسن ماقيل أيضًا : إن المشركين كانوا تضافروا ، على ألا يسمعوا القرآن : ٥ وكَالَ اللّهِينَ كَفَرُّوا الأَنْسَمُوا لَهِنَا القُرْآنِ وَالقُوا فِيهِ لَمَلَّكُمْ تَطْلِبُونَ ١٠ . . (1) فكان النهى حليه العبلاة والسلام .. يبدأ التلاة بنه الأحرف المنزلة ، جاهرا بقرائته ليستمعوا إلى القرآن الذي أعرضوا عنه . فهي .. لغرابتها ... أقوى في تنبيههم إلى استماه من أذيقول لهم : استمعوا إليه .

⁽۱) فصلت : ۲۹

٢ .. (ذَالِكَ الْكِتَابُ لاَ رَبِّبَ فِيهِ مُنَّى لِّلْمُتَّقِينَ):

(ذَلِك) إشارة البعيد الحسَّى . وقد يستعمل للبعيد المعنوعٌ القعظيم ، كما في قوله تعالى : وذَلِك َ عَالِمُ الفَّمْدِيرَ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ* (.

وهي هنا إشارة إلى الكتاب ؛ للإيذان ببعد منزلته علوًا ، أي ذلك الكتاب البعيد المدى في منزلته الرفيعة .

(الكِتَابُ) : عمنى المكتوب ، وهو القرآن الذي نتلوه ، الموهود به التبي صلى الله عليه. وسلم ، في قوله جل شأته : د إنّا سَنْلُقِي عَلَيْكُ قَوْلاً تَقْلِيلًا "" ، فأل فيه المعهد ، أي ذلك الكتاب الذي وصدنا بإلقائه عليك ، ويجوز أن تكون للكمال ، والمعنى : ذلك الكتاب : الكامل ، في بعلاضته وإعجازه وتشريعه . أو ذلك الكتاب ، أما غيره قلا .

(لأرَيْبَ نِيدِ) : لاشك فيه ، أى أنه ليس من شأَّته أن يشك فيه ، لنصوع حقائقه . وإلا فهناك من المنكرين المعارضين من شك وشكُّك ، وارتاب وأراب ، فلم يعتبر ريبهم فيه ريبا . لأنه نشأ عن الرين والحجاب الذي خدم الله به على قلومهم .

قدتنكر البين ضوء النسس مزرمة وينكر القم طعم المساء من سقم (هُدَّى لَلْمُتَّكِينَ) أَى بيان وإرشاد لهم إلى مُينفعهم فى دنياهم وأُعراهم ، لما تفسنه القرآن من المقائل والأُحكام ، والأُعلاق التي لاغلية وراعها .

والمتفى : من يتفى علماب الله ويصون نفسه منه ، بترك السيئات وعمل الصالحات . وخص بهذا ، لأنهم هم اللين ينتفعون عا فى الكتاب من هداية إلى الصراط المستقيم ، على حدقوله تعالى : و إنَّمَا أَدْتُ مُثْلِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ، (٢٥ . وأَيضا قوله جل شأنه : و فَلدُكُرْ بالقُرْآن مَن يَخْشَاهَا ، (١٩٤ . وأَيضا قوله جل شأنه : و فَلدُكُرْ بالقُرْآن مَن يَخْشَاهَا ، (١٩٤ . وأَيضا قوله جل شأنه : و فَلدُكُرْ

وعا أنه مذكر للجميع وهاديم ومنادهم ، فالتقييد بما ذكر ، مراحاة لمحل الشهرة والفائدة أما غيرهم ، فلم ينتفعوا بالقرآن ؛ لسُّوه انحيارهم .

٣ _ (الَّذِين يُؤْمِنُونَ مِالْفَيْمِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ :

⁽١) السينة: ١٠ ألران: ٥

⁽٣) التازمات يده. (٤) آخر دائه

تَضَمَّنَتْ هله الآية العفة الأولى للمتَّقين اللين نزل القرآن هدى لهم .

واعلم أن التكاليف الشرعية : إما ترك ، وإما فعل . وما يطلب تركه يدخل تحت عنوان المتقين . والقعل : إما قلبي : ويدخل تحت قوله : ﴿ الَّذِينَ يُوثِّئُونَ بِالْغَيْبِ ِ ﴾ . وإما من عمل الجوارح .

وقد أشار إلى البدنى منها بقوله : (وَيُعْيِمُونَ الصَّلاَةَ) ، وتخصيصها بالذكر ؛ لأَمّا رأس الصِادة البدنية ، ولأَما تنهى عن المنادة البدنية ، ولأَما تنهى عن المنادة البدنية ، ولأَما تنهى عَن المنادة البدنية ، ولأَما تنهى عَن المنادة ال

وأَشار إلى المالى منها بقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

ووجه الترتيب في الآيتين: أن الترك من قبيل التخلية ، وأن الأقمال من قبيل التحلية ، والأولى تسبق الثانية ، ولهذا قدم وصفهم بالتقين على غيره من الأوسات ، لأن التقوى من قبيل التحلية ، فهي أضبه بإزالة الأدران والأوساخ قبل التحلية باللباس النظيف الجديد الذي تشبهه سائر صفات المتقين . ويلى هذا ما كان من حمل القلوب، وهو الإيمان بالغيب ، إذ هو أساس قبول العمل الصالح، ولهذا لم يقبل من الكفار حمل مهما كانت صورته طبية ؛ لأنه لم يقبم على عقيدة صحيحة قال تمال : و وقايشًا إلى ما عَيلُوا مِنْ عَمَل فَجَمَلُناهُ هَبَاك من منظوراً ") : ويلى ذلك العبادة البدنية التي ترجع فاقلتها إلى فاطها ، وقد أشير إليها يقوله : (وَيما رَزَقَنَاهُمْ (وَيُحَيمُونَ السَّلَة إليها يقوله : (وَمِما رَزَقَنَاهُمْ اللهار إليها يقوله : (وَمِما رَزَقَنَاهُمْ المِنْ اللها يقوله : (وَمِما رَزَقَنَاهُمْ اللهار إليها يقوله : (وَمِما رَزَقَنَاهُمْ اللهار إليها يقوله : (وَمِما رَزَقَنَاهُمْ اللها يقوله : (وَمَا رَزَقَنَاهُمْ اللها يقوله : (وَمُما رَزَقَنَاهُمْ) ، أي على جهات اليس الله اللها يقوله : (وَمَا رَزَقَنَاهُمْ) ، أي على جات الهار الها اللها يقوله : (وَمَا اللها يقوله اللها يقوله : (وَمَا الها يقوله اللها يقوله : (وَمَا اللها يقوله : (وَمَا اللها يقوله :) .

والإيمان بالنيب هو التصديق والإذهان القلبي به ، والمراد بالغيب ما خاب عن العس من شئون الدين وقام الدليل على ثبوته ، فالله تعالى لاتدركه الأبصار ، وما يتماق بالملإ الأعل أو بأخوال يوم القيامة ، من بعث وحشر وحساب ، غيب ـ فالإيمان بذلك كله إيمان بالليب ، ولا يتحقق الإيمان بدوته ، وهو أماس قفروع الإيمان ، ولهذا قدمه عليها .

جاء فى تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤١ قال سعيد بن منصور ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأَحمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : كنا عند عبد الله

⁽١) النكيرت: وع

ابن مسعود جلوما فذكرنا أصحاب النبي حملي الله عليه وسلم - وما سبقونا بد، فقال عبد الله : إن أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - كان بَيِّنَا لمن رآه ، والذي لا إِلّه غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب . شم قرأ (التم و ذَلِك الكِتَابُ لا رَيِّبَ فِيهِ هُدَّى لُلْمُتَقِّينَ . النَّائِينَ يُؤْمِنُونَ بِالنَّيْسِ . . .) إلى قوله : (. . . . الْمُقْلِمُونَ) .

وهكذا رواه ابن ألى حاتم وابن مردويه والحاكم فى مستدركه ، من طرق عن الأعمش بهذا الإسناد . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

وكلام ابن مسعود ـــ رضى الله عنه ـــ فى هذا الأثر يشعر بناًن من لم يروا النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وآمنوا به ، يعتبر إيمانهم برسالتير إيمانا بالغيب ، وأنذلك منقذ لمهم .

ومعنى ﴿ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ : يؤَدُّونها في أوقاتها ، كاملة الأركان والسنن .

ومن كلام أمير المرّمنين عمر _ رضى الله عنه '_ : من حفظها _ أى الصلاة _ وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيمها كان لما سواها أضيم .

ومعنى قوله : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) : ومما أعطيناهم من قضلنا ينفقون .

وإسنادالفعل (رَزَقَنَاهُمُّ) إلى ضميرالله تعلى ، إشارة إلى أن الله تعلى ، جعلنا مستخلفين عنه فيما ننفق من الرزق الممنوح لنا ، ولم تبين جهة الصرف لفرض التعميم ، فينبغى ألا نبخل عال الله على خلق الله المحتاجين ، وألا نشح على كل عمل معد لمصلحة الإسلام والمملمين .

٤ = (وَالَّذِينَ يُوْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) الآية .

هذه هي الصفة الثانية للمتقين ، وفي وصفهم بالإيمان بما أنزل على النبي وهو القرآن ، وما أنزل من سائر الكتب على من قبله من الرسل – بيان أن الإسلام يقر الرسالات السماويَّة في حينها ، ولا ينكرها ، وأنه لايفرَّق بين أحد من رسل الله ، على عكس اليهود والنصارى . فاليهود ينكرون المسيحية والإسلام وكتابيهما ، والمسيحيون ينكرون الإسلام وكتابه .

وقوله تعالى : (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوفِنُونَ) : أَى ويؤْمنون كذلك بالدار الْآخرة ، ومافيها من بمث وحشر وثواب وعقاب ، والعبارة فيها قصر اليقين بالآخرة على المؤمنين ، ولى ذلك تعريض بإيمان أهل الكتاب بها ، فإنه غير مطابق ، ولا صادر عن يقين ، فاليقين : إنما يكون عن عام لايعتريه شك قال تعالى : و إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرَتَابُوا " أَوَّامِ الْكِتابِ لِيسوا كَذَلْك .

وسميت الدار الثانية بالآخرة ؛ لتأخرها عن دار الدنيا .

و أُولَتِكَ عَلَى هُدّى مَّن رَّبِّهِمْ . . .) الآبة .

اسم الأشارة في (أولتك) عائد على المتقين الموصوفين بالصفات السابقة ، فتكون تلك الصفات كلها ملحوظة مع المشار إليه ، والتجير بقوله : (عَلى هُدَّى) : فيه إشارة إلى تمكن المتقين من الهدى ، فكأتهم مستقرون عليه ، وتنكير هدى لتعظيمه ، وأكد هذا التعظيم بأنه صادر (مَّن رَبُّهم) : أى بتوفيقه : « قُلْ إِنَّ هُدَى الشَّهِ هُوَ الْهُدَى ") (رُوُّولَتْكَ مُهُ المُمْلَحُونَ) :

أَىوأُولئكُ المُوصُّوفُونَ بمَا تَقْدُمُ هُمُ لِ الْغَيْرُهُمْ ﴿ الْفَائْزُونَ عَنْدَاللَّهُ بِالسَّمَادَةُ الدَّائمَةُ .

وأصل الفلح : الشنق في الأرض ، وهو عمل الفلاح ، والمؤمّنون قد شقوا طريقهم إلى الله ، فوصلوا وفازوا بمرضاة رجم ، وعظيم ثوابه .

وتكرار اسم الإشارة : (أُولِّنك) ؛ للتنويه بشأن المتقين المتصفين بهذه الصفات .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُواْ سَوَاءً عَلَيْهِمْ ءَأَنَدُرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُوْمِهُمْ وَعَلَى اللهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى الْبَصْرِهِمْ فِي اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى الْبَصْرِهِمْ فِيسَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴿) .

الفيرنات :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) المرادبهم اللّذِن جحلوا ما أنزل على محمد ــ صلى الله عليه وصلم ــ.، وأصروا علم ذلك .

⁽١) الحبرات: ١٥

(خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَعْهِمْ) : أَى أَعْلَمُها ومنعها عن قبول الهدى ؛ بسبب إصرارهم على الكفر . والمقصود أنه تعالى لم يوفقهم إلى الإيمان بسبب عنادهم .

(وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْمُوةً) : أَىغطاء ، وهذا كناية عن علم انتفاعهم بالآيات الكونية المرثبة : الدالة على وحدانية الله تعالى ، كما لاينتغم الأعمى بالمرثبات لشيره .

التفسير

٦ - (إِنَّ اللَّهِنَ كَفَرُوا سَوَاءُ عَلَيْهِمْ ءَأَنْفَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْفَرْهُمْ الأيؤمنُون)

بعد أن وصف الله المؤمنين الصادقين ، فى أربع آيات ، صدرت بهن السورة ، أتبعها وصفالكافرين ، فخصهم بآيتين ، لبيان حالهم ومآلهم .

فهنا في هذه الآية : إخبار من الله تعالى عن قوم ، علم الله أزلا : أنهم لا يؤمنون ، وأن الإنذار وعدمه سواء عندهم ، لأن ظلمة الكفر حجيتهم وتحجيهم عن نور الإيمان .

وقد يقال : إذا علم الله أزّلًا كفرهم باختيارهم السِّيّىء ، وأخبر عنهم بنّام لا يؤمنون فما فائدة الإنذار ، وتوجيه الدعوة إليهم ؟

والجواب : أن الإندار لإتمامة الحجة عليهم ، حتى لايقولوا : ما جائنا من بشير ولا نلير، ولتحقيق عموم الرسالة ، وليثاب الرسول على توجيه الدعوة إليهم ، وإن لم يستجيبوا

هذا والكفر نوعان : كفر إنكار أه قلبا ولسانا ، ككفر فرعون . وكفر إياء وامتناع : وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ، أو يقر بلسانه ويكفر بحقوقه ويأباها ، ككفر إيليس ، ومن على شاكلته من البشر ، وكلاهما يؤدى إلى الخاود فى النار .

٧ - (خَتَمَ اللهُ عَلَى تُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمِيهِمْ . . .) الآية .

الختم لغة : الاستيثاق على الشيء بوضع مادة تغطيه، حتى لايخرج منه ماهو فيه، ولايدخله ما هرخارج عنه .

والمادة التي يختم جا اسمها الختام بكسر الخاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ خِيَامُهُ مِسكُ () وَالآلَة التي تستعمل في الختم اسمها الخاتم بفتح التاء .

⁽١) الطففين : ٢٦

والمقصود من قوله تعالى: (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) إلخ بيان السبب في إصرارهم على الكفر ، وعدم انتفاعهم بإنذار الرسول صلى الله عليه وسلم .

وليس المرادمن الختم على القلوب ، والغشاوة على الأسماع والأبصار ، المني الحقيقي لهما ، إذ لا ختم في الحقيقة ولا غشاوة ، بل المراد أنه تعالى تركهم وشأتهم الذي اختاروه لأنفسهم من إصرارهم على الكفر ، وتركهم التذكر بقلوم، وعقولهم ، وصرفهم أسماعهم عن المواعظ وأبصارهم عن آيات الله تعالى ، فلم يلطف مم ولم مدهم ، جزاء إصرارهم وسوء اختيارهم ، كما يشير إليه قوله تعالى : ٥ . . بَلْ طَبَع اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ (١) . ، ، وقوله : ١ . . كَذَ لك يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ " ، . وقوله : « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (" ، . ونقل ابن كثير عن ابن جرير الطبرى في تفسير الآية أنه قال : والحق عندي في ذلك ماصح في نظيره الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وساق ابن جرير هذا الخبر بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : « إن المرِّمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتةً سوداء في قلبه ، فإن تاب ونَزَع واسْتَعْتَبُ (1) صُقلَ قابُه (١٠٠ . وإن زاد زادت حتى تعلُّو قلبه ، فذلك الرانُ الذي قال الله تمالى : ﴿ كُلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسبُونَ (١٠) ﴿ .

قال ابن كثير : ثم قال ابن جرير : فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم والطبع من قبل الله ، فلا يكون للإنمان إليها مسلك ؛ ولا للكفر عنها مخلص ، فذلك هو الختم في قوله تعالى : ۗ وخَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ... و الآية : انتهى باختصار .

وخلاصة كلامه وكلامنا أن الكافرهوالذي تسبب في إظلام قلبه حتى انصرف عن الإيمان. وأن الرين هو ذلك الطلام المعنوي الذي حَجَّبَ قلبه ، بسبب انصرافه عن دواعي الإيمان ، وأن نسبة الختم إلى الله كناية عن تركه لهذا الظلام دون أن يكشفه حتى يدخل الهدى في قلبه ، بسبب إصراره .

⁽١) التمار من الآية : ١٥٥

⁽٢) الأمراك - من الآية : ١٠١ (٣) الطنتين : 12 (؛) أى رجم عن ذنبه، وظلب رضا ربع .

⁽ ٥) أَى جُمل قلبه وأصبح تظيفًا من أثر الذنب . (۲) دواه ابن جریر وانسائی والنرمذی وقال حسن صحیح

ولو أنه صرف قواه الفكرية والحية إلى معرفة الحق لكشف الله عنه هذا الظلام ، ولهداه إلى الحق المبين .

(وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غَشَاوَةٌ) :

جملة مستأنفة لاتدخل ف حكم الختم السابق .

والغشاوة : هي الغطاء . والجملة : كناية عن عدم انتفاعهم بالآيات الكونية المرثية .

وبذلك اجتمع على الكفار عمى البصيرة ، التي هي نور القلوب ، وعمى البصر الذي هو نور الأبصار ، وانسدادالسمج .

(وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

ويشمل ما أعد للكافرين من عذاب الآخرة الدائم ، وما يصيبهم فى الدتيا هل أيدى المؤمنين من الأسر والفتل . والعظيم ضدالحقير ، كما أن الكبير ضد الصغير .

وقد وصف العذاب بلفظ (عظيم) منكرا ؛ تهويلا لما يصيبهم من أليم العذاب .

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَبِٱلْيَــوْمِ ٱلَآخِرِ وَمَا هُم يَمُوْمِنِينَ ﴾ يُخْلِدُعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدُمُونَ إِلَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدُمُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۗ لَلَّهُ مَرَضًا فَرَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمًا بِمَاكَانُواْ يَكُذِبُونَ ۞) .

الفيردات :

(يُخَارِعُونَ اللهَ): الخداع: أن تظهر لفيرك خلاف ماتخفيه له من الشر ليحسن الظن بك ، ولما كان المولى سبحانه ، لا يخفى عليه صرهم ونجواهم ، فللما يكون الخداع هنا بحسب زهمهم ؛ جهلًا منهم .

(وَمَا يَخْذَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾ : أىوما يعودضررخداههم إلاعليهم .

(وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : أيوما يدرون أن ضرره عائد عليهم .

(في مُّلُوبِهِم مَّرضٌ) : المرادمنه هنا الشك والارتياب الذي نشأٌ عنه النفاق .

(فَزَادَكُمُ اللهُ مَرَضًا) : شكًّا وارتيابا . والمراد : أنه خلّاهم وريبهم ، فلم يسعفهم بالتوفيق ؛ لسوه نيّاتهم، فتضاعف الريب في قلوبهم ، وتعاظم أثره من النفاق.

التفسير

٨ = (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَا مَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِين) :

هداشروع فى بيان صفات الطائفة الثالثة ، وهم المنافقون ، اللمين يظهرون مخلاف ما يبطنون .

وهم أسوأ وأخبث من الكافرين الصرحاء .

وقدايتل الله بهم كل مجتمع ، في كل زمان ومكان . وفي الاحتراز عنهم وعن مكرهم صعوبة ومشقة ؛ لأن نظهرهم لايتفق مع مخبرهم .

وقد ذكر الفرآن فى شأتُهم هنا ثلاث عشرة آية متنالية ــ تبدأً من هذه الآية ــ ليحدد أوصافهم وخداعهم ، وضرب فيهم الأمثال التي تكشف عن حالهم ، وعاقبة أمرهم .

وقد ظهر النفاق بالمدينة بعد غزوة بدر الكبرى ، وسببه - كما قال ابن كثير - أن عبدالله ابن أبي سلول ، كان سيدا للخزرج ، وكان رئيسا لهم وللأوس قبل الإسلام ، ثم رأوا أن يجملوه ملكا عليهم ، فلما جاء الخبر أسلموا واشتغلوا عنه ، فيقى في نفسه من الإسلام وأهله شيء ، فلما كانت وقعة بدر وظهرت شوكة المسلمين قال : هذا أمَّر قد تُوجَّه، يريد بالأمر : الملك ، ويريد بتوجهه: زواله عنه وقد دفعه يأسه من تحقيق أمنيته ، أن يدخل في الإسلام كما دخل قومه ، ولكنه دخله مراتيا غير مخلص ، ودخل مع آخرون من قومه وغيرهم على مشاكلته ، كما حدث مثل ذلك من طافقة من أهل المكتاب ، فمن تُمَّ رُجِدُ النفاق في أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ، والنفاق مرض اجتماعي ينشأ عن الحقد والضعف النفسي والطم .

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ * امَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَاهُم بِمُوَّمِنِينَ) :

أى وبعض الناس جماعة منافقون : يظهرون للموشنين أنهم جمعوا بين طرفين من الإيمان ، أولهما الإيمان بالله ، وثانيهما الإيمان باليوم الآخر : خداعا للموشنين ، حتى يأمنوا جانبهم ، (وَمَا هُم بِمُوْمِنِين) : أَى وقيسوأ ق الحقيقة مؤمنين؛ لعدم إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ ولأنزإ عانهم بالله واليوم الآخر غير صادق.

وقدروعی لفظ (مَن) ، مفردا فی ضمیر یقول . وروعی معناه جمعا فی ضمائر (عانثًا) ، (وَمَا هُم بِهُوْقِيْينَ) ·

ونغى إعانيم الذى ادعوه بالجملة الاسمية فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِيمُوَّسْنِينَ ﴾ أقوى ؛ لأنها تقتضى دوام النفى واستمراره ، كما علم الله فيهم .

٩ _ (يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمنُوا ...) : الآية.

هذه الآية كالتعليل لنفى الإيمان عنهم ، أى وما هم بموصّنين حقا ؛ لأنهم يمخادعون الله والمؤّمنين بما يقولون .

والخذع: أن توهم غيرك خلاف ماتخفيه من المكروه. أما المخادعة فإنها في أصل معتاها تقتضى أن يكون من الجانبين ، ولكن قديراد منها المبالغة في المخدع من جانب واحد ، وهو المقصودهنا . ولما قريَّ (يَحْفَكُون) علي الأصل.

وخداعهم الله بحسب زعمهم - جهل منهم بالله ، إذ لو عرفوه لعلموا أنه لا يُحقَدَّعُ ، لأن الخداع إنما يكون مع من لايعرف البواطن . وخداعهم للعوَّنين غفلة منهم ، قنفاقهم غير خاف على أحد منهم فقد فضحهم الله ، وأظهر رسوله على نفاقهم ، وفضحوا أنفسهم في غزوة أحد ، وكَنَتْمُ فَنَهُمُ فَي يُحْنِ الْمَوْلِ اللهُ عَلَى اللهُ تعالى : (وَمَا يَحْدَثُونَ إِلاَّ انْفُسَهُمْ) .

فإن من خادع من لايُخْدُع فقد خدع نفسه، لأنه يظهر لها بفعله أنه يحقق لها أمنيتها من التقبة والسلامة ، مع أنه يوردها به موارد العطب، ويجرعها كلُّس العذاب وأليم العقاب والحرمان من دار الثواب .

ويجوز أن يكون للمنى: وما يعود ضرر خداعهم إلا هل أنفسهم ؛ فليُهم سيعلبون به في أخراهم ، وسيفضحهما لله في الدنيا باطلاع نبيه علىما أضمروه .

(وَمَا يَشْمُرُونَ ﴾ : أَى وما يفطنون لهذه العاقبة ، لشمادى غفلتهم ، كالذى لا حس له ولاشمور .

⁽۱) محمد د ۲۰۰

١٠ - (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَكُمُ اللهُ مَرَضًا . . .) : الآية .

المرض فى الأصل : خووج البلد عن اعتدال مزاجه وصحة أعضائه . فبتعرض البدن للآلام . ويعللن مجازا على شك القلوب وارتيابها . فمرض القلوب هنا ، مرادبه ترددها فى العقيدة ، وعدم وصولها إلى الحق ، معقيام الأدلة عليه ، فلما عموا عن النور ، زادهم الله مرضا . فالنفاقُ عرض ظاهرى لمرض قلهى هو : الشك والجبن .

(رَلَّهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكُنِيُونَ) :

أى ولهم عقاب مؤلم في الدنيا ، بسبب مايجره عليهم النفاق من مهانة واحتقار ، وعذاب شديدعندالله في الآعرة . بكذبهم على الهوالناس بقولهم : (آمَنًا) .

وقديقال : إذا كانالمنافقون أشدخيشا من الكفار ، فلم لم يستحل النبي قتلهم ؟ والجواب : أنهمة أظهروا الإسلام ، عاملتهم الشريعة بهذا الظاهر ، والله يتولى السرائس .

(وَإِذَا قِبِلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا تَحْنُ مُصْلِحُونَ۞ أَلآ إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَنكِن لاَ يَشْعُرُونَ۞).

التفسير

١١- (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِلُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ :

في الآية بيان لعناد المنافقين ، وإصرارهم على الفساد ، كلما وجه إليهم الإرشاد من أى ناصح ، ولهذا بنى القول للمجهول ، فقيل : (وإذا قِيلَ لَهُمْ لاَتُمُسِلُوا فِي الْأَرْضِ) . وإفسادهم

⁽١) التوبة – من الآية : ١٠١

فى الأرض كان : بإثارة الفتن بين المسلمين ، وإفشائهم أسوار المسلمين للكفار ، وتحريض الجميع ــ مسلمين وكفارا ــ على الحروب .

وقد كانت الأرض قبل مبعث النبي مليئة بالفساد وبالماصى ، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - عمل على إزالة هذا الفساد ، والقضاء على الصبيات الجاهلية . وبذلك تهيأت الأرض للصلاح باستفامة المجتمعات العالمة عليها ، فلما جاء المنافقون ، وكان من آثارهم إحياء الفتن بين الناس - قبل لهم : (لا تُمنسُدُوا في الأزْض) ، أي بعد إصلاحها بالتعاليم الإسلامية ، فكان جواب المنافقين مبنيا على منالطة كاذبة ، إذ قالوا : (إنما تَمنُوكُ مُن مُمنلُوكُونَ) ، أي نعد مع أننا لم تفعله ؟ . أي ندن مقصورون على الإصلاح ، ولا نعرف الإفساد ، فكيف ننهي عنه مع أننا لم تفعله ؟ . وإنما قالوا ذلك ، لأنهم صوروا الإفساد إصلاحا ، لمرض قلوبهم ، على حدقوله تعالى : (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ شُوعَ عَملَهِ فَرَعالُهُ حَسَنًا) * " ا

١٧ - (أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِلُونَ وَلٰكِن لا يَشْعُرُونَ) :

هذا هو الرد على دمواهم . وهو أبلغ رد لما فيه من (ألاً) ، المتبهة و (إنَّ) الموَّكدة ، وتعريف الخبر(المُفْسِلُونَ) ، وتوسيط ضبير الفصل (هُم) . ونفى الشهور والإنواك عنهم لفساد عقولهم ، فصاووا لا يميزون بين الخبيث والطيب ، ولا يشعرون بالقروق بين القاسد والصائح .

(وَإِذَا قِبِلَ لَهُمْ عَامِنُواْ كَمَا عَامَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنَوُّمِنُ كَمَا عَامَنَ السَّفَهَاءُ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَا ۚ وَلَلْكِن لَا يَعْلَمُونَ ۞).

التفسير

١٣ – (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ التَّاسُ . . .) : الآية .
 نُصِحُوا في الآية السابقة بترك الإفساد ، وهذا ، نصحوا بتحقيق إمان سليم من النفاق.

⁽١) قاطر د ٨

والمنبى : وإذا أرشدوا ، فقبل لهم : آمنوا بالله ورسوله - يفلوبكم – كما آمن الناس الكاملون المستجمعون لخصائص جنسهم ومزاياه ، بحيث لايقترن إيمانكم بشيء من شوافب النفاق. (قَالُوا أَنْوَلُونُ كُمّا آمَنُ السُّمَيَّالُة) ؟ والاستفهام في كلامهم للإنكاروالنفي .

والسفهاة : ناقصو العقل والرأى ، أى لاتؤمن كإعان المؤمنين السفهاء ، الفين لا عقل عندهم ولا رأى . وهذا الردقالو، فيما بينهم ، لأنه كفر صريح ، وهم يتظاهرون بالإيمان ، وقد فضع الله سرهم هذا وأظهره ، ثم ردعليهم السفه كما سيأتى .

وقال أبو السعودى قولهم: (أَتُوعُنُ كَتَمَا آمَنَ السُّفَهَا قَ) إنه ردى مقابلة الناصحين من المؤمنين ، فيه ضرب من التفاق ، لأنه يحتمل الشر والخير - فهو في ظاهره - على معنى : نحن الانوقُن كما آمن السفهاء ، بل نوقُمن كما آمن الناس كما أمر تمونا أنتم ، فلانتهمونا بفساد الإيمان ، ولكنهم يقصدون في أنفسهم أن المسلمين مفهاء ، وأنهم لذلك لايونُمنون كما آمنوا . (أَلَا إِنْهُمْ هُمُ السُّمَهَا وَتَلَكِن لَا يَشَكُونَ) :

ردالله عليهم السقه الذي اتبدوا به المسلمين أبلغ رد، وأكد اتصافهم به، وأنه مقصور عليهم، فصدر بلفظ (ألا) التي هي للتنبيه ، وأكده بلفظ (إنَّ)، وبالجملة الاسمية ، وبضمير الفصل ، أي إنهم هم السفهاء، لاغيرهم ممن أوادوا وصفهم بالسفه من المؤمنين . (وَلَكِنَ لَايَتَلُمُونَ) أنهم هم السفهاء وحدهم ، أما المؤمنون فهم العقلاء العلماء .

(وَإِذَا لَقُواْ اللَّهِ بِنَ اَمَنُواْ قَالُواْ اَمَنَا وَإِذَا خَلُواْ إِلَىٰ شَيَطِينِهِمْ فَالُوَا اِمَنَا وَإِذَا خَلُواْ إِلَىٰ شَيَطِينِهِمْ فَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَعْمُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَعْمُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ طُغَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿).

الفبردات :

(وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) : أَى انفردوا بمن بفي منهم على الكفر ، أو بروِّساء المنافقين والقاللون : صفارهم.

(إِنَّا مَعَكُمْ) : أَى كافرون مثلكم بمحمد .

(إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِلُونَ) : أي مستخفون بالمؤمنين ، حيشما نظهر الإيمان لهم .

(اللهُ يَسْتَهْزِيُّ بِهِمْ) : أَى يجازيهم على استهزائهم .

(وَيَمُدُّهُمْ فِي طُنْيَاتِهِمْ) : أي يهلهم في ضلالهم .

(يَعْمَهُونَ) : يتحيرونَ .

التفسير

١٤ - (وَإِذَا لَقُوا اللَّهِينَ آمَنُوا قَالُوٓ آ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِنَّ شَيَاطِينِهِمْ . قَالُوٓ ا إِنّا مَمْكُمْ إِلَيْكَ مُسْتَظْرِتُونَ) :

ق هذه الآية تصوير لأحوال المنافقين في معاملتهم المؤمنين والكفار ، فإذا لقوا المؤمنين قالما المؤمنين قالوا آمنا ، لينظهروا موافقتهم لهم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم اللين يلقنونهم الباطل – وهم من بقى منهم على الكفر ، أو كبار المنافقين ، والقائلون صفارهم – قالوا مطمئنين لهم : إنا معكم في الكفر باطنا ، وتعللوا لإظهار الإعان للمؤمنين بقولهم : (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرِتُونَ.) أي مستخفون بهم ، إذ نعمل على خلاف مانقول لهم .

وقد صور الله نفاقهم فى الآية أباء تصوير ، فعبّر عن ملاقاتهم للمؤمنين بكلمة (لَقُوا) لأن لقاعم للمؤمنين كأنه مصادفة لايحرصون عليه . وعبّر عن ملاقاتهم السياطينهم بكلمة (خَلُوًا) لأن الخلوة تطلب قصدا للإدلاء بالأسرار ، وذكر أنهم كانوا عند لقاء المؤمنين يقولون (آمنًا) فعبروا بالقمل الماضى ليظهروا للمؤمنين أنهم معهم من زمان مضى ، وعند لقائهم لشياطينهم يقولون: (إنَّا مَتَكُمْ) بالجملة الاسمية المقيدة للدوام ، ويؤكلونها ، بيؤكلونها .

١٥ - (اللهُ يَسْنَهْزِي بِهِمْ وَيَمُلُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) :

ومنى (الله يُسَنَّوْزِيُّ بِهِمْ) : ينتقم منهم ويجازيهم على استهزاتهم ، لاستحالة المنى الحقيقى على الله تعالى . سميت عقوبتهم باسم اللنب الذي صدر عنهم ؛ للمشاكلة اللفظية ، ومي ذكر الشيء بالفظ غيره لوقوعه في صحبته . ومما جاء على هذا النمط قوله تعالى : « وجَزَلُهُ سَيَّقَةُ مَسْلَةً مُنْظَهَل . . .) (1)

⁽١) الشوري - من الآية : ٤٠

فالجزاء ليس.مبيئة ، وإنما عبر مها عنه للمشاكلة اللفظية ، والمعنى مختلف .

وقوله تعالى : (وَيَمَدُّهُمْ فِي طُنْيَاتِهِمْ يَعْمَهُونَ) الله يأتى بمنى الزيادة ، ومنه قوله تعالى : ه... وَالْبَحْرُ بَمَدُّهُ مِنْ بَعْدِو سَبِعَةً أَبْحُرِ... ، " أو الإمهال والإملاء . والطغيان هنا ، مجاوزة الحد في الفيلال ، والممنه : عمى القلب . ومن لوازمه : الحيرة والتردد . والمحنى : ويزيدهم الله في ضلالهم الشديد ، أو بمهلهم فيه : يتحيرون ويتخيطون ، لايدون أين يتوجهون بسبب طغياتهم المستمر .

والمراد أنهم - بسبب كفرهم وعنادهم - سد الله عليهم طرق التوفيق ، فازدادوا رئينًا
 على قلوبهم ، وطغيانا في تصرفاتهم .

ر أُوْلَدَيْكَ اللَّهِ مِنَ اشْتَرَوُا الضَّلَلَةَ بِاللَّهُ مِنْ فَمَا رَجِعَت لِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ إِنْ إِنْ أَشْتَرُوا الضَّلَلَةَ بِاللَّهُ مِنْ فَمَا رَجِعَت لِجَارَتُهُمْ

الفير دات

(اشْدَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) : المرادبه ، استحبوا الكفر على الإيمان .

(فَمَا رَبِحَت تَّجَارَتُهُمْ) : فما نالوا خيرًا من الكفر الذي جعلوه بدلا من الإعان ، فكانوا أشبه بالتجار الذين جهلوا أساليب التجارة ، فجروا على أنفسهم الخسارة .

(وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) : إلى مايوصلهم إلى الربح ، لجهلهم .

التفسير

١٦ .. (أُولَٰتِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى . . .) الآية .

اسم الإشارة يعود على المنافقين ، مع ملاحظة صفائهم المتقدمة .

والأُصل في الاشتراء : أن يكون في المبادلات الحسية ، كاشتراء السلعة بشمنها ، ثم استعملته العرب في المعافى ، كا شتراء الفعالة بيالهدى .

⁽١) أقيان _ من الآية ; ٢٧

والمراد : أنهم استحبوا الكفر على الإعان ، فليس الاستبدال حقيقة حتى يكون معاوضة ، الأبهم لم يسبق لهم الإعان حتى يبذاره في مقابلة الكفر .

والتعبير يلفظ (اشْتَرُوا) يؤُذن بأُم قادرون على الإعان بالفطرة ، لو نظروا واعتبروا .

والباء فى قوله : (بالهُدَى) داخلة على المشروك . لأَمّم أخفوا الضلالة وتركوا الهدى الذى كانفيهم بالفطرة ، وتحكنوا منه بالأدلة الواضحة . (فَمَا رَبِحَت تُجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْلَدِينَ) لترشيح وتقوية للمحنى المجازى ؛ فإنه لما استعمل لفظ - اشترى مجازا عن استبدان ، أتبحه ما يشاكله تقوية له ، وتمنيلا لما فانهم من فوائد الهدى ، بصورة حسران التجازة ، اللدى يتحاشاه من كل أحد ، الإشباع فى التخسير والتحسير أى : فلم يربحوا ، ولكن خصروا ، وما كانوا مهتلين إلى الربح لجهلهم بعلوق التجازة الرابحة ، وعدم اهتدائهم إلى أساليبها وأسبابا . وكذلك هؤلاء المنافقون : كان رأس مالهم الهدى ، فاستبداوا به الفلالة ، فخسروا بذلك وأس المال ، وهو الهدى ، وربحه وهو النجاة والقوز ، (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) إلى طرق التجازة الرابحة فى الدين .

(مَتَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ
ذَهَبَ اللهِ يُزْورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَتِ لَّا يُبْهِمُرُونَ ﴿ مُمْ الْمُكْمُ
عُمِّى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿).

التفسير

١٧ - (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ اللَّذِي السَّتُوفَة نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلُهُ فَقَفِ اللهُ بِنُورِهِمْ
 وَتَرَّكُمُ مَ فَالْلُمَاتِ لا يُبْضِرُونَ) :

بعد أن بين الله في الآيات السابقة صفات المنافقين، عقبها بتمثيلهم فيها ، زيادة فيتوضيحها وتقريرها ففى التعشيل إبراز المعنى العفنى في صورة الظاهر . وهو نوع من أساليب البلاغة تصور فيه المقرلات والمحسات ، والمُمثَلُّ في أصل اللغة بمعنى الشبيه والنظير ، كالميثل والمثييل ، وقديستمار للحال التي فيها غرابة كما في هذه الآية ⁽¹⁷⁾ .

والمرادمن قوله: (اللَّذِي اسْتَوْقَلَا فَارًا) مَنْ صلى في تعصيل وَقُلِعا - أَى لهبها وضوتها لتضيء له في الليلة الظَّلمة.

والأصل فى كلمة (الذّي) أن تستمعل فى الفرد ، وقد تستمعل فى الجمع كما هنا ، فهى يمنى جباحة المستوقدين ، ولذا قال سيحانه : (ذَهَبَ اللهُ يِنْدِرِهِمْ) بضمير الجمع ، ومن أمثلته قوله تعالى : (... وَخَصْنَدُمْ كَالَّذِي خَاصُوا ...) (أَن كجماحة الخالضين . ويجوز أَن يراص لفنظه المدرد ، فيماد الضمير طليه مفردا كما فى قوله تعالى ١ أشتوقد ، و وحَوْلُهُ ، كما يجوز أن يرامى معناه ، فيماد الفمبير عليه جمعا ، كما فى قوله تعالى : و ذَهَبَ اللهُ بِنُودِهِمْ وَمَرْكَهُمْ فِي ظُلُمُتُمَّ لَوْلَهُمُورُدَنَ ، .

وخلاصة المنى: أن الله شبه حال هؤلاء النافقين ... وقد آتاهم ضربا من الهلدى باستعداد الفطرة ، ونطقوا بالشهادتين بالسنتهم ، ثم أضاعوا ذلك ولم يتوصلوا به إلى نعيم الأخرة وصعادة الأبد فبقوا في حيرة واضطراب لإعراضهم عن الحق واستبطائهم للكفر : ... شبه حالهم هذا ... بمن أوقد تارا لينتفع بنورها في الظلمة ليلا ، فلما أضاءت ما حوله من الأمكنة ، سرعان ما انطفأت ، وذهب الله بنورهم ، فبقوا في مكانهم حائرين : لايرون شيئا فيما حولهم ؛

والتعبير بلفظ (أَضَاتَتُ) أَبِلغ من التعبير بأنارت ، الأَن الضوء مصدر النور ، كما يعلم من الوله تعلى . . . ، و الله عن التعلى القسر القسر مسلماً عن القسر القسر مسلماً عن القسر مستمد من ضياء الشمس .

وقوله : (ذَهَبَ اللهُ يِنُورِهم) ، معناه :لم يُبتَى منه شيئا. وإنما لم يقل : بضوئهم كما يقتضبه الظاهر من كلمة (أَضَائِعتْ) لئلا يتوهم أن الذي ذهب هو زيادة الفوء ، م بقاءاً صل النور

⁽ ۱) وقد براد مه الغول السائر المشل مضربه بمورده في الدراية ، كا في غولهم : اللَّسَيْفَ فَسَّبَت اللَّبنَّة، ومافئ الآية ليس مه الأجباع المشيه والمشه به ، والمثل السائر ليس كلك.

⁽٢) التعرية من الآية : ٩٩ (٣) يونسن بن الآية : ه

ولذا قال عقبه: (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَايَبْصِرُونَ) ؛ أَىتركهم في ظلمات لايرى فيها شيء . وإسناد إذهاب النور إلى الله ؛ للإيذان بأنه إنما ذهب يامُر سماوى . كالمطر والهواء أوالمبالغة في إذهابه .

١٨ _ (صُمَّ بُكُمُ مُمَّى فَهُمْ لاَ يَرْجِبُونَ) :

ليس المراد: الإنجار بأتهم أصيبوا بحقيقة الصّمم والمحى والمعى ، فقد كان لهم آذان تسمع ، وألسنة تنطق ، وأيصار تنظر . ولكنهم لا حجبوا أسماعهم عن معرفة الحقالتي كانوا عناية المسمول ، وليس المن كانوا عناية البكم اللين الإيسمون . ولمّا لم ينطقوا بالحق مخلصين ، كانوا عناية البكم اللين لايبمرون . ولاسبيل لايتكلمون . ولمّا الم يتعرفوا الحقالتي بيصائرهم ، كانوا كالمعي اللين لايبمرون . ولاسبيل لموديم إلى المحت لأجله . ولهذا قال ميحانه : (فَهُمْ لا يَرْجُونَ) أى لايمودون إلى الهدى ، فقد أضاعوه ، كما لايمود إلى مقصده من يقى في ظلام لايتدى فيه إلى سبيل يوصله إليه .

ومن هذا البيان اتضح أن فى الكلام تمثيل حالهم – فى تعطيلهم لفطرتهم المتمكنة من من الهدى ، وعدم انتفاعهم بالآيات والنذر ، وعدم قطمهم بالحق – بحال من فقد السمع والنطق والبصر ، لتمطل مصادر النفع وعدم الانتفاع فى كل منهما .

(أَوْ كَصَيْبِ مِّنَ ٱلسَّمَآهِ فِيهِ ظُلُمَتُ وَرَعَدُ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي عَادَانِهِم مِّنَ الصَّوَعِينِ حَدَرَ الْمَوْتُ وَاللهُ عُيطُ الْمَائِمُمُ مَّ كُلُمَا أَضَآء لَهُم بِالْكَنْفِرِينَ ﴿ يَكُادُ البَّرَقُ يَخْطَفُ أَبْصَرُهُمُ مَّ كُلُمَا أَضَآء لَهُم مَشُوا فِيهِ وَإِذَا أَظُلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلُوشَآءَ اللهُ لَذَهَبَ إِسَمِعِهِم وَأَبْصَرُوهُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِي مَنْ وَقَدِيرٌ ﴿) .

الفسردات :

(أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَّاءِ) : الصيب: (١) يطلق على المطر المنهم ، وعلى السحاب الكثيف، والسماء : كل ماعلاك والمرادمتها هنا : السحاب ، فهو من معانيها .

⁽١) يوزن نيمل ، مأعود من الصوب ، وهو التزول والا تصاب .

(فِيهِ ظُلُمَاتٌ): المرادبها الظلمات الناشئة منكثافة المطر وتتابعه وغمامه وظلمة الليل

(وَرَعَدُ): الرعد ؛ صوت مدوِّ ق الهواء ، سببه التقاء صحابة كهوباؤها موجبة ، بسحابة أخرى كهرباؤها سالبة ، فتتحد الكهرباء فيهما ، وعندها يسخن الهواء فيتمدد تمددا فجائيا ، ينشأ عنه ضغط قوى ، يخبه تخلخل سريع فيجلب إليه تيارات هوائية أخرى شحدث صوتا قويا هوالرحد، ويشم هلما في سرعة عجيبة .

(وَبَرْقُ) : البرق ، لمعان ضوئي شديد ، يظهر ويختفي سريعا . وسببه حدوث شرارة كهربائية ناشئة عن اتصال الكهرباء في سحابتين : إحداهما كهرباؤها سالبة ، والأُخرى كهرباؤها موجية .

والبرق والرهد متلازمان غالبا ، ولكننا نرى البرق ثم نسمع بعده الرعد ؛ لأن سرعة الفهوء تفوقسرهة الصوت أضمافا مضاعفة .

(السُّوَاهِقِ): جمع صاعقة ، وهي حرارة هائلة تصحب البرق والرعد أحيانا . وسببها اتصال كهربائي ناجم عن التفريخ الكهربائي الذي يحدث بين الأرض والسعب المكهربة ، فتحدث حرارة باللة سريعة : تصهر ما بينهما ، أو تحرقه أو تفتته ، تبعا لانتتلاف مادته .

وظواهر الرعد والبرق والصواعق ، تحدث عند تكاثف السحب ، واختيلاف درجات الحرارة بين طبقات الهواء .

(وَاللّٰهُ مُعِيطً بِالْكَافِرِينَ):أى لايفوتونه ولا ينجون من بطشه ، كما لاينجو الشخص مِّنَّ أحاط به .

(وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا):أَى وإذا أَظلم البرق عليهم ولم يضى، لهم ، وقفوا ولم يمشوا .

التقسير

 ١٩ - (أَوْ كَصَيْبُ مِّنَ السَّمَاهِ فِيهِ ظُلْمَاتُ وَرَعْدُ وَبَرْقُ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِينِ جَلْوَ المَوْتُ . . .) الآية .

في هذه الآية تمثيل آخر لحالة المنافقين؛ إذ مثلها بحال مطرغزير منهمر من السحاب ، اشتمل على ظلمات كثيرة ، كما اشتمل على رعدوبرق . وقد كرر التمثيل ، رعاية لتفتنهم في فنون النفاق ، وتنقلهم فيه من حال إلى حال ، وذلك ، وذلك علي بأن تعدد فيه الأمثال ، وقد جيء بحرف العطف (أو) بين التمثيلين ؛ الإفادة تساوى القصين في أن يكونا مثله لعالهم انفرادا أو اجتماعا ، فـ (أو) هنا ، مثلها في قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين . أي جالس أحدهما أو كليهما ، فهما سواء في الإفادة .

وكأن سائلا قال : كيف حالهم عند سماع الرعد ؟ . فأجيب (يَجْمَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آكَانِهِم مِّنَ الصَّرَاعِيَ حَلَى الْمَوْتِ) . والأَصابِع مجاز عن الأَنامل . فهو من باب التعبير عن الجزء باسم الكل ، مبالفة ، في إعراضهم عن قبول ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فهم يحذرونه كما يحدل الخائف من الصواعق ، فيسد أذنيه بأنامله حتى لايسمعها ؛ خشية أن يوت من شدة الصوت الذي يصحبها .

(وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ): إنـذار لهم يـذَّهم لن يفـلتـوا من عنابه ، أى لايـفوتـونـه ، كـما لايـفـوت الشخص من أحاط بـهـمنجـميح جهانه .

٢٠ - (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارُهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مُشَوًّا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
 قَامُوا . . .) الآية .

هذا كلام مستأنف لبيان حالهم عندما يرون البرق ، كأنصائلاقال : وما حالهم عند البرق فأجيب : (يُكَادُ الْبَرْقُ يَحْطَفُ أَيْصَارَكُمْ) : أى يذهبها (كُلُمَا أَضَاء لَهُم مُّشَوًا فِيهِ) أى مشوا في ضوئه . وهذا معنى قوله : أى مشوا في ضوئه . وهذا معنى قوله : (وَإِذَا أَظُلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا): أى وقفوا حائرين . (وَلَوْ شَاء لقة لَلْمَبَ بِمَسْمِهِمْ) عند قصف الرعد (وَأَيْ شَاء لقة لَلْمَبَ بِمُسْمِهِمْ) عند قصف الرق ، وإنما وحد السمع وجمع الأيصار ، لأن السمع في الأصل مصدر ، والمصادر الاتنى ولا تجمع ، كما قاله صاحب الإرشاد : (إِنَّ اللهَ عَلَى كُلُ مَن عَمْدِهُ وَلَمْ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَمْدُ مِنْ مَنْ فَيْكُونَ .

الغرض من الآيتين: (أو كَمَسِّبٍ) إلى (قَدِيرٌ) ، تمثيل حال المنافقين من الحيرة والتردد ، بين شَغِيَّ في الإسلام وإحجام صنه ، يحال من أمطرته السماء في ليلة مظلمة معرحد قاصف وبرق خاطف فتحير بين إقدام حين يلمع البرق ، وبين إحجام حين يسمع الرحد ويشتد عليه الظلام ، والمطر في كتا الحالتين فوق رأسه ينهمر ، فما أروع هذا التمثيل

ويمكن جعله من ياب التشبيه القرق فيشهه القرآن - اللى تعبدهم الله به وسائر ما آتاهم من المعارف التي هي معبب الحياة الأبلية - بالصيب أى المعلو الذى به حياة الأرض. ويشبه ما أحاط جم من الثودد والحيرة والشكوك بالتظلمات ، ويشبه وعد القرآن ووعيده بالرعد ، وماقيه من الآيات الباهرة يالبرق ، وتَصَلَّهم عما يسمعون من الوعيد بحال من بوله الرعد فيخاف صواحقه فيسد أذنيه عنها مع أنهم لا محلاص لهم منها ، وهو منى قوله تعالى : (والله مُحيط يلكنا فريد ينهى أو وفد تعلم إليه أبصارهم يلكنا فريد البرق حين يضى 4 ، وتحيرهم فى الأمر وتوقفهم فيه حين تعرض لهم عشهم فى مكان ضوء البرق حين يضى 4 ، وتحيرهم فى الأمر وتوقفهم فيه حين تعرض لهم شهمة أو مصيبة - يتوقفهم فيه حين تعرض لهم

ونيه سبحانه وتعلى يقوله : (وَكُوْ شَناءَ اللهُ لَلَمْبَ بِسَمْهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) على أنه تعالى جعل لهم السمع والأيصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والقلاح . ولكنهم صرفوها إلى الحظوظ ا الماجلة وأوصدوها عن الفوائد الآجلة ، ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي آثروها لأتفسهم ، وهي إضاحة فائدة السمع والبصر فإنه على ما يشاء قدير ، ولكنه لم يفعل ، لعلهم يحتبرون فيدركوا . (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالشَّمَا قَ بِنَا لَهُ وَأَنْنَ فِرْشًا وَالشَّمَا قَ بِنَا لَهُ وَأَنْنَ مِنَ الشَّمَا وَلَنَّمَ الْكُمُّ فَانَزَلَ مِنَ الشَّمَا وَلَنَّمَ تَعَلَمُونَ ﴿ وَأَنْنُ اللَّهُ اللَّذِي اللَّذِي اللَّهُ اللَّذِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُوالِمُ الللْمُواللَّذِي اللْمُولَى اللْمُولَى الللْمُواللَّذِي اللْمُوالِمُ الللِّلْمُ اللَّ

القبردات :

(لَمَلَّكُمْ تُتَّقُونَ) : لكي تُقُوا أَنفسكم وتحفظوها بعبادته من عقابه .

(جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا) : مبسوطة ممهدة كالفراش .

(وَالسَّمَآءَ مِنَاكَ): البناء هو المبنى؛ بيتا كان أو قبة أوخيا، ومنه قولهم: بنى الرجل على زوجته ، إذا ضرب فوقها قبة . والراد : أنه جعل السهاء فوقهم كالقبة .

(وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءَ مَآءَ) : أَى وأَنزل من السحاب ماء ، فكل ما علاك ؛ سياء .

(فَلَا تَجْعَلُوا فِيهِ أَندَادًا): أى فلا تجعلوا لله شركاء يشبهونه في الأُلوهية . والند : الشبيه والنظير .

(وَأَنْتُمْ تَطْمُونَ): أنهم لا يصلحون للأَلومية والمشابة لله فى الخالقية وسواها ، من الصفات اللائقة بالمعبود بحق و سُبْحَاتُهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُواً كَبِيرًا " " .

التفسير

٣١ - (يَسَأَيُّهَا النَّاسُ الْجُدُوا رَبُكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَاللَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ . . .) الآية . بعد أن ذكر الله طوائف المكلفين من المؤمنين والكافرين والمنافقين – مع بيان صفات كل طائفة .. أقبل عليهم جميما بالخطاب ؟ هزَّا لمشاعرهم وتنشيطًا لهم ، قائلا لهم :

⁽١) الإسراء: ١٣

(يَـٰكُهُمُّ النَّاسُ اشْبُدُوا رَبُّكُمُ) ، فكلمة (النَّاسُ) عامة ، تشمل أَمة الدعوة المكافمين : من آمن منهم ومن ثم يوثمن ، من الموجودين فى عهد النبى ... صلى الله عليه وسلم ... ومن سيوجد ; بعدهم إلى يوم القيامة ؛ لعموم الرسالة المحمدية .

وقد دخاوا فى الخطاب ــ وهم غير مخلوقين فى وقت الخطاب ــ تثليبا للموجودين على من سيوجدون ، ويكون الأَمر بقوله : (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) بالنسبة للمؤمنين ، بممنى داوِموا على عبادته ، وبالنسبة إلى غيرهم ، بمثى حسَّلوا السادة وأنشئوها .

والعبادة المطلوبة ؛ هى الطاعة المبنية على حبَّ المعبود ، لا يشاركه فيها غيره ؛ لأنه المستحق لها وحده ؛ لاتفراده بالخلق والربوبية وكامل الإنمام ، مع القدرة الشاملة وعظم أ السلطان .

وليست العبادة مقصورة على نحو الصلاة والصوم والزكاة ، ، بل تشمل كل صل يعمل لنفع الناس والحيوانات ، إذا أريد يه وجه الله .

فالعامل الذي يخلص في عمله الأبناء وطنه ويرجو بهرضا الله يكون عابدا وعملُه عيادة.

وإطعام الحيوانات والعناية بها امتثالا لأَمر ألله عيادة .

وقد افترن الأمر بالعبادة بذكر أوصاف المعبود ، التى من شأتها أن تحملهم على عبادته ، لتعدى اثرها لهم .

ş

فقوله : (رَبُّكُم) يفيد أنه تعالى مربيهم ومتعهدهم بالتكميل المستمر .

وقوله : (الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) تذكير لهم بأوَّل نِمَمه عليهم ، وهي الخلق من العدم ، لهم ولآبائهم من قبلهم ، ونعمة الآباء نعمة للأبناء ؛ إذ لولا خلق آبائهم لما وجدوا . (لَمَلَّكُمْ تُتَّقُونَ) : أَى لتتقوا العذاب ، الذي هو عاقبة المخالفين لأَمر الله تعالى .

٢٧ - (اللَّذِي جَمَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاةَ بِنَاتَة وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاة مَلَة فَأَخْرَجَ بِهِ
 ينَ الثّمَرَاتِ بِذَقًا لُكُمْ) الآية .

فى هذه الآية ، تعداد لنهم الخالق على الناس ، وتذكير بألفماله طبيهم ، حيث خلق لهم الأرض ، وصبيرها لهم مبسوطة كالفراش ، يحيث يقمدون عليها وينامون ، ويزرهون ويحصدون ، ويبنون عليها بيوتهم . وجعل (السَّمَة بِنَاة) أى تكوينا يشبه القبة فوقهم، وزينها بالكواكب والنجوم ليهندوا بها (وَأَنزَلَ بَنِ السَّمَة) أى من السحاب (مَهَ)، وهو المطر الذى تحيا به الأرض والزرع والحيوان (فَأَخْرَجَ بِدِ مِنَ الشَّمَاتِ رِدِّقًا لَكُمُّ) تكرما وتفضلا ، وخروج النار وأصولها بفدرة الله ومشيئته ، ولكنه ـ تعلل جعل الماة المدورة بالتراب سببا في إخراجها . كالتطفة للحيوان ، بأن أجرى عادته جيافضة صورها وكيفياتها ، على المادة المستخلصة منهما .

(فَلَا تَجْمَلُوا اللهِ أَنذَاذاً وَأَنتُمْ تَمَلَمُونَ) : الفاء للتعقيب على ما سبق ذكره من النم الجريلة . والأنداد : الشركاء ، جمم ند ممضى النظير .

المنى : يتفرع على هذه النم ويتسبب صنها ، ألا تشخلوا للمنهم بها شركاء تعبدونهم من دوته ، وأنثم تعلمون أنهم لا يصلحون للألوهية . فهم لا يخلفون شيئا ، ولا بملكون لأنفسهم ــ ولا لفيرهم ــ صرًّا ولا نفما ، فلا عدر لن عطل عقله ، فسوى هذه الأَصنام الماجرة بالإله القادر ، اللى خلقه وأنبم عليه ؛ دون حجة سوى تقليد الآباه (١).

والترتيب في هذه الآية عجيب ، فقد رتب الأمر بالنبادة ، على صفة الربوبية ؛ لأَبَّمَا السبب في وجوب النبادة ، ثم بين الربوبية بآثارها ، وهي أنه خلقهم وخلق من قبلهم ، وما يحتاجون إليه في معاشهم ، من الأرض المقلة والسمآة المثلة ، والشعرات التي منها المطاعم والملابس.

أَرَّبًا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبًّ أَهِن إِذَا تقسمت الأمور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الخبير

⁽١) وقد أحسن عمرو بن تفيل ، موحد الحاطين إذ قال :

(وَإِن كُنتُمُ فِي رَبْبٍ مِّمًا نَزَلْنَا عَلَى عَبِدِنَا فَأَتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مَّفْلِهِ عَلَى عَبِدِنَا فَأَتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مَّفْلِهِ عَ وَادَّمُواْ شُهَدَاءً مُّ مِّن دُونِ آهَ إِن كُنتُم صَلِدِ قِنَ ﴿ فَالَهُ عَلَوا اللّهَ عَلَوا اللّهَ عَلَمُوا اللّهَ عَلَوا اللّهَ عَلَى اللّهُ عَلَوا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَوا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَا اللّهُ عَلَى اللللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَا عَلَمُ عَلَى اللّهُ عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَ

للقبر دات:

(وَإِنْ كُنتُم فِي رَبِّبِ) : في شك .

(مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى مَثْلِيناً): أى من القرآن الذى أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم. (فَأَثُوا بِسُورَةٍ مِّن مُثْلِيمِ) : أى يسورة من مثل القرآن فى بلاغته وأغراضه ، أو بسورة من مثل عيدنا .

(والشُّوا شُهَدَاءَكُمْ) : مَنْ يشهد لكم على ماجئتم به ، إن كان يصلح أن يكون مثلا لسورة من القرآن ، أو لا يصلح .

(مِن دُونِ اللهِ) : أَى من غير الله .

(إِنْ كُنتُمْ صَائِقِينَ) : في دعواكم ، أن محمدا اخترعه ، ولم ينزله الله عليه .

(وَقُودُهُمَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) : أَى ما توقد به نار جهنم ؛ هو الناس الكافرون والحجارة التي جعلوها آلهة ، وغيرها .

التفسير

٧٣ – (وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مَّمَا نَزَلْنَا عَلَى عَبْدِناَ فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِّن مِّنْلِدِ ، وَادْهُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَافِقِينَ ﴾ .

لما أَمر الله ـ في الآيات السابقة ـ بعبادته وحده ، ونهى عن اتخاذ الأنداد ، أتبع ذلك ما يدل على أن القرآن الذي أنزله على محمد معجزة ، وأنه من عند الله ، إذ تحداهم أن يأترا بسورة مثله إن كانوا صادقين في أن محمدا افتراه من عنده ، فمجروا أمام هذا التحطى مع أنهم أشد عجزا ، وحيث كان محمد مع أنهم أشد عجزا ، وحيث كان محمد _ صلى الله عليه وسلم - مثلهم ، وكان أميًا ، فإنه يستحيل أن يكون القرآن _ الذي فاق قدرة البشر من تأليفه هو ، فوجب أن يكون من عند الله ، أنزله الله عليه تأليدا له ، كما أبد المرسلين قبله بالمجزات . واختص الني صلى الله عليه وسلم بمحجزة القرآن ، كا لأنه هو المناسب لإعجاز العرب البلغاء الفصحاء ، ولأنَّ العالم بَسَبَّ عن العلوق ، ولأن رسالته باقية إلى آخر الزمان ، وهذا يقتضى أن تكون شواهد معجزته باقية معها مقارفة لها في جميع باقية إلى آخر الزمان ، وهذا يقتضى أن تكون شواهد معجزته باقية معها مقارفة لها في جميع الأجهال ، فلما كانت معجزته القرآن الكريم ، الذي تقارئه شواهد إعجازه دائماً .

أما سائر المرسلين ، فإن رسالة كل منهم كانت موقوتة بين رسولين ، ومحصورة في محيط ضيق ، فلهذا كانت معجزة كل منهم ، مقصورة على زمان معين ومكان معين ، وبين عدد محدود من الشهور .

وإعجاز القرآن كما يتجل في بلافته وفصاحته ، يتجلى أَيضًا فيا تفسنه من التشريعات الفائقة ، والقصص الصادقة للأُمم السابقة ، والإِشارة إلى الكونيات التي كشف العلم بعضها ، ولا يزال جاهدا في كشف سواه ، ومما اشتمل طيه من قواعد الساوك والأعلاق .

وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم: وما من نبى من الأُمبياء إلا قد أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيته وحيا أُوحاه الله إلَّى ، فأَرجو أَنَّ أكون أكترهم تابما يوم القيامة ، رواه الشيخان عن أبي هريرة ، واللفظ لمسلم .

وله _ صلى الله عليه وسلم _ من المعجزات غير القرآن ، ما يفوق الحصر ، فلله الحمد والمند . وقد تحداهم الله شل هذا التحدى فى مواضع عديدة من القرآن ، مكيّّه ومكنيّه ، فمن مَدنيه هذه الآية، ومن مُكيِّة قوله تعالى فى سورة الإسراء: و قُل لَيْنِ اجْتَمَمْتُوا الْإِنْسُ وَالْجِينُ عَلَى آنَ يَشْهُمُ لِيَمْضِ ظَهِيرًا هُ " . وَالْجِنْ عَلَى آنَ يَشْهُمُ لِيَمْضِ ظَهِيرًا هُ " .

وسبب تحصيم بهذه الآية وأشالها : أنهم قالوا: و لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ مُلْفَا⁽⁷⁾ ولماً نزل القرآن منجما حسّب الحوادث ، لم يعجبهم هذا، وقالوا : و لَوْلَا نُوْلًا عَلَيْهِ القُرْآلُ جُمْلَةً وَاجِدَةً * ⁽⁷⁾ فجعلوا نزوله منجَّماً حسب الوقائع ، دليلا على أنه ليس من عند الله .

⁽١) الإسراء: ٨٨ (٢) الأتقال: ٢١ (٣) الفرقات: ٢٣

وقال بعضهم في أحاديثهم عنه : إنه أساطير الأُولين . وزعم آخرون : أنه سحر .

تحَبُّكُ منهم ناشئ عن إصرارهم على الكفر . فهم يلتمسون العلل الباطلة لبقائهم على دينهم ، ولحمل المؤمنين على ترك الإسلام . فلا جرم أن تنزل هذه الآية لتحسيم فيها زعموه ، حتى إذا ما عجزوا ، وجب اعترافهم بأن القرآن من عند الله ، وأن المنزل عليه هو نبي الله ورسوله . إذ المراد بعبدنا ، هو النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - مأتوذ من معنى التعبد ، وهو التدلل والخضوع لماليكه وخالقه .

وإضافة حبد إلى ضميره تعالى ، للتنويه بشأن هذا النبي . والتعبير بكلمة (نَزَّلنًا) الهفيدة للتكرار هون (أَنزَلْنا) منظور فيه لحالة نزول القرآن مفرقا حسب الوقائع . وكان ذلك موضح اعتراضهم كما تقدم . وجواب الشرط قوله : (فَأَثُّوا بِسُورَةٍ مِّن مُّلْلِهِ) .

والسورة:اسم لطائفة من آيات القرآن ، منُّعوذة من سور للدينة ؛ لأنها محيطة بطائفة من القرآن إحاطة سور المدينة بما فيها . والفسمير في (مِثْلِيهِ) عائد على القرآن .

كما فى قوله تمالى: وَهَلْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَالْ أَى فأتُوا بسورة ماثلة لسُور القرآن فى البلاغة وحسن النظم ، وتضمن مصالح الدنيا والآخرة . فإن رجعنا ضمير (مِثْلِهِ) على النب – صلى الله عليه النب – صلى الله عليه وسلم – فى اللغة ، وكونه أميًّا لم يخالط أهل الكتاب. وجعل الضمير راجعا إلى القرآن أولى ؛ لتطابق هذه الآية مثيلاً في القرآن ، كقوله تعالى : و قُل لَيْن الجَسْتَدَتِ الْإِنسُ وَالْجِنْ عَلَى الْذَرَان وَ كُونَه لَيْن الْجَسْدَدُ لَا لَيْن الْجَسْدَدُ وَ لَا لَن الكلام فى المنزل ، لا فيمن نزل عليه .

ومعنى قوله تعالى : (وَادَّعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) : أَى ؛ ادعوا أنصاركم اللين يشهدون أموركم ، ويقدوون الأمر فى شئونكم ؛ ليكون التحدى – فى النهاية – للجميع ؛ أو لكى يشهدوا بحال ما جتم به .

⁽۱) يونس : ۲۸

أَو المراد بالشهداء ، آلهتهم الذين يعبدونهم من دون الله ، فيكون الكلام للتبكيت لهم على انتخاذهم آلهة لا يفقهون شيئا .

(إِن كُنتُمُ صَاوِقِينَ) في دعواكم إن القرآن ليس من عند الله ، بل من صنع البشر كما زعمتم . وجواب (إن كُنتُم) مدلول عليه بقوله:(فَأَثُوا بِسُورَةٍ) .

ومنى آية التحدى هذه إجمالا : إن كنتم ــ أيها الكفرة ــ صادقين فى دعواكم : أنه من كلام البشر ــ وأنتم من البشر ــ فأتوا بسورة مثل هذا القرآن : فى بلاغته وفصاحته ، ومعناه وأحكامه ، وقد أنزل القرآن عربيا ، فهو من لتتكم ، لا من لفة تجهلونها . والعربية مجال تنافسكم وتسابقكم فى المحافل العربية .

ولو كان مُقدورا لهم لفعلوا ، ولأذاعوا به ، وأشاعوه ، ولم يشبت شيء من ذلك عنهم . وبللك ثبت عجزهم الطلق . وإذا عجزوا ... وهم الفصحاء البلغاء ... كان غيرهم أحجز كما تقدم .

٢٤ ــ (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا . . .) الآية .

إن الشرطية هنا ، مستعملة لليقين ، وإن كان غالب استعمالها للشك ، و (لَنْ) في (وَلَنْ تَفْعَلُوا)من الآية إنما هو لتني الفعل المستمر في المستقبل ، إلى الأبد . وذلك من معجزأت الفهرآن ، إذ لم يقع منهم أنهم أثوًا بعمورة مثله .

(فَأَتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ :

أى فارجعوا إلى الصواب، وانقوا عذاب النار التي أعدت وهيئت للكافرين ، بتصديقكم أنه من عند الله .

ووصف النار بأن وقودها ناس وحجارة ، مثل قوله:﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تُشَبِّدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّہُ ﴾''

⁽١) الأنبياء: ٨٨

فالناس الذين هم وقودها ، هم الكفار ، والعجارة حجارة الأَصنام التي كانوا يعبدونها : تجعل وقودا للنار معهم ، إهانةً لهم ولِماً كانوا يعبلون .

والآية نبدى مِنَ التحلير ، ما لا يستطيع عاقل تجاهله . وفيها دليل على أن النار مخلوقة موجودة ، من قبل نزولها .

(وَيَشِرِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَدِتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتِ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَثُرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمْرَة رِزْقَا قَالُواْ
هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَالْدِمِهُ مُنَشَّلِهِا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَلِلُدُونَ ﴿) .

الفيردات :

(وَيَشُرِ الَّذِينَ عَاشُوا):التبشير _ يطلق غالبا ، على الإخبار بالخبر السار . وقد يُطلق مجازًا بما يحزن كقوله : ﴿ فَيَشَرَّهُمْ مِمَذَابٍ لَلِيمٍ * " ، والمراد هنا الأول .

(كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن تَسَمَّ رُزَقًا قَالُوا مُلْمَا الَّذِي رُزِقَنَا مِن قَبْلُ) : أَى كلما وزق أهل الجنة شيئا من تمارها ، يقولون : هذا هو الذى وُعِلنا من قبل فى الدنيا أن نرزقه فى الآخرة ، أو هلا الذى رزقناه فى الدنيا ؛ لكونه مشاجٍ له ، حتى إذا تذوقوه أدركوا الفرق بين ثمار الداركين .

(وَأَثُوا بِهِ مُتَطَابِهَا):أَى مُنحوا ثمر الجنة ؛ يشبه بعضه بعضا فى الشكل ، مع اختلاف الطعم ، أو متشام مع ثمار الدنيا شكلا ليأنسوا به ، لكنه يفوقه طعما ومذاقا .

(وَلَهُمْ فِيهَا أَزُّواجٌ مُطَهَّرُةٌ) : أى زوجات مبرأة من الدنس والعيب .

⁽١) الانشقاق: ٢٤

التفسير

٥٠ - (وَبَشْرِ اللَّذِينَ آشُنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَخْرِى مِن تَخْيِهَا الْأَنْهَارُ
 ١٠ الآنة .

هذه الآية بشارة وعِندٌ للمؤمنين ، مقابلة لما ذكر فى الآية السابقة ، من تحطير ووعبد للكافرين . وهكذا ، يصوف الله الآيات وينوعها بين الترهيب والترفيب .

ومعنى التبشير الفهوم من قوله : (وَيَشَّرِ) : الإخبار بما يسر ، وأطلق عليه ذلك ، لظهور أثره على البشرة . وقد سيقت البشرى فى هذه الآية لمن آمن وعمل صالحا من الناس ، أى لمن جمعوا بين عمل القلب ، وهو الإيمان والتوحيد الخالص ، وعمل الجوارح ، وهو الاستقامة والاستدامة للعمل الصالح .

ويستدل جا على أن مفهوم الإعان لا يدخل فيه العمل الصالح ، ولكنه لا بد منه لحسن الجزاء ، فإن الإعان وهو التصديق كالأساس ، والعمل الصالح كالبنيان فوقه . ولا يكنى أساس من غير بنيان ، كما لا يعيش بنيان بغير أساس ؛ لأنه معرض للابيار .

وجمع (الصَّالِحَاتِ) للإِشارة إلى الإِتبان بِما بِأَتراعها ، دون اكتفاء ببعضها ، فأركان الإِشلام وما يتصل با ، مناسكة كما يفهم من حليث د بُنِني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان (") مجمع عليه .

(أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتِ) :

أَى وبشرهم بأَن لهم جنات إلى آخر الآية ، والجنات : اليساتين التي تنداخل وتنشابك فروعها ، فهي تُجنُّ أَى تستر من دخل تحتها .

وقوله : (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أَي من تمحت أشجارها .

﴿ كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رَّزْقًا قَالُوا كَالْمَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَثُوا بِهِ مُتَشَابِهَا ﴾•

فى هذه الجملة وصف للجنّات بأن أشجارها تعجل ثمارا متشابه يستمتع بطعامها أهل الجنة ، كلما قطف أحدم ثمرة منها وجد مكانها من الفصن ثمرة مثلها ، فيعجبون من ذلك

⁽۱) صميح البخاری وغيره

ويقولون : (لَمُلَمَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) ، وقد بيَّنت السُّنَّة ذلك . فمن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى (١١٠ ء .

وقد يقال فى معناها : إن ثمر الجنة متشابه فى الصورة والشكل - مع ما كان فى الدنيا ، فإذا رأوه قالوا : هذا الذى رزقناه من قبل فى الدنيا ، فإذا ما طعموه ، أحسوا فرقا شاسعا - فى اللذة والطعم - بينه وبين ثمر الدنيا ، وإنما جمل ثمر الجنة مشاما - فى العمورة - ليار الدنيا ؛ لتميل النفس إليه حين تراه ، فإن الطباع تميل إلى ما تألف ؛ ليتبين لها - بعد تلوقه - مزيته على ثمار الدنيا : فى الطعم واللذة ؛ فيقدروا فضل الله جليهم ، وقيل فى معناه غير ذلك .

﴿ وَلَهُمْ ثِيمِا ۚ أَزْوَاءُ مُّمَّهُمُ ۚ وَ ﴿ وَلَأَهُلُ الجنة زوجات مطهرة نما يستقلو من نساه الدنيا ، كالحيض ودنس الطبع ، وموه الخلق والأتقلار .

والتطهير يستعمل في الأجسام والأنعلاق والأفعال .

والتحبير بقوله: (مُطَهَّرَةُ) يشعر بأن مُطَهِّرا طَهَّرهن. وهو لا يكون إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ إذ خلفهن على هذا النمط من الطهر .

والزوج فى الأَصل : اسم لما له قرين من جنسه يزاوجه ويثنانيه . ويطلق أَيضًا ، على الذكر والأَنثى . والقرينة هي التي تعين المراد .

(وَهُمْ فِيهَا خَالِلُونَ) : الخلود فى الأَصل ؛ البقاء المديد ، دام أَو لم يدم ، فإذا أُويد الثوام تيد بالتأبيد نحو قوله تمانى : • خَالِينِنَ فِيهَا أَبَدًا ⁽⁾⁾ . .

والمرادُ بالخلد هنا : الدوام قطعاً، حملاً للمطلق هنا على المُقيد بالتأبيد ، في آيات أخرى .

فَإِنْ قَبْل : إِنْ الأَبْدَان مركبة من أَجزاء متضادة في الكيفية ، معرضة إلى الاستحالات المؤدية إلى الانحلال والتفكك . فكيف يمكن الدوام في الجنة ؟

 ⁽١) العبراف ، والبترار ، إلا أنه قال : أميد ق مكاتها علاها ، ورجال الطبراف وأحد استادى البيرار
 ثقات : مجمع الزوائه جـ١٥ ص ٤١٤

والجواب : أن ذلك فى عالم الدنيا المعرض للفساد ، أما الآخرة فالأمر ـ فى تكوين الأجسام فيها - مختلف عنه فى الدنيا ، فالأجزاء فيها متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض ، ولا يعتربا التغير والتحلل .

(إِنَّ الله لَا يَسْتَحْيَ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعَلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقَّ مِن رَبِّهِم ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللهُ بِهَنذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ عَضِيرًا وَيَهْدِى بِهِ عَكِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ ۚ إِلَّا الْفَنِيقِينَ ﴿) .

الفسردات :

(لا يَسْتَحْمِينَ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مًا):أَى لا يترك ضرب مثل . وضرب المثل : استعماله فيما ضرب له ، أَى : فيا ذكر له .

(يَتُوضَةً):البعوضة واحدة البعوض ، وهو ضرب من اللباب معروف ، وهو من اللبوب معروف ، وهو من البعوض . البعض ، أى القطع . يقال : بعضه البعوض ، عضه وآذاه . ولا يقال في غير البعوض . ذكره صاحب اللسان . (فَمَا قُوقَهَا):أى فالذى فوقها . والمراد بالفرقية : الزيادة فى العجم ، كالنباب والعنكبوت ، أو الزيادة فى المنى الذى أريد بالتمثيل ، أغنى : العقارة والهوان .

(بِهَلْمَا مَثَلًا):أرادوا بكلمة (مَلْمَا):تحقير ما يشيرون بها إليه ، وهو البعوض واللباب ونحوهما ، مما يضرب مثلا . (إلاَّ الْقَابِقِينَ):أى الخارجين عن طاعة الله . والفسق لفة : الخروج ، ومنه : فسقت الرطبة عن قشرها ، أى خرجت عنه .

التفسير

٣٦ ــ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِّتَ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مًّا . . .) الآية .

روى عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما (أَنَّ اللهُ تعالى لما ضرب هلدين المتلين ــ يعنى: قوله : و مَنْلُهُمْ كَمَثُلُو الَّذِي المُسَوَّقَدُ نَارًا ، وقوله : و أَوْ كَمَسِّبٍ مِنْ السَّهَاء ، الآيات الثلاث. قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب علم الأمثال ، فأنزلَ الله تعالى هذه الآية إلى قوله : (مُمُ الدُّعَاسِرُونَ) (17 .

وعن قتادة لما ذكر الله المنكبوت واللباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت واللباب يذكران ؛ فأقزل الله ، إنَّ اللهُ لاَ يُسْتَحْنِينَ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَسُوصَةً فَمَا وَفَهَا ،

وإذا تبَّلنا سبب النزول الأول ، عرفنا الرباط القوى بين الكلام السابق في الآيات المناضية ، عن تردد المنافقين وحيرتهم وكفرهم القلبي ، وبين هذه الآية والتي تليها ، أمَّا ما توسط بين قصة المنافقين الماشية وبين هاتين الآيتين : وإنَّ الله كَا يَسْتَحْيِى ... وإلخ ... فهو مرتبط بقصتهم ، فقد اشتمل على دحوتهم ومن على شاكلتهم من الكافرين وإلى الإيمان الصادق برجم ، وبيان مقتضيات وبوبيته ، كما اشتمل على بيان إعجاز الفرآن الذي يدحوهم إلى ذلك ، الأمر الذي يشهد بكونه من عند الله ، ، ويستدعى إعانهم به ، كما تضمن الأثر المترتب على الكفر من الخلود في النار ، والأثر المترتب على الإيمان من الخلود في النار ، والأثر المترتب على الإيمان من الخلود

وحقيقة الاستحياء مستحيلة على الله تعالى لأنّه : انقباض النفس عن القبيح ، مخافة اللم ومعناه : وسط بين الجرأة على فعل القبيح من غير مبالاة ، وبين الخجل وهو : إيماد النفس عن الفعل مطلقا ، وهذا من صفة المحوادث .

وكل ما ورد من هذا القبيل في الكتاب والسنة ، إنما يراد منه لازمه اللائق بالله تمالى : وهو النوك والامتناع .

ومنى الآية : أن الله لا يمتنع من أن يضرب الأشال ، كيفما كانت ؛ (بَسُوصَةُ فَمَا فَوْتَهَا) أَى فوقها فى الحجيم كاللباب والعنكبوت وغيرهما ، أو فى المنى ، وإن دق المشلّ به وصغر من البعوض فإن فى ضرب المثل إبرازا للمشول فى صورة المشاهد المحس ؛ ليساعد على الفهم .

وقد شاعت الأمثال فى الكتب الإلهية ، وعبارات الحكماء والبلغاء لذلك ، فيمثل الحقير بالحقير ، كما يمثل العظيم بالعظيم . ولا يقدح هذا التمثيل فى عظمة من قاله . والقرآن الكريم لم ينفرد بذكر أمثال هذه الحشرات . فقد ورد ذكرها فى المهد القديم

⁽١) الواحلى في أسياب النؤول : ١٤، ١٥،

أكثر من مرة . ومن ذلك ما جاء ف سفر يشوع إصحاح ٢٤ الفقرة ١٧ ــ و وأرسلت قدامكم الزنابيروطردتهم من أمامكم ٤ ــ وتكررذلك فى سفر الخروج ٢٣ ــ ١٨ وسفر التثنية ٧ ــ ٣٠. ومن كلام العرب : د أَسْمَعُ من قُرادٍ ، وأطيّشُ من فَراشَةٍ ٤ . ولا شك أن قدرة الله تتجلى فى اللوة كما تتجلى فى المجرة .

وقد روعى فى التعبير بكلمة : يعوضة ، المبالغة فى الردعلى ما نطقوا به فى معارضتهم ؟ إذ المذكور فى تمثيل القرآن ، هو الذباب لا البعوض ، والبعوض أصغر من اللباب .

ثم بين الله حال المزمنين والكافرين ــ إزاء هذا التعشيل ــ فقال جل شأنه : (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَشَلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَسِّهِمْ وَأَمَّا النَّذِينَ كَفَرُوا فَيَكُولُونَ مَاذَاً أَرَادَ اللهُ بِهَلَمَا شَكَا ﴾ .

(الْحَقُّ) : الأَمر الثابت الذي لا يسوغ إِنْكَارُهُ ، أَى : فأَما المؤمنون ، فيملمون أَن المثل هو الأَمر الثابت (مِن رَبِّهِمْ) الذي يضرب الأَمثالَ ؛ ليمينهم على فهم المعانى الصحيحة. (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَكُولُونَ مَاذَاً أَرَادَ اللهُ بِهَلَدَ مَثَلًا ﴾ :

كان الظاهر أن يقال : وأما اللين كفروا فلا يعلمون أنه الحق من رجم ، ليطابق مقابله ، وهو قوله سابقا : (فَيَعْلَمُونَ) النخ ... ولكن عدل عنه إلى : (فَيَعُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ سِهَلَنا مُثَلًا). لحكاية ما قالوا ، وهو مستازم لجهلهم وعدم طمهم ، وذلك أبلغ ؛ لأن قولهم هذا ، كالبرهان على كمال جهلهم ؛ ففيه نني العلم مع إثبات دليله .

والإشارة فى قولهم ؛ (مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَادًا مَثَلًا) لتحقير المشار إليه الذى ضربه الله مثلاً ، وليس غرضهم بما قالوا الاستفهام عن العكمة فى ضرب الله الأمثال ، بنحو المنكبوت واللباب والبعوض ، بل غرضهم الإيلنان بأنها ـ من البناءة والحقارة ـ بحيث لايليق أن يريد الله شيئا من التمثيل بها كَبُرُتُ كَلِيمةً شيئا من التمثيل بها عن الله تعالى كَبُرُتُ كَلِيمةً تَحَلَّمُ جُنِنًا أَوْلَا اللهِ تَعْدُونَ إِلَّا كَلِيلًا * اللهُ عَلَيا * اللهُ اللهُ كَلِيا * اللهُ عَلَيا * اللهُ عَلَيْ * اللهُ اللهُ عَلَيْ * اللهُ عَلَيْ * اللهُ اللهُ عَلَيْ * اللهُ عَلَيْ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ا

لهذا رد عليهم بقوله :(يُمْمِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْلِين بِهِ كَثِيرًا) أَى يضل جِنَا المثل كثيرًا من الناس مثلهم ، نمن ساء اختيارهم وأظلمت قلوبهم ، وجدى به كثيرًا منهم ، نمن حسن اختيارهم واستنارت قلوبهم .

قلا مانع من أن يضربه مثلا ويريد ما يترتب على ضريه من الآثار ، وهو التفكر والاهتداء، لقوله تعالى : ه وَيَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِيهَا لِلنَّاسِ لَمَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ، ^(۲)

⁽١) الكهف من الآية: ١ (٢) المشر من الآية: ٢١

والإضلال : خلق الضلال فى العبد لسوه اختياره . والهداية : خلق الاهتداء فيه لحسن اختياره . والتعبير بصيغتي المضارع (يُشِلُّ) (وَيُهْدِى) لإقادة النجدد المستمر .

وإنما قدم فعل الإضلال على فعل الهداية ؛ ليكون أول ما يقرع أساعهم من الجواب أمرا يسوهم ، ويفت في أعضادهم .

ووصف كل من الفريقين بأنه كثير ، لا يناق أن أهل الفعال أكثر عدها من أهل الهداية ، قال تعالى فى المؤمنين : ١ . . . وتُقلِيلٌ مَّاهُمْ . . . ، () وتَقلِيلٌ مَّنْ عِبَادِيَ الشُّكُونُ () اللَّهُ كُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَارِيقِينَ ﴾ من تمام الجواب على استفهامهم ، وهو يفيد إلصاق وصف الفسق بهم . والمراد به هنا : الخروج عن الدين .

(الَّذِينَ يَنفُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِينَنفِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمْرَ اللهُّ بِهِ قَانَ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ الْوَلْسَاكُ أُولَتَهِكَ هُمُ الْخَلِسِرُونَ ۞) .

القبردات :

(يَنتَفُمُونَ عَهْدَ اللهِ مِن يَعْدِ مِيثَاقِهِ) النقض : فلك التركيب ، ويكون في الحسيات ، كالحبل والبناء . ويستعمل في الماني مجازا ، ومنه : نقض المهد هنا .

⁽١) من من الآية: ٢٤ (٢) سيا من الآية: ١٧

⁽¹⁾ التعابن من الآية; 11

⁽٣) فصلت من الآية : ٣)

وعهد الله : ما أخذه على العباد من التوحيد والعمل بالشرائع . وميثاقه : توثيقهم العهد وإحكامهم إياه .

التفسير

٧٧ ــ (الَّذِينَ يَنتُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ . . .) الآية .

(الَّذِينَ يَنقُضُونَ):صفة للفاسقين. وقد وصل (الذين) بشلات صلات : (يَنقُضُونَ عَهْدَ الله) ، (وَيَتقَطَّمُونَ مَا ٓأَمَرَ اللهُّ بِهِ) ، (وَيُغَسِّدُونَ فِى الْأَرْضِ) وهي صفات فى المعنى للفاسقين ، فكانَّه قيل: وما يضل به إلا الفاسقين الناقضين لمهد الله ، القاطعين لما أمر الله به أن يوصل ، المفسلين فى الأرض . وقد جيء بها للذم ، وتقرير ما هم عليه من الفسق .

والنقض : حَلُّ الركب . وهو في الأَصل ، يستعمل في الحسيات ، كنقض الحبل مثلا ، وهو فك طياته فيضعف من بعد قوة .

واستعماله فى إبطال العهد ــ وهو أمر معنوى ــ تشبيها للعهدبالحبل فى الارتباط . كما فيه من ارتباط أحد كلاى المتعاهدين بالآخر . والميثاق : التوثيق والإحكام .

والمغنى الإِجمالى: وينقضون ما عاهدوا الله عليه ، من بعد ما وثقوه بالقبول والالتزام ، أو من بعد ما وثقه الله بإنزال الكتاب وإرسال الرسل .

وعهد الله المؤثن عام لكل عهد مشروع ، فيدخل تحته العهد المأخوذ بالعقل ؛ وهو المحجة القائمة لله على : اللحجة القائمة لله على عباده ، الله الله على وجوده ووحدته وصدق رسله . وبه أوَّل قوله تعالى : و وَإِذْ أَخَذَر رَبُّكُمْ مَا الْمُسْتُمُ مَا الْمُسْتُمُ مَا الْمُسْتُمُ مَا الْمُسْتُمُ مَا الْمُسْتُمِ الْمُسْتُمِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

ريشمل حهد الله أيضا ميثاقه على النبيين : أن يبلغوا أعهم وجوب الإعان بالرسول . ونصره إذا بعث مصدقا لما معهم . وهو المشار إليه بقوله : و وَإِذْ أَخَذَ اللهُ بِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا عَاتَيْتُكُم مَن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاتَة كُمُ وَسُولُ مُصَدِّقُ لِما مَمَكُمْ لَتَوْيُنَ بِوَلَتَنْصُرُنَّهُ... و "الأَكْ عَلَيْكُم أَن اللَّيْنِ مَا وَصَيْ بِدِ نُوحً ... وإلى توله : كما يشمل توصية للتبيين بقوله : و شَرَعَ لَكُم مِن اللَّيْنِ مَا وصَيْ بِدِ نُوحً ... وإلى توله : و... أنْ أُوسِيُوا اللَّينَ وَلا تَتَمَرَّوا فِيهِ ... والله "

⁽٢) آل عمران من الآية : ٨١

 ⁽١) الأعراف من الآية: ١٧٢
 (٣) الفورى من الآية: ١٣

وميثاقه على الذين أوتوا الكتاب بمثل ذلك بقوله : ٥ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ ... ه (١)

والعهد الذي يناُخلَم بعض الناس على بعض ، المشار إليه بقوله : 3 وَأَوْفُوا بِمَهْلِ اللهِ إِذَا عَامَلتُمْ ... ٤ " .

وسواء أكان ذلك بين الأفراد ، أم الجماعات من الأُمّة الواحدة ، أو بين الأُمم بعضها مع بمض . فلا يجوز نقض هذه العهود إلا فيا جاز شرعًا .

وقد أشار القرآن إلى هذا فى قوله لنبيه - صلى الله عليه وسلم --: « وَإِمَّا تَنْخَلُفُنَّ مِن فَوْمِمِ نِيمَانَةً فَانْهِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَرَاتَهَ ... ه ⁽¹⁷⁾ وسيناًى شرحها فى سورتها .

وقوله : (من بَعْدِ مِيثَاقِهِ) : أَى من بعد توثيقه وتمامه بين المتعاهدين .

(وَيَشْطُونَ مَا ٓ أَمْرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) ; هذه هي الصفة الثانية من صفات الفاسقين الخارجين على أمر الله تعالى ، أى ويقطعون ما أمر اللهُ بوصله من أمور الدين للختلفة .

ويدخل تدحت هذا الأمر: صلة الأرحام ، وصلة الأعمال بالأقوال ، وصلة الإيمان بجميع الأنبياء ، بحيث لا ينقطع هذا الإيمان بواحد منهم بالكفر به . وكذلك صلة الأخوة بين المؤمنين ، وصلات المؤمنين بالمجتمع الإنسانى ، ووَصَلُ أمور اللدين بعضها ببعض ، إذ التهاون فى بعضها ، يضعف من قوة الدين . فإن بناء الإسلام ، قائم على أركائه كلها ، كالبيت يقوم على أعملته ، وهدم ركن منها - أو جزء من تكوينه - يؤثر فى الهيئة المكلية ، كما يتأثر البيت بدم ركن من أركانه أو جزء من تكوينه .

وقوله تعالى: (وَيُغْسِئُونَ فِي الْأَرْضِ) هو الصفة الثالثة للفاسقين .

والإفساد فى الأرض ، ضد إصلاحها ، وقد صلحت بنشر دعوة الإسلام ، وضعّتُ ما كان فيها من فساد الجاهلية ، فيكون من الإنجان الأرض : صدَّ الناس عن الإنجان بالرسول - كما يفعله الكافرون - والعملُ على "بينج الحرب بين المؤمنين وغيرهم ، كما يفعله المنافقون .

⁽١) آل عراد من الآية : ١٨٧ (٣) النمل من الآية : ٩١

^{. (}٣) الأتقال من الآية: ٨٥

وقوله تعالى : (أُولِيْكِ مُمُ الْخَايِرُونَ) إشارة إلى الفاسقين المتصفين جله الصفات اللميمة ، أى : أُولئك المتصفون جله الصفات المنكرة ، هم الخاسرون اللين خسروا أنفسهم فى ميدان الصالحات ، إذ استبدلوا : النقض بالوفاه ، والقطع بالوصل ، والإفساد بالإصلاح والمقاب بالثواب ، والشقاوة بالسعادة ، كما خصروا منازلهم فى الجنات .

(كَيْفَ تَكَفُّدُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمَ أَمُواَتُنَا فَأَحْيَنَكُمْ أَمُ يُمِينَكُمْ أُمُّ يُمِينَكُمْ أُمُّ يُمِينَكُمْ أُمُّ يُمِينَكُمْ أُمُّ يُمِينَكُمْ أُمُّ يَالِيَهِ تُرْجَعُونَ ۞) .

التفسير

٢٨ - (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاناً فَأَخْيَاكُمْ . . .) الآية .

بعد أن عدَّد الله قبائح الكافرين ، توجه إليهم مخاطبا بالإنكار ، بأُسلوب يقتضى التعجب من كفرهم ، مع وجود النم التي تقتضى الشكر ، بدلا من الكفر !

والإنكار على المخاطب ، أبلغ من الإنكار على الغائب ، لِمَا فيه من إحضاره إلى ساحة التعنيف مشافهة .

والمدنى : على أَى أَساس قام كفر كم بالله تعالى ؟ والغرض من هلما الاستفهام ننى أَنْ يكون لهم مستند سليم ، يستند إليه كفرهم بالله تعالى ، فليس لهم حجة سوى قولهم : و... إِنَّا وَجُدْنَا آبَاتَنَا عَلَى أُمَّةً وَإِنَّا عَلَى آتَارُهِم مُّقَتَدُنَ هُ "ا

فإن آباعهم كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .

وقوله : (وَكُنتُتُمْ أَمُواتناً فَأَخْيَاكُمْ ...)إلغ ، تعداد للنحم الرادعة عن الكفر ، الباعثة على الإيمان ، لتشفيد الإنكار والتوبيخ على الكافرين .

ومعنى الآية : كيف تكفرون بالله ، واللحال أن له شئونا معكم . وشئونا فى الكون ، تقتضى اختصاصه بالألوهية دون سواه ، فقد كنتم أموانا أى مشبهين لهم ، إذ كنتم عناصر

⁽١) الزعرف : ٢٢

وأغلية ، فنطفا ومضفا ، فأحياكم ينفخ الأرواح فيكم ، ثم بعد إحياتكم ، هو الذي تميتكم عند انقضاه آجالكم ، ثم يحييكم مرة أخرى ـ عند النفخة الثانية ـ حياة البعث ، ثم إليه وحده تُرجُعُونَ للحساب والعبزاء ، ومن كان هذا شأَّه فلا يصح الكفر به أو إشراك غيره معه في العبادة ! .

وإنما اعتملف الماطف فى الآية - بالفاء وقم - لأن قوله : (فَلَّخِيَاكُمُ) مراد منه السياة الأُولى بنفخ الروح ، وهى حاصلة عقب كونهم أمواتا . فلذا عطف بالفاه التى هى للترتيب والتعقيب . أما العطف بثم التى هى للترتيب والتراشى فى قوله : (ثُمَّ يُميِينُكُمُ) فلأن المراد بالموت هنا : خورج أرواحهم بعد انقضاء آجالهم ، وهو متراخ فى الزمن عن بدء حياتهم .

وقوله آخر الآية : (ثُمَّ يُحْشِيكُمْ) المراد به : الإصباء للبعث؛ وهو متراخ فى الزمن كالملك ، لأنه بعد انقضاء فترة البوزخ فى القبور .

وقد يقال : الامتنان بهذه النم ظاهر فى الإسياء بعد العدم ، فما وجه المنة بقوله : (ثُمُّ يُويتُكُمُ) وهل فى الموت امتنان ؟

والجواب : أن الموت هو مبيل الحياة الأبنية بعد البعث . وما كان وسيلة للحياة الخالنة ، يصح عده بين النم . إن هم استجابوا إلى دعوة الحق .

وقد يقال أيضا : إن المخاطبين من الكفار ، وهم لا يعترفون بالبعث والرجوع إلى الله ، فكيف ينظم ما ينكرونه في ملك ما يعترفون يه ؟

والجواب : أن الله تعالى نزّل إنكارهم للبعث منزلة العدم ، لقيام الدليل العقلى والنقلى على إمكانه وحدوثه ، وأن المقصود الأسامى تذكيرهم به ليحدوه ، ولما عتم الآية يقوله : (نُمَّ إَلَيْهِ تُرْجُعُونَ) ، أى : إليه وحده – لا إلى غيره – مرجعكم بعد هذه الأطوار ؟ وسيحاسبكم حسابا حسيرا على كفركم به ، على الرغم من ظهور آياته البينات . (هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّافِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْـــُنَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَاۤ وَفَسَوْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَلُوَاتٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ ثَنَى وَعَلِيمٌ ۞).

الفيردات

(ثُمَّ امْشَوَىَ إِلَى السَّمَاءَ): تعلقت إرادته تعالى بتسوية السماء، والسماء: هي كل ما سما وعلا فوق سطح الأرض ، ويشمل أيضا الفلاف الهوائي المحيط بالأرض .

(فَسَوَّاهُنَّ) : أَى جعلهن سَوِيَّاتِ لانقص فيهن .

التفسير

٢٩ - (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَبِيمًا . . .) الآبة .

فى الآية السابقة بيان لنعمة الخلق والإحياء بعد الموت. وفى هذه الآية : بيان قدرته على ماهو أعظم ، وهو خلق الأرض والسعاء وما فيهما من النعم التي يحتاج إليها العباد بعد خلفهم ، لأن نعمة الخلق والإحياء ، لاتتم إلا بخلق مايتوقف عليه بقاؤهم وعيشهم فى الحياة الدنيا . ومن خلال هذه النعم، يكون النظر المفيد المؤدى إلى توحيد الله - مايخلاص العبادة له وحده . وقد جاءت هذه الآية مقررة لما أفادته الآية التي قبلها من الإنكار على الكافرين إذ كفروا بمن هده معمده .

وقوله : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مًّا فِي الْأَرْضِ جَمِيمًا) معناه هو الذي أبدع لأَجلكم جميع مافي الأَرض لتنتفعوا به في شئون معاشكم استرزاقا ، وفي شئون معادكم استدلالا ، فكل ماعلي سطح الأَرض من حيوانها وزرعها وأشجارها ومائها وهوائها ، ومافيها من أجزائها ومعادنها ومناصرها وقواها للمختلفة ، أبدعها الله كلها لمنفعتنا دينا ودنيا ، فتبارك الله أَحسن الخالقين . وحيث أبدعها لمنفحنا ، فعلينا أن نستعملها فيما يرضى الله تعالى ، ويحقق النفع لنا ، ويدفع الشرَّ عَنا في الدنها والآخرة . (ثُمَّ اسْتَوَى ٓ إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوااتٍ) :

المرادمن استوائه - تعالى - إلى السماء ، إقباله عليها بإرادته ليخلقها بغير صارف يصوف عن ذلك "، واستعماله في هذا المعنى معروف في لفة العرب ، ومنه قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل: يعنون بذلك أنه قصده قصدا مستويا بعن غير أن يصرفه عنه صارف آخر - وهذا التفسير هو الذي اختاره الفراء ، وهو الذي نختاره ، أما تفسيره بالصعود ونحوه ، فلا يليق وصف الله به لتنزهه عن صفات الحوادث . والمراد من السماء : الجنس الشامل للسموات السبع ، ولذا قال : (فَسَرَّاهُمْ " سَبِّمَ سَمُوات) بضمير جعم الإناث .

ومعنى تسويته _ تعالى للسموات السبع ، أنه خلقهن من أول الأَمْر سَوِيَّات ، أى مصونات من النقص والعبه . . . ومثل هذا قولهم : سبحان من كبَّر الفيل ، أى خلقه من أول الأَمر كبير ، وسيأتى الكلام على السعوات السبع .

وظاهر قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَيْعَ سَمُواتٍ) أَن خلقه - سبحانه -للسموات خالية من العبب ، متأخر عن خلقه مافي الأرض جميما لنا ، لأنَّه عطف عليه بلفظ (ثُمَّ) وهي للترثيب والتراضى .

ولكن هذا الظاهر مخالف لنص آخر يقتضى تقدم خلق السلوات على مَحْوِ الأَرْضَ ، فقد قال نعالى فى سورة النازعات : « أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَلَةَ بَنَاهَا (٢٧) رَقَعَ سَمْكُهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لِبَلْهَا وَأَشْرَجَ ضُحَاها (٢٩) وَالْأَرْضَ بِنْكَ ذُلِكَ دَخَاهَا (٣٠) أَشْرَجَ مِنْهَا مَاهَمًا وَمَرَّعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالُ أَرْصَاها (٣٧) مَنَاهًا لَكُمْ وَلِأَنْمَاكُمْ (٣٣) ، .

فهذا النص يدل على أن الله بنى السماء وأنشأها مرفوعة مُسُوَّاةً ، وجعل لبلها مظلما ، وأخرج فيها شمسها المفسيئة ، ويعد ذلك دحا الأرض ، ورتب فيها منافعها ، فأخرج منها ماهما ومرعاها ، وأرساها بالجبال حتى لا تميد بنا ، وجعل ذلك مناعا لنا ولأتعامنا .

وهذا الذي قرَّرته سورة النازعات ، هو الذي يقول به أصحاب النظريات العلمية الحديثة .

⁽١) هذا الحتى يخذ و ماذكره صاحب القدوس لكلمة استوى في بعض معانيا: إذ قال أو استوى إلى السهاء : بعثه أو عمد أو قصد أو أقبل طبها . . . إليت . و المعانى التلائة الأخيرة عني التي تناعب الآية ، وقد اعترانا أحدد وهن إقباله تعالى بإدادته عليها
(٢) وابدن المشنى أنه سيحان قدير المواقع مواهن . . .

وعا أن القرآن الكريم عودنا على أن الانضارب بين نصوصه ، فلذا يجب تأويل آية البقرة التي يفيد ظاهرها تأخر خلق المسأوات عن خلق ما في الأرض ، ليتفق مع الواقع الذي يفيده نص سورة النازعات ، وهو تأخر دحو الأرض وخلق ماعليها ، عن خلق السموات ، وذلك بجعل (ثُمَّ) في قوله تمالى : (ثُمَّ اسْتُوَى آ لِلَ السَّماءَ فَسُواهُنَّ مُنِعَ سَمُواتِ): للسطف والترق في الرقية ، لا للتراخى الزمنى ، وكثيرا ما يستعمل لفظ (ثم) لذلك ، تقول : النَّاس طبقات ، المامة ثم الخاصة ، وتقول : الوزراء ثم رئيسهم ثم السلطان مُتَرَفِّياً في ذلك من

ولاشك أن القصد والاتجاه بالإرادة إلى خلق المسئوات وتسويتهن ، أعلى مرتبة من ترتيب منافع الأرض فكأنه قال : (هُوَ ٱللّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَسِيًّا) وكان منه قبل ذلك ماهو أعظم منه وهو أنه قصد إلى السموات السَّبع فسواهن ، أَى خلقهن سويات خاليات من العيوب .

السماوات السبع

قسر المتقدمون السماوات السبم : بالأفلاك السبمة ، والأفلاك جمع فَلَك يفتح اللام ، وهو : مجرى النَّجوم - كما في القاموس .

ونقل الآلوسى من أرباب الأرصاد أن الأفلاك تسعة ، وهل هي إلا سماوات ـــ كلما قالوا ـــ ولهذا يرى بعض العلماء أن تخصيص العدد بالسبع لاينفى الزيادة عليه ، ومِمَّن قال بذلك الإمام الرازى ، وقال المَّالِيكُونِي إنه الحق .

وبعد أن سقنا مارآه المتقدمون فى المراد من السموات وصدها ، نقول : الملهم يرون أن القرآن الكريم اقتصر على عدد السبع فى السموات لأن ذلك كان مفهوم العرب فيها ، فعيَّر القرآن عن عددها كما يفهمون ، حتى لايكلنبون الله ورسوله ، ولذا أمرنا النبى صلى الله عليه وصلم ، أن نخاطب الناس بما يعقلون ، حتى لايكلنبون الله ورسوله فيما يجهلون .

واعلم أن المناظير البعيدة المدى ، أثبتت أن فى السموات ملايين المجرات ، وكل مجرة تحتوى على ملايين المجموعات الشمسية ، ولا يزال هذا الملكوت تبرز فيه مجرات جليدة من عالم الفيب . فهل كل هذه للجرات تجرى فى سبعة أفلاك أو تسعة ، كما يقتضيه كلام القدامى من الفكويين .. يحيث تجرى كل مجموعة ذات مستوى معين فى فلك منها ، أم أنها تحتاج إلى الفكويين .. يحيث تجرى كل مجموعة ذات مستوى معين فى فلك منها بالحقيقة مقصور على الله ، أفلاك أن العلم بالحقيقة مقصور على الله ، ومايقوله الخاتي من ذلك عرضة للاهتزاز ، ثم الايهار ، لأنه هذه الأجرام السعاوية فى أبعاد سحيقة ، فلانستطبع الاطمئنان إلى عدهم طبقاتها بسبع أو تسع أو غيرهما .. وهم على ظهر الأرض .. مهما

والذي يظهر لنا من القرآن الكريم ، أن السموات السبع شيءٌ آخر غير النجوم والكواكب والأملاك التي تجرى فيها ، فقد قال تعالى : • وكَفَدَ زَيْنًا السَّمَاءُ النَّنْيَا بِمُصَابِيتِ * `` • .

قهلما النص يقتضى أن المجرات بشجومها وكواكبها ، هى الصابيح التى زين الله بها السماء الدنيا حاًى الأولى.. وحيث كانت زينة لها فليست هى السماء الأولى ولا غيرها من السموات السبع ، ألاثرى أن عِقْد اللوالة زينة لصدر الفتاة ، وليس هو صدر الفتاة بل غيرَه

لهذا لم يكن عجبا ما قرأناه أخيرا ، من أن يعض العلماء أثبت أن وراء المجرات عوالم طليمة لمهتنينها المناظير بعد ، والله تعالى أعلم بملكه وملكوته عن عباده .

(وَهُوَ بِكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ :

هده الجملة مقررة لما قبلها من خلق السموات والأرض على النمط البديع ، والنطوى على المحكم الفائقة ، والمصالح العظيمة ، فإن علمه بجميع الأشياء ، وبما يليق بكل واحد منها ، يستدعى أن يخلق كل بايخله على النمط البديم الحكيم .

(وَإِذْ قَالَ رَبُكَ لِلْمَلَتِ كَةِ إِلَى جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٌ قَالُواْ الْمَحْمَلُ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٌ قَالُواْ الْمَحْمَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَخَنْ نُسْبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّشُ لَكَ قَالَ إِنِّ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿) .

القبرنات :

(خَلِيفَةُ) : الخليفة ؟ من يخلف غيره وينوب عنه . فعيل بممنى قاعل ، والتاءُ للمبالغة . والمراد يه كرم وينوه .

⁽۱) الملك من الآية: ه

وللخليفة معنى آخر؛ هو المحاكم ومنه قوله تعالى فى: د يَا دَاوُرُهُ إِنَّا جَمَّلُمُنَاكَ عَلَيفَةً قَوِ الْأَرْضِ فَاحْمُكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْمَقَّ... ۽ (أُ ويكون المنى على هلما : أَنَاللهُ سبحانه ؛ خلق\آدموفريته ماق\الأرض جيها ء وسخو له ، وجعله حاكما عليها لينشرفيها العدل ، بماهداه الله إليه من العلم.

(وَيَسْفِكُ اللَّمَآءَ) : أَى بريقها والسفك مختص بالدم .

(نُسَبَّحُ بِحَبِّكَ) : نُبِّعدُ عنك مالا يليق بك ، اعتقادا أو قولا وعملا : متلبسين بحملك ، من سبح في الماء إذا أبعد فيه .

(وَنُقَدُّسُ لَكَ): أَى ننزهك حبًّا لا يليق بك ، من أَجل ذاتك .

التفسير

٣٠ = (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً . . .) الآية .

القصة المذكورة في هذه الآية - من خالق آدم عليه السلام ، وجعله خليفة في الأرض .. تتصل بذكر النعم السابقة من الله تمالي على الناس .

فإن خلق آدم وتكريمه ، وتفضيله طل الملائكة ، وأمرهم بالسجود له ، كل ذلك : إنعام من الله تعلق على أبيهم ، ونعمة الآباء ، نعمة على الأبناء .

وهذا توجيه ربط الآية بما قبلها .

وكلمة (إِذْ) هنا: للظرفية في الماضي . أي : واذكر وقت أن قال ربك للملائكة .

وترجيه الأمر بالذكر إلى الوقت ... دون ماوقع فيه من الحوادث مع أنّها المقصودة بالذات ... للمبالغة في إيجاب ذكرها .

والمقصود: تنبيه الكافرين إلى تذكر قصة خلق آدم عليه السلام ؛ لينبُّهوا لبطلان ما هم فيه من الكفر بالرسول ؛ وينتهوا عنه ؛ فإن في هذه القصة من الفيبيات مالا يعلمه إلا نبي موحى إليه من ربه .

وف التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى درجة الكمال - مع إضافته إلى ضمير خطاب الذي عليه الصلاة والسلام - إشارة إلى مقام التشريف والتعظيم من الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

⁽١) ص من الآية : ٢٦

(لِلْمُلَكَّةِكَةِ): الملائكة جمع مَلَك. وهم : فوات نورانية ، خلِفوا لطاعة الله فيما يأمُّرهم يه ، لهم قدرة التشكل بالأشكال الحسنة المختلفة . ولهذا كان الرسل يرونهم . وهذا مذهب أكثر الدكامين .

وقال العكماء : همجواهر مجردة . مخالفة للنفوس الناطقة بالحقيقة .

وممنى قوله: (إنَّى جَاهِلُ فِى الأَرْضِ خَلِيقَةٌ) إِنْ خالق فى الأَرْض خليقة وهو آدم .. عليه المسلام .. وخواص بنيه من البشر وهم الرسل ، وذلك إن كان المراد بالخلافة : الخلافة من جهة الله سبحانه .. في إجراء أحكامه بين الناس ، وسياسة خلقه ، لقصر استعداد المستخلف عليهم ، وعدم لياقتهم لقبول القيض الإلّي ، فتخص بآدم والخواص من بنيه ، فإن أريدت الخلافة ممن كان فى الأرض قبل ذلك ، فالخليفة هو آدم وذريته جميما ، صالحهم وطالحهم . فقد خلفوا من سبقهم فى عمارة الأرض .

(قَالُوٓا أَنْجُسُلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ النَّمَآة وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدَّسُ لَكَ).

هلما استثناف وقع جوابا عن سؤال تنساق إليه الأذهان ، كنَّه قبل : فماذا قالت الملاتكة بعد أن أخبرهم الله بقوله : (إِنَّى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ؟ فقيل جوابا لهذا السوَّال : (فَالُوا أَنْجُثُلُ فِيهَا مَن يُنْفِسُدُ فِيهَا . . . }إلغ .

وللمنى: أَتجعل فيها خليفة : مَن يفسد فيها ؟ وقد عرفوا ذلك ، إمَّا قراعةً من اللوح المحفوظ لما سجل من مستقبل أعمالهم، وإمَّا قياسًا لهم على من كان قبلهم، وهم اللين أهلكهم الله وأطهم محلهم ، وإمَّا مِن الفرائز التي سيخلفون با ، فإنها قد تدعر إلى الفساد .

والاستفهام ظاهره تعجب الملاككة من أنه تعالى ، سيجعل في الأرض مَن يفسد فيها ، أو الاحتراض على ذلك وإنكاره . ولكن هذا افظاهر غير مراد؛ لأن الملائكة كما قال تعالى: و . . . عِبَادٌ مُكْرَّمُوكة . لَايَسْمِيتُونَهُ بِالشَّقِلُ وهُمْ بِلْمُرِهِ يَهْمَلُونَ اللَّهِ اللهِ استفهام تعجب ، قالوه استكشافًا لما يَخْمَى عليهم من الحكم في عائق من يفسلون في الأرض ، واستخبارًا عما يزيح شبهتهم ، ويرشلهم إلى معرفة مافي آدم من الفضائل التي جملته أهلا للخلافة هو وذريته ، كسؤال المتعلم أستاذه هما ينقدح في ذهنه ؛ ليطم الجواب فيستريح .

⁽١) الأنبياء من الآيمين : ٢٦ ١٧٠

نليس سؤالهم اعتراضًا على الله ، ولا شكًا في اشتمال جمله خليفته في الأرض على المحكم والمصالح .

(وَيَشْفِكُ النَّمَآة): أَى يقتل النفوس التي يحرم قتلها، والتعبير عنه بسفك الدماه ، لأنه أفيح أنواع القتل .

(وَنَحْنُ نُسَبَّحُ بِحَمْلِكَ وَنَقَدَّمُ لَكُ): هذه الجملة مقررة للتمجب المابق ، و مؤكدة له ، كأنه قيل : أتستخدم من شأن ذريته الفساد ، مع وجود من هو مجتهد في طاعتك الإيمصيك أمادا ؟

والمقصود عرض أحقيتهم بالخلافة كما فهموا ، والاستفسار عما رَجَّعَ بنى آدم عليهم ، مع مايترقع منهم من الفساد ؛ ليعرفوا حكمته من الحكيم الخبير : الذي يضع كل ثني، في موضعه .

وقد نظرت الملاتكة في سؤالها إلى الغرافز الداعية إلى الفسادق بني آدم، وغفلت عن ها لعقل، اللى عسك بها، ويصرفها إلى الدغير وتَعَرُّ ف أحوال الكاثنات والانتفاع بها، وضير ذلك معا يصلح به أمر الخلافة في الأرض، إلى جانب استدلاله بها على الصانع جل وعلا.

ولاشك أن بني آدم .. بكفاحهم لفرائزهم وشهواتهم ، وصرفها فاحية الخير ــ يفضلون عوام الملاكة ، لأنيم مخلوقون للطاعة ، ولاشهوة فيهم .

والتسبيح : تنزيه الله تعالى عما لايليق به ؟ اعتقادا وقولا وحملا ، وكذلك تقليسه .

والمعنى : ونحن ننزهك ؟ متلسين بحمدك على ماأنعمت علينا من فنون النعم ، ونقدس لك تقديما يليق بقامك. وقيل : معنى نقدس لك ؟ فطهر نفوسنا عن اللذوب لأجلك .

وكان جواب الله عليهم : (إنِّى أَغْلَمُ مَالاً تَفْلَمُونَ) أَى إِنَى أَعْلَمَ مالاً تطلمونه من دوامى الخلافة فيه ، ولا يضير استخلافه وذريته أن بعضهم مفسد سفاك للدماء ، لأن الله أودع فيهم الصلاحية لعمارة الأرض ، والخير ظالب فيهم .

على أن مايقع من بعضهم من الشر هو ابتبلاء من الله للجميع ؛ ليمحص الله اللين آمنوا ويمحق الكافرين، وليثبت القائمين بإرشاد المصاة ثوابا عظيما : ٥٠..وكَبْلُو كُمُّ بِالشَّرُّ وَالْمَيِّرِ فِيْنَةُ ﴾ (١)

⁽١) الألبياء من الآية : ٣٥

(وَمَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَ الْمُلَتَهِكَةِ فَقُالَ الْمُعَدِينَ فَقَالَ الْمُلِيمُةِ فَقَالَ الْمُعَدِينَ فَ قَالُوا اللَّهِ مَنْكَ لَا عَلْمُ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَناً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْمَدَيمُ ﴿).

التفسير

٣١ ــ (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَآءَ كُلُّهَا . . .) : الآية .

شروع فى تفصيل الجواب الإجمال من الله للملاكة ، ومنى تعليم الله لآدم الأسماء كلها : أنه خلق فيه - بموجب استعداده - علما ضروريا تفصيليا ، بأسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها ، كأن يلقى فى روعه تفصيلا : أن هذا قرس ، وشأنه كنا وكذا ، وهذا بعيروحاله كيت وكيت . وكذا كل مأدة وعنصر : عرف اسمه وخواصه وطريقة استعماله .

والاسم : – باعتبار الاشتقاق ـ مايكون علامة للشيءودليلا يرفعه إلى المذهن ، من الأُلفا ظ والصفات والأُلمال .

ويستمعل - عرفا ــ فى اللفظ الموضوع لمنى ؟ مفردا كان أو مركبا ؟ مغبرا عنه أو خبرا ، أو رابطة بينهما . واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى غير مقترن بالزمان . والمراد هنا الأول ، أو الثانى كما قاله العلامة أبو السعود .

قال ابن عباس وهيره : علَّمه أسماء جميع الأشياء حتى القصعة والقصيعة ، والجفنة والميخَلَب .

(ثُمَّ عَرَضُهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ): أَى عرض المسميات المدلول عليها بالأسماء ، وضمير جمع العقلاء لتطليمهم على غيرهم ، وقدجاء في الحديث أنه عرضهم عليهم كأشال المدر .

عن ابن عباس - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : و أخذ الله البثاق من ظهر آدم - عليه الصلاة والسلام - بمنان - يعنى بعرفه - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراً ها فنثرهم بين يليه كاللر ، ثم كلمهم قبلا وقال : • ... أَلَّسْتُ بِرَبِّكُمُ ؟ قَالُوا بَلَ شَوِئنًا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامُ ِ ... » إلى قوله : • ... بِمَا فَعَلَ الْشَهْلِلُونَ » * الحالم حديث صحيح الإصناد (7)

قال أبو السعود رحمه الله : ولعل الله - عز وجل- عرض عليه من أفراد كل نوع هايصلح أن يكون نوذجًا : يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها .

(فَقَالَ أَنْبِتُونِي بِأَسْمَآهُ مُؤْلَاهُ): أَى قال ـ تبكيتًا لهم وإظهارًا لمجوهم من إقامة ماعلقوا به رجاعهم من أمر الخلافة ـ أخبرون بقسماء لهؤلاء ؛ فإن تدبير شئون هذه المسميات موقوف على معرفتها وجميع خواصها وأحوالها ، فمن لهيعرفها ، لايصلح للخلافة فيها وولاية أمرها . (إن كُتشُمْ صَافِينَ) في زعمكم أنكم أحقاة بالخلافة مين أستخلِفُه .

٣٧ _ (فَالُوا شُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْنَنَا . . .) : الآية .

قال الملاكة لرجم : (سُبِحَالَكَ) أى نسبحكوننزهك التنزيه اللاتى بك ، فلا يمكن أن تسطو أفعالك من الحكم ، ومن جملتها استخلاف آدم ، وما سألنا إلا لنتعلم وتعرف العكمة ، وقل عرفناها بمعرفة مزليا من استخلفته . (لا علم كَنَّ إلا ما عَلَمْتَنَا) ونحن لم نتعلم ذلك ، بل تعلمنا العلوم اللائقة بعالمنا كما علمتنا (إِنَّك أنتَ الكيمُ) بما ينبغي لكل شي (المُحَكِمُ) في تقليم وتلهيره .

(قَالَ يَتَفَادَمُ أَنْفِقُهُم وِأَسَمَا بِهِمْ قَلَمًا أَنْبَأَهُم وِأَسْمَا بِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلِ لَكُمْ إِنِي أَعْلَمُ خَبَبَ السَّمَنوَتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿ ﴾) .

التفسيي

٣٧ _ (فَالَ يَا آدُمُ أَنْبِثُهُم بِأَسْمَآتِهِمْ . . .) : الآية . بعد أن أثروا لله بمجرهم أراد _ سبحانه _ أن يبين لهم فضل آدم طيهم (فَالَ يَا آكمُ

⁽١) الأمراف من الآيمني : ١٧٧ ، ١٧٢ (٢) (المتعرف ع م ١٥٥).

أنيثُهُم بِأَسْمَآثِهِمْ): أخْيرهم بأساء هذه المسيات التي عجزوا عن معرفتها (فَلَمَّا أَنبَأُهُم بِأَسْمَآثِهِمْ) وظهر فضله عليهم بالعلم . (قَالَ) للله لهم بعد ذلك : (أَلَمْ أَقُل كُمَّ أَنِّى أَعْلَمُ عَنْبَ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْعُونَ وَمَا كُتُمْ فَكُتُمُونَ) مقرراً به جوابه السابق لهم : (إِنِّي أَعْلَمُ مَالاً تَطْلُمُونَ) وق هذا التفرير ، نفصيل لما أجدل سابقا ، وعناب لهم على تركهم ما كان أولى هم ، وهو أن يتوقفوا : متوصدين أن يبين الله لهم مالايملمون ، بدلاً من توجه السؤال له عبدة الصورة ...

والهمزة فى : (إَلَمْ أَقُلُ) للاستفهام الإلكارى . وفيها معنى النفى ، دخلت على حرف النفى (لَمْ) فكان ذلك بمنزلة نفى النفى، فيفيد إثباتًا وتقريرًا كما قلنا ، فالمنى قلت لكم : (إِنِّى أَطْلُمُ مَّيْسًا السَّمَاكِ أَت وَالْإَرْضِ) .

أَى أَعلَم مافيهما من أسرار لاتعلمونها (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) من قولكم : (أَنَجْسُلُ فِيهَا مَن يُنْسِدُ فِيهَا) ، (وَمَا كُنْتُمْ تَكُتُمُونَ) فى نفوسكم من أنكم أفضل منهم وأولى بالخلافة ، أو من استثالكم الملنى أضمرتموه فى أنفسكم .

وق مذه الآية إشارة إلى أن الإنسان أعطى الاستعداد ليتمرُّف الأشياء وإدراك نواميس الكون؟ ليسخرها له بمقتضى ما منحه الله من الأسباب .

وفيما تقدم من الآيات ، دليل على شرف الإنسان ، وعلى فضل العلم ، وأنه فى مقدمة المبادأت ، وأنه مناط الخلافة والنبابة عن الله فى الأرض ، وأن المحكمة أمر زائد على العلم ، لأن الملاكة وصفوا الله تعالى بالمحكمة بعد العلم ، وإلا لزم التكوار . وقد دلت الآية الأغيرة على أن الله سبحانه يعلم الأشباء قبل حلوثها .

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَةِكَةِ آسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّا إِبْلِيسٌّ أَبِي وَاسْنَكْبَرُوكَانَ مِنَ ٱلْكَنفِرِينَ ﴿) .

التغسير

٣٤ - (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَاثِكَةِ السَّجُّنُوا لِآدُمَ . . .) الآية .

فى هذه الآية ، تذكير بنصة أخرى على أبينا آدم عليه السلام ، ناطقة بالتعظيم لقدره،

والتنويه بشأنه ، حيث أمر الله الملائكة بالسجود له . والآية معطوفة على ماقبلها ، عطف القصة على القصة ، فقد عظفت فيها قصة السجود على قصة الخلق ، لتستكمل بها نعمه – تعالى – التى تفضل ما على خلقه .

ومعنى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمُلَاّلِكَةِ السَّجُدُوا لِآدَمَ ﴾ أى واذكر لهم يا محمد ، وقت قولنا للملائكة : ﴿ السَّجُمُوا لِآدَمَ ﴾ أى : عظموه اعترافا بفضله ، وأداة لحق تعليمه لكم الأسماء ، واعتذارا عما وقع منكم في شأته ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ عطف على ﴿ قُلْنَا ﴾ ، والفاء الإفادة مسارعتهم إلى الامتفال ﴿ إِلّا إِيْلِيسَ ﴾ فإنه لم يسجدولم يمثل . وسيشًى بيان امتناعه في الآية الكرعة .

وظاهر استثنائه من الملائكة اللين سجاوا أنه منهم ، ولكنه ليس كللك ، فإنه حِنَّى ؛ لقوله تعلل فى آية أخرى عنه : • . . . كَانَ مِنَ الْمِيْنَ ... ، ا ّ ؛ ولأنه لو كان من الملاكة ، لما امتنع عن امتثال أمر ربه ، لأَتِم • ... لاَ يَتْصُونَ اللهُ مَا ٱمْرَهُمْ وَيَضُمُّونَ مَا يُؤْمَرُونَ ، ('''

ولهذا ، يحمل استثناؤه منهم على أنه لما كان بينهم ، عابدا بعبادتهم ، جمل منهم . فإن من طالت إقامته مع قوم واندمج فيهم ، اعتبر منهم وإن لم يكن من قبيلتهم .

وعلى هذا التأويل ، يعتبر استثناؤُه متصلا ، ويجوز اعتبار الاستثناء متقطعا .

ومعنى (أَبَى) : امتنع اختيارا . (وَاشْتَكَبَرُ) :طلب الكبرياء استملاء وادهاء ، فإن الكبرياء حق لله روحده .

ومعنى قوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ وصارُ من الكافرين بسبب عصيانه على حد قوله في شأَنْ ابن نوح : ٥ ... فَكَانَ مِنَ الْمُغْرِينَ ﴾ (١٣)

واعلم أن الذى تقتضيه ها ه الآية - والى فى سودة الأعراف: و وَلَقَدْ خَلَقَنَاكُمْ ثُمُّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لَلْمَلَآ وَكُمَّةِ أَسْجُلُوا لِآدَمَ قَسَجَلُوا إِلَّا إِلْلِيسَ ... ، (1) وكلا ما فى سودة الإسراء . وطه والكهف ــأن سجود الملاتكة ، إنما ترتب على الأمر التنجيزى ؛ الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه .

⁽١) الكهف من الآية : ٥٠ (٢) التحريم من الآية : ١

⁽٣) هو د من الآية : ٣٤ (٤) الأمراف من الآية : ١٩

أما ملجاء في سورة النجير و وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَا تِكَةً إِنِّي خَالِقٌ بَخَرًا مِنْ صَلْصَالِ مَّنْ حَمَّا مَّسْتُونِ (٧٨) فَإِذَا سَوِيْتُهُ وَنَفَحْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٩) فَسَجَدَ الْمُلَاّ يَكُمُّ كُلُّهُمْ أَجْمَعُودُ(٣٠) وفهو إخبار منه تعالى للملائكة . بأنه سيخلق آدم ، ويكلفهم بالسجود له ، إذا أتم تسويته ونفخ الروح فيه . فالأمر بالسجود فيها معلق على تسويته ونفخ الروح فيه ، فهم غير مكلفين بالسجود له ، حتى يتم ذلك ، فيومروا بأمر تنجيزى جديد ، جمعًا بين هذه الآية والآيات الأخرى التي نبهنا إليها .

أما قوله فى سورة الحجر _ عقب هذا الأمر التعليقى - : « فَسَجَدَ الْمَالَاتِكَةُ كُلُهُمْ أَجْمَعُونَ » . فمحمول على أنهم سجدوا له بعد تمام خلقه ونفخ الروح فيه ، وأمرهم بعد ذلك بالسجودتنجيزا ، بعدأمرهبه تعليقًا . . وكذلك يفسر ماجاة فى سورة (ص) .

(وَقُلْنَا يَتَعَادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْحَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا فَخَلَا مِنْهَا رَغَدًا فَخَدَ صُعْفًا مِنْدًا فَخَدَّ مُنْتُمًا وَلَا مِنْ الظَّلْمِينَ ﴿) الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّلْمِينَ ﴿)

الفـردات :

(اسْكُنْ) : أقم فيما تسكن فيه النفس وتطمئن .

(الْجَنَّةَ) : البستان . (رُغَدًا) : واسما .

(الشُّجَرةَ) : مجهولة النوع ، وعِلْم ذلك عند الله تعالى .

التفسير

٣٥ - (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اشْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ . . .) : الآية .

لل كفر إبليس بعصبانه أمرّ ربه بالسجود لآدم ، أبعده الله عن الجنة يقوله : ﴿ ... اخْرُجُ مِنْهَا مَذْهُومًا مَدُخُورًا ... ، `` وقال لآدم : ﴿ وِيَا آدَمُ اشْكُنْ أَمْتَ وَزُوجُكَ الْجَنَّةَ ... ، '`` تكريما لهما .

⁽١) الأعراف من الآية : ١٨ ' (٢) الأعراف من الآية : ١٩

والسكن : الإقامة في مكان تسكن فيه النفس ، أي تطمئن فيه .

والجنة التي أمر بسكتاها: هي دار التواب؛ هند الجمهور؛ لأنها كملك في عرف نصوص الشريعة: وقيل هي جنة بند قلسطين، أو بين قارس و كرمان أو في غيرهما و خلقها الله استحانا . لآمه عليه السلام ، وحمل الإهباط منها على النقل منها إلى أرض أخرى ، كما في قوله تعالى : ه... الهيطوا مضرًا ... الأكان خلقه كان في الأرض بلا خلاف . ولم يذكر في قصته رفعه منها إلى الساع حيث جنة الجزاء . ولو وقع ذلك ، لكان أولى بالذكر ، ولأنها أو كانت دار الخلود ، لا خطها إبليس .

ذكره أبو السعودوالآلوسي ، والله أعلم .

ومعنى قوله : (وَكُلَا مِنْهَا رَفَقًا حَيْثُ شِثْتُمَا) : أَى تمنعا بِالأَكل منها أكلا واسعا ، في أي مكان شتنماه من الجنة .

وقوله تعالى : (وَلاَ تَقْرَيَا هَلْهِ الشَّهَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّلْمِينَ) نمى أربد به اختبار آدم وحواء ، وتعلق النبي بالقرب من الشجرة ، للمبالغة فى الإيماد من الشجرة نفسها ، فإن انتفاء القرب يستازم عدم الوقوع فى الأكل ، وهو للقصود من النبهى .

والمشار إليه بر (هذه) يحتمل أن يكون شجرة بعينها ، ويحتمل أن يكون جنسها . فتدخل فيه هي وشيلاتها .

وبين هلين الاحتمالين وقع التأويل من آدم بسبب الوصوسة . فللظنون أنه تأول النهى بلَّده عن شجرة بعينها من الجنس ، فَتَرَكَ الشارَ إلى شخصها وأكل من جنسها ؛ مع أن المقصود هو النهى عن الجنس ، إذلا فرق بين شجرة منه وشجرة أخرى .

ونحن تمسك عن تعيين شخصها أو توعها ؛ لعدم وجود دليل لهذا التعيين .

وكان الأكل منها صببا في إخراجهما من الجنة عقوبة على مخالفة النهى.

(وَيَكُونَا مِنَ الظَّالَمِينَ) : المراد من ظلمهما ظلم أنفسهما ، فإن مخالفة النهى ، كانت سببا في حرمانهما مما كانا فيه من نعيم الجنة .

⁽١) البِثرِث من الآية : ١١

(فَأَزَلَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا الْمُعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَلُوً وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرُّ وَمَتَاحً إِلَى حِنِ ۞) .

كافسرنات :

(فَأَزَلُّهُمَّا): أوقعهما في الزلة .

(عَنْهَا): أي بسبب الأكل من الشجرة.

(مُسْتَقَرُ) : موضع استقرار .

(ومُتَاعٌ) ؛ تمتع وانتفاع .

التفسير

٣٦ - (فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا . . .) : الآبة .

أى جعلهما الشيطان يقعان في الزلة عن هذه الشجرة ، أي : بسببها ، الأسهما خالفا النهى عن الأكل منها ، فأكلا استجابة لوسوسته .

وقرئ (فَأَزَالَهُمَا الشَّيْطَانُ صَنْهَا): أَى أَبعدهما عن الجنة، فالضمير فيهذه القراءة للجنة، وفي القراءة السابقة للشجرة .

ويجوز أن ترجع القراعة الأولى إلى الثانية ، وذلك بأن يكون معنى (فَأَزَّنَّهُمَا الشَّيطَانُ عَنْهَا): أُبعدهما عن الجنة ، فإن الإزلال يستمعل عمني الإبعاد.

وقد يقال : كيف توصل إيليس إلى إزلالهما بالوسوسة وهما في الجنة ، بمد أن قبل له : 8 ... فَاعْرِيَّ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (١٠ و قخرج منها قملا . ومن عوقب بالإعراج من الجنة مطرودا لا ملخلها ؟

وأُجِيب بِأَنَّه مُنِيعَ من دخول البجنة تكريما ، ولم يمنع من الدخول وسوسة ، للابتلاء .

⁽١) الحبر من الآية : ٢٤

وقيل : غير ذلك .

والأَّولى إحالة ذلك إلى علم الله تعالى ، وكل تأويل في ذلك رجم بالغيب .

وقد ترتب على هده الزلة ما أشار الله إليه بقوله : (فَاتَحْرَجُهُمّا مِنَّا كَانَا فِيهِ) : أَى من النجم الذي كانا فيه م بمدأن تم الابتلاء والوقوع في الزلة ؛ ليتحقق ما كان مقدا في علم الله تمال ومرتبا على هذه الزلة ، من هبوط آدم ليكون عليقة في الأرض ، فصدر أمر الله بالهبوط إليهما ، ومنى قوله: (المُسِطُّوا بَمُشَكُّم لِبَعْضي عَلَوُّ) : اهبطوا حال كون بعض أولاد كما عدوًا للآخو والشر ، يستفلها الشيطان فيوسوس عدوًا للآخو والشر ، يستفلها الشيطان فيوسوس لهم ويزين القبيح حسنا ، فتندفع المرائز نحو البغى والعدوان على الناس ، إلا من اعتصم بالشرع وحكم العقل ، فكان من المخلصين ، كما قال تعالى : و ... وَلاَ غُويِيَّتُهُمُ أَجُمْسِنَ ، إلاً

والضمير في (الْمِطُوا) لآدم وحواه ، بدليل ما جاء في آية أخرى وقَالَ الْمِطْا مَنْهَا جَيِمَّا... ٥ (٢) وضمير الجمع منظور فيه إلى ذرياتهما في ضمنهما ، فكأنهما الجنس كله ، أولَهُمّا والإبليس بعد مادخل للرموسة . وكان قد طردمنها قبل ذلك .

أما القول بأنَّه راجع إليهما ، وأريد بالجمع مافوق الواحد ، فليس حسنا ، فإن آدم لم يكن عدوًا لحواه .

(وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفَرُّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) :

أى لكم فيها استقرار أو موضع استقرار ، (وَمَتَاعٌ): أى تمنع بالعيش وانتفاع به (إِنَّى حينٍ) : هو حين انتهاء آجالكم بالموت .

واهلم أن النهى عن الأكل من الشجرة ، ثم الأكل منها بإغواء إبليس ، كان مقررا فى العلم الأَذِلى ، ولكن ترتيبه عليه فى الوقوع ، كان من ربط المسببات بأُسبابا ، ابتلاء وتحقيقًا لشيئة الله تعالى .

⁽١) الحبر من الآيتين: ٣٩ ، ٠٤ (٧) لحد من الآية : ١٢٣

(فَتَلَقَّةَ ۚ اَدُمُ مِن رَّبِهِ عَكِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهْ, هُوَ التَوَّابُ الرَّحِيمُ ۞).

الفيردات :

(فَتَلَقَّى آدَمُ): أى استقبل .

(كَلِمَاتِ): هي كلمات التوية التي ألهمه الله إياها .

(فَتَابُ عَلَيْهِ): فَبِل توبته .

الانفسير

٣٧ ـ (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبُّهِ كَلِمَاتِ . . .): الآية .

أى ألقى الله فى روع آدم ؛ أن يتوسل إليه بكلمات ألهمه إباها ؛ ليترب الله عليه ، فاستقبلها بالأخداوالقبول. والعمل بها حينما تعلمها .

(فَتَنَابَ عَلَيْهِ) التوبة: لقة الرجوع . والمنى: رجع عليه بالرحمة، بأن قبل توبته ، وإنما وحد الضمير فى (عَلَيْمِ) مع أن حواء شريكة له فى الذنب ، يهجماع العلماء ؛ لأن حواء تابعة له فى المحكم إذ النساء شقائق الرجال فى الأحكام . ولذا طوى ذكر هن فى معظم الكتاب والسنة اكتفاء يذكر الرجال بلؤله الأحكام .

ثم ختم الآية بقوله : (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). تعايلا لقوله: (فَتَابَ عَلَيْهِ) .

وصف الله نفسه بنَّده هو التواب أَن : كثير قبول التوبة . وهي صيغة مبالنة من التوب عمى الرجوع فإذا وصف به الله ، كان يمنى الرجوع عن المقاب إلى المغفرة وقبول الندبة . وإذا وصف به العبد ، كان يمنى الرجوع عن المعصية . (الرَّحِيمُ) : العظيم الرحمة .

ويذلك فتح الله للعصاة طويق التربة إذا عصوا ، ليتوب عنيهم كما تاب على أبيهم آدم ، الأنه ــ سبحانه ـ التواب الرحيم .

التفسير

٣٨ - (قُلْنَا الْمَبِطُوا مِنْهَا جَمِيمًا . . .): الآية .

كرر الأمر بالهبوط ، إيدانا بأنه محتوم لابد منه ، وأن قبول التوبة لايدفعه ؛ ولأن الهبوط الأول مشوب بالمقاب ، وإسكان دار البلاء ، والمداوة وعدم المخاود ، والثافي مشوب بالرحمة بإيتاء الهدى المؤدى إلى النجاة .

(فَإِمَّا يَلَّشِيَّكُمُ مِّنَّى هَدَّى) : شرط ، جوابه جملة الشرط الثانى، وهى قوله :(فَمَن تَسِعٌ هُدَاىَ فَلاَ خَوْثُ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَخْزُنُونَ) والمرادمن قوله : (هُدَاىَ) كُتُبُ اللهِ آياته ورسُله .

والمنى : فمن تبع هداى : أى بالإيمان والقول مع العمل الصالح ، فلا خوف عليهم - فى المستقبل - من لحوق مكروه ، ولاهم يحزنون على فوت مطلوب ، بل يستمرون على السروو والابتهاج .

٣٩ _ (وَاللَّذِينَ كَفَرُوا وَكَلَّبُوا بِإِنَّاتِنَا أُولَٰتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) : مداه الآية معطوفة على قول 1 : و مَن لم يتبع هداى بل كضر بالله و كذب بآياته القرآئية والكونية

وقوله : (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) بيان لجزاء من كفر بالله وكذب بآياته . ومغى أصحاب الناز : أهلها ومستحقوها (هُمْ فِيهَا خَالِمُونَ):لايخرجون منها ــ والجمع فيما تقدم باعتبار ذرية آدم وحواء .

الحكم المستنبطة من القصة

قضى الله أزلا أن آدم سيكون خليفته فى أرضه ، فللـا منحه العقل والقوى والغرائز للخلفة التى تنجمله وقريته صالحين لهلمه الخلافة .

ومع أن تلك القوى التي منحها الله ، ضرورية لعمارة الأرض والخلافة عن الله فيها ، فهى قابلة لأن تستعمل فى غير ما خلقت له من الخير ، فكما أنها قابلة للصلاح والإصلاح ، فهى قابلة للنساد والإنساد . وعا أن كثيرًا منهم .. بسبب ذلك .. سيقع فى الماصى ، بارتكاب ما نبى الله عنه ، فلذا أراد الله أن يعلمهم .. عن طريق أبيهم آدم إذا وقعت منهم المعاصى .. كيف يتوبون ويرجعون إلى ربم ، حتى يتوب عليهم كما تاب على أبيهم . فلذا أبتلى آدم بالنهى عن الأكل من الشجرة فأعطأ ، بإغراء الشيطان ومساعدة غرائزه ، فتلى من ربه كلمات علمه با : كيف يتوب ويرجع إلى ربه ، فلما عمل بمفتضاها ، تاب الله . وكان ذلك لتعليم ذريته كيف يتوبون إذا عصوا .

ويؤيد هذا أن الله لم يغضب على آدم بعد أن أهبطه إلى الأرض ، بل كرمه وسخر له ما في السعوات وما في الأرض ، وجمل له الأرض مستقرا ، وجعل له ولذريته فيها معايش .

هذا إلى ما توحى به الآيات الكريمة ، من أنَّ الله فضل الإنسان بالعلم ، فكلما ازداد علمه كان جابيرا بخلافة الله فى أرضه ، وحمل أمانته بين خلقه، كما توحى بالمسئولية الإنسانية ، وأنّ من أخطأ استحق العقاب ، ومن أطاع استحق الثواب ، ومن تاب تاب الله عليه ، وأنّ الإنسان لايحكم فى أمر وهو جاهل به .

(يَكِنِيَ إِشَرَآهِ بِلَ اذْكُرُواْ نِعْمَنِيَ الَّتِيَّ أَتَعَمْتُ عَلَيْكُمُّ وَأَوْفُواْ
بِعَمْدِى ٓ أُوفِ بِعَمْدِكُمُّ وَإِيِّلَى فَارْهَبُونِ ۞).

الضربات :

(إشرائيـــل):هو يعقوب عليه السلام ، جد بني إسرائيــل .
 (وَأُونُوا بِعَهْدِى):أدوا التكاليف التي عهدت بها إليكم وافية .

(أُوفِ بِمَهْدِكُمْ) وَأَعظكم ثوالى الذي هاهنتكم عليه وافيًّا . والعهد : الوصية . والوحد : الْمَوْتِق .

(فَارْهَبُونِ): فخافون .

التفسير

٤٠ ـ (يَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِسْمَتِيَ الَّتِيَّ أَنْمُسْتُ عَلَيْكُمْ . . .) الآية .

بعد أن عدد الله نعمه العامة فى الآيات السابقة، شرع يبين نعمه الخاصة ببهى إسرائيل ، وهم أكثر الأُم نعمة وأشدهم عصياتًا وكفرًا ، مع أنهم أهل كتاب ، وكانت الطاحة أجدر مهم .

وإسرائيل:اقنب يعقوب ــ عليه السلام ــ وهي كلمة عبرية ، مركبة من جوّعين : إسرا ، ومعناها : عهد ، أو صفوة ، وإيل معناها : الله .

(اذّ كُرُوا يَمْتَنِي النِّبي أَنْمُتُ طَيْتُكُمْ):أى تذكروها بالشكر ، ولا تكفروها بالماسى . وستجد ــ بعد هذه الآية ــ ألوانا من الخطاب لبنى إسرائيل ، تذكيرًا بنعم الله عليهم مجملة أو مفصلة ، وتوبيخا لهم على آثام ارتكبوها .

والخطاب فى كل ذلك _ موجه إلى الماصرين منهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، مع أن يصفى ملم النبم كانت على آبائهم ، كالإنجاء من الغرق ، وإغراق فرعون وجنوده ، ويمضى هذه المعاصى كانت من هؤلاء الآباء أيضًا ،كاتخاذ عجل السامرى إلّها لهم وقولهم لموسى سمعنا

وإنما ذُكَّر المعاصرون منهم بنتم الآباه ؛ لأن أثرها واصل إليهم ، وفضلها عائد عليهم . وإنما وبخوا على معاصيهم ؛ لأميم يعتزون بالانتساب إليهم . ومن اعتز بألَّم فهو آنم مثله . فكأَمَّا فهل قِمَّلُهُ ؛ ولأن عار إثم الآباء يلحق اللدية ، ما داموا على سنتهم في الفعلال . فكأَمِم فينه شركاء ؛ ولأن المراد من نحو قوله تعلى للمعاصرين : د ... ثُمَّ اتَّحَفُّكُم الْمِجْلُ مِن يُمِّيه ... فاللهان أن ارتكاب الكبائر أمر كامن في جنسهم ، فلا غرابة في كفرهم ما جامعم

⁽١) البقرة - من الآية : ٩٢

به محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أشار إليه قوله تعالى : • إِنَّهُمْ ٱلْفَوْا آبَاتَهُمْ ضَالَّينَ ۖ فَهُمْ عَلِى آثَارِهِمْ يُهُرَّعُونَ ۗ • () .

(وَأَوْفُوا بِيَمْلِينَ):أى افعلوا ما عهدت إليكم بفعله من الإيمان والطاعة والعمل الصالح ، وَأَدُّوه وافيًا (أُوفِ بِعَلْدِكُمْ):بالإثابة وحسن الجزاء .

فالعهد الأول: (بِعَهْدِى) مضاف إلى الفاعل ، فإنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح : بـإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونصب الأدلة . والعهد الثانى: بِعَهْدِكُمْ) مضاف إلى المفعول ، أى بعهدى إياكم ، فإنه سبحانه ، وَعَدَهم الثواب على حسناتهم . وعاهدهم على ذلك .

(وَإِيِّاكُ فَأَوْهُونَ ﴾ إياى وحدى ارهبونى . والرهبة : خوف مصحوب بالتحرز . والفاه تشير إلى معنى الشرط ، أى : إن كتم ترهبون أحدًا فارهبونى ، ولا تنقضوا عهودكم معى .

والآية متفسنة للوعد والوعيد ، ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد ، وألا يخاف المؤمن إلا الله تعلق .

وفى ذكر قصة بنى إسرائيل – بعد قصة خلق آدم – تصوير لتسلط إبليس اللمين على بعض ذرية آدم وتأثرهم بوسوسته ، مع مزيد فضل الله عليهم ، وأنهم لم يحذروه مع ما صنعه بجدهم من الإغواء ، وما عرف عنه من العذاوة له ولأولاده إ

(وَ امِنُوا مِمَا أَنزَلَتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُواْ أَوَلَ كَافِرٍ بِيَّهِ وَلَا تَشْتَرُواْ فِايَنِي تُمَنَّا فَلِيلًا وَإِيْنِي فَاتَقُونِ ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَنْطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنْمُ تَعَلَّمُونَ ﴿) .

⁽١) الماقات - الايتان : ٢٩ ، ٧٠

الفيردات :

(بِمَا أَنزَ لْتُ) أَى بالقرآن الذي أَنزلته .

(مُعَمَّنَفًا لَما مَعَكُمْ):من التوراة .

(وَلَا تَشْشُرُوا بِآيَاتِي نَمَنَا قَلِيلًا)؛لا تجعلوا بدلا من الإيمان بآياتي ، منافع الدنيا ، فإنها قليلة .

(وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ِ):ولا تخلالوه به .

التفسير

١٤ ـ (وُآمِنُوا بِمَا آنزَلْتُ مُصَلُّقاً لِما مَعَكُمْ . . .) الآية .

بمد أن أمرهم الله بالوقاه بالمهود ، أمرهم بالإيمان بالقرآن الذي أُنزل على محمد صلى الله طيه وصلم . فإنه من الوقاء بالعهد الذي أخذ عليهم .

ومعنى كون القرآن مصدقاً للتوراة التى معهم: أنه يدعو إلى ما تدعو إليه من الإيمان بالله وتوحيده ، والعدل بين الناس ، والنبي عن المعاصى . كما أن فيه ما فيها من قصم المرسلين ، والعمل ليوم الدين ، وغير ذلك من الأصول .

وما بينهما من المخالفات في الفروع ، فهو سبب اختلاف العمور . وليست هذه مخالفة في الحقيقة ، بل هي موافقة من حيث إن كلا منهما حتى في عصره ، منضمن لِلحِكم التي يدور عليها التشريع .

وليس فى النوراة دليل على أبدية أحكامها الشرعية . ولا يصح أن يكون فيها ذلك ؛ لاختلاف العمور المقتفى لتغييرها .

فالإيمان بالقرآن المنزل على النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يتناق مع ما أنزل إلى اليهود ، فضلا عناأنه واجب عليهم ، إذ هو بما عهد الله به إلى جميع النبيين .

قال تعالى : و وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْنُكُم مَّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لَمَا مَعَكُمْ لَتَوْمِينَّ بِهِ وَلَتَنصُّرُتُهُ (١١)... . .

⁽١) آل عمران – من الآية : ٨١

ويجوز أن يكون تصديقه للتوراة ، أنه نازل حسبا نعت فيها . ومنى قوله : (وَلَا تُتُكُونُوا أُوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) لا تكونوا أول المبادرين بالكفر به مع علمكم بصدقه من كتابكم .

فإن قيل : إن مشركي العرب سبقوهم إلى الكفر بالقرآن والنبي. فالمجواب أن المراد التعريض ، كنَّه قيل لهم : ينبغي أن تكونوا أول الموَّنين به ؛ لما عرفتموه من صفاته فى كتابكم ، فأنَّم تعرفونه كما تعرفون أبناءكم ، وكنتم تبشرون به ، وتستفتحون على أهدائكم .

ويمكن أن يجاب بأن المغى : ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب ، فإنهم سبقوا السيحيين فى الكفر به .

ووقوع (أوَّلَ كافِيرٍ بِهِ) خبرًا عن ضمير الجمع فى قوله (وَلَا تُكُونُوا) بِشَأُولِل : **أول** فريق كافر به .

(وَلَا تَشْتَرُوا بِلَيْاتِينَ نَمَنَا لَقِيلاً) الآيات : هي الدلائل اتى أَيد الله با نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ وأعظمها القرآن ؛ والثمن القليل : هو ما كان رؤساؤُهم من رجال الدين يحرصون عليه من الرياسة والمنافع المالية .

وإنما وصف الثمن بالقلة لأن كل ما عدا الحق قليل وحقير ، فإن مَنْ جَانَبَ عزة الحق ، خسر عقله ، وخسر منزلة الرضا عند ربه ، وآثر ما يفنى على ما يبتى ، وما أعظمها من خسارة !

(وَلِيَّاكَ فَاتَّقُونِ):أى لا تشقوا غضب رؤسائكم ومرؤوسيكم بدوامكم على الكفر ، ولكن إيانى وحدى فاتقون : بالإيمان واتباع المحق ، والإعراض عن متاع الدنيا .

٤٢ ــ (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقُّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ :

أى لا تخلطوا الحق الذى علمتسوه ، بالباطل الذى تىخترعونه وتكتبونه ، حتى يشتهه أولهما بالآخر ، أو : لا تنجعلوا الحق ملتبسًا على أتباعكم وخفيا عليهم ، بسبب الباطل الذى تكتمونه فى أثنائه ، أو تذكرونه فى تىأويله .

(وَتَكَثَّمُوا الْحَقُّ):معطوف على تلبسوا ، داخل معه تحت النهى السابق ، أى : لا تجمعوا بين الجريمتين ؛ لبس الحق بالباطل وكيانه ، فكل منهما كبيرة في الجر الم . (وَٱنْتُمْ تَشْمُونَ): أَى والحال أَنكم علون بالحق ، وليس لكم علر بالجهل . وما أَقبح صدور اللذب بمن يرنكبه وهو عالم 1

(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَٱرْكَمُواْ مَعَ ٱلرَّكِعِينَ ﴿).

القبرنات :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) : اجعارها قائمة باستكمال متطلباتها .

(و آنُوا الزُّكَاةَ) : أعطوها لمستحقيها .

(وَارْكُتُوامُمُ الرَّاكِيينَ): صلُّوا في جماعة .

التفسيي

٣٤ ــ (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَمُوا مَعَ الرَّاكِيمِينَ ﴾ :

بعد أن دعاهم الله إلا الإيمان بما أنزل على محمد ، أمرهم بالأعمال الصالحة ، فإن الإيمان كالأساس ، والعمل الصالح كالبــّناء عليه .

وذكر في الآية عملين من الأعمال الصالحة :

أولهما : الصلاة ، وهي عنوان العيادة البلغية ، ومعراج الأرواح للمناجين رسم. وهي عماد الدين .

والثانى : الزكاة ؛ وهى العبادة المالية ، وهى أثر من أجل آثار الإمان ، تعالج مرض الشح والبخل فى النفس ، وتحبر من أهم عوامل الإصلاح الاجتماعي ، وعنوان الشفقة من أشنياء المؤمنين على إخوانهم الفقراء والمساكين . واقتصر عليهما الأهميتهما بين أركان الإسلام .

و و أل ه في (الصَّلَاة) و (الزَّكَاة) للمهد . والممهود صلاة المسلمين وزكاتهم . أمر الله بهما اليهود ـ بعد أمرهم بالإيمان وصدم كهان المحق ـ ليجمعوا بين الإيمان والعمل العمال م

(وَارْكُوا مَعُ الرَّاكِيِينَ) : أَى صاوا مع الصلين جماعة ، فينها تفضل صلاة الفل بسبع وعشرين درجة ، لِما فيها من اجباع النفوس وتألف القلوب . والتعبير عن الصلاة بالركوع : احتراز عن صلاة البهود التي لا ركوع فيها ، وهو من إطلاق الجزء على الكل ، ويصح أن يكون المني : واخضعوا مع الخاضعين ، فإن من معانى الركوع : المغفوع ، قال الشاعر :

لا تحقرن الضميف علَّك أن تركم يوماً والدهر قد رفعه

(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالَّيِرِ وَتَنسَوْنَ أَنفُسُكُمْ وَأَنسُمْ تَنْلُونَ الْكَتَبُّ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوْ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةً
إِلَّا عَلَى الْخَنشِعِينَ ۞ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلْنَقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنْهُمْ
إِلَّا عَلَى الْخَنشِعِينَ ۞ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلْنَقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنْهُمْ
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞).

القبردات :

(بالبِرِّ) : بالتوسع في الخبر .

(الْكِتَابَ) : التوراة .

(لَكَبِيرَةً) : الثقيلة .

(الْخَاشِمِينَ) : الخاضمين . (بَظُنُونَ) : يعتقدون .

(مُلَاقُوا رَبِّهِمْ) في الآخرة لنيل ثوابه .

التفسير

٤٤ - (أَنَاأُمُرُونَ النَّاسِ بِالْبِرِّ . . .) الآية .

هذا نوبيخ من الله لبنى إسرائيل ، وتعجب من شأنهم ، والخطاب قيه ــ وإن كان خاصا جم فهو عام من حيث المعنى: يرادبه نوبيخ كل واعظ يأمر بالعنير ولا يأتمر ، ويزجر عن الشر ولا ينزجر . والبر : يتناول جميع أصناف الخير ، فيشمل عبادة الله ، والإحسان للأقارب والغرباء ، وغير ذلك .

والخطاب لعلماه اليهود ، فإنهم كانوا يتُعمّرون الناس بالخير ولا يفعلونه . ومن ذلك أنهم كانوا يتأمرون بالصدقة ولا يتصدقون .

(وَتَنسَونَ أَنفُسُكُمْ):النسيان ؛ السهو الحادث بعد العلم ، والمراد به هنا : الترك ؛ لأن أحدا لا ينسى نفسه ، بل يحرمها من البر ويتركها ، كما يتُوك الشي النسى ، مبالغة في الغفلة وعدم المبالاة بما ينبغي أن يفعله في حقها .

(وَأَنتُمُ تَتَّلُونَ الْكِتابَ):تقرعون التوراة وتدرسونها .

(آفَلَا تَعْقِلُونَ):هذا استنكار واستهجان لعدم تعقلهم ؛ إذ نصحوا سواهم وتركوا أنفسهم . والعقل فى الأصل : المنع والإمساك . سمى به النور الروسى ، اللدى به تعدك العلوم الفهرورية والنظرية ، لأنه بمسك النفس ، ويمنمها عن تعاطى ما يقبح ، ويعقلها على ما يحسن .

ومعنى الآية : لا ينبغى لكم با بنى إسرائيل ، أن تأمروا الناس بخصال المخير وتتركوا أنفسكم فلا تزكوها بصفات البر ، وأنم تتلون كتاب التوراة ، التى توجب البر على النفس ، (أَفَلَا تُمْقِلُونَ) قبح صنيمكم شرعا لمخالفته ما تتلونه فى التوراة ، ومقلا ؛ لأن تطويع النفس للبر والخير يجب عقلا أن يسبق تطويع الناس لهما ، فإن الناس لا يأخذون كرائم الأخلاق ، ولا يعملون با إلا إذا رأوا الدعاة إليها يعملون با قبل غيرهم ،

ه٤ ــ (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالمَّلَاةِ . . .) الآية .

لما أمرهم الله مسحانه وتعالى بترك الضلال والإضلال ، والتزام الشرائع ــ وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من مخالفة الطبع ، وحب الرياسة والجاه والمال ــ طلب منهم أن يستعينوا بالصبر والصلاة ، فإنهما كفيلان بتذليل الصعاب وإزالة العقبات التي تعترض في سبيل الهدى والبر المأمور جما .

والصير : ضبط النفس والسيطرة عليها ، بحيث تحتمل ما تكره انتظارًا للفرج ، وتمتنع عن لذائلها وشهواتها إن لم تكن من حقها . وهو صفة الصالحين ، فهم لا يقنطون من رحمة الله إذا مسهم البلاء ، ولا ينافعون في المحمية ، ولا ينافعون في المحمية ، ولا يطغون إذا مستهم النعماء . قال تعالى : ﴿ وَلَئِينُ أَنْفُنَا الإِنْسَانَ مِنا رَحْمَةً ثُمِّ مَرَّاءً مَنْسَدُهُ لَيَكُوسُ كَمُورٌ (٩) وَلَئِينُ أَنْفَنَاهُ نَمْمَاءَ بَهْدَ صَرَّاءً مَنْسَدُهُ لَيَكُوسُ لَهُورٌ (١٠) إلا اللّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً وَأَجْرُ رَاءً » إلا الذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً وَأَجْرُ رَاءً » إلا أَلْذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً وَأَجْرِ رَاءً » إلا أَلْذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً وَالْمَالِحَاتِ أُولَئِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً وَالْمَالِحَاتِ أُولَئِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً وَالْمَالِحَاتِ أَوْلِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً إِنَّانَا مِنْهُ إِلَيْنَا لَعْمَالِحَاتِ أُولِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً إِلَيْنَا مُنْهُ وَالْمِنْ الْمِنْ مَنْفَوْلَ المَّالِحَاتِ أُولِيكَ لَهُمْ مُنْفِرَةً الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ ال

ويحتمل أن المراد بالصلاة : معناها اللغوى ؛ وهو الدعاة ، فإنه من خير ما يستمان به .
والخطاب موجه إلى اليهود بعد دعوتهم إلى الإيمان والممل ألصالح ، ليجمعوا ــ إلى
الإيمان المطلوب ــ هذه العبادات . فكأنّه قيل : ولا تكتموا الحق ــ وهو نبوة محمد ــ
فأطنوه وآمنوا به ؛ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصلوا مع المصلين من المسلمين ، بعد
إيمانكم ، ولا تأمروا الناس بالبر على حين تهملون أنفسكم .

وأول خصال البر والخير هو الإيمان ، واستعينوا بالصبر والصلاة على الأَمر كله . وللخطاب صفة العموم في الحكم لجميع المسلمين أيضًا ، كما سيأتي .

(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةً):الفسير ق (إِنَّهَا) حالد إلى الصلاة ، أَى وإن الصلاة لتفيلة إلا على الخشين الخاضين بقلومهم لله ، أو حالد إلى جميع الأُمُور ؛ التي أمر بها بنو إسرائيل ، والتي بوا عنها ، في قوله تعالى : « يَا بَيْنَيَ إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا يِمْعَتِي التِّتِي أَنْعُسْتُ عَلَيْكُمْ ، الآيات .

⁽¹⁾ هوه . (٣) له من الآية : ١٢٢

ومعنى كونها كبيرة ؛ أنها صعبة (إلاَّ عَلَى الْخَاشِيين كنوهم للتواضعون الخاضعون بقلوبهم. وإنما لم تثقل عليهم لأتهم يرونها حقًّا لله ، ويتوقعون حسن الجزاء عليها ، فتهون عليهم . ولذا قيل : مَن عَرَف ما يطلب ، هان عليه ما يبغل ، ومن أيقن بالخلف ، جاد بالعطية .

والخشوع : حالة فى النفس ، تستتبع فى القلب النسليم للأحكام الله ، وفى الجوارح السكون والتواضع على الوجه اللاثق . والخشوع المتكلف ــ بالتباكى وطأطأة الرأس ــ ملموم شرعا . فهو من الرياء ؟ يفعله الجهال ؛ ليُروّا بعين البر والإجلال .

ولهذا قال عمر لشاب نكس رأسه : « يا هذا ، ارفع رأسك » فإن الخشوع لا يتريد على ما في القلب .

٤٦ ـ (الَّذِينَ يَظُنُّونَ . . .) الآبة .

الغن بمنا : بمنى العلم والشيقن ، ومنه قوله تعالى: و إلى طَنَسَتُ أَلَى مُلَاقِ صِنابِيهُ و"أَنَّ وَمَعل ملاقاة وقيل : الغن بمناه المعروف ، وهو إدراك الطرف الراجع ، على أن تجعل ملاقاة الرب مجازا عن الموت ، لأتهم يلقون يعده رجم ، ويكون المراد : وإنها لكبيرة إلا على المخاشمين اللين يتوقعون الموت في كل لحظة ، ويعلمون ما ورامه من البحث والحساب ، فهؤلاء لا يكون الصبر على الطامة وعلى ترك المعاصى كبيرة على تقوسهم ، كما لا تكون المعالى على معمية الله.

ويجوز أن تفسر ملاقاة الرب مملاقاة ثوابه ، وذلك مظنون فالواهد العابد ، لا يقطع بكونه ملاهيا ثواب الله . بل يظن ذلك ؛ ليحمله هذا الظن على كمال الخشوع . والأول أولى ؛ لقوله تعالى عقبه : (وَاتَّهُمْ إِلَيْهِ وَاجِسُونَ):أى ويعلمون أنهم إلى ربهم راجعون للحساب والجزاء ؛ فإن الإيمان بالبحث وما وراءه ، لا ينفع فيه الظن ، بمعناه للمروف ، إذ لا بد فيه من القطع واليقين ، الذي هو العلم .

وهذه الآيات الثلاث ــ وإن نزلت في علماء بنى إسرائيل ــ فالحكم فيها عام ، يشترك فيه علماة الإسلام ، ورجال جميع الديانات الساوية من قبل . فهو صدأ مقرر فيها ، فَمَن

r· : 첫째 œ나 (1)

أمرّ بالبر ، ينبغى له أن يسبق من يدعوه إليه ، فلا ينسى نفسه ويذكر الناس ، وعليه أن يستمين بالصبر والعملاة على قهر النفس وتطويعها للبر ، وعمل تحمل مشاق الحياة ومتاعبها ، فإلهما يمنحان النفس قوة الاحيّال ، ويسهلان لها صعاب الأُمور .

(يَكَنِيَ إِمْرَ ءِيلَ آذْكُرُواْ نِعْمَنِيَ آلَتِيَ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَلْمِينَ ﴿ وَآتَفُواْ يَوْمَا لَاَ تَجْزِى نَفْسُ عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَنعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلُ وَلَاهُمْ يُنصَرُونَ ﴿ ﴾ .

لقبردات

(يُعْمَتِينَ) : المراد بها ؛ جميع ما أنعم الله به عليهم .

(وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَبِينَ): أَى على عالمي زمانهم ، قبل أَن يضلوا ، وتنسخ شريعتهم بما بعدها .

(لَا تَجْزى نَعْسٌ عَن نَّفْس شَيْتًا): أَى لا تقضى عنها شيئًا من الحقوق .

(وَلاَ يُشْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ): أَى ترد شفاعة من يشفع لها ، لو فرض أنها وجدت شفيعًا .

(وَلَا هُمْ يُنْصَرُّونَ ﴾: أى ولا هم بمنعون من طاب الله لهم .

التفسير

لى هاتين الآيتين ، يذكر الله تمالى ، بنى إسراتيل بنصه التى أنعمها عليهم ، ويطلب منهم أن يقوا أنفسهم ويحموها من المقاب ، بالإيمان والعمل الصالح . ويخبرهم : أنهم إن جالوا بشفاعة شفيع ، فلن تقبل منهم ، أو أعطوا فلنية فلن توتحد منهم ، أو حاولوا الخلاص بالقهر ، فلن يتمكنوا منه . فلا منجاة من عذاب الله لمن يستحقه . وفيا يلى تفصيل ذلك :

٤٧ ــ (يَا بَنِيَ إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِيعِ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ . . .) الآية .

كرر نداءهم وتذكيرهم بنعمته عليهم ؛ للتوكيد وربط ما بعده .. من الوعيد الشديد .. بتجاهلها ، (وَأَلَّى فَشَّلْتُكُمْ عَلَى الْمَالَحِينَ):أَى فضلت آباءكم الذين كانوا قبل نسخ شريعتكم .

وإنما وجَّه الخطاب - بالتفضيل - إلى المعاصرين للشي-صلى الله عليه وسلم-باعتبار أن نعمة الآباء نعمة عليهم .

والمراد بالعالمين : ساثر الموجودين في وقت التفضيل .

وتفضيلهم عليهم ، إنما كان بما منحهم الله من النم ، المثنار إليها بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَرْمِهِ يَا قَوْمٍ إِذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَمَلَ فِيكُمْ أَفْنِينَةَ وَجَمَلَكُمُ مُلُوكًا ... ، ''ا. ولأبهم كانوا وقتشذ، أصحاب دين ساوى، وغيرهم كانوا يعبدون الأوثان . فلذا، فضاوا غيرهم.

ولا يفهم من الآية تفضيلهم على النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمته .

بل هو .. عليه السلام .. وأُمته أَفضل منهم .

قال تعالى . موجهًا كلامه لأمة محمد : «كَنِتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِّ ... ٢٠٠٠ .

٨٤ .. (وَاتَّفُوا يَوْمًا . . .) الآية .

المراد : من اتقاء اليوم ، اتقاء ما يحصل فيه من العقاب والشدائد ، بالإيمان والعمل الصالح .

(لاَ تَجْرِى نَفْسُ عَن نَفْسٍ شَيْمًا):أَى لا تقضى نفس عن نفس شيئًا من الحقوق في هذا اليوم . فالحقوق منوطة بأصحابها التزاماً وقضاء . تقول : جزى عنى هذا الأَمر ، أى قضاه عنى .

وقرأ أبو السهاك (لاَ تُحْرِينَ) من أجزأ عنه ، إذا أغنى . أى لا تغنى نفس عن نفس شيئًا ، من الإغناء ، ولا تجليها نفعًا .

⁽١) المائشة من الآية : ٢٠ (٢) آل عراد من الآية : ١١٠

وفى الآية من التهويل والإيذان بانقطاع المعلمع ما لا يخنى .

(وَلَا يُعْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةُ):الضمير فى (مِنْهَا) للنفس الثانية ، وهى الكافرة ؛ لأَنها أَقُرب مذكور ، وليوافق قوله بعد : (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) ولأَنه المتبادر من قوله : (وَلَا مُمْ يُنْصَرُونَ) ولأَنه المتبادر من قوله : (وَلَا يُوْخَدُ مِنْهَا عَدْلُ) أَى أَن النفس الكافرة ، لو استأذنت ربا فى شفاعة شفيع ، فإنه لا يجيبها إلى وضتها .

وقد استدل المعتزلة ــ بعموم الآية ــ على أنه لا شفاعة لأهل الكبائر . وهو مردود بما ورد فى الكتاب والسنة من قبول الشفاعة بإذن الله تعالى ، قال الله تعالى : ه... مَا مِن شُفيحِم إلاَّ مِن بُعْدٍ إِذْنِهِ ... هُ `` وقال تعالى : ه... وَلَا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنْ ارْتُضَى وَهُم مَّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ^(۱) إِلَى غِيرِ ذَلكِ مِن الآيات .

وقد ثبتت الشفاعة للمؤمنين المقصرين نصًا ، فيا رواه البخارى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – حيث قال : وأسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة ، من قال : لا إلَّه إلا الله ، خالصًا مخلصًا من قَلْمِهِ » وفى رواية : « مِن نَفْسِه » .

وفيها رواه أحمد والترملك وأبو داود والنسائى عن جابر ، والطبرانى عن ابن عباس ، عن النبي-صلى الله عليه وسلم -ـ : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمنى اإلى غيرذلك من الأحاديث .

وقد وردت أحاديث الشفاعة مطولة فى كتاب التوحيد من صحيح البخارى . وفى باب الإيمان فى صحيح مسلم وغيرهما .

قالمراد من قوله تعالى : « وَلاَ يُقْبِلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ اليهود ، فإن الخطاب معهم لردّهم عما يعتقدونه من شفاعة آبائهم الأنبياء لهم .

ومثلهم في حكمهم : جميع الكفار من النصاري والوثنيين ومن لا عقيدة لهم .

وإنما يقبل الله الشفاعة للمؤمنين المقصرين . رحمة بهم بسبب إعانهم اللدى خلطوه بعمل صالح وآخر سين وهؤلاه قد وعدهم الله بالنغران إن تابوا . قال تعالى : ه ... خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ صَيُّنًا صَمِي اللهُ أَن يَتُوبُ طَيْهِمْ ... ""

⁽¹⁾ يونس من الآية: ٣ (٢) الأتبياء من الآية: ٢٨

⁽٧) العبية من الآية: ١٠٧

والشفعاء الذين تقبل شفاعتهم بإذن الله ، هم : الأَّنبياء والملائكة والصالحون .

(وَلَا يُوْخَدُ مِنْهَا عَدْلًا): أَي فلية ، كما قال ابن عباس .

قال الآلومى : وأصل العدل ـ بفتح العين ـ ما يساوى الشيء قيمة وقدرًا . وإن لم يكن من جنسه ـ وبكسرها ـ المساوى فى الجنس والجرم . انتهى . مسيت به الفلية ؛ لأُمها تساوى الفدى وتجزئ عنه .

ومعنى الآية : أن النفس الكافرة إن جانت بشفاعة شفيع ، لم تقبل منها ، ولو أعطت فدية لم توُخط منها .

(وَكَلَا هُمْ يُسْمَنُرُونَ ﴾:النصر ؟ العون ، فالمغنى : ولا هم يعانون بالقوة حتى يفلتوا من العقاب ، فهم ونصراوُّم مقهورون مالملون تحت سلطانه تعالى .

وقد سدت الآية عليهم - بما تقدم - طرق الإفلات من المقاب ، إذ دلت على ألهم لا ينجون منه يشفاعة شفيع لهم ، ولا بفداه يقدمونه ، ولا بنصير يحميهم ويخلصهم من العذاب بقوته وجاهه .

(وَإِذْ نَجَيْنَكُم مِّرْ اللهِ فَرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوّة الْعَذَابُ يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَلِكُم بَلَا ۚ مِّن رَّتِكُمْ عَظِيمٌ ﴿ وَإِذْ فَرْفَنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَكُمْ وَأَغْرَفَنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿) .

القبردات :

(يَسُومُونَكُمْ سُوَّءَ الْعَلَىٰابِ):يوقعون بكم العذاب السيتىء .

(يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ):يبقونهن أحياء .

(بَلَاَّةُ):اختبار ، أو مشقة ومحنة .

(فَرَفَّنَا بِكُمُّ الْبَحْرَ):فصلناه .

التفسير

93... (وَإِذْ نَجِّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَّءَ الْمَذَابِ يُنَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَشْعَدُونَ نِسَاءَكُمْ رَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءً مِّن رَبِّكُمْ عَظِمٌ) :

أى واذكروا نعمتي ، وقت إنجائكم من علوكم فرعون ، في عهد موسى عليه السلام .

والحقيقة أن الإنجاء منه كان لآباء المخاطبين بها التذكير ، وهم من كانوا في عهد نبينا محمد .. صلى الله عليه وسلم .. من اليهود ولكنهم .. لما نجوا منه بإنجاء آبائهم .. اعتبر إنجاء آبائهم تعليهم . فلها ذخّرهم الله بها . وآل فرعون : أهله . والمراد : نجيئاكم من فرعون وآله ، وهم من ينسبون إليه والمراد : رعيته ، ويطلق على من يؤول إليك ؟ في قرابة أو رأى أو ملهب ، فأقد بدل من الواو كما قال يونس : ويخص .. في ظالب الاستعمال. بالإضافة إلى من له خطر وشأن ، ولا يضاف إلى مؤنث ، فلا يقال آل غرقة مثلا ، وقد يضاف إلى من لا خطر له كال الكوفة وقد لا يضاف إلى مؤنث ، فلا يقال آل

وفرعون : لقب لمن ملك مصر ، ككسرى لملك الفرس ، وقيصر لملك الروم ، وخاقان لملك التوك ، وتُبَّع لملك اليمن ، والنجاشي لملك المصِشة .

ویرجح بعض الباحثین : أن فرعون موسى هو منفتاح بن رمسیس الثانى ، ارتكازا على بعض عبارات مأثورة عثر عليها فى لوحة فى ۽ تل الممارنة ، حديثاً .

(يُسُومُونَكُمْ شُوَّ الْمَلَابِ) بمعنى : يبغونكم المداب ويطلبونه لكم . من : سامه خسفا . إذ أولاه ظلما . وسوه المداب : سيئه وأفظمه . وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أى يُليقونكم العداب السيَّمة الفظيع ، وهو ما في قوله تمالى : (يُلَبَّمُونَ أَبْنَاتَ كُمْ) فهو بدل من (يُسُومُونَكُمْ شُوَّ الْمَلَابِ) و (يُلَبَّمُونَكَ بالتشديد على التكثير . فقد كان فرمون يلبح الأطفال الذكور ، ويبقى البنات ، كما كان يقتل الرجال اللين يخاف منهم الخروج عليه ، والتجمع الإفساد أمره .

وقيل فى سبب ذلك : إن فرعون خاف من ذهاب ملكه على يد مولود من بنى إسرائيل ، ففعل ما فعل ، وكان أمرالله قدرا مقدورا ، وكان ــ هو ورعيته ــ إلى جانب ذلك يستخدونهم فى الأحمال الشاقة المهينة . (وَيَمْشَعْيُونَ نِسَآءَكُمْ):أى يستبقون بناتكم - يا بني إسرائيل - أحياء لخدمتهم .

(وَفِى ذَٰلِكُم بَلَاءً مِّن رَّبِكُمْ):الإشارة راجعة إلى التلبيح والاستحياء ، أو إلى الاتجاء أو إلى الجميع ، فإن البلاء : الاختبار . وهو يكون بالضار ليصبروا ، وبالسار ليشكروا ، وبهما جميعا ليشكروا على السار ويصبروا على الضار .

ولا تخلو اختباراته تعالى وبلاؤه لعباده من حِكم. (مِن رُبَّكُمُ):أى من مالك أمووكم . اللَّى يبلوكم بالشر والخير فتنة واستحانا ؛ ليثيب من شَكر على السراه . ويحرم الثواب من لم يصبر على الفسراه .

والإشارة إلى المخاطبين فى عهد محمد—صلى الله عليه وسلم - لأن ما أصاب آياتهم، فكأنما أصابهم ، (عَظِيمُ):صفة ، وتنكير (يَلاَءُ عَظِيمٌ):التفخيم .

٥٠ - (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ . . .) الآية .

هلمه نعمة أخرى غير ما تقدم (فَرَقْنَا بِكُمُّ الْبَحْرَ)وَفَصَلنا بين مياهه ، حتى صارت فيه مسالك لكم . والبائد في (بِكُمْ) بمغى اللام ، أى فرقنا لأَجلكم البحر لكى ننجيكم من فرعون وقومه ، وتلك نعمة كبرى ، تقتضى منهم مزيد الشكر عليها ؟ بالإيمان والعمل الصالح .

وقيل : الباءُ للملابسة أي فرقنا البحر حال كونه ملتبسا بكم .

والبحر كما قبل : هو بحر القلزم ، ويطلق على الذي ماؤه ملح والذي ماؤه علب ، ومنه . قوله تمالى : و مَرَج بُ الْبَحْرِيْنِ يَلْتَقِيَاتِ * 10 .

(مَأْلَمَيْنَاكُمْ وَأَغْرَفَنَا آلَ فِرْعُونَ) فى الكلام مُقَدَّرُ : يلك عليه ما عرف من القصة فى نواسى القرآن . وحلف ما يعلم جائز وبليغ . واتققير : وإذ فرقنا بكم البحر وتبعكم فرعون وجنوده ، فأنجيناكم من الغرق ، ومن إدراك فرعون وآله لكم ، وبما تكرعون ، إذ تحرجناكم منه سالمين ، وأغرقنا أعداءكم : فرعون وآله من القواد والجنود اللين تبعوكم (وأَثْمَّمُ تَنظُرُونَ):أى تنظرون جميع ما مر ، وفي ذلك تقرير و للنمة ، عليهم ، والخطاب لماصرى الذي حصل الله عليه وسلم - باعتبار أنهم أيناء مَنْ صنع الله جم هذه النعمة الكبرى .

⁽١) الرحمن الآية : ١٩

وهذه الواقعة ، من الآيات الملجئة إلى العلم ؛ يوجود الصانع الحكيم ، وتصديق موسى .
عليه السلام ، ولكنهم كفروها إذ عبدوا العجل بعدها ، وقالوا : ه... لَنْ نَوْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً... ه ('' وغير ذلك من سيئاتهم فلا غرابة في أن يكفر معاصروهم للنبي محمد الله عليه . عليه وسلم _ برسالته ومعجزاته . فالجحود فيهم مرض قليم .

(وَإِذْ وَعَدْنَا مُومَى أَرْبَعِينَ لَيْسَلَةً ثُمُّ اتَّخَذْتُمُ ٱلْعِبْلَ مِنَ بَعْدِهِ ء وَأَنتُمْ ظَلِمُونَ ﴿ ثُمُّ عَفُونَا عَنكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿).

الأسردات :

(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُومَئِنَ أَرْبَصِينَ لَيْلَةً): أعطيناه موعدا أن ننزل التوراة عليه بعد أوبعين ليلة .

(اتَّخَذْنُهُ الْمِجْلَ) : أَي جعلتموه إلْها .

(مِن بُعْدِهِ) : أَى من بعد موسى . والمقصود : من بعد مضيه لتلثى التوراة .

(ثُمُّ عَفَوْناً عَنكُم) : أي حين تبتم .

(مَن بَعْدِ خُلِك): من بعد الاتخاذ .

التفسير

٥١ - (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَصِينَ لَيْلَةً . . .) الآية .

فى هذه الآية : إنحام آخر على بنى إسرائيل ، يعد ما جاوزوا البحر . فقد وحد الله موسى – عليه السلام – أن يعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ، وقبل موسى ، فالمواعدة – على هذا – من الجانبين . فهى من الله وعد ، ومن موسى عليه السلام ، قبول . على حد قول الطبيب : عالجت المريض ، فالمالجة من الطبيب قعل ومن المريض قبول .

⁽١) البقرة – من الآية : ٥٥

ويجوز أن تكون المفاعلة على غير بابها ، فتكون المواعدة بمنى الوعد من جانب واحد ، وذلك مألوف فى كلام العرب مثل : عاقبت الإلص وشاهدت المحديقة ، فتكون المواعدة من الله خاصة لموسى ، إذ همى بمغى : وعدنا موسى .

وثلل له قراءة أبي عمرو (وَعَلَمْنَا) .

ويجوز أن يكون واعدنا بمشى : وافينا ، أى : وافيناه بالتوراة بعد أربعين ليلة . وموسى : اسم أعجمي لكلم الله ، الذي يعثه لبني إسراليل ، وهو منهم .

وتعبير الله عن ميقانه بقوله : (أَرْبَكِينَ كَيْلَةً) إِمَا لأَن افتتاح الميقات كان من الليل ، أو لأن الأشهر القمرية تعرف بالهلال ، والهلال يرى ليلا . وأكبر توقيتات القرآن بالليل .

(ثُمَّ اتَّخَلَتُمُ الْمِجْلَ مِن بَعْدِيهِ): أَى صنحتموه من ذهب على شمكل العجل ، أوجعلتموه إلها .

وعلى المغنى الأول : يتعدى إلى مفعول واحد وهو العجل .

وعلى الثانى : يتعلى إلى مفعولين والثانى محفوف تقديره و إلها ، وهو القصود . فكلهم عبدوه ، إلا هارون وقلة معه ، أو إلا هارون والسيمين اللين كانوا مع موسى عليه السلام فى ميقات ربه . والعرب تلم أو تمدح القبيلة بما صدر عن بعضها . والعجل: ولد البقرة الصغير . وقد رأى السامرى ـ عند بنى إسرائيل ـ رضة جامحة فى عبادة العجل ، كما كانوا يفعلون بمسر فى عهد الفراعنة ، إذ كانوا يعبدون معهم السجل (أبيس) فاتحظ من المُحلى تمثالا على صورة العجل ، وجمسه وقضعه فى مستقبل الربح ، فإذا دخلته أحدثت صوتا كخوار العجل ، فعبدوه لهذا .

وفى الآية تسرية عن النبي .. صلى الله عليه وسلم .. لما كان يشاهد من جحودهم ؟ لنبوته وللكتاب الذي أنزل عليه ، وإيذان بأن عليه أن يصبر كما صبر موسى فى هذه الواقعة ، فإن بني إسرائيل .. بعد أن خلصهم الله من فرعون ، وأداهم المعجزات السجيبة من أول ظهور موسى إلى ذلك الوقت .. اختروا بتلك الشبهة الواهنة التي لا تقتضى ألوهية السجل ، فعبلوه . ثم إن موسى.. إذا كان قد صبر على ذلك .. قلاَّن يصبر محمد .. صلى الله عليه وسلم... على أذى قومه أولى ؛ لأنه سيد أولى العزم .

(وَأَنْشُمْ ظَالِكُونَ) : أَى في إِشراككم ، إذرضهم العبادة في غير موضعها ، وعرضم أنفسكم بذلك لعقاب الله .

والظلم لفة : وضع الشيء في غير موضعه ومجاوزة الحد . والجملة حال أو تذبيل ؛ لإفادة أنهم قوم عادتهم الظلم ، وقد أكد تمكن الظلم منهم ، بالجملة الاسمية المفيدة للاستمرار .

وفى الآية تنبيه إلى أن ضرر الكفر لا يعود إلا عليهم ؛ لأتهم ما استفادوا بذلك إلا أنهم ظلموا أنفسهم بتعريضها للمقاب .

٥٧ - (ثُمَّ عَمَوْنَا عَنكُم مَّن بَعْدِ ذَلِكَ . . .) الآية .

العفو لغة : المحو والإزالة . والمراد به هنا:غفران ذنيهم ، وشركهم بعبادة العجل ، بعد توبشهم منه .

والتعبير بلفظ (ثُمَّ) للإيذان بالتفاوت الكبير بين إشراكهم القبيح ، وبين لطقه تعالى ؛ بالعفو صهم لما تابوا .

والمعنى : ثم محونا عنكم عقوبتكم على اتخاذكم العجل إلها ، بعد توبتكم منه .

(لَمَلَّكُمُّ تَشْكُرُونَ):لمل هنا للتعليل ، أَى : لكى تشكروا نممة عفوه تعالى ، بالاستمرار على طاهته ، والعدول عن معصيته .

(وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَلْبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ().

الفرنات :

(إذْ) : ظرف للوقت الماضي .

(ءَاتَيْناً): أعطينا .

(الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ) : أَى النوراة الجامعة بين كونها كتابا ، وكونها فارقة **بين الحق** والياطل .

التفسير

٥٥ - (وَإِذْ آ تَيْنَا مُومَى الْكِتَابَ وَالْفُرُقانَ لَمَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) :

هلما هو الإنمام الرابع على بنى إسرائيل . والمراد بالكتاب والفرقان : الدوراة ، فهي جامعة بين كونها كتابا سهاريا وفارقة بين الحق والباطل ، والعطف لتغاير العنوان ، وذلك على حد قوله تعالى : وكَلَّذُ آكَيْنًا مُوسَى وكَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذَكِرًا ... والله .. والمراد بالكتاب : التوراة . وبالفرقان : معجزات مومى عليه السلام ، لأنها فرقت بين المحق والباطل ، أو النصر على فرعون وقومه بإغراقهم . فهو فارق بينهم وبين بنى إسرائيل ، كما سمى يوم بدر : يوم الفرقان .

والمدنى : ولقد آتينا موسى التوراة وما يفرق بين الحق والباطل ، لكي ستدى بذلك بنو إسرائيل إلى الحق ، ويرجعوا حما هم فيه من ضلالة .

(وإذْ قَالَ مُومَى لِقُومِهِ يَنقَوْم إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِالْخَاذِكُمُ الْمِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَبْرٌ لَكُمْ عِندَ بَارِيكُمْ فَعَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞).

القبرنات :

(بِاتَّخَاذِكُمُ الْبِجْلَ) : أَى بِعِادة تَمثال السجل .

(بَارِئِكُمْ): خالقكم .

﴿ فَاقَتْلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ ﴾ : فاصنعوا بها ما يشبه القتل ، وهو الحسرة والندم واللوم الشديد .

(فَتَابُ عَلَيْكُمْ): فقبل توبتكم .

⁽¹⁾ الأنبياء - من الآية : ٨٤

التقسير

٥٠- (وَإِذْ قَالَ مُومَى لِفَوْهِ يَاقَوْم إِنْكُمْ ظَلَشْمْ أَنفُسَكُم بِاتَّخَاذِكُمُ الْهِجْلَ تَشْوَبُونَ إِلَى بَارِئِكُمْ وَعَلَمْ مَا فَتَالُونَ النَّهُ مُو النَّوّابُ أَلَى بَارِئِكُمْ ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوّابُ الرَّحِمُ) :

بين الله في هذه الآية ؛ طريقة توبة اليهود من عبادة العجل ، التي استعقبت العفو عنهم .

وللمنى : واذكر يا محمد ، لمناصريك من اليهود ، فضل الله عليهم ، إذ أمر نبيه موسى فقال الآبائهم : يا قوم ، إنكم ظلم أنفسكم ، إذ مرضتموها لمقاب الله باتخاذكم السجل إلها ، فعيدتم تمثالا ؛ تقربا إليه ، مع أنه حكَّصله حمفاوق الله ، ولا قدرة له على شيء في نفسه ولا غيرة ، فتوبوا إلى الله الذي خلفكم وسوّاكم في أحسن تقويم ، فأهلكُوا أنفسكم بالندم على هذه الجريمة ، والإقبال على الطاعة له تمالى . ذلكم عيد لكم عند خافقكم في الآخرة ، لما فيه من عظيم الثواب والبعد عن شديد الحقاب . إنه ـ تمالى ـ هو الله يقبل الثوية كثيرًا عن عباده ، البليغ الرحمة به .

مباحث الآية

١ - (تَقُويُوا إِلَى بَارِيكُم ؟: الباريء ؟ هو الذي خلق الخلق بريعًا من التفاوت . قال الله تعلق الله على ا

وصدق الله تعالى إذ يقول في سورة (التين) : و لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَخْسَرِ تَقْوِيمٍ ،

⁽١) الله - من الآلةِ : ٣

وق ذكر: البارىء ق هذا القام ، تقريع لهم عا كان منهم ؟ من ترك عبادة الله الله برآهم يلطيف حكمته ، إلى عبادة مالايقدر على شيء ، وهو مثل في النباوة والبلادة .. والقاء هنا . تفيد تسبب الأمر بالتوبة على اتخاذهم العجل .

٢ - (فَاتَّتَكُوا أَنفُسَكُم): المتبادر من القتل ؛ إزهاق الروح ، فإن كانت توبتهم هي
 القتل ، فالمراديقوله تعلى: (فَتُربُوا) : اعزموا على التوبة ، هذا إذا كانت الفائد للتنقيب .

فإن كانت تفسيرية . فالتوبة على أصل معناها ، والقتل تفسير لها ، كما قبل في قوله تعالى : « فَانتَشَمْنَا مَنْهُمْ فَأَفْرَكْمَنَّاهُمْ فِي الْبَحِّ . . . (١) .

وإن كانت توبتهم هي الثدم الممبر عنه بالقتل مبالغة ، فعطف القتل على التوبة للتفسير ، ولا إشكال فيه .

وكثير من الفسرين ـ سِلفًا وخلفًا ـ على أن الفتل حقيقي .

قال سفيان بن عيينة : كانت توبة بني إسرائيل القتل .

وقال الزهرى : لما قبل لهم : (فَتُوبُوٓ إلى بَارِتَكُمْ فَاقْتُلُوّا أَنفُسَكُمْ) قاموا صفين . وقتل بعضهم بعضًا حتى قبل لهم : كفوا ، فكان ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحي اه .

ورُوِيَ: أَنه أمر من لم يعبد المجل أن يقتل من عبده .

قيل: كانت جملة القتل سبعين ألفا. وبتمامها نزلت التوبة وسقطت الشَّفَارُ من أيسيم. ونظرًا لأَنه لم يأت نص يعول عليه في السنة ، يشتضى أن القتل حقيقي، ، فقد جنح بعض العلماء إلى أن المراد بالآية: اجعلوا أنفسكم كالمقتولة: عزيد الفهو التدم والإذلال.

وقدورد استعمال القتل في غير حقيقته في اللغة والسنة .

ومما وردق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: 3 إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخير منهما في. أي أسلله ا دعوته كمن مات .. ا ه من لسان العرب .

وقد صدّر أبو المسود والبيضاوى تفسير الآية بهذا المنى المجازى ، فقال كلاهما: (فَاقَتْلُورَا أَنْفُسَكُمْ): إنماما لتويتكم بالبيخم (٢٦ أوقطم الشهوات ١ ه .

⁽١) الأعراف سن الآية: ١٣١ (٢) البنم: قتل أناس فتا اه من أقتاس م

ومن الحكم : من لم يعلب نفسه لم ينعمها ، ومن لم يُقتلها لم يُحيها . ذكره البيضاوي ف تفسير الآية .

وأنكر القاضى عبد الجبار ، أن يكون الله تعالى قد أمر بنى إسرائيل بفتل أنفسهم ، إذ الأمر لمسلحة المكلف ، وليس بعد القتل حال تكليف ليكون فيه مصلحة .

وقراً قتادة (فَأَقِيلُوا أَنفُسَكُمُ):بالياء بدل التاه . والمعنى : إِن أَنفسكم تورطت في هلما اللنب العظيم ، وفعلت مايهاكها ، فأقياوها وارفعوها من هذه الورطة ؟بالتوبة والتزام الطاعة . وهذه القراءة تزكى العني الثاني لقتل النفس المطالب منهم .

٣ _ (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِندَ بَارِتِكُمْ) جملة معترضة : للتحريض على النوبة . يعنى أن قتلهم الأنفسهم بالندم على عبادة العجل .. خير لهم من بقائهم على عبادته ، كما يترتب عليه من العذاب والهلاك المدائم . وكرر كلمة البارىء ، اعتناء بالحث على التسليم لما أمَرَ به ، وتَلَقَّى مايرد من قبله بالقبول والامتثال .

إن كَتَابَ عَلَيْكُمْ) إن كان خطابا من الله لهم ، فهو معطوف على محدوف ، وكأنه
 قال : فقمائه ما أمركم به ، فتاب عليكم بارتكم .

وإن كان كلام موسى ، فهو جواب شرط تقديره : إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم . وإنما لم يقل : فتاب عليهم ؛ ليعود الفسير على القوم أسلافهم ؛ لأن هده نعمة أريد بها تذكير المخاطبين في عهده صلى الله عليه وسلم . لا أسلافهم . فالتعمة على الآباء نعمة على الذرية .

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَدُمُومَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَقَّى نَرَى اللَّهَ جَهَـرَةُ قَأْخَذَتْكُمُ الصَّنِعِقَةُ وَأَنْمُ تَنظُرُونَ ﴿ ثُمَّ بَعَثَنْكُم مِّنَ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿).

الفسردات :

(لَن نُوْمِنَ لَكَ): (الن » ؛ لنفى الفحل فى المستقبل ، ولا تفيد تـأكيدًا ولا تـأبيدًا، خلاقًا للزمخشرى ، حكاه صاحبالقاموس. والإيمان : التصديق الجازم . (جَهْرَةً): هي في الأصل مصدر جهرت بالقول ، استميرت للمعاينة ، لتشابههما في الوضوح والانكشاف .

(فَأَخَلَنَكُمُ الصَّاعِقَةُ) : هي نار جانتهم من ناحية السماء فأَحرقتهم .ومن معانيها : الموت وكل عذاب مهلك .

التفسير

٥٥ - (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن تُوْسِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهُ جَهْرَةٌ فَأَعَلَتَكُمُ الشَّاعِقَةُ وَأَنشُمْ
 تنظرون) :

أضفى الله تعالى على بهي إسرائيل الآلاء السابقة ، وقابلوها بالكفر ، حتى هيدوا العجل. ودعاهم إلى التوبة ، بالندم وكف نفوسهم عن أهوائها وشهواتها ، فلما تابوا قبل توبتهم . ومحسوا ومع كثرة البينات المتوالية التي قدمها موسى بإذن من الله تعالى ، تفننوا في الطلب ، وحسبوا أن الله تعالى ومكان وله حيز ، بحيث يمكن أن يهروه جهرة في الدنيا ، فقالوا لن نؤمن لك حيى لوي الله جهرة : أيمماينة .

فالآية سيفت؛ لبيان تعنتهم في طلب الآيات، وتأثرهم بما قاله سيدهم فرهون مصر لهامان: • ... يَاهَامَانُ ابْنِي لِ صَرْحًا لَكُنِّى آبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ مَا َطُلِعَ إِلَّ آلِكُ مُوسَى وَإِنِّى لَأَظُنُهُ كَاذِيْهِ وَكَذَلِكَ زُبُّنَ لِفِرْعُونَ سُوّةً عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعُونَ إِلَّا فِي تَبَاسِدُ اللهِ . • .

وفي ذلك عبرة وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ، فيما يلقاه من تعنتهم .

والمعنى : واذكروا أمها البهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم ، إذقال أجدادكم لموسى عليه السلام : (لَنَ نُوْمِنَ لَكَ َ . . .) أى لن نسلم لك ... مصدقين مذعنين راضين مطمئنين ... (حَمَّى نَرَى اللهُ مَجْهُرَةً) : أَى حَتى نراه مشاهدة وعيانا .

أو الجهرة صفة لخطامم ، كما روى عن ابن عباس .

⁽١) فافر _ من الآية ٢٦ والآية ٢٧

والمعنى على الرأى النانى : وإذْ قلتم - جهرة وعلاتية غير مبالين - ياموسى ، لن نوَّمَن من أُجل قولك ، حتى نرى الله بأُصيننا .

(قَأَعَنْكُمُ الشَّاهِقَةُ): استولت عليكم وأهلكتكم، لفرط عنادكم وطلبكم المستحيل. والصاحقة: الوت ، أو نار مقطت عليهم من السماء.

(وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) : أَى تنظرون إليها ، وهي تصيبكم وتباشر إهلاككم .

٥٥- (ثُم بَتَطْنَاكُم مِّن يَعْدِ مَوْتِكُمْ . . .) الآية .

(مِن بَقْدِ مَوْدِكُمْ) بالصاحقة ، وكان ذلك بدعاه موسى عليه السلام ، ومناشدته ربه يعدأن ألحاق .

والموت هذا ، ظاهر في مفارقة الروح الجسد بقريئة ذكر البحث معه .

والرادمن البعث على هذا ، إعادة النشاط والصحو لهم .

وقال آخر : موجم ؛ هو جهلهم الذي كانوا فيه . وبعثهم : تعلمهم أحكام التوراة : ومن هذا المدني قوله تعالى : « أَوَ مَن كَانَ مَيْنًا فَأَخْيَيْنَاهُ . . . ؟ ⁽¹⁾ وقول الشاعر :

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يُظَنُّ من الأحياء وهو عليم (لَمَكُمْ تَشْكُرُونَ): أَى لكى تشكروا نعمته تعالى ببحثكم بعد الموت ، أو جميع نعمه بعدما كفرتموها .

والمراد من شكرهم له تمالى : مايمم قيامهم بما كلفوا به ، وتركهم لما نهوا عنه قبل موجم بالصاعقة ؛ قان الله بعد موجم - بعثهم ليشكروه تعالى : بالعمل بما شرعه لهم قبل صعفهم ، حتى تغفر لهم جرائمهم .

فلفظ الشكر: يتناول جميعالطاعات، لقوله تعالى: « ... اعْمَلُوا TJ دَاوُدَ شُكْرًا... (٣)

⁽١) ليراهيم - من الآية : ١٧

⁽٧) الأنسام - من الآية : ١٢٢

⁽٢) سيا-س الآية : ١٢ .

(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغُمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلُوئَ كُلُواْ مِن طَيِّبُتِ مَا رَزَقَنْكُمُّ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَنكِن كَانُواۤ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞).

القسردات :

(الْفَمَامَ) : السحاب . واحده غمامة ، كسحابة . سمى به : لأنه يغم وجه السماء ، أييستره .

(الْمَنَّ) : المشهور ، أنه الترنجيين. وهو شيء يشبه الصمغ : حلو مَشوب يحموضة. (وَالسَّلْوَى) : طالريشبه السمائي ، أوهو السمائي بعيشها.

التفسسر

٧٥ – (وَطَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامُ وَالْوَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيَّبَاتِ مَارَوْقَنَاكُمْ وَمَا ظَلْسُونَا وَلَنْكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِينُونَ ﴾ :

هذه الآية تتضمن الإنمام السابع على بنى إسرائيل ، وهى معطوفة على (بَكَنْنَاكُم) مؤذنة بـأَن الإظلال بالغمام ، كان بعد البعث ، ولم يكن قبل الصعق ، فإنهما جميعا معطوفان بلفظ (ثُمَّ) على مقبلهما ، وهو أخذتكم الصاعقة ، و (ثُمَّ) : تفيد الترتيب على ماسبقها .

والمعنى : وجعلنا الغمام يظلكم ، بعدالبعث ، ويرد عنكم حر الشمس في التيه .

(وَأَدْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى) المن هو كما سبق - صمعة حاوة فيها بعض الحموضة ، وكان ينزل عليهم كالندى ، من الفجر إلى طلوع الشمس . وقيل : هو ما مَنَّ الله به عليهم من غير تعب ولا زرع . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم : ه الكمأة من المني أمرز الله أمرز الله أمرز الله على بفي إسرائيل ، أى : بعض المسائى أنزل الله على بفي إسرائيل ، أى : بعض السمائى أو طائر صغير يشبهها . وكانت تأميهم بُكْرَةً وعشية فيختارون سِمانَها ويَدَعُون فيرها .

(كُلُوا مِن طَبَّبَاتِ مَارَزَقَنَاكُمْ): المراد من طيبات الأَرزاق: مستلفاتها . وفي الكلام قول مقفو . أي : وقلنا لهم : كلوا .

(وَمَا ظَلَمُونَا) بتركهم لشكرنا ، وإقبالهم على معصيننا ، واقتراحهم أَدَى الأَرْزَاق وهو الفهم والمدس والبصل ، بدلاً من خيرها وهو المن والسلوى (وَلَكُونَ كَاتُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ): أَى ولكن كانُوا المقلون موى أَنفسهم ، بتعريضها للمقاب والحرمان ، دون أَن يعود تهى عن ظلمهم و آثاره على الله ، والتجير بجملة (كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) : يشير إلى أَن الظلم لأَنفسهم كانخلَّة قدعا فيهم ، وأنهم مستمرون عليه .

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَنذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِنْتُمْ رَغَدُا وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَيَنكُمُّ وَسَنزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ فَبَدَّلَ اللَّهِ يَنَ ظَلَمُواْ قَرْلًا غَبْرَ اللَّهِ مَا كَانُواْ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا حَلَى اللَّهِ يَنَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَغْسُفُونَ ﴿ ﴾ .

القبريات :

(القَرَيَةُ): المدينة من قريتُ إذا جمعتُ ، مسيت بذلك الأنها تجمع الناس ، وقيل : القرية: مسكن القلة من الناس . والمدينة: مسكن الكثرة منهم . والمشهور عن ابن عباس وغيره : أنها بهت القدس.

(رَخُدًا) : واسما هنيثا .

(حِلَّةً) : أَيْ حَلَّ للنوينا وظفرانٌ لها .

(رَجْزًا): أَى عَدَابًا ﴾ وراؤه مثلثة. لغة .

التفسير

٨٥ - (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَلْيِهِ الْقَرْيَةَ . . .) الآية .

الظاهر أن الأمر كان على لسان موسى ، وهو كالأوامر السابقة واللاحقة . والقرية على الشهور : هى بيت المقدس أو أربحا ، ولكنا لم نجد دليلا يؤيد هذا القول المشهور ، والأمر للإبهاحة ، بدليل عطف (فكُلُوا مِنْهَا) عليه ، فإن الأمر بالأكل للإباحة ، وهو غير الأمر المذكور في قوله تعالى : و يا قَوْم الْخُمُوا الأَرْضَ الْمُقَاسَّة النّي كَتَبَ الله لَكُمْ ... ، (١) ، فإنه للإبجاب . بدليل عطف النبي عليه في قوله : و ولا تَرْتَدُوا عَلَ أَجْبَارِكُمْ تَنْتَفَلِيوا خَاسِرِينَ ، ه فإن النبي فيه للتحريم وقد عوقب عام ، وأمر الإباحة هنا مؤخر عن أمر التكليف في قوله : و ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَلَسَة ، أن يتيهوا أربعين عاما ، وأمر الإباحة هنا مؤخر عن أمر التكليف في قوله :

(فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِتْتُمْ رَعَدًا): أى فكاو امنها فى أى مكان شئتم أكلاواساً: لا يقتصر على سد الجرع ، وهذه نعمة كبرى ، أنعم الله با عليهم ، بعد خروجهم من التيه : حيث أمرهم أن يدخلوا قرية ذات زروع وثمار ، وأباح لهم أن يأكلوا من طبياتها .. حيث شاقوا .. أكلا واسعًا هنيئاً ، بعد أن كانوا حيارى فى التيه : مقصورين فيه على لون واحد من الطمام . وقد أمرهم الله أن يدخلوها من بابها فقال : (وَادْعُلُوا الْبَابَ سُجَدًا) متطامنين خاشعين : شكرًا لله تعالى على إخراجكم من التيه ، والإتمام عليكم بالاسترزاق فى هذه القرية .

كما أمرهم أن يسألوه تمالى: العفو عن ذنوبهم الماضية فقال لهم: (وكُولُوا وَهُمَّ) أَى حِلَّةً منك با أَلَّهُ لخطابانا وغفرانَّ للنوبنا. ووعدهم الله أن يستجيب دهامهم واستفاوهم عن خطاياهم فقال: (نَغفرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ): نستر لكم سيئاتكم السابقة ، فلا تعاقبكم عليها (وَسَنزيدُ النَّمْسِينِينَ): ثوابًا عليها (سَنزيدُ النَّمْسِينِينَ): ثوابًا عليها (مَتَنفُوهم : حَلَّقَ ، اللهيد لللهم لم يستجيبوا (فَيَنلُ اللَّذِينَ ظَلَمُوا) بما أمروا به وهو قولهم : حقاة ، المهيد للله حَلْد ننوبهم وغفرانها (فَيَلا لَهُمْ) ليس فيه خضوع واستغفار للنوبهم إعراضا وعنادًا منهم لربهم (فأنزلُنَا عَلَى النَّذِينَ ظَلْمُوا رِجْزًا مَنَ السَّماة بِمَا كَانُوا يَعْسَعُونَ): أَى فأقرلنا عليهم للهمم .. عنابًا من السماء ، يسبب مااستمروا عليه من الفسق المتجدد ، والخروج عن الطاعة آنا فاتًا .

وظاهر قوله تعالى: (فَبَدَّلُ الَّهِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) أَنهم لم يشتر كوا جميمًا في تبديل ماقيل لهم ، بل اللين بعلوا هم اللين ظلموا .

⁽١) الثالثة – من الآية : ٢١

وعلى هذا فإن النص يفيد: أن مَن دخل القرية قسمان: قسم أطاع ولم يبدل ، وقسم عصى وبلك. فيدلاً من أن يدخلوا خاضمين خاتفين متواضعين ، دخلوا مستكبرين. وبدلاً من أن يدخلوا حط اللذوب وغفرانها ، لم يحترفوا بذنوجه ولم يستنفروا الله منها ، يل قالوا ما يخالف ذلك ؛ استهزاء كما كلفوا به ، فاستحقوا أن ينزل الله عليهم من السماء رجوًا أى عذاباً ، يسبب فسقهم وفساد سرهم وطلاتيتهم .

ويصح أن يكون التبديل وقع منهم جميعًا ، وأن المنى : فبدلوا ــ جميعًا ــ قولا غير الذي قبل لهم ؛ لطلمهم .

(وَإِذِ اسْتَشْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَرْمِهِ فَقُلْنَا اشْرِب تِمَصَاكَ الْحَجَرُّ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ الْنَنَا عَشْرَةً عَيْنًا ۚ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمُّ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَمْنَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞).

القبردات

(اسْتَسْقَى مُومَى) : طلب السُّقيا من الله .

(افْرِب بَّعَمَاكَ الْحَجَرَ): المرادبالعما هنا ؛ آية موسى ، وهي المسئول عنها يقوله تعالى : و وَمَا تِلْكُ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ، والمرادبالحجر ، أي حجر ، وليس حجرًا بعينه .

(فَاتفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَثْرَةَ عَيْنًا) : أَى فخرجت منه بقوة بعد انصداعه هذه العيون .

(كُلُّ أَنَاسٍ) : أناس ؛ جمع لا واحدله من لفظه ، وتحلف همزته مع أل . والمراد بهم : السيط من أولاد يعقوب ؛ أى كان سيط .

(مَشْرَبَهُمْ) : أَي موضع شربهم .

(وَلاَ تَخَوُا) : العثو عند يعض المحققين ؛ مجاوزة الحدمطلقًا ، فسادًا أَو غيره ، ثـم غلب. في القساد .

التفسير

٦٠ (وَإِذِ السَّسْقَلَى مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا الْسَرِب بُعَصَاكَ الْعَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ النَّنَا عَشْرَةَ عَنْكًا . . .) الآية .

كلمة (إذ) تكررت خمس عشرة مرة ، في القصص الخاصة ببني إسرائيل .

وهي فى اللغة : لمطلق النظرفية فى الزمن الماضى . وهى على تقدير : اذكر : والمراد من ذكر الوقت فيها : تذكر ماوقع فيه من النحم والحوادث ، لعل ذلك يفيدهم العبرة ، وبهيئة نفوسهم للنوبة والاستجابة لأمر الله .

ولم يعن القرآن بالترتيب الزمني ف ذكر قصصهم ، لأنه ليس له دخل في تصحيح عقائدهم وأعمالهم . والذي له دخل في ذلك ، هو تذكر النعم التي أنعم الله با عليهم ، والعقوبات والحوادث التي حلت بهم في أي زمان ، فإن لهم - في تذكر ذلك - أعظم العبر ، التي يجب أن تردهم إلى رشدهم ، وتكفهم عن التمادي في طغيانهم .

وقد سيقت هذه الآية ؛ لبيان حال من أحوال بنى إسرائيل فى هجرتهم . وكانوا قد أصلهم فى التبيه عطش شديد ، فاستفاث موسى بربه ، وطلب منه أن يسقى قومه حنى لايموتوا عطشا وذلك قوله تعالى : (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ) : أَى دعا ربه ، أَنْ بِهِي ُ لهم وسائل السقيا والرى .

(فَقُلْنَا أَشْرِب بِتَمَصَلُكَ الْحَجْرَ): أجاب الله موسى عليه السلام في طلب السقيا ، ودله على الطريقة التي تحقق رغبتهم ، وتكون معجزة له أمام قومه فقال له : (اضرب يَعَصَلكَ الْحَجْرَ)، فضرب موسى الحجر (فَانَفَجَرَتْ مِنْهُ النَّبَنَا عَشْرَةً صَيِّنًا) بعدد الأسباط : وهم فرية يعقوب من أولاده الاتنى عشر . والمراد بعصا موسى : العصا التي ضرب بها البحر فانفلن ، وكان كل فرق كالطود العظيم . وهي معجزته الكبرى . والمراد بالحجر : أي حجر ، كما قال العصن : ضربه فانفجر منه لماه ، وهما أيلغ في الإعجاز وألبين في القدرة .

والمراد من انفجار تلك العيون من الحجر ، خروج الله الغزير - يقوة - من اثنى عشر مكاتا ، في الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه . وتلك نعمة كبرى ، من نعم الله على بني إسرائيل . وقديقال: إن الله قادر على أن يمنحهم الماء بدون ضرب الحجر بالعصا، فلماذا لم يفعل ٢.

والجراب : أن الله تعالى ، أراد أن يبين لهم كرامة نبيهم موسى على الله تعالى ، ويؤكد لهم نبوته : بإجراء تلك للمجرة على يديه ، يمجرد ضربه الحجر يعصاه ، حتى يقوى إيمامم بنبوته ، التي يشككون فيها من آن لآخر .

وقد مرَّ قريبا أَنَّهِ قالوا له : « لَن نُوْمِنَ لَكَ حَمَّى نَرَى اللهَ جَهُرَّةً » كما أَن فيها تثبيت إعانهم بالله ، لأنه إمان يتزلزل من آن الآخر ، فقد مرَّ قريبًا : أنهم أشريوا في قلوبهم حبَّ مبادة المجل، مع عظيم آيات الله التي مرتبهم ، والتي من شأنها أن تصرفهم عن الكفر به . ومن أقواها: شقه البحر لهم ، وعبورهم إلى سيناة حق طرق بابسة - بين حوالط من ماه .

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مُشْرَبَهُمْ) : أَى قد علم كل ناس من الأسباط ، محل شربهم من تلك العبود . فقد خصص لكل سبط منهم عين ، حتى لا يحدث تحلاف بينهم على الله ، فهم أهل علاف وشقاق .

(كُلُوا وَاشْرِبُوا مِن رَّدُقِ اللهِ) أَى قلنا لهم : كلوا المن والسلوى ، واشربوا من رزق الله الذى تفضل به ، فجعم لكم بين النعمتين المتلازمتين ، بحيث تحصلون عليهما في يسر وسهولة ، وذلك من أُجلَّ النعم وأعظمها .

وقوله: (مِن رُدِّقِ اللهِ): إشارة إلى أن الأُكل والشرب نعمة متمحضة من جانب الله تمالى ، لادخل لعملهم في الحصول عليها .

شم عقب الأمر بالأكل ، والشرب بالنهى عن الفساد ، فقال : ﴿ وَلَا تَشُوّا فِى الْأَرْضِ مُعْسِلِينَ ﴾ فإن من شأن النمعة أن تستحثهم على الطاعة والاستجابة للمنعم سبحانه، فى بيه لهم عن الإفساد فى الأرض ، فقدهياً لهم ما يكفهم عنه .

والعثو : الإفساد : فقوله بعد ذلك : (مُصْسِينَ) حال مؤكدة ؛ لأَن للعني واحد لكل من العثو والإقساد ، ولكن لو نظرنا إلى أصل معني العثو وهو : مجاوزة الحد مطلقا ، فسادا أو غيره ، يكون التحمير بلفظ (مفسدين) لتعيين للراد من الشو . (وَإِذْ فُلْتُمْ يَنَمُوسَىٰ لَن نَصْسِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِد فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَا تُلْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَايَهَا وَقُومِهَا وَعَنَايَهَا وَقُومِهَا وَعَنَايَهَا وَقُومِهَا وَعَنَايَهَا وَقُومِهَا وَعَنَايَهُمُ اللَّهِي مُو أَدْفَى بِاللّذِي هُو خَدَسِهَا وَبَصَلُهِمُ اللّذَي مُو اللّهِ مُورِيتُ عَلَيْهِمُ اللّهَ اللّهُ وَاللّهَ اللّهُ وَضُرِيتُ عَلَيْهِمُ اللّهَ اللّهُ وَاللّهَ مَا عَلَيْهُمُ كَانُوا يَكُمُ وَنُ اللّهَ فَا لَكُم مَا عَصَواْ وَكَانُوا يَكُمُونَ فَا يَعْشِر الْحَقِّ ذَالِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْشُولُ النّبَيْتِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَالِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشُولُونَ النّبَيْتِينَ بِغَيْرِ الْحَقِيِّ ذَالِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشَوا وَكَانُوا يَعْشُولُ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَلَا لَا لَهُ مِنْ اللّهُ يَعْمُولُوا لَا لَكُولُولُ النّبَيْتِ اللّهِ مَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْشُولُ وَلَا لَعْمَوا وَكَانُوا يَعْشُولُ وَلَا لَهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُو

القبردات :

(بَغَلْهَا وَقَنَّاتَهَا وَقُومِهَا) : البقل ، النبات الرطب ، مما يأُكله الناس والأَنعام ، والمراد به هنا : أطايب البقول التي يأكلها الناس .

والقشاء : هي المعروفة . وقال الخليل : هي الخيار .

والفوم : الحنطة وسائر الحبوب الى تخبز ، قاله الزجاج , وقال الكسائي : هو الثوم . أبدلت ثارةً فقد ، وهو بالبصل والعدس أوفق ، ويه قرأ ابن مسعود .

(وَبَالَّهُوا بِغُضَبِ) : أي رجعوا يه .

التفسسر

٦١ - (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُومَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَمَامٍ وَاحِدٍ . . .) الآية .

 قال الحسن : كانوا يأكلون في مصر البقل والعلمس والبصل ، فحنُّوا إليه ، أو ذلك مكرٌّ منهم ، فهم يحتالون بطلبه ؛ ليعودوا إلى مصر ، فإنها تنبت ما طلبوا .

وقولهم لموسى : (لَن تَصْيِرَ عَلَى طَعَام وَاحد فَادْ عُلَنَا رَبَّكَ يُحْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَعَلِهَا وَقِنْكُهَا وَقُومِهَا وَعَنَسِهَا وَيَصَلِهَا) : تَعُوح منه والحة مكرهم وخبثهم ؟ لأَبهم - وهم في التيه - يعلمون أنهم في صحواء : لاتنبت ماطلبوا ، ولذلك لم يتجه سيدنا موسى إلى أن يعلب من الله أن يحرج لهم هذا النبات معجزة في أرض الصحواء ، ولو أنهم طلبوا تغيير طعامهم - خلل من استمرادهم على طعام واحد - لما أصابهم لوم وتأتيب .

ولعل حكمة حبسهم فى النبه ، أن يبعدوا عن الاتصال بأهل مصر ، حتى ينسوهم وينسوا عقيدتهم التى شاركوهم قيها ، وهى عبادة العجل ، ويتهيأوا للطاعة والاشتال لما أمرهم به مومى ، من عبادة الله الواحد الليان .

وقد شرحنا في الفردات : البقل والقثاء والفوم .

وأما العدس: فهو من الحبوب المعروفة بمصر ، وكان طعاما محبوبا لبنى إسرائيل وأنسيائهم . والبصل : معروف يمصر وغيرها .

(قَالَ أَنْسَبُدُونَ اللَّبِي هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوْ خَيْرٌ) : أَى قال لهم موسى مُتَعَجِّبًا من طلبهم : أُستبدلون الطعام الذي هو أَذَى وأَقَل قِيمة ، بالن والسلوى الذي هو خير وأَلَدْ: فالباءُ في قوله : (بِالَّذِي) داخلة عل الذي يريدون تركه ، وهو الن والسلوى .

قال تعالى: (الحَيِقُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا مَا لَّتُمَ) المراد من الهيوط: مجرد الانتقال ، فإنه كما يقال على المتعالى على المجرد الانتقال من مكان إلى آخو . ويجوز أن يقال على المجرد الانتقال من كان إلى آخو . ويجوز أن يراعى المحق الأصلى : وهو النزول من أعلى إلى أخف ، بنان يكون التيه أعلى مكانًا من المسر ، أو أن يراعى ناوتهم من أعلى إلى أخف فى الرتبة ، تبعا الطلبهم الأدفى من الطعام ، بدل أرقاء وأعلاء قبل : وهو الأسب بلقام .

والمصر: البلد العظيم، والمراد به أى بلد زراعي من ريف الشام، حيث يتيمر فيه وجود ماطلبوا من العلمام، أمر هم يدلك ؛ لعلو الصحراء منه. وقيل للراد به: مصر فرعون. ومواة أكانوا في التيم ام في المصر، فوجودهم في أسهما ، وجود هجرة وإيواء لا وجود تملك ، فلا يكتسبون به حتى انتزاعه من أهله العرب ، كما يدعون .

(وَشُرِيَتُ عَلَيْهِمُ اللَّلَةُ وَالْمُسْكَتَةُ) : معنى ضربت عليهم الله ؟ أُحيطوا بها من كل جانب . مأخوذ من ضرب القبة والخيمة ، أى : إقامتها ، فالدلة كأنها صحيطة بهم ، إحاطة الخيمة بمن ضربت عليه ، أو ألصقت بهم الله ، مأخوذ من ضرب الطين على الحائط ، والذلة : الصفار والضمة ، ويقابلها العزة والإباء ، والمسكنة هنا : فقر النفس .

والمعنى : أنهم جبلوا على الصغار والخسة وفقر النفس ، فقد تربوا عليها في خدمة سادتهم أهل مصر ، وصارت من طبعهم ، فاستخدموها في كل زمان لنيل مآربهم الخبيثة .

(وَبَاكُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ) : أي رجعوا به ، أو صاروا مستحقين له بسوء أعمالهم .

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكَفُرُونَ بِآيات اللهِ وَيَقَثَلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ الْمَقَّ) : أَى ذلك الله الذي استحقوه - من ضرب الذاة والمسكنة وغضب الله - بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله الكونية ، والتنزيلية ، - ومن جملتها : قلق البحر ، وإظلال الغمام ، وإنزال المن والسلوى ، والمنجر العبون من الحجر - وإخفاه آية الرجم ، ونعت محمد في كتاجم . وبسبب أنهم يفتلون الأنبياء بغير حق ، كما فعلوا بأشعياء وزكريا ويحيى عليهم السلام . وفائدة تقبيد فتلهم بأنه بغير حق - مع أن قتل الأنبياء يستجيل أن يكون بحق - الإيدان بأنه عندهم في دينهم كذلك ، فهم فعلوه عمدا معتقلين أنهم يرتكبون إثما في دينهم ، إذ لم يروا منهم مايقتضيه ، وما حملهم عليه إلا اتباع الهوى ، والمئو في المصيان والاعتداء ، كما يفصح عنه قوله تعالى: (ذَلِكَ بِمَا عَصُوا يَكَ لُونَ يَعْكُونَ) :أى ذلك الكفر منها بآيات الله وقتلهم للأنبياء بغير الحق بسبب أنهم درجوا على العصيان ، ومناومة الاعتداء ، ومجاوزة الحدود ، حى قست قلوبم بسبب أنهم درجوا على العصيان ، ومناومة الاعتداء ، ومجاوزة الحدود ، حى قست قلوبم بسبب أنهم درجوا على المناس الأسباء . فإن الاستمرار على صفار الماصى ، يؤدى إلى الاجتراء على كبارها ، كما أن الاستمرار على الطاعات ، يستنع تحرى كبارها .

فلهذا ينبغى تخول الناس بالوعظة ، وتهى العصاة عن المنكر ، أولا فأولاً ، حتى لايصير عندهم_بطول المارسة ـ مرضا يستمصى علاجه . (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَدَىٰ وَالصَّدِعِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَٱلْذِينِ ءَامَنُواْ وَكَلَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَدَىٰ وَالصَّدِعِينَ مَنْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞).

الفيردات :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوًا) : صدقوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم (وَالَّذِينَ هَادُوا) : أَى اللّذِين داتوا باليهودية ؛ دين موسى – عليه السلام – ويطلق عليهم اسم اليهود .

(وَالنَّصَارَى) : من ينتسبون إلى النصرانية ؛ دين عيسى ـ عليه السلام ــ وهو جمع واحمد نصران ومؤثثه نصرانة .

وهذا الاسم مأخوذ من الناصرة ، التي سكنتها السيدة مريم بعد عودتها بعيسي من مصر وهو مراهق - وكانت سنه حينتذ النتى عشرة سنة - كما قبل . (وَالصَّابِشِينَ): من يخرجون من دين إلى دين ، مفرده صابى ، وسيأتي بسط الحديث عنهم في التفسير .

التفسير

٦٢ – (إِنَّ النَّدِينَ آمَنُوا وَالنَّدِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالسَّابِثِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالنَّوْمِ الْآخِيرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَخْرُهُمْ هِنْدَ رَجُوهُ وَلاَ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْوُنُونَ) :

جاعت هذه الآية الكريمة عقب وصف اليهود باستحقاق غضب الله ، يسبب كفرهم وقتلهم الأُنبياء بغير حق ، لتشعرهم بـأن غضب الله عليهم وما يستنبعه من عقاب بمكن رفعه عنهم وحلول الرضا محله ، وفوزهم بالأُبر المجزيل بلاخو ف من عقاب ، ولاحزن على فقدان ثواب ، إن هم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا .

وقد شاء الكريم المنان ، ألا يحرم من هذه المنة غيرهم ، فعم جا النصارى والصابئين ، ويلخل فى حكمهم مَنْ دان بأى دين آخر ، أو كان ممن لا دين لهم ، فكل من آمن بعد كُفر ، فلهم أجرهم عندربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون . والمراد بقو له: (الَّذِينَ آ تَشُوا): من قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم . بدليل نظمهم فى سلك الكفرة ، وبدليل قوله فى آخر الآية : (مَنْ آمَنَ مِنْهم بِاللهِ وَالْمَوْمِ الْآخِيرِ) فإن المقصود به طلب الإيمان من جميع مَنْ كُرِجُوا فى الآية ، وقد ذهب إلى هذا الرَّأْمَى سَفيان الثورى رضى الله عنه .

وقيل هم المتلبنون بدين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخلصين أو منافقين ، و اعداره القاضي ، و الحداره القاضي ، ولكن مذا الرأى يقتضي أن يكرن (مَنْ آ مَنْ) بمني : من استمر على الإبمان ـ بالنسبة إلى المخلفين ، وبمني : من أحدث الإبمان ـ بالنسبة إلى المنافقين وغير هم من الكفار - فيكون الإبمان محمولا على معنيين مختلفين ، وفيه خلاف بين العلماء والرأى الأول أقل مولاة كما قال الآثومي ـ يمني بذلك أنه لاتكلف فيه فيكون أرجع .

والمراد بقو له: (وَالدِّينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى) : البهود والمسيحيون . فهؤلاء وأولئك مطلوب منهما لإيمان بالله واليوم الآخر ؛ لأن إيمائهم بهما كلا إيمان . فإيمائهم الله مشوب باتخاذهم أله ولدا ، ووصفه بأوصاف البشر . وفيهم من وصفه بما يشنزه عنه كرام الناس ، كالخطأ فيما يصنع ، والندم على الخطأ . وكمصارعة الله للبشر طول الليل .

كما أن إعالهم بالله شتوب بكفرهم بخاتم الرسلين محمد .. صلى الله عليه وسلم .. ومن كفر برسول وبه فقد كفر بربه ، كما أن أيمانهم باليوم الآخر. ليس على النحو القرر فى الشرائع المساوية الحقة .

وأما الصابتون فهم أمل دين غامض ، ولذا اختلف العلماء فى بياته ، فمنهم من قال : هم قوم يقدسون الروحانيات ١ ويتخفون لها وسالط يعبدونها ، لتقريم إليها ، وقد انقسموا فيما يعبدون إلى قرق: فرقة منهم تعبد السيارات من الكواكب بوأُخرى تعبد الثوابت منها ، وفائنة تعبد الأوفان ،

ونقل النوبرى فى ج ١ من تماية الأرب . تحت عنوان. عُبَّاد الشمس - أن عُبَّاد الشمس طائفة فى الهند . وأن مذهبهم هو مذهب الصابئة .

رنقل الآثوسي عن أبي حنيفة أنهم ليسوا عبدة أوثان ، بل يعظمون النجوم ، كما تعظمُ الكمية .

نقول : وامل الغرض من مذا التشبيه ، أنهم يجعلونها قبلة لهم لا صبودا ، فهم يعظمونها تعظيم القبلة . وقيل هم قوم موحدون ، لكنهم يعتقدون تأثير النجوم ، كما قبل إنهم يؤمنون ببعض الأنبياء كيحي عليه السلام . ، ومن أغرب ماقيل فيهم أنهم يعبدون الملاتكة ويصلون إلى الكعبة . وقيل إنهم أخلوا طرفا من كل دين، وهذا ألين باسمهم، فإن المماؤيه من خرج من دين إلى دين، والكلام في فرقهم ، وفيما قبل في دينهم كثير . وحسب القارئ ماقدمناه (١١ وهم عل أي اعتبار مطالبون بالإيمان بالله واليوم الآخر ، فإن إيمانهم بالله .. لو صح .. مَخْلُوط بعقائد وثنية ، كمشأن المشركين وأهل الكتاب .

وقد قررت الآية الكريمة أن من آمن بالله من جميع الطوائف ، إيمانا لا يشويه شرك ولاتبصيم ولا تشبيه ولا ادعاء ولد له مبحانه ، و آمن أيضا باليوم الآخر، ومافيه من بعث وحشر وحساب وجزاه ، وضم إلى هذا الإيمان العمل الصالح ، فلهم أجرهم اللاتن بإيمائه — عند ربم — ولا خوف مما كانوا فيه من كفر ، ولا هم يحزنون على فوت ثو اب — فإن الإيمان يغفر ماسبقه من الكفر والخلاصة أن هذه الآية — جذا التوجيه — تدعو تلك الطوائف إلى اعتناق الإسلام ، فهو الذى قرر الإيمان بالله على الوجه الخالص من الشرك وشوائب النقص ومشابة البشر ، كما قررت الإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من العدل الكامل لله ، فلا تمييز فيه بين ذرية الأنبياء وغيرهم ، ولا بين طائفة وأخرى ، ولا بين إنسان وإنسان ، فلا يحق لطائفة أن تدعى أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن النار ان تمسهم إلا أياما معلودات ، ولا غير ذلك من الدماوى المناقضة لعدل الله ، أو التي تناقى ماقرود الإسلام من شتون الحياة الأخروية وأحداثها .

كما قررت وجوب العمل الصالح على نحو ما قرره الإسلام و فَمَن يَمْمَلُ مِنْقَالَ فَرَّةٍ سَيْرًا بِرَهُ. وَمَن يَهْمُلُ مِثْقَالَ فَرَّةٍ شَرَّا يَرَهُ ⁽⁷⁾ وقد ضرب النبي –صلى الله عليه وسلم –أروع الأمثال فى العمل الصالح ، هو وآل بيته ، وما أعظم قوله لابنته فاطمة الزهراء : ويا فاطمة ابنة محمد : اعمل فإنى لاأغنى حنك من الله شيئا ⁽⁷⁾ ،

⁽۱) إن أوحت المزيد في صرفة ماكتب من الصابخ ، فراج و الفسل ع لاين حزم ، و والمثلل والتحل ه الصبرحان ، و والسابخ ، لعبد الرازق الحسيني ، والحزء السادس من تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جراد مل . (۲) الزارة آت الآبنان : ۸۶۸ (۳) رواه البناري وسلم في تضمير (واثار مشيرتك الاقريين) .

وبمكن تأويل الآية بمنى آخر وهرما بلي :

إن الذين آمنوا بالله إعانا صادفا واليهود والنصارى والصابثين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من هؤلاء وهم الأولوت فلهم أجرهم عندرجم ، ولاخوف عليهم من عقاب ولا هم يحزنون من فوت ثو اب ، أما غيرهم ممن يدعون الإيمان فإنهم معاقبون لكفرهم يالله واليوم الآخر ، فإن إعالهم بالله مشوب بالشرك وشوائب النقص وإعانهم بالآخرة مشوب بدعاوى كاذبة ، فسقط هذا الإيمان من حيزً الاعتباد ، إذ لا فرق بينهم وبين المشركين ، فهم مثلهم مومنون بالله ، ولكنهم كفار في جميع الأديان - لشركهم - فأى فرق بينهم وبين المشركين المشركين الله من كن فرق بينهم وبين المشركين الله من كن الله من كفار في جميع الأديان - لشركهم - فأى فرق بينهم وبين المشركين الله من حكير المخدم .

وعلى هذأ التنأويل ، لا توُّخذ دعوة الطوائف غير الموَّمنة إلى الايمان من هذا النص ، بل من قوله تعالى : و قُل لُلَّذِينَ كَقَرُوا إِنْ يَنتَجُوا يُغَفَّرُ لُهُم مَّاقَدُ سَلَفَ¹¹⁷ ،

وقد أساء فهم هذه الآية بعض الملحدين ، فزعموا أنه يمكن تحقيق الإيمان من هذه الفرق غير المسلمة ، مع بقائها على دينها ، وهذا الزعم باطل ، لأنها جميما كافرة في نظر الإسلام لما تقدم ، لقوله تمالى : ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ في نَارٍ جَهَنَّمَ عَالِمِينَ فِيهَا أُولِيْكَ هُمْ شَرَّ الْبَرِيَةِ ، () ، وغير ذلك من النصوص .

وبما أن الإيمان لا يتحقى إلا بالإيمان بالله وجميع رسله وفيهم محمد حسل الله عليه وسلم ح لقوله تمالى : ه إنَّ اللَّهِينَ يَكَفُّرُونَ بِاللهِ وَرُسُلهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرَسُلهِ وَيَقُولُونَ نُومْنُ بِبَعْضِ وَمَكَفُرُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ أَن بَشَخَلُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيبِلاً أُولَئِكَ مُمُ الكَافِرُونَ حَمَّا وَأَعْتَذَنَا لِلكَّفِرِينَ عَلَابًا مُهِينًا "⁷⁷ فلهذا تحدد الإيمان المطلوب في الآية وهو الإيمان بالدين الإسلامي . فلا بد من اعتناقه . وجمع بين الإيمان بالله واليوم الآخر ، لأهمية الإيمان باليوم الآخر ومافيه من حساب وجزاه لما اهتم بالإيمان بالله والعمل الصالح ، فإن النفس البشرية لا يوقظها من ففلتها إلا الجزاء ، فالإيمان بالله واليوم الآخر هوأساس العمل الصالح .

⁽١) الأنفال من الآية : ٢٨ (٢) البينة .. الآية : ٦٠ (٣) النماء .. الآية : ١٠١٠

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِئِنْفَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطَّورَ خُذُواْ مَا ءَانَيْنَكُم بِفُوَّ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ نَتَّقُونَ ﴿).

القبردات :

(مِيثَاقَكُمْ) : عهد كم .

(الطُّورَ) : لغة ، الجبل ، والمرادبه : جبل معين بسيناء .

(خُلُوا مَا آتَيْنَاكُمْ) : أَى من الشريعة .

(بِقُوَّةٍ) : بجدوعزيمة .

التفسير

٣٣ _ (وَإِذْ أَخَلْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ . . .) الآية .

هذا بيان انتمة أخرى أنعمها الله على اليهود ، مع بيان حالهم فيسا عرض عليهم من التكاليف. أى واذكروا وقت أن أخذنا عليكم المهد : بأن تتبعوا مومى وتعملوا بالتوراة التي يجيئكم بها من عند الله . (وَرَفَعْنَا فَوَقَكُمُ الطُّورَ) تخريفًا لكم . فعن أبي حاتم عن ابن عباس أن مومى - عليه السلام - لماجاهم بالتوراة وما فيهامن التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوًا قبولها ، فأمر اللهجيريل بقلم الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا ، الأنهم ظنوا أنه واقعهم .

والطور : اسم للجيل مطلقاً ، والمراد به هنا : جبل معين وهو الذي كُلَّمَ الله تَبيَّـهُ موسى عليه .

(خُلُوا مَا آئَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) :

المراد من القوة : الجد والاجتهاد كما قاله ابن عباس، أى قلنا لهم: خلوا ما آتيناكم بجد واجتهاد مع حسن النية والإخلاص ، فإن ذلك يدفعهم إلى النظر فى الآيات حتى يقتنعوا ويحسنوا العمل . وهنا سؤال وهو : أنه يؤخد من الآية أن إعابهم كان بالإلجاه والإكراه ، وهذا بناني التكليف الذي يقوم على الاختيار ، فهو الذي يكون المقيدة الصحيحة المنبئة على الإقتاع ، ولهذا قال تعالى : و لا إكراه أن التأسن : و... أَهَالَّتَ تعالى : و لا إكراه الناس : و... أَهَالَّتَ ثَكْرُهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِدِينَ ؟ " .

والجواب : أن الاختيار كان موكولا إليهم فى كل عروض الإيمان عليهم ، فلما لم يمثلوا ،كانت آيات التحويف لهم بمنزلة مشروعية القتال للكفار ، لإصلاح حالهم مع الله تمال ، فإن الحكمة تدعو إلى الأخذ بالقوة إذا فشل النصح والإرشاد ، ولهذا ينهفى أن يؤدب الوائد بالقوة ابنه المحرج السلوك ، الذى لم يُجْبِو تكرار النصح ، حتى لا يستمر فساده .

ومعنى قوله تمالى : (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَمَلَكُمْ تَشُوّنَ) : أَى بعد أَخذ الكتاب بقوة، ادرسوا ما فيه وداوموا على تذكره ، حتى يرسخ فى قلوبكم ، فإذا فعلم ذلك ، صفت قلوبكم، وارتقت فى السلوك إلى ربكم ، حتى تكونوا فى مقام الرجاء والاطمئنان ، لاتخذذ وقاية من غضب الله .

وفى الآية دليل على أن مجردالعلم غير كاف . بل لا بد من الدواسة والمتابعة حتى يكون تذكر الإنسان للحلم من دوافع العمل عا علم ، فإذا فعل وطبق علمه على عمله ، كان ذلك كفيلا بالوصول إلى مقام التقوى التي هي خير الزاد كما قال تعالى : د ... وَتُزُودُوا فَإِنَّ خَيْرً الزَّادِ التَّقْرَى وَاتَّمُونَ بِأَوْلِي الْأَلْبَابِ "" .

(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنَ بَعْدِ ذَالِكَ ۚ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْتُكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ الخَيْسِرِينَ ۞).

الأسردات :

(تَوَلَّيْتُمْ) : أعرضتم عن الوفاء بالعهد .

(لكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ) : أي من المعاقبين ، بسبب نقضكم للعهد .

(١) البَفرة—من الآية : ٢٥١ (٦) يونس—من الآية : ٩٩ (٣) البقرة – من الآية : ١٩٧

التفسير

٦٤ - (ثُمُّ نَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ . . .) الآبة .

أى ثم أعرضتم ، من بعد أخذ الميثاق عليكم وقبولكم إياه ، وذلك نقض للعهد ، تستحقون من أجله العقاب .

(فَلَوْلاَ فَشْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ): بتوفيقه إياكم النوبة (رَرَحْنَتُهُ) بكم (لَكَنتُم مَّنَ الخَسِرِينَ): أى لصرتم من الخاسرين لسعادة الدنيا : بالطمأنينة والأمن والتمكن في الذَّض ، ولسعادة الآخرة : بالمقاب وفوت الثواب .

(وَلَقَدْ مَلِمْمُ اللَّذِينَ اعْنَدُواْ مِنكُمْ فِالسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَلْسِفِينَ ﴿ فَجَمَلَنَهُمَا نَكَللًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمُوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿).

القبردات :

(اغْتَكُوا مِنكُمْ فِي النَّبْتِ) : السَّبت؛ هو اليوم المعروف ، واعتداؤُهم فيه تجاوزهم ف حكمه كما سنبينه .

(خَاسِئِينَ) : صافرين مطرودين .

(فَجَمَلْنَاهَا نَكَالاً) : في المختار ؛ نكل به تنكيلا : أي جعله نكالا وعبرة لغيره .
 والمراد : جعلنا عقوبتهم عبرة لغيرهم ، تنكلهم وتمنعهم عن مثل ما فعلوا .

(لِمَا بَيْنَ بَلَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا) : للمعاصرين - لها ولمن بعدها - من الأَّمم .

التفسسر

٣٥ .. (وَلَقَدُ عَلِيْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ . . .) الآبة .

ورد الخبرهنا ، مزكدا بلام القسم وقد ، فتحقيق هم اليهود بما جاء فيه . والخطاب اليهود الماصرين للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمعتلون فيه هم آباؤهم ، واعتداؤهم فيه : أن يوم السبت جمله الله لهم يوما مخلصاً للطاعة ، يحيث لا يشتغلون فيه بالاسترزاق . ولذا حرم عليهم فيه صيد السمك . فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شُرَعاً ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم على هذا النحو . فلما رأوا ذلك ، خالفوا النهى ، واصطاعوا السمك فيه ، كما قاله الحسن ، أو احتجزوه من يوم السبت إلى يوم الأحد ببعض الحيل كما قال غيره . ولما كان احتجازه من يوم السبت إلى الأحد ، لا يفترق عن صيله فى يوم السبت من جهة المقصود ، اعتبر اعتداء فى السبت .

وسواءً أكان اعتداؤُهم لما أم بذاك ، فقد عاقبهم الله . وذلك لقوله سبحانه : (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيْسَ ﴾ .

روى النمائى عن صغوان بن عسّال قال : قال بهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى ، فقال له صاحبه : لا تقل : نبى ؛ لو سمعك ، فإن له أربعة أعين . فأتبا رسول الله علم الله علم الله على الله على الله على الله على الله على الله عن تسع آبات بينات ، فقال لهم : و لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزاوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا تحشوا ببرى الله إلى سلطان ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقلقوا المحصنة ، ولا تولوا يوم الزحف ، وعليكم حاصة بهود - أى لا تعلوا في السبت ، فقبّلوا يليه ورجليه وقالوا : نشهد أنك نبى . قال : وهما عنمكم أن تتبعونى ، ؟ قالوا : إن داود دعا ، بأن لا يزال من ذريتى نبى ، وإن نخاف إن تبعداك أن تقتلنا بهود .

وأخرجه الترمذي ، وقال : حليث حسن صحيح .

والاعتداء فى السبت كان من بعضهم . ولم إكن من الكل . ولذا قال تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ اللَّذِينَ اعْتَدُوّا مِنكُمْ) فين : فى قوله (مِنكُمْ) للتبعيض ، أى علمتم اعتداءهم ، أو علمتموهم بأعيانهم .

واختلف فى المراد من قوله : (كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ) فقيلَ : إنه على الحقيقة . وإنَّ الله حولهم قردة . وقِيلَ : إنه مجاز من صَمخ قلوجم ، وصرفها عن الخير .

وهذا الرأى أولى من سابقه . ويه أخذ بعض السلف .

فقد روی ابن جریر عن مجاهد أنه قال : ١هما مسخت صورهم ، ولكن مسخت قلوبهم ، فلا تقبل وعظا ، ولا تمي زجرا ، وذاك على حد تمثيلهم بالحمار فى قوله تعالى : ، « مَثَلُ اللَّهِينَ حُمُّلُوا التَّوْرَاةَ تُمَّ لَمَ يَحْمِلُوهَا كَمَثَل الْعِمَار يَحْمِلُ أَشْفَارًا . . . ، * ` '

ولا شك أن الإنسان الذي ينقاد لشهوانه ، وليس له وازع من دينه ، يمسخ قلبه ، فيصبح كالحيوان : منقاد لفرائزه وشهوانه كلما دعته .

وفي مثله قوله تعالى : ١ ... إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ١٠٠ .

والمنى : فقلنا لهم كونوا أذلاء محقرين كالفردة . واليهود كذلك فى المجتمعات الفاضلة ، ولذا قال عقبه: (خَاسِثِينَ) أى: أذلاء مطرودين ، من حساً الكلب: بُعُدُ وطُرِدَ .

٦٦ ــ (فَجَمَلْنَاهَا نَكَالاً لَّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا . . .) الآية .

هذه الآية مرتبة على قوله : ٥ كُونُوا قِرْدَةً ؛ أى فترتب على عقوبتهم المذكورة : أن جعلناها نكالا ، أى عبرة تنكل المعتبر جا . أى تمنعه من فعل مثلها ، ، وتزجره عنه . والمراد من قوله : (لِهَا بَيْنَ يَكَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا) لماصرى هذه العقوبة ، ومَنْ بعدهم.

وهذا هو المروى عن ابن عباس وغيره .

(وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُنْقِينَ) أَى: تذكيرا لهم . وهم من يقُون أنفسهم من عقاب الله من كل أُمة ، أو من أُمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أو من بنى إسرائيل . وخص المتقين ، لأنهم هم اللين ينتفعون بالمواعظ .

⁽١) الجامة ــ من الآية: ه (٢) الفرقان ــ من الآية: ٤٤

(وَإِذْ قَالَ مُومَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذَبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا الْتَخَدُنَا هُزُوا أَ قَالَ أُعُوذُ بِاللهِ أَنْ تَلْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا الْتَخَدُنَا هُزُوا أَ قَالَ أَعُودُ مِنَ الْجَنهِلِينَ ﴿ قَالُوا الْمُ لَنَا مَا هَى قَالُوا الْمُ لَنَّهُ مِقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةً لَا فَارِضَ وَلا بِحَرُّ عَوَانُ ابْنَ فَالِوا الْمُ لَنَا مَا مُولِي اللهِ اللهُ اللهُ

القبردات :

(ٱتَتَّخِلُنَا مُزُواً) : أتجعلنا موضع استهزاء ، أي سخرية .

(لا فَارِضٌ) : غير مسئة . (وَلَا يَكُنُّ) : وغير فتية .

(عَوَانَّ بَيْنَ ذَٰلِكَ) : نَصَفٌ : بين المسنة والفعية .

(فَاقِعٌ لَّوْنُهَا) : الفاقع ، هو شديد الصفرة .

(تُسُرُّ النَّاظِرِينَ) : لحسنها .

(إِنَّ الْبَمَرَ) : أَى إِن البقر الفاقع ، الذي هو وسط بين الفارض والبكر .

(تَشَابَةَ عَلَيْنَا) لاشتراك كل بقرة مع مثيلتها في الأُوصاف الطلوبة ، فلا نستطيع أَن نفرق بين البقر فيها ، حتى نحصل على البقرة الطلوبة . ﴿ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهَنَّدُونَ ﴾ : إلى عينها لنذبحها ، يظهرون بقولهم هذا ، أنهم يويدون معرفة ما وقعت مشيئة الله عليه من هذا النوع من البقر ، بذكر وصف مميز للمطلوب .

(لَاَذَلُولٌ) : أَى ليست مذللة وميسرة .

(تُثِيرٌ الْأَرْضَ): أي تقلبها بالمحراث .

(وَلَا تَسْقِي الْحَرّْثَ): أَى لا تروى الزرع .

(مُسَلَّمَةٌ) : سليمة من العيوب وآثار العمل .

(لَأَشِيَةَ فِيهَا) : لا لون فيها يخالف لون معظم جلدها .

(جِئْتَ بِالْحَقُّ) : جئت بحقيقة وصف البقرة ، ولم يبق فيها إشكال .

﴿ وَمَا كَادُوا يَفْطُونَ ﴾ : وما قربوا من أن يذبحوها لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة .

التغسير

٧٧ – (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَـالْمُرْكُمُ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً . . .) الآية .

ق الآیات السابقة ، کان الله یذکرهم بالندمة ، ثم یذکر مخالفتهم وما وقع لهم من
 العقوبة ، وأنهم یتوبون فیقبل الله ثوبتهم : فضلا منه ورحمة .

وفى هذه الآية وما يعدها ، بين موقفهم من ذبيح البقرة التي أمرهم أن يلبحوها ؛ ليستبينوا للجرم في جريمة قتل حاشت بينهم .

ونفصيل ذلك : أنه قتل ف بنى إسرائيل قتيل ، وأخنى القاتل نفسه ، وجعل كل منهم يدرأ التهمة عن نفسه ، فسألوا موسى أن يدعو ربه لمرفة القاتل الحقيق ، فسأل موسى ربه ، فطلب منه أن يأمرهم بنبح بقرة ؛ ليضربوا المقتول ببعضها ، فيحيا ، ويكلمهم بذكر اسم القاتل .

وستجد السبب في أمرهم بلبحها ، عقب استيضاحاتهم في شأن البقرة التي أمروا بلبحها ، وذلك في قوله تعلى : وواذ قتلاً ثمّ نَقَدُ اللهُ وَلَيْهَا مَنْ فِيها ... ، وكان حقم أن يتقدم حسب ترتيب الوقائع .

فلماذا جعل آخر القصة أولها ، وجعل أولها آخرها ، حتى بدت كأنَّها قصتان ؟

والجواب : أنه قدم قصة اللبح أولا، لأمرين التضتهما بلاغة القرآن .

الأَول : عناية القرآن بتصوير مخالفتهم ، وما تعوده من عنت ومعارضة لنبيهم موسى ، ليسجل عليهم حرصهم على العناد ، ولو كان فيا طلبوه مصلحة لهم ، وقصة اللبح ظاهرة فى ذلك . .

والثانى : أن تقديم قصة اللبح ، يهيئ النفوس لاستطلاع السبب ، فيكون ذكر السبب .. بعد ذلك ... أوقع في النفس ؛ لاستشرافها وتطلعها إلى معرفته .

على أن القرآن الكريم - حين يذكر الحوادث أو القصص - فإن ذلك لمجرد العبرة عا فيها ، دون اهبام بالترتيب الزمنى ، حيث لا يكون له شأن فى بيان الهلف المقصود من الآيات .

هذا ، وللمثاية بقضة البقرة وما فيها من العبرة ، سميت هذه السورة الكبيرة باسمها .

ويمكن أن تكون قصة النبح مستقلة عن قصة النفس الفتولة، فهما قصنان بياسما فيا يلى :

القصة الأولى منهما : سيقت للإيدان بأن بني إسرائيل ، كانوا لا يزالون على مهدم ، في تقديس البقرة التي كانوا يعدونها هم وسادتهم المصريون ، فلما أمرهم الله تعالى بلبح بقرة ، حتى يزيلوا من أنفسهم حقيدة حبها وتقديسها ، فيهم كانوا لا يلبحونها ولا يأكلون لحمها ، فلما أمرهم بنبحها ، تلكّنارا في تنفيذ ما أمروا به ، خوفا من فبح ما كانوا يعبدون ، فجعلوا يراوغون بالأمثلة المتنوعة عنها ، لعلهم يفلتون بالمراوغة من نبحها . ولكن الله تعالى كان يجيبهم على أسئلة المراوغة ، يتحديد الأوصاف التي طلبوا تحديدها ، حتى لم يجلوا مفرًا من فبحها ، فلبحوها وما كاذوا يغملون .

وبذلك زالت عقدة تقديسها من نفوسهم . ونما يساعد على هذا الفهم ، عبادتهم العجل الذى صنعه لهم السامرى من حليهم . مع أن الله وحده هو الذى نجاهم نما كانوا فيه . فعقه ان يعبد دون صواه . وأَمَا الثانية منهما : فهى خاصة بنفس قتلوها وجُهِلَ القاتل ، فأرشدهم الله إلى أن يضربوا المنهم ببعض نفس القتيل، وعلى هذا فعمني قوله تعالى: (فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَشْضِهَا) فقلنا أضربوا المنهم ببعض نفس القتيل فالضمير المؤنّث فى قوله : « بِبَشْضِهَا ، يعود على النفس الفتولة ، فإذا كان المنهم هو القاتل ، وضرب بجزه من القتيل ، فإنه ينهار ويعترف .

ذلك هو الغرض من التكليف بضربه ببعض النفس القتولة .

ومَنَّى قُولُه : (كَذَّلِكَ يُحْيِّي اللَّهُ الْمَوْنَى) على هذا الوجه : كذلك يحييها بالقصاص .

لكن الوجه الأول الذي جَمَلَهُما قصة واحدة _ أظهر في فهم الآيات ؛ لقوله في خدام موضوع الفتيل: (كَذَلِك بُحْيِي اللهُ الْمُوثّى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَمَلّكُمْ تَعْفِلُونَ) فإنه يؤذن : بأن ما تم في شأن الفتيل من الآيات المادية ، التي تدل على قدوة الله تمالى بصفة عامة . وقدرته على إحياء الموفى حقيقة وبعثهم بصفة خاصة . وذلك يستدعيه حال اليهود من شئون الله جل وعلا . فإنهم لا يزالون متأثرين بمقائد الشرك القديمة .

ولا شك أن الفرآن الكريم ، عودنا أن يبرز لنا صورا حسية _ من الآيات الواقعية _ على إمكان البحث ، كما في قصة أصحاب الكهف . وقصة الذي آماته الله ماتة عام ثم بعثه . فقصة البقرة هذه منها . وليست صجيبة على قدرته تعالى . والله أعلم .

وقد ذكرنا هذه المقدمة ، قبل الشروع في تفسير الآية ؛ لأنَّها تزيح ما عساه أن يقع في بعض الأَذهان ، من تساؤل من عكس ترتيب الوقائم .

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِتَقْوِهِ) : من عطف قصة على قصة بالواو : أَى واذكر يا محمد الوقت الذي قال فيه موسى لقومه . والأمر هنا لكل من يصلح للخطاب ، ليعرف ما كان عليه بنو إسرائيل من اللجاجة والممتاد ، والفرار من الرشاد (إِنَّ اللهُ يَأْمُر كُمْ أَن تَلْبَحُوا عليه بنو إسرائيل من اللجاجة والممتاد ، والفرار من الرشاد (إِنَّ اللهُ يَأْمُر كُمْ أَن تَلْبَحُوا بَعْرَةً) لِلكون ذلك وسيلة إلى معرفة القاتل ، وأكد الخبر بلفظ (إِنَّ) لما تعوده موسى

من معارضتهم وإنكارهم . وتنكير لفظ (بَقَرَةً) يشير إلى أنهم لو ذبحوا أيَّة بقرة بعد الأمر لكَفَتْهُم ، ولكنهم – كعادتهم – شددوا بتكرار الأسئلة ، فشدد لله عليهم (''.

وقوله : (قَالُوا ٱتَّشَخِلْنَا هُزُوًّا ﴾ ؟ استثناف بياني ، كلَّن سائلا قال :

ماذا قال بنو إسرائيل لموسى ، بعد أن أموهم بلميح البقرة ؟ فكان الجواب : قالوا : (أَتَنَّهِٰذُنَا مُزُوًا) وهَزُوا : أي سخرية ، وهو يتقدير مضاف أي : موضع هزو .

استبعدوا أن يكون نبح البقرة له صلة يتبرثة المتهم بالقتل، فظنوا - لجهلهم - أنه يسخر بهم ، فسألوه مستنكرين و أتَسَّخِلْنَا هُرُواً ، وكان حقهم أن يمتثلوا ، ولا يقولوا ماقالوا . فقد عرفوا في رسولهم الجد في أمره كله ، ولا سيا ما ينقله لهم عن الله تعالى ، ولكن ظب عليهم سفههم ، وضفة أحلامهم ، وجهلهم بعظمة الله تعالى .

(قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) لأَن مثل ــ وهو مكلف من الله بإرشاد كم ــ لا يكون سفيها مستهزئا ، فإن ذلك من شأن الجاهلين ، والمراد بالجاهلين هنا : الذين يضعون الشرية في فمير موضعه ، قولا أو فعلا .

٨٠ .. (فَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُمِينً لَنَا مَا هِيَ ، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضُ وَلَا بِكُرِّ عَوَانٌ بَيْنَ كَلِكَ فَافْتُلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴾ :

(قَالُوا) لموسى – بعد أن عرفوا من جوابه عين الجد ــ : (ادْعُ لَنَا رَبُّكَ بُبُيِّنٌ لَنَا مَا هِمَ) ظاهر قولهم : ما هى ؟ أنهم يسألون عن حقيقة البقرة . ولكن هذا الظاهر غير مقصود ؛ فإنهم لايجهلون حقيقتها ، فعرادهم السؤال عن صفتها ، حتى يعينوا المطلوب ذبحه من توجها .

وكما يسال مما عن الحقيقة ، يسال بها أيضًا عن الصفة ، وتقول : ما زيد ، فيقال عالم أو طبيب .

⁽١) وموضوع تصة ليترة ، موجود عقده في الفوراة ، في الإصحاح الحلون والشرين من مفرائطية ، وطريقة التبرئة نها ، أن بلجرا صبلة ، وأن يأتن كل سهيم وينسل ينده على جسمها ، ويجرأ من النبة ، فإن كان بريئاً سلم ، وإلا أسابه الله يعقوبة الكلمانيه .

لذلك أجابهم موسى عليه السلام ، ببيان صفة البقرة ؛ (قَالَ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَابِكُرٌ عَوَانَّ بَيْنَ ذَلِكَ) : لم يكن هذا الجواب من تلقاء نفس موسى ، بل من ربه ليخبرهم به والفار ض من البقر : الكبيرة المسنة التى فرصت سنها ، أى قطعتها وأتمتها ، فانقطمت ولادتها ، ويقال لكل ما قدم وطال أمره : فارض . والبكر من البقر : الفنية الشابة . والمراد من البكر فى قوله : و وَلا بِكُرٌ ه ؛ الصغيرة التى لم تلد ، أى لا هن مسنة ولا هى صغيرة ، بل (عَرَانُ بَيْنَ ذَلِكَ) : أى تَصَفّ ووسط : بين الكبيرة التى نهكها العمل وبين الصغيرة الفحيفة ، و (خَلِكَ) : امم إشارة راجم لما ذكر من الوصفين : الفارض والبكر ، وبما أن مرجعه متملد من جهة المنى . صح قوله : (بَيْنَ ذَلِكَ) . إذ كلمة (بَيْنَ) تقتضى التعلد ، وعول : (فَالْعَلُوا مَا تُوتُمُرُونَ) تفريع على ما قبله .

وفيه تجديد للأَّمر السابق ، وتأخُّكيد له وتنبيه لهم على ترك التعنت .

٦٩ ـ (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْتُهَا . .) الآية .

اللون : هو الهيئة التي تعطى صفة البياض أو السواد أو الضفرة أو نحوها . وقد طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو ربه . راجبا أن يبين لهم لون البقرة ؛ تعيينا للمطلوب (قال إنَّهُ يَمُولُ إِنَّهَا) الفقوع : أَسَد ما يكون من الصغرة وأبلغه ، ولذا يكون وصف الصفرة به للتأكيد . كأس النابر . وكما يختص الأصفر بالفاقع ، يختص الأسود بالحالك ، والأخضر بالناضم . والأحمر بالقانى . والأبيض بالناصم . (تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) : أى تصبيهم وتشرح صدورهم ، لشعورهم باللذة القلبية لحسن منظرها . وجمهور المفسرين يقولون : إن الصفرة من الأوان السارة .

وكلما وجد بنو إسرائيل أوصاف البقرة مشتركة فى كثير من البقر ، سألوا مرة أخرى . ما حكاه الله عنهم بقوله :

٧٠ ــ (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبُّكَ يَبُنِينُ لَّنَا مَا هِيَ إِذَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءِ اللهُ لَمُهْنَدُونَ ﴾ . كرووا سَوَّالِهِم الأَول لطلب الاستكشاف الوائد ، وبينوا عله التكرار بقولهم : (إنَّ الْبَكَرَ تَشَابُهَ عَلَيْنَا) : لاشتراك كثير من البقر فيإ ذكر من الصفات ، وقولهم بعد هذا :(وَإِنَّا إِن شَاء اللهُ لَمُهْتَدُونَ) : فيه تخفيف لصورة عنادهم ، وإتيانهم بالمشيئة لتحسين الظن بهم .

وفى الحديث : « لو لم يستثنوا سـ أى بقولهم إن شاء الله – لما بينت لهم صفتها إلى آخر الأبد ، أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعا موصولا وابن جرير عن ابن عباس مرفوعا معضلا وغيرهما .

وقولهم : (لَمُهُتَدُونَ) : أَى إِلَى الطلوب نبحه منها ، أَو إِلَى معرفة القاتل بسببها . وقد أجابهم سيلنا موسى بما حكاه لهم عن رجم بقوله :

٧١ – (فَانَ إِنَّهُ يَتُونُ إِنَّهَا بَقَرَةً ۚ لَا ذَلُونٌ تَثْبِيرُ الْإِرْضَ وَلَا تَشْقِى الْعَرْثَ مُسَلَّمَةً لَاصِيَةً فِيهِا . . .) الآية .

أى غير ميسرة لحرْث الأرض ، وسقَّى الزرع ، فَلفظ (لَا) بمنى : غير . ومغى (مُسَلَّمَةٌ لَاشِيَةٌ فِيهَا): أى سلَّمها الله من العيوب. ومغى (لاَشِيَةٌ فِيهَا) :لالون فيها يخالف جلدها الأَصفر، والشية فى الأَصل ، مصدر: وَشَاةً يَشِيه وَشَيَّا وَشِيَّةٌ ، إذا خلط لونه بلون آخر.

وإلى هنا عينت البقرة بأوصافها تعبينا تامًّا ، فانقطعت أسئلة الاستفهام .

فماذا كان موقف السائلين من بني إسرائيل ؟

الجواب فى قوله ثما لى : (قَالُوا الْأَلَنَ جِئْتَ بِالْحَقَّ) : أَى جَنْت بحقيقة وصفالبقرة ، ولا وجه لنا فى طلب الإيضاح بعد ذلك .

(فَذَبَحُوهَا) : أَى فجانوا بالبقرة الموصوفة ، فلبحوها .

وقوله : (وَمَا كَاثُوا يَمُمَّلُونَ) :معناه؛ وما قاربوا أن يفعلوا اللبح . وللقصود منه المبالغة في تباطئهم ، وتعمدهم إطالة الزمن ، بكثرة المراجعات في وصف البقرة .

ولعل إكثارهم من المراجعات في أوصافها ؛ لفرض الوصول إلى تعيين وصف يتعذر وجوده في أبقارهم ، فيعفون من ذبح البقرة التي ستكشف لهم الجاني ، سترا لفُضيحته وتجنبا لقتله ، أو لأَنهم لا يريدون ذبحها لأَنهم كانوا يعبدونها ، فلهذا يتهيبون ذبحها ، أو لأن طبيعتهم اللجاجة والتعنت .

وجملة (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) : حالية .

(وَإِذْ فَنَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَّ رَءَّمُ فِيهَا ۚ وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْمُ تَكُتُمُونَ ﴿
فَقُلْنَا اَضْرِبُوهُ بِمَعْضِهَا كَذَالِكَ بُحْيِ اللهُ المَوْقَ وَيُرِيكُم ءَايَنتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اينتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اينتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اينتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اللهُ المُوقَى ويُريكُمْ ءَاينتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اللهُ المُوقَى ويُريكُمْ ءَاينتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اللهُ المُوقَى ويُريكُمْ ءَاينتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اللهُ المُوقَى ويُريكُمْ عَالِيتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ اللهُ المُوقَى ويُريكُمْ عَالِيتِهِ اللهُ المُؤْمِنَ اللهُ المُوقَى ويُريكُمْ عَالِيتِهِ عَلَيْكُمْ مَعْ وَلَهُ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنَ اللهُ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنِ اللهُ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنُ المُؤمِنُ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنُ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنِينَ المُؤمِنَا المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنِ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنُ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُؤمِنَ المُ

الفسردات :

(فَادَّارَأَتُمْ فِيهَا): تدافعتم فيها، فكل منكم كان يدرأ نهمة قتلها،أى يدفعها عن نفسه. (وَاللهُ مُشْرِجُ مَّا كُنْتُمْ تَكَتُمُونَ) : أى مظهره مهما كتمتم .

التفسير

٧٧ - (وَإِذْ فَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) :

أى واذكروا يا بنى إسرائيل ، وقت أن ثنائم نفسا منكم ، وقد أخنى القاتل نفسه ، فادَّاراَتُم وتدافعتم فى شأَتها ، فكان كل منكم يدفع النهمة عن نفسه ، حتى لا يقتل فى المقتول ، وأسند الفعل (قَتَلَتُم) إلى جمعِهم ؛ لأَن المسئولية فى القتل مشتركة بين الجميع ، حتى يتعين القاتل ، فيهراً من عداه .

وهذه الجناية الآتمة ، هي السبب في الأمر بلبح البقرة ، لتكون وسيلة لمرفة شخص القاتل ، ومعجزة لسيدنا موسى عليه السلام ، بين قومه .

وتقدم بيان الحكمة في تقليم قصة ذبح البقرة على سببها وهو قتلهم النفس.

ولما تم ذبح البقرة بعد تحديد وصفها ، أراد الله أن يخرج ويظهر ما كانوا يكتمون من إخفاء شخص القاتل ، بآية تضمنت عدة آيات ، وذلك هو ما حكاه الله يقوله : ٧٣ - (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا . . .) الآية .

أى اضربوا الفتيل بيعض البقرة المذبوحة ، ولا قطع بتعيين هذا البعض ، وإن قيل : إنه اللسان أو الفخل أو عجب اللنب ، فضربوه بجزء منها ، فأحياه الله تعالى ، ونطق باسم القاتل ، ثم مات بعد أن أخير به .

وقد أراد الله أن يذكرهم بالبعث ، قياسا على إحياء هذا القتيل ، ليقيسوا الغائب على الأمرالمشاهد من إحياء المهتد فقال ·

(كَذَلِكَ يُحْشِي اللهُ الْمَوْتَى): أَى مثل الذي رأيتموه ، يكون إحياء الله تعالى للموتى . شم قال :

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَمُلَّكُمْ تَمُقِلُونَ): أَى لكى تعقلوا وتعرفوا أَن الموت بعده بعث . فإنَّ مَن قدر على إحياء هذا الفقيل ، فإنه يقدر على إعادة الحياة لفيره ، أو لعلكم نعقلون أَنفسكم أَى : تمنعونها عن عبثها ، أخذًا من العقال : الذي يقيد الذابة ، ويمنعها عن السير .

قد يقال: إن الذى رأوه آية واحدة ، وهى الفتيل ، فما وجه الجمع فى لفظ (آياته) ؟ والجواب : أنها آية تضمنت جملة آيات ، وهى : ترتُّبُ الحياةِ على ضرب عضو ميت ، وتكلَّم المقتول ، وإخبارُ وباسم الفائل .

وكما أنها آيات للبعث. فهي معجزة لسيدنا موسى ، لأنها أمور خارقة للعادة .

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَالِكَ فَهِي كَا لِجَجَارَةِ أَوَ أَشَدُّ قَسَّوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنهُ الأَنْهِارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا بَشَّقَىُ فَيَخَرُجُ مِنْهُ الْمَآتَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشَيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَلِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿﴾) .

القبردات :

(قَسَتْ قُلُوبُكُمْ): القساوة ؛ الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر ، وهى فى القلوب. مثل فى البعد عن الاعتبار. (يَنَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) :التفجر ؛ التفتح بسعة وكثرة ، كما تدل عليه صيغة التفعُّل ، وهو لايسندإلى الأنهار ، إلابتضمين فعل مناسب ، أى يتفجر ويخرج منه الأنهار .

(يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله) :أى ينزل من أعلى ، خوفًا من الله . وهذه الجملة مجاز عن انقيادها ، وعدم أمتناعها على مايريده الله - تعالى - منها .

التفسير

٧٤ . . . أَثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ . . .) الآية .

الخطاب لماصرى النبي - صلى الله عليه وسلم - والقسوة لغة : الغلظ ، والصلابة . فهى من صفات الحجارة ، فلا تتصف با القلوب إلا مجازا ، كما هنا . فهى مستمارة لرِبُشْر قلوبهم عن النائر بالقوارع والمظات .

والإشارة فى قوله : (مِن بَعْدِ ذُلِكَ) واجعة إلى ماذكر من إحياء الفقيل ، أو إلى جميع ماتقدم من الآيات ، التى توجب لين القلوب واتجاهها نحو الحق ، و (دُمَّ) لاستبعاد قسوة قلوبهم بعد العظات السابقة الموجبة لرقتها ، كما فى قوله تعالى : ٥ . . . ثُمَّ اللَّبِينَ كَفَرُوا بِرَبَّهُمْ يَعْدَلُونَ ﴾ (" .

والمهنى : أنه ما كان ينبغى لكم أن تفسو قلوبكم بعد شدة تلك العظات ، التي تلين القلوب . ولكنها قست : (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسُوةً) والفاء لتفريع كولما كالحجارة أو أشد على قسوة قلومهم .

(وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) :

هذه الجملة أريد بها تأكيد ما تقدم : من أن قلوبهم أشد صلابة وقسوة من الحجارة ، حيث ذكر فيها أن الحجارة مع قسوكها وصلابتها-تتشقق ويخرج منها الماء، وأما قلوبهم ، فدائمة الصلابة ؛ لا تلين بالمواعظ ، فلذا ، لا يخرج منها الهدى .

^(۽) أول الأثمام .

(وَإِنَّ مَنْهَا لَمَا يَشَّقَّلُ) : أى يتشقق. (فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاهُ) : أى ماء العيون .

والتفجر أقوى من التشقق ، لأن الأول ناشئ عن ضغط بالغ منتهى القوة ، بسبب كثرة الماء ، وشدة ضغطه ، ولذا ، خرجت بالتفجر الأبهار ، وأما التشقق ، فناشئ عن ضغط يسير للماء . فلذا ، خرجت به مياه الديون .

وقد أشارت الآية الكرعة إلى ذلك كله .

وإذا كانت الحجارة تشأشر إلى هذا الحدق الانقياد لأمر الله ، وقلوبهم لا تشأشر ، فتكون أشد منها قسوة ولامحالة .

وحمل بعضهم الآية على الحقيقة قائلا : لا مانع من أن يخلق الله في الحجارة إدراكا وششية من الله ـ تعالى ـ . .

ويستدل لهذا الرأى بحديث صحيح عنه -صل الله عليه وسلم -: 1 إِنِّي لَأَخْرِفُ حَجَرًا كَانَ يُسلُّمُ عَنْ قَبْلَ أَدْ أَيْمَتُ "" . .

وما صح من أنه _ صلى الله عليه وسلم _ مامر بحجر والامدر إلا سلّم عليه " .

⁽١) متصرصيح سأردّم ١٥٢٨

⁽ ٢) عبدم الزوائد : ٨/ ٢٦٠ الطبراني في الأوسط من على .

وتلك القسوة التي وصفهم الله بها قد نشأت من عَمَهِ قلوبهم ، وشدة طغيابهم ، حتى قبروا أنفسهم في ظلمات الحجاب عن الله عز وجل .

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) :

ختم القصة بِلما الوعيد ؛ ليعلموا – هم ومن كان على شاكلتهم – أن الله تعالى ، ليس بغافل عنهم : يمهلهم ولا يعملهم .

ومن لم تنفعه صنوف النعم ، يعاقبه الله بضروب النقم : ، فَمَن يَعْصَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلُ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ * أَن ع .

⁽١) الزازلة - الأينان: ١٨٨





النَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ لِلْقُدِّرَانِ الْكِرَيْءِ

عاليف لجنة من العلماء

بإشراف

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

الحزب الشأني

الطبعة الأولى ١٣٩٣ ه -- ١٩٧٢ م

(أَقْنَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنَهُمْ بِسَمَعُونَ كَلَامُ اللّهِ مُ مُعَمَّدُهُ مَعْ مَعْلَمُونَ ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَالْوَا أَعُدِنُ مَنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَالُواْ أَعُدِنُونَهُم مِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لَيْ اللّهَ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

القرمات :

(أَفَشَلْتُمُونَ أَنْ يُومِنوا لكُمْ) : الهمزة الإنكار طمع الدومنين في إيمان اليهود بعد ماعلموا حالهم ، أي استنكاره واستبعاده منهم ، والقاء عطفت ما بعدها على مقدر ، والتقدير : و أتحسبونقلوجم صالحة للإيمان بعد ما علمتموه من حالهم ، فتطمعون أن يؤمنوا لكم ، والمراد نيهم عن الطمع في إيمانهم بعد علمهم بحالهم .

(فریق منهم) : جماعة منهم .

(كَلاَمَ الله) : المراد به : التوراة .

(فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ) : بين لكم خاصة ، أو حكم وقضى عليكم

(ْلِيُحَابُّوكُمْ) : ليخاصموكم ويقيموا عليكم الحجة .

(مِنْد رَبِّكُمْ) : أَى فِي كتاب ربكم وشرعه ، كما تقول هو عند الله كلما ، أَى فى كتابِه وشرعه .

التفسسر

كان النبي ـ صلى ألله عليه وسلم ـ والمؤمنون معه ، شديدى الحرص على إيمان اليهود ، طامعين فى دخولهم فى الإسلام 4 لأنهم ألهل كتاب ، ولأنهم كانوا من : قبل يستقتحون ويستنصرون على الأوس والخزرج بالنبي الذى قرب زمانه ، وذكرت أوصافه فى كتابهم ، لكتهم – عندما جاهم ما عرفوا – كفروا به ؛ لما انطوت علية نفوسهم من الخبث ، وسوه السريرة ، ولما جبلوا عليه من سوه السيرة ؛ ولهانا حكى الله فيا مضى مساوسم ، وفعى عليهم جناياتهم ، وذكر أن قلوبهم قاسية ، كالحجارة أو أشد قسوة ، ورتب على ذلك إقتاط المؤشين من إعانهم ، وحيه لهم عن الطمع فيه فقال :

٧٥ _ (أَلْقَطْمَعُونَ أَنْ يُوْمِنُوا لَكُمْ . .) الآية .

أى لا تطمعوا في إعان اليهود مستجيبين لكم .

(وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مُّنَّهُمْ) : وهم الأَحبار والرهبان .

(يستَمُونَ كَلاَمَ اللهِ ثمَّ يُحرَّفُونه مِنْ بَعْلِه ما عَقَلُوهُ) : أى يسمعون التوراة ، ثم يتمملون تحريف ما فيها ، ثما لا يوافق أغراضهم ، ولا يتمشى مع أهواتهم ، من بعد ما فهموها ، قشّنَمَائِهُمْ حرفوها بتحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، كما قاله مجاهد . ومعاصروهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - حرفوها بتغيير نعت النبي - صلى الله عليه وسلم وتبليل آية الرجم ، وغير ذلك ، حتى يحتفظوا لا نفسهم بالزعامة الدينية : يغملون ذلك (بن يَسَّدِ مَا حَمَّلُونُ) أنهم ميطلون كانبون . أو معناه : وهم يذكرون من غير نسبان ، فهم - فى جريمتهم يعملكمون) أنهم ميطلون كانبون . أو معناه : وهم يذكرون من غير نسبان ، فهم - فى جريمتهم هذه - حامدون مصرون . وإذا كان أمرهم كذلك ، فلا تطمعوا فى إعانهم ، فلا يؤمن من ضاحت أمانته ، وخيثت سريرته ، واجترأ على كلام الله التحريف مع الممد والإصرار . فحملة (وهم وهم والمعرون قبح ما اجترؤها عليه من التحريف . والتعبير ضاحت أمانته ، قوله (لَكُمْ) : لتضمين الكلام معنى الاستجابة فكأنه قبل : أنتطمعون أن يؤمنوا استجيبين لكم .

ثم عقب الله اتصافهم بالخيانة العلمية ، باتصافهم بالنفاق في الإيمان فقال : ٧٦ – (وَإِذَا لَقُوا الَّلِينَ آمَنوا قَالُوا آمَنًا . .) الآية .

أى ومن صفاتهم التى تدعو إلى البأس من إيمانهم : أنهم منافقون ، فقد كان بعضهم إذا قنوا الذين آمنوا ، تافقوهم ، وأظهروا أنهم مؤمنون يرسول الله وما أنزل عليه ، وأخبروهم أُنهَّتِ حمل الله حليه وسلم – ميثَّر به في النوراة .

(وَإِذَا خَلَا بِنْضُهُمْ إِلَىٰ بَنْضُ) .

أى وإذا فرغ وخلا بعض اليهود - وهم الذين لم يظهروا النفاق - إلى بعض آخر - وهم الذين لم يظهروا النفاق - إلى بعض آخر - وهم الذين لم ينطقون منهم - بعدما مسموهم يحشون المؤمنين ببعض ما كتموه من الترواة (قَالُوا) - لاتمين لإخوانهم المنافقين منكرين عليهم : - (أَتُحَلَّمُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ طَلِكُمُ أَنَ التَجرول المؤمنين بما فتح الله عليكم من أبواب العلم التي كتمناها عنهم كالبشارة بالنبي وعلاماته ، وتبليغ أنجهم أن يؤمنوا به وأن ينصروه إن أهركوه ، - أتحدثونهم بللك - (ليُحَلَّمُ كُم بِهِ عِنْدُ رَبُّكُمْ) أى ليقيموا عليكم به الحجة فى كتاب ويكم وشرعه ؟

وقبل العراد بقوله: (عنْدُ رَبُّكمْ) يوم القيامة ، أى ليحاجوكم به يوم القيامة توبيه فل لكم ، وزيادة فى فضيحتكم على رقوس الأشهاد ؟

وهذا الرأى غير مقبول ، فيتهم عالمون بأنهم محجوجون بما فى كتابهم يوم القيامة : حدثوا به أَو أَعْفُوه ، فلا وجه لتوبيخ إخواتهم على إظهاره للمؤمنين . إذا كان المراد بقوله (صُدْ رَبُّكُمْ) يوم القيامة .

روى عن ابن عباس أن ناسا منهم أسلموا. ثـم نافقوا . فكانوا يحدثون المومنين تما علب به آبازُهم ، فقالت لهم البهود: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ، أى بما حكم به عليكم من العلاب ، ليقولوا تحن أكرم على الله منكم ؟

نقله القرطبي ، وقدمه على ما سواه من الآراه .

(أَفَلا تَعْقِلُونَ) خطر هذا الفعل علينا وعليكم ؟

والتعبير بالفتح فى قولهم : (بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ) الإيذان بأنه سر مكتوم ، وباب مغلق فى وجه غيرهم ، فلا ينبغى أن يطلع عليه سواهم .

ثم وبخهم الله – تعالى – وجهّلهم ، وأَنكر عليهم هذا التلوَّن والنفاق في الدين ففّال : ٧٧ – (أَوَّلاً يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهُ يَشْلُمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُطِينُونَ) ؟

أى أيلومونهم على التنحلث بما فتح الله عليهم ، مخافة أن تقوم عليهم النحجة ، ولا يعلمون أن الله – سبحانه وتعالى – محيط بما يسرونه من أقوالهم عن المؤمنين ، ومايطنونه من النفاق ، فلا تنخى عليه خافية من أمرهم ، وأنه مطلع رسوله _ صلى الله عليه وسلم _ بالوحمى على كيلهم فتحصل المحاجة ، كما حدث فى آية الرجم ، وتحريم بعض المحرمات عليهم ، فأى فائدة فى اللوم والمتاب ؟ فليرتدعوا عن ذلك وينزجروا ، ويدخلوا فى الإيمان يقلومم .

والاستفهام فى (أَنَّ لَا يُعَلَّمُونَ): إنكارى: موَّذَن بشناعة نفاق السافقين منهم ، وقبح اللوم من أصحابِم لهم، على اطلاع المؤمنين على صفة الرسول وغيرها فى التوراة، مع هلمهم أن الله يعلم مرهم وتجواهم .

(وَمِنْهُمْ أُمِيْونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِنْكِ إِلّا أَمَانِ وَإِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُونَ ﴿ وَمِنْهُمْ أَمِيْوَ لَا يَظُنُونَ ﴿ فَوَيْلُ لِلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِنْدَ بِإِيَّا لِللّهِ لِمَا مُثَمَّا لَلْهُمْ مِنْكًا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتُواْ بِهِ مُعَنَا فَلِيكً فَوَيْلً لَهُمْ مِّمًا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمًا يَكُسُونَ ﴿ وَفَيْلُ لَهُمْ مِّمًا يَكُسُونَ ﴾

القردات :

(أُمُّيُّونَ) : جمع أى ، وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، منسوب إلى الأم ، إيلمانا بنَّانه ــ فى الخار عن العلم والكتابة ــ كما ولفته أمه .

(أَمَانَىُّ) : جمع : أُمنية ، وهي فى الأَصل، ما يقدره الإنسان فى نفصه ، مأُخوذة من مَنَى ، إذا قَدَّرَ . والمراد بها هنا الأَكاذيب الى أُخلوها عن شياطينهم المحرفين للتوراة، كما قاله ابن عباس ومجاهد .

(فَوَيْلُ لَهُمْ) : الويل فى الأَصل : مصدر لا فعل له من لفظه ، مثل وبيح ، والمعنى هلاك لهم وشدة عذاب. وهي كلمة دعاء .

التفسيم

بعد أن بين الله – سبحانه – جنايات اليهود فى ماضيهم وحاضرهم ، وفى جملتهاتحريفهم لكتاب الله الترراة ، من بعد ما عقلوه ، عضّ ذلك بذكر فريق جاهل منهم : تأثر بتحريف أحيارهم ، وضل بإضلالهم ، وهم الأميون فقال :

.) الآية . $^{\circ}$ وَمِنْهُمْ أُمُّيُّونَ لَا يَطْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَالِيُّ . . .) الآية .

أى ومن مُؤَلاه البهود ،عوام جهلة :لا يعرفون القراعة ولا الكتابة ،فلا يقرمُون العوراة ، لا يتحققون نما فيها . ومدى علمهم مها أمانى منسوسة وأكاذيب باطلة ، تلقوها عن زرَّسائهم وأحبارهم ، وعملوا بها تقليداً لهم .

ومن هذه الأمنيات والا كاذيب: أن آباهم الأنبياء يشفعون لهم ، وأن الله - سبحانه وتعلق - يعقو عنهم ويرحمهم ، وإن كفروا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأن الجنة لا يبخطها إلا من كان هودا ، وأن الذار لا تمسهم إلا أياما معلودات ، وأنهم صفوة الإنسانية ، وشعب الله المحدد لعمارة الأرض ، وأنهم أبناء الله وأحياره ، وأن السيطرة على الناس لهم، وغير ذلك من الأماني التي تمنوها ، فهو لاه ضلوا ، تبما لأضائيل أحبارهم .

والاستثناء فى قوله (إلا آتمائي) : منقطع عن الكتاب وليس متصلا به ؛ لأن أمانيهم الكاذبة الملكورة ، لا توجد فى كتابِم ، فهى من اختراع أحبارهم . فإلا بمفى : لكن ، أى : لكن يحقدون أمانى فارغة : لا أصل ولا حقيقة لها .

(وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَطُنُّونَ): أى وما هم إلا قوم يظنون، والمراد من الظن هنا، الكلب أو التوهم، أى : وما هم إلا قوم يكلبون أو يتوهمون هذا ، فلا علم عندهم مما يقولون، ولا دليل عليه ، فأنى يرجى منهم الإيمان بالرسول وهم على هذه الأوهام ، مغرورون بتلك الأمانى 1

ثم أنذر الله _ سبحانه _ الأحبار المحرفين للحق بالهلاك، فقال :

٧٩ ـ (فَوَيْلُ اللَّهِينَ يَكُتُبُونَ الكِتَابَ بَأَيْلِيهِمْ ثُم يَقُولُونَ أَلْمَا مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا
 بع ثمناً قليلاً . . .) الآية .

أى هلاك عظيم لهو لاه الذين يحرفون كتاب الله ، وهو التوراة ، إذ يكتبونها بأيلسهم ، ويدمنون فيها أكافيبهم ، وما يحفظ طيهم رياستهم وجاههم ، موهمين العوام أنها من عند الله ، ليحملوهم على اعتقادها ، والتعلق بالأملق التي زيفوها في التوراة : يبتغون جلاا القعل ثمناً قليلا ، هو : الاحتفاظ بالرياسة ، وأكل أموال الناس بالباطل . وهم جلما يرتكبون أكبر جريمة ، وهي : افتراة الكلب على الله ، ويختارون الباطل ويتبلون الحق ، فيكونون بلك : كمن يبيع شيئاً نفيساً غلى القيمة . بشمن تافه !

وسبب ذلك: أنه لما ضعف أمر علماتهم في أستهم ، عملوا إلى أمور تصرف الناس إليهم وألحقوها بالترراة ، وقالوا لمشهاتهم : هذا من عند الله ليتبلوه عنهم ، فتناً كد رياستهم . وكان نما أحلثوا فيها أن قالوا : وليُسَ عَلَيْنا في الأُمَّيِن سَبِيلٌ وَ" : يعنون بالأُميين : الرب ، ويعنون بأنه ليس عليهم في الأُميين سبيل : أن ما أخلوا من أموالهم فهو حل لهم ، ومنه قولهم : لا يضرنا ذنب ، فنحن أبناء الله وأحباؤه ، وأن النار لن تمسنا إلا أياما معدودات . إلى غير ذلك نما كلهم الله فيه فقال: (فريَلٌ لَهُمْ نما كَتَبِسُ أَبْدِيهِمْ) : من تحريف كلام الله ، وتبديله ، وسوء تأويله (ورَيْلٌ لَهُمْ مِناً يَكْمِيبُونَ) بالباطل من جاه ورياسة ومال .

وتكرير الويل هنا ؛ لتنا كيد الوعيد، وتعليله صراحة بالتنزوير فى الحق، ويكسيهم الحرام ، بعد الإشعار به فى صدر الآية (قَوَيْلُ لِلَّلْيِنَ يَكَتُنُونَ الْكِتَابَ بِأَ يُتِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ لهُذَا بِنْ حِنْدِ اللهِ لِيَمْشَرُوا بِهِ ثَمَنَا قَلِيلاً ﴾ .

وإنما قيد الكتابة بالأيدى ، مع أنها لا تكون إلا بها ، لتحقيق مباشرتهم ما حرفوه ، زيادة فى تقبيح أفعالهم ، ولتأ كيد القصد إلى التحريف ، ليشتروا به ثمناً قليلا . ولأن الأيدى جوارح تقع بها أكثر الجنايات .

وقلم الكتابة وأخر: يكسبون ؛ لأن الكتابة مقلمة ، والكسب مترتب عليها ، فالكتابة صب ، والكسب مسيب عنها .

⁽۱) آل عران ۲۰

(وَقَالُواْ لَن تَمَّسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذَ ثُمْ عِندَا لَهُ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَ اللهُ عَلْمُونَ شَى بَنَيْ مَن كَسَبَ فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدُونَ شَى بَنَيْ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحْطَتْ بِعِهِ خَطِيَعْتُهُ فَأُولَدَهِ كَأْصَحَنْ النَّارِهُمْ فِيهَا خَيْلدُونَ شَى وَلَيْهِا وَعَمِلُواْ الصَّيْلِحَتِ أُولَنَهِكَ أَصْحَنْ النَّارِهُمْ فِيهَا خَيْلدُونَ شَى وَلَيْهِا وَعَمِلُواْ الصَّيْلِحَتِ أُولَنَهِكَ أَصْحَنْ المَّنْ الْجَنَّةَ هُمْ فِيها خَيْلدُونَ شَى)

الفردات :

(لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ): لن نصيبنا ، والمس : اتصال أحد الشيئين بآخر وإصابته له . (أَنَّاماً مُسُدِدَةً) : بضبطها العد ، فهي إذن قليلة

(بَكَلَ) : حرف جواب كنمم ، إلا أنّها لا تقع إلا جواباً لنفي منقدم ، سواءً أدخله استفهام أم لا ، وتفيد إثبات ما يعلما .

(وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) : الخطيئة : السيئة التي استمكنت من النفس ، وحملتها على تجنب الصواب عمداً ، وإحاطتها به : شمولها له واستيلاوُها على جميع تصرفاته ، كما يحيط الثوب بلابسه .

التفسيس

اليهود أهل غرور وزعم باطل ، فهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم شعب الله المختار؛ ولذا عطف القرآن على ماسبق نضرباً آخر من ضروب غرورهم ،وافترائهم الكلب على الله وهم يعلمون ، فقال :

٨٠ _ (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّمْلُودةً . . .) الآية .

إِدَّمَى هُوْلاَهِ اليهود أَن النار لاتمسهم في الآخرة ولا تصيبهم إلا أَياماً قليلة يضبطها العد . ومثل ملما الكلام الذي قالوه لايجوز قوله أو اعتقاد مداوله ، إلا بعهد من الله - تعالى ــ مالك يوم الدين ، الذى يقضى فيه بدخول الجنة والنار ، ولا معقب لحكمه . ولذا أمر الله نبيه أن يرد عليهم موبخاً ومكتاً بقوله : (قُلُّ أَتَّخَلْتُمْ عِنْدُ اللهِ عَهْدًا) . بنان النار لن تمسكم إلا أيامًا معلودة ؟ !

والاستفهام في (أَتَّخَلْتُمْ عِنْدَ الله عَهْدًا) للإنكار والنفى ، أى : لستم على مهد من الله بما تدون .

أما قوله تعالى : (فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ) فهو جواب شرط مقدر ، أَى إِن صح أَن لكم عهدا عنده .. تعالى .. بما قلم ، فلن يخلف الله عهده . وإظهار لفظ الجلالة فى موضع الإضمار؛ للإشعار بعلة المحكم . فإن عدم الخلف فى العهد من أحكام الألوهية .

ثم أكد توبيخهم على ما افترَّوه على الله فقال : (أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالَا تَشْلَمُونَ ﴾ أَى بل أَتقولون على الله مالا دليل لكم عليه ، فأنَّم تفترون على الله الكذب ۗ ، وَيَومُ الْقِيَامَةِ * تَرَى الَّذِينَ كَنَبُوا عَلَى اللهِ وَجُومُهُم مُّسُودَةً » (١) .

وإنما وبخهم على قولهم على الله مالا يعلمون وقوعه مم أن ما أسندوه إليه يعلمون أنه لم يقع -للعبالغة فى التوبيخ والنكير . فإن التوبيخ على الأدفى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى .

ثم أبطل الله دعواهم على وجه أيم وأشمل، لهم ولسائر الكفرة بقوله :

٨١ - (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَبُثةَ وَأَخَاطَتْ بِهِ خَطِيثْتُهُ فَأُولَئْدِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالدُونَ) .

أى بلى: تصييكم النار فيصهر بها ما فى بطونكم والجاود، أنتم وغيركم ممن سار سيرتكم، وأحاطت به خطيئته مثلكم ، وتلازمكم وإياهم النار خالدين فيها ، لأن القانون الإلهى المادك، الذى شرعه رب العالمين :أن من كفر بالله ، وعمل السيئات ، واستولت عليه الخطايا حتى صار لا يخلو منها ، فأولئك أصحاب النار ، أى الملازمون لها فى الآخرة . هم فيها خالدون لا يبرحونها .

^{. 1- 2 03 (1)}

وقد دل قوله تعالى : (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيْقَةً وَأَخَاطَتٌ بِهِ خَطِيْتُتُهُ) على أَنه لم يبق جانب من قلبه ولسانه وجوارحه إلا اشتملت عليه سيئته وخطيئته ، واستولت عليه . وهذا لا يتحقّ إلا فيالكافر .

وللملك فسر علماء السلت: السيئة والخطيقة فى الآيةبالكفر . وقد روى ذلك عن ابين عباس وألى هريرة ، ومجاهد وعطاء وغيرهم .

ويشهد لهذا: أن الجزاء عليهما هو الخلود في النار ، كما نص عليه قوله تعالى: (أَوَّلَٰفِكُ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . كما آذن به تعقيب هذه الآية بثواب المؤشنين في قوله تعالى بَـ (وَالَّذِينَ آ مَنُوا وَعَيْلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلَائِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

وبهذا التأويل. لا يحتج بالآبة على خلود أصحاب الكبيرة في النار .

وفى الآية تحذير شديد من ارتكاب السيئات، فانها تؤدى إلى التمادى فيها، فلا يبالى صاحبها بالكفر، فعلى من يرتكب سيئة أن يبادر بالتوبة منها، فإن من لم يبادر بها، أحاطت الخطيئة بقلب، فأصبح مظلمًا لا ينفذ إليه النور، فيكفر، والعياذ بالله تعالى.

قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِن السِد إِذَا أَذْنَبَ دُنْبَا نُكِتَتْ فَى قَلْبَه نُكْتُنَّا سُودَاً ، فإن تاب ونزع واستنفر صَتَّلَ قلبه ، وإن عاد زادت حتى تعلَّو قلبه ، فذلك الران اللدى ذكره الله ــ تعالى ــ في القرآن : ﴿ كَلاَ بَلْ " رَانَ عَلَى قُلْرِيهِمْ مَّا كَاتُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

وفي هذه الحالة تحيط بـه الخطايا ، كأنه محبوس فيها لا يجد لنفسه منها مخرجاً .

وجريا على سنة القرآن فى ذكر الوعيد مقرونا بالوعد ، ترهيباً وترهيباً ، أردف ذلك الوعيد ببيان جزاء المؤمنين الصادقين فى الإيمان ، ليظهر الفرق بين الأُشقياء والسعداء، فقال سبحانه :

٨٠. (وَاللَّذِينَ آ مَنُوا وَعَملُوا الصّالحَاتِ أُولَٰظِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِمُونَ) .
أى واللذين جمعوا بين الإمان الصحيح، وما يترتب عليه من أعمال صالحة والمُولئك
هم أصحاب الجنة الجديرون بدُّخولها، يحسب وعد الله وفضله. هم فيها خالدون: منعمون
بكل ما يشتهون
.

⁽١) السين السكتة في التلاوة وسط المكلام :

 ⁽۲) سورة المطففين: الآية ۱۶ ؛ و الحديث رواه أحمد والترمذي و الحاكم والنسائي وغيرهم.

وترقيب الإثابة بالمجتة على الإعان والعمل الصالح بيؤذن بأن العمل الصالح ؛ لابد منه للمحصول على هذا الثواب ، فهر الدليل على صدق الإيمان وقوته ، وحياته ، فكما أن أغصان الشجرة وثمارها عدليل على حياة الشجرة وقوتها ، فكذلك العمل الصالح ، دليل على حياة الإيمان وقوته .

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِينَتَنَ بَنِي إِمْرَ هِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي اللّهَ مَا اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْمَسَلِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ اللّهَالَةِ وَاللّهُ مُرْضُونَ ﴿ اللّهَالِمَ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهَ اللّهَ اللّهُ ا

للروات :

(ميفَاق) : الميثاق : العهد المؤكد .

(وَبِالْوَالِلَئِيْنِ إِخْسَانًا) : أَى وتحسنون بالوالدين إحسانا مطلقا بلا حدود .

(وَالْمَسَاكِينِ) : اللَّذِينَ أَذَلتهم الحاجة وأسكنتهم .

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) : أَى قولوا لهم قولا حسنا. ، وهو ما تطيب به النفوس . ومنه الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فى غير عنك ولا خشونة .

التفسي

شروع فى ذكر بعض القبائح التى ورثها اليهود الماصرون للرسول عن أسلافهم ، ممّا يجعل الإغان مستبعدًا منهم ، ويحمل المؤمنين على ألا يطمعوا فيه. وذلك أنهم تولّوا ملبرين عما أخل عليهم العهد به من الفضائل . ومن كانوا كذلك ؛ فلا ينبغى أن يطمع المؤمنون فى إعانهم .

٨٣- (وَإِذْ أَخَلْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . . .) الآية .

أى واذكروا أيها المومنون ، وقت أن أخذنا ميثاق بنى إسرائيل ،وعاهدناهم عهدًا مُؤكَّعُوا في التوراة : (لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهُ) أَى وقلنا لهم في العهد : لا تعبدون إلا الله ، والمقصود منه : أبيهم عن عبادتهم لغيره تعالى ، فهو نفى يمنى النهى ، أى لا تعبدوا خيره تعالى ، وهذا نظير قولك لشخص : تذهب إلى فلان وتقول له كذا ، فهو يمنى : المهم إليه وهذا له كذا ، فهو يمنى أن يسارع إليه وقل له كذا ، وهو أبلغ من صريح النهى ؛ لما فيه من الإيذان بأنّه يتبغى أن يسارع النهى إلى الامتثال ، حتى يخبر عنه بأنّه امتثل قعلا ، وانتهى عما نهى عنه .

والميثاق –بالتوحيد وغيره من العقائد وأمهات الشرائع والأخلاق –مأخوذ على جميع الأم ، كما أخد على بنى إسرائيل ، فلا خلاف بينها إلا فى فروع الشرائغ ، فإنها تخلف تبعًا للزمان والأجيال ؛ رعاية لمصلحة البشر، بعصب التطور الإنسائي

والمراد من أخذ الله الميثاق عليهم بالأُمور الآتية : توصيتهم بالعمل ما توصية مؤكدة في التوراة التي أذرلها على موسى – عليه السلام –

(وَيِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) : وأخذ الله عليهم العهد أيضاً : يأن يحسنوا إلى الوالدين

وهذا الإحسان المأسور به عام : ينحل فيه جميع الميجب لهما من أنواع الرهاية والعناية، وقد قرن الله سبحانه وتعالي الأمر بالإجسان إلى الوالدين بالأمر بعبادته ؟ لما الوالدين من الفضل الكبير على الولد ؟ لأتهما بدّلاً الكثير من العناية الصادقة في تربيته والقيام بشتون بشتونه ، أيام أن كان ضعيفاً عاجزًا ، وكفلاه حتى قدر على الاستقلال ، والقيام بشتون نفسه ، مع الحنان العظيم ، لا يبنيان من وراء ذلك أية مصلحة تعود عليهما ، فهما أحق بالعناية والرعاية ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

وتنكير الإحسان في قوله : (إِحْسَانًا) ؛ للإيبان بتعميمه ؛ وإيلاغه إلى أُقمى مداه.

(وَفِى الْشَرْبَى) : أَى وأُوسيناهم بالإحسان كُشَلْكَ إِلَى قُوى الشَّرِقِ، ٥ وهم : مَن تكون بيتهم وبين الإنسان صلة قرابة من جهة الأَب أَو الأَم. ، والإحسان إليهم هو : الشيام عا يحتاجون إليه بقدر الطاقة ، وذلك تقوية للروابط بين الأقارب 6 ولأَنْ من . لاغير فيه للوى قرابته فلا غير يرجى منه لفيرهم .

(وَالْبَنَاى وَالْمَسَاكِينِ ِ) : أَى وَأَخَذَ عليهم المِثَاقَ أَيْضًا: بالإحسانَ إِلَى البِيتَامِي والمساكين . واليتامى هم : اللين مات آباؤهم وهم دون البلوغ ، فهم لهذا فى أمس الحاجة إلى الإحسان ، ويكون: بالكلمة الطيبة ، والتوجيه الرشيد، والرعاية الحانبة ، والمعونة بالمال ؟ إن احتاجوا إليها .

وفى القرآن والسنة كثير من الوصايا بالبتامى؛ ليجدوا من المسلمين الكرماء العاملين بدينهم معايموضهم عن فقد آيائهم ، ولأن الإحسان إليهم والرحمة بهم محماية للمجتمع؛ حتى لا يكونوا عنصر شرّ وإفساد فيه .

ومن أهل المحاجة اللين أوصاهم الله بالإحسان إليهم أيضاً : المساكين اللين لايقدرون على الكسب، أو لا يكفيهم مايكسبونه، ففي العناية بهم تعاون وتكافل، وإقامة للمجتمع على أمس من التواد والتراحم .

(وقُولُوا لِلنَّاس صُنْنًا) : ومن جعلة الميثاق اللدى أخذ عليهم: أن يقولوا للناس قولا حسنا ، كالنصيحة لهم ، والأَسر بالمروف ، والنهى عن المنكر ، مع النزام الحكمة والمرعظة الحسنة ولين الجانب ، والمخاطبة بما تطيب به نفوسهم ؛ وعدم الإساءة إليهم بالقول والخشونة ؛ فإن الفظاظة والغلظة لا تليق بأهل الشرائع السماوية.

وقد اشتمل الميثاق على وجوب إذراد الله _ تعالى _ بالعبادة والتوحيد، وهو الأهم.
ولذلك قدم الأمر به على سواه ، ثم عطف عليه الأمر بالإحسان إلى العباد في معاملتهم.
ولمّا كانوا متفاوتين. في ذلك، بدأ بأحقهم وهما الوالدان عثم أنبههما ذوى القربي؛

رهاية لحق القرابة ، ثم اليتامى لفيخهم ، ثم المساكين سدًا لحاجتهم، ثم سائر الناس ، بما هو مقدور لكل أحد ، وهو الإحسان بالقول ، بأن يلقوهم بالطيب من القول ويجتنبوا إيذاههم . فهذا النوع من الإحسان سهل هين على النفوس: يقدر عليه كل إنسان ، ويستطيع أداءه في كل حال ، فلا علر لتاركه .

ومن هذا نرى :أن هذا العهد قد اشتمل-بالإجمال-على أهم المقاصد للشرائع السياوية. فهي تكون أولا: داعية إلى تطهير العقول والقلوب •ن رجس الوثينة ، وإخلاص العبادة لله وحده *

. وتكون ثانيا: لإصلاح المجتمع ، وأول إصلاحه : رعاية الأقارب والضعاء واليهود لا يقعلون ذلك . وبما أخذ الله به المبثاق على اليهود ، وفرضه عليهم فى كتابهم ،ما حكاه بقوله : (وَأَلْتِيسُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الرَّكَاةَ) وإقامة الصلاة : أَدَاوُّها تامة مستوفية الشرائط والأركان . وإيتاءً الزكاة: إعطاوُها لمستحقيها .

والصلاة التي أمر بنو إسرائيل بإقامتها ، والزكاة التي أمروا بإتيانها هما : الصلاة والزكاة المشروعتان في ديانتهم .

وقد ذكر ذلك كله ؛ ليعقب عليه : أنهم أعرضوا عما أخذ عليهم الميثاق بأدائه ، كما سيجيءُ ؛ حتى يعلم المؤسنون أن نقض اليهود المواثنيق الله مرض قديم فيهم ، فلا ينبغى للمؤمنين أن يطمعوا في إيمانهم .

ومع أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ داخلان في حبادة الله التي أعد بها الميثاق على بعى إسرائيل، فإنه حتمال لله أفردهما بالذكر بعد الإحسان إلى الوالدين والأفريين وأصحاب الحاجات لعظم شأن ماتين العبادئين ، ولما للصلاة من الأثر الكبير في تربية النفس ، والنهى عن الفحشاء والمذكر ، والخشوع لعظمة الله ، ولما في الزكاة من تخفيف ويلات الفقر والبوس عن المحتاجين ، وحسن الصلة بالمجتمع عن طريق الإحسان إليه .

هذا هو الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل في التوراة ، فعاذا كان من شأتهم ؟ هل التزموا العمل بهذا الميثاق ؟ إنهم لم يلتزموه ، وكانت حالهم كما قال تعالى :

(ثُمُّ تولِّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلا مِّنكُمْ وأَنتُم معْرضُونَ) : فقد أفصحت الآية حما كان من أكثرهم - بعد أخد المثاق عليهم ، عا فيه خيرهم ومعاديم - وهو أيم تولوا عن العمل به يوهم معرضون غير مكترثين عا يترتب على إعراضهم .

أما التليلون منهم فإنهم التزموا العمل بالبثاق ، وحافظوا على تنفيله ، وهم المخلصون في إعانهم من أسلافهم – قبل أن تنسخ شريعتهم بالإسلام – ومن آمن منهم يمحمد – صلى الله عليه وسلم —وحافظ على هلما المبثاق الموجود في سالر الأديان ، كعبد الله بن سلام ، وزيد بن سعنة . وقوله : (وأنتُم مُّرْضُون) لتأكيد توليهم ، أي ثم توليتم وأعرضتم عن تنفيذ هذا المبثاق ، وأنتم قوم عادتكم التولى والإعراض عن المواثيق ، وهي عادة ووتنده عن الجملة الإسمية الدالة على الثبوت . ورئتموها) .

وقى الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب للحاضرين من اليهود فى قوله : (ثُمَّ تَولَّيْتُمُّ)، لأَيْهم خلف لهؤلاء السابقين ، فى السير على نهجهم فى نقض المهود وعدم احترام المواثبيق ، فكتَّهم هم ، فلذا خوطبوا بتوليهم وإعراضهم .

(وَإِذْ أَخَذَنَا نِيشَلَقَكُمْ لَا تَسْفَكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسكُم مِّن دِينِرِكُمْ مُّمَّ أَنتُمْ مَتُولَاءَ تَغْتَلُونَ أَنفُسكُمْ وَتُولَاءَ تَغْتَلُونَ أَنفُسكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيغًا مِسْكُمْ مِن دِينِرِهِمْ تَظْنَهُرونَ عَلَيْهِم بِالْإِنْمَ وَالْعُدُوانِ وَتُخْرِجُونَ فَرِيغًا مِسْكُمْ مِن دَينِرِهِمْ تَظْنَهُرونَ عَلَيْكُمُ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُؤُمِنُونَ وَلِي يَغْفِي الْلَاعِنَ وَتَسْتُمُونَ بِيغِضَ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ بِعَضِي الْكَتَلِي وَتَسْتُمُونَ بِيغِضَ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خَزَى فِي الْحَيْوَةِ الذَّنِيا وَيَوْمَ الْفِينَمَةِ يُردُونَ إِلَى أَشْدُوا الْحَيْوَةِ الذَّنِيا وَيَوْمَ الْفِينَمَةِ يُردُونَ إِلِنَ أَشْدَوا الْحَيْوَةِ الذَّنِيا وَيَوْمَ الْفِينَمَةِ يُردُونَ إِلَى أَشْدَوا الْحَيْوَةِ الذَّنِيا وَيَوْمَ الْفِينَمَةِ يُردُونَ إِلَى أَشْدَوا الْحَيْوَةِ الذَّيَا وَيَوْمَ الْفِينَمَةِ يُردُونَ إِلَى أَشْدَوا الْحَيْوَةِ الذَّيَا وَيَوْمَ الْفِينَمَةِ يُردُونَ إِلَى أَشْدَوا الْحَيْوَةِ الذَّيَا وَيَوْمَ الْفَيْدِينَ الشَّرُوا الْحَيْوَةِ الذَّيَا فِي الْمُعَلِيقُونَ الْفَيْدِينَ الشَّرُوا الْحَيْوَةِ الذَيْنَ الْفَيْدَ فَي الْمُعَلِيقُومَ اللَّهُ عَلَى الْفَيْدِينَ الشَرَونَ الْمَالُونَ فَي أَوْلَتِكَ الَّذِينَ اشْرُوانَ الْمَالِحُورَةً فَلَا يُعْتَلُونَا الْمَالِي الْفَالِعُ عَنْ عَنْهُمْ الْعَدَانِ وَلَا هُمْ يُنصُرُونَ هَى الْمُعَلِّي عَلْمُ الْعَدَانِ وَلَا هُمْ يُنْصُرُونَ هَا اللَّهُ يَعْمُ الْعَلَالُ وَلَا لَعُنْ الْعِلْعِينَا عَلَى الْمُعَلِيلُ الْعَلَى الْعَلَالِ عَلَى الْمَالِقَالُ الْعَلَى الْمُؤْلِقِ عَلَى الْعَلَيْدِينَ الْمُنْفِيلُ عَلْمُ الْعُولُ عَلَيْهِ الْمَالِي فَوْنَ الْمَالُونَ الْمُؤْمِلُ عَلَى الْمُولِ عَلَيْهِ الْمُولِ عَلَيْنَ الْمُنْ الْمُعَلِيلُومَ الْمُولِ عَلَى الْمُولُونَ الْمُؤْمِنَ الْمُولِ عَلَى الْمُولِ عَلَيْكُوا الْمُؤْمِنَ الْمُولُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُعَلِي الْمُعْلِيقِي الْمُعَلِيلُونَ الْمُؤْمِلُ عَلَيْكُونَا الْمُؤْمِلُ عَلَيْكُونَا الْمُؤْمِلُ عَلَالِهُ الْمُؤْمِلُ عَلَيْكُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُ عَلَى الْمُعَلِيلُونَ الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُ الْمُؤْمِلُ وَالْم

الفرنات :

(لَا تُسْفِكُونَ دِمَاء كُمْ) : تريفونها ، بأن يقتل بعضكم بعضاً .

(تَظَاهُرُونَ عَلَيْهِم) : أصله تتظاهرون ، فحذفت إحدى التاعين تخفيفا ، أى . تتعاونون عليهم .

(بِالْإِثْم) : هو الفعل الذي يستحق عليه صاحبه الذم والملام .

﴿ وَالْمُدُوانَ ﴾ : هو التجاوز في الظلم .

(أَسَارَى) : جمع أسير ، يمنى مأ سور ، وهو من يؤخذ على سبيل القهر والغلية .

(تُفَاتُوهُمْ) : تنقلوهم بلغع الفداء ، وهو ما يدفع في فك الأسير .

(خِزْیُ) : هوان .

(بُرُدُونَ) : يرجعون .

(اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ اللُّنْيَا بِالْأَخِرَة) : آثروا متاعها على نعيم الآخرة .

التفسير

ذكر الله بنى إسرائيل فى الآية السابقة . بنَّا هم الأَوامر التى أَعلوا العهد عليهم بالإتيان بها ، وأنهم لم ينأتمروا بها . ونقضوا السيئاق الذى وانقهم به .

وهنا فذكرهم بأهم المنهبات التي أخذ الميثاق عليهم في التوراة ببأن ينتهوا عنها خلم ينتهوا . على سياق الالتفات إلى الخطاب الذي خنست به الآية السابقة . فإن الميثاق بذلك وإن كان على أسلافهم غير أن المعاصرين منهم للدعوة الإسلامية ، يوعمون تمسكهم بالتوراة ، وأنهم عاملون بها . فلذا عوطبوا بأنهم خالفوا ما أخذ عليهم فيها من المواثيق كما صنم أسلافهم ، وذلك الإزامهم كا يزعمون تمسكهم به .

وقدم توبيخهم على ترك امتئال الأوامر، على التوبيخ على عدم اجتناب المنهبات ؛ لأن الأوامر هي الأصل في التكاليف الشرعية . وكل نبي عن قعل، أمر بضده . فالنهى عن الزني ، أمر بالضة ، وهكذا ، فالأمر هو الأساس . والنهى تابع له .

٨٤ _ (وَإِذْ اَعَلَمْنَا مِينَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ مِتَاءَكُمْ وَلاَ تَسْوِجُونَ اَنْفُسَكُم مِّن فِيمَاوِكُمْ نَمَّ الْوَرْثُمْ وَانْشُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ .

أخذ الله عليهم الميثاق بألا يسفك بعضهم دم يعض . وعبر عنه بقوله :

(لَا تَشْفِكُونَ دِمَاءُكُمْ) : إشعارا بأن دم كل فرد من أفراد الأمة ، كأنه دم الآخر . فإذا سفكه فكأنه سفك دم نفسه .

وكذلك واثقهم ألا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، كما ببنه بقوله : ﴿وَلاَ تُخْرِجُونُ أَنْفُسُكُم مِن وَيَارِكُمْ ﴾ : ويدخل في معنى الإخراج من الديلو المعنهى عنه : أن بتصدى الرجل لإيذاء جلوه ، حتى يلجهه إلى الخروج من داره ومن الإخراج: أن يكونوا سببا فيه ، كما حدث من اليهود في خيانتهم لعهودهم مع المسلمين ، إذ كانت خيانتهم لهم، سببا في إخراجهم من ديارهم حول المدينة عقابا لهم .

(ثُمَّ أَقْرَرُتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) : ثم أنتم - أَمِا المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم - قد أقررتُم وأنتم تشهدون على وسلم - قد أقررتم جلدا البيثاق ، واعترفتم بلزوم العمل بمقتضاه ، وذلك مثل قولك : أقر فلان بكذا شاهداً على نفسه .

أو المعنى : وأنتم تشهدون اليوم على أسلافكم : أنهم أقروا بهذا الميثاق .

وسواة أكان المعنى هذا ، أم ذاك ، فإنه يقتضى أن يعمل اليهود المعاصرون للرسول ، بالميثاق الذي أخله الله على اليهود فى كتابهم ، حيث إنهم معترفون به ، زاعمون أنهم متمسكون بالتوراة .

وهذا من باب الإلزام لهم بما يعتقدون وما يعترفون به ، لا من باب أن البوراة لا يزالون مكلفين باتياعها ، فقد تسخت بالقرآن .

وقد تضمن هذا الميثاق أربعة أمور تحير أساسا لمجمع فاضل ، يسوده السلام والطمأنينة ، والعدالة والمودة والرحمة : ألا يسفك بعضهم دم بعض ، وألا يخرجه من داره ، وألا يتظاهر عليه بالإثم والعدوان ، وأن يفتديه إذا أسر . ولكنهم لم يعملوا بلدائق ، كما تحاثت به الآية الكريمة، إذ تقول :

٨٥ – (ثمَّ أنتمَّ هُوَّلَاء تَمْتلونَ أَنصَكَمْ وَتُمْرِجُونَ فَرِيقاً مِنكم . . .) الآية وقوله : (ثمَّ أنتمُّ هُولَاء) : خطلب خاص باليهود المعاصرين للرسول ، فيه توبيخ شديد لهم واستنكار واستبحادٌ قوى لما ارتكبوه بعد إقرارهم الميثاق ، وشهادتهم عليه . و(أنتم) : مبتدأ ، و (هُوَّلاء) : خبره . ومناط الإفادة اختلاف المهفات ، وإن التحدت الذات ، إذ المعنى : ثم أنتم بعد ذلك الميثاق والإقرار والشهادة – هُولاء] المشاهدون الناقضون المتناقضون ، كما تعرب عنه الجمل الآتية :

(تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مَّنكُم مِّن وَيَارِهِم . . .) إلين ، فإنها بيان للخير ، وتفصيل لأحوالهم الممدرجة تحت إسم الإشارة ضمنا ، كأنهم قالوا : كيف نحن ؟ فقيل : تقتلون أنفسكم ، وذلك يشبه قولك : أنت ذلك الرجل الذي فعل كلما وكذا .

وقال الفراء : هو الاه ، هنا : اسم موصول بمعنى ، الذين وما بعده صلة .

(تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِشْمِ وَالْمُلُوانِ) : أَى تتعاونون عليهم قتلا وإخراجا آثمين في حقهم ، متدين ظالمين فيا تصنعونه بهم .

(وَإِن يَاتُوكُمْ أَسَارَى تَفَادُوهُمْ) : أَى وَأَنَمْ مَع قَتَلَ بَعْسَكُم بَعْشا ، وَإِخراجِ بعضكم بعضا من ديارهم ، إذا وجدتم اللين أخرجتموهم من ديارهم ، أسرى في أيدى غيركم من الأعداء ؛ تسعون لفكهم ، وتبذلون عوضا الإطلاقهم ، وهذا من التناقض العجيب ، حيث استحالتم إخراجهم وتعريضهم للأسر .

(وَهُوَ مُحَرِّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) : فكيف تخرجونهم من دياوهم ، وتستطُّون ذلك ، وهو حرام عليكم في التوراة ، وإذا صاروا في الأسر بإخراجكم لهم فادينموهم ؟

أليس هذا نقضا للميثاق في جانب ، وعملا في جانب آخر ؟ فلماذا لم تتبعوا حكمها في النهى عن إخراجهم ، وقد انبعتموه في افتدائهم ؟

فقد جاء فيها أنه _ تعالى _ أخد عليهم العيثاق : ألا يقتل يعضهم بعضا ، أو يخرجه من داره ، وأبما عبد أو أمة وجدثموه من بني إسرائيل ،فاشتروه واعتقوه

وكان اليهود من بنى قريظة وبنى النضير يقيمون بالمدينة ، ويحالف الأولونالأوس، والآخرون الخزرج ، فكانت الحرب إذا قامت فى الجاهلية بين الأوس والخزرج ، انفم إلى كل فريق منهما حليفه من اليهود ، وقتل يعض اليهود بعضا ، أو أخرجوهم من ديارهم ، وبعد الحرب: يفدى كل فريق منهم، أسرى الفريق الآخر عند حلفائهم ، فعيرتهم العرب ، وقالت : كيف تفاتلونهم ، ثم تفلونهم ؟ فيقولون : أمرنا أن نفلهم، وحرم علينا قتالهم ، ولكن نستحيى أن نذل حلفاءنا ؛ فلسّهم الله على تناقفهم فقال :

(أَنْتُوْ مِنُونُ بِبِنْضِ الْكِتَابِ) ، فتفلون أسراكم ، (وَتَكَثَّمُونَ بِبَشْسِ) فتقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ؟ إذ لو كالنوا يؤمنون به كله لما تناقضوا فى العمل به .

والاستفهام المزتكار والتوبيخ؛ على التفريق بين أحكام الله التي أخذ عليهم العهد بالعمل مها في التوراة . ومناط التوبيخ والإنكار ، هو كفرهم ببحضها مع إعانهم ببعضها الآخر، وسعى عصيانهم بالقتل والإخراج من الديار كفرا ، إيرازا لشناعة ما ارتكبوه ، بتنزيله منزلة الكفر بأحكام التوراة .

. لذا ترمدهم الله ، تعالى ـ على عصياتهم بنقضهم العيثاق المنزل منزلة الكفر ــ بالخزى العاجل في الحياة اللنيا ، والعذاب في الآخرة . فقال تعالى :

(فَمَا جَوَاهَ مَن يَمَعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِرى فِي الْعَيَاةِ اللَّذَيَا) : فالإشارة فى قوله (فَلِكَ): راجعة إلى القتل والإخراج من النياد : اللَّلَيْنِ نَفْضُوا بِما عهد الله بغيا و كفرا. والمراد بالنخرى فى الحياة الننيا : اللل والهوان مع الفضيحة بين الناس ، إذ كانت العرم، يقتلهم للوجم، مم أنهم يفادون أسرام، ثم ما تلا ذلك من قتل بنى قريظة وإجلام بنى النفير إلى أذرعات وأريحاء من الشام ، وفى ذلك أعظم الخزى .

وتنكير الخزى لتهويله . ووعيدهم بالعقاب على مخالفتهم التوراة مع أنها نسخت بالقرآن : إما لأن ما فعلوه بقومهم، كان قبل البعثة . وهم كانوا حينثذ ، مكلفين بالتوراة ، أو لأن القرآن لا يقر الظلم ، كما لم تقره التوراة .

(وَيَوْمَ الْتِيَامَةِ يُرُدُّونَ إِلَى أَشَدُّ الْعَذَابِ) : أَى أَن هذا الخزى الذى نزل بهم فى الدنيا ،
 لا يكفر صنهم سيثاتهم ، وإنما يصيرون إلى أشد أنواع العذاب يوم القيامة .

والمراد من قوله : (يُردُّونَ إِنَى أَضَدُّ الْمَلَابِ): أَنَهم يعاقبون به وينتهون إليه .
وبهذا التفسير لا يقال : إن الرد إلى أشد العذاب يقتضى أنهم كانوا فيه قبل ذلك .
والتعبير بقوله (يُردُّونَ) بفسير الفية، للإيدان بعموم هذه العقوبة لمن يكون على
هذا الكفر ، وأنها لا تختص بالمخاطبين من قبل ، كما أن تحويل الكلام من أسلوب
الخطاب السابق إلى الفيبة هنا، يرُّذن بالإعراض عن خطابم ، لعظيم جرمهم .

(وَمَا اللّٰهُ يِغَافِل عَمَّا تَمْمَلُونَ): وليس الله بساو عن أعمالهم القبيحة، التي من جملتها هذا المذكر ، بل هو عالم ومحيط بها ، ومجازيم عليها . وقد عاد القرآن إلى أسلوب الخطاب فى قوله لليهود : (وَمَا اللهُ يِغَافِلِ عَمَّا تَهْمَلُونَ) . بعد أسلوب الغيبة المؤدن بالإعراض عنهم فىقوله : (وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يُرِدُّونَ إِلَى أَشَد الْعَلَابِ) . للمبالغة فى التهديد والوعيد .

ثم أكد الله عليهم الوعيد الشديد ، مبينا السبب الذي من أجله استحقوه بقوله : ٨٦ _ (أُوَلَّنُهُكَ ٱللَّذِينَ الْمُشَرُّوا الْحَيَّاةِ اللَّذِينَ بِالآخِرَةِ . . .) الآية .

أى آثروا متاعها من نحو الرياسة والمال، وكل ماينتفعون به من حظوظ عاجلة: . آثروه على نعم الآخرة . فأعرضوا عنها : وتركوا شرع الله . مع علمهم أن متاع الدنيا قليل ، وأن الآخرة خير للمتقين .

والإشارة إلى الملاكورين بـأوصافهم ، فيها بيان أن تلك الأوصاف هى السبب فيا توعدهم الله به .

وليس فيا صنعوا شراءً وبيع على الحقيقة : ولكنهم لما جعلوا حظوظهم من نعيم الآخرة المقيم ، بدلا لما تمتعوا به في الحياة اللغنيا الفانية .

شبهت حالهم هذه بحال من يشترى شيئاً هينا، بثمن خطير عظيم، من حيث عدم تكافؤ قيمة البدل والمبدل منه فى كل . فإنهم لما كفروا ببعض أحكام التوراة ، كان منهم على هذا الكفر مرضاة حلفائهم ، وبعض المنافع الدنيوية التافهة – على رأى - أو بقاء رياستهم الدينية فى قومهم – على رأى آخر – وكلاهما متاع الحياة الدنيا الذى لا يساوى شيئاً بجانب نعم الآخرة المقبع .

(فَلَا يُحَفَّنُ عَنهُمُ الْمَلَابُ وَلَا هُم يُنصَرُونَ): أَى هؤلاء الذين تقدم ذكرهم وقد آثروا متاع الدنيا عوضاً عن نعيم الآخرة - لا يخفف عنهم العذاب يوم القيامة ، ولايُقطع عنهم، ثم لا يجدون تصيرا يدفع عنهم - بقوته أو بشفاعته ما وقعوا فيه من أشد العذاب، لأن أعمالهم قد سدت عليهم جميع أبواب الرحمة ، فهم في العذاب الشديد خالدون.

لفرنات :

(الكتَّاب) : التوراة .

(وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرَّسُلِ) أَى : بعثناهم على أثره إليهم يقال : قفاه به أَى : أُتِجه إِيَّه وأُرسِله عِلَى أَثْرِه .

(الْبَيُّنَات) : الآيات الواضحة الدالة على نبوته .

(وَأَيَّدُنَاهُ) : قويناه ، من آدالرجل إذا اشتد وقوى .

(بِرُوحِ الْقَدُسِ): القدس: الطهارة. وروح القدس: هو جبريل – عليه السلام – أى الروح الطهر.

(غُلْفٌ) : جمع أغلف أى : مغشاة بـأغلفة مانعة من وصول الهدى إليها

(يُسْتَغْتِحُونَ) : يستنصرون من الاستفتاح . وهو طلب الفتح والنصرة .

(فَلَعْنَةُ الله) اللعنة : الإبعاد والطرد من مواقع رحمة الله .

التفسسير

٨٧- (وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ . . .) الآبة .

 هذا تذكير من الله لبنى إسرائيل ، بضرب من النع التى أنع بها عليهم ، فقابلوها بالكفر والعصيان . وهى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل موسى ـ عليه السلام ـ إليهم ، وآناهم التوراة فيها هذى وتور لهدايتهم . (وَتَغَيِّنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرَّسُلِ) : وأتبعناه بالرسل تترى - ومن هؤلاه الرسل : يوشع وداود وسليان ، وعزير وإلياس والبسع ، ويونس وزكريا ويحي - عليهم السلام - فلم يكن لبى إسرائيل عند يعتقدون به عن مخالفة هؤلاه الأنبياء ، وكثرة الرسل فيهم ليست لأنهم شعب الله المختار ، أنهم أبناه الله وأحياؤه كما يزعمون ، بل المنطقة قلومهم، وصعوبة انقيادهم ، وليتوالى تفسير التوراة لهم عا تلاها من أسفار رسل بني إسرائيل، ولطول الفترة بين موسى وعبسى - عليهما السلام -، فقد كانت خمسا وعشرين وتسعمائة وأنف سنة ، على ما قبل .

(وَانْتَيْنَا عِمَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ): وأُرسل الله إليهم فى أعقاب أُولتك الرسل عبى ابن مربم، وأعطاه الآيات الواضحة الدالة على نبوته . كإيراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله ، والإعبار ببعض المغيبات ، وكذلك آيات الإنجيل ، وإضافة عبسى إلى أمه ، للرد على اليهود الذين زعموا أن له والدا ، وقالوا فيه وفى أمه ما قالوا ، فأساءوا إلى الحق المربّد بالمعجزات .

(وَأَبَّدُنَاهُ بِرُوحِ الْقَلْسِ) : أَى قواه الله تعالى – بحجريل الأَمين الذي يؤيد الله به أنبياءه . وإطلاق روح القدس على جبريل فى الإسلام شائع . ومن ذلك قوله تعالى : و فل نَزَلَه رُوح القدس مِنْ رَبِّكَ بَالْحَقَّ و(1) وقوله – صلى الله عليه وسلم – لحسان : و قل وروح القدس معك ، (٢) . وقال له مرة أخرى : و وجريل معك ، (٣) . وكان حظه معهم كحظ من سبقه من الرسل . وإنما خص عيمى – عليه السلام – بالذكر من أبياء بنى إسرائيل الكونه صاحب كتاب نسخ بعض أحكام شريعة موسى – عليه السلام – الله السلام – الله السلام – الله السلام – عليه السلام – .

⁽١) النحل: ١٠٢.

 ⁽٢) قال عمر لحسان : أنشلك الله . أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقول :
 أجب عنى . اللهم أيده بروح اللخدس ، قال : (اللهم تع) رواه مسلم عن أني هريرة .

 ⁽٣) عن البرأه ــ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان
 أبن ثابت ، أهجهم أو هاجهم ، وجبريل معك ، رواه مسلم .

وقوله : (أَفَكُلُمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ) : من أُولتكم الرسل (بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ) : من الحق المبين (اسْتَكْبَرْتُمْ) : على الاستجابة له (فَفَريقًا) : منهم (كَلَّبْتُمْ وَفَريقًا تَقْتَلُونَ) : غير مكتفين بتكليبهم .

والامتفهام للإنكار والتوبيخ على موالاة تكذيب الرسل وقتل بعضهم .

وفى الاية التفات من النيبة فى قوله تعالى : « فلا يُخَفَّ عَنْهُمُ الْمُذَابُ وَلَا هُمُّ يُنْصَرُونَ) ، إلى الخطاب فى قوله : (أَفَكَلْمًا جَاءَكُمْ رَسُولٌ . . .)

والآية لتشديد النكير عليهم ، والإيامان بأن المعاصرين للرسول منهم على سج أسلافهم ، من التكذيب والفجور .

فقد كلبوا محمدا _ صلى الله عليه وسلم ... وحاولوا قتله .

ولقد ذكرت الآية الكريمة أن السبب فى ضلالهم هو : الاستكبار والاستعلاء . فهذا الاستكبار جعل هواهم هو التحكم فيهم ، فلا يتبعون إلا ما يناسب هواهم .حتى جعلوه إلهم ، فأداهم ذلك إلى أن يكذّبوا النبيين أو يقتلوهم ، إن تمكنوا من قتلهم .

وعبر فى جانب القتل بالفعل المضارع فقال (تَقَتْلُونَ) ولم يقل : قتلتم ، كما قال كلبتم ، استحضارا لصورة قتل الأنبياء أمام السامع ، وجعله كأنه ينظر إليها بعينه ، فيكون إنكاره لها أبلغ ، واستفظاعه لها أعظم .

وعقب الله هذه الجنايات بأخرى: حكاها عنهم بأسلوب النيبة .. إعراضاً عنهم ... فقال سبحانه .

٨٨ ـ (وَقَالُوا قَلُوبُنَا غُلُفٌ . . .) الآية .

أصر اليهود على العناد والكفر، وعدم الاستماع إلى مايدعوهم إليه الوسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ معللين عدم إيمانهم ، بأن قلوبهم منشاة بأغطية لا ينفذ منها إلى قلوبهم ماجاء به ــ صلوات الله عليه ــ حتى تفقهه عقولهم، على حد قول مشركي مكة ، قُلُوبُنَا فَلَ يُرِيعُ مُمَّا يَشْفُونُ اللَّهِ وَقُلُ اللَّهِ وَقُلُ وَرُشْ بَيْنِنَا وَبَيْزِيْكُ حِجَابٌ ، و (١) يعنون أن

⁽١) فصلت: ٥.

قلوبهم ليس فيها استعداد لقبول ما جاء به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد كلبوا ، فإنه دين الفطرة ، فلوتركوا فطرتهم ــ كما خلقت عليه ــ لقبلته وآمنت به ، ولكنهم أسامحوا الاختيار ، ففسدت فطرتهم .

ولهذا رد الله تعالى عليهم بقوله : (بَلْ نَّعْنَهُمْ اللهُ بكُفْرهِمْ) .

و(بل) هنا للإضراب الإيطالى، ورد ما يقولون، أى : ليس الأمر كما زعموا، بل أيعدهم الله عن رحمته، بأن خللهم وتركهم وشأمم ؛ بسبب إصرارهم على الكفر ، لسوه اختيارهم اللى أبطلوا به استعدادهم القطرى الهدى ، فاستحقوا بلذك أن لموه اختيارهم اللى أبطلوا به استعدادهم القطرى الهدى ، فاستحقوا بلذك أن يحرمهم الله من لطفه ورحمته . و وكا ظَلَمَهُمُ الله وَلَكِنُ أَنْفُمُهُم يَظْلِمُونَ » (١) ثم ختم الآية بالنتيجة فقال: (فَقَلِيلًا كُومُونُ) الفاه في (فَقَلِيلًا) أفادت ترتب ما بعدها – وهو قلة إعام م – على ما قبلها ، وهو لمن الله لهم . وقليلًا صفة لمحلوف ، و (ما) ؛ صلة لتأكيد القلة ، وليست نافية . أى : فإعانا قليلا يومُنون . والمقصود من القلة المدم ، أى لا يؤمنون أصلا ، لأن الإعان الشرعي لا يتجزأ ، فإعام ببعض الكتاب وكفرهم بالبعض الآخر . لا يحتبر إعانا بل كفرا ، واستعمال القلة عمني العدم معروف في لغة العرب ، يقولون : هذا شيء قلما ينفع ، يريلون أنه لا ينفع أصلا .

٨٩ ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لَّمَا مَعَهُمْ . . .) الآية .

وهذا نوع آخر من ضلالات اليهود الذين كانوا في عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو أنه لما جاعمم كتاب منزل من الله ــ وهو القرآن ــ مصدق للتوراة التي معهم ، في الترحيد وأصول الدين ، وموافق لها فيا يختص ببعث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ

(وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يُسْتَقْدِمُونَ عَلَى اللَّيْنِ كَفَرُوا) : وكانوا-قبل مجيثه - يستنصرون على أعدائهم من المشركين ، بالنبي المبعوث في آخر الزمان ، قائلين : اللهم أنصرتا عليهم

⁽١) آل عران: ١١٧ ،

بالنبى الذى نجد نعته فى التوراة . ويقولون لهم : قد أطل زمان نبى يحتر ج بتصديق ماقلنا . فنقتلكم به قتل عاد وإرم .

(فَلَمَّا جَاءَهُم مَّ عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) : تكرير للشرط الأول ق قوله (وَلَمَّا جَاءَهُم كَارُوا و وَلَمْ الطول العهد بسبب توسط الجملة الحالية : (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يُستَقْيِحُونَ عَلَى اللَّهِينَ كَفَرُوا) . أى : فلما جاءهم الكتاب الذي عرفوا أنه من عند الله كفروا به . وإيراد الموصول (ما عَرَفُوا) دون الاكتفاء بالإضهار بأن يقال لهم : فلما جاءهم أى الكتاب إنماجاء لبيان كمال مكابرتهم . فإن معرفتهم لما جاءهم . من دواعى الإعمان لا الكثير . وقوله (كَفَرُوا) جواب (لمَّا) الأولى عند المبرد . وفال أبو البقاء هو جواب الولى والثانية مماً .

وقبل إن الراد بلفظ (ما عرفوا) هو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستعمال وما ه فيمن يعلم كثير، كقوله تعالى ء والسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا ، (١) يعنى ومن بناها . وعلى هذا تكون جملة (كَفَرُوا بِدٍ) جوابا عن (فَلَمًّا جَاعَمُمْ مَّا عَرْفُوا) أما جواب (وَلَمًّا جَاعَمُمْ كِتَابٌ) : فمقدَّرُ وتقديره : كذبوه . وقد دل عليه جواب الثانية .

والمعنى عليه : فلما جاءهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى عرفوا صفاته ونبوته من التورأة : معرفة لا يخالجها ربب : حسلوه . لأنه من العرب أولاد إساعيل . وملا العسد علوم من التورأة : معرفة لا يخالجها ربب : حسلوه . لأنه من العرب ما بعدها - من اللعن - على ماقبلها من الكفر : أى : فلمنة الله عليهم وطرده لهم من رحمته وتوفيقه ، بسبب كفرهم عما عرفوا أنه الحق . وإصرادهم عليه : وإنحا . قال (عَلَى الْكَافِرِينَ) ولم يقل عليهم بيه مو كفرهم (وَعَلَى) تفيد استعلاء اللعنة عليهم وشمولها لهم .

⁽١) الشس: ه.

(بِلْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ تَانَفُسَهُمْ أَن يَكَفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللهُ بَغَيا أَن يُنزِّلَ اللهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن بَشَآءٌ مِنْ عِبَادِهِ عَلَى مَنْ عَضَي وَلِلْكَنفِرِينَ عَدَابٌ مُهِينٌ ﴿ وَلِلْكَنفِرِينَ عَدَابٌ مُهِينٌ ﴿ وَلِمَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا نُوْرَنُ بِمَآ أَنزَلَ اللهُ قَالُوا نُوْرَنُ بِمَآ أَنزَلَ اللهُ قَالُوا نُوْرَنُ بِمَآ أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكَفُرُونَ بِمَا وَرَآءَمُ وَهُوا خَتُو مُصَدِّقًا لِمَا مَعُهُم مُّ قُلْ فَلِمَ تَقْدُلُونَ أَنْلِيآ وَاللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُوْمِنِينَ ﴿)

الفردات :

(بنسَما أَشْتَرُوا): بشس فعل يستعمل لإفادة الذم ، والمعنى : بشس شيئاً اشتروا به أن يكفروا . واشتروا هنا ، تستعمل للشراء وللبيع . قال في الصحاح : شرى الشيء يشريه شرى وشراء إذا باعه وإذا اشتراه أيضا وهو من الأضلاد ، وهو هنا عمنى : باعوا .

(بَغْيًا) ، البغى: الفساد ، من قولهم : بغى الجرح أى فسد. والراد منه هنا: الحسد ، الأنه من فساد النفس .

(فَهَاءُوا بِغَضَبِ عَلَى غَضَبِ) : أَى رجعوا بغضبِ فوق غضبٍ ، يقال : : ياء بإنه يبوءُ مهني : رجعُ يرجع

(مُهِينٌ) : مذل من الهوان ؛ وهو الذلة .

التفسيسر

٩٠ (بِغُسَمًا افْعَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ . . .) الآية .

اليهود كانوا ينتظرون بعثة الذي .. صلى الله عليه وسلم .. كما تقدم بياته ، فلما جاهم حسدوه ، واستبدلوا بالإعان الذي هيأً الله لهم أسبابه ليسعدوا .. استبدلوا به الكفر الذي يودي مم إلى الشقاء الدائم ، وآثروه عليه ، فكان اختيارهم الكفر على الإعان ، عنزلة بيم أنفسهم بالكفر إلى النار . ولما كانت الخسارة فى ذلك الاستبدال عظيمة . قال سبحانه : (بِنْسَمَّا اشْتَرَوا بِهِ أَنْفَسَهُمْ) أَى بشما باعوها به (أَنْ يَكَفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ) . فالكفر هو الثمن الذى باعوا به أنفسهم ، والمشترى الشيطان، أو جهنم ، وكل ذلك من باب التصوير والتمثيل ، لتهويل صوه ما اختاروه وتقبيح أمره .

(يَغْيًا أَنْ يُنزَّلَ اللهُ مِنْ فَصَّلِهِ عَلَى مَنْ يَضَاهُ مِنْ عِبَادَهِ) : بسبب بغيهم وحسدم أَن منزل الله الوحى على من يختاره من عباده . وهو محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد حسدوه

على النبوة ، لما لم يكن من بنى إسرائيل . بل كان من ولد إساعيل أخى جدهم إسحق .

وكان ذلك منهم حبا فى الرياسة ، وتعصبا لبنى جدهم إسرائيل ، دون نظر إلى الحق ،

يريدون أن يقصروا فضل الله عليهم ، ولا يرضون عما أعطى الله غيرهم من فضله .

(فَبَاءُوا بِنَفَسِ عَلَى خَفَسٍ): فرجعوا-بسبب حسدهم-بنضب من الله فوق غضب منه ، أى استحقوا غضبا عظيا من الله ، بكفرهم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحسدهم له على فضل الله عليه .

وقيل الغضب الأول لكفرهم بمحمد . والثانى لكفرهم بعيسى من قبله ، فكان غضبا على غضب ، يسبب كفر منهم بعد كفر ، وقيل غير ذلك .

(وَلِلْكَافِرِينَ عَلَمَابٌ مُّعِينٌ) : ولهؤُلاه اللبن عرفوا نبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكفروا جا ،عذاب مهين مذل . جزاة كفرهم واستكبارهم . وهذا العذاب مطلق يشمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، وقال : « لِلْكَافِرِينَ » ولم يقل لهم : تعليلا للوعيد بوصف الكفر .

٩١ – (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَاشُوا بِمَا أَنْوَلَ اللهُ فَالوا نَثْوِينُ بِمَا أَنْوِلَ عَلَيْنَا) . . . الآية .
 أى وإذا دعوا إلى الإيمان والتصديق بما أنزل الله على نبيه محمد أنكروا وعارضوا ، وقالوا

مستكبرين : إنهم لا يؤمنون إلا بما أنول على أنبيائهِم، واعمين أنه لا حق إلا عندهم .

يريدون بذلك أن يتحكموا في وحيى الله وفضله : و و الله أعَلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ه (١) وصيفة الدعوة في قوله تعالى : (عامِنُوا بِمَا أَنْزِلَ الله أن تحدوى على حكمة في التمبير ، إذ لم يقل عا أنزل الله على محمد . فإنها تؤذن بوجوب الإيمان عا أنزل الله تعالى ، من حيث إنه هو الذي أنزله ، فليس لهم أن يقترحوا الرسول المنزل عليه ، ويختاروه بأنفسهم ، فالأمر لبس لهم ، ولكنهم - للجاجتهم في التعصب - يكفرون بغير ما عندهم ، ولا يؤمنون إلا بما يحيم عن طريقهم .

(وَيَكَفْرُونَ بِمَا وَرَاءُهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدَّقًا لَّمَا مَعَهُمْ) ، أَى : : ويكفرون بما عداه ، مع أن ما دُعوا إليه هو الحق الثابت الموَّيد بالآيات والبراهين ، حال كونه مصدقًا لما عندهم ، ومن كفر بما صدق كتابه فقد كفر بكتابه الذي يدعى الإيمان به .

رقد أفحمهم الله بالحجة التى تلحض قولهم بقوله لرسوله محمد ــ صلى الله حليه وسلم ــ :

(قلَّ قَلْمَ تَقَتَّلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كَتُشَمَّ مُّؤْمِنِينَ » . أَى قل لهم مبكتا مفحما :
إِن كَنَمْ مؤمنين بما أَنْوَل الله عليكم كما تزعمون عَلَم قتلتم أنبياء الله اللهين جاهوا بما أَنْول عليكم ؟ . وإنما قال (فَلِمَ تَقَتَّلُونَ) بدلا من ه فلم قتلتم » . استحضارا لممورة هذا الجرم الفظيم مبالغة في التقريع والتشنيع .

والخطاب للموجودين فى زمن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما فعل آبازُهم ، لرضاهم به ، فإن من رضى بالمصية ، فكأنّه فاعل لها . وإن كان غائبا عنها .

وقد يقال إن هذا من باب قولك مجازا لأَهل قبيلة : أَنَّم قتلَم فلانا إِذَا كَانَ القَاتِلِ آباهم . والمراد :أن الأَمر فيكم من قديم على الكفر بكتابكم ، لا على الإيمان به ، فدعوا كم التمسك بكتابكم ، منقوضة : خلفا عن سلف .

⁽¹⁾ الأتمام (١٢٤)

(* وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْمَيِّنَتِ ثُمَّ آَخَذَتُهُ الْعِجْلَ وَنَ بَعْدِهِ وَأَنْهُ ظَلْلِمُونَ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِينَقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُدُواْ مَآءَا تَبْنَكُم بِعُوَّ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرِ بُواْ فِي فَلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمٌ قُلْ بِشَسَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ = إِيمَنْكُمْ إِن كُنتُمْ مُوْمِنِينَ ﴿).

القردات :

(الْعِجْل) : هو ما صنعه لهم السامري من الحل . تمثالا على صورة العجل .

(الطُّور) : هو الجبل ، المعروف في شبه جزيرة سيناة .

(وَٱلشَّرِيُوا فَ فَلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) : داخل قلوبهم مُخَالَط بحب عبادة العجل .

التفسسير

٩٢ – (وَلَقَدْ جَاءَكُم مُوسَى بِالْبَيْنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذَتْمُ الْعَحْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾.

أى ولقد أرسلنا إليكم موسى بالآيات الواضحة ، الدالة على صدقه ـ عليه السلام ـ فى دعوته ، وهى : العصا والبد، والسنون ، ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، المطوفان ، والجراد والقمل ، والضفادع والدم ، وفلت البحر ، وغير ذلك : (راجع الأحراف ١٩٣٠ ، ١٣١ والآية ، من سورة البقرة) وليس منها الثوراة . فإن الآية ناطقة بناجم عبدوا العجل بعد مجىء الآيات . والتوراة جاعتم بعد أن عبدوا العجل ، وموسى طالب عند مجىء الآيات . والتوراة حاتم بعد أن عبدوا العجل ، وموسى طالب عنه التوراة منها .

والمعنى لقد أرسلنا إليكم موسى جِلمه الآيات البينات ،ولكنتكم كفرتم بالله وأشركتم به ، فعبلشم تمثالا للعجل صنمه السامرى من حليكم ، بعد معبىء موسى جِلمه الآيات من ربه ، وانتهزتم لذلك فرصة غيابه عنكم لتاتى ألواح التوراة ، وقد فعلتم ذلك وأنتم ظالمون بالإشراك بدل التوحيد الذي تقتضيه البينات التي جاءكم بها . وأى ظلم أعظم من هذا (إنَّ الشُّرْكَ لَعَلْمُ عَظِيمُ(١) .

والتعبير بالجملة الاسمية : (وَأَنْتُمْ طَالِمُونَ) فيه دلالة على ثبات الظلم واستقراره فيهم . وأنه شأن من شئونهم .

ولقد سبق النبكيت باتنخاذهم العجل فى قوله نعالى : • وَإِذْ وَاعَدُنَا مُوسَى أَوْبَعِينَ لَيَلَةً نَمَّ النَّخَلْتُمُ الْمِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ • وأُعيد هنا بعبارة أخرى فى سياق آخر . وهو أن الآيات البينات الدالة على النبوة والوحدانية . لم تزدهم إلا إيغالا فى الشرك ، وانهماكا فى الوثنية ثُمَّ اتَّخَلْتُمُ الْمِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ) : أى ثم اتخفتم العجل من بعد مجىء موسى بالبينات على رسالته ، وصحة ما دعاكم إليه من : توحيد الله بالعبادة .

والتعبير بقوله (رمِنُ بَعْدِيمِ) يفيد أنه لم يكن لهم علم فى ذلك الاتخاذ . فإنه بعد بلوغ الدعوة ، قامت الحجة عليهم . وخاطب الحاضرين الأنهم يسيرون على نهج أسلافهم ويعتزون بانتائهم إليهم فهم فى السكفر جميعا سواء .

٩٣ (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاثَكُمْ وَوَقَعْنَا فَوْقَكُمُ اللَّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوة وَاسْمَعُوا
 ١٠٠ الآية .

واذكروا يا بنى إسرائيل إذ أخذ الله المهد المراكد عليكم بأن تعبدوه - سيحانه وحده - ولا تشركوا به شيئا، وأن تعملوا بشرعه . وكان أخذه الميئاق عليكم ، فى موقف كله رهبة وخشوع ، وبيان لقدرة الله تعالى . على عقاب من لم يمتثل ، إذ رفع فوقكم جبل العلور كأنه ظلة تظلكم ، وظنتم أنه سيقع عليكم ، وطلب منكم حينتذ، أن تأخلوا ما آتاكم الله من الشرع بقوة : بأن تسمعوه سياع تدبر وفهم وقبول . وتعملوا بما جاءكم فيه من التكاليف بحزم وعزم ، ولكنكم لم تلبثوا أن تقضم العهد، بمجرد أن زال عنكم هذا الموقف

⁽١) لقمان: ١٣ .

(قَالُوا سَوِمُنَا وَمَعَيْنَا) : أَى كانت حالهم فى المخالفة مثل حال نمن قالوا : سمعنا قولك ، وحسينا أمرك .

(وَأَلْشِيهُوا فِى ظَلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بِكُثْرِهِمُ). . . واختلط حب عبادة العجل بقلوبهم : تقليدا لساداتهم من الفراعنة : الليين كانوا يعبدونه ويقدسونه ، ولم ينتفعوا بتحرير الله لهم من فل العبوهية والقتل ، بشق البحر لهم وإنجائهم .

لهذا انتهزوا فرصة ذهاب مومى ــ عليه السلام ــ اتناتي ألواح التوراة ، فأرضوا حبهم لمعبودهم القديم ، وهيدوا صما على شكل العجل : صنعه لهم مومى السامرى من حليهم ، (انظر آية ١٤٨ من سورة الأعراف ، وآية ١٨ وما بعدما من سورة طه).

والكلام على تقدير مضافين، أى : وأشربوا حب عبادة العجل ، وجاء النظم بدون المضافين للمبافق، كأن الذى أشربوه هو ذات العجل، والإشراب إفعال من الشراب . ومن عادة العرب أنهم إذا عبروا عن مخامرة حب أو بعض، استعاروا لهما اسم الشراب، وآثروه على الطعام، لأنه يتغلغل في جميع الأعضاء أسرع وأقوى من .

(قُلْ بِثْمَا يَأْمُرُ كُمْ بِهِ إِعَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّوْمِئِينَ) ، قل لهم يا محمد : بشس اللى يأمر كم به إعانكم المزعوب التوراة : من الأحسال الى تقترفونها ، كسادة السجل ، وقتل الأنبياء ، ونقض الميثان . وقولكم (سَيمْنَا وَعَسَنَا) ، وإضافة الإيمان إليهم فى قوله : (إِنْ كَنْتُم مُّوْمِئِينَ) للإيدان بأنه ليس بإيمان حقيقة ، كما ينبىء عنه قوله تعالى : (إِنْ كَنْتُم مُّوْمِئِينَ) فيقه قدح فى دهواهم الإيمان عا أنزل عليهم من التوراة ، وإيهال لهله المدهرى . وتقرير الإيهال: إِنْ كَنتُم - فيا اقترفتموه من الشرك والماصى موسنين بها ، عاملين بما فيها كما ادعيم ، فيتميا يأمركم به إيمانكم المزعوم بها ، إذ أن الإيمان الهدادق بها ، لا يأمركم بما اقترفتموه من الشرك والمناصى ؛ فيها كما اقترفتموه من الشرك والمناصى ؛ فيها كما اقترفتموه من الشرك والمنامى ؛ في المركم بما اقترفتموه من الشرك والمنامى ، وهذا برمان على عدم إعانكم بها.

(قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ اللَّارُ الْآخِرةُ عِندَ اللهِ خَالِصةَ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُ الْمُوْتَ إِن كُنتُمْ صَندِقِينَ ﴿ وَلَنَ يَتَمَنَّوهُ أَبَدا بِمَا قَدَّمَتْ أَيديهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْمُ إِللَّاظَٰلِمِينَ ﴿ وَلَنَجَدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَارَةً وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيودُ أَحُدُهُمْ لُو يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُو بِمُزَجْزِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرُ وَاللهُ يَصِيرُ إِمَا يَعْمَلُونَ ﴿) .

الفردات :

(يُعَبَّر) : يطول عمره .

(بِدُوَجُوجِهِ) : بمعده .

التفسير

٩٤ ــ (قُلْ إِنْ كَانْتُ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ حِنْدَ اللهِ خَالِصةً مِنْ دُون النَّاسِ فَقَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَافِقِينَ ﴾ .

ما أكثر دعاوى اليهود الكاذبة 1: ادعوا الإيمان بما أنزل عليهم، فيينت الآيات السابقة فساد ادعائهم: بعبادتهم المجل واقترافهم كبائر الإثم. وادعوا دعاوى أعمرى منها: أن المجنة لن يدخلها إلا من كان هودا، فهى خالصة لهم دون غيرهم، فأبطل الله دهواهم جلمه الآية .

والمني : قل لهم يا محمد : إن كاتت لكم جنة الدار الانحرة عند الله ، وق حكمه وكتابه خالصة لكم ، وعاصة بكم من دون الناس جميعا كما زهمتم : _ إذ قلتم لن يدخلها إلا من كان هودا _ فتمنوا الموت اللك يوصلكم إلى ذلك النعم الخالص لكم ، الخاص يكم . إنْ كُنْتُمْ صاوتِينَ في دهواكم . قان النفس تستعجل خيرها .

٩٥ - (وَلَنْ يَتَمَنَّرُهُ أَبَكًا بِمَا قَلْمَتْ أَيْكِيهِمْ . . .) الآية

ولن يتمنوا الوت أبدا، بسبب ما ارتكيوه من الآثام ، لشنة عرقهم من ألهاية ؛ الأبيم

يعرفون أنهم عاصون ، مقترفون لللغوب التي يستحقون عليها العقوبة فى الدار الآخرة ، ولذلك يستأجلون ولا يستعجلون .

وعبر عن أنفسهم بأيديم ؛ لأن معظم الأعمال تتم بالأيلت ، وتنى تمنيهم الموت بلن المقيدة التأكيده ؛ لأنه ظاهر من حالهم ، فإنهم أحرص الناس على الحياة وجمع المال، والانغماس فى الشهوات والملذات، ومن كان كذلك، لا يشفى أن يموت .

وهم فى هذا الزعم .. بأن الدار الآخرة خالصة لهم .. ظالمون ، كما أنهم ظالمون فى كل أهورهم ؛ ولهذا هددهم الله وتوعدهم على ظلمهم ، فقال : (وَاللهُ عَلِيمُ بِالظَّالِيينَ) أى : عليم بهم ، وبما صدر عنهم من فنون الظلم ، من الكفر وسائر الماصى الفضية إلى أشد العلماب ، وعلم بأنهم لن يتمنوا الموت لظلمهم ، كما أنه علم بسائر أحوالهم .

وكان التمبير (بِالظَّالِيمِينَ) دون (بِهِمَ). للإِيدُان بأَن السبب في حرماتهم من الدار الآخرة ، أنهم ظالمون في أمرهم كله، وأن كل من كان على شاكلتهم في الظلم والمعاصى ، فهو مهدد بالعقاب ، كما هددوا به .

٩٦ - (وَلَشَجِلنَّهُمْ أَخْرَصُ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ . . .) الآية .

فى هذا والذى قبله ، إبطال ازعمهم ، وبيان لحقيقة حالهم : من الإخلاد إلى حياة الدنيا ، فهم أشد الناس حرصا عليها ، وعلى التمسك بأهدابها . ولو كانوا يؤمنون حقيقة بأن المار الآخرة لهم - كما زعموا بألسنتهم - لتمنوا الموت ، وما كانوا أحرص الناس على حياة .

وتنكير (حياة) للإطلاق: أى أحرص الناس على أية حياة، وإن كانت ذليلة، فهي عندهم خير من الوت ، كيفما كانت .

(وَيَنَ اللَّذِينَ الْشَرَكُوا) : أى وهم أشد حرصا على الحياة من الذين أشركوا ، ولم يؤمنوا بالله ، ولا باليوم الآخر . وخصوا بالذكر بعد اندراجهم فى الناس ، لأنهم لا يؤمنون بحياة أخرى بعد هذه الحياة ، ويقولون : «إنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا اللَّذِينَ تَدُّوتُ وَتَحْيَا وَمَا تَدَعْنُ بحيثر يُبِينُ (١١) * فجيء جم لتأكيد حرص اليهود على الحياة اللنيا .

⁽١) المؤمنون : ٣٧ .

وفى هلما نوبيخ عنيف لليهود، لأَنهم إذا زاد حرصهم على الحياة ــ وهم أَهل كتاب ، يؤمنون بالآخرة ــ على حرص الناس جميعا ، حتى اللين لا يعرفون إلا الحياة اللنيا ، ولا يصدقون ببعث ولا نشور ــ كانوا جديرين بأعظم التوبيخ .

وقوله : (وَمِنَ اللَّذِينَ أَشْرَكُوا) معطوف على ما تبله بحسب المنى ، كأنه قيل : أحرص من الناس ومن اللنين أشركوا . فقوله (أَخْرُصَ النَّاسِ) فيه كلمة (من) مقدوة بعد أحرص .

وإلى هذا ذهب عبد الفناهر ، وأبو على وغيرهما ، فقد قالوا إن أفعل إذا أُضيف وأُريد منه الزيادة على ما أضيف إليه ، كانت إضافته لفظية بتقدير : مِنْ

(يَودُ آحَدُهُمْ لَوُ يُمَدِّرُ أَلْفَ سَنَة) : أَى بلغ من شدة غلوهم فى الحرص على العياة ، أَن الواحد منهم ، يتمنى أن يعيش السنين الكثيرة ، ولو تجاوزت الحد الذى يبلغه الإنسان فى العادة . فكلمة (أَلْفَ سَنَة) كتابة عن المدة الطويلة ، التى يود أن يحياها . وليس المراد خصوص العدد ؛ لأن العرب تذكر الأَلف ، وتريد الكثرة .

وإنحا يودون البقاء فى اللنيا ، لأَنهم يرون أنّها ــ على ما فيها من منفصات ــ خير من الآخرة لما يتوقعون من سخط الله ، وتعذيبه لهم حلى ما أسلفوا من كفر وعصيان، وقلك خير شاهد على أنّهم لا يعتقدون ما يقولون : من أن تعم اللدار الآخرة خالص لهم .

(وَمَا هُوَ بِمُزَّشِرِهِ مِنَ الْمَلَابِ أَنْ يُعَمَّرَ) وما ذلك التعمير لو تم ، بنافعه ولا مبعده من علاب الله المحتوم ، لأنه لا بد له من الموت والعرض على الله ، ليجازى على ما قدم فى دنياه .

والتمير بالجملة الإسمية ، للثلالة على دوام بقائهم فى النار ، وهدم تزحزحهم منها . (وَاللهُ بَهِير بِمَا يَسْمُلُونَ) أى والله عالم بأعمالهم ومحيط بها ، علم من يبهمر ويرى ، ولا تختى عليه خافية من أمرهم ، ومجازيهم عليها ، يما أعده لهم من العقاب .

وفي هذا تهديد ووعيد لهم .

وعبر بالمفارع (يَعْمَلُونَ) بدلا من المصدر ؛ لتصوير عملهم بأنه كان يتجدد آنا بعد آن . (قُلْ مَن كَانَ عَدُوَّا لَجِيْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَنَ يَدَيْهِ وَمُدَّى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ مَن كَانَ عَدُوَّا لِلهِ وَمَلَّشِكَتِهِ مَ وَرُسُلِهِ وَجِيْرِيلَ وَمِيكُلَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوَّ لِلْكَنْفِرِينَ ﴿) .

الغردات :

(عُدُوًّا) : العدو ضد الصنيق . ويطلق على الواحد والجمع .

(جِبْرِيلِ) : أمين الوحي بين الله ــ تعالى ــ ورسله ، وهو روح القلس .

(مُصَلِقًا لِمَا بَيْنَ يَلَيُهِ) : أَى مويِّدا ما تقدمه من الكتب السياوية ، التي نزلت على من سبق نبينا من الرسل .

لتفسسر

٧٧ ــ (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ تُزَلَّهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدَّقًا لِمَا بِيْنَ يَعَيْهُ . . .) الآية .

سبب نزولها: أن البهود قانوا للنبي ــ صلى الله طليه وسلم ــ إنه ليس نبي من الأنبياء ؛ إلا ويناتيه ملك من الملاتكة من صند ربه بالرسالة والوحى . فمن صاحبك حتى نتابعك ؟ فقال : جبريل ، قانوا : ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ، ذلك مدونا : لو قلت : ميكاليل الذي ينزل بالقطر وبالرحمة ـ تابعناك ، فأنزل الله الآية ، إلى قوله : (لِلْكَافِرِين) أَسْرِجِه الترملي .

رُوى أن همر جلس إلى بمضهم وسألهم عن جبريل - عليه السلام - فقالوا : ذلك هو عدونا ، يطلع محمدًا على أسرارنا ، وهو صاحب كل خسف وعلماب . وميكائيل يجيء بالخصب والسلام ، فرد عليه عمر : بأن من كان عدوا لأحدهما ، فهو عدو للآخر ، ومن كان عدوا لهما ، كان عدوا أله - سبحاته - فلما رجع عمر ، وجد جبريل عمر ، علم المحريل علم علم ، علم علم ، علم علم علمه السلام ، قدصيقه بالوحى ، فقال حملي الله علمه وسلم - و لقد وافقت ربك يا عمر ، المنى : من قبائح اليهود، قولهم فى جيريل _ عليه السلام _ هو علونا، وأرادوا من هذا القول: أثبم لا يؤمنون بوحى يجيء به عدوهم . فهم لا يؤمنون بالنبي _ صلى الله عليه وسلم _ من أَجل أن جبريل هو اللهى ينزل عليه بالوحى. فأمر الله نبيه _ صلى الله عليه وسلم _ أن يرد عليهم بما ممناه : قل لهم يا محمد : من كان عدوًا لجبريل لأنه جاعل بالقرآن فهو عدو لله ؟ فإن جبريل نزل بالقرآن على قلبك ، بإذن الله مصدقا لما سبقه من الكتب المياوية ، وهذى ورحمة ، وبشرى للمؤمنين ، ولم يأت به إليك من عند نفسه . ومن عادى ملكا جاءك من عند نفسه . ومن

وجعل القلب محل التنزيل ، لأنه موضع العلم والعقل وتلتى المعارف .

ومعنى قوله : (مُصَلِقًا لَمُعَا بَيْنَ يَكَيْمِ) ، أنه مويَّد ما سبقه من الكتب الساوية ، ومنها التوراة في أصول العقائد والأحكام والأخلاق، وإذا كان كذلك، لا يصح أن يعادى من جاء به ، ولا من أنزل عليه (وَهَدّى وَيُشْرَى للْمُؤْمِنِينَ) ، أى وهاديا إلى سبل السعادة والفلاح ، وبشرى للمؤمنين بالجنة ، والنعم المقم .

وفى وصفه بهدى ويشرى – وهما مصدران – فيه توكيد لكونه هاديا وميشرا وقوله (هَإِنَّهُ تَزْلَهُ عَلَى فَلْبِكَ) تعليل لجواب الشرط المقدر . قائم مقامه ، والتقدير : من كان عدواً لجبريل ، كان عدوًّا لله ، فإنه نزَّله على قلبك .

وخص المؤمنين بالذكر : لأنه ـ بالنسبة إليهم ـ هدى ويشرى . أما غيوهم من المعرَّبن على الكفر . فهو عليهم عمى ، ولهم قلير بأشد العذاب .

٩٨ _ (مَنْ كَانَ عَنْوًا إِنَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِيْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهُ عَنُوًّ لِلكَافِرِينَ ﴾

أى من كان عدوا لله مخالفة أمره صنادا ، والخروج عن طاهته مكابرة ، وعدوا الملائكته برفضه الحق الذي جائوا به من صنده – تعالى – لرصله ، وعدوا لرسله بتكذيبهم ، وعدوا لمجريل وميكائيل خاصة ، من كان عنوا لهؤلاء – وعداوتهم كفر – عاداه الله ، فإن الله عدو للكافرين – ومن عاداًه الله بله بالعلماب المهين .

وجمع الملائكة ،مع أنهم عادوا جبريل وحده الأن معاداة أحدهم معاداة لسائرهم ، وَجَمَعَ الرسل ، مع أنهم عادوا محمدا ، لأن معادلة أحد الرسل معاداة للجميع . وميكال هو ميكائيل ، وهالثانية قرأ حمزة والكسائى وابن عامر وغيرهم ، وبالأُولى قرأ أَبو عمرو وخفص وهي . لغة أمل الحجاز .

وإفراد جبريل وميكائيل بالذكر م دخولهما فى الملاكة لإظهار فضلهما ، وللتنبيه على أن عداوة جبريل تعتبر عداوة لميكائيل، فلا وجه لادعائهم حب ميكائيل وكرأمة جبريل ، لأن بغض أى ملك ، فى حكم يغض الجميم .

وقال في الآية (عَدُوٌ للكَافِرِينَ) . . . ولم يقل مدولهأو لهم؛ للإيذان بأن مداوة من ذكر في الآية كشر ، وأن الله عادام لكفرهم .

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ا أَيْتِ بَيِّنْتُ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفُلسِقُونَ ﴿

أَوْكُلُمَا طَهُدُواْ مَهْدًا نَّبِلُومُ فَرِينٌ مِنْهُمْ بَلَ أَكْرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُعَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَدُ فَرِينٌ مِّنَ الَّذِينَ أُونُواْ الْكِتَنْبَ كِتَنَبَ اللهِ وَزَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿) .

القردات :

(آیات) : المراد یها آیات الفرآن .

(بَيْنَات) : واضحة الدلالة على معانيها .

(الْفَاسِمُونَ) : الخارجون عن الحق إلى الباطل والفساد .

(نَبَلَهُ ﴾ : طرحه وألقاه ، من النيذ وهو إلقاء الشيء وطرحه ؛ لعدم الاعتداد به .

التفسيم

٩٩ ــ (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِ بَينَاتِ . . .) الآية .

واتمد أنزلنا إليك آيات القرآن حُجَجًا على نبوتك ، بما انشملت عليه من وجوه الإعجاز للبشر ، واضحات الدلالة على معانيها وكونها من عند الله ؛ ولذلك كانت أحق وأولى بالقبول والاقعان واستهلال العبارة بقوله : (وَلَقَدْ) لمزيد تحقيق ما اشتملت عليه الاية الكريمة

(وَمَا يَكُثُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ) : ولا يكفر جله الآيات البينات إلا الفاسقون ، أى المتمردون فى الكفر ، المنظرجون عن حدوده ، فإن من ليس على تلك الصفة من الكفر ، لا يجترئ على الكفر بمثل هله الآيات الواضحات .

قال الحسن : إذا استعمل الفسق فى نوع من الماسى ، وقع على أعظم أفراده من كفر أو غيره . ومن أشد هؤُلاه الفاسقين فسقا : اليهود، إذ أنهم كفروا بالآيات البينات ، مع تأكمهم من صلق من جاء بها ، عنادًا لمن ظهر الحق على يديه ، وحَسَدًا له ، فينهم يعرفونه كما يعرفون أبناهم .

١٠٠ - (أَوَكُلُمَا عَلِمُوا عَلِمُا نَبِلُهُ فَرِينٌ مُّنْهِم). . . الآية .

من عادة اليهود: أن ينقضوا العهود والمواثيق ، ولا يفون إما .

ومن ذلك : أنهم كانوا على نية الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث . ولهذا كانوا يستغتحون ويستنصرون به إذا حاربوا المشركين قبل أن يبعث ، فيسألون رَبهم النصر ، ببركة النبي المنموت بصفاته في التوراة ، ويقولون لهم : قد أطل زمان نبي سنقتلكم نحن معه قتل عاد وإدم ، كما سيق بياته .

والاستفهام فى (أَوَ كُلُمَا): للإتكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم، و (كُلُماً) لإفادة تكرارهم لنبذ العهود ، والواو قبلها للعطف على مقدر يستدعيه المقام . والتقدير : أَكفروا جنه الآيات ، وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، ومن جملة ذلك : عهدهم ووهدهم بالإبمان بك يا محمد إذا بعثت !

وعبر عن نقضهم للعهد ، بالنبذ، ليشير إلى أنهم تركوه مستهينين به ، لأن النبذ يكون للشئ الذي لا يعتد به . وإسناد النبذ إلى فريق منهم ، يؤذن بناً ن منهم من لم يشبله .

(بَلُ أَكْثَرُهُمْ لَا يُوَّينُونَ) ، أَى : بل أكثر اليهود لا يؤمنون بالتوراة الى جانب أَن أكثرهم ينقضون المهد . فإيمانهم بالتوراة الا يجاوز حناجرهم ، ولو آمنوا بما حقا ، لسارهوا إلى الإيمان بك يامحمد ، فأنت متعوت بأوصافكِ فيها . ١٠١ ــ (وَلَمَّا جَاعَقُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لَّمَا مَعَهُمْ . . .) الآية .

الرسول : هو محمد ... صلى الله عليه وسلم ... ووصفه بأنه جاعهم من عند الله فيه تحظيم له. فإن عظمة المرسل تقتضي عظمة رسوله . وفيه إلى -جانب ذلك - مبالفة في استذكار كفرم به ، أى : ولا جاعهم رسول عظيم من عند الله : مصدق لما معهم من التوراة ، من حيث إنه جاء على الوصف الذي وصف به فيها ، كما أن كتابه الذي جاء به موافق لما فيها ، من قواعد التوحيد وأصول اللعين والأخلاق ، وأخبار الأمم .

(نَبَذَ فَرِينًا مُّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابِ كِتَابِ اللهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

أى ولما جامعم محمد – صلى الله عليه وسلم – مصدقا لما معهم فيا تقدم ، نبذ فريق من الميهود الذين أُوتوا التوراة ، كتاب الله وهو القرآن ، إذ كفروا بالرسول الذي جاء به ، وأعرضوا عما جاء في التوراة مبشرا به – صلى الله عليه وسلم – كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله ، أو أن محمدا رسول الله ، والواقع أنهم يعلمونه علما يقينيا ، ولكنهم نبذوه مكابرة وصنادا وجريا على سنتهم في نيذ المهود . فإنه قد أخذ عليهم المهد في التوراة أنه : إذا جاهم هذا الرسول المنحوث ، يؤمنون به وينصرونه ، فنقضوا هذا المهد بكفرهم به .

وأتما شبههم بمن لا يعلمون ، لأن رفض الحق من شيمة الجهلاء، وهم بنبلهم الحق ، مع علمهم يه – يشبهون الجهلاء الذين لا علم عندهم .

وفى الآية تصوير بيانى حكيم، حيث شبه حال التناركين للعمل بالكتاب المهملين له، پمحل من يرمى شيئا وراء ظهره ، نابلنًا له وكارها .

وإضافة كتاب إلى (الله) ، فيها إظهار لبشامة جرمهم ، حيث طرحوا أعز كتاب وراء ظهورهم.
وقصرُ نَبلة الكتاب -- وهو القرآن -- على بعضهم ، يؤذن بأن بعضا آخر لم يتبله ،
كمبلله بن سلام ، وزيد بن سعنة من أحبار اليهود ، وغيرهما بمن أكرمهم الله بالإيمان المحلق برسوف الله والقرآن المجيد .

ويرى بعض الحسوين : أن المراد بكتاب الله الذي نبذوه : التوراة .

قال السدى: لا جاعم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عارضوه بالتوراة، فاتفقت التوراة والقرآن، فضيلوا التوراة وأخلوا بكتاب آصف، وسحر هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن.

الفردات :

(تَتْلُوا) : تخبر وتحدث أو تقول .

(عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) : على عهد ملكه وفى زماته .

(السَّحْرُ): إخراج الباطل في صورة الحق ، وهو .. في الأصل .. مصدو صحر يعسو ... بفتح الحاد فيهما ... إذا أبدى ما يدق ويحقى ، ويستعمل فيا لطف وعلى صهبه المناسبة ... أن من ما إذا قد المرحاء ... الخلق ، الخلوم علم المحد

والمراد هنا : أمر غريب يشبه الخارق للمجز وليس بالخارق ، إذ يجرى فيه التعقم كالذى حصل من سحرة فرعون ، حيث أظهروا لموسى حبالهم وعصيهم أنها تمنعى ، وقيس ذلك من باب قلب الحقائق ، بل هو تخييل . وسيأتى لذلك مزيد بهائ في فلشي .

(بِبَابِلَ) : بلدة قديمة ، كانت بالعراق ينسب إليها السحر ..

(هَارُوتَ وَمَارُوتَ) : اسان للملكين اللغين أنزل عليهما علم السحر ، وسيأفئ بيان المراد منهما .

(فِتنَةً) ; ابتلاء واختبار

(اشْتَرَاهُ) : استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله .

(خَلَاق) : نصيب في الخير .

ا لَمَثُوبَةً ﴾ : لأَجر وثواب .

التفسيسر

١٠٢ – (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى ملْك سُلَيْمَانَ . . .) الآية .

أُخبر الله صبحانه وتعالى في الآية السابقة : أن البهود اللبين أوتوا التوراة: لما جاتعم وصول من عند الله ؛ نبذوا كتاب الله وهو القرآن ، وكفروا به ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع أنه مصدق للكتاب اللدى معهم . لكونه مطابقا للأوصاف الموجودة فيه .

ثم عطف على هذه الجريمة سـوهـي نبـذهم لكتاب اللهـــ جريمة أخرى، هـي : اتبـاعهم الشيـاطـين بمزلولة المسحر بدل العمل بكتاب الله .

والمعنى : أن اليهود - لما جاعم الرسول بالقرآن - نبذوه ، واشتغلوا بالسحر الذي كان عليه آباؤهم من قبل .

فالمراد مما تتلوه الشياطين : كتب السحر ، التي كانت نقرؤها الشياطين : أى المتمردون من الإنس والجن .

وتتلوا : حكاية للحال الماضية ، أى ما كانت تتلوه الشياطين على عهد ملك سليان ، وللراد باتباعهم إياها : استمرار اتباعهم لها واشتغالهم بها ، فقد كانوا متبعين لها قبل مجى الرسول - صلى الله طيه وسلم - .

وقد كانت الشياطين في عهد سليان تلقن كهان البهود ، وتتلوا عليهم قواعد السحر ، وتتجرهم كلبا: أن ملك سليان وسلطانه على الإنس والجن ، والطير والربح ، لم يقم إلا على تلك القواهد ، فكانوا يدونونها عن الجن في كتب لديهم : توارثها الخلف عن السلف، حتى وصلت إلى اليهود بالملينة ، فكانوا يشتغلون بما فيها قبل بعث النبي – صلى الله عليه وسلم— وطلق عدم ، وفضوا كتاب الله الذي جاء به ، وفضلوا عليه الاستمرار في مزاولة المسحر الذي

يحرمه ، مع أن الديانة اليهودية قامت على إبطال السحر ، الذى جاء به صحرة فرعون وحملتهم على الإيمان بالله ، وقررت أن الساحر لا يفلح حيث أتى .

ولما كان السحر يؤدى إلى الكفر .كما سيأتى ، وكان اتهام الشياطين واليهود لسليان بمزاولته يشيئه ، نفاه الله عنه بقوله :

(وَمَا كَمْرَ سُلَيْمَانُ وَلَلَكِنَّ الشَّياطِينَ كَمْرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ) : فأكلبهم الله - سبحانه وتعالى - جذا ، ونزه سليان - عليه السلام - عن عمل السحر الذي نسبه إليه أواتلك الشياطين ، وتبعهم في ذلك اليهود الذين من شيمتهم تلويث الأنبياء ، كما نلمسه في أسفار العهد القليم .

وقى الآية دليل على أن من يستخدم السحر ويؤمن به ؛ يكون من الكافويق ؛ لأن قوله تعالى : (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) : حجة على أن السحر : ضرب من ضروب الكفر.

وقد أطلق القول بكفر من يزاوله : العلامة التغتازاني .

ولكن الشيخ أبا منصور ذهب إلى أن إطلاق القول بأن السحر كفر خطأ ، وأنه يجب التفصيل فيه ، فإن كان فيه رد مالزم من شروط الإيمان فهو كفر ، وإلا فلا .

وعلى هذا، فالمراد من السحر الذي هو كفر: ماكان بالتقرب إلى الشيطان بالسجود له أو لصنم أو غيره ، أو بالرُّ تى بعبارات فيها شرك بالله ــ تعالى ــ أو نحو ذلك مما يشاق أصول المقيدة الإسلامية ؛ كاعتقاد الساحر أنما يستعين به فى سحره ــ مثل العبن والنجوم ــ لها قدرة ذاتية على النفع والفسر .

وعقاب السحر الذى هو كفر: قتل الذكور وحبس الإناث وضربين ما لمنقع منهم توبة وأما ما ليس بكفر-وفيه إهلاك النفس سففيه حكم قطاع الطريق، ويستوى فيه الذكور والإناث ، ونقبل توبة صاحبه إذا تاب . هذا رأى بعض الفقهاء .

والمشهور عن أبي حنيفة رضى الله عنه : أن الساحر يقتل مطلقا إذا علم أنه ساحر ، سواء أكان ذكرا أم أثنى . ونقبل توبته إذا تاب .

ومذهب مالك رضى الله عنه كما نقله القرطبى : أن السلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا ، فاينه يقتل ، ولا يستتاب ، ولا تقبل تويته . ومن أراد معرقة مذاهب العلماء وآرائهم فى السحر وأحكامه ، فليرجع إلى المطولات .

وأما الشعوفة وما يجرى مجراها ، مما فيه إظهار أمور عجيبة باستعمال آلات هندسية أو خفة يد ، أو الامتعانة بخواص الأفوية والأحجار ، فإنها ليست من السحر ، وإطلاق السحر عليها من قبيل التجوز ، أو لما فيها من الذقة كما ذكره الآلومي .

(وَمَا أَنْوِلَ كُلُ الْمُلَكَيْنِ بِهِ إِلِى مَارُوتَ) أَى : أنبع اليهود ما كانت تقروه الشياطين على الكهنة من أبواب السحر من مهد ملك سليان ، زأحمين أن سلطانه قام عليه ، واتبعوا أيضاً ما أنزل على الملكين : هاروت وماروت ببابل ، وذلك أن بابل كانت مدينة بالعراق يمكنها الصابحون اللذين يعبدون المكواكب ، وكان منهم أناس يزاولون السحر، ويدعون الثامل إلى الكفر ، وتقديس الكواكب والشياطين ، ويسيطرون عليهم بالسحر؛ ليحملوهم على حبادتها .

ومن رحمة الله – تعالى – أنه جعل من نواميسه ألا يذر الشر وحده يسيطرعلى عباده، فللما صخر رجلين صالحين – اسمهما هاروت وماروت – لتحذير الناس، فكانا لصلاحهما – يشبهان الملائكة ، فلما أطاق الله عليهما الملكين .

ولما كان لكل شيء آفة من جنسه ، فلذا ألقى الله في قلبيهما علم السحر ، فكانا يعلمان الناس السحر لكى يتخلصوا بتعلمه من سيطرة السحرة من الصابئة ، ويتقوا شرورهم ، وكانا يخرجان التعلم بالتحلير ، فيقولان لن يعلمانه : إنما نحن فتنة ، أى امتحان من الله _ تعالى _ لعباده لينظر : أينتفعون بسحرنا في اتفاه الشر وجلب الخير، أم يسيئون استخدامه في الإضراربالناس ، وإفساد العقائد ؟ ، فهو سلاح ذو حدين ، فكما ينفم بيضر ويفسد العقيدة .

وق ذلك يقول الله ــ تعالى ــ :

(وَمَا يُعَلِّمُان مِنْ أَحَد حَمَّىٰ بِتُولاً إِنَّما نَحْنُ فِئْنَةٌ فَلَا تَكُفُرْ) .

وللقمود من إنزال السحر على هذين الرجلين المشبهين للملاتكة : إلقاؤه فى قلبيهما وَتَطْهِمِهَا إِيَّاهُ .

وكل العلوم والمعارف تنزل على القلوب من عند الله .. تعلل .. :

وقيل : إنهما ملكان ، وإن السحرة قد كثروا في ذلك المهد ، واخترعوا فنونا غريبة من السحر : يموهون على الناس بها ، وربما زعموا أنهم أنبياء ، فيعث الله ـ تعالى ـ هلين الملكين ليعلما الناس وجوه السحر حتى يمكنوهم من التمييز بينه وبين المعجزة ، فيحلروا الكذابين ، ولا ينخدهوا بسحرهم .

وماقلنا من أن الملكين: رجلان صالحان شبها بالملائكة لصلاحهما، هو الرأى الحق، وتويِّده قرائةً (الملكين) بكسر اللام .

أما من أخذ اللفظ على ظاهره ، وقال : إنهما من الملائكة بعثهما الله لتحفير الناس من السحر ، فقد جانبه الصواب ، لأن سنة الله أن يجمل رسله من البشر لا من الملائكة .

ولهذا لما طلبت قريش أن ينزل الله لهم ملكا ، رد عليهم بقوله ، وكَوْ ٱلْنَرْلَنَا مَلكَا لَّقُضِيَالْأَثُرُ ثُمَّ لاَ يُنظُرُونَ. وَلَوْجَمَلْنَاهُ مَلكًا تَجْمَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَشْنَا عَلَيْهِم مَّلِيْسُونَ ١٤٥٤.

وقد دلت الآية على : أن تعلم السحر كله غير محظور ، وإنما المحظور منه ما يودًى بصاحبه إلى الكفر، باعتقاد فاعلية الشيطان ، والكواكب ، وألوهيتها ، أو السجود لها أو لصنم أو غير ذلك . مما ينافي الإيمان . فالمقصود من قوله (فَلَا تَكَثُّرُ) : أَى لا تكفر بما يخالف شروط الإيمان من قول أو عمل أو اعتقاد .

(فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْهِ وَزَوْجِوٍ)

ذكر الله في هذا الجزء من الآية ، لونا من ألوان السحر ، الذي كان يعلمه لللكان لأهل بابل ، وهو السحر الذي يكون من أثره إزالة الألفة بين الزوجين ، وإحداث العداوة أو البغضاء بينهما ،إلى أن يتفرقا . واختصه باللكر ؛ لأنه من الصور التي تظهر فيها منصدة السحر بأشد ما يكون . فلهذا آثر إبرازها ، ليعلم الناس منها مدى ما يصل إليه السحر من الإضرار بالمجتمع ؛ فإن إفساد الأسرة إفساد للمجتمع ؛ لما فيه من تشويه الأولاد اللين هم أساسه .

ويتسع الشر إذا أريد بالمرء وزوجه : الإنسان ومن يزاوجه ويقارنه ، فينضم إلى الإنسان وزوجته كل قرينين بينهما إلفة كالأعوين والشريكين والصالحين ، ومن هذا المهنى . قوله : د أشُشُرُوا اللِّينَ ظَلْمُوا وَالْوَاجَهُمْ ، (٧) .

⁽١) الأتمام : ٨ و٩ . (٢) المباقات : ٢٧ :

(وَمَا هُمْ بِضَالَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَد إِلاَّ بِإِذْن الله) : أَى وما يضر السحرة بهذا السحر أحدا كانتا من كان ، إلا بعلم الله وإراقته ، فهم إذن لا يستطيعون أن يحدثوا بسحوهم ضررا هون إرادة الله ، ودفع بهذا توهم أن يكون ضارًا بذاته ، بل بِإذن الله ــ تعالى ــ ربطا للمسيبات بالأسباب يا

(وَيَتَكَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَكُمُمْ) : ويتعلمون من السحر ما يضرهم ولا ينفمهم الأَّهم يقصدون بتعلمه الشر والإضرار بالناس . وقصدُ المصية يعتبر معصية يعاقب الله ــ تعالى ــ عليها يوم القيامة .

أو لأن العلم يدعو إلى العمل ويجر إليه ، ولا سيا الشر الذى هو هوى النفس ومطلبها . والتصريح بقوله : (وَلاَ يَنْفُصُهُمْ) بعد إثبات ضروه ؛ للإيذان بأنه ليس من الأمور المشوبة بالنفع والفسر ، بل هو ضرر محض .

وظاهر هذه الفقرة من الآية يُقُوِّى رأى القائلين بحرمة تعلمه مطلقا .

(وَلَقَدُ عَلِمُوا لَمَن اشْتَرَاهُ مَالَهُ في الآخِرةِ مِنْ خَلَاقٍ) : ولقد علم هؤلاه اليهود اللين نبلوا : كتاب الله أ ، واتبعوا السحر : أن من استبدل السحر بكتاب الله و آثره على شوهه - سبحانه - ليس له أيَّ حظ من الجنة ، ولا أي نصيب من الخير يوم القيامة ؟ لأنه لم يكن له إيمان ولا عمل صالح يكافأ عليه .

(ولَبِعْسَ مَا هَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

(شَرُوْا) أى باعوا ، وهي من الأضلاد ، ومعا جامت به بمعنى البيع أيضا قوله تعالى (وَشَرَوْهُ بِثمن بعض (١)) أى باعوه بثمن قليل. والعلم هنا منزل منزلة اللازم ، غير منظور فيه إلى مفعول ، أَنَّى لو كان عندهم علم وعقل .

والمنى : ولبشس هذ الذى باعوا به حظ أنفسهم من الخير ، وهو تعلم السحر والعمل به . ولو كان عندهم علم وعقل، لأدركوا أن هذا السحر ضار ، مفسد النفس والعقل والناس ، ولامتنجوا عن تعلمه والعمل به .

وإنما نفى عنهم العلم ، لأن العالم إذا لم يجر على موجب علمه ، ينزل منزلة الجاهل وينقى عنه العلم كما ينفى من الجاهل .

١٣٣ - (وَلَوْ أَنْهُمْ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَمَثُوبَةٌ مَّنْ عِنْد الله خَيْرٌ لَوْ كَانوا يَشْلُمُونَ) أَى : وَلُو أَنْ هُولاهِ اللَّهِ يَعْطُونِ اللَّهِ مَ وَيَوْدُونِهِ عَلَى مَا أَنزلَ اللهِ ، لو أَنهم آمنوا بالني _ صلى

⁽۱) پرست : ۲۰ .

الله عليه وسلم – وما أنزل عليه من القرآن اللتى فيه هدايتهم ، واتقوا الله باستثال أوامره واجتناب نواهيه ، الأنيبوا على ذلك ، وثواب الله خير لهم من السحر . ولو كانوا من أولى العلم اللين ينتقمون بما يعلمون علم يفعلوا ذلك ، ولكنهم آثروا الحياة اللغيا على الآخرة ، فكفروا وعصوا ، فكانوا من الخاسرين .

وقى النظم الكريم: تنكير مثوبة ليبين فضلها باى قدر، فقليل من ثواب الله ــ تعالى ــ فى الآخرة خير من نعم الدنيا الفاتية . مهما كثروعظم، فكيف وثواب الله ــ تعالى ــ كثيردائم :

و في ذلك : ترغيب في طاعة الله ، وترهيب من المخالفة التي تجر إلى عقابه تعالى .

واستنبط بعض العلماء من الآية : أن مَنْ تعلم السحر لا ليعمل به ، ولكن ليتقى ضرر ، أو علمه غيره لهذا الفرض، فلا حرمة عليه ، فإن القرآن الكريم ذكر عن الملكين أنهما كانا يعلمان الناس السحر ، وثم يعقب حكاية ما فعلاه بالنهى عنه . وهذا يقتضى إباحة تعلمه ، للتمييز بين السحر وبين المجزة والكرامة . ولاتقاه ضروه .

ولا ننسى ما بيناه من الخلاف في حكم تعلمه وتعليمه .

الفردات :

(رَاعِنَا) : أَى انتظرنا وتأنَّ بنا حَى نفهم كلامك . وأَصله من المراعلة ، وهي الميالغة في الرعي . وهو الحفظ والتدبير . وتدارك المسالح .

(انْظرْنَا) : انتظرنا وتأنَّ بنا .

(مَا يُودُّ) :الود : محبة الشيء وتمي وقوعه .

التفسير

١٠٤_ (كِنْكُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا . .) الآية .

هذا قداء من ألله _ سبحانه وتعالى _ للمؤمنين ، صدرت به الآية لأهمية الأدب الذي دعت إلى الأخط به ؛ لأن تداء المؤمنين بوصفهم ، يذكرهم بأن الإيمان يقتضى من صاحبه : أن يتلقى أوامر الله ونواهيه بحسن الطاعة .

(لا تَقُولُوا رَاحِنًا): كان المسلمون - إذا ألتى الرسول عليهم شيئًا من العلم - يقولون :
 راهنا يا رسول الله ، يريدون منها : انتظرنا ونأن بنا ؛ حتى نفهم كلامك ونحفظه .

وهله كلمة لا شيء فيها من سوء الأدب ، إلا أن اليهود حيا سمعوهم يقرلون ذلك ، صاروا يخاطبون الرسول با ، محرفين لها عن معناها الذي أراده المسلمون ، إذ أرادوا سيه بنسيته إلى الرعن ، وهو الحمق أو الاستهزاء به باللفة العبرانية . فقد كانوا يتسابون فيا بينهم بكلمة ، وراعنا ، العبرانية فاستملوها مقالدين – في اللفظ – ما منطق په المؤمنون مع سوء النية ، على دأيم دائما في تحريف الكلم عن معناه ، كما حكى القرآن عنهم ذلك في سورة النساء بقوله : د مِنَ النّبينَ مَادُوا يُحَرِّقُونَ الْكَلِمُ مَن مَّواضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِقًا وَعَصَيْنًا وَاسْتُمْ غَيْرٌ مُشْهَمٍ وَرَاعِنًا لَيَّا بِالْمِسْتَهِمْ وَكَامَنًا في الدّين ع (١) .

وكان سعد بن عبادة يعرف لفتهم ، فلما مسعهم يقولون ذلك ، قال لهم : عليكم لمنة الله ، الله عنه عبد بسل الله عليه وسلم - الأضربان عنقه فقالوا : أو لمسم تقولونها ؟ فأقزل الله الآية : نهيا للمؤمنين عن مخاطبة الرسول - صلى الله طلبه وسلم - بلم اللفظة : قطما الأسنة اليهود ، حتى لا يتخلوها ذريعة لسب النبى صلى الله عليه وسلم - وإيدائه والاستهزاء به ، فإن معناها في لفتهم كما قبل : اسمع الاسمة ، وأمرهم أن يقولوا له بدلا عنها (انتُطرَنَا) : انتظرتا وتأثّ بناء حتى تحفظ

[.] ११ : १३ । (१)

ونفهم ما نقول ؛ فإنها تودّى المنى الذي يقصدونه بقولهم : (رَاعِيًّا) ولا يمكن اليهود أن يحرفوها إلى سبه – عليه السلام – والاستهزاء به .

وفى هذا تنبيه إلى أدب كريم ، وهو : أن الإنسان يتجنب فى مخاطبته ــ صلى الله طيه وسلم ــ الألفاظ التى توهم جفاء أو تنقيصا . وإلى جانب ذلك ، هو نهج قويم للخلق الإسلام والإنساني .

(وَالسَّمُوا) : أيها المؤمنون قوله .. صلى الله طليه وسلم .. مهاع قهول وامتثال ،مع وعى قلبي ، حتى تحفظوا ما يلقيه عليكم ، ولا يفوتكم منه شيء .

(وَللْكَانِدِينَ عَلَابٌ أَلَمٌ) : ولهُؤلاه اليهود الذين كفروا برسالة محمد ، وحرفوا الكلام عن مواضعه وآذوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستهزأوا به ، علماب موجع فى نار جهثم .

وفى التعبير بقوله (وَللْكَافِرِينَ): بيان الآن ما صدر حتهم من سوه الأدب فى عطاب الرسول- صلى الله عليه وسلم - هو أثر من آثار الكفر ؛ وأنهم استحقوا هذا العذاب المقصور عليهم بسيب كفرهم .

١٥٠ (مَايَوَدُ اللَّهِنَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنزُلُ عَلَيْكُم مِّنْ
 خَوْرٍ مَّنْ رَبُّكُمْ . . .) الآية .

لا يحب الكافرون من اليهود والنصارى ، ولا المشركون : أن ينزل الله عليكم .. أيها للوُمُنون..شيئاً من الخير ، وذلك لعداويم وحسدهم لكم ، فهم لا يحبون لكم الخير .

وأعظم الخيرات هو القرآن الكريم ؛ لأنّه الهداية العظمى إلى الصراط المستقيم . وقد جمع الله به شملكم ، وأخرجكم به من الظلمات إلى النور ، فكيف لا يحرق الحسد أكبادهم على إنعام الله عليم جلمه التعمة : وكذلك المشركون : يرون في تتابع نزول الترآن ، قوة للإسلام وتثبيتا لدخائمه وأركاته . وهم يكرهون ذلك ويودون أن تدور المائرة على المسلمين ، ويمتكثرون أن يكرن نزول القرآن على محمد – ممل

الله عليه وصلم .. من بينهم د وَقَالُوا لَوْلاَ نُزُلَّ مُلْنَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُل مِّنْ الْقَرْيَنَيْنِ عَظِيمٍ . اللهم يَقْيُسِمُونَ رَحْمَةً رَبُّكَ ، : (1) .

وخص بعض العلماء الخير هنا ، بالوحى . مراحاة للمقام . فهو الذى من أجله كره أهل الكتاب والمشركون الذي والمؤمنين . ويَشْتَدَلون لذلك بقوله تعالى : (وَاللهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مِنْ يَكْفَاء) أَى : والله يختص ينبوته من يشاه ممن أهدهم وهيأهم لها . فكانوا جهيوين بها . وقلما اختص بها محمدا حلى الله عليه وسلم حمن بين الناس ؛ لهام أهليته لذلك . وصدق الله تعالى إذ يقول : « اللهُ أَعْلُمُ حَيْثُ يُجْتَلُ رَسَالَتُهُ » (٢) .

وقد فسرها كل رضى الله عنه بذلك ، فهى الخير الذى يكرهه مؤلاء النبى صلى الله طيه وسلم ، (وَاللهُ ذُو الْفَصْلِ الْمَظْمِ الْمَظْمِ) : فلا حرج على فضله تعالى ، أن يمنح النبوة من يشاه ممن هو أهل لها ، فكيف يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؛ ومن حسد أحدًا على فضل الله ، فهو ساعط على حكم الله ، معترض على قضائه ، ولا يضر الحاسد بحسدة الاتفسه .

وقى إسناد الرحمة والفضل إلى اسم الذأت . بيان أنهما حقه ــ نمالى ــ لذأته ، فليس لأَحد من عبيده ، أدنى تناثير فى منحهما ولا فى منعهما .

(* مَا نَسَخُ مِنْ وَايَةٍ أَوْ نُسِهَا نَأْتِ غِنْرٍ مِنْهَا أَوْمِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللهُ عَلَي أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ فَقَ و قَدِيرُ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَنوَتِ وَٱلْأَرْضُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيَّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿) .

القردات :

(مَا نَعَسَعْ مَنْ آية) : النسخ انف : المحو والإيطال ، والمراد هنا بالآية : الجملة الفرآنية ذات الحكم الكامل . والمراد بنسخها : بيان انتهاء التعبد بها . وقيل المراد بها : الشريعة ، على حد قوله تعالى : ه أنَّمْ يُأْتِكُمْ رُسُلٌ مُنْكُمْ يَتُلُونَ عَلَيْكُمْ آيّات رَبِّكُمْ هِ "⁷⁷)

⁽١) الرَّحْرَف: ٣١ ، ٣٢ . (٢) الأنعام: ١٢٤ . (٢) الرمر ٧١ :

والمراد من نسخها على هذا : تغييرها بشريعة أخرى تدلَّى بعدها ، أو : الآية المعجزة. ونسخها : الإتيان بآية أخرى غيرها . وسيأتي بيان ذلك .

(أَوْ نُنسِهَا) : نُبحْ لكم تركها . من نسى : بمنى ترك، دخلت عليه الهمزة للتعدية .

قال أَبُو على وغيره من أَلمة اللغة : هذا متجه ؛ لأَنه بمنى : تجعلك تتركها .

وقرئُ نَنْسَأَهُمَا ــ بفتح النون مهموزا ، من نسأه . :إذا أَسُوه أَى : نوَّخر نزولها عليكم (رُكِنَ) : من يلي أَمركُ أَو يملكك . كالمولى

(تصير): معين .

التفسي

١٠٦ (مَا تَنسخ مِنْ آية أَوْ ننسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِثْهَا أَوْ مثلهَا أَلمْ تَشَمُ أَنْ الله على كُلُّ فيه قديرٌ) .

لربط:

جاء فى الآية السابقة ما يفيد : أن أهل الكتاب والمشركين ، لا يودون أن ينزل الله على المسلمين .. في شخص الرسول .. خيرا . أي : وحيا منه .

وكان ذلك حسلًا منهم .

فاليهود كانوا يريدون الرسالة فيهم دون العرب ، لأنهم نشأوا في مهابط الوحى ، والعرب أميون .

والمشركون كانوا يريدونها لرجل من القريتين عظم ، وقد أفحمهم الله بأن هذا ليس من شأتهم ، فالله يختص برحمته – أى بنيوته – من يشاء والله ذو الفضل العظم.

لهذا ناسب أن يذكر الله عقب ذلك حكما من أحكام الوحى الذي اختص به رسوله عليه السلام ... ، وهو النسخ : تقريرا له ، وردا على الطاعنين في النسخ ، الكارهين ا لنزوله الوحي عليه .. صلى الله عليه وسلم .. وذلك قوله سيحانه : (مَانْنُسَخْ مَنْ آيَة أَوْ نَفْسِهَا تَأْتَ بِخَيْرٍ مُنْهَا أَوْ مِثْلِهَا . . .)

وسبب النزول: أن اليهود قالوا - بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة -إن مخطا يأمر أصحابه بشيء ثم يناهم عنه ، فما كان هذا القرآن إلا من عند محمد . ولهذا يناقض بعضه بعضا .

قَالُوا ذلك : إنكارا للنسخ وكراهة للتحويل، إذ كانوا يأتسون مجوالقته لهم في القيلة .

فلهذا نزلت الآية ثارد طيهم - كما نزل لذلك قوله نعال: وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مُّكَانَ آيَةً وَاللهُ أَطْمَا مِنَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنِّنَا أَنْتُ مُفْتَرٍ ، (١)

(مَا نَنْسَعْ مِنْ آيَةِ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْر مِنْهَا أَو مِثْلِها) .

وللمنى: أَكَّ شَيْهِ مِنْ الْآيَاتَ وَالاَّحْكَامَ : يَنْهَى التعبد به ، أو نجعلكم تتركزنه ؛ تأتى بأفضل منه : مثوية أو نقماً أو خفة على المكافين . أو نشاق بمشله فى ذلك . فإن تنزيل الآيات المشتملة على الأَحكام الشرعية ، يكون وفقاً للجوكم والمسالح ؛ وذلك يختلف باختلاف الأَحوال . فرب خُكم تقتضيه الحكمة فى حال ؛ نقتضي نقيضه فى حال أخرى ، فلو لم يجز النسخ ، لا ختل ما بين الحكمة والأَحكام من النظام .

وهذا الحكم غير مختص بالآية الواحدة كاملة . بل هو جارٍ فيا فوقها وما دونها . وتخصيصها بالذكر ، باعتبار الغالب .

ثم ختم الله الآية بهذا التقرير :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَي وَ فَديرٌ ﴾ :

الخطاب فيه لكل من لديه علم وعقل . والاستفهام للتقرير .

والمراد بهذا التقرير : الاستشهاد بعلم المخاطب، بأنه تعالى ، (عَلَى كلَّ فَيهُ قَليرٌ) : على قدرته على النسخ ، والإتبان ما هو خير من النسوخ أو مثله ، أى أنك تعلم أن الله على كل شيء قدير ، فتدرك بمقتضى علمك هذا قدرته تعالى على نسخ الآيات ، والإتبان بخير منها ، أو مثلها لمعلحة عباده .

وتعريف النسخ شرعا : إزالة حكم شرعى سبق ، يخطاب ورد متأخوا ، كما قال القاضيان : عبد الوهاب وأيو بكر . وزاد الأخير : لولاه لكان السابق ثابتا .

ومن أراد معرفة الفرق بينه وبين التقييد والتخصيص ، وأحوال النسخ وأمثلته ، وهل يجوز نسخ القرآن بالسنة أو لا ؟ فعليه أن يرجم إلى المطولات: في التفسير وكتب الأصول.

ونسخ الأحكام للمصلحة ، موجود في جميع الديانات.

ففى صحيح مسلم : ولم تكن نبُوَّة قط إلا تناسخت ، ... أى تحولت من حال إلى حال بالنسبة إلى المكلفين .. ذكره الفرطبي في المسألة الثالثة من مباحث الآية .

⁽۱) النحل : ۱۰۱

وأنكرته طوائث من اليهود ، زاعمين أن ذلك من البداء ، وهو مستحيل على الله ، وقد كلبوا ؛ فإن النسخ هو : النقل من حكم إلى حكم ، لفعرب من المصلحة .

ولا خلاف بين المقاره، في أن شرائع الرسل قصد بها مصالح الدفق : الدنيوية والأخروية. وأما البداء ، فهو : ترك ما عزم حليه أولا والمدول عنه ، كقولك لشخص : امض إلى فلان ، ثم يبدو لك نقض الرأى الأول فتقول : لا تمض . أو تقول : له : إذره كذا لشيء آخر ، على مبيل انزع كذا لشيء آخر ، على مبيل انتاقض والتقلب في الرأى .

وهذا محال على الله ـ تعالى ـ لكمال علمه وحكمته ، جائز على الخلق لنقصائهم . فكل حكم له تعالى صالح ، وله حكمة فى وقته : منسوخاً كان أو قاسخاً ، وليس فى أحكامه تعالى بداء .

رای آئر فی النسخ

ذكرنا .. فيها نقدم .. رأى جمهور العلماء سلفا وخلفا فى معنى النسخ فى الآية الكريمة ، وحكمته . وخلاصته أنه : إزالة حكم شرعى سايق، بخطاب ورد متناَّخرا عنه، وأنّه كلا من المنسوخ والناسخ لمصلحة العياد فى حينه .

ومن العلماء طائفة لا يقولون بنسخ الأّحكام ، فرارا من البداء المستحيل على الله ، فإن تغيير الأّحكام فى الشريعة الواحدة ، شأن من لا يعلم المصلحة كما ينبغى العلم ، حيثما شرع . فلما علمها ، عدل عما شرعه أولا ، وذلك لا يليش بالله ــ تمالى ــ العلم الحكم .

ويقولون : إن الآية الكربمة ، ليست دليلا على ما يقوله الجمهور فى معناها ، يل إن السياق يدل طى خلافه ، فإن الآية قبلها تدل على أن أهل الكتاب يكرهون نزول الخير : أى الوحى من الله على المسلمين . وإنما كرهوا ذلك لأنهم كانوا يريدون بقاء النبوة فى بنى إسرائيل، وأن تظل التوراة شريعة الناس : لا تنسخ، فهم يحسدون الناس على ما أقاهم . الله من فضله .

فأخبرهم الله ــ تعالى ــ بنأنه يختص برحمته ــ أى نبونه وشريعته ــ من يشاء ، لأن أمرها ليس نهم، بل لله وحده ﴿ وَاللهُ ذُو الْفَكْسُ الْكُنْلِمِ ۚ ﴾ . فلا يحق لهم أن يحتكروا فضله عليهم . وعقب ذلك؛ بما يدل على أن نسخ شريعتهم بالشريعة الإسلامية ليس بدعاً بالنسبة إلى شأته تعالى مع سائر الشرائع افقال: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مُنْهَا أَوْ مِقْلِهَا) أَى : ما نغير من شريعة من الشرائع للملومة للناس: كالتوراة والإنجيل والزبور، أو نجعلها منسية دارسة لا علم للناس با — كالشرائع للجهولة لنا النازلة على بعض من تصمهم الله علم لنا من الأنبياء ومن لم يقصصهم علينا ، نأت بشريعة خير منها أو مثلها ، حسبما ينبغي لحال الأخة التي شرعت لها .

وقد اقتضت الحكمة نسخ شريعتكم أبا البهود ، بشريعة الإسلام ، التي هي خير للأُمة التي كلفت بها ، من شريعتكم ، فلماذا تكرهون نزول الوحى على سواكم نامسخا لشريعتكم ، وتلك سنة الله في جميع الشرائع ؟

ويوول أصحاب هذا الرأى الآيات التي ظاهرها التعارض والنسخ ، بحيث يبعلونها عن هائرة النسخ بمنى تغيير الحكم .

وقد اتضح مما سبق بيانه ، أن المراد بالآية عند أصحاب هذا الرأى : الشريعة ، وقد أطلقت عليها ، لأنها علامة يهتدى بها الناس فى معاشهم ومعادهم .

وذلك يتفق مع المعنى اللغوى لكلمة الآية فإنها عمني العلامة .

رأى ثالث في النسخ

ومن الباحثين من قال: المراد: بالآية ،المعجزة ، وبنسخها ، تغييرها . وعنده أنها فؤلت للرد على من اقترح أن يـأتى محمد بمعجزة كمعجزة موسى ، كما يؤذن به قوله تعالى بعد ذلك و أمّ تُويدُونَ أنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُؤلَ مُوسَى منْ قَبْلُ ،

والمقصود من الآية الكريمة على هذا الرأى : بيان أن معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - جامت من نوع آخر غير معجزات من سبقه وهي محققة لنبوته ، ولذا خُمْ الآية بقوله الآمْ تَشَلَّمُ أَنَّ اللهُ عَلَى كلَّ شَيْء قَلِيرٌ) أَى وإذا كان اللهُ على كل شيء قادير ، قلا يقتوح عليه تعالى آيات بعينها ، فلكل نبي آياته . ولكل عصر ما يلائمه ، وقد أيد محملاً صلى الله عليه وسلم - عا هو كاف من المعجزات أعظم الكفاية . ومن أرد مزيدا من البيان فليرجع إلى المطولات للموازنة بين تلك الآراه . والله الموفق .

١٠٧ – (أَلَمْ تَقُلُمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلَّكُ السَّمَوَات وَالْأَرْضِ . . .) الآية .

لما قرر فى الآية السابقة: أنه تعالى على كل شيء قدير ، ذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك ، وهو أنه تعالى : له ملك السفرات والأرض ، واستشهد على ذلك بعلم كل ذى علم فقال (أَلَّمْ تَعَلَّمُ أَنَّ اللهُ لَهُ مُلْكُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضِ) كما قعل هناك . فالخطاب فيه لحكل من يعلم .

والعلم بدلك قدر مشترك بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين .

قال تَعالى : «وَلَئِينَ سَالَتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنِ اللَّهُ ۚ (لَا وَف شمول المخطاب للمعاندين ، ألملغ رد عليهم . فهو إلزام لَهم بما يعلمونه .

ولكون التعميم مراهاً ءهتمت الآية بقوله : (وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيَّ وَلاَ لَمُمِيرٍ ﴾ والهمزة في : (أَلَم تَشَّمُ اللإِنكار والذي ، دخلت على النفى . وننى النفى إلبات .

والمعنى : أنك أبها المخاطب ، تعلم علما يقينها : أنه تعالى ، له ملك السموات والأرض ومن كان كذلك ، فهو على كل شيء قانير .

وإذا ثبتت قدرته على كل شيء عا ثبت له من ملك السنوات والأرض - فهو صاحب الأمر في وعلوبراً له ، الأمر في وتطويراً له ، الأمر في خلفه . فله نسخ الآية بضير منها أو مثلها : تدرجا في العكم ، وتطويراً له ، حسب تطور حاجة البشر ومصلحتهم ؛ فإن رب الخليقة ومالك الكون ، من شأته أن يرمي إ مصلحة عباده .

(وَمَا لَكُمُ مِّنْ دُون الله مِن وَلِي وَلا نَصِير) : معطوف على الخبر ، داخل معه في حيز المعاوم المعاطب .

و (دُونِو) بمعنى : غير . والولى : من يلى الأَمر أو مملكه ، والنصير : المين ، وجمع بينهما ، لأَن المالك أو ولى الأَمر ، قد لا يستطيع النصر ، والنصير قد يكون أجنبيا غير مالك ، فأفادت الآية أنه تعالى ، اتصف بالوصفين جميعا : الملك والنصر .

والمراد : وما لكم من نمير الله مالك ولا مبين . فلذا يرعى مصالحكم فى التشريع وهيره . و أنى يصيغة : فعيل فى : (ولى)و(نصير)؛لأنها أبلغ منفاعل، ولأن وليا أكثر استعمالا من من والي .

⁽١) لقمان: ٢٥:

وجيءَ بِلَمُ الفقرة ، إشارة إلى أن الواجب على العاقل أن يتجه بكليته إلى من له ملك السموات والأرض ، لا إلى غيره ، ممن لا يستطيع دفع ضر أو جلب نفع لنفسه .

(أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْفَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُهِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَهَدِّلِ النُّكُفْرَ بِالْإِيمَنِي فَقَدْ ضَلَّ سَوَآة السَّيِيلِ ۞).

القردات

(أم تربيئُونَ) : أم هنا منقطعة عمني بل توهمزة الإنكار ، أى : بل أتريدون . (وَمَنْ يَتَبَكُلُ الْكُفْرَ بالْإِيمَانَ) : أى يجعل الكفر في موضع الإيمان من نفسه (سَوَاءَ السَّهِيلِ) : السبيل: الطريق ، وإضافة سواه إليه ، من إضافة الصَّفة إلى الموصوف، أى الطريق المستوى .

التفسيسر

الآية . . .) الآية .
 سبب نزول الآية :

اخطف الفسرون في سبب نزولها . والراجع : أنها نزلت في شأن اليهود حين قالوا : يا محمد ، اثننا بكتاب من السهاء جملة ، كما أنى موسى بالتوراة جملة ، وخاطبهم بذلك بعد رد طعنهم في النسخ - تهديلا لهم . واختار هذا الإمام الرازى . وقال : إنه الأصح، لأن الحديث .. من أول قوله تعالى : (يَابَنِي إِسْراقِيل أَذْكُوا نِعْمَتِي) (أ) إلى هذه الآية - حكاية عن اليهود ومحاجة معهم ؛ ولأنه جرى ذكرهم قبل ذلك دون غيرهم .

وعبر بالمضارع على هذا فى قوله : ﴿ أَنْ تَسْأَلُوا ﴾ مع أَنْهم سأَلُوا قبل ذلك إحضارا للممورة لغرابتها ، فقد جهلوا أن تنزيل القرآن ، كان على حسب الوقائع ، وذلك يقتضى إنزاله على دفعات ، فلا وجه لطلب إنزاله جملة .

وقبل : إنها نزلت فى المؤمنين : توصية لهم باائنقة بالرسول .. صلى الله عليه وسلم... وقولى الافتراح عليه ، بعد أن رد طعن اليهود فى النسيخ .

الآية - ١٠ من علم السورة ،

على حد قوله تعالى : ﴿ يُمَا يُلِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ ثَبْلَةَ لَكُمْ تَسُوَّكُمْ ﴾ [1]. ولذا ، نزل بعدها قوله سبحانه: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رُسُولَكُمْ كَمَا سُثِلَ يُوسَى بِن قَبْلِ ...) .

والخطاب على السبب التاقى اليهود . وإضافة الرسول إليهم ياعتبار الواقع ، وإن خالف اعتماد على المنفى : _ خالف اعتماد المنفى المنفود ألم المنفود ألمنفود ألمنفود ألمنفود ألمنفود المنفود والمنفود المنفود المنفود

﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ :

المنى : ومن يَخْتَرِ الكَمْرَ لنفسه ، فى مقابل الإيمان ويدلا عنه . فقد عدل عن الطويق السوى الموصل إلى أسمى الغايات .

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنَ أَهْلِ ٱلْكَتَنِ لَوْ يَرُدُونَكُم مِّنَ بَعْد إِيمَنْكُمْ كُفًارًا حَسَدًا مِّنَ مَعْد إِيمَنْكُمْ كُفًارًا حَسَدًا مِنْ عَنِد أَنفُسِهم مِّنَ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقَّ فَاعْفُواْ وَآصْفَحُواْ حَسَدًا مِنْ اللهَ عَلَى كُلِ مَنْ وَقَدِيرٌ ﴿ وَالْعِيمُوا ٱلسَّلَوَةَ وَالْوَاللَّهُ مِنْ اللهَ عَلَى كُلِ مَنْ وَقَدِيرٌ عَجِدُوهُ عِندا للهِ إِنَّ اللهَ وَالله اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

الفردات :

(وَدُّ) : تمنى وأحب .

(فَأَغَنُوا وَاصْفَحُوا) : العفو : ترك العقوبة على الذنب . والعمقح : ترك اللوم عليه
 وهو أبلغ من العفو 6 إذ قد يعفو ولا يصفح .

د ۱۰۱ : تمالل (۱)

(حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ : بإذنه في القتال .

(تُجِدُّوهُ عِندَ اللهِ) : تجدوا ثوابه عنده .

(وَأَقِيسُوا الصَّلاَةَ) أى : أَدُوها ــ بِأَركانها وشروطها وهبثانها ــ في أوقاتها . وأصله : أفعل من قام الحقُّ : ظهر وثبت : أى أظهروها على النحو اللذي يرتضيه الشرع

(يَعِيرُ) ؛ علم .

التفسسير

١٠٩ - (وَد كَثِيرٌ مَّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَاراً حَسَداً
 مَنْ ضِندِ أَنفُسِهِمْ . . .) الآية

سپب النزول :

روى الواحدى عن ابن عباس : أن طالفة من كبار اليهود قالوا للمسلمين ـ بعد وقعة أحد ـ أَلُم تروا إلى ما أصابكم ؟ ولو كنتم على الحق لما هزمتم ، فارجعوا إلى ديننا فهو خيرلكم فنزلت: (وَدَّ كثيرَرَّ مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرَدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مَنْ ضِيْرِ الْفسهمْ . . .) .

المنى : تمنى كثير من اليهود _ أهل الكتاب _ أن يُرجعوكم _ أيها السلمون من بعد إيمانكم _ كفارا : حسدًا لكم _ نابعا من أصل نفوسهم وأعماق قاوبم _

(مِن يَمُدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُ) : من بعد ما انتضح لهم الحق الذي إنتم عليه ، بما جاء عنه – أى عن الحق – من النعوت فى كتابهم ، وبما ظهر لهم من الآيات التي أيد الله بها رسوله ، فلذلك ينتهزون الفرص لتنفيركم من دينكم حنى ترتدوا عنه فلا تبالوا بهم . (فَاصْفُحُوا): ولا تلوموهم . (حَمَّى يَنَاتِينَ اللهُ بِالْمَرْمِ) . أَى : بِالْحَنْهُ فَى تتالهم .

(إِنَّ اللهُ عَلَى كُلُّ شَوْءُ قَلِيرٌ) لينتقم منهم حين يجيه أوان الانتقام , وحسبهم - الآن - أن يأكل الحمد قلوبم . وقد أَمْوَل الله بعد ذلك الإنن بقتالهم، فى قوله : وقليلوا الَّذِينَ لَا يُومِنونَ بِاللهِ وَلاَّ بالْيَوْم الْآخِرِ وَلاَ يُحَرَّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَنهِنُونَ هِينَ الْمَقَى مِنَ الْمَينَ أُولُوا الْكِتَابَ حَمَّى يُسْطُوا الْجَزْيَةَ عَنْ يَدِ وَلَمْ صَاغِرُونَ *⁽¹⁾، كما أَذْن بإجلائهم .

وفى التعبير بقوله : (وَدَّ كَثِيرٌ مَّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . . .) الله ، إيدان بأن منهم من لم يتمن ارتداد المؤمنين عن الإيمان ، وهم اللين آمنوا من اليهود، كزيد بن سعنة وعبد الله ابن سلام .

١١٠ .. (وَأَقِيمُوا الصَّالَاةَ وَآتُوا الزُّكَاةَ . . .) الآية .

بعد أن أمر الله المؤمنين بمداراة أهل الكتاب .. بالصبر على حسلم وعلى تمنيهم ارتدادهم عن الإيمان ، وبالحفو والصفح عنهم ، حتى يأقان الله بأن ينتقموا منهم .. أمرهم باللجوه إليه تمالى بالتجاف ، وبالحفو والصفح عنهم ، وتتبعالا بها صنهم ، وتوسلا بها لنصره لهم فقال : تمالى بالتجافزة كأى ؟ أبوها كاملة الأركان والشروط ، مستوفية الهيئات . (وآكوا الرّكاة) أى ؟ أجوها كاملة الأركان والشروط ، مستوفية الهيئات . (وآكوا الرّكاة) أى : أعطوها لمستحقيها من الأصناف الياتية المجتمعة في قوله تجالى : وإنّما السّلكات للفقراء والمسكلة يكن والماليين عَلَيْها والموافقة قلوبهم وفي الرّقاب والقانويين ويسيل الله والبرا السّيل فريضة من الله والله كيام حكيم "".

(وَمَا تُقَلِّمُوا لِإِنْفَسِكُم مِّنْ خَيْرٍ) مهما كان نوعه (تَجِدُوهُ) أى : تجدوا ثوابه يوم الفيامة (عِندُ اللهِ) تمالى: فيها أعده لى جنته للمحسنين . وقد أعد لهم مالا عين رأّت، ولا أذنَّ سمعت ، ولا خَطرَ على قلب بشر .

وقى قوله تعالى : (وَمَا تُقَدَّمُوا لِأَنفيكم مَّنْ خَيْرٍ) ، إيلمان بأن الخير اللى تعطيه لأَخيك المسلم كأنمًا تقدمه لنفسك ؛ لأن المجمع الإسلامي كالجسد الواحد .

(إِنَّ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) : فلا يضيع عنده عمل العاملين .

⁽١) التوية: ٢٩.

۲۰) التربة: ۲۰.

(وَقَالُواْ لَن يَدْمُحُلَ اجْمَنَةَ إِلَّا مَن كَانَ هُـودًا أَوْ نَصَـرَى ۚ تِلْكَ مَّانِيْهُمُّ قُلَ هَاتُواْ بُرُهَنسَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِهِ فِينَ إِلَى بَلَّ مَنْ أَسَلَمَ وَجَهَهُر فِي وَهُوَ عُشِنْ قَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِهِ وَلاَخَرَفُ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ بَحْزَنُونَ ﴿

الأردات :

(هوداً) : جمع هائد، كثُوذ جمع عائله. ومنى الهائد فى الأصل: التائب. والمُقصود هنا **بالهود** : **اليه**ود .

(أَوْ تَعَمَّرَى) : يعنون السيحيين ، جمع نصران ونصرانة ، مسوا بذلك نسبة إلى بلدة الناصرة الى كان ينزل با عبسى ، أو لأنهم أجابوا عيسى إلى نصره لما قال لهم : مَن أنصارى إلى الله ؟ .

(أَمَانِيُهُمْ) الأَماني : جمع أمنية ـ بتشديد الياء ـ ومى : تقدير شيء فى النفس وتصويره فيها .ولما كان أكثره عن تخدين ، صار الكذب فيه أكثر . فأ كثر التدفى : تصور مالا حقيقة له .

(بُرْهَاتَكُمْ) : حجعكم .

(بَكَلَ) : حرف جواب ، وهي هنا نني لقولهم .

(أَشْلَمَ وَجُهُهُ) : أَخلص توجهه وقصده ، أَر أَخلص نفسه ، وعهر عنها بالوجه ؛
 لأَنه أشرف الأَعضاء ومجمع للشاعر ، ومظهر آثار الإخلاص .

التفسسير

١١١ – ﴿ وَهَالُوا لَن بَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هودًا أَوْ نَصَارَى . . . ﴾ الآية .

بعد أن حكى الله عن أمل الكتاب : أن كثيرا منهم يتمنوناًن يردوا المسلمين إلى الكفر ، . أثيمه يـ أكفوية أخيمه من أكانيبهم وهي قول اليهود : لن يلخل الجنة إلا من كان جوديا وقول التصارى : أن للسلمين فن يلتطوها ، وقول التصارى : أن للسلمين فن يلتطوها ، وتنفيراً السلمين من هينهم ، وإذارة للفتنة بينهم ؛ لأنهم كما تقدم ، يودون وديم .

وجمع بين كلام الفريقين فى النظم الكريم : للإيجاز ، وثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ؟ لأن العداوة بين الفريقين معاومة .

ولقد رد الله فريتهم هذه مشيرا إليها بقوله : (يَلْكُ أَمَانِيهُمْ) أَى تَلْكُ أُوهامهم الكَاذَبة الّي لا أساس لها . والأماني تطاق على ما يتمنى دون أَن يكون له سبب . فلذا أوبد منها - هنا - الأ كاذيب مجازا . وجمعت مع أنها أمنية واحدة ؛ لتعدد أصحابا ، أو لأنها مستملة على أمانى ثلاث : أمنية الههود دخول الجنة وحدهم ، وأمنية النصارى كذلك ، وأمنيتهم جميعا ألا يدخلها المسلمون . ثم أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لهم مبكنا : (مَاتُوا بُرْمَاتُكُمْ) أَى : أحضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (إن كُنتُم صَادِقِينَ) فيا زعمتموه ، فإن كل دعوى لا دليل عليها باطلة . و « إن » تستمل لفرض مالا يتوقع حصوله أحيانا ، كما هنا .

ثم نئى سبحانه ما زعموه صريحا بعد أن عرِّض بكليه ، وأُثبت عكس ما يقولون فقال :

١١٢ = (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجُهَهُ لِلْهِ . إِ.. .) الآية .

أى : بل يدخل الجنة : من أخلص نفسه وذاته لله ، فآمن به ونزهه - تمانى - عن الولد (وَهُوَ مُخْوِسٌ) : فى جميع أعماله التي منها الإسلام . (وَلَلَهُ أَجْرُهُ) اللاتن به (عِندَ رَبِّهِ) : المنحم المنفضل المربى فى دار كرامته ، كما وعده سيحانه . (وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فى الدارين من لحوق مكروه . (وَلاَ هُمْ يَحْزُلُونَ) على فوت مطلوب . فأمرهم كله أمان واستبشار . أما أنتم - يأهل الكتاب - فلم تسلموا وجوهكم لله ولم تحسنوا ، إذ كفرتم برسوله وكتابه ، فلا حق لكم فى جنته ، وسوف تكونون فى خوف دائم وحزن مقم ، وجعل الوجه كناية عن النفس ؛ لأنه ترجمان عما تنطوى عليه من عقائد وأعلاق وصفات . فهو مظهر مشاعرها .

قال الفرطبي : والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء . ويصح أن يكون الوجه في الآية : . المقصد . ا ه . وسمى الثواب أجرا ؛ للإيذان بكمال استحقاقه عنده تعالى ، كما يستحق العامل أجره على عمله . وإضافة الأجر إليهم ؛ للإيذان بأنه أجر يليق بهم وبإحسائهم . وعبر عن الثواب فى الجنة بقوله : (عِندَ رَبِهٌ) ؛ لتكريمهم بإضافتهم إلى الرَّب . والإيذان بتحقيق ما وعدهم به فإن شأن الرب ـ سبحانه ـ أن يحقى لعباده ما وعدهم به

(وَقَالَتِ الْنَهُودُ لَيْسَ النَّصَرَىٰ عَلَى ثَقَى وَقَالَتِ النَّصَرَىٰ لَيْسَتِ النَّصَرَىٰ لَيْسَتِ النَّهُودُ عَلَى فَيْء وَقَالَتِ النَّصَرَىٰ لَيْسَتِ النَّهُودُ عَلَى فَيْء وَقَالَتِ النَّهُونَ مِثْلُ الْهَهُودُ عَلَى الْمَلَوُنَ مِثْلُ قَالَهُ يَكُمُ بَيْنَهُمْ يَقُومُ الْقِينَمةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَعْتَلِفُونَ ﴿) فَوْلِيقٌ فَاللَّهُ يَكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِينَمةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَعْتَلِفُونَ ﴿)

الفريات :

(قَالَ الَّذِينَ لاَ يَشْلَمُونَ) : المراد بهم عبدة الأصنامُ والمعللة ونحوهم من الجهلاء (مِثْلُ تَوْلِيهِمْ) : بِأَن قالوا عن أهل كل دين آخر : ليسوا على شيءٍ

التفسيسر

١١٧ - (وَقَالَتَ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيُّهِ . . .) الآية .

مهب النزول :

نزلت لما قدم وفد نجران _ المسيحى _ على رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ وأتمام أحبار اليهود،فتناظروا وارتفعت أصواتهم، وقال كل فريق متهم للآخرين ; لستم على شيء .

الربط: بعد أن بين الله - تمال - أن اليهود يتلاقون مع النصارى ق كراميتهم الهرم وادعاء كل منهما أنهم الذين يدخلون الجنة دون غيرهم - شرع هنا يبين تضليل كليهما للآخر فقال: (وَاللَّتِ النَّهُودُ لَيْسَت النَّصَارَى عَلَى شَيْه) معند به في أمر الدين . (وَقَالَتِ النَّصَارَى النَّالِكَتَابِ السياوى ، ومن كان تاليا للكتاب السياوى ، ومن كان تاليا للكتاب السياوى ، فشأنه أنّ يحترف عافى كتاب سياوى مثله من الحق ، وألا يقول الأهله : لسم على هيء .

فاليهود يقرمون فى كتابهم - الإنجيل - أن مومى نبى ، وأن التوراة من عند الله ، إذ الكتب السهاوية يقرمون فى كتابهم - الإنجيل - أن مومى نبى ، وأن التوراة من عند الله ، إذ الكتب السهاوية متصادقة ، فقولهم هذا : دليل الجهل والمناد . (كَذَلْكَ قَالَ اللّدِينَ لاَ يَمْلُنُونَ مثلَ قَوْلُهِمْ) أَى : مثل ذلك القول قاله اللذين لا علم لهم أصلا ، وهم المُشْرِكُونَ وأمثالهم من المطلة والجهلام ، فلا تبياً من يا محمد لما يقولون عن الإسلام (فَاللهُ) وحده (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْم النّدين ، فهو الذي يعلم اللذين الحق (فيمًا كأنوا فيه يَخْلَفُونَ) في شأن اللذين ، فقضى بأ ن دين كل منهما ، كان هل العرق (فيمًا كأنوا فيه يَخْلَفُونَ) في شأن اللذين ، فيقضى بأن دين كل منهما ، كان هل العرق (فيمًا خَبَل أن يبلك ، وقبل أن ينسخ بما بعله ، ويعلم كلا عا يستحق من عقاب عل افترائه .

وفى التعبير بعلى - فى قول بعضهم ليعض : لستم (عَلى شَيْء) المفيدة للاستملاء والتمكن ، وتنكير (شَيْء) الفيد للتحفير - كمال المبالغة فى تضليل كل فريق منهما للاتخر .

وقى التعبير بقوله : (كَذَلْكَ قَال اللَّمِينَ لاَ يَمْلَمُونَ مثلَ قَوْلُهُمْ) إيلان بأن تلك المقالة لا تصدر عن شخص متصف بالعلم ، بل هي مما يقوله الجاهلون ، فإن شأن أهل العلم أن يقروا بالحق لأهله .. وفي هذا توبيخ عظيم لكلا الفريقين ، حيث نظموا في سلك من لا يعلم أصلا ، وحذف المحكوم به على كل فريق ، تهويلا لشأقه .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْن مَّنَعَ مَسَدِجِدَ اللهِ أَن يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ, وَسَعَن فِ خُرَابِهَا اللهُ أَن يَلْكُونُ فِيهَا اسْمُهُ, وَسَعَن فِ خُرَابِهَا اللهُ أَن يَدْخُلُومَا إِلاَّ خَابِفِيْنَ لَهُمْ فِ الدُّنْيَا خِزْنَّ وَلَهُمْ فِ الدُّنْيَا خِزْنَّ وَلَهُمْ فِ الدُّنْيَا خِزْنَّ وَلَهُمْ فِي الدَّنْيَا خِزْنَّ وَلَهُمْ فِي الدَّنْيَا خِزْنَ

الأردات :

(وَمَنْ أَظُلُّمُ) من : استفهام إنكارى، بمنى الننى . والمنى : لا أحد أظلم .

(مُشَاجِد اللهِ) : المراد بها جميع مساجد الله ، وأماكن عبادته ، فالآية قاعدة عامة ، وإن كان سبب النزول خاصا كما سيأتى :

(لَهِمْ فِي اللَّذْيَا خِرِي) : هوان وذلة .

التفسيسر

١١٤ - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْن مَّنعَ مَسَاجِدَ الله أَن يُذْكَرَ فِيهَا السُّهُ . .) الآية .
 الربط :

ندُّد الله - سبحانه - فيا سبق ، باليهود والنصارى ، لتضليل بعضهم بعضا

وفى هذه الآية ، بَيْن أن من يعطل الشَّمائر فى بيوت الدبادة ، يعاقب . وقد دخل فى ذلك : أهل الكتاب المذكورون ، كما أن فيها نفيا لزعمهم : أنهم أهل الجنة ؛ المختصون با .

سپب النزول :

فؤلت فى المشركين لأنهم منعوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ عام ، الحديبية من دخول المسجد العرام .

وعلى أى حال، فالمراد من المساجه: : دور عبادة الله جميعا ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ . وهلما يملل على أن الإسلام يعشرم دور العبادة في الديانات الساوية السابقة له .

المعنى :

لا أحد أظلم ممن منم الناس من ذكر الله في دور العبادة : فردا كان المانع أو جماعة ،

وسعى ف خراجا ، بإلقاء القانورات فيها ، أو إغلاقها ، أو الحيلولة دون دعول العابدين فيها ، و تعطيل شعائرها الدينية بأى وجه من الوجوه .

وإنما وقع المنع على المساجد...مع أن المعنوع هم الناس.. لأن طرح الأذى والتخريب ونحوهما، متعلق بالمساجد لا بالناس .

وظاهر الآية يقيد : أنه لا يوجد أظلم منه .

ولكن المراد : ننى وجود من يساويه فى الظلم أيضا ، كما يدل عليه العرف .

فإذا قبل فى معرضاللدح مثلاً ، من أكرم من فلان ؟ فمعناه عرفا ; أنه لا يوجد أكرم منه ولا من يساويه .

(أُوْلَئِكَ): المانحون المخربون للمساجد . (مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَكْخُلُوهَا إِلَّا خَاتِفِينَ) أَى: ما كان ينبغى لهم دخولها إلا خاشمين خاضمين ، بدلا من الاجتراء على تخريبها أو تعطيلها .

(لَهُمْ فِى النَّنْيَا خِرْىُ وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَلَابٌ طَلِيمٌ) أَى : لأَ ولئك المانعين المخربين هوان وذلة فى الحياة الدنيا ، أى : أن هذا الحكم يبقى إلى يوم القيامة ، ولهم فى الآخرة عقاب فى النار عظم لا يقادر قدره .

وإذا كان المراد من مساجد الله ، مساجد المسلمين عاصة ، وأن الآية نزلت في أهدائهم الكافرين ، فممنى الآية : لا أظلم من الكافرين اللين منموا ذكر الله في مساجد المسلمين، بتخريب أو خيره ، أولئك الكافرون ، ما كان يحق لهم أن يدخلوها إلا خالفين من بعطش المؤمين مم ، فكيف يستقيم أن يستولوا عليها ، ويمنعوا المؤمنين منها .

والمخزى الذى لهم فى الدنيا : بقتل مشركيهم ، وضرب الجزية عِلى أهل اللمة منهم . وحبسهم ، ونحو ذلك .

ويقتضى حمل الآبة على هذا المنى: أن على المؤسنين أن يرهبوا الكافرين أعداء الله ،
ويكونوا فى قوة ومنعة حتى يحموا ببوته ، ويمنعوا أولئك الأعداء من تخريبها وتعطيلها .
واستنبطوا منها تحريم دخولهم فيها ، وهذا وأى المالكية . وطيه يجمل قوله تعلى : (مَاكَانُ
لَهُمْ أَن يَدْخلوهَا إِلاَّ خَلِفِيْنِ) : كتابة عن النهى من تمكينهم من دخولها ، ليتفق فالك مع قوله تعالى : وإنَّمَا المُشْرِكونَ نَجَسُّ ")

⁽١) التوبة : ٢٨ .

والمساجد يجب تطهيرها عن النجاسات، ولذا تمنع الجنب والحائض والنفساء من دخولها. ولكن الحنفية يحيزون دخولهم فيها بإذن المسلمين، فإن الآية تفيد دخولهم بخشية وخضوع ، ولأن وفد ثقيف قدموا على النبي سرملى الله عليه وسلم - فأنزلهم في المسجد. . وعلى فرض أن الآية نفيد النبي ، فهو محمول على كراهة التنزيه لا التحريم .

أو على دخول الحرم بقصد الحج لأذ النبي _ صلى الله عليه وسلم _ فى فنح مكة قال للمشركين : ٩ مَنْ دَخَل دارَ أَى سُدْيَان فَهُوَ آمِنٌ . وَمَنْ دَخَل الكَمْبَة فَهُوَ آمِن ٩.

وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره . وقال: الحديث منسو خهالآية . ذكره الآلوسي.

(وَلِيَّ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَائِنَمَا تُولُواْ فَمَّ وَجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ عَلِيمٌ ﴿ عَلِيمٌ ﴿ عَلِيمٌ ﴿)

القريات

(الْمَشْرِقُ) : موضع الشروق .

(وَالْمَمْرِبُ): موضع الغروب ـ والمراد بهما هنا : هما وما بينهما من الجهات والأماكن (فَقَمَّ وَجُهُ اللهِ) أَى : فهناك جهته . أَى : قبلته التي أمر عباده أَن يتجهوا إليها ، قالوجه والجهة شيءٌ واحد .

(إِنَّ اللهُ وَاسِعٌ) أَى : يوسع على عباده فى التشريع . أو واسع العلم . محيط بما تستطيعون عمله ، فلا يكلفكم ما يشتق عليكم .

التفسسير

١١٥ - ﴿ وَلَهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا نُوَلُّوا فَنَمَّ وَجُهُ اللهِ . . . ﴾ الآية .

قال ابن عمر فزلت فى المسافر: بتنفل حيثًا توجهت به راحلته ، خرَّ ج مسلم عنه قال : د كان رسول الله حسل الله عليه وسلم _ يصلى وهو مقبل من مكة إلى المدينة ـ على واحلته حيث كان وجهه ، قال : وفيه نزلت (فَأَيْتُمَا تُرَكُّوا فَضَمَّ رَجُّهُ الله) نقله القرطبي . لا يمنع السبب المذكور ، من ارتباط الآية بما قبلها : فإن الآية السابقة أفادت : أن بعض الظالمين قد بمنحون المصلاة في أي الظالمين قد بمنحون المصلاة في أي مكان غيرالمساجد الممنوعة ، على أن يتجهوا إلى جهة الله ، أي قبلته التي شرعها ، كما تضمنت إباحة صلاة النافلة للمسافر على الراحلة ونحوها ، متجها إلى مقصده فهو قبلته ، وهو الذي استغيد أيضا من سبب النزول .

والله وحده الأرض كلها : مشرقا ومغربا وما بينهما ،

فنى أى مكان، وجهم وجوهكم نحو القبلة التى أمر الله عباده بالاتحاه إليها: للعبادة والدعاه والذكر ، فهناك حديث توجهم حجهة الله أى قبلته التى أمرتم بالتوجه إليها . فإن منتم عن الصلاة إليها في مسجد أومكان افاستقبلوها في فروضكم ونوافلكم في مسجد أومكان الاستهار مختص بمسجد دون مسجد، أو مكان دون مكان.

ومن كان راكبا على دابة ولا يمكنه أن ينزل عنها، لخو ف على نفسه أو ماله من ضرر يلحقه بالانفطاع عن القافلة ، أوكان بحيث لو نزل عنها لا يمكنه المودة إلى ركوبها، أو نحو ذلك ، فإنه يصلى الفرض في هذه الأحوال على الدابة ، إلى أي جهة يمكنه الالحجاه إليها، وتسقط عنه أركان المصلاة التي لا يستطيع فعلها على الصفة المطلوبة ، ولا إعادة عليه "". وحكم السيارة والقطار والطيارة حكم البابة أيضا .

وقيل: المراد: بوجه الله: ذاته . وهذا كناية عن علمه ... تعالى ... بعبادتهم فى أى مكان . قال أصحاب هذا الرأى: إن الآية نزلت لتنزيه .. شعالى .. عن أن يكون فى حيز وجهة ، توطئة لتحويل القبلة إلى الكعبة .

والمنى عليه : ولله المشرق والمغرب ، فلا يختص ملكه وعلمه بمكان دون مكان ، فأيها تولوا وجوهكم فى الصلاة والدعاء ، فهناك حيث انجهم – سلطان الله وعلمه بعبادتكم ، فلن تضيع عليكم .

ثم ختم الله الآية بهذا التذبيل :

(إِنَّ اللهُ وَاسِمُ عَلِيمٌ). : يوسع على عباده فى دينهم ، ولا يكلفهم بما ليس فى وسمهم (عَلِيمٌ .) بممالحهم وبما يعملون فى مخطف أماكنهم

⁽١) الفقه على المذاهب الأربعة: ١٤٩

(وَهَالُواْ أَخَذَ اللهُ وَلَدُّا سُبْحَلْنَهُ بَل لَهُ مَافِى السَّمَنَوَاتِ وَالْأَرْضِّ كُلُّ لَّهُ مِنْنِتُونَ ۞)

القردات :

(سُبْحَانَهُ) : تنزيها وتبرئة لله لائقة به مما قالوا .

(قَانِيُونَ) : منقادون خاضعون .

التفسسير

١١٦ ـ (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ . . .) الآية .

بعد أن بين الله - سبحانه - شيئاً من ما قماليهود وضلالهم ، وأشار إلى تعصبهم الذى أردام ، ووقوع النصارى فيا وقع فيه اليهود: حيث أنهم بعضهم بعضا بأنهم ليسوا على شيء، تتكلم في شأن النصارى واليهود. ومن جاراهم في نسبة الولد الله من النشر كين اللين جملوا الملاكة بنات الله .

جاء الإسلام بتوحيد الخالق. وتنزيه عن الولد، بين أهل كتاب ومشركين : يزعمون أن فح ولدا ، فاليهود يزعمون أن عزيرا ابن الله ، والنصارى يزعمون مثل ذلك لعيمى ، والمشركون يزعمون مثل ذلك لعيمى ، والمشركون يزحمون مثله للملائكة ، فيقولون : إنها بنات الله .

وقد أنزل الله – تعالى – هذه الآية الكرعة لتبرئته – تعالى – عما يزعمون ، وضمنها الدليل على ذلك فى قوله : (بَانْ لَهُ مَا ف السَّمُواتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُهُ فَايْتُونَ) .

وقد تضمن هذا العليل : أنه لا يصح أن يكون أه ولد، لأنّه مالك السموات والأرض : ومن يدعونه ولدا ليس كذلك ، ولا بد أن يشبه الولد أباه .

ولأنه مملوك لله ومخلوق له ، فهو من جملة السياء والأرض التي يختص مملكها الله ، والمسلوك لا يكون ولدا ، وأن الولد يُحتاج إليه ليمين أباء ، ويرثه بعد موته ، والله غير محتاج إلى معونة لخضوع الكل له _ تطلى _ وانقيادهم لإرادته ، كما أنه حي لا يموت، ، فلا عوت، ، فلا يموت، ، فلا المنابها إليه ، ياتي لا ينتهى ، فكيف يموت حتى يرثه ولده : تطلى الله عما يقولون

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا فَفَيْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن كُو فَبَكُونُ ﴿)

الفردات :

(بَكِيمُ السَّمُوَاتِ وَالْأَرْضِ) : مبدعهما ومخترعهما على غهر مثال سبق . من بدعه بمنى أنشأه والمخترعه . وكما يأتى فعيل بمنى مفعول بمائل بِمَكّى فاعل، كما هنا . وتظيره : السميم بمنى النَّسْيعُ ، في قول الشاعر :

و أمن ريحانة الداعي السميع و

وكل من أنشأً ما لم يسبق إليه يقال له : مبدع ، ومنه أصحاب البدع .

(وَإِذَا قَضَى أَمْرًا) : أَى شَاءَ إِيجَادَ شَيْءٍ .

(كَنْ لَيْكُونْ) : نقله في حينه بيسر وسهولة .

التفسسير

١١٧ - (بَدِيعُ السَّمُوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .) الآية

هذه حجة أخرى لإبطال دعوى الولادة الله ـ تعالى ـ

وتقريرها : أنه تعالى مبدع لكل ما سواه ، فاعل على الإطلاق، وهذا أمر لا يِثائِرُعُ فيه صاحبُ كتاب ولا مشرك .

وعا أن من زعموه ولدا لله _ تعالى _ داخل ضمن من أبدعه واخترعه من السموات والأرض ؛ فلهذا الا بصبح أن يكون ولدا له سُبْحَانَهُ ؟ الأن الولدينشأ عن التوالد لا عن الخلق .

وأشار إلى حجة أخرى فى قوله : (وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُوْفَكِكُونَ) . ومن زعموه ولدا ، ليس له هذه القدوة والسرعة فى التكوين ، فكيف يكون ولدا فى ، والولد على سنة أبيه ! وليس المراد بقوله : (كُنْ فَيَكُون) خيفة الأمر والامتثال ، لأنّه تعالى بخلق المعلوم ، والمعلوم لا يؤهر ، بل المراد تمثيل سهولة تَأتَّى المقدورات وفق مشيئة الله – تعالى ، وتصوير سرعة حدولها: بانفحال المأدر وطاعته للآمر القوى المطاع . تقريبا للأدهان والأَمْر عنده تعالى أيسر من ذلك، فالخلق عنده لا يتوقف على أن يأَمْر بـ (كنْ). بل يتوقف على الإرادة والمشيئة ، فإذا أراد شيئا كان كما أراد في حينه ومكانه .

(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَمْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ اَيَّةٌ كَذَٰ لِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِثْلَ قَوْلِهِمْ شَنْنَهَتْ قُلُوبُهُمَّ قَدْ بَيَّنَا الْآيَدِتِ لِقَوْمِر يُوفِئُونَ هَا)

التفسير

١١٨ ــ (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . . .) الآية ,

بعد أن حكى الله – سبحانه – عن الكافرين اعتقادهم أن لله ولدا ، حكى هنا تعنتهم ، وطعنهم فى نبوة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم .

اختلف المفسرون في المراد من : (اللين لا يعلمون) فقال ابن عباس : هم الههود . وقال مجاهد : هم النصارى ، وأكثر أهل التفسير على أنهم مشركو العرب ، لقوله تمال حكاية عنهم : و فَلَيْأَتِنَا بِآيَة كَمَا أُرْسِل الْأُولُونَ (١٠) ، وعبر عنهم باللين لا يعلمون . استهجانا لل كرهم ؛ النبح ما صدر عنهم ؛ ولأن ما يحكى عنهم لا يصدر إلا عن الجهلاء وفي التجبير بالفعل : (لا يَكْمَلُمُونُ) تبئيس من علمهم ، فهم لن يتجدد لهم علم – مع تجدد اللهم علم – مع تجدد

(لَوْلَا يُكَلَّمُنَا الله) أَى : هلاُّ يكلمنا الله بغير واسطة : آمرا وناهيا . أومصدقا على نبوتك .

وهذا منهم غاية في الجحود والإنكار ؛ لاستهانتهم بما أنزله الله عليهم من آيات ، ويما أيده به من معجزات .

⁽١) الأنبياء: ٥

نم سرَّى اللهُ عن نبيه ، فقال : (كَذَلِكَ قَال الَّذِين مِنْ قَبْلِهِمْ مُثْلُ قَوْلِهِمْ) - أَى -مثل ذلك القول السقيم ، قال اللين كانوا قبلهم من الأَّيم السابقة ، أو من اليهود والنصارى ، إذ قالوا : «أَوْنَا اللهَ جَهْرَةً * () ، وقالوا : « لَن نَّمْسِرَ عَلَى طَمَّامِ وَالحِد * " ، وقالوا : « مَلْ يُسْتَطِيعُ رَبُّك أَنْ يُنَوِّلُ عَلَيْنَا مَالِيَةً مِّنَ السَّمَاء * " ، وقالوا : « اجْمَلُ لَنَا إِلَيّها كَمَا لَهِمْ آلِهَةً * " .

(تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) أَى : تشابهت قلوب السابقين مع قلوب اللاحقين فى الكفر ، والإعراض عن الحق ؛ والعناد ، والمكابرة . والمعنى : أن تشابه أقوالهم نابع من تشابه قلوبهم .

(قَدْ بَيَنَا الْآيَاتِ الْقَوْمُ يُوفِئُونَ) أى : يطلبون اليقين ، وهو العلم الذى لا يخالطه شك ، وذلك بالنظر والاستدلال .

ولم يتعرض الرد على طلبهم تكليم الله ، لظهور بطلانه .

ر إِنَّا أَرْسَلْمَنْكَ بِالْحَتِّقِ بَشِيرًا وَنَلِيرًا ۚ وَلا نُسْفَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿ اللَّهِ ا

الفردات :

(يَشِيرًا وَتَلَيْرًا) أَى : مخيرًا لمن آمنوا بما يسرهم من الثواب ، ومنذرًا لمن كفروا بما يحزنهم من العقاب .

(الْجَحِيم): النار ، إذا شب وقودها واضطرمت .

التفسيي

١١٩ - (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ . . .) الآية .

هلمه الآية تسلية للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبيان لمهمته؛ كى يتوجه إليها بكلُّيتِه، ولا يلتفت إلى معارضيه من أهل الكتاب والمشركين ، بعدما سجل تعنقهم .

إِنَا أَرْسَلْنَاكُ أَمِّا الرسول، باللدين الحق، الموِّيْد بالبراهين، إِلَى أَهْلِ الأَرْضِجميعاً (يَشِيراً) أى : مبشرا من آمن بصلاح المحال وحسن المآل (وَتَلْيِراً) : ومنذراً من كفر بعذاب الجحيم ؛ ليختاروا ما أحبوا لأنفسهم . ولمست مجبرا لهم على الإيمان ، فلا عليك إِن أَصرَوا (١) النساء : ١٥٣ (٢) البَرَة : ٢١ (٣) المائنة: ١١٣٠ (١) الأعراف : ١٢٨ وكابروا: (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) فيقال لك : لماذا لم يؤمنوا ؟ ولن ينسب إليك تقصير ، بعد ما بلغتهم رسالة ربك .

وفى التعبير عن الكافرين بأنهم أصحاب الجحم : استهجان لذكرهم ، وإيذان بعقابهم يالجحم، وأنهم ملازمون لهذا العقاب ؛ لما تفيده الجملة الإسمية من الاستمرار والدوام

(وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلْتَهُمُّ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىُّ وَلَيْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمُ مَالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ۞) .

الفردات :

(لَئِينَ) : مكونة من لام القسم وإن الشرطية .

التفسيسر

١٢٠ ـ (وَلَن تَوْضِي عَنْكَ الْبَهُودُ وَلَا النَّصَاوَى حَنَّى تَتَّبِعَ مِلْتَهُمْ قُلْ إِنَّ مَكَنى اللهِ هُوَ الْهَائِي . . .) الاية .

أداد الله سيحانه: أن يبين لرسوله غاية أعدائه من اقتراح الآيات، ويحدره منهم، فقال ما معناه : إن اليهود والنصارى يقترحرن الآيات تمجيزا، لا طلبا للهداية ، فلو أتيتهم يا محمد، يمكل ما يسألون، فلن يرضوا عنك ، ولن تنال رضام، حتى تنبع دينهم الرائف للحرف ، قل لهم يا محمد : إن هدى الله الذي أنزله إليك : هو الهدى الذي يجب اتباعه والاهتداء به ، إذ لا هادى غيره ؛ لأن غيره ليس من عند الله ، ونقسم : لئن أتباعه والاهتداء به ، إذ لا هادى غيره ؛ لأن غيره ليس من عند الله ، ونقسم : لئن أتبعث يا محمد، ديانتهم الباطلة الناشئة عن الهوى ـ بعد الذي جاءك من الوحى المقتضى للملم بالحق - مالك من جهة الله ولي يواليك ولا نصير يعينك .

والغرض من توجيه الخطاب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى قوله : (وَلَدِّينَ أَتُبُسُّكُ أَشْوَاعُهُم . . .) الآية : هو إقناط اليهود والنصارى من إمكان تخليّه عن دعوته ، وليس المراد تحليره حقيقةً من اتباع أهواتهم بعد ما جاءه من الحق ، فإن ذلك لا يتصور حصوله منه .

وقوله : (مَالَكَ مِنَ اللهِ) الآية : جواب القسم فى قوله : (وَلَيْنِ النَّبِسُ) أَعَنت عن جواب الشرط ، على القاعدة المعروفة ، وهى : أن القسم والشرط إذا اجتمعا يكون الجواب للمتقدم ، ولذا خلت الجملة عن القاء . ويجوز أن يكون التحلير للأمة المحملية ؛ مخاطبة به في شخص الرسول الكريم ؛ وهو بهذا الوجه قائم دائم للمسلمين أجمعين إلى يوم القيامة .

(ٱلَّذِينَ ءَا تَيْنَنُهُمُ ٱلْكِتَابَ يَتَكُونَهُ حَقَّ ثِلاَوْتِهِ أَوْلَتَهِكَ يُؤْمِنُونَ بِيهً وَمَن يَكُفُوْ بِيهِ فَأُوْلَتِهِكَ هُمُ ٱلْخَلِسِرُونَ ﴿) .

التفسسير

١٢١ ـ (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَنَّ تِلَاوْتِهِ . . .) الآبة .

الذين تفضلنا عليهم بإعطائهم الكتاب من أحبار اليهود حالة كونهم يقرأونه حق قراتته فلا يحرفونه ، بل يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويصدقون كل بشاراته ، أولئك يشمتمون حقا ينعمة الإيمان بكتابم ، ولذلك أسلموا .

أما اللين كفروا به ، بأن حرفوه ، وأسانوا تأويله ، وجحدوا بشارته، فأ**ولئك م** ــ وحدهم ــالخاسرون دون سواهم . وللغلك لم يسلموا كما أسلم الأولون .

ولاوجه لتخصيص الآية بمن أسلم من أهل الكتاب كما جنح إليه بعض للقسرين ؛ فقد تضمنت من كفر منهم في آخرها .

وقد حمل بعض المفسرين : (اللَّذِينَ آتَيْنَاهُمُّ الْكِتَابَ) على أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – والكتاب ، على القرآن. وهذا الحمل خطأ ، قبانًّ هُرْف القرآن: على أن أهل الكتاب هم : اليهود والنصارى . ولم يذكر المسلمون فيه . إلا بعنوان المسلمين والمؤمنين . كما أن السياق واللواق ، في بني إسرائيل . فلا وجه لما قاله هوُلاه المسروف .

رَيْنَهِيْ إِشْرَآوِيلَ اَذْكُرُواْ نِعْمَنِي اللِّي أَنْعَتُ طَيْكُمْ وَأَلِي فَضَّلَتُكُمْ عَلَ العَنلَمِينَ ﴿ وَاتَقُواْ يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْتًا وَلَا يُغْبَلُ مِنْهَا عَثْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةً وَلَا هُمْ يُنعَرُونَ ۞)

الفردات :

(إِسْرَائِيل) هو : يعقوب بن إسحنَّى بن إبراهمٍ ، عليهم السلام .

(اذْ كُرُوا يْعْمَنِيَ الَّتِي أَنْعَتْ عَلَيْكُمْ) : لذ كروا ما أنعمت به عليكم ، من : الإنجاء من بطش الفراعنة ، وإنزال التوراة ، وغير ذلك .

والقصود من أمرهم بتذكرها : أن يشكروها بالإيمان ، بما يجب الإيمان به .

(وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أى : على عالى زمانهم .

(وَاتَّقُوا يَوْمًا) : المراد باليوم : يوم القيامة ، وباتقائه : التحفظ من عقابه .

(لَا تَحْزِى نَمْسٌ عَنْ نَفْس شَيْئًا) أَى : لا تحمل عنها شيئا من جزاء عملها . (وَلَا يُقْبِلُ مِنْهَا عَدْلًا) أَى : لا يقبل منها فداء .

التفسيسر

١٧٧ – (يَا بَنِي إِسْرَالِيلَ اذْ كُرُوا نِعْمَتِنيَ . .) الآية .

بعد أن ننى الله ما افتراء أهل الكتاب والمشركون من أن فه ولدا ، وأبد نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم - التى أنكروها ، ذكّر نبى إسرائيل بنعمه عليهم ، وحلوهم من كفرها . وقد سبق التذكير بهلم النج في الآيتين ٤٧ ، ٤٨ من هذه السورة ، ولكنه كرر تذكيرهم بها هنا ، تأكيدا لوجوب شكرها بالإيمان ، وليرتب عليها الوعيد الشديد .

يا أبناء النبى إسرائيل ، تذكروا ما أنعمنا به من النم على آبالكم حتى شملتكم . ومنها أنَّى فضلتكم على عالى زمانكم ، عاآتاكم الله من الثوراة دوم .

وينْ حَقُّ تَذَكَّركم لهذه النع وتقليركم لها : أن تشكروها .

ومن شُكرها : أن تؤمنوا برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي بشرت بها التوراة . التي فضلتكم بها على الوثنيين والمعطلين المعاصرين لكم ، فقد انتهى العمل بالتوراة .

١٢٣ - ﴿ وَالنَّمُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْمًا . . . ﴾ الآية .

أَى : واتقوا بإيمانكم بمحمد، عقاب يوم : لاتحمل فيه نفس مؤمنة عن نفس ك**افرة** شيئا من الجزاء، (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلُ): أَى قداء ، مهما عظم ، لَوْ وَجَلَتْهُ . (وَلَا تَتَفَّهُمَّا شَفَاعَةً) إِذَ لاشفاعة لكافر (وَلَا مُمْ يُنصَرُونَ) مِن أحد ؛ إذ لا غالبِالقهار ــ جل جلاله ⁽¹⁾

واليوم المذكور هو يوم القيامة ، وإنما خوطب اليهود فى زمان النبى ــ صلى عليه وسلم ــ بما فى الآيتين ؛ لأنّ ما أنتم به على آبائهم ، هو نعمة عليهم .

ولكى يأمرهم بوقاية أنفسهم من العقاب: أمرهم بالإيمان بما جاء به النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ شكرا لهذه النجم .

وفى خطابهم منسوبين إلى جدهم ــ إسرائيل ــ عليه السلام ــ إشعار لهم ، بأن قوية الرسول الصالح : الذى أمرهم ألا يموتوا إلا وهم مسلمون ، يجب عليهم امتثال ما يأمرهم به رسول الإسلام ، الذى هو دين جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام .

والتعرض لننى الفداء والشفاعة والنصرة فى هذا اليوم ، لأنها هى الأمور التى اعتادها بنو آهم فى تخليصهم إذا وقعوا فى شدة .

(وَ إِذِ آبْنَكَىٰ إِبْرَاهِمْ رَبُّهُ بِكَلِمَنْتِ فَأَتُمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَامِلُكُ لِلنَّاسِ إِمَامَاً قَالَ وَمِن ذُرِيَّيُّ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الطَّلْلِمِينَ ﴿ ﴾ لِلنَّاسِ إِمَامَاً قَالَ وَمِن ذُرِيَّيُ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الطَّلْلِمِينَ ﴿ ﴾

الفردات :

(ابْنَلَى إِبْراهِمَ) : اختبره ببعض التكاليف .

(بِكَلِمَاتِ) : هي ما كلفه الله به من التكاليف . التي سنتحدث عنها في المعني .

(إِمَامًا) : قلنوة للناس .

⁽١) رَاجِع تَفْسِرِ الْآيَةِ (٤٨) من سورة البقرة في موضوع الشفاعة ,

(قَالَ وَمِنْ ذُرِّيْتِي) : أَى واجعل من أَبِنَائِي أَثِمَةً .

(لاَيْنَالُ عَهْدِي الظَّلْدِينَ) : العهد هنا : الإمامة والنبوة . وينال : بمعنى يدرك ، أو يصيب وعهدى : فاعل ؛ والظالمين : مفعول .

التفسير

لما ذكر فيا تقدم اشتراك أهل الكتاب ، وعبدة الأصنام فى جعلهم ولدا قد ، وَلَنَدُ هذه الدعوى الكافية ، ودعا بنى إسرائيل إلى أن يتقوا بوما لا تجزى نفس هن نفس شيئا . أتبع ذلك ذكر ما كان عليه إبراهيم – عليه السلام – من عقائد مخالفة لما قالوا ، موافقة لما دعاهم إليه رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم –

والغرض من ذكر ذلك توبيخهم على ما هم عليه بما يخالف ما كان عليه إبراهم ، مع ادعاتهم الانتساب إليه ، وسيرهم على ملته .

١٧٤ ــ (وَإِذِ ابْتَكُلَ إِبْرَاهِمَ رَبُّهُ بِكُلِّمَات . . .) الآية .

الابتلاء : الامتحان . وهو عند الخلق لاستجلاء ما خنى علمه للمهم . والمراد به - في حن الخالق - تكليفُ المهد ببعض التكاليف . وأطلق عليه الابتلاء - مع أنه تعالى لايحنى عليه - شيء - لما فيه من إظهار أعمال الهيد التي كانت خفية قبل أن يفعلها ، كما يحدث في الامتحان . والكلمات هي : الواجبات التي كلفه الله بها ، ولما كان التكليف بها يكون بكلمات ، أطلقت عليها مجازا .

قال ابن العربي : تسمية الشيء بقدمته أحد قشمي المجاز .

والمرادبهاه التكاليف: ما كلفه الله به من شرعه , ومنها ما سيأتي مما حكاه الله في شأته.

وقد أبرزه من بين تكاليفه ، لاتصاله بموضوع المحاجة مع أهل الكتاب والمشركين وجماعها الإسلام .

والمراد من قوله (فَالْكُمُّهُنَّ) أنه وَأَى بنلك التكاليف جميعا .

روى عن ابن عباس أنه قال: ما ابتلى الله أحدا بن فقام بها كلها ، إلا إبراهم :ابتلى بالإسلام فأنَّمه، فكتب الله له البراءة ، فقال : ﴿ وَلِزُرَاهِمَ الَّذِي وَفَى اللهِ .

⁽۱) النجم : ۲۷ .

وقد بين الله هنا: أنه تعالى ، كافأه على هذا الإتمام ، بأن جمله للناس ..عامة _إماما يؤتم به ، وقادة يقتدى به فى جميع العصور والأجيال والملل من بعده . يخلاف كل نبى ، فإمامته خاصة بأمنه ؛ ولهذا جىء به موعظة وزجرا لأهل الكتاب والمشركين :الزاعمين أنهم يخيرون على منهاجه .

ولما بشر إبراهم بهذه المكافأة ، طلب إبراهم مثلها لبعض ذريته فقال : (وَمِنْ ذَرِيْتِي) أَى واجعل بعض ذريتى إماما للناس ، وهو كعطف التلقين ، كما يقال : سأ كرمك ، فتقول : وزيدا ، فتكون الجملة دعائية - فرد الله عليه قائلا : (لا يَمَالُ عَهْدِي الظَّلْدِينَ) أَى : لا يدرك عهدى بالنبوة الظَّالِين العماة . ولا يصيبهم ، لأَن الأنبياء معصومون من الماصى .

وإطلاق الظالمين على العصاة ؛لأنهم ظلموا بماصيهم أنفسهم وغيرهم .

وقد حصلت بركة دعوته هذه لمدد من بنيه الصالحين ، جعلهم الله أنبياء ، وهذه الفراءة : نصبت الظلين منمولا لينال ، و (عَمْلِين) فيها مرفوع محلا على الفاعلية ، أى لا يصيب عهدى ــ بالنبوة ــ الظالمين .

وقرأ قتادة والأَّعمش : (الظَّالِمُونَ) بالرفع فاعلا لينال ، وعهدى حينتذ مقعول .

والمراد من القراعتين واحد ، إذ الفعل تصح نسبته إلى كل من العهد والظالمين ، على الفاعلية أو الفعولية ، فإن مانالك فقد نلته .

(وَإِذْ جَمَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا ۗ وَٱخْذُواْ مِن مَّقَامِ إِلَّا إِلَّهِ إِلنَّاسِ وَأَمْنَا ۗ وَٱخْذُواْ مِن مَّقَامِ إِلَّهَ إِلَى إِلَى إِلَى إِلَى الْمِرَا بَيْنِي وَالْمَعْمِلَ أَن طَهِرَا بَيْنِي لِلطَّا يَفِينَ وَٱلْمُعْمِينَ وَٱلرُّحَعِ ٱلسُّجُودِ ﴿)

الفردات :

(البيت) : المراد به الكعبة .

(مَثَابَةً لِلنَّاسِ) : مرجعا لهم للعبادة . من ثاب بمغى : رجع .

(مقام إبرّاهيم) : هو الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت .

(مُصَلُّ) : مكان صلاة .

(وَعَهِلْنَا) : أَى أَمِرِنَا أَمِرًا مُوَّكِدًا ,

(طَهُرًا بَينِيٌّ) : نظفاه من كل ما لا يليق من الأوثان ، وجميع الخبائث .

(وَالْعَا كِفِينَ) : أَى المتكفين في المسجد أي : الملازمين له زمنا ما .

(وَالرُّكُّمِ السُّجُودِ) : الركع جمع راكع، والسجود جمع صاجد، والمراد بهما المصلون .

التفسيس

١٢٥ ـ (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً للنَّاسِ وَأَمْنًا . . .) الآية .

أى واذكر يا محمد ، وقت أن أمرنا بأن تصير الكبة المظمة مرجمًا للحجاج : يرجعون إليه بعد أن يتفرقوا عنه ، أو موضع ثواب يثاب الناس بالحج إليه ، والاعتمار فيه .

(وَأَمَنُا) أَى موضم أَمن ، والمقصود من جعل البيت مكان أَمن : أَن الحج إليه ، يجعل العاج مطمئنا إلى رحمة الله ، فإنه مكفر لكثير من اللنوب ، وأن من لاذ به ، كان آمنا من ظالمه ، لغلظ عقوبة الاعتداء فيه وفي الحرم الذي حوله ، تشريفا وتكريم! له.

ولقد سرى هذا الأمن إلى حيوانه غير المستأنس ، فيحرم صيده فيه ، ولذا أُطلق الأَمن في الآية ولم يقيد .

وتكريمًا لإبراهيم - عليه السلام - أمر الله تعالى أن يتخذ الناس-هند الحجر الذي قام هليه لهناء البيت-موضع صلاة لركعتي الطواف وسواهما . والأمر للاستحباب .

ثم أمر سبحانه إبراهم وابنه إساعيل -عليهما المسلام -أن يطهرا هذا البيت -وما حوامه من كلما الإبليق بمبادة الله وحده فيه ،وفى مقامته الأوثان ، حتى تكون المبادة خالصة لله ، وقد حدّ بالعابد :الطهر والنظافة من الأرساخ الحسية والممنوية : كالضوضاء ، وأدران القالموب

وهكذا يجب أن يكون الأمر في دور العبادة في شريحننا ، فالحكم ممتد إلينا من عهد إبراهيم عليه السلام . وقد تقرر بالسُّنة إلى جانب ما ورد هنا ، وإنما خص البيت بالحكم ، للناسبة الحديث عن شئونه . وقد أمر بتطهيره -على هذا النحو -من أجل الطائفين به للنسك مناهل الحرم ، أو الوافلين عليه من بقاع الأرض ، ومثلهم الزائرون .

فالتطهير عام من اجل الجميع .

وكما أمر بتطهيره ثما ذكر للطانفين ، أشرك معهم فى هذا العكم بالمعتكفين فيه عن الناس لعبادة ربهم ، وللصلين اللين عناهم سبحانه بقوله : (وَالرُّ كُمْ ِ السُّجُود) .

وإنما عبر عن المصلين بالركع السجود؛ لأن أبرز معانى الطاعة والخَصُوع لله في الصلاة، يتجسم في الركوع والسجود

ولم يستجب أهل الكتاب والمشركون لهذا الأمر (وانجذُ وا من مقام أيراهيم مُصلَّى) لكفرهم فإن أهل الكتاب لا يصلون إلى الهيت الحرام . الذى بناه جدهم إبراهيم ، وصرف وجوه التّاس إليه ، وحملهم على أداء النسك حوله ؛ والمشركون لوثوه بالأوثان واللبائح حولها ، ومع هذا يُدُّمون الانتساب إليه ، فأين دعواهم هذه مما يعملون ؟

أما محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهوالذَّى أحيا شريعة جده وحافظ عليها كما أمر .

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِمُ رَبِّ اجْعَلْ هَلَدَا بَلَدًا وَامِنَا وَارْزُقْ أَهْلُهُ مِنَ الظَّمَرُتِ وَالْفَرُ مِنَ الظَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأَمَيَّهُمُ وَلَلِهُ ثُمَّ أَضْطَرُهُ ۖ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِنْسَ الْمَصِيرُ ﴿)

التفسير

١٢٦ ـ (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبُّ اجْعَلْ هَلَا بَلَنًا آمِنًا . . .) الآية .

ما زال الحديث متصلا ، فبعد أن تكلم عن إيراهيم وتكلم عن البيت الذي بناه ، شرع يتكلم عن مَكَّة : بلد البيت وموطن ولده إساعيل ، وموضع نسكهما .

والمعنى : واذكر وقت أن قال إبراهم – وقد أنزل ولده الرضيع وأمه بواد غير ذى لرع – يارب اجعل هذا المكان المقفر :الذى لا شجر فيه ولا زرع ولا ماه ، اجعله (بَلَداً آمِناً) بأن تحوله من هذا الإتفار إلى بلد آهل بساكنيه ، ذى أمن ، فلا يعتدى على قاطنيه . وقد كانت مكة حرما آمنا قبل إبراهيم – عليه السلام – .

فقد روى سلم عن ابن عباس مرفوعا و أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السعوات والأرض الحديث ، ودعاء إبراهم لإظهار تلك الحرمة وتجديدها .

الفريات :

(وَارْزُقُ أَهْلَهُ) الذي يسكنونه (مِنَ النَّمْرَاتِ) المختلفة ، بأن تجعل بقريه قرى تشمرها، أو أن تُبَسِّر جلبها إليهم من الأقطارالشاسة ، وخص دعوته بالمؤمنين منهم بقوله : (مَنْ آمَنَ مِشْهُمْ بِاللهِ وَالْمِرْمُ الْآخِرِ) إظهاراً لشرف الإمان وخطره ، واهماما بشأن أهله ، ومراعاة لحسن الأدب ، وإيذانا بأنهم هم المستحقون لهذا الرزق ، دون من كفر من أهمل الكتاب والمشركين (قَالَ) الله تعالى : (وَمَنْ كَفَرَ) منهم (فَأَمَّمُهُ) وَمانا منهم المُسكنة في الله الكتاب والمشركين (فَالَ) الله تعالى : (وَمَنْ كَفَرَ) منهم (فَأَمَّمُهُ) وَمانا منه جرله له على كفره ،

والواو فى (وَمَن كَفَرَ) عطف جملة من كلام الله على جملة من كلام إبراهيم - عليه السلام ... وهي (مَنْ آمَنَ) عطف تلفين ؛ للإيجاز فى القول .

وقد أرشدت الآية : إلى أن الله يرزق الكافر في الدنيا كما يرزق الؤمن ، وإن كان المؤمن المدل كل خير . فرزق الكافر لاستدراجه ، ولو حرم الله الكافرين من التوسعة في الرزق في الدنيا وخص بها المؤسنين ؛ لانساقوا إلى الإيمان قسرا ، وقد قضت -- حكمته - سبحانه أن يكون الإيمان اختياريا ، حتى يتجه إليه الإيمان عن طريق النظر في آيات الله :التي يبصرها قوم ويعمى عنها آخرون ، ووصف التمتم بالقلة ، لأن مدة الدنيا قليلة بالنسبة إلى الآخرة ، ولتمرض متمها إلى الزوال كل لحظة .

(وَإِذْ يُرْفَعُ إِبْرَاهِمُ الْقَوَاعِدُ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَنْعِيلُ دَبَنَا ثَقَبَلُ مِنَّا أَبَيْتِ وَإِسْمَنْعِيلُ دَبَنَا ثَقَبَلُ مِنَّا أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ دَبَنَا وَاجْعَلْنَا أُمْثُ مُسْلِمَةٌ لِكَ وَمِن فُرِيعَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْعَلَيْنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْعَلَىٰ أَيْتَ التَّوَابُ التَّالَقُوابُ اللَّهِمُ الْمَنْعُمُ مُنَا وَابْعَثُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَلُوا عَلَيْهِمْ الكِينِكَ التَّالِمُ مُنْهُمُ أَلْكِتَابُ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّمِهِمْ إِنْكَ أَنتَ الْعَسزِينُ الْمَكِمُ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَسزِينُ الْمَكْمُ الْمَكْمُ الْمَالِكُمُ ﴾ أَلْكِتُونَ وَالْمُحَلِّمُ وَيُوكَمِيمُ أَلْكَ أَنتَ الْعَسزِينُ الْمَكْمُ الْمَكْمُ الْمُنْ اللَّهُ الْمَالِمُ الْمَالِمُ الْمُنْ الْمُنْلُولُونُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ

(يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ)، القواعد: الأُسس؛ جمع قاعدة ، ورفعها: البناءُ عليها .

(أَمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ) : جماعة مستسلمة ومنقادة لك بالإيمان والممل الصالح ، أو المراد بها : أمّة دينُها الإسلام ، وهي أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

(وأَرِنَا مَنَاسِكُنَا) : متعبداتنا في الحج .

(رَسُولًا مُنْهُمُ) : أى من أنفسهم ، ولم يبعث من ذويتهما فيهم غير محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

(الْكِتَابَ) : القرآن .

(وَالْحِكْمَة) : وضع الأمور في مواضعها .

(وَيُرْزَكُّهِمْ) : ويطهرهم من دنس الشرك والمعاصى .

(الْعَزِيزُ) : الغالب الذي لا يقهر .

(الْحَكِيمُ) : الذي لا يفعَل إلا ما فيه العكمة والصلحة ,

التفسي

١٢٧ - ﴿ وَإِذْ يَرْفُعُ إِيْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِنْسَاهِيلُ رَبُّنَا تَفَيَّلُ مِنَّا إِنَّكَ أَلْتَ السَّبِيمُ النَّلِيمُ ﴾ .

واذكر يامحمد أيضا حين بنى إبراهيم فوق أسس الكتبة ، ووفعها هو وإساعيل ابنه ، وهما يقولان داعيين : ربنا تقبل منا بناء هذا البيت :الذى سيكون قبلة ومطافا لعبادك ، إنك أنت وحلك دون سواك ، السميم دائما لأقوالنا ، العلم فى كل حين بعضايا نياتنا .

١٢٨ - (رَبَّنَا وَاجْمَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِيَّتِنَا أَمَّةً مُسْلَمَةً لَّكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبُّ عَلَمْنَا انْلُكَ أَنتَ التَّوَابُ الرَّحِيةُ) .

یاربنا، وأضف إلى تفضلك بنقبل طاعتنا فى بناه الكعبة منا، تفضلك بأن تجعلنا منقادین دائما لك: لا نخالف أمرك ، ولا نعصى نهیك ، بحیث یكون قیاد قلوبنا بیدك وحدك .

يارينا ، وأضف إلى ما تفضلت به : أن تجعل بعض فريتنا جماعة مستسلمة ومنقادة لك . ف إيمانها وطاعتها ، لا للهوى والشيطان .

وعرفنا ياربنا أماكن حجنا ومذابح هلينا ، واقبل ثوبتنا وتوبة ذريتنا ، إنك أنت - لا سواك ـ مانح التوبة ، والمتفضل بقبولها وإن عظم اللنب وتعدد ، وأنت كثير الرحمة ، عظيم الإحمان , فإن قبل : إن الأنبياء لا يعصون رجم ، فما وجه طلب إبراهم وإنهاعيل من رجما أن يتوب خليهما ؟ أي يقبل توبتهما :

قالمجواب : أن ذلك محمول على هضم النفس ، أو على أن يتوب عليهما نما خالفا به الأوَّل ، أو فسلاه سهوا أو أفراد ذرياتهما .

۱۲۹ _ (رَبِّنَا وَابْنَتْ فِيهِمْ رَسُولاً مَّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُؤَكِّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْعَكِيمُ ﴾ .

يا ربنا ، وأتمَّ على ذريتنا نعمتك : بأن تبعث فيهم رسولا منهم ، لا من غيرهم . يتحدث بلغتهم ويقرأً عليهم آياتك البينات ، ويعلمهم معانى القرآن وأسراره ، ويعلمهم الحكمة. أى وضع الأمور فى مواضعها ، ويعلهرم من دنس الشرك وقبيح العادات ، إنك أنت يارب - لا سواك - ، العزيز: الغالب الذى لا يقهر ، الحكم: المدبر عن حكمة واتقان .

تفصيلات لبعض ما تقدم : لم نشأً أن نقطع على القارئ اتصال المنى الإجمالي بشي من التفصيلات وقد رأينا أن نأتى بما يلزم منها فيا يلي .

فى نداه إبراهم وإمياعيل أله _ سبحانه _ بعنوان الربوبية لهما إذ يقولان : (رَبَّنَا تَقَبَّلُ مِثَّا) مظهر من مظاهر الخضوع والإجلال له _ سبحانه _ ، وقد أكد رجاءهما فى تقبله _ تعالى _ لدعائهما بقولهما : (إِنَّكَ أَنتَ السَّبِيعُ الْمَلِيمُ) فإن من كان هذا شأَّنه يتفضل بقبول عملنا الذي علم أننا أخطمناه لوجهه .

وبما أنهما مسلمان مخلصاً له تعالى، يكون قولهما: (ربَّنَا وَاجْتَلَانَ مُسْلِيَبُيْنِ لَكَ) مرادا منه : أدم علينا نعمة هذا الإسلام لك بهامتثال أوامرك واجتناب نواهيك دائماً . فالمسلم لا يطلب أن يجعل مسلما ؛ بل أن يدوم على إسلامه ، والمقصود من الإسلام فيا قالا : الخضوع والاستسلام إلى الله ـ تعالى ـ بتوحيده ، وننى الشركاء والأولاد والزوجات عنه ـ تعالى ـ ، وغير ذلك من أمهات الفضائل: التي اشتركت فيها جميع الأديان ، إلى جانب ما اختصا به في شريعتهما .

وما من شريعة إلا كان الغرض منها الإسلام لله أي الخضوع له فيما شرعه .

فالإسلام بهذا المنى: هو دين الأُنبياء جميعا، وعليه قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُهُونِيًّا وَلاَ نَصْرَاتِيًّا وَلَكِينْ كَانَ حَنِيفًا شَّلْهِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ () .

⁽١) آلمران: ١٧ -

وهذا يفيد : أن الإسلام الذي يدين به ، هو ما ليس فيه الشرك الذي ترهى فيه اليهود والنصارى والوثنيون .

ويجب أن يعرف أن دين إبراهيم ، ليس مطابقا الإسلام في فروع الشريعة ، بل في أسو لها وأصول العقائد .

فإن كل دين ، جامحت فيه فروع ثناسب الأُّمة التي كلفت به .

وقد كان دين إبراهم يسيرا فىشراتىموأحكامه ، إذ جاء فىصحائف، ولم يأت فى كتاب كبير ،كالإسلام واليهودية والنصرانية .

وقد امتاز الإسلام بأنه تناول كل فروع الحياة . وأعطاها الأحكام المناسبة لها . فكان ــ لذلك ــ صالحًا لكل زمان ومكان .

وقد طلب إبراهيم وإساعيل – عليهما السلام – من ريهما أن يجعل من فريتهما جماعة مسلمة له – تعالى – ولم يعمما اللوية، لما وقر فى نفسيهما . من أن بعضهم سيكونون كفارا ، لما عرفاه من طبائع البشر؛ وسيرهم على هواهم ، وتذكرهم لشوائع رسلهم .

وحصًا ذريتهما بالدعاء ؛ لأَنهم أَحق بالشفقة ، والدعاة لهم بالصلاح مطلوب شرعا . ومعى (وَتُبُ عَلَيْنَا) : وفقنا للتوبة او تقبل توبتنا .

والتوبة فيحق الأنبياء تكون من ترك ما هو الأولى ، أو من خطأ في الاجتهاد .

وعلى هذا نحمل التوبة التي يسأَّل الأَّنبياءُ والرَّسلون قبولها .

ولعل فى ذكر هذه الجملة هنا بعد قوله : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكُنَا ﴾ إرشاها إلى أَن تلك للواضع ، أَمكنة التخلص من اللذوب ، وطلب التوبة مما فات منها .

والغرض من قولهما : (إِنَّكَ أَنْتَ التُوَّابُ الرَّحِيمُ) التوسل إلى قبول توبتهما. بما عرف من شأَنه قبل ـ وهو :أَنه كثير التوبة على عباده ، رحم بهم .

وقد واصل إبراهيم وإساعيل دعواتهما فقالا : (رَبُنَاوَابَتَثُ فِيهِمُ) أَى فى ذريتهما (رَسُولاً مُنْهُمُ) وقد استجاب الله دعامهما فيمث محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

والرسول ق عرف المتكلمين - إنسان ذكر حو ، أوجى إليه بشرع وأبر بتبليغه. فإن لم يؤمر بتبليغه كان نبيا فقط ، وليس برسول .

وسنًّال إبراهم وإساعيل أن يكون الرسول من الأُمة ليكون أدعى إلى الاستجابة ؛ لموفتهم بحاله – في نشئاًته – ويلسانه .

وَمَوْ الْجَمَعَ بِينِ الْأَمُورِ الْأَرْبِعَةِ الواردة في قوله تعللي : ﴿ رَبُّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مُنْهُمْ مُرْدُ إِنَّا * * ٣-١١] . منها مُرْدُ إِنْهِمَا الواردة في قوله تعللي : ﴿ رَبُّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً أن تلاوة الآيات وحفظها بألفاظها كما نزلت ، والتعرف على بلاغتها ، وروعة أساليبها ووجوه إهجازها، _ كل هذا ... داع إلى تفهم مُعانيها وتعقل مراسيها .

قَيْدًا جمع الإنسانيين التلاوة والفهم ، كان أُحرى وأُجدر بتقبل الحكمة النبوية التي ظهرت في حياة الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم -- قولا وعملا .

فيافنا ما ارتق إلى هذه الدرجة ، زاد خيره وعم نفعه وطهر قلبه ، وخلص لمولاه ، ونظفت جوارحه تما يغضب الله .

على أن الآية قد استوفت منابع الدين أصولا وفروعا .

فكل رأى لا يستند إلى الكتاب أو السنة ... أو إلى أصل مستمد منهما على وجه معقول... فهورد على صاحبه .

(وَمَنْ يَرْغَبُ مَنْ مِلَّةٍ إِبْرَاهِهُمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسُةً وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَنَهُ فِ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّلِحِينَ ۞)

القرنات :

(وَمَن يَرْغَبُ مَن مُلِّةٍ إِبْرَاهِيمَ): من اسم استفهام إنكارى بمنى النفى ، ويرغب:
يتمدى للمكروه بعن كما هنا، فإنهم يكرهون ملته ، أى لاأحد ينصرف عنها لكراهته
إياها ، ويتعدى للمحبوب بنى ، يقال رغب فى كذا : أى أحبه : والملة فى الأصل :
الطريقة ، وغلب إطلاقها على الدين .

(سَفِهَ تَفَسَّهُ): استهنها واستخف بها مثل سفَّه ... بفتح الفاء مشددة ... وأصل السفه الخفة ، فمن رغب صما يرغب فيه ... وهو ملة إيراهيم ... فقد بالتي في امتهان نفسه وإهانتها ، والاستخفاف بها. وقيل : إن سفه مضمن منى جهل ، أى فقد جهلنفسه أى : لم يفكر فيا ينفعها .

(اصْطَفَيْنَاهُ) : اخترناه للرسالة من بين سائر الخلق .

التفسيس

١٣٠ - (وَمَن يَرْغَبُ عَن مُلَّةٍ إِيْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِيةَ نَفْسَهُ . . .) الآية .
 ١٤٠ - لا أحد يزهلق دين إبراهم الاشخص امته نفسه واحتدها كأنه ١٠٠٠ الله ١١٠١ الله

(وَلَقَدِ اصْفَلَقَيْنَاهُ فَى اللَّذَيَا وَإِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) : ولقد اخترناه فى الدنيا لرسالتنا من بين الخلق ، وإنه فى الآخرة اتى عداد الصالحين:المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخبر والصلاح ، المستحقين للفوز بناً كرم الدرجات .

جاءت هذه الآية : ثبين ضلال البهود والنصارى والمشركين ، في صديم عن الإسلام ومحاربة محمد -- صلى الله عليه وسلم -- فإن الآيات السابقة سيقت لبيان أن إبراهيم الذى يفخر مشركو العرب بانتسام إليه ، وتفخر البهود والنصارى بأنهم من بنى إسرائيل الذى هو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم ، إنما كانت شريعته على نمط الإسلام من : التوحيد ، والمقائد وأصول الأحكام .

وهولًا و فرانتك بصدهم عن الإسلام : ومحاربتهم له قد رغبوا عن ملة إبراهم إلى الشرك ، وأدعاه الولدية له تعالى ، فاستحقوا أن يقول الله فيهم : إنهم سفهوا أنفسهم، واحتقروها حيث وضموها في بؤرة الردة عن دينهالحق بإلى الوثنية والشرك ، ووصعت الله عا لا يليق به ، بدل أن يرفعوها إلى قمة الإسلام : دين إبراهم الذي يدعون انتساجم إليه ، والله مو الذي يدعون انتساجم إليه ، والله مو الذي جمع له كرامتي اللنبا والآخرة ، فكان حريا أن يسيرواعلى منهاجه .

(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُهُ السَّلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِمُ اللَّهِنَ إِبْرَاهِمُ بَنِيهِ وَيَعَقُّوبُ يَنِبَنِيًّ إِنَّ اللَّهَ اَسْطَعَىٰ لَكُمُ اللَّهِنَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْمُ شَلِمُونَ ﴿ }

التفسسر

١٣١ .. (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ . . .) الآية .

الراد بالإسلام هنا أتم وجوهه من إخلاص التوحيدالله عوكمال الانقياد لأ وامره عواجتناب نواهيه ، في كل حال .

(قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبُّ الْمَالَحِينَ) : بادر إبراهيم إلى الامتثال؛لكمال استفامته التي رفعنه عند الله إلى المنزلة العليما ، وقال : أسلمت لرب العالمين ، ولم يقل : أسلمت لك ، ليذكر الله عا يدل على علم شأَّته ، ويشير إلى أن من كان وبا للعالمين :لا يليق بأحد منهم ، إلا أن يتلق أمره بالخضوع وحسن الطاعة . فهو إشارة إلى سبب الإخلاص لله .

١٣٧ _ (وَوَمَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ويَتْقُوبُ . . .) الآية.

التوصية :إرشاد الغير إلى ما فيه صلاح وقربة ، ووصى أبلغ من أوصى الم فيها من معنى التحكير ، والضمير فى (بِهَا) يعودهلي ويلّة إبرّاهيم ه :أى وصى إبراهيم بنيه باتباعها . ودلت هذه الآية ، على أن إبراهيم يجمع إلى حمال استفاته ، العمل على تحميل غيره ، وأن أختى من يسلعناله التصمح :البنون (وَيَشَعُربُ) معطوضعلى إبراهيم ، أى وصى يحقوب أبناته التباع لوصية جده إبراهيم قاتلا : ليلبني إلنّالة أصطفى لكم اللبين أوهو الإسلام . وفي نغاء الأبناء بلفظ البنوة المشمر بمكانتهم في قلب الناعى ، وفي تأكيد الجملة واسعيتها ، وفي التعبير بلفظ الجلالة ، وإسناد . الاصطفاء إلى ضميره ، وفي اختيار مادة اصطفى - ما يفيد تأكيد : أن دين الإسلام هو خير دين .

(فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) .

تفيدها. الجملة : مبيه لهم عن أن يموتوا إلاوهم مسلمون ، وبما أن الموت ليس في استطاعة أحد دفعه حتى ينهى المرء عنه ، فلما يكون الغرض بميهم عن التلمين بدين غير الإسلام حتى لا يدركهم الموت وهم به كافرون .

(أَمْ كُنهُ شُهَدَآء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ وَإِلَهَ ءَابَآبِكَ إِبْرَهِمُ مَا تَعْبُدُ وَإِلَهَ ءَابَآبِكَ إِبْرَهِمُ مَا تَعْبُدُ وَإِلَهَ ءَابَآبِكَ إِبْرَهِمُ وَإِلَهُ عَلَيْدُونَ فَي تِلْكَ أَمَّةً وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَتَى إِلَيْهَا وَحِدًا وَتَحْنُ لَكُو مُسْلِمُونَ فَي تِلْكَ أَمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهُ مُسْلِمُونَ فَي تِلْكَ أَمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهُ مَسْلِمُونَ فَي تَلْكَ أَمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهُ مَسْلِمُونَ فَي اللهَ اللهَ اللهُ اللهُ مَا كَسَبَثُمْ وَلا تُسْلَلُونَ عَمًا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَي)

الفردات :

(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء) أَم يمنى : بل الانتقالية وهنزة الإنكار . أى : بل أكنتم . . . ، (شُهَدَاء) : جمع شهيد يمني شاهد : أى حاضر .

(إِذْ حَضَر يِنْقُوبَ الْمُوْتُ) : وقت حضور علاماته ليعقوب .

(تِلْكَ أُمَّةٌ) : تلك جماعة . والإشارة راجعة إلى الأَّنسِياء الثلاثة .

(قَدُّ خَلَتْ) : مضت .

التفسير

١٣٧ _ (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَصَر يَخُوبَ الْمَوْتُ . . .) الآية .

بعد توبيخ المخالفين لملة إبراهم، بقوله تعالى : و رَسَ يُرَخَبُ . . . ، الآية و الآية و الآية و الآيتان ، وبعد بيان أن هذه الملة هى التى وَسَّى بها إبراهم ويعقوب أبناتهما – جاتت هاتان الآيتان ، الإنكار افتراء أهل الكتاب على يعقوب ، أنه كان على ما هم عليه من التدين ، وبيان أن انتسام إلى آباء صالحين ، لأ يغنى عنهم فتيلا .

والخطاب لأهل الكتاب من اليهود الذين زعموا :أن يعقوب أوصاهم حيماً أشرف على الموتسباليقاء على بوديتهم المحرفة ، القائلة : يأن لله ولدا ، وأنه شريك لأبيه ، وحضور الموت : حصول الموت : على الموت على الموت الموت الموت الموت على رغبتهم عن من حضره . وأم يمنى : بل والهمزة ، وبل للإضراب الانتقالى من توبيخهم على رغبتهم عن ملة إبراهم : إلى توبيخهم على افتراتهم على يعقوب عليهما السلام - والهمزة لإنكارشاهدتهم يعقوب عند مشاوقة الموت له يحتى تقولوا ماقتم .

(إِذْ قَالَ لِيَتِيهِ مَا تَعْبُدُنَ مِن بَشْدِى) : وجه يعقوب الوصية لينيه في صورة سوّال ، لبيان شدة اهيامه بأمرهم ؟ وليعللب بسؤاله جوابا منهم بيمبر عن رسوخ إغانهم ، وعقدهم النية على أن يخصوا الآلة الحق بعبادتهم والاستفهام به (ما) في قول يعقوب لبنيه : (مَا تَسْبُدُونَ مِن بَغْنِي) : لأَمّا تستعمل عند إنهام المسئول عنه لفرض ، كما هنا ، حيث أراد ألاً يرشدهم إلى الجواب بحق ينبع هومن عقولهم دون إيحاء ، كما تستعمل فالسوّال عنالجهول : وإن دخل فيه العاقل والعالم ، فإن سئل عن عاقل بعينه استعمل فالسوّال به . أما غالب استعمالها . أي ما فق السوّال عن غير العاقل ، وقد تستعمل في السوّال عن وصف العاقل ، كقولك ما زيد ؟ أطبيب أم فقيه ؟

ويجوز أن يكون السرَّال عن العبادة التي يتعبدون بها .

(قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكِ وَإِلَّهُ ٱلْبَائِكَ إِيْرَاهِيمَ وَإِسْمَاهِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلْهَا وَاحِداً ﴾ .

كان يكنى فيجوابهم أن يقولوا نعبد الله، ولكنهم أطنبواوأسهبوا :اغتباطا وتمسكا بالحق ، وليلمانا بأنه عقيلة مشتركة بين الأنبياه الثلاثة كما هو عتبلته ، وليس أمرا مخترطا ، بل هو حقيقة الاتباع الإبراهم وفريته ، وذكروا إساعيل - ع يعقوب - ف جملة آبائه تجرزا ، وقلعوه على أبيهم إسحاق لأنه أسنٌ منه ، وذكروا (إلها والجداً) : للشأكيد ، والثلقة بالإمراو بالوحدائية ، وأكدوا أيضا ، واستعنوا بقولهم : (وَنَحْنَ للهُ مُسْلِسُونَ) أي : مستمرون في عبادته ، والتمسك بدين الإسلام.

١٣٤ .. (يَلْكُ أَنَّةُ مَنْ خَلَتْ . . .) الآية .

(تِلْكِ) : إشارة إلى إبراهيم وأبناته الأنبياء ، وأنشت لتأنيث الخير وهو (أمَّةً) .

(خَلَتُ) : مضت وانقضت . والأُمَّة : الجماعة يجمعهم أمر واحد ، نحو الموطن أواللغة .

(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسُبْتُمْ) ، الكسب : العمل الإصابةما فيه نفع . الفظ مقدر يقتضيه المنى – والتقدير : لها جزاة ما كسبت ،ولكم جزاة ما كسبتم .

وحاصل المعنى : تلك جماعة من الأنبياء لها جزاة ما كسبت من الترحيد والإسلام لله . ولكم جزاة ما كسيتم من الكفر والمعاصى .

(وَلاَ تُشَائُونَ عَمًّا كَانُوا يَتْمَلُونَ) أَى: لايقع لكم سوَّال عن أعمالهم . بل عن أعمالهم . بل عن أعمالكم أنفسكم . فلا تتفعكم أعمالهم الصالحة وأنتم على نقيضها ، وإن كنتم من ذرياتهم ، فمن أبطاً به عمله لم يسرع به نسبه . فاستقيموا على الإسلام الذى دعاكم إليه رسوله محمد . كما استقام أنبياؤكم عليه ، فإن أباكم إبراهم وَصَّى به بنيه فقال : و إنَّ الله اصطفى لَكُمُ النبيَّرَ فَلا تَمُوثَنَّ إلا رَأْتُم شَلْمُونَ »

(وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَلَوَىٰ تَهْتَدُواً قُلْ بَلْ مِلْةَ إِبْرَاهِمُ مَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ قُرلُواْ ءَامَنَا بِاللهِ وَمَا أَنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزِلَ إِلَيْنَا أَوْنِ المَيْمِيلَ وَإِسْحَتَى وَيَعْقُوبَ وَالأُسْبَاطِ وَمَا أَوْنِي مُومِي وَمِينِي وَمَا أُوقِى النَّبِيثُونَ مِن دَّيِهِمْ لا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحِد مِّنْهُمْ وَعَمَّنُ لَكُم مُسْلِمُونَ ﴿ فَالْمَنْ مِيهِ فَقَدِاهُ هَتَدُواً وَإِنْ مَوْلُوا مَا مَانَمُ مِع فَقَدِاهُ هَتَدُواً وَإِنْ مَوْلُوا السِيعُ الْعَلِمُ ﴿ وَالسَّعِيعُ الْعَلِمُ ﴿ وَالْمَانَمُ وَمَا أَوْنِ اللَّهِ مِسْفَاقٌ فَعَيْدُ الْمَانَمُ مِنْ اللَّهِ مِسْفَاقً وَكُونُ لَهُ وَعُدِادُونَ ﴾ ومِنْ فَقَدِاهُ مَنْ اللَّهُ مِسْفَقًا وَكُونُ لَاهُ مَا عَلَيْدُونَ ﴾ ومِنْ فَقَدِاهُ وَعَلَيْمُ وَالسَّعِيعُ الْعَلِمُ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِسْفَقًا وَكُونُ لَكُومُ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهُ مِسْفَقًا وَكُونُ لَكُومُ عَلَيْدُونَ اللَّهِ مَاللَّهُ مَنْ لَكُومُ عَلَيْدُونَ اللَّهِ مَا مُونَ اللَّهُ مِسْفَقًا وَكُونُ لَكُومُ مَا اللَّهُ وَمُونَ لَكُومُ لَهُ مَا اللَّهُ وَمَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مُونَا السَّعِيعُ الْعَلَمُ اللَّهُ اللّهُ ا

الفردات :

(حَنِيفًا): ماثلا عن الباطل إلى الحق، من الحنف بمفى : الميل ، أو مستقيا من الحنف عشى : الاستقامة ، فهو يستعمل في المنى وضده .

(الْأَشْبَاطُ) : جمع سبط وهو : ولد الولد ، من السبط وهو التتابع ، وكان ليعقوب إثنا عشر ولداخرجت من كل منهم ذريات كثيرة ، أُطلق على ذرية كل واحد : منهم سبط، بالنسبة لجدهم يعقوب .

فالأَسباط في بنى إسرائيل عقبائل بودية ، تنتمى إلى أَصل واحد، كالقبائل العربية ، وكانوا الذنى عشرة قبيلة ،كما قال نعالى : ووَقَلْمَنَاهُمُ النَّنْتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَمُمَا الْ).

(بَيْنَ أَحَدِ مُنْهُمُ) أَحد: اسم موضوع لمن يصلح للخطاب ، يستوى فيه الملكر والموَّنث . مفرداكان أو مثنى أُوجمعا ، ولذا صح دخول (بَيْنَ) عليه (٢٦ .

(فِي شِقَاقِ) : الشقاق : الخلاف أو العداوة ، وكل تصع إرادته هنا .

(صِبْغَةَ اللهُ) :الصبغة فالأَّصل :الحالة التي يكون عليها الصبغ ،وهوتلوين الشي يعلونها .

(١) الأعراف: ١٦٠ .

(٢). ومنه قوله 🗕 صلى الله عليه وسلم : 3 ما أحلت الغنائم لأحد سواد الرأس غيركم 🐧

وأطلقت فى الآية على الإيمان ، لأنه يتداخل فى القلوب تداخل الصبغ فى المسبوغ ، ويظهر أثره على الومن ، كما يظهر أثر الصبغ فى الثوب ، ويقال : تصبغ فلان فى الدين ، إذا أحسى دينه .

التفسي

١٣٥ - (وَقَالُوا كُونُوا مُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلْةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا رَمَا كَانَ مَن الْمُشْوَكِينَ) .

يعد أن بين الله سيحانه ضلال اليهود والنصارى في أنفسهم بقوله حكاية عنهم : و لَن يَقْشُلُ الْجُنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَزْ نَصَارَى (١٠ و بين هنا إضلالهم لغيرهم ، بقولهم : ﴿ كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهَتَّدُوا ﴾ ثم أثبح ذلك الرد عليهم ، وفيا يلي بَيان ذلك .

(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْنَانُوا) .

حكت لنا هذه الجملة ، دعرة كل من اليهود والنصارى للمؤمنين ، إلى اتباع دينهم ، وراعمهم أنه الدى دون غيره ، وراعمهم أنه الدى دون غيره ، وليس الهني أن كلا الفريقين قالوا ذلك على وجه التخيير ، على المغنى: أن اليهود قالوا لهم : كونوا معوداً جندوا ، والنصارى قالوا لهم : كونوا نصارى تهندوا . ويساحد على إفادة هذا المغى باللفظ الموجز عاهو معروف ، من أن كل فريق منهما يدعى أن دمانة الآخر ماطة .

(قُلْ بَلْ مَلِّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) الخطاب للنبي _ صلى الله عليه وسلم _ و (بَلْ) : إيطال لما ادعاء كل من الفريقين . و (ملّة) : منصوب بفعل مقدر تقديره : نتجع . و (حَنِيفًا ٌ) : حال من إبراهيم ملازمة له .

والمفيقل يامحمد: بل نتبع ملة إبراهم مستقيا دأمًا علىالحق .

وهذا يشير إلى أن اليهودية والنصرانية ـ بعد تحريفهما ـ غير مستقيمتين ، وأن ملة إبراهم ~ وهمىالإسلام الذي نحن عليه ـ. أولى بالاتباع من الملل للعوجة .

وقوله تعالى : (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْوكِينَ) نبى عن إبراهيم أن يكون مشركا ، وعرض بإشراك جميع الكافرين : الذين يفخرون بانتسام إلى إبراهيم،ويدعون أنهم على ملته . فكفار المرب عبدوا الأصنام واقترفوا كثيرا من النقائص .

⁽١) الآية ١١١ - من علمه السورة

واليهود قالوا : عزير ابن الله ، والنصارى قالوا :المسيح ابن الله ، وغير ذلك من القبائح. فكأنه يقول لهم : بل أنتم المشركون .

١٣٦ .. (قولوا آمَنًا بالله . . .) الآية

الخطاب للأمة الإسلامية جمعاء ، والإيمان بالله تصديق جازم بما الحص به ــ سبحانه ــ من صفات الكمال : تصديقا قائمًا على النظر في أسرار الكون، والانتباه إلى مايلقاه الإنسان في حياته ، من رعاية الله ولطفه ، وغير ذلك من عظائم خلقه وحكمته .

(وَمَا أُنْوِلَ إِلَيْنَا ﴾ : وآمنا بالقرآن الذي أَنزله الله إلينا ؛ لنعمل بما كلفنا الله فيه .

(وَمَا أَنْزِلَ إِلَى إِبِرَاهِمِ وَإِسَاعِيلُ وَإِسحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَالاَّسِاطِ) المراد عا أَنزل إليهم : الصحف التي أَنزلها الله إلى إبراهيم ، المشار إليها بقوله تعالى : و إنَّ هَمْنَا لَقِي السَّحُونِ اللهُوكَ ، مُستَفعِ إِبرَاهِمِ وَمُوسَى (وَصع نسبة إنزالها إلى الآنبياها الثلاثة من بعده ، ثما الأسباط ، ما أنها أَنزلت على إبراهيم خاصة ؛ الأبهم مأمروون باتباعها ، والتعبد عا فيها والدعوة إليها . (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَهِيسَى) : و آمنًا عا أعطى موسى وهو التوراة ، وعا أُعطى عيسى وهو الإنجيل . وعطف عيسى على موسى دون تكرير الفمل ؟ الآن عيسى جاء مصلما لما فيها عمم نسبح أحكام يسيرة منها ، كما قال تعالى : و وَلاَ يَرِلُ تَرِلُ مُنْ لَكُمْ بَشْضَ الدوراة ، عاملك : و وَلاَ يَرِلُ مُنْ لَكُمْ بَشْضَ اللهُ واحد .

(وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنَ رَبَّهِم) وآمنا عا أعطى النبيون جميعا من عند ربهم ، وهذا تعميم بعد تخصيص ، وتخصيص المنزل إلى إبراهيم ومن تبعه ؛ لأن من دخلوا في هذه المحاجة من البهود والنصارى والمسركين بمدعون الانتساب إليه . وتخصيص مومى وعيمى لما مر قريبا : من أن البهودوالنصارى ، دعوا للسلمين إلى اتباع البهودية أو المسيحية ، وترك الإسلام . وقدم الإيمان بالله ؛ لأن ما بعده متوقف عليه . وقدم : (مَا أَمْوَلَ إِلَيْنَا) لأن الإيمان به واجب على وجه التفصيل ، والإيمان هبقية الكتب يكني على وجه الإيمان ، ولأنه مصدق للكتب بالسابقة وَمُهمين عليها .

⁽١) الأعلى: ١٨ - ١٩. (٢) آل عران. ه

(لا نُقَرِقُ بَينَ أَحَدِمُتُهُم) التفرقة : جعل الشيء مفارقا لآخر ، وأحد هذا بمغنى :
 جماعة ؛ لأن بَيْنَ لا تلخل إلا على متعلد .

والمنى: لا نفرق بين جماعة من النبيين ، فَنَوْمن يبعض ، ونكفر ببعض ، كما فعل اليهود. وقيل : إن في الكلام معلوفا مقدرا لظهوره ، أى لا نفرق بين أحد منهم ، وبين غيره كما في قبل النابقة :

قما كان بين الخير أو جاء سالمًا أبو حجر إلا ليال قلائل

أى بين الخير وبيني .

وهنا التعبير أبلغ من قولك : لانفرق بينهم ٤ لما فيه من الدلالة ــ صراحة ــ على عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عاداه ٢ كاننا من كان .

وفيه تعريض باليهود إذ آمنوا عومي وكفروا بعيسي ومحمد .

وتعريض بالنصارى ؛ لكفرهم بمحمد .. صلوات الله وسلامه عليه ...

(وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) : وقولوا _ أيضا _ ونحن لله مسلمون خاضعون بالطاعة .

ومن جمال التعبير: أن هذه الآية ، ابتدأت بالإيمان الذي هو فعل القلب، واختمت بالإسلام الذي هو فعل الجوارح .

١٣٧ - (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُم بِهِ فَقَدِ الْمُتَكَوَّا . . .) الآية .

الفائه فى قوله تعالى : (فَإِنْ آمَنُوا) لترتيب ما يعدها على ما قبلها ، وسيأتى نظم هذا الترتيب فى ذكر المنى .

وظاهر الآية مشكل ؛ لأنّه يقتضى أن يكون قُه مثل ، ولو آمنوا بِلما المثّل لاهتدوا ، وذلك لا يصح ، فالله ــ تعالى ــ منزه عن المثل، فلا اهتداء إلا بالإيمانيه وحده .

ولهذا ذهب المسرون في تأويلها عدة مذاهب ، نذكر منها رأيين :

(أحدهما) أن (مِثْلَ) صلة جاتف لمجرد التوكيد، ولم يقصد معناها وهي (المثلية) ، كما هي في قوله تعالى : و وَشَهِدَ شَاهِدُ مِنْ بَنِي إسرائيل عَلَى مِثْله (أ) أي عليم وأيدٌ بقرائة ابن مسعود

⁽١) الأحقاف: ١٠ .

وابن عباس ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمَاآمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ الْمُتَدُوَّا ﴾ بحلف كلمة (مثل) :

(والرأى الثانى) _ وهو الذى نخاره _ أن :(مثل)، ليست صلة (أى ليست زائلة للتوكيد) وأن الباء فى قوله (بِيوشًل) للاستمانة ، وأن المعنى : فإن دخلوا فى الإيمان بوساطة شهادة مثل الشهادة التى ثبت لكم الإيمان بموجبها _ فقد اهتلموا، والمراد بهذه الشهادة: ما مر فى الآية قبلها .

وحاصل معنى الآيتين على هذا التأويل : قولوا ، أيها المؤمنون: آمنا بالله وما أنزل إلينا فالقرآن، وما أنزلهإلى إبراهيم وفرياته من الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مخلصون . فإن ترتب على هذا البيان الشامل لما عند أهل الكتاب وما عندكم : أنهم دخلوا فى الإعان – بسبب اعتراف وشهادة مثل الشهادة التي ثبت لكم الإعان بموجبها – فقد اهتداوا إلى الحق .

(وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِلَّمَا هُمْ فِي شِفَاقِ) أَى : وإن أَعرضوا عن الدخول فى الإيمان سِلمَا الاعتراف ، وفرقوا بين الرسل ، فآمَنُوا بيعض ، ولم يخلصوا فله ـ فما هم إلا غارقون فى خلاف وعداوة ، وليسوا طلاب حق .

وسمى الخلاف شقاقا ؛ لأن أحد المختلفين يأُخلف شق غير شق صاحبه : صورة أو معنى .

(فَسَيَكْفِيكُهُمُ اللَّهُ) : يكنى من الكفاية بمنى الوقاية .

والمنى : فسيقيك الله شرهم ، أو بمنى الإغناء ، والمنى : فسيغنيك الله عن مقاومتهم وتصدير الفعل بالسين دون سوف ، للإشعار بأن ظهوره عليهم سيتم فى زمن قريب من نزول الآية.

وقد أنجر الله وعده بتفريق كلمتهم ، وقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير ، وغير ذلك مما حاق بمباق اليهود ، وكارذلك بفضل الله . (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) إيراد وَصَفَى : (السَّمِيمُ الْعَلِيمُ) بعد وعد الله نبيه بالنصر فى قوله : (فَسَيَكُفِيكُهُمُ اللهُ) إنما يشمر : بأنه محيط بمكرهم ومحبطه ، فلن بأُخلوا رسوله على غرة .

١٣٨ ـ (مِبْغَةَ اللهِ . . .) الآية .

صِيْقَةَ مصدر موَّكد لفعل من معناه وهو قوله السابق : (آمَنًا بِاللهِ) وكأنهم قالوا : صِيفنا اللهِ صِيفته .

والصبغة : الحالة التي يكون عليها الصبغ ، عبر بها عن الإيمان على الرجه الذي مضى فى الآيات؛ لأنه يظهر أثره على الوُمن ،ظهورَ لون الصبغ على المصبوغ ، ويتداخل فى قلوبهم، تشاخله فى تسبح الثوب .

فالكلام من العمور البلاغية على سبيل الاستمارة .

ويجوز أن تكون فيه مشاكلة تقديرية لما يصنعه النصارى ، من صبغهم أولادهم بماء أصغر يمسوقه : المعودية ، يزعمون أنه يطهر الولود .

والمراد من الآية على هذا : أن دين الله الإسلام ، هو الذي يطهر من الآثام دون سواه . و (مَنْ) في قوله : (وَمَنْ أَحْسَنُ بِنَ اللهِ صِبْعَةً) للاستفهام الإنكاري، فهي يمني الذي .

والتفضيل في المنى جار بين صبغة الله وصبغة غيره ، لا بينه _ تعالى _ وبين غيره في الصبغة ، والمنى : لا صبغة أحسن من صبغة الله ، أى لا دين أحسن من دين الله ، اللدى جاء يه محمد _ صلى الله عليه وسلم _ ، وكما أنه لا دين أحسن من دينه ، فلا دين يساويه في الحسن أيضا . فإنه لا يوجد حسن في غيره من الأديان ، يعد أن تجاوزت الحتى في شأته وشأن رسوله كما مر في الآيات .

وهذا الأُسلوب ـ وإن كان ظاهره في الدين الأحسن من دين الله ــ فإنه في الاستعمال العربي، في لما يساويه في الحسن أيضا ، فأفعل التفضيل فيه على غير بابه .

(وَتَحَقَّنُ لَهُ عَلِيلُونَ ﴾ أى : ونحن ـ أه الذي أعطانا هذه النعمة.. عايدون ؛ شكرا له عليها وعلى سائر تعمه . (قُلْ أَكُمَا جُونَنَا فِي اللهِ وَهُورَبُنَا وَرَبُكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَاوَلَكُمْ أَحْمَلُكُمْ وَكَنَا أَعْمَالُنَاوَلَكُمْ أَحْمَلُكُمْ وَكَنْ لَهُ كُمْ فَلَ اللهِ وَاسْحَدَقَ وَيَحْنُ لَهُ كُمْ اللهِ عَلَى وَاسْحَدَقَ وَيَعْفُونَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَدُرَى فَهُلْ ءَأَنُمُ أَعْلَمُ أَمِ الله وَمَن اللهِ وَمَا اللهُ مِنْ كُمْ مَعْدَدةً عِندَهُ مِن اللهِ وَمَا الله مِن عَلَى اللهِ عَمَّا تَعْمَلُونَ عَمَّا كَمْدُونَ عَمَّا كَانُواْ عَمَّا كَانُواْ عَمَّا كَانُواْ مَعْمَلُونَ عَمَّا كَانُواْ مَعْمَلُونَ عَمَّا كَانُواْ وَلَكُمْ مَّا كَنْبُمُ وَلا أَسْعَلُونَ عَمَّا كَانُواْ وَلَمْ مَا كَنْبُمُ وَلا أَسْعَلُونَ عَمَّا كَانُواْ وَمَا اللهُ وَاللّهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَاللّهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَا اللّهُ وَمَا اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ و

الفردات :

(أَتُحَاجُّونَنَا) : أَنجادلوننا . فصيفة الفاعلة اعتبارية ، فكأن كلاً من المتجادلين يأتي بحجة يدحض بها قول خصمه .

(وَالْأُسْبَاطِ) : هم أولاد يعقوب . والراد مهم هنا ، أنبياوُهم .

(وما الله بِغَافِل ِ) : أَى وما الله بساه ، بل هو عالم .

التغسسير

١٣٩ .. (قُلُ أَتُحاجُّونَنَا فِي اللهِ . . .) الآية .

الخطاب بقُلْ للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمراد من المحاجة فى الله: المجادلة فى دينه .

ذلك أن اليهود والنصارى: يدَّمون أن الدين الحق هو دينهم ، وأن الجنة لن يدخلها سواهم ، كما تقدم قربها , والاستفهام هنا للإنكار .

(وهُو رَبُّنَا ورَبُكُمْ) الرب : الخالق الربي لعباده بنعمه . والمدى : لا وجه لتفضيلكم أنفسكم علينا، فنحن-رأنم في العبودية للهـ سوالا ، فكيف تحرموننا من فضله ؟ (وَلَنَا ٱصْالَتُنَا وَلَكُم ٱصْالَكُم) أى :ولنا أصالنا الحسنة ،ولكم أصالكم السيئة ،كما يصنفاد فلك من التعقيب بقوله :

(وَتَحَنِّ لَهُ مُخْلِصُونَ) والإخلاص : هو أن يقصد بالممل وجه الله وحده . وهؤُلاه لم يخلصوا أعمالهم لله . فقد عبدوا عزيرا وعيسى -عليهما السلام -فأنَّى لهم دخول الجنة بأحمال أشركوا فيها :

ولم توصف أعمال المسلمين بالحسن ، وأعمال سواهم بالسوء ، تجنبا لنفور المخاطبين ، واكتفاء بالتعريض اللطيف: الذي توحي به جملة (وَنَحَنُ لَهُ مُخلَصُونَ) .

١٤٠ (أَم تَقُولُونَ إِنَّ إِبرَاهِمَ وَإِسَامِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُمْقُوبَ وَالأَسْبَاطُ كَانُوا هُودًا أَو تُصَارَى . . .) الآية .

أم: منقطعة ، يمنى بل وهمزة الإنكار ، والآية مسوقة لإنكار قول اليهود : إن الأنبياء السابقين ، كانوا على دينهم ، وقول النصارى : إنهم كانوا نصارى مثلهم ، أى : لا يقل أحد منكم هذا القول الباطل ، وقد أمر الله فيها نبيّه أن ينكر عليهم ويُبكّنهم فيقول :

(قُل أَأَنتُم أَطَمُ أَم اللهُ) : فالهمزة للاستفهام الإنكارى التوبيخي ، وأعلم : أفعل تفضيل ، والتفضيل على سبيل الاستهزاء ، إذ المتصود أنهم لا علم عندهم ، والمنى : أن ما زحمتوه هوعل خلاف ما يعلمه الله : فأنتم تقولون : إنهم كانوا على بوديتكم أو نصرانيتكم، والله يقول :

(يِأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِيرَاهِمَ وَمَا أَنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعلِيهِ ('') فكيف يكون على دينكم وأنتم بعده ؟ والحق أنه كان حنيفا مسلما ، أى : علىالمبادىه التى أقرها الإسلام ، وأهمها : التوحيد، وعدم اتخاذ الولد .

والما صح أن يقول الله في شأته « مَا كَانَ إِبرَاهِمُ يَهُوفِيًّا وَلَا نَصرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسلِما وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " ..

⁽١) آل عران : ١٥

⁽۲) آل عران : ۲۷

أى إن إبراهم ، لم يكن على طريقة اليهود والنصارى، في زعمهم : أن أنه ولدا . وغير ذلك من أكاذيبهم . ولم يكن على طريقة من أشرك بالله ، بل كان حنيفا ماثلا من الباطل إلى سنة الإسلام من التوحيد ونظافة العقيدة ، وأبناوه اللين ذكرتموهم كانوا على دين أبيهم . فهل أنتم أعلم بديانتهم من الله ؟

الله هو الذي يعلم . أما أنتم فتجادلون بالباطل .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَنَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللهِ) .

الشهادة : هي شهادة الله : أن إبراهيم لم يكن بهوديا ولا نصرانيا ، بل كان حنيفا مسلما .

وقد شهد الله بذلك في كتابي اليهود والنَّصارى - الدُّورَاةِ وَالْإَنْجِيلِ - وهم يعلمون ذلك ،
وقد كتموا الشهادة بذلك في جدلهم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وادهى كل من
الطائفتين: أنه كان على دينه ، فأتكر الله عليهم كيّان الحق الذي شهد به الله ، فقال
ما معناه : لا أحد أظّلَم ممن كم شهادة ثابتة عنده في كتابه ، منزلة من الله ، حين زعم أن
إبراهم كان على دينه . مع ما فيه من شرك بالله . واتخاذ ولد له سبحانه ، والحق أنه لم يكن
كذلك ، بل كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين .

وكما أنه لا أظلم ممن ادعى ذلك ، فكذلك لا يساويه أحد فى الظلم .

ويجوز أن تكون هذه الشهادة هي ما جاء عنه في القرآن: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِمِ بَهُوديًّا.. والآية.

والمفي: أن محمداً أدى شهادة عنده في القرآن من الله عن إبراهم بأنه لم يكن بوديا ولا نصرانيا ، بل كان حنيفا مسلما ، ولم يكن يسعه كنائها فإنه لا أظلم بمن كم شهادة عنده من الله ، فلماذا كتَمتمُوهَا ولم تؤدوها كما أدلها محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟ وعلى كل ، فني عموم الآية تعريض بكنائهم شهادته تعالى بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -فى كتابهم ، وسائر شهاداته .

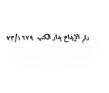
(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلِمٍ عَمَّا تُمْمَكُونَ) : الغافل : هو الذي لا يفطن للأَمور . مأْخوذ من قولهم : أرض ففل : أي : لاَ عَلَمَ ها ، ولا أثر صارة . والغفلة : السهو والإهمال . والحكمةُ في اختيار طريق نئى الفقة الإثبات عدم الترك : أن نئى نقيض الصفة أبلغ في إثباتها من الإثبات نفسه ، الأنه يستلزم إثبات الصفة إلى جانب نئى النقيض . الأنالهام المتهديد والوعيد .

والمغنى : أن الله مُحصِ أحمالكم ، محيط بها ، لا تخنى عليه خافية . ولن يترك أموركم دون مقوبة ، وبخاصة إذا كانت بالغة السوء ، ككنان ما أنزل الله .

١٤١ ـ (يِلْكَ أَنَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَيتُم وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَمْمُلُونَ ﴾ .

الأمة المشار إليها فى الآية : إبراهيم وأبناؤه الرسل وقد وردت هذه الآية آنـفا : فى ختام دحض مزام ومفتريات أهل الكتاب ، وتكررت هنا ؛ للمهالئة فى تحذيرهم من تركهم لدين الإسلام المذى كافوا به ، وادعائهم أنهم على دين آبائهم الأنبياء

وكنّ الآية تقول لهم : إن أمامكم دينا دعيم إلى اتباعه ، وأقدرت دعوته بالصجة الواضحة ، فانظروا في دلائل صحته وسعو حكمته ، ولا تردوه مجبرد دعوى : أن آباء كم الأقبياء السابقين ، كانوا على ما أنم عليه الآن ، فإن دعوا كم هذه لا تفيد ، ولو فرضنا تشليمها لكم ، فإن الشرائع تختلف باختلاف الأم ، فتلك أمة مضت . لها عملها وفق شريعتها ، وهذه أمة أخرى : لها عملها حسب شريعتها ، ولا تُسأون عن أعمال آبائكم وشريعتهم ، بل عن أعمالكم أنتم ، وفق شريعتكم التي شرعها الله لكم . وهي الإسلام ، فلا تتمسكوا بشريعة كانت لمن قبلكم ، بل تمسكوا بشريعة الإسلام التي نسختها ، وقام الدليل على صحتها ، وقد تعيد كم الله بأ .





متطبكة المشكف المشتريف



النَّفْسِيرُ الْوَسَلِيطُ لِلْتُدَّانِ الْكِرَيْمِ

تألین لجنسٔ من العسلماء بیشسولف مجمعُ البخوش ابلائرهرً

الحزب الثالث

الطبعترالأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣

القسامة

1477

(سَيَقُولُ السُّفَهَآةُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّنَهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل قِهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَسَّاءُ إِنَّى صِرَاطٍ مُّسَتَقِيمِ ۞) .

الفيردات :

(السُّفَهَآءُ) : خفاف العقول ، أو الجهلاءُ .

(مَا وَلَاَّهُمْ) : مَاضَرَفَهُم .

(صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) : طريق قويم ، لاعوج فيه . والمرادبه هذا : طريق الحق .

التفسير

١٤٧ ... (سَيَمُولُ السُّفَهَآة مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتهِمُ الَّتِي كَانُوا طَبِّهَا . . . الآية .

روی البخاری فی صحیحه ، عن البراه : ۵ أن النبی .. صلی الله علیه وسلم .. کان أول ماقدم المدینة ، صلی إلی بیت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، و كان يعجه أن تكون قبله فی و الله فیل أول صلاة ملاها ^(۱) صلاة العصر ، وصلی معه قوم ، فخرج رجل من كان صلی معه ، فمر علی أهل مسجد وهم راكمون ^(۱) ، فقال : أشهد بالله ، لقد صلیت مع النبی .. عند رحل الله وصلم .. قبال مكان كنا هم قبل البیت ؟ .

وفى رواية ابن إسحاق ، وغيره ، عنه ، زيادة : فأنزل الله ـ تغال ـ : (سَبَقُولُ السُّمُهَا اللهُ مِن النَّاسِ ما وَلَاهُمْ عن قِبْلَتِهِمُ النِّبِي كَانُوا عَلَيْهَا . . .) الآية

فهب الإمام الرَّمضُرى وغيره من الفسرين ، إلى أن الله ~ سبحانه – أخبر بما سيقوله السفهاء قبل وقرَّع، ؛ ليكون وقعه خفيفا على قلوب السلمين عند حلوثه ، ؛ لأن مفاجأة المكروه

⁽١) أي جهة البهت ، كا ساق .

⁽٢) أي أن أليمر ،

أشد ، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع ، لما يتقدمه من توطين النفس ، وأن الجواب العتيد (١) قبل الحاجة إليه أقطع للخصم ، وأردُّ الشغبه، ــ وفى هذا ــ أيضا ــ إهجاز قرآئى ، للإخبار بالغيب قبل وقوعه .

وفعي القرطبي وغيره : إلى أن الفعل : (سَيَقُولُ) ، بمنى : قال ، وأن الآية الكريمة أوردت الماضى بصيغة المستقبل ، دلالة على استمرار ذلك القول وتجدده .

والسفهاء التساتلون عن تحويل القبلة هم اليهود ، كما ذكر ابن عباس ، أو المسركون كما ذكر الحسر ، أو المنافقون ، كما ذكر السَّدِّيّ . . .

قال الراغب : ولا تنافى بين أقوالهم ، فكلُّ قد عابوا ، وكلُّ مفهاء .

وقد تناولت الآيات السابقة : أن أهل الكتاب سفهوا على ملة إبراهيم – عليه السلام – فإنهم علموا الحق ، وكتموه ، ووَمَنْ أَطْلَمُ مِنْ كَتُمْ شَهَادَةً عِنكُ مِنَ اللهِ ، (¹⁷⁾ ، وجاءت هذه الآية الكريمة ، لذكر لونا آخر من ألوان سفههم ، وسَفَو من ماثلهم من المشركين والمنافقين.

والتعبير بقوله (السُّمَة ع من الناس) الإيذان بأنهم انقر دوا من بين الناس بالمحمق والجهل. أما غيرهم من الوَّامنين فقد كعلهم الله بالعقل ، فاطمأنو إلى حكمة الله في تحويل القبلة .

مضمون الآية : أن الله . تعلى - سيستجيب لكم ، ويوليكم قبلة ترضونها ، وهي البيت المحرام؛ وسيقول السفهاء حينتذ : ما الذي جعل المسلمين يتجهون إلى البيت الحرام ، وينصرفون عن بيت القدس ؟ .

وَقَدْ لَقَنْ اللهُ رسوله الإجابة على ذلك ، بأن الله ـ تمالى ــ ليس محدودا بمكان أو زمان فقال : ﴿ قُل بِلَدِّ الْمَشْرِقُ وَالْمَثْرِبُ ﴾ : ومن كان له المشرق والمغرب ، فله الأرض كلها . فكل مكان منها مشرق عندقوم ، مغرب عند آخرين ، وإذا كانت الأرض كلها فه ، فله ــسبحانه ــ أنويختارمنها ما يشاء ، ليكون قبلة لكم ، تدجهون إليها في العبادة .

⁽١) أاحيد : اللهيأ والمد .

⁽٢) الِقرة : ١٤٠ .

إِنْ قِبل : ما الحكمة في تحويل القبلة من بيت المقلس إلى الكعبة ، مع أن الله يقول : • قُل عُلِمُ الْمَشْرِقُ والْمَشْرِبُ • ، ويقول : « فَلَيْنَمَا تُولُّوا فَتَمَّ وَجُهُ اللهِ ، فلماذا لم تبق إلى بيت المقلس عملا بالآبتين المذكورتين . فكما ينطبقان على الكعبة ، ينطبقان على بيت المقلس وسواهما ؟

فالجواب من نواح ثلاث: الأول: أن المحكمة فيه مذكورة في الآية التالية ، في قوله تمالى : و وَمَا جَمَلْنَا الْقِبْلةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إلاَّ لِنَمْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ . . ، الآية ، وسيأً في بيانها . والثانية :أن الكعبة كانت قبلة الإبراهيم - عليه السلام - والنبي والمؤمنون أولى الناس بالباعه . قال تمالى: و إِنَّ أُولَى النَّين بِإِنْرَاهِيمَ للَّلْيِنَ النَّبُوهُ وَهَمَّا النَّبِيُّ وَاللَّيْقِينَ آمنوا . و (١ الآية . والثالثة : أن في التحويل إليها تأليفا فقلوب قريش ومشركي المرب: اللين يقدمون الكعبة ، ويسوقهم الانصراف عنها .

(يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاها مُسْتَقِيم): أَى يرشد مَن يشاءُ إرشاده إلى طريق مستقيم يوصل إلى سعادة الدارين . وقد هدانا إليه أولا ، حينما أمرنا باستقبال بيت المقدس : قبلة النبين ، ثم هدانا إليه آخرا ، حينما أمرنا باستقبال الكعبة ، قبلة أبينا إبراهيم ، وف كلَّ خير ورشاد

(وَكَذَالِكَ جَعَلَنْكُمْ أُمَّةُ وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَمَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَنَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَفْبَيْهُ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرةً إِلَّا عَلَى اللَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِبُضِيعَ إِيمَنْنَكُمُ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرَهُوفٌ رَّحِمُ ﴿) .

⁽١) آل حراث : ١٨.

القبردات :

(وَسَطًّا) : خيارا علمولا . فقد روى الترمذى : أن النبى - صلى الله عليه وسلم -ذكر فى قوله تعالى : (أُمَّةٌ وَسَعلًا) قال : الوسط : المدل . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى التنزيل : « قَالَ أَوْسَطُهُمْ » أَ : أَى أَعْدَلُهُم وخيرُهم . والصلاة الوسطى هي : الفضلن .

(يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) العقب : مؤخر الرَّجل ، ومعنى (يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) : يرجع إلى الخلف. والقصود : أنه يرتدعن دينه .

التفسير

١٤٣ - (وَكَلْلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَعِلًا . . .) الآبة .

هذا خطاب من الله للمؤمنين ، لتشريفهم بوصفهم بالعدالة ، ليكونوا شهداء على الناس ، بعدما وصف الكفار وللنافقين بالسفه والاستهزاء على تحويل القبلة . وبضدها تتميز الأشياء .

أًى وكما هديناكم أيها لمؤمنون إلى صراط مستقيم ، بتوليتكم القبلة التي ترضونها ، جعلناكم عدولا أخيارًا ، تضُمّون إلى الإيمان العلم والعمل ، فكنتم – بدلك – خير أمة أخرجت للناس .

(لِتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) بِأَن الرسل بلغوهم عن الله ، ونصحوهم ، ولم تَكُدُّ لهم حجة على الله بعد مجهم الرسل ، وإنما يشهدون بذلك وهم لم يروا شيئًا ، لأَبهم يشهدون اعتمادا على شهادة القرآن ، والقرآن كلام الله ، فهم يشهدون بشهادة الله تعالى .

(وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) : بنَّن ماقلتموه هو الحق ؛ لأَن المصدر واحد للجميع ، وهو كتاب الله الذى لا ينتُنيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وفى هذا المغى يروى الإمام البخارى ، عن أبي سعيد الخدرى ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : و يُدعَى نوح - عليه السلام - يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك

⁽۱) الشارع ۲۸ .

يارب ، فيقول : هل بلّفت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ . فيقولون : ماأتانا من نفبر ، فيقول ، من يشهد لك . ؟ . فيقول : محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلّغ ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ، فذلك قوله عزّ وجلّ : (وَكَذَلِكَ جَمَلَنَاكُمْ أُمَّةٌ وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَكَاء عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسولُ عَلَيْكُمْ مَهِينًا ، . . .) الآية .

وقد جاء في رواية أحمد وغيره : أنه ... تعالى .. يستشهد أمة محمد على تبليغ سائل الأنبياء لأممهم ، ولا تفتصر شهادتهم على نوح : الذي ورد إفراده بالشهادة في رواية البخاري الملكورة .

(وعلَى) فى قوله : (عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) بمعنى اللام ، كما قاله القرطبى ، أى ويكون الرسول لكم شهيدا ، أو للمشاكلة بمين قوله :(لِنَكُولُوا شُهَلَاءَ عَلَى النَّامِي) ، وقوله : (وَيَكُونَ الرَّسُولُ ظَيْنِكُمْ شَهِيدًا) .

ثم تحول الخطاب للأمة .. من قوله _ تعالى _ لهم: ﴿ وَكَالَمُكُ جَمَلْنَا كُمْ أَمَّةٌ وَسَطًّا ... } الآية _ إلى خطاب الرمول ، بقوله _ تعالى _ : ﴿ وَمَا جَمَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِيَظْلَمُ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُول مِنْن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ . للإيدان بأن خطابه خطاب لهم ، وأنه كان معهم فيما كانوا فيه من استقبال بيت المقدس : لهينفرد عنهم .

والمعنى : وما جملنا قبلتك الأولى - بيت المقلس - شم حولناك عنها ، إلى البيت الحرام ، إلا لنميز من يتبعك - فى كلتيهما - من ينصوف عن اتباعك ، فإن اتباع الرسول - ولو كان فيما تكرهه النفس - من آثار الإيمان والتسليم لن هو أعلم بالمحكمة ، وهو الله - تعالى -

فالحكمة في تحويل القبلة : تمييز الصادق في الإعان عن غيره .

وقد ظهر أنر ذلك بارتداد بعض أهل الكتاب الذين أسلموا عن الإيمان ، بعد تحويل القبلة إلى الكعبة ، وجعلوا يرجفون مع بعضهم قاتلين : (مَا وَلَاهُمْ عَن قِبْلُتَوِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) .

والله - سيحاته - يعلم ما كان وما يكون .

فالمراد بالعلم هنا: التمييز بالاتباع الفعلي .

والارتداد على العقبين ، هو : الرجوع إلى الخلف ، وهو تحثيل للارتداد عن الإسلام ومخافقة أمر الرسول حصلي الله عليه وسلم حـ، لما في كليهما من أسوء حالات المود والارتداد. (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى اللَّيْنِ مَنْكَى اللهُ مَـــ..) الآية .

أى وإن كانت التُولية إلى الكعبة لكبيرة ، أَى ثقيلة الوقع على النفوس ، لما في مخالفة المألوث من مشقة . ولكن الأمريسير على من هناهم الله ؛ لأن القضية عندهم ، قضية طاعة الله ورسوله ، وليست الاستمساك بعادة مألوقة ، أو تفضيل جهة على غيرها من الجهات . قال تعلى : (وَمَا كَانَ لِمُومِّنِ وَلاَ مُومِّنَةِ إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْمَيْرَةُ مِنْ أَرَّمُ اللهَ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْمَيْرَةُ مِنْ أَرَّمُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ المَيْرَةُ مِنْ أَلَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ المَيْرَةُ مِنْ أَلَّمَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهُ اللهُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ المَيْرَةُ مِنْ أَلَّمُ اللهَ اللهُ اللهَ اللهُ ال

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيمَ إِعَانَكُمْ) :

جاء فى حليث رواه البخارى عن البراه بن عازب ، قوله : وكان الذى مات على القبلة ــ قبل أن تحول إلى البيت ــ رجالًا تشلوا ، لم ندر ما نقول فيهم ! فأنزل الله ــ عز وجل ــ قوله : (وَمَا كَانَ اللهُ لَيُضِيمَ إِعَائِكُمْ) .

وأخرج الترملك عن ابن عباس ، قال : لما وجه النبي ــ صلى الله عليه وسلم _ـ إلى الكعبة قالوا : يارسول الله : كيف بإنحواننا اللبين ماتوا ، وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله ــ نعالى ــ : (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعُ إِعَانَكُمْ) ، قال الترملك : حليث حسن صحيح .

والمعنى : وما كان الله لِيُضم صلاتكم إلى بيت القدس قبل نسخ التوجه إليه ، بل سيميبكم عليها ، لأما كانت- حيثنذ - إلى قبلة مشروعة .

واذا لم ننظر إلى سبب النزول ، كان للعنى : وما صح ولا استقام : أن الله - سبحانه -يُضيع إيمننكم وثباتكم على طاعة الله ورسوله ، فى الاتجاه - أولا - إلى بيت المقدس ، شم ق الاتجاه - ثانيا - إلى البيت الحرام .

(إِذَّ اللهُ بِالنَّاسِ لَرَحُوثٌ رَّحِيمٌ) : تعليل للجملة السابقة ، موُكد بإن واللام ، يعنى : أَنْ الله - سبحانه - يشمل الناس برأهنه ورحمته ، ويخاصة عباده للوَّمْنين الطائمين ؛ فلهذا لا يضيم إعانهم .

⁽١) الأحراب : ٢٦ .

والرأفة : نوع من الرحمة ، تختص بدفع المكروه ، وتخفيف النكبات والعقوبات . أما الرحمة : فتشمل هذا وغيره من أنواع التفضل والإيمام ، وتممُّ كلتاهما الإنسان والحيوان .

ولما كان دفع الضرر مقدما على جلب النفع ؛ فلهذا سبق هنا ذكر الرأفة ، كما ورد في قوله تعلق : • وَجَمَلنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَسُوهُ وَأَلَّهَ وَرَحْمَةً ، (11)

(قَدْ نَرَىٰ تَقَلَّبَ وَجْهِكَ فِ السَّمَآهُ فَلَنُولَيْنَكَ قَبْلَةٌ تَرْضَلُهُا فَوَلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامُ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرُهُ وَإِنَّ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقَّ مِن دَيِهِمْ اللَّهِمُ وَمَا اللَّهُ يَعْنَفِلٍ مَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿).

الفسردات :

(تَقَلُّبَ وَجُهِكَ فِي السَّمَاءِ) : ترددوجهك ، وتطلعك إلى السماء .

(شَطْرٌ) : جهة ، وناحية .

(وَحَيْثُما كُنتُم) : في أي مكان وجلتم .

(فَلَنُولَيْنَكَ فِهِلَةَ تَرْضَاهَا) : أَى فلنمكننك من استقبالها ، من قولك : وليته كلما إذا صيَّرته واليَّا له ، أو لنحولنَّك إليها .

﴿ فَوَلَّ وَجُهْكَ شَطْرَ الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ ِ ﴾ : أَى فاصرفه نَحوه .

التفسي

١٤٤ .. (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجُهِكَ فِي السَّمَاءِ . . .) الآية .

المني : قد رأيناك تتجه بوجهك إلى السماء دائمًا ، تصرفه في أوجائبها ، مرددًا بصرك في ضراعةٍ ، ورجاءٍ ، تطلمًا للوحي ، بتحريلِ القبلة إلى الكعبة .

⁽۱) الحيد : ۲۷ .

و (قَدْ) هنا للتحقيق ، وهبر بالمضارع : (نَرَى) : استحضارًا للصورة الماضية ، أو
 إيذانًا بتعدد الرويَّة ، حسب تجدد تقلب وجهه .. صلى الله عليه وسلم .. .

(فَلْنُولَيْنَكُ قَلْلَةٌ تَرْضَاهَا) · استجبنا لرجائك ، فلنحولنّك إلى القبلة التي تحبُّها وهي الكعبة . والتأكيد باللام والنون ، يفيد أنّ هذا الوعد الكريم لابد من حصوله .

وارتضاه الني للقبلة : حُبِّه لها ؟ لقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته .

والتعبير عن الوعد بتحويل القبلة بهذا الأسلوب ، فيه من تكريم النبي – صَلَّى الله عليهِ وصلم – مالا غاية وراته .

وقد عقب الوعد بالتنجيز ، فقال :

(فَوَلَّ وَجُهُكَ شَطْرَ الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ) : أَى فاصرفه نحوه لوجود الكبة فيه . والمراد بالحرام : المحرَّم ، لأن القتال فيه محرم .

والتعبيرُ عن الكعبة بالمسجد الحرام: إشارةً إِلَى أَنَّ الواجبَ هو مراعاة الجهة .

روى ابن ماجه ، والحاكم والدارقطني ، عن النبي _ صَلَّى الله عليه وسلم ... أنَّه قال : و مابين المشرق والمترب قبلة ، . .

وروى البيهةي ، أنه - عليه الصلاة والسلام - قال : و البيت قبلة للسجد . والمسجد قبلة لأهل الحرم . والحرم قبلة لأمل الأرض في مشارقها ومناربها من أرثى ،

(وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرُهُ) : توجيه الأَمر الأَمة بمد توجيهه للنبي ــ صَلَى الله عليه وحده ــ عليه الله عليه وحده ــ عليه الله عليه وحده ــ عليه السلمين ؛ فيظنوا أنَّ الأَمر خاص به وحده ــ عليه السلام ــ أَى وَلَى أَى مَكَانِ مِن الأَرْضِ وجلتم ، فاصرفوا وجوهكم فى الصلاة نحو المسجد المحرام .

وق الآية إشعار بانتشار الإصلام ف بقاع الأَرض ، وأَن المسلمين سيفتحُ الله عليهم البلادَ ، وأنَّ طيهم ـ حيثما كانوا ـ أن يتجهوا في صلاتهم نحو المسجد الحرام .

(وَإِنَّ اللَّهِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبَّهِمْ): المقصود باللين أُونوا الكتاب هنا : اللين اعترضوا وشنعوا على المؤمنين حينما انصرفوا عن استقبال بيت المقدس قبلتهم إلى استقبال الكعبة ، كما مرَّ فى سبب النزول ، وهم الذين نزل فيهم الوعيد. الآتى .

والمنى : وإن اللين أوتوا الكتاب ، وأثاروا الفتنة فى شأن تحويل القبلة ، ليعلمون يقينًا أنَّ تحويلُها هو الحق من رجم ، وأنه منزل من الله ، فما بالهم يثيرون الفتنة يشأته ؟ فهم يعلمون من كتبهم : أنَّ لكل دين قبلة ، وأنك صادق لا تنطق إلا بالحق الذي يصلو عن رجم . وكما يعلم اليهودذلك من كتاجم ، يعلمه النصاري من كتاجم أيضا .

والآية مؤكلة بعلة مؤكلات ، هي : إنَّ وأنَّ واللام ، وذكر الحق ونسيته إلى الرب - سبحانه ــ ؛ لتقرير أنه وحي من الله .

(وَمَا اللهِ يَغَافِلِ مَمَّا يَهُمَلُونَ) : أَى أَن اللهُ لا يخفى عليه ماينجره أَهلُ الكتاب، من الكيد للإسلام ، وسيحاسبهم عليه حسابًا عسيرًا ، لأتّهم يعلمون الدين ويكتمون مايعلمون هذا ، وفى قراعة (تَعْمَلُونَ) . والخطاب للمسلمين الذين يستحون إلى أقوالهم ويتأثرونها ، فيكونُ حلى كلاالمنيين انظارًا من الله للمحرّفين والمنحرفين .

ومن هذا يُستَنبَك : أنَّ الإصغاء للزَّراجِيفِ والشائعاتِ الضارة ، لا يحل للمسلمين .

(وَلَهِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَنْبَ بِكُلِّ الْهِ مَّا تَبِمُواْ فَلْتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِحِ فِبْلَتَهُمُّ وَمَا بَمَضُهُم بِتَابِعِ فِبْلَةَ بَمْضٍ وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَا مُهُم مِّنُ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْمِلْمِ إِنَّكَ إِذَّا لَمِنَ الظَّلِمِينَ ﴿ ﴾ .

الفيرنات :

(آية) : الآية : المجزة ، أو الدليل القطعي .

التفسير

١٤٥ _ (وَلَئِنْ أَنَيْتُ اللَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّاتَبِمُوا فِبْلُنَكَ . . .) الآية .

القصود من أهل الكتاب هنا : من شنع في أمر القبلة ، وهم اليهود سكان المدينة وأضرابهم ، وكما من لم يشنع ، وهم السامارى ، إذ لم يشتر كوا معهم في الفتنة ، لأنهم لم يكونوا من سكان المدينة ، لا وقت التحويل ولا يعده ، فهم جميعًا لا يتبعون قبلة الرسول ولو جاهم بكل آية . والتعبير عنهم جميعًا بأهل الكتاب تلميحًا بلومهم ، وإيلانًا بأنّه ينبغي لهم وهم أهلُ كتاب سماوى أن يعملوا بنصوصه ، ولا يحرّفوها أو يسبئوا تأويلها .

واللام في و وَلَشِنْ ۽ : للتو کيد .

والمنى : ولتن جنت يامحمد أهل الكتاب بكل حجة دالة على مشروعية التحويل، مااستجابوا للك ، فلاتعلق آمالك باجتنابهم إليك ، لأن ترك التباعث ليس عن شبهة تزيلها بحجة ، بل هو مكابرة وعناد ، على الرغم من علمهم بدأتك على الحق .

(وَمَا أَنتَ بِتابِعِ قِبْلَتُهُم وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعِ قِبْلَةَ بَعْض) : ولست أنت بمتبع قبلتهم بعلما جاعك من الرحى ، لأنك على الحق البين ، وهو حسم لأطماعهم في ذلك ، ولن يتبع بعضهم قبلة بعض ، فلا اليهود متجهون إلى قبلة النصارى ، وهي المشرق ، ولا النصارى متجهون إلى بيت المقلم ، قبلة اليهود ، مع أن المسيحية امتداد لليهودية ؛ لتمسك كل فريق بقبلته ، فكيف يعببون على المسلمين انفرادهم عنهم في القبلة ، وهي حق من عند الله ؟ ا

(وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَاعَمُم مَّن بَعْدِمَا جَآعَكَ مِنَ الْمِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) .

المنى : ولئن اتبعت اليهود يا محمدق شأَّن القبلة وغيرها ، من بعد ما جاتك من وحى الله المفيد العلم واليقين ، فإنك حيثنذ لن الظالين ، بترك علم الله إلى هوى هؤُلاء المبطلين .

والخطاب وإن كان للنبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ فهو لأُمته عامة ، تحذيرا لهم ، كما في قوله تعلى : ، وكا تتَّبِيمِ الْهُوَى فَيُصِلَّكُ عَن سَبِيلِ اللهِ ، ''ا ، وما أَجدر السلمين أَن

⁽۱) س: ۲۱ .

(الَّذِينَ ءَا تَيْنَنَهُمُ الْتَكِتُبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاتُهُمُّ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمُ لَيَكْنُمُونَ الْخَنَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ الْخَنَّ مِنْ رَبِّكٌ فَلَا تَكُونَا مِنَ الْمُمْتَزِينَ ﴿) .

القسردات :

(الْمُمْتَرِينَ) : الشاكّين .

التفسير

١٤٦ .. (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَثْرِفُونَهُ كَمَا يَثْرُفُونَ أَبْنَاعَهُمْ . . .) الآية .

الذى عليه جمهور المقسرين : أن الهاء فى (يَمْوِلُونه) مرادبه النهى – صلى الله عليه وسلم – وكنى به عنه – عليه السلام – تفخيمًا لشأنه وإشعارًا بأنه فى غير حاجة إلى تعريف ، لأنه عرف فى كتبهم بالنبى الأمى ، كما قال تعلى : و الدِّينَ يَتَّيِّعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيِّ الْأُمَّيِّ الَّذِينَ يَجِعُونَهُ مَكْثُوبًا عِنْكُمْ فَى التَّوْرًاقِ وَالإِتَّجِيلِ إِ⁽¹⁾ » .

كما عرف فيها بصفات أخرى تحقفت فيه .

وذكر الأبناء لأنهم ألصق بآبائهم ، فهم وآباؤُهم أكثر خبرة ودراية بهم ، واستيثاقا من نسبهم بحكم الفطرة .

⁽١) ابلانه : ۲۳ .

⁽٢) الأمرات : ١٥٧ .

فالآية تقرر : أن أهل الكتاب _ وهم اليهود والنصارى ... يعرفون أن محمدا رسول الله ، معرفة حقيقية ، كمعرفة الآباء بالأبناء .

قال عمر لعبدالله بن سَلام ، وكان من أحبار اليهود قبل إسلامه : ه أتعرف محمداً ... صلى الله عليه وسلم - كما تعرف ابنك ؟ ، قال : نعم ، وأكثر . لقد بعث الله أمينه في سمائه إلى أسينه في أرضه بنعته ، فعرفته . أما ابنى فلا أدرى ما كان من أمرأمه . فقيل عمر رأسه ه. (وَإِنَّ فَرِيعًا مَّ سُهُمُ لَيَكْتُمُونَ الْمَثَّ وَهُمْ يَعْلُمُونَ) : فالبشارة به - صلى الله عليه وسلم - كانت موجودة بوضوح في الدوراة والإنجيل . وعلمه اليهود والنصارى يعرفونها حقا ، ولكنهم يتكرونها لمرض نفوسهم ، إلا من عصمه الله منهم فاتمن .

ونحن نعام أنهم حرفوا الكتابين ، وقاموا بطمس ما يتعلق بالنبي ... صلى الله عليه وسلم ... لتبقى فيهم السلطة اللبينية .

ولكن إنجيل و برنابا ، سلم من أيدسم ، وظل قرونًا مدفونا في خزالنهم ، حى عشر عليه أخيرًا في مكتبة الفاتيكان بروما ، وتسرب إلى العالم ، فارتاعوا ؛ لأنه يفضح أكافيبهم ، فأعلت الكتيسة أنها لا تحترف به إنجيلا ، مع أنه من أقدم أناجيلهم وأقربها إلى الصحة ، لأنه كتب في القرن الأول الميلادي ، ونصوصه ناطقة صريحة بأوصاف التي صل الله عليه وسلم – وأهداف وسائه .

وقد جاء أى الإصحاح الثانى والسبعين منه على لسان المسيع - عليه السلام - : و إنى قد أتيت لأهيء الطريق لرسول الله الذي سيأتي بقوة عظيمة على الفجار ، ويبيد عبادة الأصنام من العالم ، ثم قال : . وسيتهم من اللين يقولون : إنى أكبر من إنسان . . وسيتجيء بحق أجمّى من سائر الأنبياء . . وسيتجيء بعق أجمّى من سائر الأنبياء . . وسيتتد ، ويممّ العالم » .

وجاء فى الإصحاح السابع والستين منه : « تعزيتى هى فى صجىء الرسول الذى سيبيد كل رأى كاذب ق ، وسيمتد دينه ، ويعم العالم بأسره . . ولا تهاية لدينه ، لأن الله سيخفظه صحيحًا ، .

وق الإصحاح العشرين بعد الملتنين : و يظن كل شخص أنى صُلبت ، اكن هذه الإهانة والاستهزاء تبقيان إلى أن يجيء محمد رصول الله ، فإذا جاء في العنيا ، ينبه كل مؤمن إلى هذا الغلط ، وترتفع هذه الشبهة من قلوب النامي » . والأناجيل التي يعترفون بها ، والتوراة التي بين أبلينا الآن ، بقيت فيها إشارات عدة (١١) ترمز إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد عنى بها كثير من الباحثين ، وفي طليمتهم العلامة : رحمة الله الهندى ، في كتابه : « إظهار الحق » . فارجم إليه إن شئت .

ومن أحبار اليهود والنصارى اللين عرفوا السفات النبوية فآمنوا : زيد بن سعنة وتميم الدارى ، والجارود بن عبدالله . وإدريس بن سمعان . والإسلام كل من هؤُلاه قصة لا يتسع المقام لذكرها ، وإسلامهم جميمًا يستند إلى صفات الرسول فى التوراة والإنجيل . ١٤٧ ــ (الْحَقُّ من رُجِّكَ فَلاَنكُونَنَّ مَنَ الْمُشَرِّينَ) .

الامتراء : إما يمنى الجدل أو يمنى الشك ، فإن كان يمنى الجدل ، فالغرض من الآية وصن ً أهل الكتاب بأنهم قوم عادتهم الجدل : دون أن مبدفوا إلى الحق ، وأهر الرسول بمجانبتهم والاً يجاريم في جدلهم .

والممى على هذا : الحق نزل عليك با محمد من ربك ، وهؤُلاه قوم عادتهم الجدل بدون طائل ، فانر كهم ولا تكونن من المجادلين مع قوم هذا خلقهم ، فلافائدة ترجى ممن عميت قلومهم

وإن كان الامتراء بمنى الشك : فالخطاب فيه لكل مكلفي ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم
لا يتصور منه الشك ولا يليق به ، فإنه لم يقم بدعوته إلا على بينة من ربه ، و مَا ضلَّ صَاحِبُكُمْ

وَمَا خَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ مَن الْهَوَى . . إِنْ مَوْ إِلَّا وَحَى يُوحَى ، عَلَّمَهُ شَلِيمَهُ الْقُوكَى ، . . .

و مَا زاعَ الْبَصِرُ وَمَا طَعَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ، " . . .

⁽¹⁾ من أمثلة مله الإضارات: سفرالتنافية: ١٨/١٨- ٢٠٣٠. والتراسير إصماع: ٤٥ سيف أوردفى مشعة ١٧ منافيته لمردول - صل الله عليه وسلم - وانجيل من ١٧/١٥ ، ١٠/١٦ ، وانجيل يوسطا (واجيم تضمير للمائية لمرسول - صل ١٤/١٣ ، وانجيل يوسطا (واجيم تضمير للمائية وسم ٢٤/١٣) .

 ⁽۲) الأسقاف : ۱۰ .

والشاك لا يستطيع أن يمفى فيا يشك فيه ، فضلا عن أنه يلاقى الصحاب فى سبيله ، ولا يستطيع أن يقول ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : «والله لو وضعوا الشمس فى يميى والقمر فى يسارى ، عل أن أتركَ هذا الأمرَ ، ما تركته حتى يُظهِرَه الله ، أو أَهْلِكَ دونه ،

والهني على ملما : الحق نزل عليك يامحمد من ربك ، فلا تكونن أبها المكلف ، من الشاكين فى ذلك ، ودع ما يقوله الأَقَاكون من أهل الكتاب ، واكتسب المعارف التي تعصيك منه .

(وَلِكُلِّ وِيْمَةُ هُوَ مُولِيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَبْنَ مَا تَكُونُواْ يَاتُ مِنْ اللَّهِ مَا تَكُونُواْ يَاتُ مِنْ اللَّهِ مَنْ مَا تَكُونُواْ يَاتُ مِنْ اللَّهِ مَنْ مَا يَدُرُ إِنَّ مَا مَنْ مُولِي مُنْ اللَّهُ عَلَى مُلِّ مَنْ وَقَدِيرٌ ﴿ ﴾).

الأسرنات :

(رجْهَةُ) : جهة .

(مُولِّيهَا) : متجه إليها

(فَاسْتَبِقُوا الْغَيْرَاتِ) : فاطلبوا السبق إليها .

التفسير

١٤٨ – (وَلَكُلُّ وِجْهَةٌ هُو مُولِّيهَا فَاسْتَرِقُوا الْخَيْرَاتِ) الآية .

ولكل فرد أو قوم ، جهة وقبلة هو موليها وَجُههُ فى الخيرات وغيرها . و كثير من الشعوب يتسابقون فى سبيل دنياهم ، دون رقابة من الضمير الليفى ، حتى كادت المدنية الحديثة تعمر العالم تدميرا ، أما أنتم سمشر للسلمين سفطيكم أن تتجهوا إلى الخير النافع فى اللنيا والآخرة ، لكم ولغيركم ، وأن تسبقوا مواكم إليه ، فهذا صراط الله للسنقيم ، فاتبعوه ووكا تَشْجُوا النَّيلُ تَعَفَّرُقَ بَكُمْ مِن سَبِيله ، "أنا

⁽¹⁾ الأمام : ١٥٣ .

وهكذا يقرر الإسلام الرقابة الدينية على التصرفات البشرية ، حتى لا ينحرف الناس عن جادة الصواب .

(أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَسِمًا إِنَّ اللهُ عَلَى كُلُّ شَيْه قَدِير) : هذا تحلير من الانحراف في الحياة الدنيا ، يعنى أن الله _ تعالى _ مالك أمرِكم جميعاً وإليه مرجمكم ، فأينما كنم فوق الأرض ، أو في بطنها ، أو بين طبقات الفضاء يأت بكم الله إليه جميعًا ، بأن يقبض أرواحكم ، وبحشركم إلى حسابه وجزاله : ومَنا أَنتُمْ بِمُعْتِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ، " . فقدرته عظيمة ، وعلمه محيط بكل شيء .

(وَمِنْ حَمِّثُ خَرَجْتَ فَولِ وَجَهَكَ شَعْلَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامُ وَإِنَّهُ لِللَّهَ مَا لَمُمَلُونَ ﴿ وَمِنْ حَمِّثُ خَرَجْتَ فَولِ وَجَهَكَ مَعْلَرُونَ ﴿ وَمِنْ حَمِّثُ خَرَجْتَ فَوَلِ وَجَهَكُ مَا اللّهُ مَعْلَمُ الْمُسْجِدِ الْخَرَامُ وَحَمِّثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمُ مُ شَعْلَرَهُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً إِلاَّ اللّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمُ مَا مُعَنَّمُ وَلَا يَضَعَلُمُ وَمُعَمَّمُ مُحَمِّةً إِلاَّ اللّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمُ مَلْ اللّهُ مَنْ مَعْمَدُونَ ﴿ وَكَاللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴿ وَلَا يَعْمَلُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴿ وَلَا يَعْمَلُونَ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّ

التفسير

١٤٩ ــ (وَمِن حَبْثُ غَرَجْت فَوَلُّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . .) الآية .

ناقشت الآية السابقة السفهاء من الناس ، الذين أشاعوا الأراجيف عند تحويل القبلة ، وأفحسهم بالدليل القاطع ، وأثبتت أن أهل الكتاب – وهم أصحاب الثقافة اللينية فى ذلك العصر ـ يعرفون أن الحق فى استقبال الكعبة ، كما يعرفون أبناءهم ، ولكتهمينكرونه مع أنها قبلة جدم إبراهم اللى يشرفون أنفسهم بالانتساب إليه .

⁽١) الشكيرت : ٢٢ .

وقد عقب الله ذلك بأمر الرسول بالاتجاه في صلاته إلى البيت الحرام ، سواءً أكان بالمدينة ، أم كان خارجها ، تعميما لا ستقبالها في أي مكان .

وأَمرُ الرسولِ أَمر لأُمَّتِه . فهو إمامهم (وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبَّك وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَهْمَلونَ)

أًى : وإن الانتجاه إلى المسجد الحرام فى أكمكان، لهو الأمر الثابت الموافق للحكمة ، المنزل عليك من ربك : اللدى والآلكَ بفضلهِ وإحسانه . فلاتمدِّل عن استقبال القبلة التي شرعها لك ، فهانه مُطَّلع على عملك ، وعلى أعمال عباده جميعاً ، فيجازيهم حسبما عملوا .

وفى نسبة الحق إلى (ربك) : إيذان بصدقه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيا جاء به وأنه ــ تعالى ــ يحفظه من مؤامرات أعداثه ، ويعاقبهم عليها .

وختم الآية بقوله : (وَمَا اللَّهُ بِغافِل عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . لوعد المطبع ، ووعيد العاصي .

١٥٠ - (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلُ وَجْهَلَكَ شَعْلَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُوا
 وَجُوهَكُمْ شَعْلُوهُ ١٠٠٠ الآية)

أمر الله رسوله بالتوجه إلى المسجد الحرام ؛ ثلاث مرات :

الأُول في قوله:

(فَلَنُولِيِّنُكَ قِبْلَةٌ تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

والثانية في قوله :

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَشْجِدِ الْحَرَّامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبُّكَ ﴾ .

والثالثة في قوله :

(وَحَيِّثُمَا كُنتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَةً) .

وحكمة هذا التكرير : أن القبلة لها شأن خطيرٌ . والنسخ من مثلان الشبهة والفتنة فلذا أكد أمرها مرة بعد أخرى . مع أنه قد ذكر فى كل مرة حكمة جديدة .

ذكره أبو السعود .

وقال القرطبي - نقلا عن غيره فى تعليل التكرار - : إن موقع التحويل كان مستنا فى نفوسهم جلما ، فأكد الأمر ، ليرى الناس الاهتمام به ، فيخف عَليهم ، وتسكن نفوسهم إليه .

ويمكن حمل التكرار على أن الآية الأُولى : وفَوَلَّ وَجَهَكَ شَطْرَ الْمُسْجِدِ الْحَوَامِ ، . لتشريع تحويل القِيلة من بيت القدس إلى الكعبة ، وقوله بعد ذلك :

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلَّ وَجَهَكَ شَعْلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) لتشريع الاتجاه إليها في الأَسفار > وقوله : (وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وَجُوهَكُمْ شَطْرُهُ) لتشريع الاتجاه إليها من المُنسِين في بقاع الأَرْض المختلفة .

وعلل الأمر باتجاههم إلى الكعبة في كل مكان يصلون فيه ، بقوله :

(لِتَلَّا يَكُونَ اللِّنَاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ .

قاَّمل الكتاب يطمون من كتابهم : أن اتجاهكم إلى الكعبة حق . فإذا أتجيتم إليها لم يكن لهم عليكم أى دليل ينقص من عملكم ، فهى قِبلَّةُ أبيهم إبراهم ، وإن لم يعجبهم الصرافكم عن قبلتهم .

والمشركون سيطمون -- لجذا الاتجاه-أنكم ورثة مِنَّةٍ أبيكم إبراهيم وقبلته، وكانوا يعترضون عليكم ، ممثالفة قبلته ، والآن : سقط هذا الاعتراض .

أما الظالمون الماندون : فلا حيلة لكم معهم . فهؤلاء يقولون : ماتحوَّلَ إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه ، وحبًّا لبلده . أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه . ويوشك أن يرجع إلى دينهم ، وتسمية هلمه الكلمة الشنعاء (حُجَّة) – مع أنها أفحش الأباطيل – من قبيل قوله تعالى : وحُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً " (⁽¹⁾ حيث كانوا يسوقونها مَسَاقَ الصُّجَّةِ .

(فَلاَتُخْشُوهُمْ) ؛ فإن مطاعتهم لا تضركم ..

(وَاخْشُوْنِي) . فلا تخالفوا أمرى .

(وَلِأَتِمَّ نِعْمَنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْنَدُونَ ﴾ :

⁽١) الشررى : ١٦ ،

أًى : وأمرتكم بذلك ؛ لأتُرمَّ نعمتى عليكم ، ولملكم تهندون باعتثال ما أمرتكم به إلى سعادة الدارين .

ومن تمام نعمة الله على السلمين : تطهير البيت الحرام من الأصنام ، وتطهير الجزيرة العربية كلها منها ، وقد تـم هذا فى آخر حياة الرسول ــ عليه السلام ــ فحقتى الله وعده ونصر جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

وقد تحققت للمسلمين البُشْرِيَاتُ الثلاث ، التي أشارت إليها الآية الكريمة : قطع ألسنة السفهاء ، وإتمام النعمة بإكمال الأمن ، وتعميم الهداية ونشرها بين الأم والشعوب . قال تعالى : «الْيُومُ أَكْمَلُتُ لَكُمْ وِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإشاؤَمَ ويناً . . . أأا الآية .

(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ اَيَنِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَنَبَ وَالِّحْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَّالَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿

القبردات :

(يُزَكِّيكُمْ) : يطهركم .

(الْكِتَاب) : القرآن الكريم .

(الْعِكْمَةَ ﴾ : السنة النبوية ، أو ملكة عقلية للتمييز بين الحق وغيره

التفسسر

١٥١ـ (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رُسُولًا مُنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا . . .) الآية .
 الخطاب للعرب ، و (كَمَا أَرْسَلْنَا) متعلق بقوله : (وَلاَتُرَمْ) .

والمعنى : ولأتم نصنى عليكم بما سبق من جعلكم أمة وسطا ، وكونكم شهداء على الناس ، واستقبالكم الكعبة قبلةً أبيكم إبراهيم ،كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ، أى عربيا

[.] r : म्हास (١)

مثلكم ، وأنزلتُ عليه كتاباً سماويًّا معجزًّا ، محفوظًا من التحريف والتبليل ، يتلوه عليكم فيخرجكم به من الظلمات إلى النور .

(وَيُزَّكِّكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) .

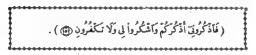
ويطهّر تُغوسكم ، ويمحسها لله بوعظه وإرشاده : حتى يكون عملكم خالصاً ، لوجه الله -تعالى - وتتلاقى القلوب على محبة ورضوان من الله ، وتكونوا - دائما - في نصرة دين الله ، ويملمكم كتاب الله ومافيه : من أصول التوحيد ، وشمائر الدين ، ومنامج الخُلُقِ القاضل ليكون كل ذلك دستوراً لكم ، ويعلمكم المحكمة ، وهي : سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم -كما قال الإمام الشافعي .

ومن معانى الحكمة : إصابة الحتى والصواب .

وما من شك فى أن فهم القرآن والسنة والعمل بهما ، ينمى فى المؤمن موهبة الحكمة التي تهديه إلى الصواب ، فها يتعرض له من مشكلات .

ووَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُونِيَ عَيْرًا كَثِيرًا ء(١)

والمؤمن البصير ، يدرك الصواب بنور الله : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْقُوا اللَّهَ يَجَمَّل لُكُمْ قُرْكَالًا *** :



التفسير

١٥٧ ــ (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ . . .) الآية .

فاذكرونى بالطاعة واللسان ، أذكركم بالثواب وبالثناء فى الملاز الأملى . وإن تعم الله المتوالية عليكم: تستدعى أن تلهج ألسنتكم يذكر الله ـ تعالى ـ وتنفعل جوارحكم بطاعته .

⁽١) البَرَة : ٢١٩ . (٧) الأطأل : ٢٩٠ .

ومن كرمه ــ تعاثى ــ إكرامه اللبين يذكرونه : بذكره إياهم .

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ف حليث قلمبي عن الله - عز وجل - :

يقول الله تعالى : ٥ أَنَا عِند ظنَّ عبدى بى ، وأَنا مَعَهُ حين يذكرنى . فإن ذكرنى فى نفسِه ، ذكرتُهُ فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملإ ، ذكوته فى ملا محيرٍ منهم ، (١٠٠

والذكر من العبد : يكون بالأقوال والأفعال الخالصة . ومن الرب : بحسن المكافأة .

(وَاشْكُرُوا لِي) . أى اشكروا لى نعمى عليكم . ومن أَجَلُها أَنَى أَرسَلت فبكم رسولا منكم يزكيكم ، ويعلمكم ، ويهديكم إلى الله .

وشكر المنعم واجب .

والشكر ، يكون : بتوجيه الجوارح إلى ماخلقها الله له ، وبدل الملافيا أباحه وندب إليه ، ونشر العلم فيا ينفع ، لوجهه – تعالى – فشكر العالم : نشر العلم ، وشكر القوى : مساتدة الضعيف ، وشكر النفى : الصدقة ، وشكر الحاكم : العدل والتواضع. وهكذا . وقد وحد الله الشاكرين بموالاة نحمه عليهم : «لَكُن شَكَرُتُمْ لَأَوْمَنْكُمُّ ، " (") .

(وَلَاتَكُفُرُونِ) أَيْ وَلا تَكْفروا نعمى بجحدها أو منع زكاتها . أو ترك طاعة الله شكرا له عليها ، فهان العقاب على ذلك شديد .

وقد أعطى الله قارون المال الوفير ، فلما ادعى أنه ناله بجهوده وعلمه ، و ، قالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عَلْمِ عِنْدِى ^{(۲۲} ، خَسَفَ الله به ويداره الأرض . ولما أعطى الله – سبحانه – سلمان – عليه السلام – ملكه الواسع ، قال : ، هلمّا مِن فَقَسْلِ رَبِّى لِيَبْلُونِي ٱأشْكُرُ أَمْ أَصَالًا أَكْثُرُ وَاللهِ عَلَى مَعْمَدُ اللهُ ، فَنَخَطَّ عَلِهِ نَعْمَة . أَكُثْرُ ⁽⁸⁾ فَشَكرُ اللهُ) فَنْخَطَّ عَلِهِ نَعْمَة .

⁽١) رواه الشيخان والترمذي .

⁽۲) آبراهم د ۷

⁽۲). آثمن : ۲۸

⁽¹⁾ Nil: +1

(يَكَأَيُّهَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوْةَ إِذَا اللَّهُ مَعَ الصَّبِينَ ﴿ وَالصَّلَوْةَ إِذَا اللَّهُ مَعَ الصَّبِينَ ﴿ وَالصَّلَوْةَ إِذَا اللَّهُ مَعَ الصَّبِينَ ﴾ .

الفسردات :

(الصُّبْر): ضبط النفس ، وقوة الاحمال .

التفسير

١٥٣ - (يَالَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالطَّبْرِ وَالطَّلاَّةِ . . .) الآية .

يُعِدُّ الله المسلمين لما سيواجهونه من الفتن والمحن والحروب ، ويدوجم تدريبًا نفسيا على ملاقاة الشدائد ، واحيّال الأهوال ، فيأمرهم سبحانه وتعالى ، أن يستعينوا على خوض غمار الأحداث والمحن بسلاحين رئيسيين ، هما : الصير ، والصلاة .

أما الصبر ، فيكون برياضة النفس على احيّال المكاره ، وقمع الشهوات ، وملاقاة النكبات ، مع التسلم لله بقضائه ، وانتظار فرجه . والرضا بحكمه .

ويعض المسرين يقسم الصبر إلى ثلاثة أنواع : صير على ترك المحارم ، وصير على قعل الطاعات ، وصير على المكاره والنوازل .

ومن أهم مواطن الصبر : الصبر عند لقاء العدو جهادا في سبيل الله .

ولهادا ، كان ثواب الصابرين غير محدود : ه إِنَّمَا يُوفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرُهُم بِخَيْرٍ حساب أ¹¹ .

ولاَّهمية الصبر : ورد ذكره في القرآن ، في نحو سبعين موضعًا . وأورد ابن القيم الجوزية في كتابه : «عدة الصابرين » أكثر من عشرين فضيلة للصبر .

وأما الصلاة : فهي : أم العبادات ، ومعراج للوَّمنين إلى منازل الصالحين . واستغراق المُومن فيها ، علاج لما قد يتعرض له من أخطار الحياة ؛ لأن المؤمن الذي يستعين فيها بالله

⁽١) الزمر ١٠١٠

تعالى – على شدائله ، لا يشخلي عنه سبحانه ، بل يعينه على الخلاص منها ، وقد كان رصول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

ثم أكد نتيجة الاستمانة بذلك ، فقال : (إنَّ اللهُ مَمَّ الصَّابِرِينَ) أَى : يمنحهم السَّنِينَ والموض ، والمدد الذي يعين على الثبات والمخروج من الملَّزَق. ولم يقل إن الله مع الله المعابرين والمصلين ، لأن المسلاة تجعل المصلى مع الله - تمالى - وإذا كان المصلى مع الله عده مع الله عدم مثلما هو مع الصابر ، كما أن المصلاة نوع من الصبر .

وليس الصير بالادة في الإحساس ، واستسلامًا للنوازل وإنما هو : ثبات على مكافحة الهلاء .

(وَلَا تَقُولُواْ لِـمَن يُقْتَـٰلُ فِي سَدِيـلِ اللَّهِ أَمْوَاتُ ۚ بَلْ أَحْيَا ۚ وَلَـٰكِن لَا تَشْمُرُونَ ﴿ ﴾) .

التفسير

١٥٤ - (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُثَنَّلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ . . .) الآية .

إن الحياة العنيا ليست بهاية المطاف ، بل يعدها مرحلة القير ، ثم البعث ، ثم الحساب شم الجنة أو النار .

والشهداة فى قبورهم أحياة حياة كربّة ، وإن كانت غير مشاهدة ، فلهذا نبى الله الناس عن أن يقولوا : إنهم أموات ، وقور أنهم أحياة فقال :

(بَالْ أَخْيَاءُ وَلَكِينَ لَّا تَشْمُرُونَ ﴾ .

أى : بل هم أحياء : حياة مؤكدة ، وإن لم نشعر بها ؛ لأَننا لا ندرك مما يحيط بنا إلا القليل . وحياة الشهداء مصحوبة بالرزق . قال تعالى . و أَحْيَاة عِنْدَ رَبِّهِمْ مُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَفْدِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِاللَّذِينَ
 لَمْ يَلْحَقُوا بهم مَّنْ خَلْفهمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ ، (11) .

قهم أحياة ممتعون برزق رجم ، وهم به فرحون ، ويستبشرون بما يقلمه إخواجم من الجهاد في صبيل الله وما ينتظرهم من ثوابه الجزيل ، ولكن كنه هذه الحياة ، علمه عند الله

وقد أنبأنا النبي - صلى الله عليه وسلم - فيا رواه مسلم : « إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر ، تسرح في الجنة كيف شاعت . . . النغ ، وكل ما نعلمه فيا عدا ذلك : أن الشهداء في حياة خبر ، ما نحر فيه .

وذكر حالة الشهداء بعد الحض على الصبر ؛ لأنَّها من شمراته الطيبات .

(وَلَنَبْلُونَكُم بِثَىٰ و مِّنَ الخَبُوْنِ وَالْحُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَٰلِ
وَالْأَنْفُس وَالنَّمَرُبُّ وَبَيْرِ الصَّيْرِينَ ﴿ اللَّذِينَ إِذَا أَصَابَنْهُم
مُصِيبَةٌ قَالُواۤ إِنَّا اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿).

القبردات :

(وَلَنَبْلُونَّكُمْ) البلاءُ ؛ الاختبار .

التفسير

١٥٥ . ١٥٦ . ﴿ وَلَنَبْلُونَكُمْ بِشَىٰهِ مَّنَ الْغَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْمِى مُّنَ الْأَمْوَالِ

اقتضت حِكمة الله تعالى .. أن تكون هذه الدنيا دار ابتلاء وتمحيص ، و لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بِيَّنَةٍ وَيَحْنِي مَنْ حَيِّ مَنْ بَيِّنَةٍ و (٢٪)

⁽١) آل خراف يبن آية يا ١٦٩ رآية تا ١٧٠ . (٧) الأتقاف يا ع

والإيمان درجات : فمن الناس ٥ مَن يَمْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْثِ ١^{٠١٥ ، ٥} وَمِنَ النَّاسِ مَن يَمُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَهِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَمَلَ فِيْنَةَ النَّاسِ كَمَلَابِ اللهِ ءُ^{٢١٥ ، ٥} وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْمِى تَمْسَدُ ابْثِنْعَاءُ مُرْضَاتِ اللهِ ءُ^{٢١١}.

والله - سبحانه - ليس في حاجة إلى أن يختبر عباده ، ولكنه اختبرهم ليقيم عليهم الحجة: و أَحَسِبُ النَّاسُ أَنْ يُشْرِّكُوا أَنْ يَقُولُوا آتَنَا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ الْ

وسنة الله تجرى على خلقه أجمعين ، حتى الأتَّبياء .

روى البخارى والترمذى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : د أشد النام بلاة : الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل » . وخرَّ ج مسلم ، عن أن سعيد وأني هريرة ــ رضى الله عنهما ــ أنهما سمعا من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله : 3 ما يصيب الوَّمنَ مِنَ وَصَسِيمُ ولا تَصَب ، وكا سَتْمَم ولا حَزَّنِ ، حتى الْهَمَّ جِمه ، إلا كُثَّر به من سيئاته » .

وقد أعدَّ الله المسلمين لحمل رسالتهم الكبرى إلى العالم ، فأَمرهم بالصبر والجهاد ، حتى تعلوَ كلمة الله ، وأنبأهم بأنهم سيتعرضون لشيء من الخو ف ، وهو غير الجبن ، إذ هو : غريزة ترفظ في صاحبها التوقّي من الأخطار .

وقد حدث الخوف للمسلمين فى غزوة الخندق وحنين ، وأنبأهم – سبحانه - أنهم سيتعرضون لشىء من الجوع ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ، يربط الحجر على بطنه من الجوع .

وقالت عائشة ... رضوان الله عليها .. : و لقد مات رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ... وما شبح من خبز وزيت في يوم واحد مرتين ، دواه مسلم .

وكان عليه الصلاة والسلام : يغزو مع أصحابه أحيانا ، وليس لهم طعام إلا ورق الشجر ، أو ثمرات يتبلغ بها الواحد منهم

 ⁽۱) المج : ۱۱ .
 (۲) الشكيرت : ۱۰ .

⁽۲) البثرة: ۲۰۷ . (۱) استكبوت: ۲.

كما أنبلَّم - جل شأنه - أنهم سيتعرضون لنقص من الأموال ، كما حلث لهم فى أُحُدِ وتُؤَدَّة ، ولنقص النمرات ، كما أُحدُ وتَبُوكُ ، ولنقص النمرات ، كما حاسً في أُحُدِ وتُؤَدَّة ، ولنقص النمرات ، كما حاسً في عام الرَّمَادة .

ومعى الابتلاء من الله : أن يعاملهم معاملة المخبر - وهو العالم بحالهم - ليتميز الصابو المجاهد المحتمل ، من الفعيف في دينه ونفسه ، وفق ما علمه الله منه أزلا ، فيجازى كلا منهما على ما عمله ، لا على ما علمه الله منه .

والخوف : يكون من إزعاج أعدائهم لهم وإرهاهم إياهم ، أو من توقع المكاره في النفس أو المال أو الولد.

والجوع : يكون من قلة الموارد ، ونحو ذلك .

ونـقص الأموال : يقلة الكسب والخسارة في التجارة ونـحوها .

ونقص الأنفس : بالقتل أو الموت .

ونقص الثمرات : بنحو الآفات .

وقد أردف الله تأكيد الابتلاء بذلك ، بالحث على الصبر وبيان عاقبته ، فقال :

(وَيَشْرِ الصَّايِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ سُمِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا فِهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجُونَ .) .

الخطاب فى قوله (بَشْمِ): للنبى _ صلى الله عليه وسلم --، أو لكل من يستطيع التبشير . والمصيبة : المكروه اللتى يوثّلم . . وليس الصبر هو : الاسترجاع باللسان وحده ، بل بالقلب معه ، بأن يتذكر أن نم الله عليه كثيرة ، وأن ما أبقاه الله له ، أضماف ما استرده منه ، فيهون المصاب بذلك على نفسه ، ويستسلم ، فلملك هو المقصود بقوله : (إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رَاجِسُونَ) ، لا مجرد الاقتصار على النطق : (إِنّا الله وإنا إليه واجعون) ، وإنّ كان ثواب هذا القول عظها . .

قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : د ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم آجرنى ، إلا آجره الله ــ تعالى ــ فى مصيبته ، وأخلف له خيراً منها . . . ؛ إلخ . أخرجه مسلم . وإطلاق البشرى .. بدون تقييد .. يشير : إلى أن ثواب الصابرين الذين يقولون ذلك ، لا يحيط به الرصف .

ويجوز أن يكون الْشَيْشُرُ به ، هو ما دلت عليه الآية التنالية من أن : عليهم صلوات من رسم ورحمة وأنهم مهتدون ، فما أعظمها بشارة !

(أُوْلَنَهِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَكُ مِّن رَّبِهِمْ وَرَحْمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلمُهْنَدُونَ ﴿ ﴾) .

القبردات :

(صلوَاتٌ مِّن رَّبُهُمْ) : الصلاة من الله : الرَّأَفَة والمُغْمَرة .

التقسير

١٥٧ .. (أُو لَمْنِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبُّهِمْ وَرَحْمَةً . . .) الآية .

هذا هو جزاء الصابرين الذين يُبَشِّرُونَ به ، وهو : أن لهم من رجم ثلاث بشريات .

الأُولى : صلوات الله عليهم . وذكرت بصيغة الجمع للتكثير . وصلاة الله عليهم ، هي منفرته لهم ، ورأفته مهم .

والثانية : رحمته ، بإزالة آثار الصيبة ، أو تعريضهم بما ينم به عليهم، من جلب نفع أو دفع ضر .

والبشرى التالثة : جاءت في قوله تعالى :

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ) إلى مطالبهم الدنيوية والأُخروية ، فإن من نال رأفة الله ورحمته ، لم يفته مطلب . وقد جمع فى البشارة بين الصلاة ــ وهى هنا عمى الرأفة ــ وبين الرحمة ــ وهى شاملة للرأفة ــ ؛ للمبالغة ، كما فى قوله تمالى : ورَأَفَةُ وَرَحْمَهُ اللهُ وقوله : ورَمُونُ " ومُ $^{(\gamma)}$.

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرُوةَ مِن شَعَآ بِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ طَيْهِ أَن يَطَوَّفَ بِهِماً وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَا كِرُّ حَلِيمً ١ ﴿).

الفيردات :

(الصَّمَّا وَالْمَرُوّة) : هضبتان ملحقتان حاليا بالمسجد الحرام : يسعى بينهما الحاج وللمتمر .

(بن شَمَآيِرِ اللهِ) : من علامات دين الله في الحج والممرة . والشمائر : لفة : جمع شعبرة ، وهي العلامة .

(فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ) : أَى قصد الكعبة الأَداء المناسك في موسم الحج .

والحج لغة : القصد ، وشرعا : قصد الكعبة للنُسْك المشتمل على الوقوف بعرفة ، في زمن مخصوص .

(أَوِ اعْتَمَرَ) : أَى زار الكمبة لنسك العمرة ، وهي كالحج ، فيها عدا الوقوف بعرفة وأنها لا تخص بزمان . والاعيار في اللغة : الزيارة مطلقا ، كالعمرة .

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطُوُّنَ بِهِما) : فلا إثم عليه في أن يسمى بينهما .

(وَمَن تَطُوُّعُ خَيْرًا ﴾ : أي ومن زاد خيراً على ما طلب منه .

التفسير

١٥٨ - (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرُوَّةَ مِن شَمَاتِرِ اللَّهِ .) الآية .

(١) الخبر: ٢٧ . (١) الخبر: ١٠

روى البخارى ، عن عاصم بن سليان ، قال : د سألت أنس بن مالك ، عن الصفا والمروة ، فقال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ، فلما كان الإسلام أسسكنا عنهما ، فأنزل الله ـ عز وجل ــ : (إِنَّ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ بِن شَعَآتِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَوِّفَ بِهِماً ﴾ .

وفى رواية الترمذي ، عن أنس ، أنهما : وكانا من شعائر الجاهلية ، .

ويشرح الشعبي أمرهما في الجاهلية ، فيقول : ه كان على الصفا في الجاهلية صنم يمسى : إسافا ، وعلى المروة صنم ، يسمى : نائلة ، فكانوا يمسحونهما ، إذا طافوا ، فاستنع المسلمون عن الطواف بهما من أجل ذلك ، فنزلت الآية ، ، أى نزلت لرفع الحرج من المسمى بينهما . يعد أن أزيلت عنهما الأصنام .

والمعنى: إن الصفا والمروة من معالم دين الله ، فهما من مناسك الحج والعمرة في الإسلام ، يعد أن أذيل الصنان من فوقهما ، وتحض الذكر بينهما لله - تعالى -

(فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَّاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوْتَ بِهِماً) : أَى فمن كان حاجا أو معتمرا ، أو جامعا بين الحج والعمرة ، فلا إثم عليه ف أن يسمى بينهما .

وقد طمت التقدم : أن السمى بينهما كان نسكا وصادة فى الجاهلية ، ولكن العبادة فيه كانت للوَكنَيْن القالمين فوقهما ، فكان الساءون من أهل الجاهلية يمجلون وثنيتهما أثناء السمى . فلما جاء الإسلام ، أقر السمى بينهما ، بعد أن أزال الأصنام ، وجعل اللـكر لله حال حال على حوحده ، وها وأشاله من السياسة الشرعية فى الإسلام ، فإنه إذا أقر أمراً كان ممروقا فى الجاهلية ، لحكمة تقنفى إقراره ، جرده من مظاهر الوثنية ، ووجهه إلى الله حالى دكرا .

قال الآلوسى : وقد وقع الإجماع على مشروعية الطواف .. أى السعى بينهما فى الحج والممرة ــ لدلالة نني الجُناح على ذلك ، لكنهم اختلفوا فى الوجوب ، فعن أحمد : أنه سنة ، وبه قال أنس ، وابن عباس ، والربير ؛ لأن نني الجناح يدل على الجواز ، والجبادر منه عدم اللزوم ، كما فى قوله تعالى : ، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِماً أَن يَتَرَاجَعاً '' ، وليس مباحا بالاتفاق ؛ لقوله تعالى : (بِنِ شَعَائِرِ اللهِ) فيكون مندوبا .

وعن الشافعي ومالك : أنه ركن فيهما ، وحجتهما في ذلك : ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : « إن الله كتب عليكم السعى فَاسَمُوا » . وكتب بمني : فرض ، كما في قوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيامُ " » . وما رواه مسلم ، عن عائشة ، قالت : « ما أتم الله حج من لم يسم بين الصفا والمروة ، ولا عمرته » ، ولقوله – صلى الله عليه وسلم – : « علوا عني مناسككم » . وقد صح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سمى بينهما .

وعن أبي حنيفة : أنه واجب يجير تركه بدم . ١ ه . بتصرف

ومن أراد مزيدا في تعرف وجوه نظر الأُكمة . فليرجع إلى كتب الفقه .

(وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۖ) .

التطوع: ما يأتى به الإنسان من الطاعة غير المقروضة عليه ، أى وَمَن أَلَى بشيء من النوافل ، فإن الله (شَاكِرٌ) له ، أى يشيبه عليه (عَلَمٍ) بكل شيء ، فلا يعفى عليه تطوعه ، نيةً وكيفيةً ومقداراً ، فلا يتقص من أجره شيئاً .

واعلم أن السي بين العملة والمروة ، شعيرة موروثة عن أم إصاعيل ... عليه السلام ... فقد جاء في حديث طويل ، وواه البخارى ، عن ابن عباس ، بعد ما ذكر : أن إبراهيم ... خليه السلام ... جاء جاجر وابنها إصاعيل ، عند مكان البيت ، وتركهما ، فقالت له : ويا إبراهم : أين للهب، وتتركنا جلا الوادى الذي ليس فيه إنس ولا شيء ؟ ٥، ثم قالمت له : و آلمة أمرك جلنا ؟ فأن أن نال : نم ، قالت: إذا لا يضيحنا ، ومفيى لين عباس في الحديث إلى أن قال : وحق إذا نقيد ما في السقاء ، مطلب ، وحطش اينها ، وجعلت تنظر إليه يتكوّى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجلت الصفا أقرب جبل في الأرض يلها ، يتكوّى ، فانطقت كراهية أن تنظر ، هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ، فهيطت من

(٢) سورة البقرة : ١٨٣٠ .

⁽۱) الشرة يا ۱۳۰

الصفا ، حتى إذا بلغت الوادئ ، ونست طرف درعها ، ثم سعت سعى الإتسان المجهود ، ثم جاوزت الوادي ، حتى أتت للروة ، فقامت عليه . . إلى أن قال : و ففعلت ذلك سبع مرات » . قال ابن عباس : قال النبي حسلى الله عليه وسلم _ : و فللك مسى الناس بينهما » ومضى في الحديث ، إلى أن قال : و فإذا هي باللك عند موضع زمزم ، فبحث يحقبه – أو مقال بجناحه _ ، حتى ظهر للك : (أي ماه زمزم) إلى آخر الحديث .

(إِنَّ اللَّهِنَ يَكَنَّمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيِّنَتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيِّنَهُ لِللَّالَّهِ لَهُ اللَّعِنُونَ ﴿ مَا بَيِّنَهُ اللَّعِنُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّعِنُونَ ﴿ إِلَّا اللَّهِ اللَّهِ اللَّعَلَيْمُ اللَّعَلَيْمُ اللَّعَلَيْمِ وَأَنَا التَّوَابُ إِلَّا اللَّهِ مَا أَنَا التَّوَابُ اللَّهِ مِنْ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْلَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِي اللَّهُ اللللْمُولَى اللللْمُولَى الللّهُ اللللْمُولَى اللللللِّذِي الللللْمُولَى اللللللللِّذِي اللللْمُولُولُ الللللْمُولُولُولُولُولِي الللللْمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُول

القبرنات :

(الْبَيُّنَات) : الحجع الواضحات ، جمع بيئة .

(الَّهُلَكَ) : ما يهدى إلى الحق والرشاد .

(إِنَّ الْكِيَّابِ ِ) : المرادُّ به ما يشمل جميع الكتب السياوية ، ومنها التوراة والإِنجيل والقرآن .

(يُلْمُنَّهُمُ اللهُ) : يطردهم من رحمته .

(وَيَلْعَنُّهُمُّ اللَّاعِنُونَ) : يسخط عليهم الناس .

(وَبَيْنُوا) : أَى أَظهروا مَا كَتَمُوهُ .

التفسي

١٥٩ . (إِنَّ الَّذِينَ بَكُتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُلَتِي . . .) الآية .

قال الآلوسى : أخرج جماعة عن ابن عباس ، قال ، سأل معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة بن زيد ، نفرًا من أحبار بهود ، عن بعض ما فى التوراة ، فكتموهم إياه وأبَوا أن يخبروهم ، فأنزل الله ـ تمالى ـ هذه الآية .

وعن قتادة : أنَّها أنزلت في الكاتمين من اليهود والنصاري .

المنى فن هذه الآية الكريمة _ وإن كان سبب نزولها خاصا _ وعيدٌ لكل من كمّ علمًا يحسنه : صواة أكان من اليهود ، أم النصارى ، أم غيرهم . فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فكل من آناه الله علما ، وَجَبَ عليه أن يبلله للمحتاجين إليه ، ولا يكتمه ، وإلا كان آشها . ولكونها عامة ، قال أبو هريرة ، فيا رواه البخارى عنه : « لولا آية فى كتاب الله ما حدثت أحداً بشيء أبدًا » ، ولعله قال ذلك . حين قبل له : أكثرت فى الرواية .

وكما جاء الوعيد عن الكبّان في القرآن . جاء في السنة .

أخرج أبو يعلى والطبرانى ، بسند صحيح ، عن ابن عباس _ رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ : « من مُشل عن عليم فكتمه ، جاء يوم القيامة ملجّماً بلجام من نار . « .

ومع أن العلم يجب تبليغه ، قليس على العالم أن يبلغ منه إلا ما يناسب السامع ، لكيلا يضل بسبب ضعف أستعداده الفكرى ، أو العلمي أو وهن دينه .

. ولهذا كان ابن مسعود يقول : «ماأنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم ، إلا كان المضهم فتنة ،

ولى هذا الممنى ، يشول صلى الله عليه وسلم : « حدثوا الناس بما يفهمون ، **أنحبون أن** يكلب الله ورسوله ¹⁰⁰ ؟ ؟

وقد دلت الآية على هذا المنى . فإن الوعيد فيها ، إنما هو على كيّان ما كان من البيئات الواضحات ، والهدى الذى لايضل به الناس .

أما سواه ، فيكتم ــ إلا عن أهله ــ مخافة الفتنة . وقد فعل ذلك أبو هريرة .

(١) أروده الفردرسي وذكره الفرطبي .

روی البخاری منه : آنه قال : وحفظت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم – وعاتمين آما أحدهما : فيثنته ، وأما الآخر : فلو يشته ، قطع هذا البلحوم ».

قال القرطبي : قال علماؤنا : وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة ، وخاف على نفسه فيه الفتنة أو القتل، إنما هو يتعلق بلَّمر الفتن، والنصِّ على أعيان المرتدين والمتافقين ، ونحو هذا ، مما لا يتعلق بالبينات والهدى.

(مِن بَعْدِ مَا بَيُّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) .

للراد بالكتاب : جنس الكتاب الشامل للتوراة والإنجيل والقرآن .

الليهود من أهل هذا الوعيد ، الأمهم كنموا ماقى كتابهم ، من نعت محمد – صلى الله عليه وسلم – اللتى ٩ يَعْرِفونَهُ كَمَّا يُعْرِفُونَ أَبْنَاعَهُمْ و (١١ ، وكتموا عقوبة الرخم ، وغير ذلك من الدى اللتى أعقوه وهم يعلمون .

والنصارى كذلك لكيانهم مافى كتابهم الإنجيل من البشارة برسول يأتى من بعد عيسى اسمه أحدند ، وأنه أثمى ، وغير ذلك من نعوته ، ونعوت أنباعه التي منها أنهم ٥ كَزَرْع أَخْرَعَ شَعْلُهُ هَاتَزَرُهُ فَاشْتَفْظُ فَانْسَوَى على سُوفِهِ » . (١٦)

وكل من حبس عِلْماً من الناس بيَّنه الله في القرآن أو السنة ، فهو كاتم لما بيُّنهُ الله في الكتاب .

وينطبق هذا على كل علم نافع ضرورى .

(أُولَٰئِكَ يَلْمَنَهُمُ اللهُ وَيَلْمَنهُمُ اللَّاعِنُونَ .):

أَى أُولئك الكاتمون للعلم الذي بينه الله في الكتاب ، يطرهم الله من رحمته ، ويسخط عليهم الخلق ، فيزهرونهموينبذونهم، فني العلم حياة النفوس ، وهو حق للناس يجب بذله .

- ١٦٠ (إِلَّا الَّذِينَ تَأْبُوا وَأَصْلَحُوا وَيَيُّنُوا . .) الآية .

^{. 181} سررة البقرة : 181 .

⁽۲) مرر: النم : ۲۹ .

استشى الله من أولتك الكاتمين الماقبين بالطرد من رحمته ويسخط المخلاق : من تابوا ورجعوا عن كياتهم العلم ، (وأصّلَحُوا) بإظهار ما كتموه ، وتصحيح ما حرفوه أو أساموا فيه الفتوى ، وردهم ما أتحلوه بسبب التحريف أو الكيّان (وَيَبَيْنُوا) العن مائماً بليكون ذلك أمارة على صدق توبتهم من الكيّان . فهوّلاه : لا يعاقبهم الله بما توحد به الكاتمين لأن الله - تمالى - يفرح بتوبة عباده ، وقد أكد الله - سبحانه - العفو عنهم ، المأتحوذ من الاستثناء بقوله : (فَأُولَكِكُ أَتُوبُ عَلَيْهِمُ) أن : أقبل توبتهم الفروفة بالإصلاخ، وتبيين الحق ، (وأنّا التَّوَابُ الرَّحِمُ) ومن كان شأته المبالغة في قبول التوبة وسعة الرحمة ، فهو المجدر بأن يتوب عل عباده ويرحمهم ، إذا بادروا بالتوبة والإصلاح والتبيين .

وقد اشتملت الآية على أركان التوبة :

١ ــ الرجوع عن اللنب ويشير إليه قوله : (تابُّوا) .

٧ - الندم على ما فات لأنه من تمام التوبة .

٣ ــ رد المظالم إن وجدت ، ويشير إليهما قوله : (وَأَصْلَحُوا ﴾ .

٤ - العزم على عدم العود ، ويشير إليه قرله : (وَبُيْنُوا).

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَارٌ أُولَتِكَ عَلَيْهِمْ لَمُنَدُّ اللهِ وَالْمَلَتَهِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ۚ لَا يُحَقِّفُ عَنْهُمُ الْمَلَدَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿ ﴾).

التفسي

١٦١ - (إنَّ الَّلِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَمُ مُّقَارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَهُنَةُ اللهُ...) الآية . بَيْنَ الله قبل ذلك : أن اللين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ، يلعنهم الله ويلمنهم اللاحنون . واستثنى منهم من تابوا ، وأصلحوا ، واستقاموا على تبيين الهدى فأولئك يقبل الله توبيهم ، ويعفو عنهم .

وبين فى هذه الآية والتى بعدها ، عقوبة الكافرين بصفة عامة . وبدخل فبهم اللـين كفروا بكيان الهدى من أهل الكتاب ؛ تأكيدا لعقوبتهم السابقة .

والمضى : إن الذين كفروا بالهدى الذى جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – وأصروا على الكفر ، فلم يتويوا –غير مكترثين بما يقرع أسياعهم من آيات الهدى ، وماتراه أبصارهم من دلاكل المحق ، وأقاموا على إصرارهم ، حتى ماتوا وهم كفار – أولئك تستمر عليهم لعنة الله اتى الازمتهم من أول كفرهم ، ولعنة الملاككة والناس .

وجميع هؤلاء تستمر لمنتهم عليهم . بسبب إصرارهم على الكفر .

وكلمة : (ٱجْمَعِينَ) : تأكيد وليست خاصة بالناس ، وليس القصود من لعنة الناس لهم : أنهم جميعاً يلمتونهم ، بل المقصود : أن كثيرًا من الناس بلعنونهم .

١٩٢ ـ (خَالِيينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ) .

أى خالدين فى لعنة الله ، أو فى النار . لايخفف عنهم العذاب بأنواعه ، يوم القيامة فهم فيه معلمون يغضب الله ونار جهنم ، والزمهرير .

(وَلا مُمْ يُتَظَرُونَ) : أَى ولا هم يرْخرون ساعة دون عذاب . مأخوذ من الإنظار عضل المنظار على المنظار ا

(وَ إِلَنْهُكُمْ إِلَنَّهُ وَاحِدٌّ لَّا إِلَنَّهُ إِلَّا هُوَّ الرَّحْمَانُ ٱلرَّحِيمُ ﴿).

الضردات :

(إِنَّهُ) الإِلَّهُ : المبود .

⁽١) النظر عِنَّا المنَّى يتعان ، وبألَّ منه للبني السجيول ، كانى الأساس . .

(الرَّحْسُ الرَّحِمُ) : صيفنان للمبالغة في الرحمة ، الأولى ساعية ، والثانية قياسية ،
 وتخص الأولى بالله ـ تعالى ـ ويجوز إطلاق الثانية على غيره .

التفسير

١٦٣ – (وَإِلَّهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ ﴾ .

لما ذكر الله في الآيتين السابقتين وعيد الكافرين ، وختمه بأنهم خالفون في المداب وأنهم لايخفف عنهم ولاينظرون ، أنبعهما هذه الآية والتي تليها ، ليرشدم إلى توسيده سبحانه – لعلهم ينقلون أنفسهم من هذا الوعيد اللدي ينتظرهم ، فهما مسوقتان لإليات الألوهية لله .. تمالى – وتفرده بها ، وقد مرّ قوله تمالى : هإنّ اللّهين يَكتُسُونَ مَا النّوْلَا بِنُ النّبينَ بِكَسُونَ مَا النّوْلَا بِنُ النّبينَ بِكَسُونَ مَا النّبية على الله عليه وسلم – الله تحتموا النّبينات فيوة محمد – صلى الله عليه وسلم – الله تحتموا شهادة الكتب السهاوية بنيوته .

وسبب النزول على مانقله الألومى :

عن ابن عباس – رضى الله عنه نـ : أن كفار قريش قالوا : للنبي ــ صلى الله عليه وسلم -- : صف لنا ربك ، فنزل قوله تعالى : (وَإِلْهَاكُمْ إِللهُ وَاحِدٌ) ومع أن السبب خاص ، فالخطاب عام لكل من يصلح للخطاب . والسائلون فى جملتهم .

والمعنى : وإله البشر الذى يستحق العبادة ، إله واحد ، هو الله _ تعلل ـ لا إله إلا هو بطيغ الرحمة ، فقد عست رحمته فى الغنيا المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وعست رحمته فى الآخرة ، أهل الإيمان : من وفى منهم ، ومن قصر وتاب .

(قُلْ يَاعِبَادِىَ النَّهِينَ أَسْرَقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهمْ لاَتُقَنَّعُوا بِنَ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ اللَّنُوبَ جَبِيها إِنَّهُ هُوَ الْغَفْرُ (الرَّحِمُ ، وَأَلِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَٱسْلِمُوا لَهُ . . . (١١)

ومن كان كذلك : فلا يصح أن يُعبد معه سواه ، فإن سواه مجرد من صفات الألوهية محتاج إلى الله ... سبحانه وتمالى ، في خلفه وتنهيره ، كما أنه ... عز وجل ... لو كان معه . إله آخر ، فتسد العالم .

⁽١) سورة الزمر : ٩٥ ، ٥٥ .

أَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَنتَا وَأَنَّا

والتعبير بقوله : (لا إِلَّهُ إِلَّا هُوَّ) بعد قوله: (وَاللَّهُكُمْ إِلَـّهُ وَاحِد) لتقرير وحدانية الإِلْهُ وتـاً كيدها . ونني الشريك عنه نفياً حاسها . باستعمال أسلوب القصر .

وبعد أن ذكر هذه الآية الناطقة بتوحيد العبود . أنبعها مايدل على ذلك فقال :

(إِنَّ فِي خَلْقِ الشَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَفِ اللَّهِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهَارِ وَالنَّهُ اللَّهُ مِنَ الْبُحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الشَّمَاءَ مِن شَاءِ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَةِ وَالشَّمَاءَ مِن الرِّينِ وَالشَّمَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءَ وَالْأُرْضِ الْا يَنتِ لَقَوْمٍ يَعْفِلُونَ ﴿).

القبرنات :

(وَالْحَمْلَاتِ اللَّمْلِ وَالنَّهَارِ) : أَى تعاقبهما . أَو الْحَمَالُولُهما بالزيادة والنقصان وغيرهما . . (وَالْفَلْكُ ي) : اسم يطلق على سفينة أَو أَ كثر ، بالفظ واحد . ومن الأُول : « فِي الْفَلْكِ الْمُشْعُونَ ، وَالَّاوِنَ الثَانِي : • حَتَّى إِذَا كَنْتُمْ فِي الْفَلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ، " الْ

(وَيَثَّ فِيهَا مِن كُلُّ دَابَّةٍ) : أى ونشر فيها من كل نوع من الدواب . والدابة : مايدب ، ويمشى على الأرض.

(وَتَعْرِيفِ الرَّيَاحِ ِ) : أَى تقليبها جنوبا وشهالا وشرقا وغربا ، حارة وباودة ، إلى آخر أنواعها .

(وَالسَّحَابِ الْسُسَخِّرِ) : المنقاد لله : يوجهه كيف يشاء.

⁽١) مررة الألبياء : ٢٧ .

⁽٢) سورة الشعراء : ١١٩ . (٣) سورة يونس : ٢٢ .

التفسير

١٦٤ - (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَاوِ وَالْفَلْكِ الَّتِي تَمْوِي
 فِي الْبَحْوِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ...) الآية.

ببنت الآية السابقة: أن المبرد بحق يجب أن يكون واحفا ، فقال كفار قريش : كيف يسم الناس إله واحد ؟ ! وقالوا : هل من دليل على ذلك ؟ فأتول الله : (إنَّ فِي عَلَّق السَّمْوَاتِ وَالْرَّاضِ) . رواه سقيان عن أبيه عن أبي الفسعى .

وسواء أصع هذا السبب فى نؤول الآية ، أم لم يصح ، تقد ذكر فيها أدَّلة جليلة على ما جاء فى الآية التى قبلها ، وهو : أن إلهنا إله واحد ، تثبيتا له وتأبيعا . فقد ذكر الله ـ تمالى ـ فى هذه الآية أدلة كوتبة عظيمة ، تدل من يعقلون ، على وحداتية الله ـ تمالى ـ وأنه رحمٌ .

وأول هذه الأدلة : أنه _ سبحانه _ أبدع المسؤات والأرض متناسقة على غير مثال سبق .

قال تعلى : و الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَلُوات طِيَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُت فَارْجِعِ الْبَصَرَ عَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ و ثُمَّ ارْجِع الْبُصَرَ كَوَّنَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبُصَرُ خَلِيقًا وَهُوَ حَبِيرٌ * 11.

كل ماق الساء حجيب نافع ، فشمسها للشرقة نهارا : تبت فى أرضنا اللضه ، وتنشر فيها الضوء ، وتنبت الزرع ، وتستخلص من مياهنا المالحة بخارا حُلُوا نَقِيًّا ، يصيره الله بقدرته سحابًا ، ثم يعيده إلينا عمارا عليا ، فيسلكه فى أَهُلِ الأَرْض أَنهارا ، ويسلكه فى جوفها ينابيع ، فنميش به ، ويعيش حيواننا ، على ما أوجد الله يسبب الشمس من الماء والنبات « عَلَى مِنْ خَالِق غَيْرُ الله مِيرُوكُمُ مِنَ السَّماء وَالْأَرْضِ ، " و فَتَبَارَكُ الله أَحْسَنُ السَّاء وَالْأَرْضِ ، " و فَتَبَارَكُ الله أَحْسَنُ السَّاعة وَالْأَرْضِ ، " و فَتَبَارَكُ الله أَحْسَنُ السَّاعة وَالْأَرْضِ ، " و فَتَبَارَكُ الله أَحْسَنُ .

⁽١) سورة اللك: ٣،٤ .

⁽٢) مورة قاطر : ٣ . (٣) سورة للوستوف : ١٤ .

وقمرها اللضيء ليلًا ، خلقه الله ليهدى السائرين ، ويرشد الحائرين .

وقىجومها المنيرة السابحة وكواكيها اللامعة الزاهرة : جُعِلَت معالم للحبارى ، ومراشد للمغلجين : « وَكَادَاتِ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * (١١ .

وقى هده النيرات نجوم ملتهبة منيرة كشمسنا أو أكبر ، وكواكب تدور حولها كمجموعتنا الشمسية ، وتستمد ضوءها منها ، كنا تستمد مجموعتنا ضوءها من شمسنا . وهذه وتلك ، جاوزت أرقام الحساب التي عرفها البشر ، وفاقت عظمتها ما يخطر بالعقول . وقد ارتبط بعضها ببعض ، بنظام الجذب والدفع الذي حفظ ألله به توازنها .

. وكل ما في الأرض عجيب مفيد ، فجالها أوتاد لها ، تحفظها من أن تميد بنا ، وأنهارها وبحارها مصادر لأرزاقنا ، ومعاير اسفتنا ، وسبب لحفظ حياتنا ، ومعادنها نتخذ من بعضها حُليّنا وعملتنا ، وأسلحة دفاهنا وهجومنا على أعداقتا ، والسلحة دفاهنا وهجومنا على أعداقتا ، والسلال والهضاب نتخذ فيها المحمون والقلاع لنرد عادية خصومنا ، وأشجارها وزرعها وطيورها وحيوانها لأرزاقنا ومنافعنا ، وهواؤها لنفوسنا وحيواننا ونباتنا .

أفلا يدل ذلك على إله علم قادر حكم ، رحمٰن رحم لاشريك له فيا صنع! ، فإن وحدة الوجود وكماله واتساقه يشهد بوحدة الخالق للدبر ، إذ التعدد مصدر للفساد ، « إنَّ فِي وَلِمُكَ لَلَهِ كَرَى لِيشَ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ ٱلنِّمَى السَّمْمَ وَهُوَ شَهِيدٌ " (١٦).

وثانى هذه الأدلة : (الخيلاف اللّيل والنّيار) ، واختلافهما : تماقبهما ، فبينا الليل يلف الأرض بظلامه ، والناس فيه رقود ساكنون ، إذ ينبعث النهار من تحت إهابه . فتسجع الأطيار ، وتطهر من الأوكار باحثة عن رزق الكريم الرحم ، وبهب الناعون من مراقدهم ، يبحلون عن أرزاقهم ، ويسعون في سبيل عيشهم .

وكما أن الليل والنهار يختلفان بالتعاقب ، فإنهما يختلفان كلاهما بالعلول تارة والقصر أخرى .

⁽١) سورة النحل ١٩٠ . (٣) سورة قب ٢٧.

فمَن أبدع ذلك لصالح خلقه سوى إله واحد قدير عليم ، مهيمن حكيم ؟ ! .

ونالث هذه الأدلة: (الْقُلُك التِّي تَجْرى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ) فهذه الفلك:أرشد الخالقُ المعقول المخالقُ المعقول المخالقُ المعقول المخالقُ المعقول المخالقُ المعقول المحالة على المحالة على المحالة على المحالة الله المحالة المحالة

واقة تمالى كتا عسك بنواصى النفوس ، عسك أسباب السلامة فى رحلة هذه السفن . ولو شاء لأسكن الربح ، و إن يَشَأْ يُسْكِنِ الرَّبِحَ فَيَظْلَلُنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ (¹⁷ ، ولو شاء لعطل آلاتِها ، فتفرق بمن فيها ، أو عوت را كبوها جوعاً وظمأ . فَمَن الذي خلق المواد التى صنعت منها ؟ ومن الذى أرشد العقول إلى صنعها على نحو يرجى فيه السلامة ؟ ومن الذي يسّر لها أسباب الأمان ، سوى إله واحد قادر علم ، رحمن رحم ؟ .

فبيا نرى الساء صافية الأديم ، إذا رحمة حانية من الخالق الكريم العكم ، تبعث الرياح ، فتثير سحابا كونته قدرته تعلل من بخار الياه ، فيبسطه برحمته فوق أرجاء مختلفة من الأوض ، ويوزعه بعدالته بين عباده الفين يعيشون على رحماته ، وينزل مياهه بحكم تُدبيره حلى الرواني والبطاح والسهول والجبال ، فتتخذ سبيلها إلى خزانات وأهوار فوق مطح الأرض أو تحت مطحها .

⁽١) مورة الشوري : ٣٢٠ .

⁽٢) سورة الشوري : ٢٢ .

⁽٣) سورة الألبياء : ٣٠ .

المنامياه الخزانات العلوية ، فتتخذ سبيلها في أنباد وغدران ، إلى أطراف البلاد . وأما مياه الخزانات السفلية . فتتفجر ينابيع ، تجرى بالعلب الزلال ، ويظل هذا الفضل عدداً ، وتلك الرحمة مرسلة ، ينهل منها من يشاه ، ويغرس ويزرع على سلسبيلها من أراد أن يشهىء : و جَنَّات مُمُّرُفَات وَهَيْرَ مَمُّرُوفَات وَالنَّخَلُ وَالرَّرَعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالرَّيْتُونَ وَالنَّخَلُ وَالرَّرَعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالرَّيْتُونَ والمُّانَ مَتَشَلِهِمٍ وَلَيْ وَالرَّبِيَّونَ مَنْتَلِهِ وَالمُّانَ مَتَشَلِهِمٍ وَلَمْ مَمُوفَات والمُعلم منها ويقلم منها وعلم المنافقة .

ولم تنسى هذه العناية الرحيمة دواب الصحواء الشاردة ، فقد أنبتت لهم فى واحاتها الراحى للخضرة ، دون أن يزرعها الزارعون ، وأخرجت لهم المياه العلبة ، دون أن يستنبطها للمشتبطون . فَمَن الذى صنع هذا الجميل ، وتعهد به عباده ؟ إنه إله واحد علم ، رحمن رحم ! !

وقين آياتِيهِ أَنْكَ نَرَى الأَرْضَ حَاشِعَةً فإذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاه الْعَنزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ اللهِ أَشْهَا أَلَمَ المَدْنَى النَّوْنَ وَرَبَتْ إِنَّ اللهِ الْمَالِمَةِ النَّوْنَ فَي اللهِ أَنْهَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ الهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُواللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله

وَكَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْنَزَتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتْتْ مِن كُلُّ زَوجٍ
 بَهِيج ٢٦٠.

« فَانظُرْ إِلَى آثارِ رَحْنَةِ اللهِ كَيْنَ يُعْمِي الْأَرْضَ بَنْةَ مَوْتِهَا ٥٠٠ وخاس ملد الأدلة : أنه : (بَتُ نَبهَا بِنْ كُلُّ دَابُة).

والنابة : مايكيب ويمشى على الأرض ، وينخل فيها الحيوان كله ، حتى الطير . قال تعلق :

ه وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابُّهُ مِّنَ مَّاهِ فَمِنْهُم مَن يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ ، () . . . الآبة .

والدواب من آيات الألوهية ، بخلفها ونشرها فى أنحاه الأرض ؛ لينتفع بها سكانها فى مرافقهم وضروراتهم وحاجاتهم للختلفة . فقد علم الإله الرحيم : أن الإنسان لاغنى

⁽۱) الأسلم : ۱۱۱ . (۲) فسلت : ۲۹ .

⁽٢) الج ت ه . (a) الرد ت م ي . . . (b) الرد ت م ي .

له عنها ، فخلقها إلى جواره ، وذَلَّلُها له . لينتفع بها ق أغراضه . فَمَنْ يقدر على ذلك سوى إله واحد رحش رحم ، قادر عليم ؟ .

وسادس هذه الأَّدلة : (تَصْرِيفِ الرُّياحِ ِ) : أَى تقليبها وتلوينها .

فأُحِنانُ تكون نسيا عليلًا رطببًا ، ينعش الأرواح ، وأُخرى تكون جافة حارة تضيق بها النفوس ، وتارة تجدها لينة رخالا ، وأخرى عاصفة هوجاء ، وأحيانًا ربيحًا عقيمًا : و مَتَلَدُ مِنْ شيء أَتَتْ عَلَيْه إلا جَمَلَتُه كالرَّهمِ ، (١١ إلى غير ذلك : مما تقنضيه حكمة الحكم : الذي أحسن كل شيء خلقه ، ورتبه على حسب مشيئته وما ينبغي لصلاح أرضه ، ولوأسلك الربح ساعة لهلك كل شيء حي على سطحها ، فَمَنْ فعل هذا سوى إله واحد : حكم علم ، قهار مقتلد ! !

وسابع هذه الأدلة : (وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ).

فهذا السحاب جعله الله مصدر المطر الذى به حياة الكائنات الحية ، ومخازن له متنقلة متجددة من آن لآخر ، وهو يشبه الضباب الذى نراه صباحا ، فى الأوقات التى يكون الجو فيها مشبعا بالرطوبة

وهو يتكون من بخار الماء ، ويكون فى الجو كالجبال ، وقد سخره الله بقدرته وفُلْلُهُ . وجعله مطواعا للربح ، تنقله إلى حيث شاء الله .

ثم ختم الله هذه الآية بقوله : (لآيات لَقَوْم يَتْقِلُونَ) أَى إِن هذه الآيات الكونية السبع ، لدلائل واضحة على ماجاء في الآية التي قبلها من صفات الله وهي قوله تعالى :

⁽١) الذاريات : ٢٦ . ﴿ ٢) النور : ٤٢ و٤٤ وسيأت شرحهما ,

و وَإِنَّهُكُمْ إِنَّهُ وَاحَدٌ لا إِنَّهَ إِلا هُوَ الرَّحْينُ الرَّحِيمُ ، وهي آيات لقوم يتفكرون :
 فإن من تأمّل في كل آية نما سبق ، وجدها مشتملة على وجوه كثيرة من الدلالات
 على وجوده تعالى ووحدائيته ، ورحمته وسائر صفائه .

ولى الآية تعريض بجهل المشركين وغبائهم . لإقتراحهم على الرسول آية تعلى على ذلك . أخرج ابن أبي الدنبا وابنُ مردويه : عن عائشة رضى الله عنها : أنَّ النَّبَىَ - صَلَّى اللهُ عليه وسلم ــ لما قرأ هذه الآية قال : « وَيْلُ إِنْ تَرَاهَا وَكُمْ بِتَنْجُر فِيهَا » .

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَنَّخَذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كُمُنِ اللهِ ال

الفيردات :

(أَنْدَادًا) : الأَنْداد : جمع ثِد ، وهو النظير والشبيه . والمراد بها هنا : الأَوثان . التقسيم

١٦٥ - (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهُ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبُّ اللهِ . . .) الآية .

لما عرض فى آخر الآية السابقة ، بعدم تمقل من يعبدون الأوثان العاجزة المصنوعة ، ويجعلونها أنشاداً ونظراء لمن لدتلك الأدلة الواردة فيها، الشاهدة بتفرده بالألوهية ، أتبع هذا التعريض ببيان سائر أحوالهم مع مُوَّلًاء الأَنداد فى الدنيا والآخرة.

والأنَّماد هنا : الأوثان ، على مارآه مجاهد وأكثر المفسرين . وإطلاقها عليها هو الشائع في القرآن الكريم .

وقيل : هم الرؤَساء الذين يطيعونهم طاعة الأُرباب . ومن الممكن أن يراد هنا بالأُنداد : الأُوثان والرؤساءُ الذين يصرفون الناس عن عبادة الله ــ تعالى ــ وحده ، دون شريك . فلا مانع من إرادتهما معا . والمعنى: ومن الناس من يتخذ من غير الله الواحد الذى وردت آياته الكونية العظمى في الآية السابقة لـ بل يطيعون في الآية السابقة لـ بطريع في الآية السابقة لـ بطريع في الآية السابقة لله ومنطقون هذا الإيمان والحب معه أولئك النظراء ويحبونهم كحجهم لله الذى يؤمنون به، ويخلطون هذا الإيمان والحب بطاعتهم لرؤسائهم في الشرك والماصى وجبهم لهم .

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ خُبًّا لِلهِ)

وهذه شهادة من الله للمؤمنين يعتزون بها ، ويجب أن يكونوا أهلاً لها ، بطاعته ، والإخلاص له فيها ، وأن يحذوا الشرك الخنى ، حتى لا يبغضهم الله ويتخل عنهم .

فني الحديث القدمي وأنا أخني الشركاه عن الشُّرْك ، فمن عمل حملا أشرك فيه معي غيري تركتُ وشريكة . . "

(وَكُوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْمَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ فِي جَبِيمًا وَأَنَّ الله ضَدِيدُ الْمَذَابِ) المراد : باللين ظلموا : هم هؤُلاء الذين اتخلوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ،

فهم ظالمون لأَنفسهم بتعريضها للعذاب ، وظالمون للحق بجعلهم أنه أندادًا وهو على عن العالمين . وَوَيْرَى ، الأُولى علمية ، والثانية بصرية .

والمنى - كما قال الزمخشرى - ولو يعلم هؤُلاه الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة فله على كل شيء ، من العقاب والثواب ، دون أندادهم ، ويعلمون شدة عقابه للظالمين ، لكان منهم مالايدخل تحت الوصف ، من الندم والحسرة على ظلمهم وضلالهم . ثم قال : فحلف الجواب هنا ، كما فى قوله : « وَلَوْ تَرَى إِذْ وُعِفُوا على النَّارِ " " وكما فى قولهم : لو رأيت فلانا حين تأخله السياط ا ه . أى : لرأيت أمرًا عظيا 1

⁽٧) الأتنام: ٧٧ .

⁽۱) اشاء ۱۸ .

(إِذْ تَبَرَّأُ الَّذِينَ التَّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ التَّبَعُواْ وَرَاُواْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّمَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ النَّبَعُواْ لَوْأَنَّ لَنَا كَرَّهُ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَلُهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَا هُمْ يِخْدِرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿) .

الغير دات

(الْأَسْيَابُ) ، معناها اللغوى : الحيال ، جمع سبب والمراد بها فى الآية : مايصل
 الرؤساء والأمياع بعضهم ببعض من الصلات ، كالدين الواحد والأساب والأتباع .

(كُرُّةً) : رجعة إلى الدنسيا .

(حَسَرَاتٍ) : جمع حسرة ، وهي أشد درجات الندامة على شيء فات.

التفسير

١٩٦ – (إذ تَبَرُأَ اللين اللَّهِمُوا مِن اللَّذِينَ النَّبُمُوا وَرَأُوا الْمَذَابَ وَتَقَطَّمَتْ بِهِمُ الأُسْبَابُ) .
الوبط : في هذه الآية والتي تليها ، حكاية لما سوف يحدث في الدار الآخرة ، من الطوة بين التابعين والمتبوعين ، وتبرؤ كل فريق منهما من الآخر ، حين يرون العذاب .

ومعنى الآية مع ما قبلها : ولو يرى المشركون الظالمون أن القوة لله جميما وقبًا يرون المذاب ، حينقذ ، تنقطع بينهم الأسباب والصلات ، فلا يهتمون بما كان يجمعهم بهم ، من عقيلة أو نسب أو تبعية أو مصلحة ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، لعل ذلك يخفف عنهم العذاب ، ويقول الرؤساء لله تعالى ، في تبرهم من تبعة شركهم : و تَبَرَّأْنَا إلينك مَا كَانُوا إِيَّانا يَجِيابُون هُ "أَ ويلِّق بعد ذلك دور التابعين ، وهو ما حكاد الله بقولد :

⁽١) أثمض: ٦٢ .

١٦٧ - (وَقَالَ الذِينَ أَتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كُرَّةً فَنَتَبَرًّا مِنهُمْ كَمَا تَبَرُّهُوا مِنَّا . . .) الآية .

والمعنى : وقال التابعون : لو أن لنا رجمة إلى الدنيا ، فنتبرأ من هؤلاء الرؤساء المتبوعين ، كما تبرئموا منا ، يريدون بذلك التعنى أن يعودوا إلى الدنيا ، ويطيعوا الله ـ تعالى ـ حتى إذا ماتوا وحشروا ، استطاعوا أن يتبرئموا منهم ، وهم فى حالة صالحة للتبرؤ .

وقيل : إنَّ العنى : لو أنَّ لنا نحن وهم رجعة إلى الدنيا ، فنتبرأ منهم فيها ، كما تبرتموا منا هنا وتخللهم ، ونتشفى فيهم .

(كَلْلِكُ يرِيهُمُ اللهُ أَعْمَالُهُمْ حَسَرَاتِ عَلَيْهِمْ) .

المعنى : مثل ذلك الذى بينته الآية من عذابهم وتبرؤ بعضهم من بعض، يريهم الله أعمالهم التى عملوها ، بتقديس الأنداد وإغواه التابعين ، أو التبعية للرؤساء المشركين ، إذ يجدونها حسرات وندامات عليهم .

والمقصود : أنَّ أعمالهم لا يجدون لها أثرًا من الخير ، بل يبدلها الله حسرات وزفرات ، حين يرون العذاب على كل عمل منها .

(وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) بل يخلدون فيها أَبدًا .

(يَتَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَىٰلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَبِعُواْ خُطُوَتِ الشَّيْطُنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوَّ مُبِنَّ ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوهِ وَالْفَحْشَاةِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴿) .

الفيردات :

(حَلَالاً طَيِّباً) ; حلالا لا شبهة في حله ، أو لا تعاقه النفوس .

(وَلَا تَشَيِّمُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) : خُطوات : جمع خُطوةِ ، بضم الخاه وفتجها ، كما قال الفراة . والراد بالنهي عن اتباع خطواته : ألا يسيروا تبعا لوساوسةِ ومفرياتهِ . (عَنُوًّا مُّبِينٌ) : أَى عدو بيِّنُ العداوةِ وَاضِحُها .

(إِنَّمَا يَلْمُرَّكُمْ بِالنَّمُوءَ) : أى ما يحرضكم إلا على ما يسوؤُكم ، وبحزنكم فى عاقبته وهو الماصى .

(وَالْفَحْشَاءِ) : ما اشتد قبحه من الذنب .

التفسير

١٩٨ ــ (يَـاَلُهُمَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا وَلَا تَشْبُوا خُطُوَاتِ الشَّبْطَانِ إِنَّهُ لَكُمُّ عَلُوا مُّبِينٌ ﴾ .

بعد أن ذكر الله منها تقدم ما أن أله الناس واحد ورحمن رحيم ، وأقام الأدلة عل ذلك ، وحلر من عاقبة الإشراك ، أتبعه إباحة العلال الطيب . بما في أرضه مستمالي م لهم ، وحلرهم أن يتبعوا الشيطان في أمرهم كله من عقائد وأعمال وأرزاق ؛ لعداوته لهم ؛ ولأمّه لا يأمر الناس بغير السوء والفحشاء ، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون .

وقد نزلت هذه الآية فيمن حَرَّموا طيبات أُحِلَّت لهم ، فالمشركون لم يفتصروا على الإشراك بالله - تعلل - بل ضموا إلى ذلك تحريم البَّرِيرَةِ ، والسَّالِيَّةِ ، والوَصِيلة ، والحام ، وهي أَنواع من الإبل ، حَرَّموا فبحها وأكلها . وسيأتى بيانها في تفسير سورة المائدة آية (١٠٣).

واليهود كانوا يحرمون لحم الإبل على أنفسِهم .

والآية الكرعة ، وإن نزلت في هؤلاه ، فهي عامة الخطاب لهم ولمن على شاكلتهم ، كالسيخ من أهل الهند اللهن يحرمون ذبح البقر وأكل لحمها . لأنهم يعبدونها .

هرلاه جنيماً ، يقول لهم ربهم - سبحاته - ما معناه :

يناً با الناس كلوا ثما فى الأرض ، من حيوانها ونباتها وثمارها ، حلالاً لا حرمة فيه ، طُيِّباً لا تعلقه النفوس ، فلا تمنعوا أنفسكم من هذه المطاعم التي حَرَّمتموها وهم لكم حلال . كما لا تمنعون أنفسكم من غيرها ، يشرط أن تكسيوها يطريق مشروع ، وألا تكون محرمة لمخبثها أو لعارض ، كذكر اسم الأوثان عليها . والأمر فى : ه كُلُوا ، : للإباحة . والتعبير بقوله : 1 في الأرض ، ؛ لتعميم دائرة الإباحة المذكورة ، وإفساح مداها . (ولا تَشَّبِعُواَحُفُواَتِ النَّشِطانِ) أى لا تسيروا تابعين للشيطان فى أمور كم كلها من عقائد واكتساب للأرزاق ، وتناول للمطاع والمشارب ، وغير ذلك من العبادات والمعاملات .

(إِنَّهُ لَكُمْ عَلُوَّ مَّبِينٌ) أى إنه علو ظاهر العداوة لكم ، فقد أخرج أبويكم : آدم وحواء من الجنة حَسَدًا لهما . والحسد كامن فى نفسه لذرياتهما ، والمداوة تابعة للحسد . فلا ينبغى لعاقل أن يستمع لا يزيّنه له علوه : ﴿ أَفَتَتَّخُلُونَهُ وَثُوْرِيّتُهُ أُولَيّاء منْ دُونى وَهُمْ لَكُمْ عَلَوْ بِشَسَ لِلظَّالِيتِنَ بَدَلًا ؟ ! }

١٦٩ .. (إِنَّمَا يَنْأَمُو كُمُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَالاَ تَطْلَمُونَ ﴾ .

علَّل الله النهى عن اتباع خطوات الشيطان بولَّتين :

أولاهما : (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوا مُبِينٌ) ، وقد تقدمت .

والثانية : (إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوء وَالْفَحْشَاء . .) الآية .

وخلاصة الآيتين : لا تتبعوا وساوس الشيطان ؛ لأنه لا يأمركم إلا ما يسوؤُكم ويحزنكم في العاجلة أو الآجلة ، وبما اشتد فحشه وقيحه من اللنوب ، كالإشراك بالله والزقي وعقوق الواللمين ، وادعاء أن الله حرم ما لم يحرمه : كلبح البحيرة والسائبة ، أو حلل ما لم يحلله : مثل شرب الخمر وأكل الربا ، ومن كان شأنه الأمر بذلك ، فلا يصح اتباع وساوسه .

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ۚ أَو لَوْ كَانَ ءَابَا وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْفًا وَلَا يَهْنَدُونَ ۞) .

⁽١) الكيث ٥٠

التفسير

تمهيد : في الله الناس في الآيتين السابقتين عن أتباع خطوات الشيطان . لعداوته وأثرِه لهم بالسوء والفحشاء . وذلك يستلزم أنهم مأمورون باتباع ما أنزل الله . فجاءت هذه الآية لتوضع حالهم عند الأمر باتباع ما أنزل الله ، فقال تعالى :

١٧٠ - (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ البَّهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ تَالُوا بَلْ نَتْبِعُ مَا ٱلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . . .)
 الآية .

المنى: وإذا قيل لهم: اتبعوا ف دينكم ما أنزل الله عل نبيه محمد صلّ الله عليه وسلم - قالوا ذلك بلسان المقال ، قالوا معرضين : لا نتيمه ، بل نتيم ما وجدنا عليه آباءنا . وسواء قالوا ذلك بلسان المقال ، أم قالوه بلسان الححال ، فالمراد : أنهم أصروا على سلوك سبيل آبائهم المعيدة عن الهدى . وتركوا سبيل مولاهم الحق ، وقالوا ، إنّا وَجَدْنًا آباءَنًا عَلَى أُمّة وَإِنّا عَلَى آثاؤهِم مُّمَنْتُونَ هُ "أَوْ وَالآيَة عَامة : تشمل كل أهل الباطل المقلدين لفيرهم فيه ويدخل فيهم المشركون . (أوَ قَوْ كَان آباؤهُمْ لا يَسْقِلُونَ شَيْدًا وَلا يَهْتُدُونَ) .

الهمزة فى ، أوّ لُوْ ، : للإنكار . والمفى : أيتبعونهم ، ولو كان حال آبائهم أنهم لا يعقلون شيئاً ، ولا يهتدون إلى رشاد ، لتعطيلهم قوى الإدواك والهدى ، إن هذا الاتباع الأعمى أمر تنكره العقول السليمة :

ما يستنبط من الأحكام

التقليد : وهو قبول قول الآخرين دون معرفة الحجة ،

والتقليد في الباطل منموم . لأن هذا هو الذي عابه الله على الكفار .

أما التقليد لأهل العلم الأمناء في الحق فهو _ كما قاله القرطبي ... فرض على العامى الله لا يشتغل باستنباط الأحكام من أصولها فيا يحتاج إليه : مما لا يعلمه من أمر دينه . عملاً بقوله تعلل : وقائساًأوا أهلُ الذَّكْر إن كُنتُمْ لاَ تَصْلُونَ ، " ...

⁽١) الزخرف : ٢٣ .

⁽٢) النحل: ٢٢ .

وحكى ابن عطية : أنَّ التقليد في العقائد مجمع على منحه . وحكى ــ فيه خلاقًا ــ القاضي أبوبكر الباقلاني ، وشمان بن عيسي ، والشافعي وغيرهم .

هذا : والآيات السابقة تنهض بالعقول ، وتحميها من إسار التبعية والتقليد للآخرين ، وفقاً للقواعد المقررة فى الإسلام : «أما مازعمه الجهال كطائفة الحشوية من وجوب التقليد وحرمة النظر والاستدلال فباطل؛ لقوله تعالى : «قُلِ انظُرُوا مَاذًا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِي ، الأَوْقِي في السَّمَوَاتِ والأَرْضِي ، وفير ذلك من الأَدلة .

وتعتبر هذه الآيات مصدرًا لتكوين الشخصية المستقلة الجديرة بالمسلم ، **بحيثالايكون** إنّمة ، أو تابعًا لسواه دون رويتر أو تفكير .

(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِنُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَلَهُ وَنِدَآةً مُمُّ ابُكُمْ مُثَى فَهُمْ لَا يَمْفِلُونَ ﴿) .

القسردات :

(يُنْبِنُ) : يصبح ، والنميق : التصويت على البهائم الزجر .

(وُعالاً وَيُخِلَا) : الدَّعاءُ والنداءُ : استدعاءُ الآخرين . فهما بحمّى واحد ، وقيل : الأُول: لطلب القريب ، والثانى : لطلب البحيد .

(صُمُّ) : لا يسمون .

(بُكْمُ): لا يتكلمون .

التفسير

١٧١ ــ (وَصَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْمِنُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّدُعَاءُ وَنَدَاءُ صُمَّ بَكُمٌّ عُمْىُ فَهُمْ لاَ يَشْفِئُونَ ﴾ :

بينت الآية السابقة أنَّ الكفارَ يقلدون آباعهم فياهم فيه من الكفر ، من غير تعقل ، وأنَّهم إذا دعام داع إلى ماأنزل الله أعرضوا ، وأصروا على دين آبائيهم ، ولو كانوا لايعقلون شيئاً ولا يهندون .

⁽۱) يونس: ١٠١ .

وجاعت هذه الآية - لتمثيل حالهم هذه - مع من يدعوهم إلى الحق . وهم لايعقلون مايقال - بحال البهائم مع الراعى الذى يدعوها ويحذرها . وهى لا تعى منه إلا مجرد الصياح والصراخ .

وفى الكلام مضاف مقدر : إما فى جانب الشبه ، والتقدير : مثل داعى الذين كفروا إلى الإيمان ، كمثل الذى ينعق ، أو فى جانب المشبه به ، والتقدير : ومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق ، وستأتى بالمنى على الرجه الأول ، ومنه يفهم المنى على الوجه الثالق.

المنى : ومثل هادى الذين كفروا وداعيهم إلى الحق . وهم لا يعقلون . كمثل الراعى الذى ينعق بماثبته ، ويصبح بها ، ليكفها عن الرعى فى مرعى وخيم يضرها . وكما أن البهائم لا تمى من الراعى إلا صوت الدعاء والنداء . دون أن تفهم غرضه وهو كفهم عن المرعى الوخيم العاقبة ، لعدم تمييزها . فكذلك هؤلاء المقلون . لم يدركوا من هاديهم وها يحيم إلى الحق ومحفرهم من الباطل سوى الدعاء و النداء ، لانهماكهم فى التقليد الذى أهلى عقولهم ، فلم تدرك ما يقول ، وكما أن البهائم وقعت فى المرعى الوخيم العاقبة _ بجيلها .. فكذلك هؤلاه ، وقعوا فى مهاوى الردى . بإعراضهم عن الهدى .

ويجوز أن يكون المراد : تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم ــ جاهلين حقيقتها الأنبعة ــ بالبهائم التي تسمع الصوت ، ولا تفهم المراد منه .

ثم ذكرت الآية أنهم (صُمَّ): لا يسمعون الدعوة إلى الحق لاتصرافهم عنه. (بُكُمُ): لا يتكلمون بالحق لجهلهم إياه (عُمُّيُ) لا يبصرون الحق لإغماضهم عيونهم عن أضوائه. (فَهُمُ لاَيَعْقِلُونَ): لا يعركون شيئاً لفقدان الحواس الثلاث التي هي أبواب العلم. وليس المراد نفي هذه الحواس والعقل حقيقة ، بل المراد: أنها لا ينتفع بها فكأنها مفقودة .

(يَتَأَيْهَا الَّذِينَ اَمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقَنْكُمْ وَاشْكُرُواْ فِيَّ إِن كُنُمُ إِلَيْهَ وَالشَّكُرُواْ فِيَ إِن كُنُمُ إِلَيَّا مَتَبُلُونَ ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَاللَّـمَ وَخُمْمَ الْمُنْتَةَ وَاللَّـمَ وَخُمْمَ الْمُنْتِةَ وَالاَعَادِ فَلاَ إِنْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِنْمَ عَلَيْهِ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْهِ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِنْمَ عَلَيْهُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلْمَ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّا اللَّهُ عَلْمُولًا عَلْمِ فَلاَ إِنْمَ عَلَيْهِ إِنَّا اللَّهُ عَفُولًا عَلِهِ فَلاَ إِنْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْهُ إِنَّا اللَّهُ عَلَيْهِ إِنَّا اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّ

الفسردات :

(مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ) : المراد من الطيبات : المستلذات ، أو الحلال من الرزق

(وَمَا أَهَا ۚ بِهِ لِنَمْرِ اللهِ) : أى وماذبح مذكورًا عليه اسم غير الله ، وأصل الإهلال : رفع الصوت عند روَّية الهلال ، ثم أطلق على رفع الصوت مطلقا ، ومنه إهلال الصبي عند الولادة .

(فَكَنِ اضْطُرَّ فَيْرَ بَاغِ) : فمن أُجيرته الضرورة على تناول شيء مما ذكر ، لإنقاذ نفسه من الهلاك ، فير ظالم لفيره .

(وَلاعَادٍ) : ولا معتد بتجاوزه مايمسك الرمق ويدفع الجوع .

التفسير

١٧٧ ــ (يَاأَيُهَا النَّدِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقَنَاكُمْ وَاشْكُرُوا فِي إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْدُونَ ﴾ .

يائيها الذين آمنوا بالله ورسوله: أَبَــ فنا لكم أن تأكلوا من المستلدات ، وأن تنتفعوا بما أطلناه لكم من أرزاقنا التي مننا بها عليكم ، وأمرناكم أن تشكروا الله على ما أنم به عليكم ، إن كنتم تخصونه بالمبادة ، ولا تشركون معه غيره فيها ، فإن منشأن المؤمن اللدى يخصى ربه بالمبادة : أن يقتصر على ما أحله له ، وألا يتوسع في تناوله ، حتى لا تَطْغَى نفسُه وتتجاوز الحلال إلى الحرام . ١٧٣ – (إِنَّمَا خَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْنَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ) الآية .

بين الله في هذه الآية : ما حرمه علينا من المطعومات. لأَسباب تقتضيها .

وأول هذه المحرمات : (الْمُنْيَـة) ، فإذا ماتت بهيمة – سواء أكانت تحل مذبوحة ، كالبقرة والشاة والطير : أم لاتحل كالخنزير – حرم أكلها ، مهما كان سبب موتها . فسواء فى التحريم : أن تموت بمرض أو بغيره .

وحكمة التحريم في الموت بالمرض : ظاهرة ، وفي الموت بسواء : الاحتياط المسلامة ؛ فإن البهمة التي تموم غريقة أو نحو ذلك . قد تكون مريضة وصاحبها لا يعلم مرضها . وإثما حلت اللباتح من الحيوانات التي يحل ذبحها ؛ لأن الدم الذي يعفر ج منها باللبح ، يحرج معه ماصي أن يكون فيها من أسباب الأمراض . فضلا عن أنه – بدفعه لا يمسيله – أمارةً على السلامة والحيوية في اللبيحة .

وفى حكم الميتة فى التحريم : مايقطع من الحيِّ من لحمه : أو أعضائه . فقد أخرج أبوداود والترمذى وحسنه ، عن أبي واقد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: و ما قُطع من البهيمة ، وهي حية فهو ميتة ،

ويستشفى من تحريم المبتة : السمك والجراد ، لما أخرجه ابن ماجه والحاكم ، من حديث ابن عمر – رضى الله عنهما – مرفوعا : وأحلت لنا ميتنان ودمان : السمك والجراد، والكبد والطحال ، وفي العرف أنه إذا قال قائل : أكل فلان الميتة ، لم يتطرق إلى الذهن السمك والجراد .

ويحل الانتفاع بجلدها بعد الدبغ . وإذا ذبحت أنثى حيوان يحل أكله وفى بطنها جنين ــ حلَّ أكله إذا وجد مينا ، لأَن ذكاة الجنين بذكاة أمه ، فإن وجد حيا ذبح ليحل أكله .

وثانى هذه للحرمات : (اللَّم) والمراد به : الدم المسفوح ، لما صرحت به آية الأَنْمام : (أَوْ دَمَّا مَسْفُوحاً) (11 . أما الدم المعقود : وهو الكبد والطحال من الحيوان المذبوح ، فيحل أكله . . .

^(1) الأتمام: ١٤٥: والمرأد منالهم المسقوح الدمالسائل، أما الدم المسقود كالكيد والطمال فهو سلال .

واستدل بالآية : على نجاسة الدم المسفوح ، ولو كان ذلك من السمك ، وإنما حرم الدم ؛ لأنه يشتمل على جرائم الأمراض ، ويتعرض للفساد بسرعة .

وثالث هذه المحرمات : (لَمْ الْخِنزِيرِ) ؛ لأنه يحمل بويضات الدودة الشريطية ، وهي أخطر أسباب الضعف وفقر الدم للإنسان ، فإنها تمتص خلاصات الأطبية التي يتناولها ، وهي على شكل شزيط طويل ، يمتد في الأمعاء . وهي شديدة النهم ، ولا تكاد تشبع . وربما كان التحريم لحكم أخرى ، لاتزال مجهولة لنا .

ورابع هذه المحرمات : (مَاأُهلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ) أَى ماذبح ، وقد ذكر عليه اسم غير الله ،
وإذا كانت المحرمات السابقة قد حرمت لخبث ذاتها ، فما ذكر اسم غير الله عليه ،
حرّم ، لخبثه معنويا : فقد ذكر عليه اسم غير خالقه المنح به عند ذبحه ، ولولا ذلك لكان
حلالا ، وسعى الذكر إهلالا : لما فيه من الإملال أى رفع الصوت ، والمراد بغير الله :
.

وذهب عطاء والحسن ومكحول والشمي ومعيد بن المسيب ، إلى تخصيص التحريم بما ذكر عليه اسم الصنم ولهذا أباحوا ذبيحة النصرائى ، إذا ذكر عليها اسم المسيح ، وقد خالقوا بذلك ظاهر النص ، وماعليه الجمهور من التحريم ، وقد شمل حكم الآية : ذبيحة الوثنى ، والمجرمى ، وكذا ذبيحة المعلل الذي لا يعتقد في الله ـ تعالى ـ فهى حرام كذبيحة من ذكراسم غير الله عليها .

(فَمَنَ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولاَ عَادٍ فَلاَ إِنْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحيمٌ ﴾ :

في هذا الجزء من الآية ، إباحة هذه المحرمات للمضطر ، وهو من أكوه على تناوقاً ليميش . والمضطر هنا ، هو الجاتع جوها مهلكا ، ولا يجد غير تلك المحرمات ، ومثله من كان في يد عنُد ً ، أكرهه على أكل لحم الخنزيز وغيره .

ومنى (غَيْر بَاغ وَلاعَادٍ) ، كما قال السدى : غير طالب لأَكلها شهوة وتللذًا ، ولاعادٍ : باستيفاء الأَكل إلى حد الشبع اه .

ومن كان في مجاعة مستمرة فله الشبع من هذه المحرمات ؛ استبقاء لنفسه .

وعند الشافعي وأبي حنيفة : أن المضطر لايناًكل من الميتة إلا قدر مايمسك رمقه ؛ لأن الإباحة للاضطرار .

وذهب مالك : إلى أنه يأكل منها حتى يشيع ويتزود ، فإن وجد غيرها طرحها . والكلام مبسوط في المطولات .

وقد استفيد من الآية : أنه لا إنم على المضطر فى الأكل مما ذكر فى الآية . أما وجوب الأكل منها لخفظ حياته فلا يؤخذ منها ، بل من قوله تعالى : ووَلاَ تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التُهاكُذِ و (1 .

وليس المراد من الآية حصر التحريم فيا ذكر ، فإن المحرمات أوسع مشها ، ولكن الهقصود ردُّ اعتقاد المشركين أن الأكل منها حلال .

وختم الآية بقوله : (إنَّ اللهُ غَفُرُرُ رَّحِيمٌ) : للإِيذَان بأَن الحرمة باقية ، إلا أنه تعالى ، أسقط الإثم عن المفسطر وغفر له ؛ لانسطراره .

الفيردات :

(وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً) : ويأْخلون بدله عوضاً قليلاً .

⁽١) الِقَرَةَ : ١٩٥ .

(مَا يَشُكُمُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) : أَى مايأُكلون من الطعام المشترى بهذا العوض
 إلا ما يؤدى بهم إلى النار .

(وَلاَ يُزُكِّيهِمْ) : ولا يطهرهم من دنس الذنوب .

(اشْتَرَوا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) : باعوا الهدى بالضلالة ، وجعلوها مكانه .

التفسير

١٧٤ – (إنَّ النَّبِينَ يَكُتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِيَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنَا قَلِيلاً أُولَلِكَ مَاتِهُ كُلُونَ فِي بَعُلُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلَّمُهُمُ اللهُ يَوْمُ الْقِيَاتَةِ وَلَا يُرْكِّهِمْ وَلَهُمْ عَلَابُ أَلِيمٌ .)

نزلت هذه الآية _ كما روى عن ابن عباس _ فى علماء اليهود. كانوا يصيبون من سفلتهم هدايا ، وكانوا يرجون أن يكون النبى الموعود منهم . فلمابحث من غيرهم ، كتموا، وغيروا صفته _ صلى الله عليه وسلم _ فى كتابهم ، خشية أن يتبع ، فنزول رياستهم ، وتنقطع هدايامم .

وإطلاق النار على الرشوة ، لأنها تؤدى بهم إليها .

أونزلت فيهم ، لأنهم كتموا من الكتاب أحكام المحللات والمحرمات من الأطعمة ، كما أشارت إليه الآية السابقة .

والآية _ وإن نزلت فيهم _ فهى عامة فى كل من يكتم شيئًا من كتب الله التي أنزلها عَل رسله ، ولايبين أحكام الله لعباده لقاء عرض من أعراض الدنيا الفانية .

والمنى: إن الذين يخفون ما أنزل الله فى كتابه من الأحكام ، فى مقابل عرض قليل من أعراض الدنيا – وكل عرضها قليل وإن كان كثيرا – هوُّلاه مايَـاكلون فى بطوتهم من هذا العرض الدنيوى إلا مايوَدى جم إلى النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام رحمة ، وإن كان يكلمهم بلسان ملاكته كلام مخط ووإن كان يكلمهم بلسان ملاكته كلام مخط ووإن كان يكلمهم بلسان ملاكته كلام مخط ووإن

(وَلاَ يُزَكِّيهِمْ) : أي ولا يطهرهم من دنس الذنوب .

(وَلَهُمْ عَلَابٌ أَلِيمٌ) : أَى ولهم عللهِ مؤلم ، بسبب كتمانهم الحق عن عباد الله .

١٧٥ – (أُولَكِكَ اللَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّالاَلَةَ بِالْهَدَى وَالْنَدَابَ بِالْمَنْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَكُمْ عَلَى النَّادِ)
 النَّادِ)

المغى : أولئك المستحقون لهذا العلاب الأليم ، هم الذين استبدلوا فى الدنيا الفعلالة التي ارتضوها لأتفسهم ، بالهدى الذى رفضوه ، وكتموه عن غيرهم ، واستبدلوا فى الأبحرة العذاب بالمنظرة ، فأى شيء أصبرهم على النار ، مع أنها لا يمكن الصبر عليها .

و (مَا) في قوله تعالى : (فَمَا أَصْبَرَكُمْ عَلَى النَّارِ) : استفهامية ، لفرض التعجيب ، كما قال الفراء

١٧٦ - (ذَلكَ بأَدُّ اللهُ نَزْلُ الكِتَابُ بالْحَقُّ وَإِذَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَنِي يقققٍ بَصِدٍ) .

قَلِكَ الذَّى تقدم من الجزاء الشديد المترتب على الكتمان ، حاصل بسبب أن الله نول القرآن بالحق ، فلايصح أن يكتم أمره وأمر من جاء به ، ولا أن يُفتَّرَى عليه ، وإن اللَّين اختلفوا في شأتُه لني خلاف بعيد عن الحق ، موجب لأشد العذاب ؛ فإن منهم من يقول : هو سحر ، ومنهم من يقول : هو شعر ، ومنهم من يقول : أساطير الأولين . ومنهم من يقول : المتراه على الله كذبا ، أم به جِنة ، ومنهم من يقول : إنما يملمه بشر .

ويرى بعض الفسرين : أن المراد من الكتاب : جنس الكتب التي أنزلها الله ، وأن الهني : ذلك العلماب بسبب أن الله نزل كتبه بالحق ، فلا جرم أن يعذب من بكتمها ، لُو يكلّبها .

وإن اللين اعطفوا في كتب الله ، بأن آمنوا ببعضها ، وكفروا بالبعض الآخر ، وأساعوا تأويل بعشها ، وكتموا بعشها الآخر – إن هؤلاء – تني خلاف بعيد عن العق والصواب ، مستوجب لأشد العذاب . (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُواْ وُجُوهَكُمْ مِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ عَامَنَ بِاللهِ وَالْبَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلْتَهِكَةِ وَالْكِتَنِي وَالنَّبِيْنَ وَعَالَى الْمَالَ عَلَى حُبِيهِ ذَوِى الْفُرِقِي وَالْمَلْوَةَ وَعَالَى الزَّكُوةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْرِهِمْ وَالشَّالِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَالَى الزَّكُوةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْرِهِمْ إِذَا عَنهُدُواً وَالشَّيْرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالفَّرَاء وَجِنَ الْبَأْسِ أَوْلَلْبِكَ اللَّهِينَ صَدَّقُواً وَالْمَلِكِ مُمُ الْمُتَقُونَ ﴿ ﴿) .

لقبردات :

(الْبِرّ) : اسم جامع لكل أعمال الخير .

(الْبَأْسَاء) : للشقة ، أو الفقر ، أو الداهية .

(الفَّرَّاء) : كل ضرر يصيب الإنسان ، فيؤَّله إيلاما شديدًا ، مثل : المرض . أو بد عزيز .

(وَحينَ الْبَأْسُ) : وحين جهاد الأعداء .

التفسير

١٧٧ - (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُّوا وُجُوهَكُمُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) الآية .

بعد أن أوضحت الآيتان السابقتان : أن من الناس طائفة يشترون الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمنفرة ، ومنهم من يختلفون فى فهم الكتاب ، ويقعون فى شقاق بعيد أوضحت هذه الآية وجوه البر ، توضيحا دقيقاً ، لايقع بسبيه فيها لبس أو خلاف .

والخطاب لأهل الكتاب ، فياتهم كانوا أكثرُوا الْمَوْض فى أمر القبلة ، حين حُوَّات إلى الكعبة ، فقال الله لهم ما معناه : ليس البر فى أن تولوا وجوهكم ، فى أية ناحية من نواحى الأرض حَمَّى يكون ذلك موضع اهيّامكم ، ومثار فتنتكم للمؤمنين بغير حق . ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمنَ مِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكَتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ :

يعنى : ولكن البر الذى يحق الاهمام بشأته ، والجد فى تحصيله ، هو فى : إيمان مَن آمن بالله وجده ، إيماناً بريئاً من شائبة الشرك ، لا إيمان اليهود الذين أشركوا بقولهم : عزير ابن الله ، ولا إيمان النصارى اللين أشركوا بقولهم: المسيح ابن الله ، لأن نسبة ابن إليه – تعالى – نوع من الإشراك يه .

والبر المحقيق أيضًا ف : تصليق من صدق بالله واليوم الآخر ، وما فيه من جزاء كل امرعه على حسب صله ، إن خيراً فخير ، وإن شرا فشر ، وأن المشركين هم أصحاب النار خالدين فيها أيدا ، لا كما زم اليهود : أن النار ان تمسّهم إلا أياما معدودات . وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم . فهم خالدون في جهنم ، لا يبرحونها ، لشركهم بألله ، وكذا النصارى ، فهم على شاكلهم .

وقى : إنحان من آمن بالملاتكة ، وأنهم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم . ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم سفراء الله إلى أنبيائه ورسله ، وأن حبهم جميمًا واجب ، وأن عداوتهم أو عداوة بعضهم كفر ، كما حدث من البهود لجبريل ــ عليه السلام ــ .

وقى : إمّان من آمن بالكتب الساوية كلها ، فلا يقولون : نؤْمن ببمض ونكفر ببعض ، كما قعل اليهود والنصارى ، إذ كفرواجميعاً بالفرآن ، وكفر اليهود بالإنجيل .

وف: تصليق من آمن بالنبيين جميمًا ، دون تفرقة بين أحد منهم ، لا كما فعل أهل الكتليين ، بالنسبة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وكمافعل اليهود بالنسبة إلى عيمى - عليه السلام -..

﴿ وَآنَى الْمَالَ عَلَى جُبِّه ذَوى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السّبيل وَالسّائلينَ
 وفي الزّقاب) ,

وقى : تَصَدُّقَ من أُعطى المال الذي يحبه ، ذوى قرابته ، فالإنفاق عليهم من أكرم الأموال : يضاعف ثواب الصدقات .

روى النسائى وغيره، عن النبى – صلى الله عليه وسلم .. قوله: ﴿ إِنَّ الصَّدَّةُ عَلَى السَّمِينُ صَلَّةً ۚ وَعَلَ المُسكين صَّفَةً ، وعِلَى الرَّحِمِ اثْنَتَانَ : صَدَّةً وصَلَّةً » . وقى حديث آخر : رواه الطبراق ، عن النبي ... صلى الله عليه وسلم .. : « إن ال**صدة:** على ذى قرابة يضعف أجرها مرتين » .

ويلى ذوى القربى فى الإحسان : «اليتاى » فالبرّ بهم عطف عليهم ورعاية لمهم . وهم أولى بالعطف والرعاية عوضًا عما فقدواً من الآباء . وقد أعظم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فضل كافل اليتم ، فقال : « أنا وكافل اليتم فى الجنة هكذا وأشار بسيابته والوسطى «⁽¹⁾

وقد عنى الإسلام بالحض على وعلية الأيتام ؛ ليكونوا .. في مستقبلهم - نافعين لأنفسهم وأسهم . بدل أن يهملوا ، فينشأوا وفي أنفسهم عُقَدُّ نفسية ، فيكون منهم : اللسوس وقطاع الطريق ، والفاسدون والفسدون ، ولذلك يقول الله تعالى : و وَيَسْأَلُونَكُ عَن الْبَتَاكِي قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِعُوهُمْ فَإِنْوَانُكُمْ واللهُ يَعْلَمُ المُفْسَدَ مَنَ النُصْلِح ، " . الشَّعْلِح ، " . النُسَلِح ، " . النَّهُ اللهُ الل

ثم يلى ذلك ه البر بالمساكين ، وهم : الذين لا يجدون ما يحفظ حياتهم إلا بشتى الأنفس . ومن كان عمله لا ينى بحاجته فهو مسكين . قال تمالى : « أما السفيينَةُ فَكَانَتُ لَعَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فَى الْبَحْرِ هِ " " .

وفى الصحيحين ، عن رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ أنه قال : وليس المسكون سلما الطوَّاف الذى ترده التمرة والتمرتان ، واللقمة واللقمتان ، ولكنَّ المسكين الذى لاَ يجد غُنَّى يُعْنِهِ ، ولا يُفْطَرُ له فَيُتَصَدِّقُ عليه » .

ثم يلى ذلك في العطاء : وأبناء السبيل ، ، وابن السبيل هو المسافر إلى بلد المتصدق ، أو المارّ به ، أطلق عليه هذا الاسم ه لملازمته له حين التصدق عليه . ولا يدفع له من الزكاة ، حتى يدعى أنه لا مال معه وأنه محتاج . ويقدح في حاجته قدرته على الكسب ويشترط في المتحقاته : أن يكون سفره مباحا . ويعطى ولو كان له مال في بلده يصعب حصوله عليه وهو مغترب . ويمكن معرفة أحكام ابن السبيل تفصيلا من كتب الفقه .

ثم يلى ذلك إعطاء السائلين . وهم الذين يسألون الناس . والسائل ينبغى إعطاؤُه إلا إذا تحققت أنه غير محتاج

⁽۱) رواه البخاری وغیره . (۲) البقرة : ۲۲۰ .

⁽٢) الىكىت : ٧٩.

ثم يلى مؤلاه فى العظاه، تحرير الأرقاه فقد شرعه الله .. تمالى .. للمسلمين ، لينقلوا إمحوائهم فى الآدبية ، من العبودية التى استحدثها الناس فيهم ، مع أنه .. تمالى .. خلق الناس أحراوا .

وأوجب سبحانه لتحرير الأرقاء نصيبا في مصارف الزكاة .

شم أتبع ذلك ألوانا أخرى من البر ، فقال :

(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ : أَى وفي أَداء الصلوات بـأَركانها وشروطها .

(وَآتَنَى الزُّكَاةَ) : أَى وَقُ إِعطَاءِ الزِّكَاةِ الْفُرُوضَةِ لَمُستحقيها .

أمًّا ما مرَّ من إيتاء المال على حبه ، فالمقصود منه : التنفل بالصدقات . قُدُّم على الفريضة ، مبالغة في الحث عليه .

أَو المراد بهِما المفروضة : الأَول : لبيان المصارف ، والثناني : لبيان وجوب الأَداء .

(وَالْمُوفُونَ بِمَهِّلهم إذا عَامَلُوا) :

أَى : والبر فى الموقين بعهدهم ، إذا عاهدوا سواهم، فمن أَبرز أَنواع البر : الوفاء بالمهود ، قال تعلق : « وَأَوْفُوا بالْقَهِدُ إِنَّ النَّهِدُ كَانَ مَسْتُدِلًا * (17) .

ودى البخارى ، أنه - عليه الصلاة والسلام - قال : و آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كلب ، وإذا وحد أخلف ، وإذا الوُتمن خان ، . والمهد يكون بين العبد وربه ، كما يكون بين للوُّمن وجماحة للوَّمنين ، وبين المسلمين ومواهم .

والمجتمع الفاضل للتماسك: هو الذي يسوده الوفاة بالوعد والمهد. أما المجتمع الذي يفشو فيه الغدر والخيانة والفش والخداع ، فماله التفكك والانحلال .

⁽١) الادراد: ٣٤ . (٢) الإسراد: ٣٤

وقد ضرب النبى - صلى الله عليه وسلم - أروع مثل ، فى صلح الحديبية ، فى الوفاء بالمهد ، على الرغم مما كان فيه من إجحاف بالمسلمين ، فعوضه الله بسبب هذا الوفاء ، وأثاره فتحا مبينا .

(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالفَّمَّاءِ وَحِبنَ الْبَأْسِ ﴾ .

البَّأَسَّاءُ اللهُ و والشَّدة . وَالفَّرَّاءُ الرض والشيخوخة ونحو ذلك ، والبأس : الجهاد في صبيل الله ، أطال عليه ذلك . لما قيه من البأس أي الشدة .

وقد أفاد مذا النص : أن الصبر في البأساء والفسراء وحين الجهاد ، من خلال البر . والصبر : صفة في النفس خلال البر والصبر : صفة في النفس خلفية أو مكتمبة بالرياضة - تبعث على تحمل المشاق والمتاعب ، رجاة الفرج من الله تعالى . وهو أساس الفضائل ، إذ يعين على أداء الواجب للخالق والمخلوق ، وعلى قمع الشهوات ، واحدمال النكبات ، ووأد الفتن ، وعلى مشاق الجهاد .

ولهذا ورد فى الآية منصوبا على اللئاح ، بتقدير فعل مناسب ، نحو وأمدح الصابرين فى البأساء ... النغ .

(أُولْئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولْئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ) :

هوُّلاء الذين اجتمعت فيهم صفات البر كلها ، كما ذكرتُها الآية الكريّة ، هم الدين صدقوا فى الدين ، واتباع الحق ، وتحرى البر ، وأولئك هم الذين اتقوا الكفر ، وسائر الرذائل ، دون سواهم ، ممن كانوا ينازعون فى أمر القبلة ، ومن على شاكلتهم .

والصدق هنا : هو الإخلاص . ويطلب في العبادات والمعاملات .

والتقوى : المراد بها الخوف من الله ــ تعالى ــ فإذا امتلاً بها قلب العبد ، أمحلص لربه فى السر والعلن ، والنفس والرضا ، والحب والبنفس ، واليسر والعسر .

ونلاحظ : أن هذه الآية الكربمة _ على إيجازها _ صورت جميع مكارم الأخلاق . فقد جمعت بين الإيمان والعمل ، وبين حقوق الله وحقوق العباد ، وبين جهاد التفوس وجهاد الأعداء ، وبين صلاح الأفراد والجماعات . (يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَنَلُّ الْخُرُ بِالْحُرِّ وَالْعَبُدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنِي بِالْأَنِيَّ فِلَانَّيَّ فَمَنْ عُفِي لَهُ مِنْ أَحِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُونِ وَأَدَاءً إِلَيْهِ بِإِحْسَنِ ۚ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِن دَّبِكُمْ وَرَحَمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعَدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ, عَذَابُ أَلِيْمٌ ﴿) .

الفسردات :

(الْقِصَاصُ) : توقيم العقوبة على الجافى عثل جنايته .

(عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءَ) : أَى ترك له القصاص في مقابل اللهة .

التفسير

١٧٨ –(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْفَتَلَى الْخُرُّ بِالْحَرِّ وَالْمَبْدُ بالنَّبْذِ وَالْأَنْفَى بِالْأَنْفَى . . .) الآية .

ستجد فى هذه الآية ، وما يليها حتى آخر السورة . أحكاما شرعية . ينبنى عليها أمر المعاش والمعاد ، وهى تحتير نصف السورة تقريبا . وقد وصفت الآية السابقة الأَيرار : بالأَوصاف الكريمة التى بها صلاح الأُمم .

غير أن المجمعات لا تخلو من منحرفين ضالين ، لأن المدراع بين الحق والباطل من سنة الحياة . والله ـ يقول : « وَكَلِيلٌ مَّنْ صِالِحِي الشَّكُورُ اللَّ ، فكان من الحكمة تأديبهم والقصاص منهم ، فنزلت الآية لتنظيم القصاص ، وعلم الملو أو القصور فيه ، والقضاء على ما كان عليه العرب من المغالاة فيه ، بقتل الحر بالعبد ، والرجل بالمرأة ، والجماعة بالواحد ، والعظيم بالحقير ، فهم يتركون الفائل ويقتلون أعر منه . كما نزلت لتشريع الدية والفو عن القصاص .

⁽١) سبأ:١٢ .

وكان فى شريمة اليهود القصاص ، ولم يكن لديهم العفو إلى الدية ، فكان تشريعها فى الإسلام فيه رفق بالمجتمع ، وتهيئة فرصة النوبة للجانى ، والتسامح والتصالح مع أُسرة المجنى عليه ، وذلك يودّى إلى حقن الدماء ، وعدم معاودة القتل بين الأُسر .

روى البخارى عن ابن عباس ، قال : « كان فى بنى إسرائيل القيصاص ، ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله _ نمالى _ لهذه الأُمة : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فى الْفَتْلَ الْحُرُّ بِالْحُرُّ وَالْتَبْدُ بِالْدُبُدِ وَالْأَنْنَى بِالْأَنْنَى فَمَنْ عُفِى لَهُ مِنْ أَخِيدٍ شَىءً) فالعفو أن يقبل اللهة فى العمد » .

(فَاتَّبَاءٌ بِالْمَنْرُوف وَآدَاءُ إِلَيْه بِإِحْسَان) : أَى فعلى أَهل القتيل أَن يطالبوا القاتل بدية المقتول ، بِالمروفِ من غير تعنيف ، وعلى المغو عنه أَن يوَّدى الدية إلى أَهل القتيل بإحسان ، من غير مماطلة وبخس .

(ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَبُّكُمْ وَرَحْمَة) : حيث عدل عن القصاص إلى الدية .

(فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذٰلكَ ، فَلَهُ عَلَابً أَلِيمٌ) : أَى فمن قتل بعد قبول اللهة أو بعد المفو ، أو قتل غذاب ألم يقبل العفو عنه إلى اللهة ، فله عذاب ألم في الآخرة . .

وذكرت الآية الكريمة حكم القصاص فى النوع الواحد ، ولم تتعرض لحكم ما إذا اختلف القائل والقتيل نوعا ، كما إذا قتل حر عبداً ، أو رجل امرأة ؛ أو العكس .

والأَحناف يرون أن النفس بالنفس مطلقا ، ويشاركهم فى ذلك : داود والكوفيون وغيرهم؛ لهذه الآية ؛ ولقوله تعالى :

و وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْمَيْنَ بِالْمَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَثْفَرِ وَالْأَنْفَ بِالْأَثْفَرِ وَالْأَنْفَ بِالْأَثْفِر وَالْأَنْفَ وَاللَّمْنَ وَاللَّمْنَ وَاللَّمْرَ مِن قبلنا يجب العمل به إذا لم يرد فى شرعنا ما ينسخه ؛ ولأن القصاص يعتمد المساواة فى العصمة ، وهي بالدين أو بالدار ، وهما سواء فيها ؛ ولقوله صلى الله عليه وصلم - : و المسلمون تشكافاً دماؤهم ... * " .

⁽١) المائدة : ١٥ . (١) رواه ابن ملجه .

وما قاله الأحناف ، من قتل الرجل بـــالمرأة ، والعكس ، إذا كان من الأحرار المسلمين ، أمر مجمع عليه ، كما قال الفرطبي .

أما قتل الحر بالعبد ، أو المسلم بالكافر فيمنعه مالك والشافعي وغيرهما .

ودليلهم في ذلك : ماروى عن على - رضى الله عنه - : « أن رجلا قتل عبده ، فجلده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونفاه سنة ، . وما روى عنه أنه قال : « من السنة ألا يقتل مسلم بذى عهد ، ولا حر بعبد » .

ومن حججهم التنويع والتقسيم في الآية ، وأنه إذا كان لا قصاص بينهما في نحو الأطراف، فكيف يقتل الحر بالعبد قصاصا ؟ إلى غير ذلك من الأدلة .

أما قتل العبد بالحر فلا خلاف فيه ، وكذا قتل الذمى بالمسلم ، أما العكس ، وهو : قتل المسلم بالذمى ، فقد قال به الكوفيون ، والثورى ، للآية التي تحن بصدد شرحها ، ولقوله تعالى :

 و كَتَبَنّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّمْسِ ، ولأن المسلم يقطع إذا سرق مال الذي .
 وهذا يدل على أن ماله قد ساوى مال المسلم ، فدل ذلك على مساواة دمه لدمه ، إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه ، إلى غير ذلك .

والجمهور : على أنه لايقتل مسلم بكافر ، لقوله ــ صلى الله عليه وسلم -- : « لايقتل مسلم بكافر » . أخرجه البخارى عن على .

ومن أراد التعمق في بحث الموضوع . فليرجع إلى المطولات في الفقه والتفسير .

واستثنى جمهور الفقهاء ، من وجوب القصاص : الأب إذا قتل ابنه ، لأن الابن قطعة من أبيه ، فالخسارة واقعة طيه .

وفى العصر الحديث: ارتفعت أصوات بعض للشرعين وعلماء النفس وعلماء الاجتاع، تنادى بإلغاء عقوبة الإعدام لفظاعتها ؛ ولأن أغلب مرتكبيها واقمون تحت تأثير أمراض نفسية ، وينادون بعلاجهم لابقتلهم ؛ ولأن القضاة بشر : يخطئون ويصيبون ، وخطوهم لايمكن إصلاحه ، في حالة الإعدام . وأخذت بعض الدول الحديثة ، بهذه المبررات ، فأَلفت عقوبة الإعدام .

ولكن أكثر العلماء ، ورجال الدين عارضوا هذا الإلفاة ؛ لأنَّه يشجع على سفك الدماء ، والاستهانة بالأرواح ، إذ الهدف من العقوبة هو الردع .

وذهب بعض علماء الاجتاع : إلى أن الإعدام أخف من السجن الموبد ، المصحوب بالأعمال الشاقة .

والقرآن الكريم فرض القصاص ، ولكنه فتح أبوابا للرحمة ، أهمها :

الفتل الخطأ : لا قصاص فيه . وعقوبته تحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أله ، إلا أن يتصفوا ، بتنازلهم عنها .

وللحاكم أن يضيف إلى هذا ، عقوبة التعزير .

٢ ـ لأولياء الفتيل حق العفو عن القصاص في القتل العمد ، مقابل الدية ، ولهم - أيضًا -- حق التنازل عنها ، لأنهم هم الذين وقع عليهم الفور .

٣-إذا عفا البعض من أولياء القتيل ، وخالف البعض الآخر ، سقط القصاص ،
 وعاد الأمر إلى الدية أو الإحسان بالمفو .

٤ - أرجاً الإسلام تنفيذ القصاص فى الحامل ، حتى تضع حملها ، إنقاذا للجنين ،
 ورجاة لمفور أولياء اللم ، أو قبولهم الذية .

َ ع ـ حبب الإسلام فى العفو حيث قال تعالى : (فَمَنْ عُلِيَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءَ فَاتَّبَاعُ بِالْمَثْرُونِ ، وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِخْسَانَ) وسيأتى شرحه . وقال : ووَلَيْتَفُوا وَلَيْصْفُحُوا أَلا تُحيِّونَ أَنْ يَغْمِرُ اللهُ لَكُمْ ⁽¹⁾ ...

مذا ، وقد قرر الفقهاء : أن الجانى إذا كان معروفا بالشز ، أو ظهر للإمام أن المصلحة العامة تقتضى عقابه ، فعليه أن يعاقبه العقوبة المشروعة ، ولا يحفو عنه ، صيانة للمجتمع من شره .

⁽١) الترد : ٢٢

(فَمَنْ عُنِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ مَى \$) المراد من أخيه : ولى الدم ، أى فالجافى الذى عُنِي له من ولى اللهم شيء من العَفو ، ولو أقل قلبل ، كأن يعفو بعض الورثة ، عن حقهم فى القصاص ، فإن ذلك يسقط القصاص ، كالعفو النام ، وسهاه ، أخاه ، استعطافا ، بتذكير أخوة الدين .

(قَاتَبًاعٌ بِوَلْمَعُوْفٍ) : أَى فليطالب الناقى بالنية ، بالمعروف من غير تعنيف ولاإيذاء . (وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِهِخْسَانَ) : يعنى : وليؤد الجانى الدية إلى ولى الدم بهاحسان من غير مماطلة ومن أراد معرفة أحكام القصاص والدية فى حق المسلمين وغيرهم . فلبرجع إلى كتب الفقه .

(ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَبُّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ :

قتح الله بابًا للرحمة والتخفيف وحقن الدماء ، بإجازته أخذ الدبة . وتوعُدِو من يعتدى بعد ذلك ــ أى بعد أخذ اللعية ، بأن يقتص من الجانى ، أو يقتل غيره ــ بالعذاب الألم ، لأنه غاش ومخادم .

والمراد بالعذاب الأليم : العقاب في الدنيا بالقصاص ، وفي الآخرة بالنار.

وقال أبو الحسن : عذابه أن يرد اللية فقط ، ويبنى عذابه في الآخرة .

وقال عمر بن عبد العزيز : أمره إلى الإمام ، يصنع فيه ما يرى .

وقيل غير ذلك .

ووجه التخفيف بأخد اللمية : أن أهل التوراة ، كان لهم القتل ، ولم يكن لهم غير ذلك ، وأهل الإنجيل كان لهم العفر ، ولم يكن لهم قَود ولادية ، فجمل الله ــ تعالى ــ ذلك تخفيفًا لهذه الأمة ، فمن شاء قتل ، ومن شاء أخذ اللية ، ومن شاء عفا . قاله القرطي .

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَبَلَةٌ يَتَأُونِ الْأَلْبَلِ لَعَلَّكُمْ تَتَفُونَ ﴿

الغبردات :

(الْأَلْبَابِ) : جمع لب ، وهو : العقل .

التفسير

١٧٩ ــ (وَلَكُمْ ۚ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً يَا أُولِي الْأَلْبَابِ . . .) الآية .

هذه الآية تعليل لإيجاب القصاص الذى مر بيانه فى الآية السابقة، وتوضيع لمحاسنه على وجه بديع ، حيث جعل الشيء سببًا في ضده .

فقد ذكرت فى إيجاز معجز ، الهدف من القصاص ، وهو حياة المجتمع فى أمن وسلام ، ولهذا خاطبت أولى الألباب ، أى : أصحاب العقول الخاصة من العلماء والأذكياء .

فإذا إنحرف بعض الأفراد ، اقتضت المصلحة العامة للجميع . استئصال المنحرف ، مخلفظة على سلامة غيره فالقصاص من الجناة حياة آمنة للأمة . وإلى هذا أشارت الآية الكريمة:

و مَنْ فَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا فَتَلَ النَّاسَ جَبِيمًا وَمَنْ أَخْيَاهًا فَكَأَنَّهَا أَخْبًا النَاسَ جَمْيِهَا 110° .

فالأَصل : هو القصاص . أما العدول عنه إلى قبول الديات أو العفو ، فمتروك لأولياء الدم .

وقد عنى علماءُ البلاغة والمنسرون بالوازنة بين التعبير القرآني: • ولكم في القصاص حياة ، ، وبين الحكمة العربية : • القتل أنني للقتل ، .

وأورد السيوطى فى كتابه : والإنقان ، عشرين وجها ، لتفضيل العبارة القرآنية . ومن أَبرز وجوه امتيازها على العبارة العربية : أنها واضحة الهدف وهوالحياة للأمة ، وأن الفتل فيها للقصاص .

^{. 77 : 24}U (1)

أما العبارة العربية : فليست كذلك ، كما أن القصاص قد يكون بغير قتل ، وذلك عند إصابة بعض الأعضاء . وليس في العبارة العربية تعرض له .

وسبب الحياة بالقصاص : أن من يفكر فى القتل ، ويعلم أنه سيقتص منه إذا قتل ، يمتنع عن القتل ، فيتسبب ذلك الامتناع فى حياة نفسه ، وحياة من يريد قتله ، فإذا عم هذا التفكير بين الناس ، ساد فيهم الأمن والسلام ، وتوفرت لهم الحياة ، كما أتهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد ، فإذا اقتص من القاتل وحده سلم الباقون ، فيكون ذلك سبأ لحياتهم .

(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَراً حَدَّكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّوْلِيَّةُ الْمُوسِيَّةُ لِلَّوْلِيَّةِ مِن وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَ الْمُقْفِينَ ﴿).

التفسير

١٨٠_ (كُتِب عَلَيْكُمْ إِذَا حَفَرَ أَحَدَ كُم الْمُوْتُ إِن نَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلوَالِّدَ يُن والْتُمْرِينَ بالمُرُونِ ...) الآية .

بعد أن تناولت الآبة السابقة حقوق أولياء اللم فى القصاص أو اللبية أو الصفو ، تناولت : هذه الآبة حقوق بعض أولياء الميت فيا ترك من خير وهم : الوالدان والأقربون ، فذكرت : أَن مَنْ تَوقَعُ النهاية ، فعليه أن يوصى بتركته لوالديه وبقية أقاربه ، بما يعرف العقلاء حسنه فلا يحرم بعضهم بدون حتى .

وجمهور المفسرين القدماء ــ وفى مقدمتهم ابن عباس وابن عمر ــ على أن هذه الآية منسوخة بآيات الميراث فى سورة النساء . وسندهم فى ذلك : أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم-خطبهم على راحلته فقال : « إن الله قد قسم لكل إنسان نصيبه من الميراث ، فلا تجوز لوارث وصية ٤ . أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وصححه ، والنسأق وابن ماجه . وكذلك ما أخرجه الإمام أحمد والبيهتى فى سنته عن ألى أمامة الباهل . سمعت رسول الله ــ سلم الله عليه وسلم .. في حجة الوداع في خطبته ، يقول : « إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث . .

فهذا الحديث وذاك ، أفهما أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ــ أخيرهم أن آية المواريث نسخت وجوب الوصية للوالدين والأقربين ، المأخوذ من هذه الآية .

والقائلون بنسخ وجوب الوصية اختلفوا :

فمنهم من قصر النسخ على اللبين يرثون ، وأبنى وجوبها فيمن لا يوثون ، كأن يكون الوالشان أو الأقارب كافرين ، أو يكونوا مؤمنين ، ولكنهم حجبوا من الميراث ، كابن الأخ الذى حرم بـأخ ، وكلوى الأرحام .

فالوصية واجبة لهو ّلاء وأشالهم عند بعض من قال بالنسخ . وممن قال بلدلك : ابن عباس وعلى – رضى الله عنهما – روى عن على أنه قال : من لم يوص عند موته للوى قوايته ممن لايرث ، فقد ختم عمله بمصية .

ومنهم من قال : إن الوجوب نسخ فى حق الجميع ، ولكنها مستحبة فى حق اللين لايرثون ، وإلى هذا الرأى ذهب الأكثرون.

وقيل إن هذه الآية لم تنسخ بآيات المواريث ، بل حدد بها ما كان الموصى حواً فى تحديده بمقتضى هذه الآية . فقد رأى المحكم - سبحانه - أنه قد الايحسن التلجير فى مقدار ما يوصى به لكل واحد من أقاربه ، والايعرف من هو أولى بالوصية من مواه ، وقد يقصد المضارة . فتولت حكمته تعالى بيان ذلك الحق ، عا أنزله من آيات المواريث متفقاً مع المحكمة والمصلحة ، حيث حصر الأنصباء فى النصف والربع والثمن ، والثلث والسلس وعين أصحابا ، وما فضل - بعد أصحاب الفروض - أعطاه الأولى الذكور المصبات ، وبين قتحول التقسيم بآيات المواريث من الموصى - كما كان شاتما - إلى الحل سبحانه وتمالى ، فقال فى سورة النساء : و بُوصِيحُ الله في فورث من . . . "أنه الفي أي موصلكم فى ورثبكم -

⁽١) الشاء ١١ ،

وقد عجزتم عن تحقيق المصلحة بينهم بأنفسكم - بأن يكون تقسيم أموالكم بينهم على النحو المبين في الآية ، وذلك كمن أمر غيره بإعناق عبده ، ثم أعتقه هو بنفسه .

ومن أراد المزيد من تحقيق الموضوع ، فليرجع إلى الموسوعات فى تفسير قلك الآية الكريمة : (حَمَّا عَلَى الْمَتَّقِينَ) أَى هذه الوصية : جعلها الله حمّا ، يلتزم به من اتنى الله وراعاه .

(فَمَنُ بَدَّلُهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدَّلُونَهُ وَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدَّلُونَهُ وَإِنَّا اللهُ سَمِيعُ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِن مُوصِ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَنِينَهُمْ فَلَا إِنْمُ عَلِيمٌ إِنَّ اللهُ غَفُورٌ رَحِمٌ ﴿) .

الفسر دات :

(إِنْهُ) : الإِنْم : أرتكاب ذنب .

(خَافَ) : الخوف هنا بمثى العلم .

(جَنَّهَا) : الْجَنفَ : الجور والميل عن الحق .

التفسير

١٨١ - (فَمَنْ بَدُّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِنْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ . . .) الآية .

هلما تحلير من الله ، لن يهلمل وصية الميت من الأوصياه والشهود، بعد ما تأكد من صدورها عنه ، وإنذار له بأنه آثم مرتكب لكبيرة من الكبائر . ومن كان كذلك . عوقب عقاب كبائراللمنوب؛ لأنه أعان على قيام باطل ، بدلاً من الإعانة على تنفيذ حق شرعه الله .

وتبديل الوصية : يكون بإنكارها ، أو بالنقص فيها ، أو بتغيير صفتها ، أو بغير ذلك .

(إن الله َ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فبسمع أقوال المبدلين والموصين ، ويعلم نياتهم ، فيجازيهم على حسبها ، وفي هذا وعيد موَّكد للمبدلين ، ووعد للموصين العادلين . وامتدل بالآية : عل أن وجوب الوصية يسقط عن الموصى بنفس الوصية وأنه لا يلحقه تبعة ، إن لم يعمل جا .

١٨٢ - (فَمَنْ حَافَ مِن تُومِ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ . . .) الآبة .

والمنى : فعن علم من المسلمين جورا من موصى فى وصية ، بأن أوصى بالمال إلى زوج ا ابنته ، أو ابن ابنته - مثلا - لينصرف المال إلى ابنته ، رغبة فى حرمان وارث ، أو أوصى لبعيد وترك القريب ، فأصلح بين الموصى الهم وبين غيرهم ممن وقع الجور عليهم ، بتعديل الأنصباء التى فى الوصية ، لصالح من جار عليهم الموصى فلا إنم على هذا المصلح ، فى مخالفة الوصية ، لأنها جائرة ، ولا ينطبق عليه الإنفار الإلهى ، فى قوله تعالى : (فعرَن بَعلَكُ) ، لأنه تبديل للمصلحة ، لا تبديل للهوى .

وقيل : المراد أنه فعل الإصلاح بينهم في حياة الموصى . بأن أمر الموصى بالعدول عن جوره في وصيته ، وتحقيق العدل بينهم .

وعلى كلَّ ، فالإصلاح بينهم فرض كفاية . يأتم الجميع بتركه ، فإذا قام به أحد المسلمين ، مقط الإثم عن الباقين .

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) :

هذا تذبيل ، قصد به الوعد بثواب من أصلح على إصلاحه ، وذكر المفترة مع أن الإصلاح طاعة ، والمنفرة إنما تلبق بمن عصى ، لتقدم ذكر الإثم الذى تتعلق به المنفرة . ولذا حسن ذكرها . يعنى : أنه _ تعالى _ غفور للآثام ، فلأنْ يكون رحيًّا عن أطاعه أولى !

وقيل: المغنى : إن الله غفور للمصلح ما يفرط منه فى الإصلاح ، كأن يكذب للمصلحة. أو غفور للجور الموسى بعد ما أصلح الوصى . بين من أوصى لهم وبين غيرهم .

وقبيل : غير ڏلك .

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ طَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّ

الفيردات :

(العُمَّيَامُ) : الإمساك عن الشيء . ويقول البيضاوى : إنه الإمساك عما تشتهيه النفس .

(يُطِيقُونَهُ) : يحملونه بمشقة كبيرة . وسيأتى بيان آراء الفقهاء في ذلك .

التفسير

١٨٣ - (بِأَنْهُمُ اللَّهِنَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَبْكُمُ الصَّبَامُ كَمَا كُتبَ عَلَى اللَّهِنَ مِنْ قَبْلِكُمْ . . .) لآية

تناولت الآيات السابقة بعض الأحكام ، ولا يزال حديث الأحكام موصولا ، فقد ذكرت هذه الآية وما تلاها : كثيرًا من أحكام الصيام .

وقررت هذه الآية أن الصيام فرض على الموَّمنين ، كما كان مفروضاً في الديانات السابقة ، وإن اختلف الصيام في كل أُمة في الكيفية أو النُدة .

قال صاحب الكشاف ، فى تفسير قوله تعالى : (كَمَّا كُتِبَ عَلَى النَّدِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) : على الأنبياء والأم ، من لدن آدم إلى عهدكم .

وقال على – رضى الله عنه – : « إن الصوم عبادة قديمة ، ما أخلى الله أمَّة من افتراضها عليهم » . وإنما فرضه الله على كل أمة ؛ لما فيه من فوائد جسمية وروحية .

والحكمة في تشبيه فرضه علينا بفرضه على من كان قبلنا ، هي تعفيف مشقته على الصائمين ؛ فإنه إذا كان شريعة عامة في جميع الديانات ، كان ذلك أدعى إلى الصبر عليه ، وعلم التقصير فيه . ولأهميته جُعل الركن الرابع من أركان الإسلام ، كما في الحديث الصحيح للجمع عليه : وبنى الإسلام على خمس : شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رمول الله ، وإقام الصلاة ، وإيناه الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، وواه ابن عمر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم .

والصوم لغة : الإمساك ، ومنه الصوم عن الكلام ، كفول مريم عليها السلام : وإنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمِيْنِ صَوْمًا . فَلنْ أُكلَّمَ الْيَوْمَ إِنسِينًا ، (١) .

وشرعا : الإمساك عن الطعام والشراب ومباشرة النساء، من طلوع الفجر إلى غروب . الشمس ، مع تبييت النية .

وللصيام آثار حسنة كثيرة .

فهو يربى الوازع النفسانى ، وينمى الإرادة ، ويبعث على الخير ، ويقمع الشر ، ويعلم الشر ، ويحلم الشر ، ويحلم الصبر ، ويحقق المساواة بين الفقير ، فيعطف عليه ، ويعينه . . إلى غير ذلك من الفضائل . وله فوائد صحية عليمة ، أجمع عليها الأطباء .

(لُمَّلُّكُمُّ تَنَّقُونَ) : لعلكم بالصوم تنقون الماصى ، فإنه يذكر الصائم بخشية ربه ، ولذا حببه الرسول إلى الشباب الذين لا يجدون مثونة الزواج .

فقد جاء في الصحيحين : ويامَشَرَ الشباب من استطاع منكم الباءة فَلْيتزوَّجْ ، فإنه أغض للبصرِ ، وأخصنُ للفرجِ ، ومَن لم يستطع فعليه بِالصومِ ، فإنه له وجاءً ، (¹⁷⁾

⁽١) مريع : ٢١ .

⁽٢) أي دائع الثبوة وقم الما .

وقد بيئت السنة فضائله .

ومن ذلك : ما رواه الشيخان عن النبي - عليه الصلاة والسلام - : • من صام رمضان إيمانا واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، . ومارواه مسلم فى حديث قدسى :

8 كل عمل ابن آ دم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، إلا الصوم فإنه في ، وأنا أجزى به ي .

١٨٤ - (أَيَّامًا مُعْدُودَاتٍ . .) الآية

أى كتبه أيلما قليلة تمد .

وللراد بالأيام المعدوات : شهر رمضان ، الذي سيصرح به في الآية التالية ، وهذا هو
رأى ابن عباس ، وأكثر المحققين وأحد قول الشافعي ؛ فيكون الله قد أخبرنا ــ أولا ــ
بلّقه كتب علينا الصيام ، ثم بين علته بيانا يقصد به التخفيف ، بقوله : (أَيَّامًا
مُعْدُواتِ) ثم بينه بيانا تاما بقوله : (شَهَرٌ رَصَفانَ) ... الخ .

والتعبير عن الشهر : بلَّه أيام معدودات ، لتقليل مدته ، والتيسير على العمائمين وكلَّه .. تعالى .. يقول .. : فرضناه شهرا تُمدُّ أيامه ، ولم نفرضه أكثر من ذلك ، رحمة يكم ، وتيميرا عليكم .

وقيل : المراد بالأيام المعدودات : ثلاثة أيام من كل شهر قمرى فى وسطه ، وهى أيام الليالى البيض : الثالث عشر والتاليان له ، ونسبغ صيامها بشهر رمضان ، ونسب هذا الرأى إلى ابن عباس وجماعة .

والراجح الأول

ويمكن تحقيق دليل كلُّ في الطولات .

(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَهِدَّةً مُنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) : أَى فعن مرض منكم أو سافر فله أن يفطر ملة المرض أو السفر ، ثم يقضى أياما بعدة أيام فطره .

وتقدير المرض والسفر ، فيه خلاف بين الفقهاء .

فقد ذهب بعضهم : إلى أن أي مرض أو سفر ، يبيح الفطر .

وذهب الجمهور : إلى أن المرض البيح للفطر، هو الذى يشق احيّال الصيام معه، ولا يحتمل عادة . ومثل المرض الشديد : الخوف من استمراره ، أو زيادته أو توقع حدوثه إن صام ، بحكم عادة أو مشورة طبيب عادل . وهذا هو الراجح . وقيل : غير ذلك .

وأما السفر ، فحده بعضهم بشمانية وأربعين ميلا ، بينما نزل به البعض الآخر إلى ثلاثة أميال . وقبل : غير ذلك . ويشترطون فيه ألا يكون سقر معصية .

وعل المسلم أن يحتاط فى تقدير المرض ، فالصوم أمانة بين العبد وربه ، كما عليه أن يحتاط فى تقدير مثقة السفر ، ويخاصة فى هذا العصر الذى توافرت فيه مبل الراحة بالمواصلات السريمة . وحسبه قوله تعالى : (وَأَنْ تَصُوسُوا خَيْرٌ لُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَطْمُونَ) فينبنى له أن يصوم كلما أمكن الصوم ، وإن انطبقت عليه الرخصة .

وإذا أفطر المترخص بالسفر أو المرض ، فلا ينبغى أن يعيب عليه من صام ، مع وجود الرخصة له .

فقد روى الشبيخان عن أنس _ رضى الله عنه _ : • كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيُّ _ صلى الله عليه وسلم ـ فَلَمْ يَكِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُشْطِرِ ، وَلَا النَّمْظِرِ عَلَى الصَّائِمِ • .

(وَعَلَى الَّذِينَ بُطِيقُونَهُ فِلْبَيَّةُ طَعَامُ مِسْكِينٍ) .

يقول كثير من المنسرين : إن الصيام فى أول الإسلام كان بالحيار المقادر عليه ، لأَمم لم يكونوا معنادين الصيام قبل الإسلام ، فكان فرضه مع الإلزام فيه مشقة عليهم ، فرخص لهم الفطر مع الفدية ، وتَقدُّما طعام مسكين فى اليوم ، عن كل يوم . وقدرها أهل المراق : بنصف صاع من برُّ (أى قمح) أو صاع من غيره ، وقدرها أهل الحجاز :
د الكل يوم .

ويستدل من قال : إن الصيام أول الإسلام كان اختياريا ، وأن الآية نزلت لتسخيير من قدر عليه بين الصيام وبين الفدية المذكورة ، بما أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما ، عن

⁽١) المدينم الم : مكيال شامن وهو وطل وثلث عند أهل الحبياز ، ورطازن عند أهل العراق ، وقدوه بعض الباحين بتصف قاح مصرى .

صلمة بن الأكوع – رضى الله عنه – قال : لما نزلت الآية : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِنْبَيَّةً) كان مَنْ شاء مِنَّا صَلَمَ ، ومن شاء أفطرَ وَيَفْتَذِين – فُولِلَ ذَلِكَ – حَنَّى نَزلت الآيةُ التي بعدها فَنَسَخْنُهَا : (فَمَنْ شَهِلَدَ مِنْكُمُ الشَّهُرَ فَلْيَصُّمُهُ) .

ومن الطعاء من لم يقل بالنسخ ، ويفسر (يُطِيقُونَهُ) يمنى : يصومونه جهدم وطاقتهم ، وهذا مينى على أن الوسع هو القدرة على الشيء مع السهولة ،والطاقة هي القدرة عليه مع المشقة ، فيصير للمنى : وعلى اللين يصومونه مع الشدة والمشقة _ إن أفطروا _ فلية إلخ . ويدخل فيهم : الشيخ الضعيف والحامل والمرضم ونحوهم .

ويقول بعض أصحاب هذا الرأى : إن الهمزة فى أَضَى للسلب ، فمعنى (رَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) على هذا الرأى : وعلى اللدين تسلب طاقتهم بالصبام فلية . . . إلخ ، وذلك كما فى : قسط بمغى جار ، وأقسط بمغى صل ، وترب بمغى افتقر ، وأترب بمغى استغنى . ونحو ذلك .

(هَمَنْ تَطَوَّع خَيْراً مُهُوَّ حِيْرٌ لَّهُ). أَى فَمَن زاد على القدر المذكور فى الفدية ، أو زاد على من يلزمه إطعامه ، بأنّ أطعم مسكينين فصاعدا ، أو جمع بين الإطعام والصيام ، فهو خير له. (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لُكُمْ إِن كُتُشَمَّ تَمَامُونَ ﴾ :

الخطاب بالملك لن أبيح لهم الفطر ، على أى وجه نما سبق ، أى : وأن نصوموا خير لكم من الفطر ، إن كنم تعلمون ما فى الصوم من الفضيلة .

روى الشيخان عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : ٥ ما من عبد يصوم يوماً ، إلا ياعَدَ الله يدلك أليوم وجهه عن النار سيمين عريفاً ٤ .

وإنما يفضل الصوم الفطر ، إذا لم يتعرض به الصائم إلى الخطر ، فإن كان يغضى صومه إليه ، فالفطر واجب بالإجماع ، لقوله تعالى : وكلّ تُلقُّوا بِتَّالِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكُمْ . (''

وملحب الظاهرية : وجوب الإقطار لعلم السفر والمرض مطلقا ، وأن من صام فى سفر ، أو مرض ، لا يصح صومه وهو رأى مرجوح ، لأنّه ثبت أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أفطر فى يعض المحالات ، تشريعا لأبته .

⁽١) البترة : ١٩٥ .

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدُى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَدُتٍ

مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى مَفَرِ فَعِلَّةً مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَّيُويدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسَرَ وَلا يُرِيدُ

بِكُمُ الْعُسَرَ وَلِيَكُمُ الْمُدَّدَةُ وَلِيكَيْرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَ مَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿ إِن اللهِ الْعِدَّةُ وَلِيكَيْرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَ مَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿ إِن اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

الفسردات :

(الْفُرْقَان) : الفارق بين الحق والباطل :

(شَهِد مِنْكُمُ الشَّهْرَ) : علم به بنَّى وجه مُن وجوه العلم .

(البُسُر) : السهولة .

(الْمُسْر) : المشقة .

التفسير

١٨٥ ... (شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ...) الآية .

هذه الآية بينت أن الأيام المدودات في الآية السابقة هي شهر رمضان ، وذكرت أن الله تعالى شرف هذا الشهر بهتزال القرآن الكريم فيه ، وكان ذلك في ليلة القدر ، قال تعالى : و إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيِّلَةٍ الْقَدْرِ وَانَ أَى بدأنا إنزاله فيها . وعن ابن عباس وابن جبير والحسن ، أنه أنزل فيها إلى ساء اللنيا جملة ، ثم أنزل منجما في ثلاثة وعشوين عاما حسب الوقائع .

⁽١) سورة القدر : ١ .

(هُدَّى لِلْنَاسِ وَبَيِّنَاتَ مِّنَ الْهَلَى وَالْفَرْقَانِ) أَى : أَنْوَل اللهِ القرآن الكريم فى شهر ومضان ، هداية للنامى إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وإلى مصالح المعاش والمعاد ، وآيات واضحات من جملة الكتب الهادية إلى الحق ، الفارقة بينه وبين الباطل .

(فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصَّمُّهُ) :

أى فمن حضر منكم فى الشهر ، ولم يكن مسافرا فلْيصم فيه ، أو من علم هلال الشهر بنِّيّ وسيلة من وسائل العلم به فليصمه .

روى الشيخان عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : ٥ صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن نُمُّ عليكم فأكولوا عدة شعبان ثلاثين، .

وكانت رؤية الدين هي الوسيلة الوحيدة للعلم به في عهد الرسول ــ عليه العملاة والسلام ــ وصحابته .

وبمض الفقهاء المصريين يرى : أن روَّبة المين غير دقيقة ، وأن علم الفلك قد تقدم ، وأصبح بالإمكان تحديد الأوقات بالثانية والدقيقة عن طريقه ، وأصبح اعتمادنا في تحديد أوقات الصلوات عليه ، ويرى ارتكانا على هذا : اعتبار أول ومضان على أساس حسابه الدقيق . .

وقال بهذا الرأى حند الغيم - من القدامى - مطرف بن عبد الله، وهر من كبار التابعين، وابن قتيبة، وهو من كبار المحشين، فقد قال : « يُعُوِّلُ على الحساب عند اللمج بتقدير المنازل، واعتبار حسامها في صوم رمضان » .

وقد قرر مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية : الاعتاد على الرؤيّة فى حال الصمح ، والاعتاد على المراصد الفلكية فى حال الفيم ، إذّ الرؤية فيها رؤيّة . ومع هذا فلا يزال المسلمون يعتممون على الرؤيّة بالعين المجردة ، ومن لم ير الهلال فى دولته اعتمد على رؤيّته فى دولة مجاورة .

(وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةً مِّنَ أَيَّامٍ أَخَرَ) : بعد أن عظمت الآية شأن الصوم ، أعادت إباحة الترخيص في الإفطار ، توكيداً لأمره ، وذلك عند من يقول : إن الصوم كان واجبًا من غير تخيير ، منذ أول التكليف به ، وأما عند من يقول : إنه كان المحرم كان واجبًا من غير تخيير ، الإلزام في قوله : (فَمَن ضَهة مِنْكُمُ الشَّهُرَ قُلْيَهُسُمَّةٌ) :

فإن إعادة الترخيص بالفطر للمريض والمسافر ؛ لإفادة إباحة الفطر لهما عند الإلزام ، كما كان عند التخبير ، حتى لا يظن زوال هذا الترخيص ، بالإلزام بالصيام .

والأَّيَامِ الأُخَرُ ، تَمْ فى غير رمضان والعيدين ، ويكون صيامها بعدد أيام الفطر .

واستدل بالآیة علی جواز الفضاء متتابهاً ومتفرقا ، وأنه لیس علی الفور ، خلافا لداود ، کما استدل بها علی أن من أفطر رمضان کله ، قضی بعدد أیامه ، فلا یجزئه صیام شهر عدد تسمة وعشرون یوما ، مکان رمضان الذی کان ثلاثین یوما ، بل یزید علیه یوما .

(يُرِيدُ اللهُ بكُمُ اليُسْرَ) :

تخفيفا عنكم بهذا الترخيص. قال ثمالى :﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفُّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإنْسَانُ ضعيفًا » (1)

(وَلَا يُرِيدُ بِكُم الْمُشْرَ) : لغلية رأفته ، وسعة رحمته فلا يكلفكم ما لا تطيقون فيإنه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ تَدُسًا إِلَّا وُسُعَهَا ﴾ (٢)

(ولِنْتُكْمِلُوا الْهِلَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَطُّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

أى شرع لكم ما ذكر من الأحكام فى هذه الآية ؛ لتكملوا عدة شهر رمضان أداة أو قضاة ، فلا تنقصوا من عدته يوماً أو أكثر ؛ فإن صيامه كله مفروض عليكم ؛ ولتعظموا الله بالحمد والثناء على ما هداكم إليه ، من صيام هذا الشهر البارك ، والترخيص بالفطر حند العلم ، وطريقة قضاء العميام عند زوال العذر ، ولعلكم تشكرون الله على نعمة الصيام المشتمل على فوائد خاقية واجاعة وصحية عديدة ، وعلى نعمة الترخيص بالفطر للعذر ، وقضاء ما أفطرتموه عند زواله .

⁽۱)الساء ۲۸ .

⁽٢) القرة : ٢٨٧ . .

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّ قَرِيَّ أَجِبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانٍّ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿ ﴾ .

التفسير

١٨٦ – (وَإِذَا سَأَ لِكَ عِبَادِى ضَنَّى فَهِلَّى قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعُوَةَ النَّاعِ إِذَا دَعَانِ . . .) الآية .

ورد فى سبب نزول هذه الآية : أن أُهرابيا قال : يا رسول الله ، أقريب ربنا فنناجيه ، أَم بعيد فنناديه ؟ فسكت النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقَّزل الله ــ عز وجل ــ : (وإذًا سَأَلُكُ عِبَادِى عَنَّى ، فَإِنَّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعُودَ اللَّاعِ إِذَا دَعَانِ) .

والآية متصلة بعبادة رمضان ، إذ هو شهر صيام وقيام ، حافل بالعبادة والدعاه ، ولهذا وردت آية الدعاه بين آيات الصيام . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « الصائم لا تُرَدُّ دعوته » رواه الترمذي .

ومعنى (فَإِنَّى قَرِيبٌ) : فقل لهم : إنى ، والمراد بالقرب : الإحاطة والعلم، لا القرب المكانى .

وقد وعد الله ـ تعالى ـ في الآية أنه يجيب دعاء من دعاه ويحققه . وقيد الله إجابته بقوله : (إذَا دَعَان) للإشارة إلى أنه ـ تعالى ـ يجيبه إذا اتجه إليه وحده بالدعاء .

ولا تقتضى الآية أنه يجيب اللحاء دائما . فهي وعد بالإجابة في الجملة ؛ إذ الإجابة

تابعة لمشبئة الله – تعالى – طبقا لحكمته ، قال تعالى : ﴿ فَيَكْفِيثُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْدٍ إِنْ شَاء و (١٠).

وقد ببدّل الله للعبد خيرًا مما طلبه ، أو يدخر له دعاته فى الآخرة ، فيحط عنه من سيئاته ما شاء ، أو يوليه فضلاً منه ورحمة .

فنى الحديث الصحيح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم .. : ه ما من مسلم يدعو بدعوة ، ليس قيها إشم ، ولا قطيمة رحم ، إلا أعطاه الله _ تبارك وتمالى _ إحدى ثلاث : إما أن يمجل له فى الدنيا ، وإما أن يدخر له ، وإما أن يكف عنه السوء بمثلها . قالوا : إذن نكثر ، قال : الله أكثر ه .

رواه مالك في الموطأ ، كما رواه غيره .

والدعاء : ترجمان العبودية والخضوع والاستسلام من العبد لربه ، وإيمانه بأن الأمور كلها يِبِدَى مولاه ــ سيحانه ــ .

ولذا صح عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « الدعاءُ منح العبادة » . وللدعاء آداب هامة : ذكرها الإمام الغزالي في الجزء الأولى من الإحياء .

(فَلْيَسْتَكِيبُوا لِي) : أَى فليطلبوا إجابتي بالدعاء ، لأَن السين والتاء للطلب ؛ أو فليجيبوني إذا دعوتهم للإيمان والطاعة ، كما أَنى أُجيبهم إذا دعوق لحاجاتهم .

واستجاب وأجاب بمعنى واحد ، غير أن الاستجابة أقوى .

(وَلَيُوْمِنُوا بِي) : أَى وليدوموا على الإيمان بي .

(لَملُّهُمْ يَرْشُلُونَ) : أَى ليهتدوا إلى مصالح دنياهم وأُحراهم .

وقد عقبت أحكام الصيام المذكورة بقوله : (وإذَا سَأَلَك عِبادِي عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ...) الآية ، للإيذان بأنّه تعالى خبير بأفعالهم ، سبيع لأقوالهم ، مجازيهم على أعمالهم ، تأكيداً لتلك الأحكام ، وحثاً عليها .

⁽١) الأتمام : ٤١ .

(أُحلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَ إِلَى نِسَا مِكُمَّ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنَّمُ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنَّمُ لِبَاسٌ لَكُمْ وَعَنَا اللهِ لَا لَمُ اللهُ اللهُ لَكُمْ وَكُواْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَتَابَ اللهُ لَكُمْ وَكُواْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَتَابَ اللهُ لَكُمْ وَكُواْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْفَانَ بَيْرُوهُنَ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُواْ وَالْمَبُواْ مِنَ الخَيْطُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ فَمَ اللهَ اللهُ لَكُمْ وَكُواْ اللهِ اللهُ لَكُمْ وَكُواْ اللهِ اللهُ اللهُ وَمِنَ اللهَ اللهُ وَلَا تَعْرَبُوهَا كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ

الفـردات :

(الرَّفَثُ) : كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة ، قاله الزجاج . وفى الكشاف : هو الإفصاح بما ينبغى أن يكنى عنه بين الرجل والمرأة ، ورفث فى كلامه : أفحش . والمراد من الرفث فى الآية : المباشرة الزوجية .

(تَخْتَانُونَ إِنْفُسَكُمْ) الاختيان : الخيانة البليغة .

التفسير

١٨٧ - (أُحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيامِ الزَّمَثُ إِلَى نِسَاتِكُمْ . . .) الآية .

سبب نزول هذه الآية كما رواه البخارى : a لما نزل صوم رمضان ، كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأترل الله :

(عَلِيمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمُ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابِ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ .

وعن ابن عباس ، قال : كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلوا العشاء ، حرم عليهم النساء والطعام إلى شلها من القابلة . ثم إن أُناسًا من المسلمين أصابوا من النساه والطعام فى شهر رمضان بعد العشاء ، منهم : عمر بن الخطاب ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسليم ، فأذرل الله ـ تعالى ـ :

(عَلِمَ اللهُ ٱنَّكُمْ كُنتُمُ مَّ تَخْتَانُونَ ٱنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَمَّا عَنكُمْ فَٱلآنَ بَايْسُرُوهُنَّ ﴾ .

ومن ابن عباس - أيضا - قال : إن الناس كانوا - قبل أن ينزل في الهموم ما نزل
قيه - يأكلون ويشربون ، ويحل لهم شأن النساء ، فإذا نام أحدهم ، لم يعلم ولم يشرب
ولا يأتي أهله ، حتى يفطر من الفابلة ، فبلغنا أن عمر بن الخطاب بعدما نام ووجب عليه
المصوم ، وقع على أهله ، ثم جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : أشكو إلى الله
وإليك اللدى صنعت - قال : وماذا صنعت ؟ قال : إنى سوّلت لى نفسى فوقعت على أهلى
بعد ما تمت ، وأنا أريد العموم ، فزعموا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : وما كنت
خليقاً أن تفمل ، ، فنزل الكتاب : (أُحِلُّ لَكُمْ لَيُلَةَ الصّيام الرّقَتُ إِلَى نِسَائِكُمْ) ذكره
ابن كثير ،

ومن ذلك يفهم : أن الأكل والشرب والجماع ، كانت محرمة عليهم من العشاه ، أو من بعد النوم إلى الفجر ، فخالفوا ، – وهم بشر – قبل أن يُشَدد الإسلام النكير على المخالفين فى ذلك ، ويستدلون للتحريم السابق ، يفوله تعالى : (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَتَعَا عَنْكُمْ) .

وقد دلت الآية : على جعل الصيام من الفجر إلى المغرب ، بنص الآية . وهذا يدل على أن الصيام قبل ذلك لم يكن بذه الصورة . ويشهد لذلك أيضا قوله :

(كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ آنْفُسَكُمْ) .

ويعضهم قسَّر الآية بأنَّ بعض الصحابة خالف ما اعتقد أنه واجب الأَّدَاء ، وهو بداءً الصيام من العشاء .

والراد من الرقث إلى النساء : جماعهن .

^{. 41 : 2511 (1) .}

والمعنى : أحل لكم أيها المؤمنون ، جماع زوجاتكم ليلة الصيام دون حرج .

(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمُّ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) : هذه الجملة فى قوة التعليل للإباحة ، وهمى مجاز عن أن كليهما بمنع الآخر عما لا يحل ، فكما بمنع اللباس الحر والبرد ، فكذلك كل من الزوجين يمنع الآخر ، ويستره عن الفاحشة ، بما أحله الله له من المباشرة .

وقال ابن عباس معناه : هن سكن لكم وأنتم سكن لهن .

(عَلِمَ اقْدُ ٱلنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاتُونَ أَنْفُسَكُمْ) : بغشيان نسائكم وإنقاص حَظَّ أَنفسكم من الثواب وتعريضها للعقاب بفعل ما تعتقدونه محرما عليكم .

(فَتَاَبَ ظَلْيَكُمْ) : أَى قبل توبتكم (وَعَفَا عَنْكُمْ) : أَى محا أَثْره عنكم ، فلم يُمُدُّ قعله خطيئة لكم .

(فَالْآنَ بَاشِرُومُنَّ وَابَنْتُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) : بهذا أزال الله عن المُوسنين الحرج ، فلّباح لهم أن يباشروا نساءهم ليلة الصيام ، مع مراعاة أن الهدف ليس إرضاء الشهوات فحسب ، بل إعفاف الزوجين ، وحفظ النوع الإنسانى ، فينبغى أن ينوى ذلك بالمباشرة كما سنّما الله .

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَنَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ .

أحلت هذه الآية للصائمين : أن يباشروا زوجاتهم ، وأن يأكلواويشربوا من غروب الشمس إلى طلوع الفجر . والخيط الأبيض : كناية عن الشماع الفموئي الممتد بعرض الأقفى ، فإذا بدأ ظهوره ؛ تميز من فوقه الليل أسود اللون ، وهو الذي كنَّتْ عنه الآية بالخيط الأسود ، فإذا اجتمعا على هذا النحو ، كان الفجر .

فالفجر : عبارة عن مجموع الخيطين الأبيض والأسود . ولذا بينهما الله مجتمعين بقوله : (مِنَ الْفَحْرِ) ولكون الفجر مجموع الخيطين ، قال الشاعر :

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ بِينْتُو قبلَ أَبِيَضِهِ

أى : سواده يظهر فوق بياضه .

فمنى جاء الفجر على هذا النحو ، وجب الإمساك عن هذه المباحات .

(ثُمَّ أَتَيُّوا الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُم عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ :

حين يبدأ الإمساك عن الفطرات ، فعلى الصائم أن يتم صومه إلى الليل . وله فى الليل ما أحل الله له ، إلا أن يكون معنكفاً فى مسجد لطاعة الله ، فمحظور عليه ليلا مباشرة النساء ـ مراعاة لحرمة المسجد ـ ، لا الطعام والشراب، فإنهما مباحان .

والمباشرة المنهى عنها – حينئذ – : هي الجماع ، أما نحو اللمس والقبلة ، فإن كان بغير شهرة فمباحان ، ولكن يكرهان . وإن كانا بشهوة وتلذذ ، فسد الاعتكاف .

(تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا) : (تِلْكَ) إشارة إلى ما تقدم من أحكام ، وسهاها حدودًا ؛ لأنها حجزت بين الحق والباطل ، والنهى فى (فَلَا تَقْرَبُوهَا) آكد من لا تستدوها ؛ لأنه يشير إلى المبعد عنها ، حتى لا ينزلق المؤمن فى غفلة منه ، فيتجاوز الحد ، فمن خام حول الحمى ، يوشك أن يقم فيه .

(كَذَلْكُ يُبِيِّنُ اللهُ آياتِهِ للنَّاسِ لَكَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) : وعلى هذا النحو الدقيق : وضع الله الأحكام للناس حتى لا يلتبس عليهم الحق بالباطل ، وجذا تصح عبادتهم ، وتسمو نفوسهم ومتمسكوا متقوى الله .

1 ومَنْ يُطِعِ اللهُ وَرَمُتُولَهُ وَبَخْشَ اللهَ وَيَتَّفَّهِ فَأُولِيكَ هُمُ الْفَاتِزُونَ () . .

وهكذا نرى آيات الصيام مختومة بالتقوى ، مثلما انتهت مها آيات الأُحكام السابقة . لأَنها الهدف الأَسمى للمؤمنين .

⁽١) ألتول : ٥٢ .

(وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَيْطِلِ وَتُدُّلُوا بِهَاۤ إِلَى الخُكَّامِ لِتَأْكُواْ فَرِيقًا مِنْ أَمْوَلِ النَّاسِ بِالإِنْجِ وَأَنْمُ تَعْلَمُونَ ۞) .

الفسردات :

(تُنْتُلُوا بِهَا) : تلقوا بها .

(الْإِنَّم) : اللنب .

التفسير

الربط : الصوم يفضى إلى القناعة والعدالة الاجهاعية ، والمال موطن الظلم والطمع والجور. فللما حلوتا الله من فننته جلما المنهى العكيم .

١٨٨ – (وَلَاتَمَأْ كُلُوا أَمْوَالْكُمْ بَيَنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُنْكُوا بِهَا إِلَى المُكَام . . .) الآية . فقد تناولت الآية فى سياق ما أوردت الآيات السابقة من أحكام – حكماً جديدًا ، يتعلق بحرمة الأموال .

فيلم تشهى عن أكل أموال الآخرين ، عن طريق غير مشروع . والمراد من الأكل مايـم الأَخـلا والاستيلاء وغيرهما . وعبر به لأنّه أهم أغراض المال .

والمض : ولاياً كل بعضكم مال بعض بغير حق ، وتلقوا بالخصومة فيها إلى العكام : فإن فى ذلك خواب البيوت .

وقبيل معنى : (وَتُذَلُوا بِهَا إِنَّى الْحُكَّامِ ِ) : ولا تلقوا بعضها إلى حكام السوء على سبيل الرشوة .

(لِيَّا كُنُوا فَريقاً مِّنْ أَمُوال النَّابِي بِالْإِشْمِ وَأَنْتُمْ تَطْلُمُونَ) : أَى لا تَأْخذوا أَموالكم بينكم بغير وجه حتى ، وتلقوا بالخصومة فيها إلى الحكام ، لتبرروا أكل بعض أموال الناس ، بعبيب يوجب الإثم واللنب ، كشهادة الزور ، واليمين الفاجرة ، والرشوة ، وأَنْمَ تطمون أَنْكَمَ مِطلَونَ ، وقد استلل بقوله : (وَأَنْتُمْ نَطَسُونَ) : فمن لا يعلم أنه يأْكلها بالباطل ، لظنه أنها حق له وحكم له الحاكم بأخلها ، فهي له حلال.

ولكنّ على المسلم أن يتحرى فى كسبه البُّندعن الشبهات؛ فإن الجهل بالجرائم لايبرر ارتكابًا . وعبارة (وأنّم تعلمون) لإظهار بشاعة تعمد ارتكاب الآثام .

وسبب نزول هذه الآية ، على ما رواه ابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير مرسلا : أن عبد الله بن أشوع الحضرى ، وامرأ القيس بن عابس ، اختصا فى أرض ، ولم تكن بينة ، فحكم وسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأن يحلف امرة القيس ، فهم به ، فقرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم … : « إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِمَهْدِ اللهِ وَالْيَمَاتِيمَ ثَمَناً قَلِيلًا () فارولا عن اليمين ، وسلم الأرض ، فنزلت .

واستدل بالآية : على أن حكم القاضي لأَّحد بما لبس له ، لايجعله حلالًا في الواقع .

وجاء فى ذلك حديث رواه البخارى ومسلم ، عن أم سلمة زوج النبى ... صلى الله عليه وسلم ... أن رسول الله ... صلى الله عليه وسلم ... قال : « إنما أنا بَشَرٌ وأنثم تخصّيُون إلى ، ولعل بعضَكم أن يكون ألعن بِحُجْدِه من بعض، فأتفنِى له على نحوٍ ما أسعمُ منه ، فعن قضيتُ له بثىء من حَنَّ أخيه ، فلا يأتُخلنَّه ، فإنما أقطعُ له قطأتُه من النار » .

(يَسْفَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَمِلَةَ ۚ قُلْ هِي مَوَ قِيتُ لِلنَّاسِ وَا لَخَجَّ وَلَيْسَ ٱلبِّرُ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَنكِنَ ٱلبِّرَّ مَنِ ٱلْتَيْ وَأَتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبُو بِهَا ۚ وَاتَّقُواْ ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ ﴾ .

الفيردات :

(الْأَهِلَّة) : جمع هلال ، وهو القسر أول الشهر العربي.

(مُوَاقِيتُ) : معالم زمنية بوقت بها الناس شئونهم ، ويعرفون بها وقت حجهم .

⁽١) البقرة : ١٧٤

التفسير

١٨٩ - (يُسْأَلُونَكَ عَن الأَهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ . . .) الآية .

مسب النزول : روى حساكر ، عن معاذ بن جبل ، وثملبة بن غنم ، قالا : يارسول الله ، مايال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ، ويستوى ، ويستدير ، شم الإيرال ينقص ، ويدق ، حتى يعود كما بدا ، الإيكون على حالة واحدة ؟ فنزلت الآبة .

وإنحا قال .: (عَنِ الْأَهِلَّةِ) بالمجمع ، مع أنهم سألوا عن الهلال ، وهو واحد ، لأن المحالة التي سألوا عنها – لما كانت تتكرر كل شهر ، وتتمدد : نزل تمدد الأحوال منزلة تمدد الملات ، فصح الجمع وكان أول من الإفراد .

والسؤال يحمل أن يكون عن الحكمة فى تطور شكل الهلاك ، وأن يكون عن السبب والهلة ، والآية ليست نصاً فى المراد ، وقد أمر الله الرسول أن يجبب السائلين بقوله : (قُلْ مِنْ مَوْاقِيتُ لِلنَّائِينَ وَالْعَجِّ) .

وهلما العجواب مطابق المسؤال ، إن كانوا يسألون عن الحكمة : وهو من الأسلوب الحكم ، إن كانوا يسألون عن العلة .

والأسلوب الحكيم : أن يجاب السائل بغير مايطلب ، توجيهاً له إلى مايفيده ، وماهو جدير بالسؤال عنه .

ولملعنى : يستأونك يامحمد عن الأملة ، قل : هى ممالم للناس يُؤَقَدون بها أمورهم الدنيوية مثل مواهيد الزراعة ، والتجارة ، وسداد الدين ، والقدوم والسفر ، ونحو ذلك ، مما يصلح فيه التوقيت القمرى ، ومعالم للعبادات المؤقنة ، كالصيام والمحج ، ولو كان القمر على حالة واحدة ، لم يتيسر هذا التوقيت . (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا) .

سبب النزول : أخرج ابن جرير ، والبخارى ، عن البراء ، قال : و كانوا إذا أحرموا في الجاهلية ، أنوا البيت من ظهره ، فأنزل الله : (وَكَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبِيُوتَ مِن ظُهُورٍ هَا . .) الآية . وكأنهم كانوا يتحرجون من اللخول من الباب ، من أجل سقف الباب أن يحول بينهم وبين الساء ، كما صرح به الزهرى ، في رواية ابن جرير – رضى الله عنه ـ ، ويعدون فعلهم ذلك برًّا ، فبين لهم : أنه ليس ببر .

وكما كان يحدث هذا في البيت الحرام ، كان يحدث منهم في بيوتهم ، فقد روى أن الأنصار كانوا إذا قدموا من سفر ، لم يدخل الرجل من قبل بابه .

ويقول العسن اليصرى: كان أقوام من أهل الجاهلية ، إذا أراد أحدهم سفراً ، وخرج من بيته يريد السفر الذى خرج له ، ثم بدا له – بعد خروجه – أن يقيم ويدع سفره ، لم يدخل البيت من بابه ، ولكن يتسوّره من قِبَلِ ظهره ، إلى غير ذلك ، نما يشابه . وقد نزلت هذه الآية لتعليمهم أدب الدخول .

ووجه الاتصال بين دخولهم البيوت من ظهورها ، وبين سؤالهم عن الأهلة : التعريض بأن السوَّال عن الأهلة ، يعتبر كإتبان البيوت من ظهورها ، وأن الملاتق بحالهم ألا يسألوا عن هذا الأمر ، الذي لم يستمنوا الإدراكه من الناحية العلمية .

والآية : تعتبر مثلا فيمن يباشر الأُمور بطرق غير مأَلوفة .

(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى) : أَى ولكن البِرُّ بِرُّ من اتنى للحارم والشهوات .

(وَٱنُّوا الَّبُيُوتَ مِنْ أَبُوامِهَا) : أَى باشروا أُموركم من وجوهها ، الى يجب أَن تباشر علمها .

(وَاتَّقُوا اللَّهُ) : في جميع أموركم .

(لَمَلَّكُمُ " تُغْلِحُونَ) : لكى تفوزوا بما تطلبون من الهدى والبر ، فإن من اتق الله ،
 تفجرت ينابيع المحكمة من قلبه ، وانكشف له من الأسرار حسب تقواه .

(وَقَنِئُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقْتِئُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُواً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعَدِّينَ ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَتُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ الْحُبُوهُمْ وَالْحَرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ الْحَبُوهُمُ وَالْحَرِجُومُم مِّنْ حَيْثُ الْحَبُومُ وَالْحَرَامِ الْحَبُومُ مَّ وَالْمُعْتِدِ الْحَرَامِ حَقَى يَقْتِلُوهُمْ عَنَدَ الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ حَقَى يَقْتُ الْمُحْمَرِينَ وَاللهُ وَمَّ اللهُ اللهُ وَاللهُ عَنْهُورٌ وَحِمَّ ﴿ وَاللهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللهُ وَاللهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللهُ وَاللهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللّهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللّهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللّهُ عَلَى الظّلِمِينَ ﴿ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللّهُ اللللللللللللللللللللّ

القبردات :

(ف سَبيل الله) : سبيل الله : دينه .

(نَقِفْتُمُوهُمُ ۗ) : وجدتموهم .

(الْفِتْنَةُ) : الابتلاء .

التفسير

14- (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اللّٰهِ اللّٰهِينَ يُمْتَلُونَكُمْ وَلَا تَخْتُدُوا إِنَّ اللهُ لَا يُبحِبُ المُعْتَكِينَ).
 الربط : هذه الآية وما تلاها من الآيات ، تشتمل على أحكام الفتال في الحج في البلد والشهر الحرام ، فكانت مناسبة للآية السابقة التي تحدثت عن مواقبت الحج .

ولفد اعتزم المسلمون أن يحجوا فى العام التالى لصلح الحديبية ، وفقاً لما حدث الانفاق عليه فيه ، فأنزل الله – تعالى – هذه الآية ، يطمهم فيها مايصنمون ، إذا قاتلهم المشركون فى البلد الحرام والشهر الحرام .

سبب النزول : أخرج أبو صالح عن ابن عباس - رضى الله عنهما : أن المشركين صدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الحديبية ، وصالحوه على أن يرجع عَامَةُ القابل، ويخلوا له مكة ثلاثة أيام ، فيطوف بالبيت ويفعل ماشاء ، فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه لعمرة القضاء ، وخافوا ألا تنى لهم قريش بذلك وأن يصدّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم ، وكره أصحابه قتالهم فى الشهر الحرام ، فأمزل الله الآية . . .

والممي : وقاتلوا في سبيل الله _ أى لغرض إعلاه كلمة الله _ اللين يبدعونكم بالقتال دفاعاً عن أنفسكم وحريتكم في أداه العبادة ، ولا تعتدوا بقتل النساء والصبيان، والشيوخ المسنين، ومن ألتي إليكم السَّلام ، وكف يده عنكم ، فإن قتلتموهم فقد احتديثم وتجاوزتم ما يحل لكم ، إن الله لايحب المتدين ، بل يبغضهم ويعاقبهم .

١٩١ - (وَاقْتُلُومُمْ خَيْثُ ثَقِفْتُمُومُ وَإَخْرِجُوهُم مَّنْ خَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ...) الآية.

المهنى : : واقتلوهم ــ غير معتدين حيث وجدتموهم : فى حل أو حرم ، وأخرجوهم من ديارهم ، كما سبق أن فعلوا ذلك بكم ، حيث أخرجوكم من دياركم ، ولم يكتفوا مهذا ، بل تناولوا من بتى منكم من المسلمين فى مكة : بالتعليب والتنكيل ، ليرثدوا عن الإسلام.

(وَالْفِيْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَدْارِ) : أَى بقاؤهم على الشرك ، أَشد قبحاً من قعلهم فى الحرم والشهر الحرام ، فلا تبالوا بقتالهم فيه . أو المنى : والمحنة التى يفتن بها الإنسان ببالإعراج من الوطن والحرمان من المال ، والتعرض الألوان القسوة والعذاب ــ للتأثير فى العقيدة ــ أشد من القتل لاتصال تعليبها ، وتألم النفس بها .

ومن هنا قبل 🖫

لَقَتْلٌ بِحَدِّ السيْفِ أَهْوَنُ مَوْقِعاً ﴿ عَلَى النَّفْسِ مِن قَتْلِ بِحَدِّ فِرَاقِ

ومن فتن يمثل هذه الفتنة ، فمن حقه المشروع : أن يقابل العدوان بالعدوان.

(وَكَا تُقَالِمُومٌ عِندَ الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ) : على المسلمين أن يؤدوا مناسك دينهم ولا يقاتلوهم عند المسجد الحرام ، فإذا اعتدى عليهم المشركون ، واستباحوا البلد الحرام والشهر الحرام ، فللمسلمين أن يصدوا هذا العدوان : باللفاع عن حياتهم وعن عقباتهم . والشر بالشر والبادئ أظلم . وليتحمل المشركون وِزْرَ ما انتهكوه من حرمات . (فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَالْلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) :

فإن ابتدأ المشركون بقتال المسلمين ، فعلى المسلمين أن يقتلوهم . وعمر بقوله : (فَاقتُلُوهُمُّ) بدل : فقاتلوهم ؛ للإيذان بأن على المسلمين ألا يمكنوهم من المغالبة ، وأن يسارعوا بقتلهم .

191 - (فإن انتهَوَّا فَإِنَّ اللهُ عَفُورٌ رَّحِمُ) : أَى فإن كفوا عن قتالكم ، أو عن الشرك، فكفوا عن قتالهم ، غافرين لهم اعتداءهم ، راحمين لهم : تخلقاً بصفى الله - تعالى -- وهما : المنفرة والرحمة ، لعل الله يعدم إلى الترحيد ، أو يخرج من أصلابهم من يعبده ويجاهد في سبيله .

أو أن المعنى : فإن الله يغفر لهم ما قدموا ، ويرحمهم إن آمنوا ، وذلك فتح لباب التنوية ، وإنهاء العداوة والعدوان.

١٩٣ ــ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْنَةٌ وَيَكُونَ اللَّينُ إِلَٰهِ . . .) (١١ الآية

والفتنة هنا : الشرك ، أى قاتلوهم حتى لايكون شرك ، ليتحقق للمسلمين حمية العقيمة، وحرية أدائهم لشعائرهم الدينية . فمشركو العرب لايقبل منهم إلا الإسلام أو السيف لقوله تحالى : (تَقَاتِلُونَهُمُ ، أَوْ يُسُلِسُونَ) .

قاؤا حاول المشركون أن يفتنوا المسلمين فى عقيلتهم ، أو أن يصدوهم عن أداء شعائرهم فعلى المسلمين أن يقاتلوهم ، حتى يقضوا على هذه الفتنة ، بالقضاء عليهم ، ليكون الدين فى الجزيرة العربية خالصاً أنه ، حتى يأمن الإسلام فى معقله من معوقات انطلاقه ، وليكون الدين خالصًا أنه ، ولتحقيق هذا : لا بد من القضاء على الفتنة القضاء التام .

(قَإِنَ انتَهَوْا فَلاَ عُنُواَنَ إِلاَ عَلَى الطَّالِمِينِ) : أَى فَإِن انتهوا عن الشرك ، وقتال المؤمنين، ودخلوا في الإسلام يحرم قتال غير الظالمين ودخلوا في الإسلام يحرم قتال غير الظالمين لأنفسهم بالكفر والإشراك بالله . والمراد بالعدوان : مقاتلة المشركين . ومهاه عدوانا لأن مقاتلة المشركين للمؤمنين تعد عدوانا متهم . فهوعلى حدَّد قوله (فَمَنِ اعْتَدَّى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْكُمْ) .

(١) عطف مل : (وَقَاتِلُوا فِي سَجِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) والأمر الأول: لوجوب أسل التنال؛ رط الاعتماء ، وبيان آنايه . والتان ليهان نايته . (الشَّهْرُ الْحَوَامُ بِالشَّهْرِ الْحَوَامِ وَالْحُرُّمَاتُ فِصَافَّ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَالْمَرُّمَاتُ فِصَافَّ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلُواْ وَاللهُ وَاعْلُواْ اللهُ وَاعْلُواْ أَنَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ فَي) .

القبردات :

(الْحُرُّمَاتُ) جمع حرمة وهى : ماينبغى صيانته : من عرض أو مال أو كرامة . (يَصَاص) القصاص : المقاب على جرعة عثلها .

التفسير

198 - (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ . . .) الآية .

إذا استباح المشركون الشهر الحرام الذى لايحل فيه القتال وقاتلوكم فيه ، فقابلوا علوانهم بمثله ، واستبيحوا الحرب فيه كما استباحواً ، فلا تبالوا بقتالهم لكم فيه ، صداً لعدوانهم ، فإن الحرمات فيها القصاص .

وق هذا المعنى : يقول الله ـ تعالى ـ : ٥ ولَمَنِ أَنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَاطَلَهُمْ مِن سَبِيلِ (١٠

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح ، عن جابر ﴿ رضى اللهُعنهما ﴿ قَالَ : ١ لَم يَكُنُ رسول الله ﴿ صَلَى اللهُ عَلِيهِ وَسَلْمٍ ﴿ يُقُرُّو فَى الشَّهِرِ الحرامِ إِلاَّ أَنْ يُغْزَّى ﴾ .

والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب .

(فَمَنِ اعْدَدَى عَلَيْكُمْ فَاغْتَلُوا عَلَيْدٍ بِمِثْلِ مَا اغْتَدَى عَلَيْكُمْ) : هذه الجملة هي النتيجة للتفرعة على قوله تعالى : (الشَّهُرُ الْحَرَامُ بِالشَّهُرِ الْحَرَامِ وَالْخُرُمَاتُ قِصَاصٌ) .

⁽١) الشورى : ١١ .

يعنى : أنه إذا كاتت الحرمات ، أى الأمور التى تجب المحافظة عليها ، يجرى فيها القصاص ، بحكم الشرائع والعقول ، فإن لكم الحق فى أن تدفعوا اعتداء من اعتدى عليكم عمل عدوانه .

والأَمْرِ في قوله : (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ) . للإِياحة . إذ العفو الذي لايضر المسلمين جائز .
وقد استدل الشافعي- رضي الله عنه - بهذه الآية ، على وجوب القصاص بمثل ماارتكيه
الجاني من ذبح وحرق وتجريح وإغراق ،حتى لو ألقاه العدو في ماء عذب ، ألقاه في ماء عدب
مثله ، ولم يلقه في ماء مالح .

واستدل به أيضا على أن من غصب شيئا وأتلقه يلزم برد مثله : ثم إن المثل قد يكون بالصورة فى فوات الأمثال ، وقد يكون بالقيمة فيا لامثل له .

وبما أن الآية وردت فى الفتال ،وشرعت المائلة فى الاعتداء ،فلهذا يكون مشروعاً : أن الأمحداء استمملوا الفارات الجوية ، أوحرب الجراشم ، أو المتفجرات النووية ، على المدن المفتوحة ، فالمقابلة بالمثل واجبة شرعاً .

و وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٠٠٠ .

وستّى صَدّ العدوان عدوانا ، من باب المشاكلة ، مثل قوله تعالى : ، نَسُوا اللهَ فَتَرْسِيَهُمْ ﴾ " .

وقوله : * وَجَزَاءُ سَيُّثَةً سَيُّثَةً مِثْلُهَا * "" .

(وَاتَّقُوا اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهُ مَعْ الْمُتَّقِينَ ٤ : انتهت الآية بطلب التقوى من المؤمنين ، كما هو الشأن في آيات الأحكام ، وطلب التقوى منهم في القتال أشد وآكد منه في سواه ، لتملقه بالأرواح وَبِمَنْ وراءً المقاتلين من أهليهم وأموالهم .

فهي من آداب القتال الهامة في الإسلام .

والله مع المتقين بالنصر والتأبيد ودفع كيد الأعداء.

 ⁽١) سورة النمل : ٢٧ . (٣) الثورى : ١٠ . (٣) الثورى : ١٠ .

(وَأَنْفَقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيَّدِيكُمْ إِلَى النَّهْلُكُةِ
وَأَحْسِنُواْ إِذَّ اللهِ يُكُمُ الْمُحْسِنِينَ ﴿).

التفسير

١٩٥ ــ (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ . . .) الآية .

الاستعداد للقتال ، يقتضى أموالًا طائلة لتسليح الجنود براً وبحرًا وجوًا ، ولتنظيم الإمدادات ، وشق طرق للمواصلات ، وإعداد المستشفيات ، وما إلى ذلك ، فيجب تدبيرها وإحكامها ، يحيث تستطيع مواجهة حدة المباغتة .

ولهذا أوجب الإسلام على كل مسلم أن ينفق فى سبيل الله ، وأوجب للحاكم شرعا : أن يفرض من الفرائب مايكنى ، ويبقى رصيداً احتياطيًا للطوارئ .

والتأهب – في زمننا – واجب على الأم الإسلامية ، لأن ظروفها تستوجب ذلك .

وكما أن الإنفاق في سبيل الله يكون في الجهاد، فإنه يكون أيضاً في وجوه البر، والخير .

(وَلاَ تُلْقُرا بِأَيْدِيكُم ۚ إِلَى التَّهَاكَةِ) : تحدير للسلمين من التقصير في الإعداد لِلِقاء الأعداء ، حي لايصيبهم بفتة مكروه بهلكون فيه .

والمعنى : ولا تتسببوا ــ بتهاونكم وغفلتكم ــ فى إلقاء أنفسكم باليديكم إلى الهلاك .

ومن ذلك ترك الغزو ، والتقصير فى إعداد الجنود والقادة عسكريا ، وإهمال التحصين والنهاون فى الإنفاق ، وغير ذلك مما لابد منه .

وقد نزلت هذه الآية فيمن فكروا في الإقامة بين أهليهم بعد انتشار الإسلام .

روى أبر دارد والترمذى ، وغيرهما ، عن أسلم بن أبي عمران ، قال : « حَمَلَ رَجِل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ، ومَمَنا أبو أبوب الأنصارى ، فقال : ناس : ألتى بيده إلى التهاكة ، فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا ، صَحِبنًا رسول الله حصل الله عليه وسلم – وشهدنا ممه المشاهد ، ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر ، اجتمعنا معشر الأنصار نبيبًا ، فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه حسل الله عليه وسلم – ونصره ، حتى فشا الإسلام ، وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم فنزل فينا :

و وَأَنفِقُوا فِي صَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ١٠.

فكانت النهلكة _ الإقامة في الأَمل والمال ، وثرك الجهاد . وخصوص السبب لاعمم من أن تكون الآية قانونًا عامًا ، في القتال وغيره .

(وَأَحْيِنُوا إِنَّاللَهُ يُجِبُّ الْمُحْيِنِينَ) الإحسان في كل صوره واجب على المسلم في القتل وفي الذبح ، وفي إغاثة الملهوف ، وفي مباشرة القتال ، وغير ذلك . ولكلُّ من الحالات إحسان يناسبها ، فإذا قتل فليحسن القتل ، بألا يعذب فيه ، وإذا ذبح فكذلك ، بأن يحد الشفرة ، ويريح الذبيحة ، ويسرع في الذبح .

وفى إغاثة الملهوف: لايتركه يتضرع ويتذلل ، بل يغيثه سريما فى الخفاء ، بحيث لاتدوى شهاله ماتفعل بمينه .

والإحسان فى الحرب : يتناول معاملة الأَسرى ، وعدم المثلة وتجنب قتل النساء والشيوخ والأطفال .

والإحسان في العبادة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك.

⁽١) النحل : ١٢٨ .

(وَأَتِمُواْ اَلْحَجْ وَالْمُمْرَةَ لِللهِ فَإِنْ أَحْصِرُ مُّ فَمَا اَسْتَبْسَرَ مِنَ الْهُلْيُّ وَلا تَحْلِقُواْ رُهُ وسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغُ الْهُلْدِي مَلِيَّا مِنْكُم مَرْيَطُا أَوْ بِهِ أَذَى مِن رَّأَسِهِ فَعَلْيَةٌ مِن صِيامٍ أَوْ صَدَّقَة أَوْ نُسُكُ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَى مِن رَّأَسِهِ فَعَلْيَةٌ مِن صِيامٍ أَوْ صَدَّقَة أَوْ نُسُكُ فَإِنَّا الْمُحْرَةُ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهُدِي فَمِيامُ مُلْكَثَةُ أَيَامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَة إِذَا رَجَعَمُ مَنَّ لِلْكَ عَشَرَةً فَمَالَمَةً وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ مَا عَلَيْكُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ وَاعْمَلُوا اللّهُ وَاعْمَلُوا اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُوا أَنْ اللّهُ شَدِيدُ الْمِقَالِ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهُ شَدِيدُ الْمِقَالِ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ وَاعْلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُعْلِلِ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُو

القبردات :

(أَخْصِرْتُمْ) : حوصرتم ، وحيستم .

(اسْتَيْسَرَ): سهل.

(الْهَدَى) : ما أهدى من الأَنْمام ؛ لينبح بمكة في موسم الحج ، ويوزع على الفقراء تقربا إلى الله .

التفسير

١٩٦ ــ (وَأَتِبُّوا الْحَجُّ والْمُدْرَةَ لِلهِ . . .) الآية .

الربط : أشارت آية البِرِّ إلى ثلاثة من أركان الإسلام : الإيمان بالله ورسله وملاككته والميوم الآخر ، وإقام الصلاة ، وإيتاه الزكاة ، وأشارت آيات الصيام إلى الركن الرابع ، وأشارت هذه الآية وما تلاها إلى الركن الخامس والأشير ، من أركان الإسلام وهو الحج .

والحج فريضة ، مرة فى العمر لن استطاع إليه سبيلا . والعمرة عند الفقهاء بين مفروضة فى العمر مرة ، ومسنونة . يفرضها الشافعية والحنابلة ، ويسنها المالكية ، أما الحنفية فيقول بعضهم: بفرضيتها ، وبعضهم : بسئيتها .

وقد أَمر الله في الآية بهِثمام الحج والعمرة خالصين لله ، بحيث لا يكون في أدائبها شرك ظاهر أو خنني ، وهو الرياة .

وإتمام الحج والممرة : الإتبان سما كاملين تامين ، وذلك يتحقق بأداء أركابهما وهي الإحرام والطواف والسمى والحلق أو التقصير . ويزيد الحج : الوقوف بعرفة ورمى الجمار مم رعاية شروطهما ، وسائر أفعالهما ، كما هو مقرر في علم الفقه .

والحج أوانه معروف . أما المعرة فتصح فى أى وقت من السنة . وللحاج أن يقرن بينهما فى إحرام واحد وعمل واحد ، أو أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج وبعد فراغه من أصالها يتحلل ويلبس ثيابه ، إلى قبيل الوقوف بعرفة ، فيحرم بالحج ، ويسمى الأول قارتا ، والثالى متمتماً ، لتمتعه فيا بين المعرة والحج ، عا هو محرم على للحرم .

(فَإِنْ أَضْعِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْمَرَ مِنَ الْهَدْي) : إذا عوقكم معوَّق عن دخول مكة ، أو عن إتحام المناسك ، فعليكم تقديم ما تيسر لكم من الهدى : إبلا أو بقرًا أو غنا أو معزا ، إن أرفتم التحلل من الإحرام : يفيحه المحصر عند الأكثرين حيث أحصر ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - فبح بالحديبية لما أحصِرَ فيها ، وهي من الحلّ .

وعند أبى . حنيفة رحمه الله : يبحث به إلى الحرم ، ويتفق مع من بعثه على يوم يلميح فيه ، فإذا جاء اليوم وظن أنه ذيح ، تحلل ؛ لقوله تعالى : (وَلَا تَحْلِقُوا وَلُوكَ مَحْلَى يَبِلُغُ الْهَدْيُ مَحْلَدُ) والإحصار هنا . قاصر على منع العدو للحاج والمستمر من المضى فى نُسُكِهِما ، وذلك عند مالك والشافعي لقوله تعالى : (فَإِذَا أَمِنتُمْ) وذلك من الأدلة .

أما عند أبي حتيفة : فهو شامل لكل مانع من النسك سواء كان المانع عدوًا أو مرضا أو غيرهما ، لقوله _ صلى الله عليه وسلم _ : « مَن كسر أو عرج فقد حل فعليه الحج من قابل n_ فارجع إلى المطولات إن شئت الموازنة بين المذاهب ، والمزيد من الأَّحكام .

فالمحصر بالعدو أو غيره عند أبى حنيفة ، يتحلل بلبيح الهدّى ، وعند مالك والشافعى : لايتحل بلبح الهدى موى المبنوع بالعدو فهو القصود من الآية . وأما الممنوع بنحو الرض : فلا يحله إلا الطواف ، وإن أقام سئين .

ومن لاهدى معه وقت الإحصار ولاقدرة له عليه ، أحلّ ، ثم أهدى عندما يقدر عليه . نقله القرطى عن الشافعي .

ويرى بعض الفقهاء : أن للحصر بعدو لايجب طيه القضاء _ وله ثواب الفريضة ، ويكتنى بالهدى _ ما لم تكن عليه الفريضة ، بأن لم يسبق له حج ولا عمرة، وإلا وجب عليه أداؤهما عندما يستطيع .

(وَلَا تَحْلِقُوا رُمُوسَكُم حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَجِلَّهُ) .

المنى : لا يحل للمحرم المحمور أن يحلق رأسه ، ويتحلل من إحرامه بالحلق أو التقصير ، حتى يصل الهدى إلى محل ذيحه ، وهو المكان اللى يجب أن يتحر فيه ، وهو حصر المدو عن مالك والشافعي ، حيث أحصر المحاج أو المحمر . وعند أي حنيفة : محل الذبح في الإحصار مطلقاً : هو الحرم .

(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيغًا أَوْ بِو أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِينَيَّةً مِّنْ مِبِيَامٍ أَوْ صَلَّقَةٍ أَوْ نُسُكِ) .

يجب على المحرم _ إن كان صحيحاً .. ألا يخلع ملابس الإحرام ، ولا يحلق شمره ، أو يقصه ، طول مدة الإحرام ، فإن كان مريضاً مجرض يحوجه إلى الحلق ، فله أن يلبس ملابسه المادية ، ويؤدى القدية عن ذلك ، ومن كان برأسه أذى من : حشرات ، أو جرح يستدعى علاجه أن يحلق ، حلق و فدى . والفدية هنا : صوم ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، لكلَّ نصف صاع من الطعام ، أو ذبح شاة وتوزيعها على الفقراء .

(فَإِذَا أَيِنتُمْ فَكُنْ تَمَتَّعَ بِالْقُمْرَةِ إِلَى الْحَجُّ فَمَا اسْتَبَسَرَ مِنَ الْهَاسِ) : أَى فَإِذَا أَمْنِمُ إِسْفَالِهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى الْعَلَى ع

وتفصيل ذلك : أن من نوى المدره فى أشهر الحج ، ثم تحلل منها بعد القراغ ، يسمى متمتعاً ، لأنه تمتع بالانتفاع بما هو محرم على المحرم – بعد ماتحلل من عمرته ... كاللبس ، والاغتمال ، ومباشرة النساء ، حتى صُبْع عرفة ، فيغتمل ويلبس ملابس الإحرام ، ويحرم للحج ، ويؤدى مناسكه . وفى مقابل هذا التمتع يجب عليه أن ينبح هديا : جبراً لهذا التمتع عند قوم . أو شكرًا أله عليه عند تحرب عيث تقرّب إلى الله بالمعرة ، قبل أن يتقرب إليه بالحج ، ويلابح هذا الهدى ، إذا أحرم بالحج ، ولا يأكل منه عند الشافعي ، لأن التمتع عنده فيه تقصير ، والهدى لحجر هذا التقصير ، فلا يؤكل منه ، وأجاز أبوحنيفة الأكل .

(فَمَن لَمْ يَبِيدَ فَصِيامُ فَلَاتَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجَّ وَسَبَعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ يَلْكَ عَشَرَةً كَامِلَةً ، فَلِكَ لِمِن لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ خَاضِرِى الْمَسْجِلِ الْحَرَامِ) : أى فمن لم يجد اللبيحة أو لم يجد ثمنها ، فعلمه أن يصوم ثلاثة أيام في موسم الحج بعد الإحرام به ، وقبل التحلل منه ، والأفضل أن يكون في سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ، ولا يجوز صوم يوم التحر .

وعند أبى حنيفة : أن معنى (في ألْحَبِّ) : في أشهر الحج فيصوم بين إحرامي الحج والممرة ، وعليه أيضًا أن يصوم سبعة أيام ، إذا عاد إلى بلده ... تلك عشرة كاملة . وذكر جملتها بعد ففصيلها ، لكيلا يتطرق الشك إلى عددها ، بأن يقال : إن الواو : عمنى أو التي للتخيير كما في قولك : جالس الحسن وابن سيرين . أي أحدهما ، وقول الشاعر :

كما الناس مجروم عليه وجارم

وهذا الحكم خاص بمن لم يكن أهلوهم حاضرى المسجد الحرام ، وهم غير أهل مكة ، أما أهل مكة وسكانها ، فهم حاضروا المسجد الحرام ، فليس عليهم فدية ، لأنهم لا متحة لهم ولا قران ، لإمكان أداء العمرة طول العام .

والشافعي على أن لهم تمتماً وقرانا ، ومن تمتع مشهم و قرن ، كان عليه دم جُبْرَان كغيره فلا بِأكل منه ، كما تقدم .

(وَانَّقُوا اللهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهُ شَدِيدُ الْعِفَابِ) :

ختم الآية بعد ذكر أحكامها بطلب التقوى ، جريا على النسق المطرد فى آيات الأحكام السابقة .

وإذا كان ثواب الحج مففرة من الله ورضوانا ، فإن العبث فيه ، أو الإخلال بشعائره ، ثما يستدعى عقاب الله ـ تعالى ـ فهو شديد العقاب لمن خالف مناسكه ، فتجاوز حلود الله ، وترك ما أمر به وارتكب ما شي تخنه .

(اَلْحَجُّ أَشْهُرٌّ مَّعْلُومَتُّ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَتُ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَبْرَ الزَّادِ التَّقُونَ ۚ وَاتَّقُونِ يَتَأْوْلِي الْأَلْبَابِ۞).

الفـردات :

(رَفَتُ) الرفثُ : الجماع أو الكلام الفاحش .

(فُسُوقَ) الفسوق : المصية مطلقاً . أو هو مخالفة أوامر الحج وارتكاب نواهيه ، كلبس المخيط والصيد وقص الشعر .

(جِدَالَ) الجدال : المناقشة الحادة مع الرفقاء والخدم وغيرهم .

التفسير

. ١٩٧ - (الْحَجُّ أَشْهُرُ مَّقُلُومَاتُ . . .) الآية .

لا ذكر الحج والممرة فى قوله تعالى : (وَأَلِيسُوا الْحَجُّ وَالْكَمْرُو فَهُ) شرع ببين اختلافهما فى الوقت ، فذكر أن أشهر الحج أشهر معروفات ، لا يشكل على الناس ، فلا يصح الحج فى غيرها ، وهى : شوال ، وفو القمدة ، وعشر ذى الحجة ، ولا يصح عند الشافعية الإحرام به قبل أشهره ، ليتمه فى أشهره ، ويصح مع الكراهةعند الحنفية . أما العمرة : فجميع العام وقت الإحرام بها وقطها .

(فَمَنْ فَرَمَى فِيهِنَ الْحَجُّ فَلَا وَمَنَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِنَالَ فِي الْحَجُّ) فمن أَثرِم نفسه في تلك الأشهر بالحج ، فعليه أن يبتعد عن الرفث، وهو جماع النساء أو ذكره لهن ، أر الكلام الفاحش مطلقاً ، كما عليه أن يبتعد عن كل إثم يشوب عبادته ، وأن يجتنب المجادلة لأبها توغر صدور الرفقاء ، والخدم وفيرهم ، فإن الوقت وقت مودة وصفاء وتسامع . دوى البخارى ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال 1 و من حج ظم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

ثم حث على فعل الخير عقب النهى عن فعل الشر ، وحض على استعمال الكلام الحسن مكان القبيع ، والنزام البِرَّ والتقوى مكان الفسوق ، والتمسك بالوفاق والأخلاق الحميدة مكان الجدال ، فقال :

﴿ وَمَا نَفَظُوا مَنْ خَيْرٍ يَطَلَّمُهُ اللَّهُ ﴾ وما دام يعلمه فإنه سيجازيكم علبه ، فلا تدخروا وممَّا في عمله .

(وَتَزَوَّدُوا فَهَانٌ خَيْرُ الرَّادِ النَّفْوَى وَاتَّقُونِ بِمَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

ذكر البخارى وأبو داود .. وضى الله عنهما .. : أن أهل البمن كانوا يحجون ، دون . أن يتزودوا من الطعام ،ويقولون : نحن المتوكاون، ويسألون الناس الطعام ، فنزلت هذه الآية . ولكنها غيرمقصورة طبهم، إذ العبرة .. كما يقرر الفقهاة .. يمموم اللفظ لا بخصوص السبب ..

فالمعنى : ونزودوا أيها المسافرون بالطعام ، وانقوا طلبه من غيركم والإثقال عليهم بذلك ، فإن خيرالزادانقاء الإثقال على الناص وإيرامهم :أو تزودوا للمعاد بانقاءالمحظورات فإن خبر الزاد اتفاؤها ، وخافوا عقاقي ، يا أصحاب العقول الراجحة . (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن تَبْتَغُوا فَضَلا مِن رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضَهُ مِن رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضَهُ مِن عَرَفَتِ فَاذَكُرُوهُ كَما هَدَئكُمْ وَيَعْمَ فَاذَكُرُوهُ كَما هَدَئكُمْ وَإِنْ كُنتُم مِن قَبْلِهِ عِلَمِنَ الضَّالِّينَ ۞).

القبردات :

(جُنَاحٌ) الجناح : الإثم .

(فَضْلًا مَّن رَّبكُمْ) : المراد به الرزق من ثجارة أو غيرها .

(أَفَضْتُمْ) : أندفعتم .

(الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) مزدلفة ... بين عرفات ومنى .

التقسير

١٩٨ - (ليسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رِّيُّكُمْ . . .) الآية .

قال ابن عباس - فيا روى البخارى ــ : كان ذو المجاز وعكاظ ، متجرا الناس فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ، كره المسلمون الجمع بين الحج والتجارة ، حْى فزلت هذه الآية : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاءٌ مَّ انْ تَبْتُنُوا فَضَّلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ .

والمراد من كونهما متجر الناس في الجاهلية : أنهم كانوا يقيمون بهما أسواقًا للتجاوة ، في مواسم الحج ، لينعيشوا منها .

ومن المبادئ الإسلامية المعروفة: أن الإسلام يعنى بالأجسام ، إلىجانب عنايته بالأرواح ، ويعنى بالتنمية المالية ، إلى جانب عنايته بالشعائر الدينية ، قال تعالى :

﴿ فَإِذَا تُضِيَتِ الصَّلاَّةُ فَأَنْتَشَرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى الدُّرْضِ

⁽١) سورة الجمعة.١٠

فالسمى فى سبيل الرزق عبادة ، على ألا يشغل الحاج عن أداء المناسك على وجمهها ، لأَنَّ أداءها هو الهدف الأول والغاية العظمى . والمعنى : لا إثم عليكم فى طلب الرزق أثثناء المحج .

(فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرِفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهُ عَنْدَ الْمَثْمَرِ الْحَرَامِ) .

الإفاضة من عرفات : هي الخروج منها بكترة . ومني العبارة : فإذا التدفعم من عرفات جموعا عديدة فاذكروا الله . مأخوذ من أفضت الماء : إذا صَبَبَتُهُ بكثرة . وعرفات : جبل قرب مكة يقف طيه الحجاج ، معظمين ربهم وملبين ، والوقوف به أهم أركان الحج ؛ لأن الناس يذكرون فيه الحضر يوم القيامة حيث يكون الناس يومثذ عراة كما خلقهم الله ؛ متساوين لايطو بعضهم على يعض بجاه أوسلطان . وهو موطن التعاوف بين المسلمين ، من شارق الأرض ومفارجا . ومكان التفاوض فيا فيه مصلحتهم .

والمقصود من الآية : أن الحجاج إذا عرجوا من عرفات ــ بعد الوقوف بها ــ متجهين إلى المؤدلفة ، قطيهم أن يذكروا الله عند الشعر الحرام ، بالتلبية والتهليل والدعاء ، وذلك في صبيحة مبينهم بالمزدلفة .

فقد جاء في حديث مسلم عن جابر ، قال : 8 فلم يزل واقفا _ يعني الرسول _ بدوقة حتى إذا غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلا ، حتى غاب القرص _ أردف أسامة تعلقه ، ودفع رصول الله _ صلى الله عليه وسلم _ وقد شَتَنَ _ أي ضم وضين _ للقصواء الزمام ع . إلى أن قال : 8 حتى أتى المزدلفة ، فصلى با المغرب والمشاء ، بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شبئا ، ثم اضطجم حتى طلم الفجر ، فصلى الفجر ، فصلى الفجر ، فصلى الفجر ، فصلى الفجر ، فصل الفجر ، فصل الفجر ، فصل الفجر ، فصل الشجر ، فصل الشجر ، فصل الشجر ، فصل الشجر ، فاستقبل القبلة ، فدما الله وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفاً ، حتى أسفر جدًا ، فدم قبل أن تطلم الشمس ع .

(وَاذْكُرُوهُ كُمَّا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنتُم مِّنْ قَبْله لَمنَ الضَّالِّينَ) :

أى اذكروه ذكرًا حسنًا كما هداكم هداية حسنة فقد أخرجكم من الظلمات إلى النور وكنتم قبله في غمار الفملال . أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه . (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ عَفُودً رَّحَمِ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَفُودً رَّحِمِ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَفُودً رَّحِمِ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَفُودً رَّحِمِ ﴾ .

التفسير

١٩٩ - (ثُمَّ أَفِيفُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ . . .) الآية .

روى البخارى عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت : « كانت قريش ومن دان دينها ، يقفون بالزدلفة ، وكانوا يسمون المحمس . وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام ، أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يأتى عرفات ، ثم يقف بها ، ثم يفيض منها . فذلك قوله : (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) .

وكانت قريش تفعل هذا ترفعًا منهم عن بثية الناس ، فأتَّول الله فيهم هذه الآية ، فوقفوا بعرفات مع الحجاج ، ثم أفاضوا منها معهم ، ثم إلى المؤدفقة ، ثم منى .

وحرف العطف : (ثُمَّ) للترتيب مع التراخى فى الزمن . وهي هنا للإيلمان بتفاوت ما بين الإفاضتين ، كما فى قولك : أحسن إلى الناس ، ثم لا تحسن إلا إلى مستحق .

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: فكيف موقع ثم ؟ قلت: تحو موقعها في قولك: أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلى غير كريم: لتوضيح التفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم، والإحسان إلى غيره، وبُنُعْدِ ما بينهما، فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات، قال: (ثُمَّ أَلِيشُوا) لتفاوت ما بين الإفاضتين، وأن إحداهما صواب والثانية خطاً.

(وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهُ غَفُورٌ رَّحِمٌ) : الخطاب عام للحجاج ، ليفزعوا إلى الله مستغفرين ، فيشملهم برحمته ومغفرته ، بعد أن أدوا مناسكهم .

وقد يكون الخطاب لقريش ، ليكُفَّرُوا بالاستنفار ما كان منهم من الاستعلاء ، وكلاهما صالح . فالكل محتاج إلى منفرة الله ورحمته . (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنْسِكُكُمْ فَاذْ كُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ عَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكُرًّا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا عَاتِنا فِي الذَّنْيا وَمَا لَهُ, فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَتْنِ فِي وَمِنْهُم مِّن يَقُولُ رَبَّنَا عَاتِنا فِي الذَّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ فَيْ أُولَنْيِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسُبُواً وَاللهُ مَرِيعُ الْحَسَابِ فِي) .

القبردات :

(مَنَاسِكُكُمْ) : عباداتكم . جمع نُسك : والمرادبها أفعال الحج .

(خَلَاق) : حظ ونصيب .

(وَقِناً) : اجعل لنا وقابة .

التفسير

٢٠٠ (فَإِذَا قَفَينُتُم مَّنَايِكُكُمْ فَأَذْكُرُوا اللهِ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَنْـدٌ ذِكْرًا . . .)
 الآية .

كان العرب فى الجاهلية يلهجون بعد الحج بذكر آبائهم وأجدادهم وأيامهم ، وبيالغون مبالغة تنتهى بالمنافرات . وهى الاحتكام إلى بعض الزعماء ؛ ليحكم بتفضيل أحد المتنافرين على الآخر . وكثيرا ما أدت هذه المواقف إلى تخليدها فى أشعارهم رمزا للعداء ، وكثيرًا ما أشعلت الحرب بينهم .

فلما جاء الإسلام أنَّبهم وهلَّبهم ، وصرفهم عن تلك الحماقات ، وأمرهم بالإكثار من ذكر الله ، بأن يكون مثل ذكرهم آباعهُم الذين كانوا يبالغون فى محامدهم ، أو أشد ذكرًا ، فهو وحده للمشحق لجميع المحامد . (فَمِنَ الناس مَن يَقُولُ رَبُّناً آنِناً فِي الدُّنْبَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ .

هذا تفصيل للذاكرين بتقسيمهم إلى مقل لايطلب بذكر الله إلا الدنيا ، ومكثر يطلب به خيرى الشارين ، والمراد به الحث على الانتظام في سلك الفريق الثاني . أى يطلب به خيرى الشارين ، والمرون الآخرة ، فإذا دَحُوا الله قدموا دنياهم ، وطلبوا كثرة الأموال والأولاد والثمرات ، والمجاه العريض ، وهؤلاء لا نصيب لهم في نعم الآخرة ، لأبهم لم يطلبوها ، ولم يصطوا لها .

٧٠١ ـ (وَمَنْهُمْ مِن يَقُولُ رَبُّنَا آتِنَا فِي اللُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَّنَةً . .) الآية .

أى وهناك البعض الآخر : يجمعون في دعائهم بين الدنيا والآخرة ، ويعملون لكلتيهما ، ويطلبون الوقاية من عذاب النار . فالحسنة في الدنيا : المال ، والجاه ، والولد ، والسلطان . والحسنة في الآخرة : الجنة ثوابا لما قدموا من طاعة ، ورضوان من الله آكبر . وذهب بعض المفسرين في تفسير الحسنة في الدنيا : بالوجعة الصالحةوفي الآخرة بالحور الدين ، وعداب النار . ماذاة السوم .

ومنهم من فسرهما : يالعلم والعبادة فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة . وكلها أمثلة للحسنات الطلوبة .

وقد ذكرت الآيتان من يطلب الدنيا وحدها ، ومن يطلبها مع الآخرة ، ولم تذكر من يطلب الآخرة ، ولم تذكر من يطلب الآخرة الأخرة . وهي يطلب الآخرة الأخرة . وهي نعم للطية إلى الجنة ، والضرب فى مناكبها ـ طلبا للرزق ـ عبادة ، لأن به حياة النفس وقوتها ، والإعانة على الطاعة .

والمؤمن الفوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف . ولهذا يرى بعض العلماء أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر a وَلَكُلِّ دَرَجَاتٌ مَّمًا عَمَلُوا ه^(١)

(وَوَمَا عَلَمَابُ النار) : أَى احفظنا من عذابًا بالتوفيق للطاعة والتنفير من العصية ، ومفقرتها إذا وقعت . ζ

⁽١) الأنام: ١٣٢ .

وهذه الآية من جوامع الدعاء .

فقد ورد فى الصحيحين: عن أنس ــ رضى الله عنه ــ : ٥ كان أكثر دعوة يدعو بها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قوله تعالى : ورَبَّنا آتِناً فِى اللَّمْنِاَ حَسَنَةٌ وَفِى الاَّعْرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَلَمُكِ الثَّارِ ٤ .

ومن المأثورات : الدعاء بها في ختام الصلوات .

٢٠٢ - (أُولُئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مَّمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) .

والممنى : أُولِئِك الذين يطلبون ـ فى دعائهم وعملهم ـ الدنيا وحدها ، أو الدنيا والآخرة لهم نصيب من جنس ما كسبوه ، أو من أُجله ، والله سريع الحساب ، فيحاسب العباد على كترتهم وكثرة أعمالهم ، فى مقدار لمحة .

أو يوشك أن يقم القيامة ، ويحاسب الناس ، فعليهم أن ببادروا إلى الطاعات ، وأن يكثروا من الحسنات . وأن يجتنبوا الموبقات .

⁽۱) الشررى : ۲۰ .

رفسم الإبيداع بدادانكت ٢٥٥/٣٥٢٦



النَّفْسِيرُ الْوَسِّيطُ النَّفْسِيرُ الْوَسِّيطُ

تألیف آجست من العسلعاء باشسراف ممعًالبمرُث الإشارَيّة بالأزهرً

المحزب الرابع الطبق الاول ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣

التسسامة البيئة العامة لشؤ<u>ن المطا</u>ج الأميرة **۱۹۷۳**

(وَاذْكُرُواْ اللهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَتِ فَمَن تَمَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهٌ وَمَن تَلَّتُو فَلاَ إِثْمَ عَلَيَّهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ ثَحْشُرُونَ ۞).

ألتفسير

٢٠٣ - (وَاذْكُرُوا اللَّهِ إِنَّ أَبَّامٍ مَّمْنُودَاتٍ . . .) الآية .

يعد أن أمر الله الحجيج – فيما سبق – أن يذكروه عند المشعر الحرام ، بعد الإناضة من مرفات ، أمرهم – والمسلمين جميعا – في هذه الآياة الكريمة : بأن يُواصلوا ذكره – تعالى – في أيام معدودات، وهي : أيام التشريق الثلاثة () ، التي تلي يوم النحر : عبد الأضحى ، وليس يوم النحر منها ، وتسمى: أيام مني أيضا ، فيدخل غير الحاج – مع الحاط ج – م

والمقصود بالذكر في الآية الكريمة : هو التكبير والتهليل والتحميد والتسبيح، في: أدبار الصلوات، وعند رفي الجمرات ، وعلى القرابين والهدايا .

﴿ فَمَن تَصَجُّلَ فِي بَوْمَيْنِ فَلَا إِنَّمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأْخُرُ فَلَا إِنَّمَ عَلَيْهِ لِمَنِ النَّفَىٰ ﴾:

فمن تصبل الرحيل عن منى قبل غروب اليوم الثانى من أيام التشريق .. بمد رمى الجمار ،
عند الشافعية ، وقبل طلوع الفجر من اليوم الثالث إذا فرغ من رمى الجمار عند الحنفية
ولم يحكث إلى مابعد رمى الجمار فى اليوم الثالث .. فلا يأتم بملا التصجيل ، ولا حرج
عليه فى ذلك ومن تأخر يمكى حتى رمى الجمار فى اليوم الثالث ، فلا إثم عليه فى تأخره ،

⁽١) التشريق : تقديد الحم . ومنه عمي أيام من : أيام التشريق ، لأنهم كافرا يقادين لحوم الأضاح فيها .

بل هو أفضل ، لأنَّه التزم السنة .

وذكر نفى الإنم فى التأخير - مع أنه السنة ، مع ذكر نفى الإنم فى التعجيل - للمجانسة مثل قوله تعالى: « وَمَكَرُوا وَمَكَرُ اللهُ ع^(١١) ، وقوله تعالى: « وَجَزَاءٌ سَيْقَةٍ سَيِّمَةٌ مَثْلُهَا » ^(١١). والمقصود : التخيير بين التعجيل والسَأْخير .

ولا يقدح هذا التخيير في أفضلية الثاني على الأول

وقى الكشاف : أَن أَهل الجاهلية كانوا فريقين : فريقا جعل المتعجل آئمًا ، وفريقًا جعل التأثير آئمًا ، فجاء القرآن ينفى المأثم عنهما جميعا .

(لِمَن اتَّقَى):

أى ذلك التخيير لمن اتقى الله فى حجه . وتخصيص التخبير به: إما لأنه هو الحاج - على الحقيقة - والمنتفع بحجه دون سواه ، على حد قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَلَّلْبِينَ بُرِيلُونَ وَجَهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَالْمُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ

وبذلك تقرر : أن التخيير بينهما ، وإباحة كل منهما لكل حاج ـ لا ينبغى أن يكون موضع تحرج أو تشكك . ثم ختمت الآية بقوله تعالى :

(وَاتَّقُوا اللَّهُ) : كما ختمت آيات الأحكام السابقة بالتذكير بتقوى الله تعالى .

والمنى : واتقوا الله فيجميع أعمال الحج ، بأدائها كما أمر الله ، واجتناب ماحرم الله .

وفى البخارى : د من حجَّ ولم يرفُثُ ولم يفسُنُّ ، رجع كيوم وللته أُمَّه ، .

فعلى الحاج أن يلكر هذا، فيحرص على مواصلة تقوى الله وصبادته ، ليظل طاهرا نفيًّا كيوم ولدته أمه .

(وَاعْلَمُواۤ أَنْكُمْ إِلَيْهِ نُحْشُرُونَ ﴾ :

أى: واعلموا أفكم إليه ـ وحده ـ تجمعون للحساب والجزاء يوم القيامة، على ما عملتم : خمرا كان أم شرًّا ، فاحذروه ولا تخالفوا أمره .

⁽١) آل عمران : من الآية ٤٥ (٢) الشورى : من الآية ٥٤ (٣) الروع : من الآية ٨٣ ·

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْخَيْدَةِ اللَّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخَصَامِ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخَصَامِ ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْخَرْثَ وَالنَّمْلُّ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادُ ﴿ وَإِذَا قِبِلَ لَهُ اللّهِ مُنْ الْمُهَادُ ﴿ اللّهِ اللّهِ مَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ مَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ مَا اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ

القبردات :

(أَلَدُّ الْخِصَامِ) : أشد العداء .

(تَوَلَّى) : انصرف ، أو وَلَى الحكم .

(الْحَرّْثَ) : الزرع أو النساء .

(النَّسْل): اللرية.

(العزَّة) : الكبرباءُ .

(الْمِهاد) : الفراش الموطأً .

التفسي

٢٠٤ ــ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ النَّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْمِهِ وَهُوَ ٱلنَّذَ الْخِصَامِ ﴾ :

قسَّم الله سبحانه الناسُ ــ فيما سبق ــ إلى فريقين : فريق يطلب الدنيا ــ وحدها ــ وَكَا يَممل لآخرته حسابًا ، وفريق يرجو فضل الله فى الدنيا وثوابه فى الآخرة . وقد وضمح لنا ــ سبحانه ــ وصف كل فريق منهما ، فى هذه الآية وما تلاها .

ففي علم الآية ، بيّن الله أنّ الفريق الأول: تعمق في النفاق، وأتفن صناعة التمويه والنش ، وبراعة التعبير ، واتخذ من هذا وسيلة له في الحياة الدنيا. فهو يعجب الناس بحديثه ، ويبهرهم بقوله . . وقوله : (فِي الْحَيَاةِ اللَّنْيَا) متعلق بالفعل: (يُعْجِبُ) أَى يعجبك ــ في الحياة الدنيا ــ قوله بفصاحته وحلاوته ، فتتخدع بذلك وتعتقد فيه الصدق . أمّا في الآخرة فلا يستطيع التمويه والتضليل، إذ يظهر كلبه ويفضحه باطل دعواه .

ويجوز تعلقه بلفظ: (قَوْلُهُ) أى يعجبك مايقوله فى أُمور الدنيا وأسباب المعاش : صواة آكانت عائدة إليه أم لا .

فالمراد من (الْحَيَاةِ اللُّنْيَا): مابه المحياة والتعيش .

أو يعجبك قوله في الدنيا وأنها فانية ، وأنه ينبغى اتخاذها صفينة للآخرة : بادخار الإيمان والعمل الصالح فيها .

وهذا المنافق ، لا يكتفى بأن يخدع الناس ويستولى على إصجاب المسلمين ببراعة حديثه ، بل يفعل هذا .

(وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَانِي قَلْبِهِ):

باَّن يدعى أن قلبه موافق لما نطق به لسانه ، ويشهد الله على ذلك، مع أن ماق قلبه ... المدى يشهد الله عليه ... ليس إلا الحقد والعداوة للإصلام والمسلمين .

(رَهُو َ أَلَدُّ الْخَصَامِ) :

أى وهو شديد فى خصومته للرسول وأصحابه، كاذب فيما يتظاهر به من حب وولاء. وهو ــ يذلك النفاق ــ أيغض الناس إلى الله .

ففى حديث مسلم ، عن النبي ً – صلى الله عليه وسلم -- ، إن أَبغضَ الرجالِ إلى الله الأَلَدُّ الخصم ، .

وذكر السدى : أن هذه الآية .. وما تلاما .. نزلت فى الأخنس بن شريق الثقفى ، حينما جاء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم .. فى المدينة ، وأظهر له الإسلام ، وقال : إنما جنت أريد الإسلام . والله يعلم إنى لصادق فيما أقول . وكان حلو الحديث . فأعجب النبيّ منه ذلك ، فلما خرج من صنده ، مرَّ بزرع لبعض المسلمين وحُسُمٍ ، فأَحرق الزرع وعقر الحمر . وذكر ابن عباس : أنها نزلت في نفر من المنافقين : تكلموا في شهداء الصحابة فعابوهم. والآية عامة في المنافقين ، وإن وردت بسبب خاص .

فيدخل في المراد من هذه الآية : أولتك اللين يتظاهرون بالدعوة إلى الإصلاح ، ويستعملون أساليبهم الزائفة ، وعباراتهم البراقة في خداع الناس لكسب ثقتهم ، والاطمئنان إليهم ، حتى يستطيعوا ــ عن طريق هذه الثقه ــ محارية الدين ، وهم يلبسون ثوب الإصلاح .

٢٠٥ – (وَإِذَا تَوَلَّى سَمَى فِي الْأَرْضِ لِيُغْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْمَرْثَ وَالنَّسْلَ . . .) الآية .

أى : وإذا أدبر ورجع بمد مابث نفاقه ، ونفث سمه ، وظن أنه نجع ، واكتسب ثقة الناس .. سعى فى الأرض لينشر فيها الفساد جهد طاقته ، ويهلك الزرع واللرية : بالإكلاف والقتل ، كما فعل الأحنس اللميم ؛ إذ كان يظهر الإيمان والعب للرسول بكلام معسول ، ثم يتولى ، فيحرق الزرع ، ويتلف الأموال.

ويرى بعض المفسرين: أن المقصود بقوله تعالى : (وَإِذَا تَوَلَّى) : إذا ولِيَ الحكم ، وأخد بهده مقاليد السلطان .

ويصبح معى الآية الكريمة على هلا : (وَيِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكُ قُولُهُ فِي الْجَاةِ
اللَّنْيَا) ببيانه الساحر ، وادعائه الإصلاح بين المسلمين وحرصه على مصلحة الأُمة توصلا إلى المحكم ، فإذا ولى هلا الحكم ، وتحكن سلطانه بسببه فعل بالناس مايفعله ولاة السوه ،
وظهر من أمره ما كان يخفيه ، فسعى فى الأُرض - بحيلته وتلبيره - ليفسله
فيها عا يشاة من ألوان الفساد : فيهلك الحرث ، ويسفك اللماء ، وجلد الحريات ،
فيها عا يشاة من ألوان الفساد : فيهلك الحرث ، ويسفك اللماء ، وجلد الحريات ،
وينشر الشرور والمنازعات بين الأُمة ، ويضرب بعضهم ببعض : باصطناع الأعوان ،
وتقريب الأنصار ، ليبسط جم سلطانه على الناس ، ويحتفظ بزعامته عليهم . على حد
قوله تعالى : وفَهَالْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَيْتُمْ أَن تُفْسِلُوا فِي الأَرْض وَتُقَطِّمُوا أَرْحَامَكُمْ (*) .

[•] TT : 4 (1) .

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) :

أى : لاَيْرُضَى الله سبحانه وتعالى ــ بالفساد ولا يقره ، بل يعاقب عليه فى الدنيا والآخرة ، فاحذروه وخافوه.

٢٠٦ - ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّتِي اللَّهَ أَخَلَتْهُ الْمِزَّةُ بِالْإِثْمِ . . . ﴾ الآبة .

المنى : وإذا نصحه الناصحون : باتقاء عقاب الله تمالى فى ألماله وأقواله ، وفى عدم استفلال ذكائه وعلمه وبلاغته فى التضليل والإفساد ـ أخلقه الأنفة والكبرياء بما يوجب الإثم والتوفل فيه ، فلج فى الفسلال والعناد ، لأنه يرى نفسه فوق نصيحة الناهين ، ونقد الناقدين .

فهو فى زمرة من قال الله ــ تعالى ــ فيهم : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِنُوا فِى الْأَرْضِ قَالُونَا إِنَّمَا نَخْنُ مُصْلِحُونَ . آلَا إِنَّهُمْ هُمُّالْمُشْسِنُونَ وَلَكِينَ لَايْشُمُّرُونَ⁽¹⁾ .

والبائد فى قوله : (بِالْإِشْمِ) على هذا ، للسببية ، يعنى أن إثمه الماضى ، كان سببا لأخذ العزة له، واستهلاء الكبرياء عليه ، مع وضوح الحق، وتنبيه الناصحين له ، ولهذا قال سبحانه :

(فَخَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِثْسَ الْمِهَادُ) ;

أى مهما أحرز من جاه وأموال ، فكل هذا إلى زوال . ويكفيه ماسيحل به من عذاب ، فى قار جهنم يوم القيامة ، فإن جهنم متكون له فراشا ممهذا ,

وإذا كان المهاد هو الفراش الممهد ، ليمشريح هليه الراقد ، فاستعماله فى جهشم للشهكم بمن يحُلُّ بها .

وجملة (وَلَيْشُنَ الْمِهَادُ) : جواب قسم مقدر على معنى ؛ والله لبثمن المهاد : و جَهِدُم ﴾ .

قال بعض للفسرين : هذه الآية : تدل عل أن من أكبر اللذوب عند الله : أن يجيب العبد من يقول له : اتن الله : فيقول له .. معرضا عن النصيحة .. هليك نفسك .

٠ (١) البَرَة : ١١ ، ١٧

وذكر الفرطبي : أن يهوديا طال وقوفه على باب الرشيد لحاجة له ، فلما رآه خارجا ، قال له : اتنق الله يا أمير المؤمنين ، فنزل عن دابته ، وخر ساجدا فه ، ثـم أمر بقضاء حاجته . فسأله خاصته فى ذلك ، فقال : تذكرت قوله تعالى :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّذِرِ اللَّهَ آَخَلَنْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِنْم ِ . . .) الآية .

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱشِفَاتَة مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ رَهُ وَفُّ بِٱلْعَبَادِ ﴿ ﴾) .

لفبردات :

(يَشْرِى نَفْسَهُ):شرى ؟ من الأَضداد ، كذا فى الصحاح ، والمراد من شرائها هنا : بيعها ، ومنه قوله تعلى : « وَشَرَوْهُ بِتَمَنِي بَخْسٍ (١)] أَى ياهوه .

التفسي

٧٠٧ ــ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِهَاء مَرْضَاتِ اللهِ . . .) الآبة .

هذه هي الطائفة الثانية ، المقابلة للطائفة التي حكيت أحوالها المذمومة ، فيما مضيمن الآيات.

أى ومن الناس مؤمنون صادقون ، طهرت نفوسهم تقوى الله ، وبرثوا من النفاق ، وركوا من النفاق ، وركوا من النفاق ، وزكت أعمالهم ، فلم يستجيبوا للأهواه والشهوات ، وإنما باعوا أنفسهم .. وهي أهر ما يملكه الإنسان .. طلبا لمرضاة الله ، إذ بالموها في ميادين الجهاد ، وصلوها أقسى أنواع المشقات في طاعة الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، موقنين أن ً ; ما في الحياة .. من جاه ومال وسلطان .. متاع قليل ، وأن الآخرة خير لمن اتقى .

وقد صور التعبير القرآني مَنَّ بَكَلَ نفسه لله ، بصورة من باع نفسه له .. تمالى بيشمن هو مرضاته وثوابه ، فقبل الله هذا البيع ، وأعطاه الثواب الدائم ، مع أن مايلمله لله من نفسه وماله ، ملك له تمالل . ولذا ختم الآية بقوله : (وَاللهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ) حيث أرشدهم لما فيه نشاه ، وجعل النعيم الدائم جزاء الممل الصالح ، على شراء ملكه علكه .

وأكثر الروايات على أن الآية نزلت في صهيب الروى رضي الله عنه .

⁽۱) يوسف: ۲۰

ققد أخرج جماعة : أن صهيبا أقبل مهاجرا نحو النبى – صلى الله عليه وسلم – فاتبعه نفر من المشركين ، فنزل عن راحلته ونشر مالى كتانته ، وأخد قوسه ثم قال : ياممشر قريش ، لقد علمتم ألى من أرماكم رجلا ، وأيم الله ، لا تصاون إلى حتى أربى عا فى كتانتى ثم أضرب بسيفى مابقى فى يدى منه شى ك ، ثم افعلوا ما شفتم ، فقالوا دلنا على بيتك وَمَالِكَ عَكَة ، ونخل عنك ، وماهدوه إن دلهم أن يدعوه ، ففعل . فلما قدم على الشي ــ صلى الله عليه وسلم – قال و أبا يحيى ، ربح البح ، ونلا عليه الآية .

وعلى هذا يكون الشراء - على ظاهره - بمعنى الاشتراء .

وق رواية سعيد بن للسيب رضى الله عنه : أن الذى قال له ذلك، هو أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه .

وأيًّا كان ، فالعبرة بعبوم اللفظ لا يخصوص السبب .

ولذا أحسن من قال : إن الآية نزلت فى كل من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وعرّض نفسه للهلاك .

وهله الآية من قبيل قوله تعالى : • إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ ۖ النَّوْمِنِينَ اَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجُنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْلًا جَلَيْهِ خَفًّا فِي النَّوْوَاقِ وَالْإِمْجِيلِ والْقُرْآوَنْ * • .

(يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِنَ ءَامَنُواْ ٱذْخُلُواْ فِي ٱلْسِلْمِ كَافَّةٌ وَلَا تَشَبُواْ خُطُوَتِ ٱلشَّبَطَنِّ إِنَّهُ لَكُمْ مَدُوِّ مُبِنِّ ۞ فَإِن زَلَتْمُ مِّنَ بَعْدِ مَاجَلَةَ ثَكُمُ ٱلْبَيِّنَتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ ٱللهَ عَزِيزُ حَكِمٍ ۞).

القبردأت :

(السُّلْمِ) : المسللة ، أو الإسلام . وهو : الانقياد والتسليم .

(كَافَّةً) : جميعا . (زَلَلْتُمْ) الزلل : الانحراف والسقوط .

⁽۱) الصة : ۱۱۱

التفسير

٢٠٨ - (بُلِيُّهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَالَّةً . . .) الآية .

يرى ابن عباس أن الخطاب هنا لن أسلم من اليهود .

فقد ذكر: أن الآية ، نزلت في عبد الله بن سلام .. من أحبار اليهود .. وأصحابه الذين آمنوا معه .

وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وآمنوا بشرائعه وشرائع مومى عليه السلام ــ : فعظموا يوم السبت ، وكرهوا لحمان الإبل وألبائها بعد ما أسلموا . فأنكر ذلك عليهم المسلمون ، فقالوا : إنا نقوى على هذا وهذا ، وقالوا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الله وسلم ــ إن التوراة كتاب الله ، فلعنا للعمل بها ، فأنزل الله تعلى هذه الآية .

وعلى هذا، فالسلم بمعى الإسلام ، أى : ادخلوا مع المسلمين فى شريعتهم، مجتمعين معهم ، ولا تفترقوا عنهم ، بالأحد بما نسخه القرآن من التوراة .

وقيل : الخطاب لأمل الكتاب اللين آمنوا بكتابه ، وكفروا بالقرآن . والمعنى عليه . يأمها اللين زعموا الإيمان بشريمتهم : ادخلوا فى الإسلام جميعا ، فليس إيمانكم – يما فى كتابكم وحده ـ يتافعكم .

وقيل: الخطاب للمنافقين , والسلم حعل هذا – يمنى الاستسلام والطاحة القلبية . والمحى : يأم اللين آمنوا بألسنتهم ولم تُومُّن قلومِم : ادخلوا فى الاستسلام ، والطاعة القلبية كافة ، واتركوا النفاق .

وقيل : الخطاب للموَّمنين المخلصين .

والمغنى عليه : يأبها اللين آمنوا بقلوبهم ، ادخلوا فى شعب الإسلام كلها ، ولا تُعظِّوا بشىء من أحكامه .

وقال الزجاج فى هذا الوجه: المقصود: أمر المؤمنين بالثبات على الإسلام. ويجوز أن يكون الممى على هذا: يأمًا المؤمنون المخلصون، ادخلوا فى المسالة جميعا ، ولا تشتقلوا فيما بينكم بالجدل والخلاف الملجى، حتى لا تتفوقوا إلى شيع وأحواب: يقتل بعضهم بعضا.

(وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) :

أى لا تنقادُوا لوصاوس الشيطان ، ولا تستجيبوا له إن دعاكم لعصيان مولاكم .

(إِنَّهُ لَكُمْ عَلَوْ مَّبِينٌ) : .

فلا يؤْمنُ جانبه ، فاحلروه فإنه يُحَدِّرُ من البر خوف الفقر ، ويأمر بالفحشاء والمنكر . قال تعالى : و الشَّيْطَالُ يَعِدُّكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُوكُمُ بِالْفَحْشَاء (١) .

ولما كان من أساليب الشيطان وحيله، أن يدعوكم إلى المنكر والفحشاء، بالتدرج من شر إلى ماهو شرمته؛ فلهذا قال: (وَلاَ تَشْيِّمُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) فقد جمل اتباعه فى وساوسه ــ مرة يعد أخرى ــ بمنزلة اتباحه فى خطوائه ، خطوة بُعد أُخرى .

وعداوة الشيطان للإنسان قديمة ، منذ أن خلق الله آدم عليه السلام .

لمن العقل ألا تتخذ عدوك صديقا .

هذا ، وقد ورد النهى عن تتبع خطوات الشيطان _ بعد الأمر بالدنبول فى السلم كافة ، ليؤكد الاستمساك بالإسلام استمساكا قويا ، فإن من يتبع خطواته ، لا يدخل فى الإسلام دخولا عميقا ، ولا يستمسك به استمساكا قويا ، ولا يلوق خلاوته .

٧٠٩ _ (فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاعَثُكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) :

أى: فإن انصرفتم عن شراتع الإسلام ، وانغستم فى الشفاق والخلاف ، وتكبرتم عن الإذهان والتسليم لدين الله ، من بعد ظهور الحجج الواضحة ، الدالة على أنه من عند الله تعالى ــ فاعلموا أن الله (مَزِيزٌ) : فالب على أمره ، لا يمنعه شيءٌ عن عقابكم ، (حكيمٌ): لا يترك ماتفتضيه الحكمة من مؤاخلة المجرمين .

(۲) نافریت

وحسبكم هذا وعيدًا للمارقين .

(هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَيْهِكُ وَقُضَى الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهُ تُرْجُعُ الْأُمُورُ ﴿ ﴾ .

الفسردات :

(يَنظُرُونَ) : ينتظرون .

(أَنْ يَأْتِيهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُولِ): الظلل؛ جمع ظلة . وهي مايحجب ضوء الشمس من سحاب أو غيره . والمراد من إتيان الله لهم فى ظلل : إتيان بأسه وعدابه . ففي الكلام مضاف مقدو .

(الْغَمَام) : السحاب مطلقا ، أو الأبيض منه .

التفسير

٢١٠ – (مَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهُمُ اللهُ فى ظُلُورٍ مِّنَ الْفَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَتُغِينَ
 الأثرث . . .) الآية .

الاستفهام هنا ، إنكارى . يمنى النفى .

والمنى : ما ينتظر هوُلاء اللين ينصرفون عن الدخول فى السلم - من يعد ما جاعيم البينات الواضحات - إلا أن يأتيهم هذاب الله ، فى ظلل من السحاب الأبيض : يحسبونه رحمة ، وهو عليهم نقمة ، فيكرنُ أشدٌ وقعا على نفوسهم ! !

ونظير هذا قوله تعالى فى هلاك قوم عاد: » فَلَمَّا رَأُوهُ عَارِضًا مُستَفْيِلَ ٱوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَلْمَا عَارِضٌ مُعْفِرْنَا بَلْ هُوَ مَااسَتَمْجَلَتُم بِهِ زِيحٌ فِيهَا حَلَابٌ ٱلِيمٌ . تُلَكُّرُ كُلُّ شَيْء بِأَمِرْ رَبِّهَا ١٦٠ . ه

ثم قال تعالى : (وَالْمُلْآتِكَةُ) : أَى وهل ينتظرون كذلك ، إلا أَن تأتيهم ملاتكة العَلْمَاب ، المركلة بإهلاك الضالين المنحرفين ، فإمم وسائط في إتيان أَمر الله عز وجل

⁽١) الأحقاف : ٢٥٤٧٤

وجملة : (وَقُفِينَ الْأَسُرُ) جملة حالية ، أى هل ينتظرون إلا أن يأتيهم العلماب والملائكة والحال أنه قد قفي أمر هلاكهم وتدميرهم ، فلا يحكن رده ؟

وقيل : الجملة معطوفة على (يَتَأْتِيهُمُ) داخل في حيز الانتظار ، بمنى : وهل ينتظرون إلا أن يقضى الأمر بهلاكهم ؟

وإنما عبر بالماضى(وَتُعُونَ) ليشير إلى جنية الإندار، فكأنه وقع؛ لأن وعيدالله لايتخلف. والآية تهديد ووعيد لمن ينصرفون عن الدخول فيالإسلام ، ويعطلون مسيرته عن أن تهلم مداها .

﴿ وَإِلَّى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأَثُورُ ﴾ :

أى أن مردَّ الأمور - كلها - إليه تعالى وحده . فما شاء فعل . . فمن لا يدخلون في الإسلام ، فلا يستحمى إهلاكهم على الله ، اللهى ينتهى إليه كل شيء .

وق هذا ، إنذار بليغ بعد التهديد السابق . وفيه تنبيه للناظين الفالين ، إلى أن مرجعهم في الآخرة ، إلى الله وحد . "

(سَلْ نَقِيَ إِسْرَ عِيلَ كُمْ ءَاتَيْنَتُهُم مِّنْ ءَايَقِ بَقِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ فِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ بَقِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ فِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ الْفِقَابِ أَنْ وَلَيْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَجَوَةُ ٱلدِّنَا وَيُسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَقَوَّا فَوَقَهُمْ يَوْمَ الْفِينَمَةِ وَاللهِ مِنَ اللّهِ مِنْ اللّهُ مِنْ مِنْ اللّهُ مِنْ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِنْ مِنْ اللّهُ مِنْ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِنْ مِنْ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

القبريات :

(آيَةِ بَيْنَةٍ) : حجة واضحة.

(يُبِيِّكُ نُومْمَةَ اللَّهِ) : يغيرها بالكفر بها ، بدل الإعان بها ، والشكر عليها .

(من بُعْدِ مَا جَآعَنْهُ): من بعد ماعرفها .

(زُيِّنَ) : حُسِّنَ في أَعِينهم .

(بِغَيْر حِسَابٍ) : يرزقهم الله رزقا واسعا لا حساب فيه ، أو لا يُقَدُّرُ على حسابه. وضبطه لكثرته .

التفسير

٢١١ - (سَلْ بَنِي ٓ إِسْرَ ٱلْبِيلَ كُمْ ٱلْنَيْنَاهُم مَّنْ ٱبْهَ بَيِّنَةٍ . . .) الآية .

أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم -، أن يسأل اليهود هذا السؤال؛ تبكيتا لهم وتأنيبا ، وإقامة للحجة عليهم . وهذا السؤال لا يحتمل إلا جوابا واحدا هو : الإقرار بأن الله آتاهم نصوصا عديدة ؛ في الأحكام والبشارة بمحمد ، بينة واضحة في الدلالة على مقاصدها ، ووجوب الممل با ، وحجبًا باهرة على يد موسى وسائر أنبيائهم ، ولكتهم لم يعملوا بمقتضاها فقتلوا فريقا من أنبيائهم ، وكلبوا فريقا ، وجحلوا الأدلة الواضحة ، وغيروا الكتب المنزلة ، وجعلوها قراطيس يبنتونها ويعضون كثيرا ؛ طلبا للرياسة ، وحبًّا لأفراض الدنيا الغانية .

ثم يبين عاقبة ذلك فقال:

(وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدٍ مَا جَآءَتُهُ فَإِنَّ اللَّهَ ضَلِيدُ الْمِقَامِرِ ﴾ :

هذا حكم عام ، عوَاعدة من يُعَيِّر آيات الله ، التي هي من أجلً نعمه تعالى على المُمَيِّر ، بعد معرفته أنها آياته وأنعمه ، فيستبدل الكفر بالإمان ، والجحود بالشكر ، ويتناول الآيات الواضحة ، بالتحريف والتبديل ، تبعا لهواه . فإنه يعاقبه عقابا شديدا .

(فَإِنَّ اللَّهَ تَمْنِيدُ الْمِقَابِ): لكل من ضلوا بعدما جاعثهم البينات، وبدلوا تعمة الله تخريه. وصبر بقوله : (بن بَشْر مَاجَاهُهُ) مع آنها مفهومة من السياق ـ فالتبديل المعاقب عليه
لا يكون إلا بعد الإتيان بها ومعرفتها ـ لإيراز بشاحة جريمة التبديل اللنعم ، بعد المعرفة اليقينية
بصلاحها للمجتمع ، ونفعها له . وذلك أبشع ألوان الفسلال . ولهذا استحق مرتكبوه أشد
أنواع المقاب .

٢١٢ - (زُبِّنَ لِلَّلِينَ كَفَرُوا الْخَيَاةُ النَّنْيَا) الآية .

هده الآية ، تطيل للآية السابقة ؛ فإن الذي دعاهم إلى تبديل نعمة الله كفرا ، ومقابلتها بالجحود – هو تعلقهم بزينة الحياة الدنيا الكاذبة ، ومظاهرها الخداعة ، واستجابتهم لشهوات نفوسهم ، وحرصهم على حب الرياسة ، وجمع الأموال . وفاتهم أن الآخرة خير لن اتقى ، وأن الباقيات الصالحات : خير عند الله ثوابا ، وخير مردًا.

والمعنى : جعلت الحياة الدنيا حسنة فى قلوب اللين كفروا ، فتهافتوا عليها تبافت الفراش على النار ، وأعرضوا عن الإيمان بالله واليوم الآخر .

وفاعل التزيين ــ هو الله تعالى ، لأنه خلق جمالا كثيرا ، وزينة حسنة في هليانا .

وما زين الله الدنيا ، إلا ليخبر بها عباده ، فاغتر بها الجاهلون ، فكفروا أو استمروا على كفرهم ، وأعرض عن مفاتنها فوو الألباب ، فاستيقنوا وآمنوا ، أو لزدادوا إيمانا على إعام .

قال فعالى : و إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ ٱلِّهُمْ ٱلحَّسُنُ عَمَلًا "" ي .

ويجوز أن يكون التزيين من الشيطان ٤ إذ يوسوس لهم الإخلاد إليها ، وترك الممل للآخرة ، على حدقوله تعالى :

⁽١) البكهف: ٧

و لَأَرْبَنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْوِينَّهُمْ أَجْمَعِينَ (1) :

وبجوز أن يكون التزيين ـ فعل قرناه السوء من شياطين الإنس ـ . . لقوله تمالى : و وَغَيْضْنَا لَهُمْ قُرُنَاكُ فَزَيْنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ " ، .

وبالجملة : فدواعي الفتن عديدة . نسأل الله السلامة .

(وَيُسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) :

أَى : يجمعون - مع الافتتان بالدنيا ـ استهزاءهم بالمؤمنين ؛ لإيمانهم بالله وإقامتهم على طاعته .

(وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) :

أى والذين يخافون الله ويحدون عقابه ، يكونون ـ يوم القيامة ـ فوق الذين كفروا منزلة ومكانة عند الله ؛ لأتهم لم تلههم الدنيا ... وإن وُهِيمَتْ يكل مافيها من زخرف ومتاع بين أيدهم ـ عن طاحة الله .

ثم يخمّ الله تعالى الآية بقوله :

(وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآهُ بِغَيْرٍ حِبَابٍ) :

أى والله يعطى من بشاء إعطاءه بغير تقتير ، فيعطى الدنيا من يحبومن لا يحب. ، ولا يعطى الآخرة إلا من يحب .

هذا والآية عامة في جميع الكافرين ، ويدخل فيهم اليهود دخولا أوليا .

^{. (}١) المبر: ٢٩

⁽۲) نصلت : ۲۵

(كَانَ النَّاسُ أَمَّةُ وَحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِ بَ وَمُنلِرِ بَنَّ وَالْمِيَّ وَمُنلِرِ بَنَّ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْمَيْنَابُ بِالْحَقِي لِيَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفُ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَ تُهُمُ الْبَيِّنَتُ بَغْياً بَيْنَهُم فَهَدَى اللهُ اللَّذِينَ اللهُ المَّنَافُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِينِ إِلاَّنِهِ وَاللهُ يَهْدَى مَن يَشَاهُ إِلَى صَرَاط مُسْتَقَيم ﴿) .

القسردات :

(أَمَّةً) : جماعة من الناس ؛ أمرهم ومقصدهم واحد . مأُخوذة من : أمَّه أى قصده . (مُبَشِّرِينَ وَمُنْدِرِينَ) : واعدين المتقين بالجنة ، ومحوفين الكافرين من النار .

(البَّيَّنَاتُ) : الأَّدلة المقنعة الظاهرةِ .

(بَغْيًا) : ظلما وعدوانا .

التفسير

٢١٣ -- (كَانَ النَّاسُ أَمَّةً وَاحِلَةً فَبَكَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْلِرِينَ . . .) الآية .

هذم الآية تحدمل عدة معان ، منها :

أن الناس كانوا مجتمعين على دين واحد ، في عهد آدم عليه السلام . حيث نشأً أولاده على دين أبيهم آدم – وهو قائم على توحيد الله وعبادته .

ومنها: أَنْهُم كانوا على فطرة واحدة؛ فطر الله الناس عليها، وهي فطرة الإيمان بالخالق -- سبحانه -- فهو أمر فطرى: يُحِسُّهُ الإنسان، ويدركه يفطرته، إذا تجردت نفسه عمن __ يصرفها عن الحق إلى الباطل .

45.

وعلى هلين الفهومين، يكون معى الآية : كان الناس على العقيدة الحقة : التي فطر الله الناس عليها ، فأغواهم الشيطان فكفروا ، فبعث الله النبيين ، مبشرين من آمن بحسن الثواب، ومنذرين من كفر بشديد العقاب .

ومنها : أن الناس كانوا - قبل إرسال الرسل - على دين واحد ، هو الكفر ، بسبب إغواه الشيطان لهم ، وصدهم عن سواه السبيل ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذوين ، رحمة بم ، وإرشادًا لهم ، لعلهم بتدون ، إلى مافيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم .

وقد جاء فى عدد الأنبياء وللرسلين ، ما أخرجه أحمد وابن حبان عن أبي فر أنه سأل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : كم الأنبياء ؟ قال : ومائةُ ألف وأربعةٌ وعشرون ألفا ﴾ . قلت : يارسول الله ، كم الرسل ؟ قال : ثلاث مائة وثلاثةَ عَشَرَ : جم ففير ﴾ .

(وَأَنزَلَ مَعْهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقُّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ :

أى وأنزل معهم الكتب السماوية التي توضح لهم العبادات ، وشرائع المعاملات ، طبقا للحق والعدل .

فإذا حادوا عن سواء السبيل ، عادوا إلى هذه الكتب السماوية : يحكمون إليها ، فتردهم إلى الصواب.

> ثم بين من اختلفوا فى دين الله ويدلوا كتبه ، فقال : (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ النِّينِ أُوتُوهُ مَن بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ ٱلْبَيَّنَاتُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ):

أى : وما اختلف فى الحق ، أو فى الكتاب المنول ، إلا اللين أوتوه من أرباب العلم والدراسة ، بعد ما جاتهم الحجج الواضحات على وجوب الأخد به ، وعدم الاختلاف فيه . وكان اختلافهم هذا : بنيا بينهم ، أى ظلماً أو حسداً حاصلاً بينهم ، ونسوا ــ أو تناسوا ــ حظًا مما ذُكُروا به ، وبدّلوا نعمة الله كفرًا فأصبحوا عصدرًا لإضلال الناس ــ وهم يعلمون ــ بدلا من أن يكونوا لهم هلاة مرشدين .

وهكذا ، عكسوا الأَمر ، فجعلوا ما أنزله الله مُزيلا للاختلاف -- سببا لبقائه ورسوخه . (فَهَاكَ اللهُ اللَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَقُوا فِيهِ مِن الْحَقُّ بِإِذْنِهِ) : أى : فهدى الله اللدين آمنوا وصدقوا يقلوبهم - فى كل الأديان - للحق اللبى اختلف فيه هؤُلاء المختلفون ، وأعرضوا عن خلافهم ، ولم يصبُّوا بهم ، وأقاموا على طاعة مولاهم .

وقيل : المراد من (الذين آمنوا) أمة محمد-صلى الله عليه وسلم --: هداهم الله لما اختلف فيه أهل الكتاب من الحق ، بإذنه تعالى وتيسيره ، فمرفوه .

ومن ذلك: هلايتهم إلى تنزيه -تعالى- عن الصاحبة والولد، وأن إبراهيم - عليه السلام - كان حنيفا مسلما ، وما كان وديا ولا نصرانيا ولا مشركا ، وأن مريم سيدة شريفة ، وليست كما وصفها اليهود ، وأن عيمى رسول الله ، خلافا لما زعم اليهود من ففى رسافه ، ولما زعم النصارى من أنه ابن الله . . إلى غير ذلك .

وفى هذا يقول الله تعالى : « إِنَّ كَلْمَا الْقُرْآنَ يَتُمُّسُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتِلُهُونَ ^(١) .

وإذا كان المسلمون اليوم ، قد تفرقوا كما تفرقت الأمم السابقة ، وانقسموا إلى طوائف ومذاهب : بعضها يخالف الحق ، فإن الله يقيض/لهذا الدين-دائما-من يظهر الحق وينصره ، ويزهق الباطل ويخدله ، استنادا إلى كتاب الله- تعالى – المحفوظ بعنايته من التحريف والتبديل .

وووى ابن ماجه ، عن أنى هريرة ، عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : و لا تزال طائفةً من أُرثى قرَّامةً على أَمر الله لا يَضُرِّها مَنْ عَالفها ۽ .

وروى الحاكم ، عن عمر ، عن النبي -- صلى الله عليه وسلم -- : و لاتزال طائفة من أمنى ظاهرين على العن حتى تقومَ الساعة » .

فاقة الطيف بعباده : يرصل إليهم الرسل ، ويُنْزِل عليهم الكتب السماوية ، ويمدهم الكتب السماوية ، ويمدهم بالعلماء العاملين المرشلين المصلحين ؛ ليردوا الطوائف الفهالة إلى الصواب ؛ وليُظْهِرُوا وَلَيْنَا الله الله تعالى عن عنام الآية : (وَلَفَةٌ بِوَلِهُ مِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ تعالى عن عنام الآية : (وَلَفَةٌ بَهْدِي مَنْ يَضَاعُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَكِيمٍ)

⁽١) التبل : ٧٦

(أَمْ حَسِبْمُ أَن تَلَخُلُواْ الْمَضَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ حَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمُ مَّشَّهُمُ الْبَأْسَالَهُ وَالفَّرَاةِ وَذُلْزِلُواْ حَتَى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَنَى نَصْرُ اللَّهِ الْآلِانَ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿ ﴾).

الأسردات :

(أَمْ): تَأْلُى بَعْنَى بل وهمزة الاستفهام . ويرى أبو هبيئة : أنَّها للاستفهام وحده .

(حَسِيْتُمْ) : ظننتم :

(خَلُوا) : مَضُوا .

(الْبِيْأَسَاكَة) : الفقر ، أو الحرب ، أو الشدة .

(الضَّرَّاكُ) : المرض ، أو الضيق ، أو الضرر مطلقا .

(زُلْوِلُوا) ؛ الزلزلة : الحركة الشلميلة . والمراد هنا : إصابتهم بالاضطراب النفسي ، اللَّذِي مِنْ النفس هَزَّا ضيفًا ويترعجها .

التفسس

 ٢١٤ - (أَمْ حَسِيثُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَتْتِكُم مَّقُلُ اللّهِينَ خَلُوا مِن قَبْلِكُمْ . . .) الآية .

الربط :

للا بين الله - في الآية السابقة - : هدى الأُمّة المعملية ، لما اختلف فيه أهل الكتاب --أتبع ذلك ، حثَّ الوَّمنين على الصبر ، وتحمل الأَدّى ممن يخالفوهم ، كما كان يفعل المؤمنون من قبلهم .

سبب النزول :

نزلت هذه الآية فى غزوة الخندق ، حين أصاب المسلمين ما أصابهم ، وبلغت القلوب الحناجر .

وقيل : نزلت في غزوة أُحد ، لَمَّا قُتِل من المسلمين عددً كبير .

وقال عطاء : لما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه المدينة ، اشتد الشركين ، وآثروا الله عليه عليه كله يند المشركين ، وآثروا وضاء الله عليه وسلم – ، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ، وأَسَرُ قوم من الأَغنياء النفاق ، فأثر الله عليه وسلم – ، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ، وأَسَرُ قوم من الأُغنياء النفاق ، فأثرل الله هذه الآية ؛ تطبيبا لنفوس المؤشين .

وكيف كان سبب النزول ، فالمقصود من الآية هو : حث المؤمنين على التحمل والصبر . حينما يمتحنون بالشمائله ، فى سبيل دينهم . فلا يَثْبَأُون بما ينالهم – فى أنفسهم وأموالهم _ من الأذى ، فإن الله عنده خير العوض .

والمراد يمثل الذين خلوا من قبلهم : ما نالهم من الشدائد والمحن في سبيل دينهم .

وفي ذلك روى البخاري وغيره : عن خَباب بن الأرت ، قال :

شكونا إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وهو متوسًد بردة في ظل الكعبة .. مالقينا من المشركين . فقال : و إنّ مَنْ كان قبلكم : كان أَخَدُهم يوضَعُ المبشارُ على مَشْرِقر رأسه ، فيخلصُ إلى قلميه : لايصرفهُ ذلك عن دينه ، ويُمشطُ بأمشاط الحديد مايين لحمير وعظمه : لايصرفه ذلك عن دينه . تم قال : و والله ، كيتمن هذا الأمرُ ، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت : لايخاف إلا الله ، واللشب على غنمه . ولكنكم تستجود » .

وأداة الجزم (لَمًّا) تدل على نفى الماضى مع ترقب وقوعه فى المستقبل ، وهذا ليوطُّن المَّومَونُ أنْفسهم ، على احتمال ما ينتظر أن يقاسوه من أهوال .

ومعنى الجملة على هلما : بل أظننتم أنكم .. عجرد إيمانكم .. تلخلون الجنة ، دون أن تتعرضوا للمشقة والابتلاء ، كما تعرض المؤمنون الاتقياة من الأم السابقة ؟ قاك تعالى : « أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُّوا أَن يَقُولُوا آتَنَا وَهُمْ لَا يُعْتَنُونَ . وَلَقَدْ قَتَنَا الَّذِينَ مَن قَبْلِهِمْ فَلَيَّهُلَّمَنَّ اللهُ اللَّذِينَ صَلَكُوا وَلَيَهُلَمَنَ الْكَافِينَ لَ⁽¹⁾ » .

وقد أوضح الله ما نال المؤمنين الصادقين – فى الأمم السابقة – من المحن ، حمى يشأمى بهم المسلمون ، فقال : (مَسْتَهُمُ البَأْسَاءَ والضَّرَّاءَ وَزُلْتِرُلُوا حَنَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ' مَشُوا مَنَهُ مَتَى نَصْرُافُ ؟ ؟

والجملة هنا ، كالجواب عن سواًل مقدر ، هو : ماذا أصاب اللين كانوا من قبل من شدائد وأهوال ؟ فكان الجواب : (مَسَّتُهُمُ الْبَاأَسَاةُ والفَّرَّاكَة...) أَى أَصابِتهم الشدائد والأهوال ، وتعرضوا لفظائم الحروب الظاهرة والخفية ، والمتز كيانهم اهتزازًا عنيفًا ، حى كاد اليأس يصيطر على تفوسهم ، وحتى تطلع الرسول والمؤمنون معه - من هول ماقاسوه - إلى الله ، استعجالًا لنصره . فهم لايتُشكّون في تحقيق وعده ، ولكنهم يتعجلون - حدوثه .

والرسول هنا : للجنس ؛ لأن كل رسول جاهد في سبيل الله ، هو والمؤمنون به ، وتعرضوا للشدائد والأهوال ، فلجأوا إلى الله ــ تعالى ــ يطلبون نصره الذي وعده عباده المؤمنين .

والتعبير بصيغة المضارع: و يَعُول ، بدلا من الماضى ، قال ، لأن هذا كان يتكرر من جميع الرسل والذين آمنوا معهم ، ولاستحضار هذه الصورة، ليتأسى بها المسلمون .

(أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) :

أى : فقيل لهم طمأَنة لنفوسهم ، وتطيببًا لقلوبهم ، وإسعافا لهم بمرامهم ﴿ أَلَا إِنَّ تَصْرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴾ .

وإيثار الجملة الاسمية على الجملة الفطية المناسبة لما قبلها ، وتصديرها بحرف التنبيه ، وتأكيد مفسون الوعد بإنَّ لتأكيد ثحقّق مفسونه .

⁽١) العنكبرت : ٣ ، ٣

(يُسْقُلُونَكَ مَافَا يُنفِقُونَ ۚ قُلْ مَاۤ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَنْمَىٰ وَالْسَنَكِينِ وَآبِ السَّبِيلِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَبْرٍ فَإِنَّ اللَّهِ بِيهِ عَلِيمٌ ۞) .

القبرنات :

(وَالْمَسَاكِينِ) : هم من لايجلون كفايتهم ولو مع العمل ، قال تعالى : و أَمَّا السَّفيينَةُ فَكَانَتُ لِمَسَاكِينَ يَهْمَلُونَ فِي الْهَمْرِ ⁽¹¹ ه .

(وَابْنِ السَّبِيلِ): القريب المنقطع عن وطنه ، ولامال معه . ويمكن إطلاقه على الملاجئ أو المهاجر، ولامال يكفيه .

التفسير

٢١٥ – (يَشْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا آنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
 وَالْيَنَاقَ وَالْمُسَاكِينِ وَالْبِنِ السَّبِيلِ . . .) الآية .

بعد أن ذكر الله في اسبق - أن الحياة النئيا ازدانت للكافرين ففتنتهم ، وأن الله أرسل الرسل لهداية المستحدين للهداية ، وأن على المؤمنين أن يستحدوا للجهاد والبذل والتضحية في مهيل الله ؟ لينالوا ثوايه وجنته ؛ وليظفروا بنصره الموحد - أنبعه بيان وجوء إنفاق المال.

سبب النزول:

قال ابن صاس-رضى الله عنهما- فيا رواه أبوصالح عنه : (كان عمرو بن الجموح شيمةًا كبيرًا ذا مال كثير ، فقال . يارمول الله ، ماذا نتصلق ؟ وعلى من ننفق ؟ فنزلت) ،

وهن ابن جريج قال : « سأل المؤمنون رسول الله ... صلى الله عليه وسلم ... أين يضمون أموالهم ؟ فنزلت .

⁽۱) النكيت : ۷۹

ظاهر الآية يفيد : أنهم سألوا عما ينفقونه من الأَموال ؟ وكانت الإِجابة ببيان مصارفها ، لأنها أهم، فإن قيمة النفقة ومنزلتها المستنبعة للثواب، باعتبار هذه المصارف.

قال بعض العلماء : هذا من الأُسلوب العكيم ، الذى يقصد به توجيه السائل إلى ماكان يشبغى أن يسأل عنه . ويمكن أن يقال : إنه تعالى أُحاب عن سؤالهم بما يناسبه، وزاد عليه فائدة أُخرى، هى بيان المصرف . فإن الإجابة عن سؤالهم : (مَاذَا يُنفِيْمُونَ) واردة إجمالا فى الآية الكريمة وهى : (مَا أَلْفَقَتُم مُنْ خَيْر) :

قالخير : يتضمن ماكان حلالا ، كثيراً كان أو قليلا ؛ إذ لايسمى ماعداه خيراً .

ومثل هذا مثل رجل يسأل طبيبه: هل يأكل العسل؟ فيجيبه الطبيب قائلا: كُلهُ مع المثل. فالزيادة في الجواب حلى مايقتضيه المؤال - مستحسنة . وتسمى أيضًا : أساني، الحكم.

على أننا لو نظرنا إلى سبب النزول الأول ، لوجدناهم فيه يسألون الرسول أيضًا هن المصرف . ولم يذكر فى الآية ؛ للإيجاز فى النظم: تعويلا على الجواب ، فتكون الآية جوابًا لأمرين مسئول عنهما .

(فَلِلْوَالِلَهُنِ وَالْأَقْرَبِينَ والْيَنَاسَى والْمَسَا كِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ) :

وقد استفيد من الآية : أن ماينفق من الخير : يعطى للوالدين ، والأقارب الفقواء ، (وَالْيَتَاكَى) : وهرمن فقدوا آباءهم وكانوا فقراء . (وَالْمُسَاكِينِ) : وهم من لا كسب لهم ، أو لهم كسب لايني بحاجهم . (وَابْنِ السَّبِيلِ) : وهو المنقطع في سفر ، ولايجد مايكتمية .

ولم تتعرض الآية للسائلين للخولهم في المساكين ءكما أنَّها لم تتعرض للأَقارَابِ للملك.

والأُكثرون: على أن الآية في صدقة التطوع. وقيل : في الزكاة. واستمل ما من أباح صرفها للوالدين.

والأَّول أرجح ، لعموم كلمة (خَيْرٍ)، وخصوص الزكاة ، وكونها مُقَدَّرة .

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ :

أى وما تنفقوه من نفقات طبية لا إنم فى كسبها ، أو تصنعوه من معروف ــ يعلَمه الله و ويُجرِّ عليه الجزاء الأوفى . وقال : (وَمَاتَضَلُوا) ولم يقل : وماتنفقوا من خير ؟ الله في المنفق وغيره : من معاونة القوى للفحيف ، وصاحب الجاه لن لاجاه له ، والصحيح للمريض ، كما يدخل فيه الإصلاح بين المتخاصمين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكل .

وجواب الشرط هنا ، مؤكد بـإن ؛ لتقرير الوعد بحسن الجزاء المستنبط من جواب الشرط .

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقَنَالُ وَهُو كُرَّهُ لَّكُمُّ وَصَىٰى أَن تَكْرَهُوا شَيْعًا وَهُوَ خَرِّ لَكُمُّ وَصَنِى أَن نُحِبُوا شَيْعًا وَهُو شُرُّ لَكُمُّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمُ لَا تَعْلَمُونَ ۞) .

القبر بات :

(كُتبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) : فُرض عليكم قتال الكفار .

(كُرْهُ) : بمعنى مكروه ، كخپر بمعنى مخبوز ، أى مكروه ـ: طبعا ــ لمشقته .

ويجوز أن يكون القتال هو نفس الكره ، بمناه المسدرى ، مبالغة في مشقته على النفوس ، مثار قول الخنساء :

· فيأتما هي إقبال وإدبار :

⁽۱) الزازلة ؛ ۲۰۸

التفسير

٢١٦ - (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْفِيَالُ وَهُوَ كُرُهُ لَكُمُ . . .) أَلَايَة .

بين الله قبل هذه الآية ، أن الجنة لإيليخلها المؤمن ، حتى يقامى البأساء والفهراء ف سبيل دينه ، كمثل اللين من قبلهم ، وذكرتهم مصارف الله ، ومواضع النفقات

وجاءت هذه الآية لتبين لهم وجوب الجهاه ، دفاعاً بعن الإصلام ، وهو المثلنة الأولى للياساء والضراء ، التي لابد من امتحان المؤسمين بها .

وقد بين الله فى هذه الآية الكريمة: أنه فرض على المسلمين الجهاد ، وأنه مكروه لهم ، وتلك الكراهة أمّر جيلًى ، لما فيه من القتل والأسر ، وإتحاب البدن ، وتلف المال ، وقتل ماصى أن يكون من الأقارب على الكفر - وهم يحيون أليّ بيلسهم الله إلى الإسلام - وهذا لايناك رضاهم بما كالمنهم الله به حبًا فى مرضاة الله وطمعًا فى ثوابه ، كالمريض يرضى بشرب اللواه الكريه العلم ، حبًا فى الشفاه .

والجهاد أصلا: فرض كفاية ، يقوم به المجندون من شباب المجلمين ، ناتبين عن بقية المسلمين .

فإذا دخل العلو بلاد الإسلام غازيا ، فقد انعقد الإجماع على أن الجهاد فوض عين، على جميع المسلمين سواءً أكان بالفتال أم بالحض عليه ، أم بتجهيز المقاتلين ، أم تثبيتهم ، أم برعاية أسرهم ، أم علاجهم : أم تأهيب الرأى العام على المتدين

ويكون ذلك حسب طاقة المجاهد .

قال نعالى : ٥ انفرُوا خِفَافًا وَلِقَالًا وَجَاهِلُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ٥٠٠،

وقال -صلى الله عليه وسلم-: دمن مات ولم يَنْزُ ولم يُحَدَّثُ فَمْسَهُ بِالغَرْدِ ، مات على شُعَبَةٍ مِن النَّفَاقِ عِنْ .

⁽١) الترية: ١١

⁽۲) رواء سلم

وقال۔ صلى اللہ عليه وسلم ۔ : «من لم يَغَوُّ أو لم يُجَهَّزُ خَارِيا ، أَو يُخْلِف غازيا فى أُهله بخير ، أصابه بقارعة قبل يوم القيامة » (١٠٠ .

(وَعَتَىٰى آن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُو خَيْرٌ لَكُمْ وَعَنَىٰ آن تُحْبُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرْ لَكُمْ) : عسى هنا، المتحقيق ، كنظائرها الواقعة فى كلامه تعالى أو : للترجى، باعتبار حال السامع. وموضع الرجاء، هو الخير المترتب على الجهاد . فالرجاة هنا ، يكون فى نية المقاتلين ، بأن يترتبوا من ورائه النصر والدواب من الله تعالى .

وعسى هذا ، تامة ، صد مايعدها ، مسد اسمها وعبرها .

والمعنى : أنكم قد تجهلون حقائق الأُمور ، فتكرهون شيئا مما كلفتم به ، وتحاولون اجتنابه ، ولكن نهايته تكون خيرا لكم ، وتحيون شيئا وتحرصون عليه، ولكن نهايته – مع حبكم له – تكون شرًا لكم . فليس كل مكروه ضارًا ، ولا كل محبوب نافعا .

والعجهاد: هو مصدر العزة والكرامة والتحرية. وفيه إحدى العسنييين: الطَّفَرُ أَو الشهادة . وماترك قوم الجهاد إلا ذلّوا ، وأصبحوا فريسة سهلة للمشدين .

فالقمود عن الجهاد ، وإيثار السلامة والاستصلام ــ يقود الأُمّة إلى : الضعف ، والفقر والذل ، والهوان .

(وَاللَّهُ يَظُمُ وَأَلنُّمْ لَا تَطْلَمُونَ) :

أى (وَاللهُ يَمُلُمُّ) ماهو خير لكم ، وما هو شرَّ لكم ، (وَأَلْتُمْ لاَ تَمُلَمُونَ) ذلك فلانتيموا ماتحيل إليه نفوسكم ، وبادروا إلى امتثال ما أمركم ، ففيه الخير دائما .

⁽۱) دراه أبر دارد.

(يَسْعَلُونَكَ عِنِ الشَّهِرِ الْخَرَامِ فِتَالِ فِيهِ قُلْ فِتَالُ فِيهِ كَبِرِ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُكِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبُرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِنَنَةُ أَكْبُرُ مِنَ الْفَتَلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَتِيلُونَكُمْ حَتَى يُرُدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَلَعُواً وَمَن يَرْتَلِدُ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتُ وَهُو كَافِرٌ فَأُولَدَ لِكَ حَبِطْتُ أَعَمَلُهُمْ فِي الدُنْبَا وَالآخِرَةِ وَأُولَدِ فَي أَصْدَبُ النَّارِ هُمْ فِيها خَلِلُونَ ﴿) .

الفـرنات :

(الشَّهْرِ الْحَرَامِ) : أحد الأشهر التي حرم فيها القتال وهي : رجب ، وذو القبعلة. ، وذو النحبة ، والمحرم .

(الْفِيْنَةُ): المراد منها ، تعليب المسلمين وإخراجهم من ديارهم، وصدم عن المسجد الحرام ، وعن دين الله تعالى .

(حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) : بطلت وفسلت .

التفسير

٢١٧ ــ (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَّامِ قِتَالَمْ فِيهِ . . .) الآية

تكررت آيات الأَّحكام فيما سبق ، وتكررت الأَّسئلة طلبا لتوضيح الأَّحكام .

والسؤال هنا ، يدور حول حكم السَّرِية التي قادها عبد الله بن جحش ، فَقَتَلَت وأَسَرَتْ في الشهر الحرام ؟

سبب النزول :

أخرج الطبراتى، في الكبير ، والبيهتى ، في سننه ، وابن جرير ، وابن أى حاتم وغيرهم ماتلخيصه : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث وهطا بقيادة عبدالله بن جحش إلى نخلة ، فقال : كن بها حتى تأتينا بغير من أخيار قريش ، ولم يأمره بقتال ، وكتب له كان نخلة ، فقال : كن بها حتى تأتينا بغير من أخيار قريش ، ولم يأمره بقتال ، حتى إذا سرت يومين فاقتح الكتاب وانظر فيه ، فما أمرتك به فامض له ففعل ، فإذ فيه أمرهم بالنزول بنخلة ، والحصول على أخيار قويش ، فتوجه بأصحابه نحو نخلة ، فلقوا نفرا من قريش فقتلوا أحدهم ، وأسروا النبين منهم ، وأخلوا عيرهم وحادوا إلى المدينة فلما قلموا على رصول الله - مبلى الله عليه وسلم - قالد لهم : والله ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فأوقف الرسول الله ما قلب الموا الله ما قال ، سقط في أيسم ، وظنوا أن قد هلكوا ، وضغهم إخواهم من المسلمين .

وقالت قريش - حين بالهيم أمر أمؤلاء -: قد سفك محمد الدم الحرام ، وأخذ المال وأسر الرجال ، واستحل الشهر الحرام .

تنزلت .

مُأْخَذَ رَسُولُ اللهِ الْعِينُ ، وَقَلَلِي الأَمِيرِينَ .

واختلف فى وقت حَدُوث لِمُجُلِّك ، َفَهِحَشَ المَرَاوَاتِ تقول : إن ذلك كان فى آخر يوم من جمادى الآخرة وهو حلال : ويليه:شَهر رجب . وهو شهر حرام .

وبعضها تقول : إنه كان في آخر يوم من رجب.

ولمل ذلك أرجع ، قيان الله تُنهِله ، إذ فيها أيم سألوا عن حكم القتال في الشهر المحرام ، كما أن الرواية التي تقوّل إن كان المحرام ، كما أن الرواية التي تقوّل إن كان المحرام ، القد ذكرت ما رويناه من أن الرسول بطف أنه ما أمرهم بالقتال في الشهر الحرام ، وتوقف عن أخذ العبر ، وأوقف الأسيرين ، وأن الرسول لما قال لهم ما قال ، سقط في أيسهم ، وظنوا أنهم هلكوا ، وأوقف الأسيرين بنفوا بهدالله بن جحش وإخوانه على ماصنعوا ، ولو كان ذلك في آخر يوم من جمادي ما حدث ذلك ، ولو حدث لدافع عبد الله وإخوانه عن أنفسهم .

وكما أن السؤال فى الآية ، دلّ على أن القتال كان فى الشهر الحرام ، فالمجواب قرر ذلك . ولكنه عَلَرهم ، إذ بين أنه وإن كان القتال فيه عظيم الوزر ولكن وزر المشركين أكبر ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشُّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالَمٍ فِيهِ) :

السائلون هم المسلمون ، فقد سألوا عن حكم القتال فى الشهر الحرام ، بعد ما طموأ بما كان من سريّة عبد الله بن جحش .

والمعنى : يسألك المسلمون عن الفتال فى الشهر الحرام : أهو جائز أم لا ؟ شم كان الجواب :

(قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) :

أى القتال فيه عظيم الوزر كبير الإثم .

وقد أثبت هذا الجواب حرمة القتال فى الشهر الحرام ، وأن ما اعتقده أهل الشرك من استحلال الرسول القتال فيه ياطل .

أما ما وقع من عبد الله بين جعش وأصحابه ، فقد كان اجتهادًا منهم ، فقد رًاوا أن قتال المشركين فيه حلال ، لاَنهم أخرجوهم من ديارهم ، وصلّوا عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام وطلبوهم وهم محكة . ومن اجتهد وأخطأً ، فله أجره ، فكيف بمن اجتهد وأصاب ، حيث أفّر الله اجتهاده وطده ؟ !

وإعادة لفظ الفتال؛ للاهتمام بأَمر الحكم فيه . وتنكيره ؛ للإيلان بأَن أَى قتال فيه ملموم وإِنْ قَلَّ ، وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى أَنْ وَاقَشُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ، (1) وقوله أَنْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَلْتُمُوهُمْ ، (⁷⁷ ، فالفتال فى النهر العرام نسخت حرمته بما ذكر .

⁽١) البقرة : ١٩١

⁽٢) النماء : ٨٩

(وَصَدُّ مَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفُرْ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَّامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبُرُ عِندَ اللهِ ﴾ :

المعنى و إذا كان القتال فالشهرالحرام إثما كبيرا، فإن الصَّدَّ عن دين الله ، والكفر يه ، والصدَّ عن زيارة المسجد الحرام بمكة المعرة، وإخراج أهله المسلمين منه ـ مجردين من أموالهم ـ كل هذا ـ أكبر جرعةً ، وأبشع إثما عند الله ـ سبحاتهُ ـ من القتال في الشهر الحرام .

وقد فعُل المشركون هذا كله .

فقد قاُوموا الدعوة الإسلامية '، وعبدوا الأوثان، ومتعوا المسلمين من أداه شعائر العبادة بالمسجد البُورام، وعلمبوهم ، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بمكة .

قأَى إِلَّم أكبر من هذا ؟

ثم عطف على المحكم الجزئي السابق ، حكما كليا : يتناول ما تقدم ، كما يتناول ما يماثله مستقيلا ، أفعال تمالى :

(وَالْفَجِّنَةُ أَكْبُرُ مِنَ الْفَتْلِ) :

أى ما يُفتن به المسلمون ويعلمون به ، أكبر إلى عند الله من القتل . وقد بالغ المشركون في إيشاع الأتنى بالمسلمين ، لصرفهم عن دينهم فقد ملَّيوا ياسرًا والد عمَّار : كانوا يكونه بالنار ليرتَدّ عن الإسلام ، حتى مات فى العذاب .

وعَدَّبُ أَبُو جَهل، سُميَّةَ أَم صار زوجة ياس . تعليبا شديدا ، ثم طعنها بين فخلمها بحَرِّيَةٍ طَفِّةً قَفْت عليها .

وأُوذِيُّ عمَّار بن ياسر ق الله ، حتى حملوه على كلمة الكفر فقالها . تقية وغفرها الله له.

وكان أُمَيَّةُ بِن خلف يُعَلِّبُ يلالا ، فيجيمه ويعطشه ويطرحه فى الرمضاء ، ويضع على صدره الصحر، ويكويه بالنار؛ ليرتد عن الإسلام .

وغيرهم كثير ، بل لم يَسْلَم النبي - صلى الله عليه وسلم - من إيداء قومه . وأخيراً تآخروا على قتله للقضاء على رسالته السعاوية ، فنجَّاه الله بالهجرة إلى لللبينة ومن هنا ، كانت الفتنة أكبر من القتل ؛ لأُمها قتل بطىء : مصحوب بالتعليب والتنكيل . وقيل المراد بالفتنة : الشَّرك والكفر .

(وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن بِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) :

أى هم لم يكتفوا بالصد عن سبيل الله والكفر به ، ولم يقتنعوا بتعليبكم ، وإخراجكم من دياركم ، بل لا يزالون يفتنونكم ، بشن الحروب عليكم ، لإبادتكم ، أو صرفكم عن دينكم القويم إن استطاعوا ، وسيظل شأن الكفار مع المسلمين مستقبلا كذلك .

ولا شك في أن مقابلة العدوان... عثله ... أمر مشروع .

والتعبير بحرف الشرط (إنْ) لامتبعاد استطاعتهم صرفَهم عن دينهم .

ثم حذرهم فقال :

(وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن بِينِهِ فَيَنْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰفِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِى اللَّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ :

أى من يستجب منكم لهؤُلاه المشركين، فيرجع عن دينه إلى دينهم، فيمت وهو كافر: بطل كل عمل صالح قدمه ، وخسر الدنيا والآخرة .

وقى هذا ، إنذار شديد ، لن تحدثه نفسه ... من ضعفاء الإيمان .. بالارتداد .

(وَأُو لَا فِيكَ أَصْحَابُ النَّادِ هُمْ فِيهَا خَالِثُونَ) :

أى وأولئك للرتدون عن دينهم ألهل النار ، هم فيها خالدون ، إذا ماتوا وهم كالحرون . ولا يغني عنهم إيمائهم السابق على الردة .

أما من ارتد عن دينه ، ولم بمت وهو كافر ، بل تاب عن ردته وكفره ، فالله يقبل تربته بفضله .

واستدل الإمام الشافعي بالآية : على أن الردة لا تحيط الأعمال، حتى يموت صاحبها عليها .

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِيرَ عَاجَرُواْ وَجَنْهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ نَبِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ ﴿) .

التفسسر

٢١٨ ــ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا . . .) الآية .

سبب النزول :

روى جعفر بن عبد الله ، وحروة بن الزبير ، وغيرهما ، أن الآية السابقة ، لما نزلت : اطمأن عبد الله بن جحش ومن معه ، إلى أنهم لم يرتكبوا إثما في قتال
المشركين في الشهر الحرام ، وظن بعضهم أن الآية السابقة نفت عنهم الإثم
فقط ، فقالوا : إن لم يكونوا أصابوا وزرًا فليس لهم أجر . فقال عبد الله بن جحش
ومن معه : بارسول الله ، أنطمع أن يكون لنا غزوة نُعطَى فيها أجر المجاهدين ؟ . فأنزل
الله هذه الآية ، ليبين أمرهم وأمر كل من آمن وهاجر وجاهد في سبيل الله .

والمعنى : أن المؤشين الصادقين: اللين هاجروا من مكة إلى للدينة ، وتركوا أموالهم وهيارهم ، حرصا على دينهم وتمسكا به ، وجمعوا إلى الإيمان والهجرة - بذل الجهد في طاعة الله ، والقتال في سبيل إعلاء كلمة الله - إن هؤلاء اللين جمعوا هلمه الصفات - هم على رجاء وأمل في رحمة الله : ينتظرون ذلك ويطمعون فيه ، جزاء إيمانهم وهجرتهم ، وجهادهم في سبيله ، ثقة منهم بأن الله مع اللين اتقوا واللين هم محسنون .

قال القرطبى: وإنما قال: يرجون ـ وقَدْ مَنَحَهُمْ ـ لأَنَه لايعلم أحد فى الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ فى طاعة الله كل مبلغ ، لأمرين: أحدهما : أنه لايدرى بم يختم له ؟ والثانى : لثلا يتكل على عمله ، اه .

وقد ختم الله الآية ، بما يطمئن أولئك الذين قائلوا في الشهر الحرام فقال : (وَاللَّهُ غَدُورٌ رَّجِبُهُ) : أَى : والله سبحانه واسع المففرة ، عظيم الرحمة ، بمن آمن به ، وهاجر إليه ، وجاهد فى سبيله ، قاصدا وجهه الكريم ، إن اجتهد فأخطأ ، فما بالك بمن اجتهد وأصاب ، كعبد الله بن جحش !

وكرر لفظ (الَّذِينَ) مع الهجرة والجهاد ، بعد ذكرها مع الإيمان ، مع أن اللّذِين هاجروا وجاهدوا، هم اللّذِين آمنوا ــ لتفخيم شأن الهجرة والجهاد ، كأَنهما ــوإنكانا مشروطين بالإيمان ــمستقلان في تحقق الرجاء .

وقدم الهجرة على الجهاد؛ لتقدمها عليه وجودا ، كَتَقَدُّم الإمان عليهما .

(يُسْعُلُونَكَ عَنِ الخَّمْرِ وَالْمَيْسِ قُلْ فِيهِمَا إِثَّ كَبِرُ وَمَنَفْعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبُرُ مِن نَقْعِهِمَا وَيَسْعَلُونَكَ مَاذَا يُنفَفُونَ قُلِ النَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبُرُ مِن نَقْعِهِما وَيَسْعَلُونَكَ مَاذَا يُنفَفُونَ قُلِ النَّيْلِ الْعَفْرِكَ كَنْ اللَّذِيبَا الْعَفْرِكَ عَنِ الدِّنْيَا فَلْ إِسْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن وَاللَّخْرَةَ وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ الْيَسْمَى قُلْ إِسْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن عَنْ اللَّهُ لَا اللَّهُ لَا أَمْمَلِحَ وَلَوْشَلَة عَلَاكُمُ المُفْسِدَ مِن المُمْلِحَ وَلَوْشَلَة وَلَوْشَلَة لَا أَمْمَلِحَ وَلَوْشَلَة وَلَوْشَلَة لَا أَمْدَلُومُ مَا الْمُفْسِدَ مِن المُمْلِحَ وَلَوْشَلَة وَلَوْشَلَة اللَّهُ لَا عَنْنَكُمْ إِنَّ اللَّهُ عَزِيزُ حَكِيمٌ ۞) .

القبريات :

(الْخَشْرِ): الخمر ؛ ما أسكر من عصير العنب. ثم أصبح اسما لكل ما أسكر . ففى المحديث : و كُلُّ مُسْكِرِ خَمْرُ وكُلُّ خَشْرِ حَرَّامٌ » . وفيه : و ما أَسْكَرَ مِشْهُ الفَرَقُ '' فَهِلُّ عَلَمُ الْحَدِيثُ : و ما أَسْكَرَ مِشْهُ الفَرَقُ '' فَهِلُّ عَلَمُ اللَّحَدِيثُ عَلَمُ اللَّمَةُ مِنْهُ حَرَامٌ هِ . رواه أَحمد عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ــ وسميت خمرا؛ لتغطيتها المقل . من خمر الشيء : إذا مشره .

⁽١) الفرق بفتح الراء : مكيال كبير يسع ستة عشر وطلا .

(وَالْمَيْسِرِ) : القمار ؛ مصدر يسر . يقال يسرته : قمرته . واشتقاقه من اليسر ... عمنى السهولة ... واشتقاقه من اليسار السهولة ... لأنه أخذ الرجل مال غيره بيسر وسهولة ، من غير كُذّ ولا تعب ، أو من اليسار لأنه سلب يساره ...

والمسر: قمار العرب . كانت لهم عشرة قداح يقامرون عليها وهى : الأولام ،
ثلاثة منها ليس لها علامات ، فليس لمن أخذ واحدا منها نصيب من الربح ، والباق له
علامات متفاوتة ، يتفاوت بسببها الربح . كانوا يضحون هذه القداح المشر في خريطة
على يدى عدل ، يحركها ويخرجها واحدا واحدا . فمن جرج له قدح من ذوات الأنصباء ،
أخذ التصيب الموسوم به ، من جزور يلبح ، ويُجرَّأُ على قدر سهام القداح . ومن خوج
قدح مما لاتصيب له ، م يأخذ شيئا ، وغرم ثمن الجزور كله . وكانوا يدفعون تلك
قدح مما لاتصيب له ، م يأخذ شيئا ، وغرم ثمن الجزور كله . وكانوا يدفعون تلك
الأنصباء (لى الفقراء ، ولا يأكلون منها ، ويفتخرون بذلك ، ويلمون من لم يدخل فيه ، ويسمونه : البرم .

(إِثْمٌ) : الإثم ؛ اللنب ، أو الشر ، أو الضرر ..

(الْعَفُو) من المال : مازاد على النفقة ، أو السهل الميسور .

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) : أُوقعكم في مشقة وشدة .

التفسي

٢١٩ – (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا ٓ إِثْمُ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنْمُهُمَا ۗ أَكْبَرُ مِن نَفْهِهِمَا . . .) الآية .

كمامـاًل الصّحَايةُ الرُسُولَ ــصَلَّى الله عَليه وسلم ــ عما ينفقون ؟ وعن الفتال في الشهر الحرام ؟ سألوه عن الخمر والميسر .

ولقد جاء الإسلام والمرب يعتادون تناول المسكرات .. من عصير المنب أو نقيع التمو أو غيرهما - ومع أنها شديدة الضرر بالجسم والمقل ، فإن الإسلام تدرج معهم في تحريمها ، لتنافل حُيها في قاوجم ، وظنهم أنها أساس لبعض مكارمهم ، كما عالج مآلم أخرى عميقة الجلور ، بسياسة التدرج : رحمة وحكمة ؛ لأنه الأسلوب الأمثل في علاج النفوس التي أمامت على تلك المألم ، وتوارثتها عبر الأجيال . وقد بين الزمخشرى ذلك في كشافه ، فقال :

نزلت فى الخمر أربع آيات . نزلت بمكة : و وَمِن نَمَرَاتِ النَّشِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِلُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزُقًا حَسَنًا ، () . فكان المسلمون يشريونها وهى لهم حلال .

ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة ، قالوا : يارسول الله ، أفْتِنَا فىالخمر ، فإنها ملهبة للعقل ، مسلبة للمال ؟ فنزلت : (فِيهِمِمَا ٓ إِنْمُّ كَبِيرٌ وَمَنَالِعُ لِلنَّاسِ) فشربها قوم ، وتركها آخوون .

ثم دعا حبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا ، وأمَّهم بعضهم ، فقراً . ﴿ قُلْ يَالِّيُهَا الْكَافِرُونَ . أَحْبُدُ مَا تَعَبْدُونَ ، بغير (لا) فنزلت : ﴿ لَا تَقْرَبُوا السَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ ⁽¹⁾ فقلَّ من يشربها .

ثم دها عتبان بن مالك قوما ، فيهم سعد بن أبي وقاص إلى طعام وشراب ، فلما سكروا افتخروا وتناشدوا ، حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار ، فضريه أنصارى بلحى بعير فشجه ، فشكا إلى رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ فقال عمر : ، وألَّهُمْ بَيْنُ لَنَا في الْخَدْرِ بَيَانَا شَافِياً ، فَتَوْلَت : « ... إِنَّمَا الْخَدْرُ وَالْيَيْسِرُ... » إِلَى قوله : « فَهَلَ أَنتُم مُتَّهُونَ * " » . فقال عمر _ رضى الله عنه _ انتهبنا يارب .

والمعنى : يسألك المسلمون يامحمد عن حكم تعاطى الخمر والميسر . قل : فيهما ضرر كبير ، ومناقع للتاس ، وضررهما أكبر من نفعهما .

أما ضرر الخمر من أى نوع اتخلت فقد أثبته الطب عا لايدع مجالا الشك فيه، فإن تعاطى الخمر يؤدى إلى التهاب الكبد، وضعف المدة، وضعف مقاومة الجمع الأمراض. وقد ثبت من بحوث عديدة بالمستشفيات العامة: أن نسبة الوفيات بين الملمنين ترتفع إلى خمسين في المائة الإ

⁽١) التمل ١٧٠

⁽ Y) 바라 : 가3

^{11 4 4+ ;} Edill (Y)

وتأثيرها فى العقول ملموس . فقدتمت تجارب عديدة ثبت منها أن القوّل (الكحول)، المتولد فى الخمر ، صبب مباشر لخُمسِ الإصابات فى مستشفيات الأمراض العقلية !!

هذا فضلا عما تسببه من الجرائم الخلقية ، فإنها : تزين القبيح ، وتشوه الحسن ، وتدفع صاحبها دفعا إلى ارتكاب الموبقات والآثام ، والاعتداء على الحرمات ، ثما يورث الأَحقاد والعداوات .

آمًّا مافيها من نفع: قلماء أن الغول (الكحول) الذى فيها قد يقتل بعض الجرائم، وأنها تشحول إلى خَلَّ، وأن الاشتغال بها، قد يعود ببعض الأرباح على صانعيها، والمشجرين فيها، وأنها قد تحمل على البلك والعطاء وتشجيع الجبان وتحو ذلك.

ومن الموازنة بين الفمرر والنفع، نجد الفمرر يفوق النفع أضعافا مضاعفة بحيث لو لم يرد نُصُّ ديني صريح بالتحريم ــ لأوجب العقل تحريمها :دفعاً لما فيها من آثام .

ويلحق بالخمر المخدرات مثل : الحشيش ،والأَفيون، والكوكايين ، والهيروين . . .

وأمَّا ضرر الميسر ؛ فهو أنه يؤدى إلى إتلاف الأموال ، وإهمال الأَعمال ، وشيوع البطالة ، وضياع الوقت فى غير طائل ، والاتكال على المحظ ، والمحرص على أَكل أَموال الناس بالباطل ، وما يترتب على هذا من إثارة المداوة والبغضاء فى النفوس .

ونحن نعلم أن كثيرا من الثروات الطائلة ، تبددت على موائد القمار ، وفي ميادين السباق، وكثيرا ماتمند أيدى المقامرين إلى ما تحت أيلسهم من أمانات ، فيكون مآلهم السجن . وقد يصل يهم الأمر إلى الانتحار .

أما نفعه: فهو ناشئ عن آخذ الفقراه لحم الجزور المتقامر عليه . وقد مرَّ ببان ذلك فى المفردات ، وأن بعض المقامرين ، قد يستفيد من المال الذي آخله من غيره بلمون حق ، وأن بعض ماله ــ ق العصر الحديث تنتفع به الجمعيات الخيرية ، خصياس أرباح أوراق (البانصيب) . وهذا النفع إذا تم ، لايقاس بما يقع من أضرار جسيمة ، وحواقب وخيمة ، وشر عظم .

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُل الْعَفْرَ) :

ميب النزول:

أخرج ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس ــ رضى الله عنهم ــ أن نفرا من الصحابة ــ حين أمروا بالنفقة فى سبيل الله ــ أترا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : إنا لاثدوى ماهله النفقة التي أمرنا بها فى أمرالنا ؟ فما ننفق منها ؟ فنزلت .

وكان – قبل ذلك – ينفن الرجل كل ماله، حتى ما يجد ما يتَصَدَّق ولاما يأكل ، حتى يُتَصَدَّقَ عليه ١ ه .

ومن سبب نزولها أيضا: ما أخرجه ابن أبي حاتم، من طريق أبان بن يمين: أنه بلغه أنَّ معاذ بن جبل وثعلبة، أتبها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالا: يارسول الله ، إن لنا أرقاء وأهلين ، فما ننفق من أموالنا ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وهذا الجزءُ من الآية، مرتبط بما قبله ارتباطًاوثيقًا. فهو فى الإنفاق فيا يحل ، وماقبله فى الإنفاق فيا يحرم ، وهو معلوف على (يَسْأَلُونَكَ هَنِ الْخَشْرِ) عطف القصة على القصة.

والمسى : ويسألك السلمون يامحمد، ماالذى ينفقونه من أموالهم؟ قل لهم: ينفقون العفو ، وهو مافضل عن العيال ، دون أن يجهدم .

أخرج الشيخان وغيرهما ، عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : دخيرالصدقة ماكان عن ظهر غني . وابدأ بمن تعول ٥ .

وأخرج ابن خزعة هنه - أيضا - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله هليه وسلم -: د خير الصلقة ما أبقت غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وايداً بمن تعول . تقول المرأة : أنفق على أو طلقنى ، ويقول مملوكك : أنفق على أو يعنى ، ويقول ولدك : إلى من تكلف ؟ 1 ، . وقال أبو سعيد الخدرى : بينها كنا فى سفر معالنبى – صلى الله عليه وسلم – إذ جامه رجل على راحلته ، فمجمل يصرف بصره بمينا وشهالا ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: • من كان معه فضل ظهر فَلْيَكُ به على من لا ظَهْرَ له . ومن كان له فضلٌ من زاد فَلْيَكُ به على من لازاد له ، .

فذكر من أصناف المال ماذكر، حتى رأينا أنه لاحقَّ لأُحدٍ منا فيفضل .

فمما سبق ـ يعلم أن الصلقة لاتكون إلا بعد كفاية العيال .

(كَذَا لِكَ يُبِيَنُّ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَمَلِّكُمْ تَنَفَكَّرُونَ . فِي اللُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . .) :

أى مثل هذا البيان الواضح فى الخمر والميسر والإنفاق : يبين الله لكم آيات الأحكام وغيرها، لكى تتفكروا وتتدبروا فى شئون الدنيا والآخرة، فتأخلوا بما هو أصلح لكم . ولقلً هذا ؛ للتعليل.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَنَاكَى قُلْ إِصْلَاحٌ لُّهُمْ خَيْرٌ) :

ميب النزول:

أخرج أبو داود والنسائي وغيرهما عن ابن عباس ... رضي الله عنه.. قال :

لا أنزل الله تعالى : و وَلا تَضْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالنّبِي هِيَ أَحْسَنُ (اللّبِيهِ وَلا إِنْ اللّبِينَ يَأْكُلُونَ أَلْوَالَ الْيَتَامَى (اللّبِيهِ عَلَيْهِ اللّبِيةِ عَلَى اللّبَيْدِ عَلَى اللّبَيْدِ عَلَى اللّبَيْدِ عَلَى اللّبَيْدِ عَلَى اللّبَيْدِ اللّهِ اللّبَيْدِ عَلَى اللّبَيْدِ اللّبَيْدِ اللّبَيْدِ اللّهِ اللّبِيةِ عَلَى اللّبَيْدِ اللّهِ اللّبَيْدِ اللّهِ اللّهِ اللّبِيةِ عَلَى اللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ الللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

⁽١) الأتمام : ١٠٢

^{1 - :} A-III (Y)

والمدنى: ويسألك الناس عن أمر اليتامى، قل إصلاح لهم شير من تركهم أو ظلمهم . والإصلاح يتناول كل نفع يعود عليهم من: تنمية أموالهم ، وحسن تربيتهم ، وتوليتهم بعض أمورهم المالية، ليديروها تحت رقابة أوصياتهم ، ونحو ذلك .

ولذا نَكَّر (إِصْلَاحٌ) ليتناول كل فروعه . ونَكَّرُ (خَيْرٌ) ولم يقيد بقيد ، ليفهم منه أنه دخير به مطلق : يعم الأوصياء والأيتام . فالمغيرللأوصياء : جزيل الثواب وحسن الذكر . والخير للأيتام : يسارهم وطيب نشتَّهم ؛ ليكونوا نافعين الأنفسهم وأمتهم .

(وإِن تُنخَالِطُومُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) :

أى : إن تخالطوهم .. في الطعام والشراب والمسكن .. تؤدوا اللاتق بكم ، فإنهم إخوانكم في الدين .

والقصود : الحث على المخالطة ، بشرط الإصلاح .

(وَاقَةُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ):

وقد حلر الله المخالطين من الإفساد عند المخالطة لها فيجازى كلامنهما بما يستحقه ، فإن الله لا تخفى عليه خافية: «يَعْلَمُ خَاتِنَةَ الْأَعْيُن وَمَا تُحْفِي الشَّمُورُ (^(۱) .

فالمُون ، ينبغى أن يراعى هذا ، فيرغب فى إصلاح أحوال اليتيم : طلبا لثواب الله ، ويرغب عن الإنساد ، محشية عقاب الله :

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) :

أَى: ولو شاء الله لفيق عليكم ، يأن لم يُجُوِّزُ لكم مخالطتهم؛ لترعوا مصالحهم هون مخالطة. ولكنه سبحانه .. رحيم بعباده، وتموف بهم، ، ووَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى اللَّمِينِ مِنْ حَرَجِرٍ ؟ . .

(إِنَّ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) :

أي إن الله غالب على كل شيء: لا يعجزه أمر أراده، وفي جملته إعتانكم (حَكِيمٌ) فيها يشرعه من أحكام . ومن جملة ذلك: أنه شرع لكم ما تقتضيه الحكمة، وتتسع له الطاقة البشرية : التي هي أساس التكليف.

^{19 : 316 (1)}

⁽۲) الجع ، ۷۸

(وَلَا تَنكَحُواْ الْمُشْرِكُتِ حَتَّى يُوْمِنَّ وَلَاَمَةً مُّوْمِنَةً خَبِّرٌ مِّن مُشْرِكَةً وَلَوْمَةً مُّوْمِنَةً خَبِرٌ مِّن مُشْرِكَةً وَلَوْمَتُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُوْمِنُواْ وَلَعَبدٌ مُؤْمِنَ خَبِرٌ مِّن مُشْرِكِ وَلَوْ أَعْجَبُكُمُ أَوْلَتُهِكَ يَدْخُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْخُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْخُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْخُونَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَدْخُواْ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنْذُكُوونَ شَ) .

الفسردات :

(تَنكِحُوا الْمُشْركَاتِ) : تتزوجوهن .

(تُنكِحُوا الْمُشْركينَ) : تُزَوِّجوهم .

(الْمُشْرِكِينَ): المراد بهم هنا ۽ الكافرون مطلقا .

(الْمُشْرِكَاتِ): المراديهن، الوثنيات، ومن لا دين لهن .

(وَلَأَمَةً ﴾ : الأَمة ﴾ المرأة المملوكة .

التفسير

٢٣١ - (وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَنَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مَن مُشْرِكَةٍ ولَوْ أَمْجَبُكُمْ . . .) الآية .

الربط:

تناولت الآية السابقة، توصية الأولياء والأوصياء بالإصلاح المطلق لشئون البنامى . وأعقبتها هذه الآية متضمنة أسامل صلاح الأسرة ، وهو الاشتراك فى الدين بين الزوجيين ، وبذلك اشتركت الآيتان فى أن كلتيهما : تتناول لونًا من ألوان الإصلاح فى البيشة . الإسلامية .

سبب النزول :

روى السدى عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن هذه الآية نزلت فى عبد الله بن رواحة . كانت له أسوداء وأنه غضب عليها فلطمها ، ثم إنه فزع .. فأنى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ تأخيره خبرها ، فقال له النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ماهى يا عبدالله؟ فقال . هى يارسول الله : تصوم وتصلى ، وتحسن الوضوء ، وتشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله .

فقال : يا عبد الله ، هي مؤمنة . قال عبد الله : فو الذي يعنك بالمحق نبيا ، لأَصقنها ولاَّتزوجها ، ففط . فطمن عليه ناس من السلمين ، فقالوا : نكح أمة ، وكانوا يريدون أن ينكحوا المشركين وينكحوهم : رهبة في أنسابهم ، فأَنزل الله (ولاَتَنكِحُوا السُّرْكَاتِ . . .) الآية .

المنى : المراد من المشركات: مَن يعبدُن غير الله ، ومن ليس لهن دين . وقد حرمت الآية نكاحهن . فلا يجوز أن يتزوجهن المسلمون بالإجماع .

أَمَا الكتابيات : فلا تدل الآية على منع الزواج منهن ؛ فإنهن لا يُعْرَفْنَ بالمشركات فى لسان الشريعة الإسلامية ، وإن كان اليهود يقولون : عُزَيْر ابنُ الله ، والنصارى يقولون : المسيح ابن الله .

وإنما يعرفن بالكتابيات .

وقد أُبيح الزواج منهن صراحة .. في قوله تعلى : « اليَّوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيْبَاتُ وَطَمَامُ اللَّيْينَ أُوتُوا الْكِيَابَ حِلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلَّ لَهُمْ وَالْمُحَصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ اللَّهِنَ أُوتُوا الْكِيَابُ '' ،

وبهذا أخذجمهور العلماء.

⁽۱) المائد: ه

ومن العلماء من منع الزواج منهن . وحجته في ذلك : أنها تنكر معجزة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتضيفها إلى غيره ــ تعالى ــ وهذا هو الشوك .

ولأن الشرك في هذه الآية ، وقع في مقابل الإعان في الآية التالية ، فوجب حمّله على عدم الإعان بالله ورسوله بأى صورة . ولأنه - تعالى - أطلق الشرك على أهل الكتاب ، لقوله - تعالى - : ووَقَالَتِوالْبِيَهُودُ عُوْيَرٌ لِبْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمُسِيحُ لِبْنُ اللهِ ، إلى قوله : «عَمًا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

و أخرج المخارى والنحاس فى ناسخة ، عن نافع عن حبد الله بن عمر وضى الله عنها مها وكان إذا سئل عن نكاح الرجل النصرائية أو اليهودية ، قال : حرم الله تعالى المشركات على المسلمين ، ولا أهرف شيئا من الإشراك ، أعظم من أن تقول المرأة : وربّها عيسى ، أو عد من عباد الله تعالى .

وإلى هذا ذهب الإمامية ، وبعض الزيدية ، وجعلوا آية الماقدة و وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُرتُوا الْكِتَابَ ، منسوخة جله الآية ، نسخ الخاص بالعام ، وتلك ـ و إِنْ تأخرت تلاوة ـ فَهِي مقدمة نزولا .

والجمهور على الأول :

والآية تقرر: أن المرأة المملوكة الرقيقة إذا آمنت ، رفعها إيمانها فوق المشركة : حرة كانت أم أمة ، وإن أعجبت المشركة من يريد الزواج، لما لها من : حسب ، أو نسب، أو جمال، أو مال.

تم إن التفضيل يفتضى : أن فى المشركة خيراً . فإما أن يواد بالخير ؛ الانتفاع الدنيوى وهو مشترك بينهما ، أو هو على حدقوله تعالى : 8 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْتَكِلُو خَيْرٌ مُّمَنَّقَرًا (٣) .

والمنى : ولا تتزوجوا المشركات حتى بؤّمن ، فنكاحهن... وهن مشركات...حرام : لا ينمقد، ويحبر وطؤهن زنى ، ولأمة مؤّمنة يتزوجها المسلم ، خير من مشركة : حرة كانت أم أمة ، ولو أعجبتكم ، بجمال أو مال، أو حسب أو نسب .

⁽۱) الدرية: ۲۱،۳۰۰ (۲) أفرقات: ۲۶

(وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدُ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُشْرِلٍ وَلَوْ أَعْجَبُكُمْ ﴾ :

المراد من المشركين هنا : الكفار مطلقا ، سواءً أكانوا يعبدون غير الله ، أم من أهل الكتاب ، أم لا يامينون بدين .

والآية تحرم نزويج المُرمنات ــ سواءُ كن حرائر أو إماةــ بكفار ، على أى دين كانوا فلا ينعقد زواج المُرمنة من : كتابى، أو مشرك ، أو معطل .

قال تعالى : ه فَإِنْ عَلِيْتُشُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَاهُنَّ حِلُّ لَهُمْ وَلَا هُمُّ يَجِلُّونَ لَهُنَّا '' 6 .

والآية تدل على: أنه لايجوز مقد النكاح إلا بولى؛ لأن النهى من إنكاسهن إلى المشركين ، إنما وجه إلى أولياتهن .

وبدالك تصرح السنة . قال صلى الله عليه وسلم : « لا نِكَاحَ إِلّا بِحَلِّ ، . رواه أَحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، والترملى، وابن ماجه . وإلى هذا ذهب معظم الألمة ، ويمضلهم ولبد تعالى : « فَانْكِحُومُنْ بِإِذْنَ أَمْلِهِنْ " وإن كان الزهرى والشعبي وأبرحنيفة يقولون : إذا زَرَّجت المرأة نفسها كَفُواً بشاهلين، فلذلك نكاح جائزً ، سنسكين بفوله تعالى : « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بِفُولُهُ تَنْ الْمُحْرُوفِ" " ، وقوله تعالى : « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا لَهُ وَلَا تَعْلَى الْمُحْرُوفِ" " ، فَلَا تَعْلَى الْمُحْرُوفِ" " ، في المَعْرُوفِ" " ،

(أُو لَٰكِكَ يَدْمُونَ إِلَى النَّارِ وَاقَّهُ يَدْمُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ):

هذا تعليل لما ضبق من تفضيل الهبيد ... من المؤمنين والمؤمنات .. على السادة من المشركين والمشركات .. على السادة من المشركين والمشركات .. يدعون إلى الكفر المؤمني إلى النار ، فلا تصاهروهم ، حتى لا يفتنوكم ويفتنوا فريتهم. والله يدعو .. بواسطة أوليائه من المؤمنين والمؤمنات. إلى دواعى الجنة من : الإيمان الخالص والعمل المشروع ، فكيف يلتقيان بالزواج ! .

⁽۱) المتحة : ۱۰ (۲) الله : ۲۰ (۱) الله : ۲۰ (۲) الله : ۲۳ (۲) الله : ۲۳ (۲) الله : ۲۳ (۲)

(وَيُبِيِّنُ آيَاتِهِ لَلِنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَذَكَّرُونَ) :

واقه سبحانه ، يشرَّع للناس بآياته ماينفعهم في الدنيا والآخرة ، ويوضعها لهم ؛ لكي يتذكروا ويتدبروا ، فيمشجيبوا إليه عن بصيرة واقتناع .

(وَيَسْعُلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضَ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَرِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضَ قُلْ هُو أَذَى فَاعْتَرِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُ مَنَّ عَنْ يَطْهُرُنَّ فَإِذَا تَطَهَّرُنَ فَأْتُوهُمْ مِنْ مَنْ مَنْ أَمْرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهُ عُجْبُ التَّوْبِينَ وَعُجْبُ الْمُتَطَهِّرِينَ شَيْ يَسْتُمُ وَعُجْبُ المُتَطَهِّرِينَ شَيْ يَسْتُمُ وَعُجْبُ المُتَعْمُ أَنَّ شَعْمً أَنَّ مُعْمَلًا مُرَّالًا مُثَمِّلًا مَنْ مَنْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُولُومُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَالَالِمُولُومُ وَالْمُولُومُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَالْمُوا

القبردات :

(الْسَجِيض): الدم الذي تفرزه المرأة شهريا ؛ من موضع المباشرة الجنسية. وهو في الأصل؛ مصلو: حاضت المرأة حيضا ومحيضا ومحاضا ؛ أي سال دمها ، ثم أطلق على تفسرالدم السائل .

(نِسَآوُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ): الحرث في الأَصل ؟ إلقاة البلد في الأَرض ، قال تعالى : ه أَفَرَايَتُم مَّا تَحَرُّلُونَ ، أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ تَحْنُ الزَّارِحُونَ (() يعنى : أَفرأَيتم ماتلقونه في الأَرض من البلدو ؟ أَأَنتم تنبتونه أَم نحن النبتون ؟ . والمراد بكون النساء حرى ! أَمِن مواضع الحرث ، وهو هنا ، إلقاء النَّقَدي في الأَرحام . وقال الجوهرى: الحرث الزرع . إه . أى نساؤكم موضع ذرع لكم . والتعبير عنهن بذلك ، على وجه الاستعارة المبنية على تشبيههن بمواضع الإنبات .

⁽١) الراقبة : ١٤,٥ ٦٧

التفسير

٢٢٧ - (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى . . .) الآية .

الربط:

دلت الآبد السابقة على عناية الدين بصحة العقائد، فطالبت المُرمنين أن يقيموا عقد النكاح على أسام من الإيمان الصادق ، كما تدل على الغرض الرئيسي من الزواج ، وهو : إنجاب الأطفال .

وصبب النزول :

ما أخرجه مسلم ، وأحمد ، وأبو داود ، وغيرهم ، عن أنس - رضى الله عنه .. و أن الهجود كانوا-إذا حاضت المرأة منهم - أخرجوها من البيت ، ولم يُؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت .. فسئل رسول الله ـ صلى الله طيه وسلم .. عن ذلك ، فأنول الله هذه الآية ، فقال صلى الله عليه وسلم .. عن ذلك ، فأنول الله هذه الآية ، فقال صلى الله عليه وسلم .: و جَامِمُوهُنَّ في المبيوت ، واصنتُوا كُلُّ شيء إلا النَّكامَ ، أي إلا الوطم فإنه لايحل أثناء المحيض .

وكان اليهود يعتقدون أن الحائض نجسة ، وكل من مسها يكون نجسا ، إلى المساه ، وكان للبه وكذلك يتنجس كل ما تلمسه أو تجلس عليه ، أو تلبسه . قمن مس فراشها لا يطهر إلا بقسل ثيابه واستحمامه ، ومع هذا يظل نجسا إلى المساه . ومن ضاجعها ظل نجسا سبعة أيام (1) .

وكان النصاري يتسامحون في أمر المحيض .

وللمنى : ويسألك المُرمنون عن دم النساء الذي يأتيهن شهريا ، وعن الأحكام المترتبة على وجوده ، قل لهم : هو أذى ؛ إذ هو ضَارٌ بصحة الأَجسام ، وقلم تشأذى منه النفوس .

وقد ثبت طبيا : أن اتصال الرجل بالمرأة ـــألناء المحيضــــ قد يترتب عليه ضرر المرأة ذاتها كالتهاب المبيض ، كما يترتب عليه ضرر الرجل ؛ لوجود جرائيم ضارة في المهبل

⁽١) راجع في ذلك سفر اللار بين ، الإسماح الخاس ١٩ -- ٢٩

أثناء الحيض، فتؤثّر فيه وتصيب الثنانة والحالبين . وقد تصل إلى البروستاتا والخصيتين والقناة البولية ، وهكذا نما صان الله المسلم منه .

والتعبير بجملة (هُوَ أَدَّى) بدلا من هو مؤذ ؛ للمبالغة فى إثبات أذاه ، حيث جعله ذات الأذى .

(فَاعْتَزِلُوا النُّسَآء فِي الْمَحِيضِ) :

القصود باعتزالهن فى المعيض : هو تجنب الاتصال الجنسى بين أثناء الحيض . أما غيره ... كالقبلة واللمس ونحو ذلك ... فمباح . وكرر الفظ والمُمنييض ، ولم يكتف بضميره ، التاريتوهم رجومه إلى شيء سواه ، اعتناء بإيراز أذاه .

(وَلَا تَقُرَّبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) :

هذا تقرير لوجوب اعتزالهن . وليس إنشاء حكم جديد ؛ فإن الأَمر باعتزالهن ، يازمه النهي عن القرب منهن .

والمقصود من : القرب منهن : مباشرتهن في موضع الحيض ، أي ولا تجامعوهن حتى يطهرن ، فإذا طهرن ، فلكم مجامعتهن .

والمقصود من طهرهن: انقطاع حيضهن عند أبي حنيفة ، إذا كان الانقطاع لأكثر مدة الحيض ، فإن كان لأقل منها ، لم يحل وطؤهن إلا بالاغتسال ، أو مضى وقت صلاة بعد الانقطاع .

أما عند الشافعية : فطهرهن هو اغتسالهن بعد انقطاع الحيض . فلا يحل الوطك عندهم بانقطاع الدم وحده ، لإطلاق الطهر في الآية ، ولقراءة (يَطُهُّرَنَ) بتشديد الطاء ، مبالغة في الطهر .

(فَإِذَا تَظَهَّرُنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) :

الأَمر هنا ليمن تكليفيا ، وإنما هو للإباحة .

ويقول الفقهاة : إن كل أمر يود بعد سي للإباحة ، مثل قوله تعالى : • وَإِذَا حَمَلُتُمُ فَاصْمَالُوا (1) » .

⁽١) سورة المائدة : ٢

والمعنى: فإذا تطهرت النماءُ ــ بانقطاع العيض، والاستحمام منه ــ فلكم أن تباشروهن من المكان الملتى أمركم الله باجتنابه ــ أثناته العيض ــ تجنيا للأذى .

قاله ابن عباس وغيره .

وقال الرجَّاج : معناه : من الجهات التي يحل فيها أن تقربوا المرَّة ، ولا تقربوهن من حيث لا يحل، كما إذا كن صائمات أو محرمات . وأيَّد بأنَّه لو أَراد الفرَّج لقال : في حيث أمركم الله ـ الأنه أظهر .

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَلَّمِينَ) :

ختم الله الآية الكرّعة بشأكيد حُبِّه التاتبين المبالفين فى التوبة ، فيما عسى أن يصدر منهم من الذموب ، كإتيان الزوجة فى الحيض ، وحبه للمتطهرين من الأقلمار ، المعريصين على تنفيذ أوامره ومواهيه .

أخرج أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، عن أبي هريرة - رضى الله ضه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «مَنْ أَ نَى حَائِضًا فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَدَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْمَ ﴾ .

والحديث للترهيب ، والمقصود: أنه فعل مايفعله الكافرون .

٢٢٣ - (نِسَاوُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ مَأْتُوا حَرْنَكُمْ أَنَّى شَفْتُمْ . . .) الآية .

سبب النزول :

أخرج البخارى وجماعة عن جابر ، قال : « كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من خلفها في قبلها .. أي في فرجها .. ثم حملت ، جاء الولد أحْول فنثرلت ، .

وقد أباحث الآية ، ماحرمه اليهود من إنيان للرأة ـــق موضع الحمل ــ من جهة الخلف، إذ جوزت إنيانها من أية جهة شاتدها الأزواج ، عند مجامعتهن في القبل .

والحرّث : الزرع كما نقلناه عن الجوهرى ، أى مواضع زرع لكم . والقمصود من الزرع: إنجاب الأولاد . والكلام على التمثيل والتشبيه . والمعنى : نساؤكم موضع إنجاب اللمرية لكم ، فأتوهن فى مكان الإنجاب ، كين شئتم : من الأمام أومن الخلف ، أو نائمات على جنومين . ولا تصاُّوا بمقالة اليهود ، مادمتم تأثونهن فى مواضع الحمل ، حيث أمركم الله تعلق .

> وفسر ابن حباس : (أَنَّى شِئْتُمْ) بنَّى وقت شئتم من الليل أو النهار . وسينَّا بيان ذلك .

وليس فى الآية دليل على حل وطء الزوجة فى دبرها ، فإن إباحة إتيابا - كيف شاء الزوج - مقيلة بموضع الحرث ، أى موضع إنجاب اللوية وهو القهل . كما أن سبب النزول الذى ذكرناه يدل على ذلك .

ولهذا حرم جمهور الفقهاء إتيان النساء في أدبارهن

ومما يدل على ذلك :أن الله تعالى ، حرم إنيانهن فى المحيض؛ لاستقذاره ، فكيف يها ح إنهانهن فى الأدبار وهى أشد قذرا من مكان للحيض وقت الحيض ؟

أُخرج ابن جرير عوابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير: قال : « بينا أنا ومجاهد جالسان عند ابن عباس – رضى الله تعالى عنهما – إذ أتاه رجل فقال : ألا تشفيني من آية العيض ؟ قال : بلى ، فقراً : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّحِيضِ) إلى (فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللهُ) : فقال ابن عباس : من حيث جاء الله ، مِن ثُمَّ أَيْرِتُ أَنْ تَأْتِي ، فقال : كيف بالآية ، (يَسَاتُكُمْ حَرْثُ لُكُم فَأَتُوا حَرْتُكُمْ أَنَّى يُشْتُمْ) فقال : ويحك ، وفي اللبر من حرث؟ لو كان ماتقول حقا ، لكان المعيض منسوعا ، إذا شغل من هنا جشت من ههنا ، ولكن الله والنهار » .

وقد جاء التحريم تصًا عن رسول الله .. صلَّى الله عليه وصلم .. .

روى أَبُو دَاود والنسائى قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « مُلْمُونُ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي مُبْرِهَا » .

وووى الإمام أحمد، وابن ماجه، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ... صلى الله عليه وسلم -- : ه مَلْمُونُ مَنْ أَتَى المُرَاةَ فِي دُيُرِهَا ، إلى غير ذلك من الأَحاديث . (وَقَلَّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ) :

ثلاثة أوامر متتالية ، تدعو إلى العمل الصالح ، واجتناب المعاصي .

أولها : قدّموا لأنفسكم ، وحلف المفعول هنا للتعميم ، أى قدموا لأنفسكم كل عمل صالح يقربكم إلى الله .

فإنجاب الأبناء ، وحسن تربيتهم ، عمل صالح يستمر أثره حتى يعد وقاة الوالدين . والعلم النافع ، يبقى أثره بعد وقاة صاحبه .

وكذلك الصدقة الجارية ، وكل أنواع البر . والخير :عاجلها وآجلها .

ومنها ماتقدم في الآية التي قبلها ، من : اعتزال النساء في المحيض ، على ماتقدم بيانه .

الأَمر الثانى : الأَمر بالتقوى . وهو يتكرر صقب آيات الأَحكام ، كما لاحظنا سابقا . ومعنى التقوى : خشية الله ، واتقاء غضبه ، بفعل الطاعات ، وترك المنهيات ، فإنها خير زاد . قال تعانى : « وَتَزَوْمُوا فُإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ التَّمْوَى ، (1) .

والأَمر الثالث : في تذكير المؤمنين بانتهاء هذه الحياة الدنيا ، وبأَن كلاً منهم سيلقى الله ، وسيجني جزاء ماقدمت يداه .

والعلم اليقيني جذا المصير : يلازم صاحبه في كل زمان ومكان، فيجعله حريصا على أداء الطاعات ، واجتناب المنهيات .

(وَبَشِّرِ الْمُوْمِنِينَ) :

ذيَّل الله الآية الكرمة بأمر رسوله صلَّ الله عليه وسلم : أن يبشر المؤمنين بالثواب الجزيل ، على ماقلمت أيدج من أعمال صالحات .

⁽١) البقرة : ١٩٧

(وَلاَ تَجْعَلُواْ اللهَّ عُرْضَةً لِأَيْمَنِيْكُمْ أَن تَبَرُواْ وَتَقَفُواْ وَتُصلِحُواْ بَيْنَكُمْ أَن تَبَرُواْ وَتَقَفُواْ وَتُصلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴿ لَا يُوَاحِدُكُمُ اللهُ بِاللَّهُ فِلَا لَيُمَنِيْكُمْ وَلَكُن يُوَاحِدُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمُ وَاللهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿) .

القبريات :

(عُرْضَةً) : أَى معترضًا وحَاجِزًا .

(لِإِنَّيْمَاتِكُمْ): الأَمَان جمع بمين. وهي هنا : اسمللحلف. وهي في الأصل مصدر لا فعل له، تقول :حلفت بمينًا ، كما تقول حلفت حلفا ، ثم أُطلقت على المحلوف عليه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ... : • مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَلَيْكَفَرْ عَنْ يَمِينِ وَرَأَتُى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَلَيْكَفَرْ عَنْ يَمِينِ وَرَأَتُكُو اللهِ عَلَى الله عَلَيْكُو اللهِ عَلَى يَعْمِينِ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَلَيْكَفَرْ عَنْ يَمِينِ وَرَلْيَهُ لَيْ اللهِ عَلَى عَنْهُ عَنْ يَعْمِينَ فَرَأَى .

(أَن تُبرُّوا) : أَن تفعلوا البر .

(اللَّمْوِ): مالا يعتد به من الكلام . واللغو ق اليسين: مايجرى على اللسان هون قصد، مثل قول القائل: والله ، وبلي والله .

التفسير

٢٧٤.. (وَلاَ تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لَأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّامِ...) الآية .

لما أمر الله _ تمالى _ فى الآية السابقة بتقواه، وحدَّد من لقائه على معصية ، وبشَّر المُّمنين _ أتبع ذلك لونًا من ألوان التقوى ، وهو ألا يجعلوا الله عرضةً لأَعانهم ، حتى تتالهم بشاوته سبحانه وتعالى .

سبب النزول:

أخرج ابن جرير ، عن ابن جريج: أنها نزلت فى الصائيق رضى الله عنه ، لَمَّا حلف ألَّا ينفق على مسطح ابنخالته، وكان من الفقراء المهاجرين ، حين وقع فى إفلك عائشة رضى الله عنها .

والمعنى: ولاتجعلوا الله ـ لأَجل حلفكم بهـ عرضة وحاجزًا : يمنعكم عن البر والتقوى، والإصلاح بين الناس .

وقبل: معناه: لا تجعلوا الله غرضا لأَعانكم، بكثرة الحلف به فى كل حق وباطل؛ لأن فى ذلك جرأةً على الله تعالى.

وهذا هو التفسير المأثور عن عائشة ــرضى الله تعالى عنهاــ وبه قال الجبائي وأبو مسلم. ويكون : (أَنْ تَبَرُّوا) علة للنهى ، على معنى أنهاكم عن الحلف : رفية بركم وتقواكم وإصلاحكم .

فإذا حلفالإتسان على ترك خير ، فليفعل الخير ، وليكفر عن يمينه ، ولايجعل اليمين مانعة له من المعروف .

قال ابن عباس : لاتجعل الله عرضة ليمينك ، ألّا تصنع الخير يولكن ككر هن يمينك ، واصنع الدنير .

وروى مسلم ، عن النبي – صلى الله عليه وصلم – « مَنْ حَلَفَ عَلَى بَسِينِ فَوَأَى غَيوَها خيرًا منها، فَلَيُكُفُرُعَنْ يَعِينِهِ، وَلَيْفَعُل الذي هُوَ خَيْرًا » .

والآبة توحي بالإقلال من الإقسام ، حتى لابعتادها اللسان .

وقد ذم الله المكثرين من الحلف فقال: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلُّ حَلَّافٍ مَّعِينِ ﴾

والبر : الخير مطلقا . والتقوى : مراعاة الله في السر والعلانية ، واتقاء غضبه ، والإصلاح بين الناس : إزالة مابينهم من جفاء وعداوة .

⁽١) القلم : ١٠

و كل ذلك رغّب فيه الشارع . فلا ينبغى الحلف على ترك شيء منه . ومن حلف فليكفر عن تمينه ، بعد أن يفعل الخير الذي حلف على تركه .

(وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) :

هلما تحلير بليغ ، خُرِّمَت به الآية ؛ ليعلم كل مؤَّمن : أن الله سميع لكل مايقوله ، عليم بكل مايفعله أو ينويه ، وأن عليه مراعاة الله في الأفعال والأقوال والنيَّات .

٢٧٠ - (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّمْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ . . .) الآية .

الأَمِان ثلاثة أَقسام : الأَول : عِين لغو : لا يُعتد بها ، ولا مُؤَاخلة عليها . وهمى اليمين التى تجرى على الأُلسنة فى الأَحاديث؛ لمجرد التـأُكيد مِثل : لا والله ، وبلى والله ، وهذا هو المروى عن عائشة فى تفسير بمين اللغو .

ويرى آخرون : أنه القسم الذي يعتقد المقسم أنه صحيح ، ثم يتبين خطؤه .

ويرى يعضهم :أنه قسمالغضبان الذي يخرجه النضب عن اتزاته . ويعده بعضهم : يمين المكره ، أو الذي يقسم وينسى قسمه ، فيخالف ماأقسم عليه .

وهذا كله لاكفارة فيه ، على أرجح الآراء .

والقسم الثانى: هو أن ينحلف الحالف على ترك أمر غير محرم ولا مكروه، فإذا رأى الأُولى أن يخالف ما أقسم عليه... فعل الأُولى وكفَّر عن يمينه: بإطعام عشرة مساكين أو كسوميم أو تحرير رقبة . فعن لم يجد ، فعسيام ثلاثة أيام . وإذا أقسم الحالف على قعل معصية ، أو ترك طاعة ، فواجب عليه أن يخالف مألقسم عليه ، ويكفر عن يمينه .

والقسم الثالث : أن يقسم كاذبا متعمدا ليخدع السامعين ، فهذا إنَّه عظيم . فعلى هذا القسم أن يبادر بالنوبة والإنابة إلى الله .

روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : • مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ الْمُرِىءِ مسلم بيكميتِه ، فَقَد أُوجِبَ الله للنارَ . فقال زجل : وإن كان شيئًا يسبرا ؟ . قال : وإنْ كان قَصَيبًا مَنْ أَرَاكُ ٤ وواه مسلم وغيره . (وَ لَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) :

أَى أَن الله سبحانه ، رحيم بعباده : لايعاقبهم على أَعان اللغو غير المقصودة ، ولكنه يعاقب من أقسم به كاذبًا متعملًا ؛ لأنه مخادع منافق . يقحم اسم الله ليخدع به الناس ، جلبا لمنفعة ، أو دفعا لمضرة .

(وَاللَّهُ غَفُورٌ خَلِيمٌ) :

لا يعجل بعقوبة المسيء ، لعله يتوب وينيب.

(لِلَّذِينَ يُوْلُونَ مِن تِسَآيِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآءُو فَإِنَّ آللَّهُ خَفُورٌ وَحِمْ ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهُ سَمِيعً عَلِيمٌ ﴿).

القسردات :

(يُؤْلُونَ) : يُقسمون . يُقال : آلى عليه . ومنه : أقسم . والأَلية : اليمين . والأَلِية : اليمين . والإَبلاء شرعا ؛ معناه : أن يحلف الرجل أن لا يقرب زوجه .

(تُرَبِّصُ) : التربص ؛ الانتظار .

(فَاتَوَا) : رجعوا . وفاء الرجل إلى امرأته : رجع إليها ، يعد أن حَلَف ٱلَّا يقربها

التفسير

٢٢٦ - (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِنسَآ تِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبُعَةِ أَشْهُرٍ ...) الآية .

وردت هذه الآية الكريمة منممة لأحكام القسم ، ومكملة لتنظيم الأسرة الإسلامية ، على أساس من صلات المودة والرحمة ، والتعاون المشعر ، والاحرام المتبادك .

واعلم : أن للنفوس والشيطان تأثيرا على سلوك الناس ، فقد يحدث بين الزوجين مايمكر الصفو بينهما ، تأثرا بهوى النفس ووسوسة الشيطان ، فيحلف الزوج : ألا يباشر زوجته ، ويجعلها بذلك كالملقة : لا هي متزوجة ، ولا هي مطلقة ، فيمزق بذلك شمل الأُسرة، ويقطم أواصر المودة والرخمة ، ويعرَّض الذرية للإنحرافات الخلقيَّة . فأنزل الله هذه الآية الكريمة ، علاجا لهذه الحالة .

فقد تحدثت عن الإيلاء ، وهو الحلف على ألَّا يباشر زوجه ، وبينت أحكامه .

والإيلاءُ شرعًا : أن يقول الرجل لزوجته ؛ والله لا أقربك أربعة أشهر ، أو أربعة أشهر فصاعدًا ، أو لا أقربك على الإطلاق .

وعلى مذا الأدمة الأربعة ، عدا الشافعية ، اللبن قالوا: لا إيلاء إلا فى أكثر من أربعة أشهر ، فلو حلف لا يقربها أربعة أشهر فما دونها ، لا يكون إيلاء شرعًا عندهم ، ولا يترتب حكمه عليه ، بل هو يمين كسائر الأعان ، إن حنث كثر كفارة يمين ، وإن برً فلا شيء عليه .

وبعض العلماء ـ َ تالنخعي وقتادة ـ يرونه موليًا إن حلف ألا يقربها أى مدة ، قلَّت أم كثرت .

وحكم الإيلاء عند غير الشافعى: أنه إن فاء إليها ... أى رجع عما حلف عليه ... بمباشرتها فى المدة التى حلف عليها ، أو بالقول... إن عجز عن الوطه .. صبع الفى 5 ، وحنث القادر. ولومته كفارة اليمين . ولا كفارة على العاجز . وإن مفست الشهور الأربعة ، بانت بتطليقة من غير مطالبة المرأة بإيقاع الطلاق من الزوج أو الحكم .

ويقول الشافعية : إن المولى له التلبث منة أربعة أشهر ، فلا يطالب بغيء ولا طلاقي ، فإن فاء بعودته إلى الباشرة ، حنث فى اليمين ، ولزمته الكفارة ، وإذا مضت أربعة أشهر ، ولم يفىء ولم يطلق ، طولب بتَّحد الأمرين ، فإن أباهما ، طلق عليه الحاكم .

وضلاصة المنى: (لِلَّذِينَ يُوْلُونَ مِن نَسَاتِهِمْ): : أَى يحلقون أَلا يباشروهن على النحو السابق ، انتظار أربعة أشهر دون مباشرة ، وليس عليهم إثم فى ذلك ، فإن فاعوا ... أَى رجعوا ... إلى المباشرة فى أثنائها ... مخالفين بلذلك ما حلفوا عليه ... حنثوا فى أيمامم ، وارعتهم كفارة يمين ، وإن الله غفور للنب الحنث فى اليمين ؛ لما فيه من المصالحة بين الزوجين ، وغفور لما قصده المولى من ضرار بالمرأة بإيلائه ، لأن الفيئة توبة . وإن لمبيفيئوا وعزموا الطلاق ، وقع الطلاق بمضى الشهور الأربعة عند غير الشافعى ، وبإيقاع الطلاق عند الشافعى ، فإن الله سميع لإيلانهم ، عليم بطلاقهم ونياتهم ، فيجاريهم على وفقها .

(وَالْمُطَلَقْتُ يَثَرَبَّمْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَثْهُ قُرُوهٌ وَلا يَحِلْ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهِ وَالْبَوْمِ الآخِرِّ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَالْبَوْمِ الآخِرِّ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَدُّ وَلَكَ مَلْ أَرَادُوا إِلَّهُ وَالْبَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولُ مَا أَدُادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَ مِثْلُ وَبُعُولُ مَا أَدُادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَ مِثْلُ اللَّهُ عَزِيزً اللهِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةً وَاللهُ عَزِيزً مَلَيْهِنَّ دَرَجَةً وَاللهُ عَزِيزً صَلَيْهِنَّ دَرَجَةً وَاللهُ عَزِيزً صَلَيْمٍ اللهُ عَلَيْهِنَ مِلْمُ المَعْمُونَ فَي وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةً قَوَاللهُ عَزِيزً صَلَيْمِنَ مَا لِمُعْمُونِ فَي وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةً قَوَاللهُ عَلَيْمِنَ مَا مَا لَا لَهُ عَزِيزً اللهُ عَلَيْمِنَ مَلْ مَا لَمُعْمُونَ فَي اللهُ عَلَيْهِنَا مِالْمُعْمُونَ فَي اللهُ وَاللهُ عَلَيْهِنَا مَا اللهُ عَلَيْمِنَ مَا مِنْ اللّهُ فَا اللهُ عَلَيْمِنَا مَا اللّهُ عَلَيْهِنَا مِنْ اللّهُ عَلَيْمِنَا مَا مَا لَهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْمِنَا مِنْ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْمِنَا مَا مُعْرَفِقَ فَي اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ مَا اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمِ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ عَالَيْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

الفيردات :

(يَتُرَبُّصْنَ) : ينتظرن .

(قُرُوءِ) : القروءُ ؛ جمع قُرء . وهو الحيض ، أو الطهرمنه .

(وَبُعُولُتُهُنَّ) : البعولة ؛ جمع بعل ، وهو الزوج .

(بِالْمَثْرُوفِ) : هو مايعرفه العقل ، ويستحسنه الشرع والعرف .

التفسير

٢٢٨ - (وَالْمُطَلِّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُو ٓ ١ - ١) . الآية .

بعد أن ذكرالله _ في الآية السابقة . حكم المؤلين من نسائهم إن عرموا العلاق ، ناسب أن بذكر بعدها .. في الآيات التالية .. أحكام الطلاق .

والمراد بالمطلقات فى الآية الكريمة : المدخول بين من الحرائر ذوات الحيض . أما غير المدخول من : فلا عدة عليهن . وأَمَا أُولَاتِ الأَحمالِ : فـ ٥ ــ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ * .

وأَمَا غير بالفات الحلم أو البائسات من المحيض : وفَعِلْتُهُنَّ ثَلَاثَةً أَشْهُمُ * . مُعَلِّدُهُنَّ نَكَاثَةً أَشْهُمُ * . مَأْخوذ ذلك من قوله تعالى : ووَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحْيِنِينِ مِن نُسَاءَكُمْ إِنِ الْرَبْيَثُمْ فَعَلَمُنْ مَنْ المُحْيَنِينِ مِن نُسَاءَكُمْ إِنَّ الرَّبْيَثُمْ فَعَلَمُنْ مَنْكَمَنْ مَا لَكُونُ الْأَصْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَلَاثُ الْأَصْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَلَا يَضَفَى مَسْلَهُنْ الْأَسْمَالِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ فَي اللَّهِ مِنْ مَسْلَهُنْ الْأَصْمَالِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللْعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعُلِمُ اللْعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعُلِمُ ال

وأَما الإِماءُ : فعلمُن قُرْآن بالسنة . راجع الآية الرابعة من صورة الطلاق .

وقد أوجبت الآية : أن تنتظر هذه الطلقة مدة ثلاثة قروه، قبل الزواج من رجل آخر . والقروة : جمع قرء مبضم القاف وفتحها ، ويطلق لغةً : على الطهر ، وعلى الحيض .

وقد اختلف الفقها ، في المراد من القروء المعتبرة في العلق . فسنهم من قال : المراد بها الأطهار . ومنهم من قال : المراد بها الحيضات ، فإن طلقت الزوجة في الحيض ، لم تعتلد بالحيضة التي وقع فيها الطلاق ، بإجماع الفقهاء . ولا تنتهى علمها عند من يقول : إن المروء هي الحيضات ، إلا إذا حاضت بعد الحيضة التي طلقت فيها ـ ثلاثة حيضات كرامل ، وذلك بمخولها في الطهر الذي يلي هذه الحيضات الثلاث الكوامل .

ومن طُلُّقت فى طهر ،حُسِبَ هذا الطهر قرءًا ، عند من يقول : إن الأَقراء هى الأَطهارُ ، فتعند بعده بطُهْرين كاملين ، وذلك بدخولها فى الحيضة النّى تلى الطهرين الكاملين .

وهذه المدة كافية ليراجع كل من الزوجين نفسه : فيفىء إلى المودة والرحمة والصفاء، إن كان هناك مجال للصفاء ؛ وكان الطلاق رجعيًّا .

فإذا انتهت مدة التربص، أصبحتالطلقة باننًا . ولاعلك الزوج حقَّ الراجعة؛ إلا بعقد ومهر جديدين ، برضا الزوجة، إن لم يستنفد عدد الطلاق .

(وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمُنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) :

لما كان أمر العدة يدور على : الحيض ، والطهر ، والحمل ... ولا اطلاع عليهما إلا من جهة النساء ... جُولُ القولُ قولهن في انقضاء العدة وعدمها ، وجُول مؤتّمنات عليها . فلذا

⁽١) سورة الطلاق آية : ٤

حذوهن الله سنى هذه الآية سهن كتمان مائى أرحامهن من الحمل: رغبة فى الإسراع فى الزواج من رجل آخر ، بزعمهن انقضاء عدتهن بالأقراءه، أو من الحيض : رغبة فى إطالة العدة للحصول ؛ على النفقة أطول مدة ممكنة .

(إِن كُنَّ بُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ِ الْآخِرِ ﴾ :

هذا وعيد وتحذير شديد ؛ لتأكيد تحريم الكتمان ، وإيجاب أداه الأمانة في الإخبار عن الرحم بحقيقة مافيها . فسبيل المؤمنات أن لا يكتمن الحق ، ولا يتعرضن لرواج غير مشروع أثناء الحمل . ويُمتَبرُ الوطء فيه زنى . كما أن فيه نسبة الحمل إلى رجل آخر لا صلة له به ، وهي جرعة بشمة .

وجواب الشرط : مفهوم مما سبقه . والتقدير : إن كن يؤمنٌ بالله واليوم الآخر ، فلا يكتمن ما خاتي الله في أرحامهن .

(وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوۤا إِصْلَاحًا ﴾ :

أَى للأَرُواج ــ فى مدة التربص ــ حق مراجعة الزوجات المطلقات ، إن كان الطلاق رجعيا ، فلا ممتنعن عن الرجوع إليهم .

وجواب الشرط مفهوم مما سبق . والتقدير : إن أراد الأَزواج إصلاحا بينهم وبين المطلقات ــ بغير قصد الإضرار بهن ــ فلهم الحق فى ردهن .

وَأَفْعَلَ التَفْضِيلُ (أَحَنُّ) ليس على بابه ، إذ لاحق للزوجة في المراجعة . فعني راجعها الزوج ــ فعليها العودة إليه .

وليس المراد من قوله تعالى : (إِنَّ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) اشتراط جواز الرجعة بإدادة الإصلاح حتى لو لم يكن قصده ذلك لا تجوز - للإجماع على جوازها مطلقا - بل المراد: تحريضهم على قصد الإصلاح بالمراجعة ، فلايقصدون بها المشارة بتطويل العلة عليهن . لهذا جعل قصد الإصلاح ، كأنه منوط به حتى المراجعة .

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَثْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) :

أى : ولهن على الأزواج -- من الحقوق وحسن العشرة -- مثل الذي عليهن للأزواج من
 الواجبات .

فللزوجة حقوق عند الزوج ، وعليها واجبات له ،وكذلك للزوج حقوق على زوجته ، وعليه واجبات لها .

فللزوجات والأُزواج -- كلاهما على الآخر -- حقوق العشرة بالمعروف من غير مشقة .

وللزوجات على الرجال النفقة ، ولهم عليهن حفظ الزوج فى : ماله وولده وفراشه .

والرجل أحق بزهاية أسرته ــ والقيام بأسرها وزهامتها ــ من المرأة ، لقوته وخبرته وتجاربه ؛ ولأنه هو الذي يعول الأسرة ، ويكدح في سبيلها ، ويدافع عنها .

وهذه هي الدرجة التي فضَّل الله بها الرجل ، والمعبر عنها بقوله تعالى :

(وَلِلرُّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَّجَةً) :

فتجب طاعتهن لهم ؛ لما ساقوه من المهر والإنفاق .

وينبغي للرجل أن يُعْلَمُ أنه مسئول عن رعاية أسرته أمام الله .

وعلى المرأة كذلك أن تُعْلَمَ أنها مسئولة عن رعايتها لبيتها أمام الله ، وأمام زوجها .

قال – صلى الله عليه وسلم – : 1 كلَّكم راع وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأَّة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولةً عن رعيتها ، الحديث رواه الشيخان .

⁽۱) الساء : ۲۶

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) :

انتهت الآية بإظهار عرّة الله وقهره ، وأنه شديد الانتقام ممن خالف أمره ، وخرج على أحكامه ، وهو حكيم في تشريعاته : يسنّ للناس ما يواتم مصلحة الجميع . فعلى كل من الرجال والنساء ، أن يرعى الله ، بالتزام ما سنّه من أحكام .

(الطَّلْتُ مُرَّتَانَّ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفِ أَوْ تَشْرِيحُ بِإِحْسَنَ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْعًا إِلَّا أَن يَفَافَآ أَلَّا يُقِيَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا الْمَنْدَتُ بِقَافًا مُلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا الْمَنْدَتُ بِقَافًا مَا لَا يُقْتِمُ الْمُحَدَّوَاللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا الْمَنْدَتَ بِقَدِ مَ لِللَّهُ حُدُودَ اللهِ فَلَا تُعْتَدُوهَا وَمَن يَتَمَدُّ حُدُودَ اللهِ فَالْا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَمَدُّ حُدُودَ اللهِ فَالْا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَمَدُّ حُدُودَ اللهِ فَالْا لَهُ عَلَيْهِمَا فِيمَا فَالْمُونَ ﴿ إِلَيْ اللَّهُ مُن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا فَي اللَّهُ عَلَيْهِمَا فَي اللَّهُ عَلَيْهِمَا فِيمَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا فِيمَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَا اللَّهُ عَلَيْهُمَا لَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمَا لَا عَلَيْهُمَا لَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَعَلَيْهُمَا لَا اللَّهُ الْعُلِيلَةُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

القبريات :

(الطُّلَاقُ): هو التطليق كالسلام بمنى التسليم . والمراد به : حل العقد القائم بين الزوجين بألفاظ مفصوصة .

(فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفَ) : المراد به ، رجمة الزوجة بعد طلاقها ، مع أداء حقوقها ، وحسن عشرتها : طبقا للعرف والشرع ، في المعاملة .

(أَوْ تَسْرِيعُ بِإِخْسَانَ) : والتسريح بإحسانَ ؛ إخلاءُ سبيل الزوجة بإحسانَ في الماملة . وذلك يعدم مراجعتها حتى تنقفني علمها ، أو بتطليقها الثالثة ـــ وفي كلتيهما ــ يحسن إليها : بجير الخاطر ، وأداه الحقوق، وخفظ الأسراو .

التفسير

٢٧٩ ... (الطُّلَاقُ مُرَّتَانِ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُونِ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ . . .) الآية .

كان الطلاق فى الجاهلية _ وفى مستهل الإسلام ... غير مقيد بعدد محدود ، وكانت الوفدُّ عندهم معروفة مقدرة . فكان الرجل _ فى أول الإسلام _ إذا غاضب زوجته طلقها ، ثم راجعها قبل انقضاء عيشها : يكور ذلك كما يشاءً ، فلا هو يحسن عِشْرتها ، ولا هو يخلى مبيلها ؛ لتأخط لنفسها وجهة أغرى مع زوج جديد. ، وليغنى الله كُلًا من سعته .

قال القرطبي : قال رجل لامرأته على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا آويك ولا أدهك تخليل. قالت : وكيف ؟ مقال أطلقك ، فإذا دنا مُضى عنتك راجعتك ، فشكت المرأة ذلك إلى عائشة ، فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله - تمالى - هذه الآية ، بيانا لهدد الطلاق الذي يحل للمره أن يراجع فيه مطلقته ، دون مهر أو عقد ، حى لا يتجاوزه : مضارة للروجة .

وقد بينت الآية : أن الطلاق المشروع ، مرتان ، أى مرة ثم مرة

فللرجل أن يطلق زوجته، ثم يراجعها أثناء العلة _ إذا شاء دون توقف على رضاها.، ثم له أن يطلقها مرة ثانية ، ثم يراجعها أثناء العلة _ إذا شاء _ دون توقف على رضاها كذلك . وكل طلقة من هاتين الطلقتين تسمى طلقة رجعية .

أما إذا أمضت العدة بعد الطلقة الأولى، ، أو الثانية .. دون مراجعة لها .. فإن الطلاق يصبح باثنا ، فلا تعود إليه ، إلا بعقد ومهر جليدين ، وبرضا الزوجة أو وليها ، فإذا طلقها الثالثة بعد أن راجعها مرتين ، فإنها تصبح حراما عليه : لا تحل له حتى تنكح زوجا هيره ، كما تشير الآية الثالية .

ومعنى إمساكها بالمعروف ـ بعد الطلقة الثانية .. أن يراجعها مع حسن العشرة والمودة والرحمة . فذلك هو المعروف عند أرباب المروتات ، وفي لسان الشرع، ونظر العقل .

ومعنى تسريحها بإحسان - بعد الطلقة الثانية .. أن يتركها دون مراجعة أو أن يطلقها الثالثة ، وأن يؤدى لها حقوقها من : نفقة البدة ، وأجرة الرضاع ، والحضانة لولده ، وجبر الخاطر ، وحسن القالة . والآية الكريمة بهذا، أعطت الزوجين فترات كافية : يتروَّى فيها كل منهما، ويُراجع نفسه ، لعله يفيُّه إلى المودةِ والصفاء . فأبغض الحلال عند الله الطلاق .

وقد اختلف الأثِّيمة فيمن يوقع الطلاق ثلاثا مرة واحدة :

فلهب بعضهم ، إلى أنه يقع طلقة واحدة .

ومذهب الأُكمة الأربعة : أنه يقع ثلاث طلقات .

وقد أخلت المحاكم الشرعية في مصر الآن ، بالرأى الأول في لاتيحتها ، اتباعا لرأى بعض الصحابة وكبار التابعين ؛ ولأن منطوق الآية يؤيده ،

والخلاف بين الفقهاء في هذا الموضوع لم مبسوط في الكتب المطولة ، أمثال: الجامع الأحكام القرآن للقرطبي، وأحكام القرآن للجصاص ، وأعلام الموقعين لا بن القيم الجوزية ، ونيل الأوطار للشوكاني ، وأحكام القرآن لابن القرّني ، وغيرها .

قال ثمالي :

﴿ وَلَا بَحِلُّ لَكُمْ أَن تَنْأَعُلُوا مِمَّا آتَيْتُمُومُنَّ شَبْقًا إِلَّا أَن يَخَافَا ٱلَّايُقِيمَا حُلُودَ اللهِ ﴾ :

ال ذكرالة في الآية السابقة: أن الطلاق مرتان، وأن الزوج بعدهما أن يمسك زوجه ، ويستبقيها بمعروف ، أو يسرحها ويتركها بإحسان على نحوما أوضحناه سابقا - أتبع ذلك بيان نوع من أنواع الإمساك بفير معروف، والتسريح بغير إحسان، وهو أن يمسكها ويراجعها ، أو يطلقها في مقابل أن يأخذ بعض مالها ، فإن ذلك ليس معروفا ولا إحسانا.

قد أفادت الآية : أنه لا يحل للزوج أن يأخذ شيئا من صداق الزوجة ، اللهى أوجه الله ؛ لكى يبقيها ف عصمته ، أو لكى يطلقها . لأن ذلك منافي للمعروف والإحسان الذى أمره الله به ، والذى هو لائق بصلات المؤمنين بعضهم مع بعض ، فضلا عن الزوجين .

ومثل الصداق في الحكم ، سائر أموالهن . وتخصيص الصداق بالذكر ؛ لرعاية العادة ، أو للتنهيه على أن تحريم الأخذ من غيره أولى . وقد أباح الله للزوج أن يأخذ منها يعض مالها فى مقايل طلاقها، إذا خافا – كلاهما – أن لايقيما حدود الله، بعدم القيام بواجبات الزوجية ، كاستخفاف المرأة بحتى زوجها وسوء طاعتها إياه ، وكعدم إنفاق الزوج عليها وسوء عشرته لها .

فإن كان الخرف من عدم القيام بحقوق الله من جانب الزوج وحده ـ مع حسن عشرة المرأة ـ فلايحق له أن يأخذ منها ـ في مقابل طلاقها ـ شيئا من المال . فإن أخذه ، وجب عليه رده .

وإن كان الخوف من جانب الزوجة وحدها ، والنشوز من جانبها ــ فله الحقُّ في أخذه .

قال الإمام مالك: لم أزل أسم ذلك من أهل العلم ... وهو الأمر المجتمع عليه عندنا ...
وهو أن الرجل : إذا لم يضر بالمرأة ولم يسئ إليها ، ولم ثؤت من قبله ، وأحبت فراقه ...
فإقه يحل له أن يأخذ كل ما افتدت به ، كما فعل النبي ...صل الله عليه وسلم ... في المرأة
ثابت ، وإن كان النشوز من قبله ، بأن يضيق عليها ويضرها ... ود عليها ماأخذ منها .

ويدل لعجواز أخده المال منها .. إذا كان الشقاق من جانبها قحسب...مارواه البخارى عن ابن حباس : أن امرأة ثابت ، أتت النبي...صلى الله عليه وسلم ... فقالت : يارسول الله ، ثابت بن قيس: ما أَشْبُ عليه في خلق ولا دين ، ولكن لا أطبقه ، فقال رسول الله... صلى الله عليه وسلم ... فأثر رُثينَ عليه حَديقتَهُ ، 9 قالت : نعم زاد ابن ماجه (فأمره رسول الله... صلى الله عليه وسلم ... أن يأخذ منها حديقته ، ولا يزداد).

والقراق ــ فى مقابل المال ــ يسمى : خُلّما . ويعتبر خلع ثابت بن قيس لزوجته، أول خُلّم فى الإسلام .

واستدلت طائفة من الفقهاء بحصيث امرأة ثابت المذكور، على أنه يجوز العظم من غير المشكله ضرر ، قائبًا تقول : إنها الاتحتب عليه في خلق ولا دين ، ولكنها الانطيقه . وقالوا : إن الآية لم تذكر المغوف من عدم إقامة حدود الله على جهة الشرط ، يل لأنه الغالب . وقالوا : إن الذي يدل على ذلك ـ صراحة ـ قوله تعالى : « فَإِن طِيْنَ لَكُمْ مَن مُنْي مَّنَهُ نَفْسًا
فَكُنُوهُ مُنِينًا مُرِينًا " " " " .

⁽١) التساء ع

ومعنى قوله تعالى :

(فَلَا جُنَاحَ مَلَيْهِمَا فِيمَا الْتَدَتْ بِهِ) :

فلا إثم على الزوجين فيها افتدت به الزوجة نفسها ، لتخلص من زوجها بالخلع في مقابله . أي لا إثم على الزوج في أخذه ، ولاعلى الزوجة في إعطائه إياه .

واستدل كثير من الفقهاء ، بعموم قوله تعالى : (فيمًا الْمُتَدَثُ بِهِ) على جواز الخُلع بأكثر مما أعطاها ، فما نراضيا عليه ، صح الخلع به : قلّ أوكثر .

وهذا هو رأى الجمهور .

وإن كان مالك يرى أخذ الزوج الزيادة على ما أعطاها ، مجافيا لمكارم الأخلاق . وقالت طائفة : لايأخذ منها أكثر مما أعطاها .

وبه قال أحمد وإسحاق وغيرهما .

واعتملف العلماءُ في الخلع : هل هو طلاق ، فيمد طلقة ؟ أم هو فسمح ، فلا يعد طلقة .

فقال مالك ، والشافمي في أحد قوليه ، وأبو حنيفة ، والثورى ، وغيرهم : هو **طلاق** باتن ، فيمد طلقة .

وقالت طائفة : هو فسخ لاينقص عدد الطلاق إلا أن ينويه .

وبه قال ابن عباس ، وأحمد ، والشافعي في أحد قوليه ، وإسحاق وغيرهم

ولهم في ذلك أدلتهم .

ومن ذلك ماروى : أن سعد بن أبي وقاص سأل ابن عباس – رضى الله عنهما – : عن رجل طلّق امرأته تطليقتين ثم اختلمت منه ، أيتزوجها ؟ قال : نعم لينكحها ، ليس الخلع بطلاق ذكر الله – عزوجل – الطلاق في أول الآية وتخرها ، والخلع فيا بين ذلك ، قليس المخلع بشيء ، إلى آخرما قال . ومن ذلك قولهم : إنه لوكان الخلع طلاها لكان بعد ذكرالطلقتين ثالثاً ، وكان قوله بعد الخلع : (فَإِن طُلَقَهَا فَلَا تَعِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) دالًا على الطلاق " الرابع ، فيكون التحريم بعد أربع طلقات ، ولاقائل به ، إلى آخر ماقالوا .

ويترتب على هذا المخلاف: أن من طلق زوجته تطليقتين، ثم خالعها ، ثم أراد أن يتزوجها ، فله ذلك عند ابن عباس ومن يرى رأيه ، لأنه لم يقع منه سوى تطليقتين ، والمخلع لغو . ومن جعله طلاقا لم يُحِرِّ له أن يرتجعها حتى تنكح زوجا غيره .

وعلى القول بأنَّه طلقة بالنة: يجوز الثروج أن يعود بعده لزوجته، إذا لم يسبقه طلقتان: بأن لم يسبقه طلاق أصلا ، أو سبقه طلقة واحدة .

ولكنه لايعود إليه، إلا بعقد ومهر جديدين .

(تَلْكِ خُدُودُ اللهِ فَلَا تَخْدُوهَا) :

أى تلك الأحكام التي مضت : ماحدٌه الله وشرعه من الأحكام ، فلا تتجاوزوها بالمخالفة .

(وَمَن يَتَمَدُّ خُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ مُمُّ الظَّالِمُونَ):

أى ومن يترك أحكام الله التى شرعها وبينها لعباده ، فإنه ظالم لنفسه وغيره ، متبع لهواه . والظالم يستحق عقاب الظالمين المعندين .

وق هذا بلاغ لن يجادلون ، مدمين ظلم الأسرة بطالبين بتطبيل حدود الله تبناً لأمرة بطالبين بتطبيل حدود الله تبناً لأمواقهم ، أو تطبيقة الإسلامية ، بامم المدنية والحضارة . ونسوا أن المدى شرع هذه الأحكام ، وحدد هذه الحقوق ، هو رب المالمين : خالق الأسرة : العلم بمصالحها ، وأنه أرأف با من هؤلاء المدين يدعون الإشفاق عليها ، وهم إنما يريدون بلملك . الوصول إلى زعامات كاذبة ، وأغراض هدامة .

والله من وراثهم محيط .

(فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَثَّى تَنَكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَثْرَاجَعاۤ إِنْ ظَنَّاۤ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞).

التفسير

بين الله سبحانه ـ فى الآيات السابقة ـ طريقة إيقاع الطلاق، وأنه يكون على دفعات الافلعة واحدة، عنى الإيفيق الرجل على نفسه، بل يستطيع أن يستأتف ـ بعد الطلقة الأولى أو الثانية ـ حياته الزوجية .

ثم أتبع ذلك بيان حكم الفراق ، إذا كان بافتداء الرأة نفسها من الرجل ، بمال تدفعه .

ولى هلم الآية الكريمة يبين .. سبحانه .. الطلاق المكمل للثلاث، اللي لايمكن بعده استثناف الحياة الزوجية، بل تحرم عليه المطلقة، حتى تنكح زوجا غيره، فيقول سبحانه:

٢٣٠ _ (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكعَ زَوْجًا غَيْرَهُ . . .) الآية .

أى فإن طلقها الثالثة .. بعد الطلقتين اللتين سوغ الله .. سبحانه .. له الرجعة بعد كل منهما ، فى أثناء العدة .. فلا تحل له مراجعتها فى علتها ، أو العقد بعد انقضائها من ملما الطلاق الثالث ، حتى تتزوج زوجا غيره ، بعد انقضاء علمها منه ، على أن يكون الزواج الثانى زواجا شرعيا صحيحا ، وأن يجامها فيه .

فإن طلقها الزوج الثانى ، وانقضت عدتها منه ، فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتراجعا بمقدجديد إن ظنا أن يقيما حدود الله ، ويتعاشرا بالمعروف ويحرص كل منهما على القيام بواجب الزوجية .

وقال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير: النكاح فى الآية : العقد الصحيح. فهو كاف فى التحليل للأول، وإن لم يجامعها، مالم يُرَدُّ بالعقد مجرد إحلالها للأول. وإطلاق النكاح على المقد، معروف لفة وشرعا. ولكن هذا الرأى ضعيف؛ لمخالفته لما جاعت به السنة الصحيحة، والمحكمة المقصودة من هذا الزواج ، وهي تخويف الناس من البت في الطلاق ، حتى الاتمعير نساوًم إلى هذا المعير ، ولتأديب مَن بَثُ طلاق امرأته .

وإذا تزوجها الزوج الثاني .. بقصد إحلالها للزوج الأول:

فقد قال أبر حنيفة وأصحابه: النكاح جائز للأَّول إن دخل بها الثانى وطلقها، وله أن مسكها إن شاء .

وفى رواية أخرى عنهم : لاتحل للأُول إن تزوجها ليحلها له، ولم يختلفوا في أن نكاح الزوج الثاني صحيح .

وحكى الماوردى عن الشافعي : أنه إن شرطا التحليل قبل العقد، صح النكاح وأحلها للأَّول ، وإن شرطاء في العقد، بـطل النكاح ولم يحلها للاَّوك .

وفي هذا الموضوع كلام طويل ، وآراءٌ عدة فراجعه في كتب الفقه .

(رَبِلُكَ خُلُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقُوْمٍ يَعْلَمُونَ) :

أى وتلك الأحكام المذكورة التى تتصل بالنكاح والطلاق ، والرجمة والدلم ، وغير ذلك ، هى حدود الله وأحكامه : يبيتها بيانا وأضحا مفصلا ، لقوم يعلمون حقها وأهميتها ، فيحافظون عليها ، ويتمهدون بتنفيذها . وذلك لا يدركه إلا عالم متدبر . أما الجاهل ، فلا ينظر إلى العواقب ، ولايحافظ على حدود الله .

وتكررت جملة : (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ) فى أحكام الطلاق ؛ لإيراز أهميتها ، وإظهار اللغب الكبير فى مخالفتها .

هـذا حكم المطلقات ثلاثا . أما غيرهن تمن طلقن واحدة أو اثنتين ، فقد بين الله ماينهني النباعه بقوله مخاطبا الأزواج : (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَآة فَلَفْنَ أَجَلَهُنَ فَأَحْسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوف أَوْ مَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفِ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارُ الْتَعْتَدُواً وَمَن يَفْعَلُ ذَٰ لِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَكَا تَنَّخَدُواْ ءَا يَنِتِ اللهِ هُزُوًّا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الْكِتَبِ وَالْحِلْمَةِ يَعِظُكُم بِهِمَوا تَقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنْ اللهَ بِكُلِّ مَنْ وَعَلِيمٌ ۞) .

القبريات :

(فَبَلَغْنَ أَجَلُهُنَّ): أَى قاربن نهاية عنسَهن. والأَجل ــ كما يطلق على المدة كلها ــ يطلق على آخرها: مجازا.

(لِتَمُتُدُوا) : أَى لتظلموهن بالإلجاء إلى الافتداء ، قرارا من إمساكهن مع المضارة . (آيَاتِ الله): المراد بها ؛ هذه الآيات المشتملة على أُحكام النساء . أوكل الآيات ، وهذه داخلة فيها .

التفسير

٢٣١ - (وَإِذَا طَلَقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغَنَ أَجَلَهُنَ فَأَلْسِكُوهُنَّ بِمَثْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ
 بَمْرُو فِ . . .) الآية .

والمعنى : وإذا طلقتم النساء طلاقا رجبيا ، فقاربن انقضاء علمين ، ــ بالقروه . . أو الأشهر أو الحمل ــ ^(۱) فأسمكوهن ــ بالمراجعة إلى عصمتكم ــ بمعروف ، من غير إضرار مهن ، · إن رغيتم أن تستمر الحياة الزوجية بينكم .

والمعروف : هو أن تقوموا يما يجب عليكم لهن من حسن العشرة والنفقة ، وحسن المعاملة كما أمركم الله . أو سرحوهن بمعروف إن كرهنم البقاء معهن ، وذلك بنأن تتركوهن

⁽١) راجع تفسير الآية : ٢٢٨ من البقرة ، والآية : ٤ من العلاق .

حتى تنقفى علمهن ، مع أداء جميع حقوقهن المالية ، من غير مشاحة ولا تجريع ، على حد قوله تمالى : ، وَتَسَرَّحُومُهُ سُرَاحًا جَمِيلًا، (١٠

(وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لُتُعْتَلُوا) :

أى ولا تمسكوهن بالرجعة ، مضارة لهن ، لتعتلوا عليهن ، بوالجا**تهن إلى الافتلاء ،** أو تطويل علمين ، حُبِّساً لهن عن الزواج من غيركم .

روى مالك عن ثور بن زيد اللَّهِلى: أن الرجل كان يطلق امرأته، ثم يراجعها ، والاحاجة له بها ، ولايريد إمساكها ، كيا يطوّل بذلك العدة عليها ، وليضارها . فأقرَل الله تعالى : (وَكَانُتُسْكُوهُنُّ صَرَّرًا لُتَتَمَّلُوا) :

وأخرج ابنجرير وغيره عن السدى: أن رجلا من الأنصار يدعى: ثابت بن يسار، طلق زوجته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة ، راجعها ثم طلقها ، ففعل ذلك بها حتى مضت لها تسمة أشهر : يضارها . فأترك الله تعلل هذه الآية .

والنهى هنا، تأكيد للأمرقبله بالإمساك بمروف، وتوضيع لمعناه، وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه، من تطويل عشها على نحو مابينه سبب النزول.

فلا يحل له أن يراجع إلاإذاكان قداعتزم العلى وأراده . فإن تعلم قيام العياة الزوجية ، فلا يسوخ له أن يستأنفها : معانمة للزوجة ، وعدارة لها . فإن ذلك اعتداة وظلم ، ولهلما قال :

(وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ فَقَدْ ظَلْمَ نَفْسَهُ):

أى ومن يفعل ذلك الإمساك الموَّدى للضرار ــاعتداءً وظلما فى موطق الرحمةــفقد ظلم نفسه : بتعريضها لعذاب الله .

أما قوله تعالى :

(وَلَا تُنَّخِلُوا آيَاتِ اللَّهِ مُزُوًّا) :

⁽١) الأحزاب: ٤٩

قهر تأكيدآخر ، أى ولا تتخذوا آيات الله مهزرًا بها : بمخالفتها وعدم تنفيذها ؛ لعدم مبالاتكم بحقوق النساء ، بل جدوا ف الأخذ بها ، والعمل بما فيها منأحكام وتشريعات.

وقيل: منى اتخاذها هزوًا: إدعاءُ العبث والهزل، وعدم الجد فيا يقولون من عبارات ذات أحكام شرعية : كالطلاق، والرجعة ، والعتق .

روى أَبُو داود، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، عن أَبِي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم : وثُلاثٌ هَزِّلُهُنَّ جَدِّ : النكاح، والطلاق، والرجعة a .

وعن أبي حمرة ، وابن مردويه ، عن أبي اللمرداء قال : « كان الرجل يطلق ثم يقول : لهبت ، ويحق ثم يقول : لعبت . فنزلت » . والآية على هذا عامة في جميع الأحكام .

(وَاذْكُرُوا نِمْمَةُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ) :

أى واذكروا نعمة الله عليكم: بالإسلام والتزويج وجميع النحم. واذكروا كدلك ماأنزل عليكم من آيات الكتاب الحكم، المنزل على وسولكم ، المبين لما يسعدكم من الشرائع والأحكام . واذكروا أيضا : ما أنزل عليكم من حكمة الرسول، وسنته التى بين بها آيات الله وتشريعاته.

(بَيِفُكُم بِهِ):

أى اذكروا ما أنزله عليكم من الكتاب والمحكمة ، والحال أنه يعظكم ويذكركم به : لتعملوا بمقتضاه .

(وَاتَّقُوا اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلُّ شَيْء عَلِيمٌ) :

فلا يسخفي عليه شيء بما تتأثون وما تذوون، فيؤاخذكم بما تعملون: من خير أو شر. ولاشك أن معرفة المسلم ذلك ، توجب عليه الالتزام بأوامر الله ، واجتناب ما نهى الله عنه ؛ ليكون بذلك ، فوقاية من عذاب ربه: العلم بكل شيء .

ثم أردف ذلك بمخاطبة أولياء الأمور أو المؤمنين جميما فقال :

(وَإِذَا طَلَقَتُمُ النِّسَاةَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْشُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزَكَ جُونَ الْآلَاثُ وَعَشُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزُواَ جَهُنَّ إِذَا لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَآلَهُ مَنكُمْ وَأَنْمُ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿) .

القبردات :

(فَيَلَنَّنَ أَجَلَهُنَّ) : أَى وصلن إلى نهاية عدتهن ، تماما من غير نقصان ..

(فَلَا تَمْضُلُوهُنَّ) : فلا تمنعوهن من الزواج .

التفسير

٢٣٧ - (دَإِنَّا طَلَقْتُمُ النَّسَآءَ مَبَلَئْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَشْفُلُومُنَّ أَن يَنكِمْنَ أَزْوَاجَهُنَّ فَلَا تَشْفُلُومُنَّ أَن يَنكِمْنَ أَزْوَاجَهُنَّ فَلَا تَشْفُلُومُنَّ أَن يَنكِمْنَ أَزْوَاجَهُنَّ فَلَا تَرَاضُواْ بَيْنَهُم بِالسَّرُونِ . . .) الآية .

سبب النزول: روى البخارى وغيره ، عن معقل بن يسار قال: « كانت في أخت ، فأتن ابن م لها ، فأتكحتها إياه ، فكانت عنده ماكانت ، ثم طلقها تطليقة ، وأ يراجعها حتى انقضت عدتها ، فهويها وكويتُه ، ثم خطبها مع الخطاب ، فقلت له : يالكع ، أكرمتك بها وزوجتكها : ثم طلقتها ، ثم جثت تخطبها ، والله ، الاترجع إليك أبدا . وكان رجلا الإيأس به ، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه ، فعلم الله حاجته إليها ، وحاجتها إلى معلها ، فأنزل الله علم الأنت عن يمنى ، وأنكحتها

إياه ، وفي رواية وظلما سمعها معقل قال : سَمْعًا لربِّي وطاعة ، ثم دعاه ، فقال : أزوجك وأكرمك ، .

المنى: وإذا طلقتم النساء أبها الأزواج، فبلغت الطلقات بهاية عدتهن، فلا تمنوهن أبها الأولياء ، أن يتزوجن أزواجهن اللين طلقوهن، وصلا لما انقطع بينهم وبينهن، أبها الأولياء ، أن يتزوجن أزواجهن اللين طلقوهن، وصلا لما لتقطع بينهم، عاهرف حسنه شرها ومروعة، فإن للزوجة حقًا ثابتا في اختيار زوجها ، لأنها هي التي ستعيش مهه.

وكما يحرم العضل بالنسبة إلى زوجها الأول ، يحرم بالنسبة إلى زوج جليد : ثم بينهما تراض شرعي .

(ذَالِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْبَوْمِ الْآخِرِ) :

(فَالِكَ) : النهى عن العضّل والإضرار ، وما انصل به من الأَّحكام . (يُوعَظُّ بِهِ) : أى يذكر به .

(مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَرْمِ الْآخِرِ): فيظب جانب المصلحة على هوى نفسه؛ لأن شأن الإممان : الصل بالأحكام ، لهلا خص بالذكر .

(ذَٰلِكُمْ ۚ أَزْكَى لَكُمْ وَٱطْهَرُ ﴾ :

أى ذلكم الاتماظ بما كلفتم به من ترك المضل، أعظم بركة ونفعا ، وأطَّهر لكم ولهم عنالريمة والتهم، بسبب ماقد يحصل بينهما من صلات غير مشروعة .

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَلْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) :

أى والله يعلم مافيه صلاح أموركم من الأحكام والشرائع .(وَأَنتُمْ لَا تَمُلَّمُونَ) ذلك فاتبعوا أمره ، واجتنبوا نبيه .

ثم شرع في الحديث عن الولد وحقه بعد الحديث عن الزواج الأنه ثمرة له نقال :

(وَٱلْوَالِدُ أَتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَنَدُهُنَّ حَوْلَيْ كَامِلَيْ لِمِنْ أَرَادَ أَن يُغَ ٱلرَّضَاعَةً وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ, رِزْقُهُنَّ وَكِسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاتُكَلَّفُ نَفْسُ إِلَّا وُسْعَهَ لَا تُصَارَّ وَالِدُهُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ, بِوَلَدِهِ - وَعَلَى الْدَارِثِ مِثْلُ ذَلِكٌ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضِ مِنْهُما وَتَشَاوُرِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِما وَإِنْ أَرَدَتُم أَن تَسْتَرْضِعُوا وَالْقُولُ لَمُ هَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِما إِذَا سَلَمْهُ مِّا الْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللهِ وَاعْلُمُواْ أَنْ اللهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرً ﴿).

القسرمات :

(الْمُولُودِ لَهُ): أبو الولد . فإن الولد يولد له وينسب إليه .

(رِزْقُهُنَّ) : نفقتهن .

(وُسْمَهَا): الوسعة ؛ الطاقة والاحتمال . (فصَالاً): فطاما للولد عن الرضاع .

(جُنَاحَ): الجناح ، الإثم .

(أَنْ تَسْتَرْضِمُوا): أَنْ تَطْلَبُوا مرضعات الأُولادكم غير أمهاتهم .

التفسير

٣٣٣ ــ (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ۚ الْوَلَانَكُنْ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَوَادَ أَنْ يُدِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَ الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنْ وَكِسُونَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . . .) الآية .

المنى: أفادت الآية :أن الوائدات يرضمن أولادهن ، وهلما شهر يراد به النلب والاستحباب ، مالم تعتنع الصبى عن الارتضاع من غير أمه ، أو لايوجد له مرضع سواها ، أو يعجز الوائد هن الاستفجار : فلإنه يكون واجبا على الأم ، ويكون الخبر في الآية مرادا منه الأمر لها إلزاما . والمراد بالوالدات فىالآية : جميعهن ، سواءٌ كن زوجات لآباء أولادهن الرضعاء ، أو كن مطلقات منهم .

وحتى لا يختلف الوالدان في مدة الرضاعة ، بأن يريد الأب أن يقصر مدنها ، حتى لا يمند دامه أجر الرضاعة ، أو تعمل الأم على إطالتها ، انتفاعا بأجر أكثر. حدَّدالله مدة الرضاع الملازمة للطفل ، بقوله تعالى : (حَوَلَيْنِ كَامَلْيْنِ) : سنتين كاملتين بالتقويم القمرى : شأن ما لميه حكم زمني من شئون الإسلام ،

فمدة الرضاع: حولان كاملان تامان: ينقصل جما النزاع.

ذلك التوقيت بالحولين (لِيَمَنَّ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) والقصود بمن أراد أن يتم الرضاعة : والد الطفل . فهو المكلف بالإرضاع . والأم ترضع له .فاللام في قوله : (لِمِنَّ أَرَادَ) لبيان من تَوَجه إليه الحكم ، وهو الأب .

قال الشافعي : لا يلزم الإرضاع إلا والدا أو جدًّا وإن علا .

وسيناً في مزيد بيان لذلك في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰ لِكَ ﴾ .

وكون الإرضاع واجبا على الأب أو الجد ، لايناق أنه يندب للأمهات إرضاع أولادهن . وقد يجب عليهن ، هند فقد المراضع أو وجودهن بأُجر لا يطيقه الأب ، أو امتناع الرضيع عن الرضاع من غير أمه كما تقدم .

وقد دل قوله : (لِمَنْ آرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) على أَن إِرضاع الحولين ليس حتما ، وأنه يجوز الفطام قبل الحولين ، ولكنه - كما قلنا - تحديد لقطع النزاع بين الزوجين فى مدة الرضاع . فلا يجب على الأب إعطاءُ الأُجرة لأكثر من حولين ، مالم تكن حالة الطفل الصحية : تقتضى ضرورة الزيادة فى الرضاع عليهما ، فيجب عليه إعطاؤها .

وإذا أراد الأب الفطم قبل تمام الحولين ، ولم ترض الأمُّ ــ لم يكن له ذلك .

وبجب أن تكون مصلحة العبي مقدمة على كل اعتبار .

وإذا كنت قد هرفت أن توقيت الرضاع بحولين كاملين ، الغرض منه قطع النزاع بين الزوجين ، وأنه بيان الأقصى منة الرضاع ، عند اعتدال صحة الطفل ، وأنه يجوز إنقاصهما إلى مادون ذلك عند انفاق الزوجين ، واستعداد صحة الطفل للفطام تبلهما .. ("، وَحَمْلُهُ وَهُمَالُهُ تَلَاتُونَ شَهْرًا ... ("، وَحَمْلُهُ وَهُمَالُهُ تَلَاتُونَ شَهْرًا ... ("، و

فإننا إذا اعتبرنا الحمل تسعة أشهر - أو عاما ، كما يحدث فى بعض الحالات - فإن مدة الرضاع - في مورة الأحقاف - تنقص عن حولين كاملين ؛ لأننا إذا نقصنا تسعة أشهر من الثلاثين شهرا ، كان الباق للرضاع ثمانية عشر شهرا : أى سنة ونصفا ، وذلك شاهد بصحة ما قلناه - من أن تحليد للدة بحولين - لبيان أقصى مدة للرضاع ، كما أنه نقطع النزاع بين التوجين ، وليس للتجديد المازم .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادًا فِصَالاً عَنْ تَرَاضِ مُنْهُمًا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَّاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ وصيثنى الكلام عليه .

وقد دلت الآية : على أن الحرمة بالرضاعة ، لا تثبت إلا بالإرضاع أثناء الحولين ، فتجعل للرضيع فيهما حرمة النسب ، وهذا هو الصحيح .

ومن العلماء من أنبت الحرمة بالرضاع بعد الحولين إلى شهر ، وقيل : إلى شهرين . وقيل : إلى ثلاثة . وقيل : إلى سنة أشهر . وكل ذلك ضعيف لمخالفته نص الآية ، ولحديث مالك فى الموطأ : « لارضاع إلا ما كان فى الحولين ». قال تعالى :

﴿ وَمَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْرَتُهُنَّ بِالْمَثْرُونِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسُ إِلاَّ وُسْمَهَا لَا تُضَارًّ وَالِمَةً بِوَلَكِمَّا وَلَا مَرْلُودٌ لَّهُ بِرَلَعِيهِ وَمَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ :

المراد بالمولود له : الأَّب ، فإن الولد يولد له ، ولم يعبر بالأَّب مع أنه أخصر : للدلالة على علة الوجوب مع مافيه من معنى الانتساب ، الذى تشير إليه اللام . ورزقهن : نفقتهن .

وقد أوجبت الآية على الوالد أن ينفق على أمِّ رضيعه ويكسوَها ، سواء أكانت زوجة له أم مطلقة منه ، وذلك أجرة لها على إرضاع ولدهما . بهذا قال الشافعي .

⁽١) الأحقاف : ١٥

وصد الأحناف: لا تأخذائروجة أجرة هل الرضاع ، مادامت فى النكاح ، أو فى العدة ، اكتفاع بنفقة بها وعدد الأحناف بنفقة بالكنوة بالإرضاع دون أجرة ، أو بأجر غير كاف ، لكى يستطيع كلاهما أن يقوم بأعاله بحو ولده .

وسمى (لا تُشَارُ وَالْدِهُ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ): لا تضار والدة زوجها بمسبب ولدها ، بأن تطلب منه ماليس بعدل من الرزق والكسوة ، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد، وأن تقول له: اطلب مرضعا، بعد أن أقنها الرضيع، ولا يضر مولود له - وهو الأب _ زوجه المرضمة بسبب ولده، بأن عنمها شيئا مما وجب لها عليه من زرق أو كسوة، أو يُخرهها على الإرضاع .

ومعنى قوله : (وَمَلَى الْوَلَوِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) : أَن والد الرضيع ـــ إذا مات ــ قام وارثه ــ بالرزق والكسوة : بالمعرف ــ لوالنته التي نرضحه .

والمراد بوارث الآب: نفس الرضيع ، إنكان له مال ، فإن لم يكن له مال ، فعل جده لأَبيه إن وجد ، فإن لم يوجد ، فعل الأُم . وقيل : الوارث هو ذو الرحم للحرم : قرأً ابن مسعود : و وَكُل الْوَارِثِ فِي الرَّحِمِ الْمُتحرِمِ مِثْلُ ذَلِكَ ، وقيل : عصباته . وقيل: المراد بالوارث : وارث الصبي .

وفى للوضوع كلام طويل، يطلب من للوسوعات .

ذلك حكم الرضاع ومايجب فيه : على الوالنة ، والمولود له ، والوارث .

(فَإِنْ أَرَّاوَا فِصَالًا عَن تَرَاضِ مُّنْهُمَا وَتَشَاوُرِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) :

أى: فإن أراد الوائد والأم فطام الرضيع - قبل تمام الحولين - فلهما ذلك ، دون إثم عليهما أو حرج ، بشرط أن يتم ذلك عن تراضى وتشاور بينهما ، دون إضرار بالرضيع . وهلما الحكم من رحمة الله تعلق بعباده ، حيث أرشد الوائلين إلى ما يصلح للطفل ، ثم قاله . (وَإِنْ أَرَنْتُمْ أَن تَسْتَرْضِمُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلْشُمُ مَّا آنَيْتُم بِالمَعْرُوفِ): يقول: وإن أردتم -أما الآباء -أن تسترضعوا مراضعاً عرى أولادَ كمغيرالوالدات، لمصلحة

يقول: وإن أردتم - أيها الآباء - أن تسترضعوا مراضعا خوى اولاد كم غير الوالدات، لصلحة الطفل، أو لأى سبب آخر، فلكم ذلك، ولاجنا حطيكم فيه، إذا سلمتم المراضع ما أردتم إربتاه من الأجرة، بالوجه للتعارف للمستحسن شرعا، عن طبيب خاطر اليقمن بإرضاعه على خير وجه.

وهنا يقول الزمخشرى: أمروا أن يكونوا عنه تسليم الأَجر - مُسْتَبَّثِيرى الوجوه، ناطقيزيالقولالجبيل، مطيبين لأَنفس للراضع بما أمكن، حتى يؤمن قفريطهن بقطع معاذيرهن.

(وَاتَّقُوا اللَّهُ } :

الخطاب في (وَاتَّقُوا اللَّهَ) للآباء والأُمهات .

فيما فرض عليكم فلا تظلموا .

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) :

فلاتخفى عليه خافية من أحوالكم وأقوالكم ، فلحفروا أن تخالفوا عن أمره ، فلستم بمعجزيه . وفي الآية – من التهديد والتحذير – مالايخفى .

ولما انتهى من الطلاق وصنته ، والولد .. ومايجب له .. شرع يبين عند المتولِّي عنها زوجها ، فقال :

(وَالَّذِينَ يُتَوَقِّرُنَ مِنكُمْ وَيَدَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرُ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغُنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلَنُ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرً ﴿ ﴾ .

القربات :

﴿ وَيَكْرُونَ أَزْوَاجًا) : جمع زوج . ويستوى فيه المذكر والمؤنث . والمقصود هنا ــ
 الزوجات ، أى : يتركون زوجات لهم في عصمتهم وقت الوفاة .

(يَتُرَبَّصْنَ): ينتظرن في بيت الزوجية . ،

التفسير

٣٣٤ ــ (رَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُمْ وَيَلَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةً أَشْهُمٍ
 ٢٣٤ ــ) الآية .

أى : والرجال الذين بموتون منكم .. أمّا المسلمون ... ويتركون زوجات ، يجب عليهن أن ينتظرن بمدهم بدون زواج ، أربعة أشهر وعشر ليال بلّيامها ، وتسمى هده المدة: عدة الوفاة .

ويستوى فى قضاء هذه المدة كل زوجة : صغيرة كائت أو كبيرة : ملخولاً بها ، أو لا : وقال ابن عباس : لا عدة لغير المدخول بها .

وهو محجوج يعموم اللفظ.

وتكون المعندة بعيدة عن الطيب والزينة أثناء عدتها . وتمكثها في منزل الزوج، إن تيمسر لها ذلك . ولها الخروج لحاجتها على هذه الحال تهارا . وهذه المدة لغير الحامل .

أما الحامل ، فعلمًا تنتهى بوضع الحمل ، ولو كان ذلك بعد لحظة من الوفاة ؛ لقوله تعالى : 8 وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَّلُهِنَّ أَن يَضَمَنَ حَمْلَهُنَّ ، (١١٠ .

وهذا هو رأى الجمهور .

ويرى الإمام على .. ويعض الفقهاء .. أن تمام علمًا : أبعد الأجلين . جمعا بين الآيتين . والجمهور: على الأول .

فقد صع أن آية الطلاق، نزلت بعد هله الآية.. كما رواه البخارى وغيره .

ولهذا قال صر بن الخطاب ــ رضَى الله عنه ــ: ﴿ لَوَ وَلَدْتُ وَزُوجِهَا عَلَى سُوبُوهُ لَمَ نُلَذُنْ ﴾ لَحَلُتُ ﴾ .

وصح أن الذي .. صلى الله عليه وسلم .. قضى لسبيعة الأسلمية بذلك .

⁽۱) الطلاق: ٤

والحكمة فى جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا - كما قال ابن الأثير - احتمال اشتمال المتمال الرحم على حمل، فإذا انتظرته - هذه المدة - ظهر إن كان موجودا . كما جاء فى حديث ابن مسعود فى الصحيحين وغيرهما : 9 إن خَلْق أَحَدِكُم يُجمَعُ فى بطن أمه أربعين يوما بُعلقة ، ثم يكونُ عَلَقة ، ثم يكونُ عَلقة مثل ذلك ، ثم يكون مُشَعّة مثل ذلك ، ثم يكون مُشَعّة مثل ذلك ، ثم يتبعث إليه المملك فينفُخ في الروح و . فهده أربعينات باربعة أشهر . والاحتياط عشر بعدها ؟ لما قد ينقص من بعضى الشهور ، وانتظارًا ليظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه . والله أعلم بأسرار

(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ طَيْبُكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) :

أى : فإذا بلغن أجلهن ، واستوفين عدة الوفاة الواجبة عليهن - كاملة دون نقص - واستبان حال الرحم ، فلم يكن فيه حمل - فلا جناح عليكم - أيها الأولياة المسلمون - فيما فعلن فى أنفسهن من زينة وغيرها ، مما مُيغنَّ عنه إيَّان فترة العدة ، إن كُنَّ قد فعلن ذلك بالمعروف ، في حلود الشرع الشريف ، بأن لم يخرجن عن حلوده ، فإن خرجن عنه ، فالإم عليكم أبها الأولياة ، الأن مراقبتهن واجبة عليكم .

وحداد الزوجة على زوجها - أى ترك الزينة والطبيب ونحوه - واجب عليها مدة علتها الله حدها الله - تعلق - عن أم حبيبة وزينب التي حدها الله - عن أم حبيبة وزينب بنت جعش الله المؤمنين رضى الله عنهما: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر: أن تُحد على ميت قوق ثلاث ، إلا على زوج الربعة أشهر وعشرا الله و وقدا هو رأى جمهور العلماء .

وقال الحسن بن أتي الحسن : ليس الإحداد بشيء ، إنما تتربص عن الزوج ، ولها أن تتزين وتنطيب .

وهلما الرأى ضعيف لمخالفته للسنة .

ثم ختم الآية بقوله تعالى :

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) :

أى والله عليم بامتثالكم أمره أو مخالفته، مجاز لكم حسب عملكم، فاحذروه.

وبـذلك حملت الآية الكريمة المسلمين ــجميعا ــ مسئولية حماية الآداب العامة ؛ حفاظا على المجتمع الإسلامي الفاضل .

ثم أتبع ذلك بيان الطريق المستقيم ، لمن أراد الزواج بمن توقى صنها زوجها أو غيرها من المعندات ، فقال :

(وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرْضَهُ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنَهُ فِي الْمَعْ فَي الْمَا أَنْ أَكُونَهُمْ وَالْمَا اللَّهُ اللْحَامِاللَّهُ اللَّهُ اللْمُوالِمُ الللْمُوالِمُ اللْمُواللَّهُ اللْمُواللَّا اللَّهُ اللْمُواللَّالِمُ اللْمُوالِمُ اللْمُوالِمُولِمُ اللَّهُ اللْمُوالِمُولُولُ

القسردات :

(مَرَّضْتُم): التعريض والتناويح : إيهام المقصود بما لم يوضع له ، حقيقة أو مجازا .
 كقولك : جئتك لأسلم عليك ؛ تلويحا بأنبك جئت لطلب دين أو عطاء ممن تخاطبه .

(عِطْبَةِ النَّسَآةِ): طلبهن للزواج قبل العقد . والقصود هنا من النساه: المعدات عن وفاة ، بقرينة الآية السابقة ، فأل فيه للعهد .

(أو أكننتم): أو أخفيتم .

﴿ لَا تُوَاعِلُوهُنَّ سِرًّا ﴾: لا تواعدوهن ــ فى العدة ــ زواجا .

(وَلَا تَعْزِمُوا عُقْلَةَ النَّكَاحِ ِ) : ولاتقصدوا قصدا جازما تنفيذ عقده .

التفسس

٧٣٠ - (وَلَاجْنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النَّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِ أَنفُسِكُمْ
 عَلِمَ اللهُ ٱلْكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ . . .) الآية .

المغنى : ولا إثم عليكم- أبها المسلمون الذين تريدون خطبة أولئك المعتدات .. أن تعرَّضوا بخطية النساء، وتشيروا إليها .. أثناء عشهن من وفاة أزواجهن ... بأن يقول الرجل للمرأة قولا تفهم منه عرضا أنه راغب فيها . وذلك كما رواه البخارى وغيره ، عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما .. : ه إنى أويد التزوج ، وإنى لأحب امرأة من أمرها وأمرها _ يعرض لها بالقول بالمعروف .. وإن النساء لمن حاجتى ، ولويدتُ أن الله كتب لى امرأة صالحة ه .

أما التصريح بخطبتها، فلا يجوز .

هكذا حكم الطلقة المعندة في طلاق باثن .

فقد ورد أن رسول الله حسل الله عليه وسلم حـ قال لفاطمة بنت قيس . حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حَقْيِس آخر ثلاث تطليقات . فقد أمرها أن تعتدفي بيت أم مكتوم . وقال لها : فإذا حللت فأذنبني ، فلما حلت ، خطبها لأسامة بن زيد مولاه ، فزوجها إياه .

أما المطلقة الرجعية ، فلا خلاف فيأنه لا يجوز فى علسًا التصريح ولا التعريض يخطبتها .

وكما لا إثم عليكم فى التعريض بخطبة للمندات عن وفاة ، فلا إثم عليكم إذا أخفيتم - فى قلويكم - نكاحهن بعد مفى علشن ، ولم تعرضوا بخطبتهن أثناء علمن .

ئم ذكر حكمة الترخيص بذلك فقال :

(عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) :

أَى علم الله أنكم ستذكرونهن في أنفسكم، فرفع الحرج عنكم ، ورخص لكم – فيما ذكر – من التعريض بالخطبة، وكتمان النكاح في أنفسكم .

ثم بي عن التصريح بخطبتهن فقال:

(وَ لَكِينَ لَّا تُوَاعِلُوهُنَّ سِرًّا) :

هذا استدراك على مقدر . فكأنّه قبل : فالأكروهن ولكن لا تواعدوهن سرًّا . والمراد بالسرّ هنا : النكاح ، وأطلق عليه السرّ لأنه؛ يخفى وراته ماهو سر ، وهو المباشرة .

أو المنى : لا تواعدوهن ماهو سرٌ في أنفسكم من الزواج بهن. والقصود : لهيهم عن التصريح بالزواج والوعديه ، أثناء العدة .

ثم استثنى من ذلك قوله:

(إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مُّعْرُوفًا) :

أى لا تواعدوهن نكاحا مواعدة ما ، إلا مواعدة بقول معروف، وهو ما كان بالتعريض . وهذا تصريح بما فهم من قوله تعالى : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيماً عَرَّضْتُمْ) إلخ ؟ لغرض التأكيد .

ثم قال ناهيا ــ عن الزواج في العدة يأبلغ وجه ــ :

(وَلا تَمْزِمُوا مُقْلَةَ النَّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) :

أى : لا تقصدوا قصدا جازِمًا - تنفيذ عقد النكاح ، حى ينتهى ماكتب وفرض من العدة .

وإذا كان قد بهي عن العزم على العقد قبل فواغ العلة ـ فالنهي عن العقد من باب أولى. ومن المعلوم أن عقد النكاح ـ فى زمن العدة ـ باطل. والمباشرة ـ حينشد ـ زق. والتغريق بينهما واجب.

ثم خدمت الآية بهذا التحلير:

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسكُمْ) :

من جميع الخواطر والعزائم ، ومنها الرغبة فبهن، أو الميل إلى سخالفة ما نهاكم الله عنه .

(فَاحْلَرُوهُ) :

أَى فاحذروا الله وخافوا أن تخالفوا أمره .

ثم لم يقنطهم من رحمته ومنفرته ، فقال :

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) :

لمن أذنب ثم تاب ورجع .

(حَليمٌ) :

لايمجل بعقويتكم إن أذنبتم، لعلكم تثوبون إلى رشدكم، فنتوبوا إلى ربكم . وتكوير (وَالْقُلُمُوا) للاعتناء بشأن العكم .

ولا يخفي ماقى خدام الآية من سعة رحمة الله تعالى .

(لَا جُنَاحَ طَيْكُمْ إِن طَلَقَتُمُ النِّسَآةَ مَالَمْ تَمَشُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُ فَرِضُواْ لَهُ فَرِيضًا أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُ فَرِيضًا أَفَ فَرِيضًا أَفَ فَرِيضًا أَلَمُ فَرِيضًا فَكَارُهُ مَنْكَا اللهُ فَرِ فَكَرُهُ مَنْكَا اللهُ فَرِ فَكَرُهُ مَنْكَا اللهُ فَرِ فَكَرُهُ مَنْكَا اللهُ فَرِينَ فَلَا اللهُ فَرِينَ فَلَا اللهُ فَرِينَ فَلَا اللهُ فَرِينَ فَلَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرِينَ فَاللهُ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرَاهُ مَنْكُمُ إِنْ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرَاهُ مَنْ اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَا اللهُ فَرِينَ فَا اللهُ فَا اللهُ فَا اللهُ فَاللهُ اللهُ فَا اللهُ فَا اللهُ فَا اللهُ فَاللهُ اللهُ فَا اللهُ فَاللّهُ فَا اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَا لَهُ اللّهُ لَا اللّهُ فَا اللّهُ فَا اللّهُ فَا لَهُ اللّهُ لَاللّهُ فَا اللّهُ فَا لَهُ اللّهُ لَا اللّهُ فَا لَهُ اللّهُ لَاللّهُ فَا اللّهُ فَا لَهُ اللّهُ لَا اللّهُ فَا اللّهُ لَا اللّهُ فَا لَهُ اللّهُ لَا اللّهُ لَا اللّهُ لَا اللّهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لَا اللّهُ فَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لَاللّهُ لَا لَهُ لَا لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَا لَا لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَا لَا لَهُ لَا لَا لَهُ لَا لَهُ لَا لَا لَا لَا لَ

القبرنات :

(تَمَسُّوهُنُّ) : اللَّس هنا ؛ الجماع .

(أَوْ تَغْرِضُوا) : أَو هذا ؛ بمغى الواو .

(فَرِيضَةً) : الفريضة ؛ المهر .

(وَمُتَّمُوهُنَّ): المتمة ؛ مقدار مالى ، تُعطاه المطلقة قبل الدخول، قُصِدَ به أَن يكون تعويضا لها عما فاتها من زوجها ، وجبَرًا لها ؛ لما نالها من انكسار النفس .

(الْمُوسِمِ): الغَنِيُّ .

(الْمُقْتِرِ) : الفقير .

(قَدَرُهُ) : طاقته وسعته .

التقسير

 ٢٣٦ - (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النَّمَاة مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ قريضة . . .) الآية .

(أَو) فى قوله: (أَوْ تَشْرِضُوا) بمفى الواو ، كما فى كقوله تعالى : و وَلاَ تُعلِعْ مِنْهُمْ آئِمًا أَوْ كَفُورًا ه^(۱) كَان وكفورا .

المعنى : لا إثم عليكم أيها الأزواج ، إن طلقتم الزوجات قبل اللمخول بهن وفرض مهر لهن .

أو: لا تبعة عليكم من المال ، إن طلقتموهن عند انتفاء مباشرتهن وتقدير مهر لهن .
 وقبل : (أو) هنا عملي : إلا .

والمعنى – على هذا – ولا تبعة عليكم من المال عندعدم الدخول بهن، إلا أن تفرضوا لهن فريضة من المهر .

ولكن (أَوْ) بمعنى الواو ، هو الأُنسب ؛ لقوله تعالى :

(وَمَتَّكُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِمِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ) :

فإن المنى : ومتموا المطلقات عندما يجتمع لهن أمران ، عدم الدخول بهن ، وانتفاءً تقدير مهر لهن : على الغنى مايقدر عليه ، وعلى الفقير مايقدر عليه .

وهذه المتعة، جبر لما أصابين من الحرمان ، وهي واجبة .. في هذه الحالة .. عند كثير من فقهاه السلف ، ومنهم على بن أي طالب ، وابن عمر ، وسعيد بن جبير ، والزهرى وغيرهم ، وقال بعضر الفقهاء : إنها مناوية .

فالآية ظاهرة في الرأى الأول .

أما غيرهن من المطلقات: قالتعة مندوية في حقهن عند الجمهور.

وقال مالك وأصحابه : المتعة مندوبة فى كل مطلقة... وإن دخل مها – إلا فى الني لم يدخل بها ، وقد فرض لها ــ فحسبها مافرض لها ، وهو نصف المهر المسمى . ولا متعة لها .

⁽١) الإنسان: ٢٤

وليس للمتمه حَدَّ معروف ل الكتاب أو السنة . ولكنها ــ على ما قال الله تعالى : (عَلَى الْسُوسِمْ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرْ قَدَرُهُ) :

وهي النوري شود و ي المدنو ال

وقال ابن عمر : أَدْنَى ما يجزئُ فى الثنعة . ثلاثون درهما .

(مُثَامًا بِالْمَعْرُوفِ حَمًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) :

أَى تمتيعا بما عرف حسنه شرعا ومروعة .

(حَمًّا):ثابتا على من ينبغى له أن يحسن إلى نفسه – وهو المكلف – بالمسارعة إلى الاستثال الاستثال

وإطلاق وصف (الْمُحْسِنِينَ) على المكلفين ؛ للترغيب والتحريض .

(وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُواْ ٱلَّذِي بِيدِهِ عَفْدَةُ النِّكَاجُ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقُوكُ ۖ وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضَّلُ بَيْنَكُمُّ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞).

التفسير

٧٣٧ - (وَإِن طَلَقْتُمُومُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّومُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ . . .) الآية .

هذه الآية مسوقة لبيان حكم من سُمَّى لها مهر .

والمشى : وإن طلقتموهن ، من قبل الدخول بهن ــ والحال أنكم قد فرضتم لهن صداقا معلوما ــ فواجب عليكم أن تؤدوا نصف مافرضتم لهن .

(إِلَّا أَن يَعْفُونَ) :

يعنى : أن هؤُلاه المطلقات ــقبل اللخول،وقد سمى لهن صداق ــ يجب لهن نصفه إلا في حال عفوهن ، وتجاوزهن عنه ، أو عن بعضه للزوج الذي أوقع الطلاق .

(أَوْ يَعْفُو الَّذِي بِبَدِهِ عُفْدَةُ النَّكَاحِ ِ) :

المراد بهذا: الزوج. فهو الذي بيده أمر عقد النكاح، إن شاء أبقاه، وإن شاء أبطله بالطلاق. ومعنى عفوه: أن يترك - تكرما - مايعود إليه من نصف المهر الذي ساقه كله إلى من طلقها ، أو يعطيه إليها إن لم يكن أعطاه من قبل.

وقيل: المراد بمن بيده عقدة النكاح: هو ولى المرَّة المطلقة الذى لا تتزوج إلا بإذنه ، فإن له العفو عن نصف مهر البكر إذا طلقت ، وإن لم تبلغ المحيض .

والتفسيرالأول هو المُأثور . وبه قال جمع من الصحابة . وهو الأنسب لقوله تعالى :

(وَأَن تَمْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) :

الخطاب هنا للرجال والنساء، على ما رآه ابن عباس. أى وأن تعفو المطلقات عن حقهن فى النصف ؛ لأن الأزواج لم يدخلوا بن ، وأن يعفو الأزواج بالزيادة على النصف ، جبرًا لخاطر المطلقات قبل الدخول - أقرب للتقوى . والبادئ بالفضل أكرم . فإن إسقاط حق الغير ، ليس من التقوى .

(وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنكُمْ) :

أى لا تجعلوا الفضل بينكم كالشيء المنسى ، بأن تتركوا التعامل به بينكم .

والفضل كما ـ قال مجاهد ـ إتمام الرجل الصداق كله ، أوترك المرَّاة النصف الذي لها .

(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) :

أى بجميع أعمالكم ومجازيكم عليها .

ثم عقب هذا ، بالأمر بالمحافظة على الصلاة ؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتوجب العمل بما تقدم من التكاليف . (حَنفِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوْةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ إِلَّهِ قَلَيْتِينَ ﴿

الفسرنات :

(الْوُسْطَى) : تَـأْتَيْتُ الأَوسط ، وهي الفضل . ووسط الشيء : خيره وأعدله .

(قَانِتِينَ): القنوت؛ الطاعة والعبادة . وأَصله الدوام على الشيء . ومن هنا سمى للداوم على الطاعة : قانتا .

التفسير

٢٣٨ .. (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا فِيهِ قَانِتِينَ) :

والمحافظة عليها ، تقتضى أداؤها في أوقائها : مستكملة الأركائها وشروطها : مشتملة على الخنوع والخفوع حين أدائها ؛ تعظيما أله – تعالى – اللدى يقف المصلى بين يديه ، حتى تأتى بالناية المنشودة التى شرعت من أجلها ، وهي أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ فإن العبد فيها يناجى وبده ، ويقف بين يديه خمس مرات في اليوم والليلة . فإذا كان خاشع القلب فيها – استحيى أن يقف بين يدى مولاه عاصيا .

وأمر أيضا : بالمحافظة على الصلاة الوسطى . ورجع بعض العلماء أنها صلاة العصر ، لما أخرجه مسلم ، عن على ــ كرم الله وجهه ــ أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال يوم الأحراب : د شغارنا عن الصلاة الوسطى : صلاة العصر ، ملأ الله بيوجم نارا » .

وخصت بالذكر؛ لأنها تقع وقت اشتغال بعض الناس ــ ولاسيما العرب ــ أو وقت الراحة والكسل، بالنسبة إلى طائفة أخرى من الناس .

وسميت الصلاة الوسطى؛ لتوسطها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل.

وقيل : المراد بالوسطى : المتوسطة كيفية : بين الإقراط والتفريط ، حتى لايمل الناس الصلاة إن أفرطت في الطول ، ولا تكون كنقر الغراب إن فرط في كيفيتها .

(وَهُومُوا فِلْهِ قَانِتِينَ) :

القيام هذا ، مراد منه : الاهتمام والتشمير عن ساعد الجد ، من قولهم : قام فلان بالأمر خير قيام ، إذا أداه أحسن أداو . أى : شمروا عن ساعد الجد فى الصلاة ، لأجل الله وحده ، بلارياء ولا سمعة ، خاضمين لله خاشمين .

(فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانَاً فَإِذَاۤ أَمِنتُمْ فَاذَكُرُواۤ اللّهَ كَمَا عَلّمَكُم مَّالَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۞) .

الفسريات :

(خِفْتُمُ) ؛ الخوف ؛ الفزع من أى مصدر يبعث عليه .

(فَرِجَالًا) : جمع راجل ؛ أَى فَصَلُّوا راجلين .

(أَوْ رُكَبُانًا): جمع راكب؛ أَى راكبين على الإبل وغيرها ، مما يركب، كالصفّحات والدبابات وغيرها .

التفسير

٢٣٩ . . .) الآية .

لا أمر الله .. في الآية السابقة .. بأداء الصلاة في حال القنوت ، وهو السكينة والخضوع : حيث يكون الأمن والطمأنينة ، أتبعه ببيان أدانها حال الخوف الطارنة ، للإيذان بأنها لا تصفط عن العيد ، بأى حال .

والمعنى : هذه الصلاة المبينة فى الآية ، رخصة لنا فى حال الخوف ، سوالا كان سببه عدوًا مقاتلا مسايفا ، أو كان سبعا : أو عدوًا يتبعه ليسرقه أو يقتله ، أو مبيلا يخاف الغرق منه ، أو نحو ذلك . ففى كل هذه الأحوال، يصلى الخاتف فردًا بلا جماعة ، سواءً أكان راجلا أى ماشيا على قلميه ، أم كان راكبا على أية وسيلة من وسائل الركوب ، كاللواب وما استحلثه المخترعون من وسائل الانتقال المختلفة : برًّا وبحرا وجوًّا ، وتكون قبلته حيثما توجه ، ويتقلب ويتصرف .. بحسب نظره .. فى نجاة نفسه . ولا يازمه ركوع ولا سجود إذا كان هذا يضره ، ويكفيه عنهما الإيماء بالرأس ، بطريقة لاتعرضه للتهلكة .

أما الصلاة التي يكون فيها إمام ، وينقسم فيها الناس ، فهي غير هذه ، وسيالي بيانها في سورة النساء ، في قوله تعالى : • وإذّا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمَتَ لَكُمُ الصَّلَاةَ (1) .

ولا ينقص عدد ركعات صلاة الخوف عن صلاة المسافر ، وهي ركعتان في الرباعية ، واثنتان في الصبح ، وثلاث في المغرب .

هكذا قال مالك ، والشافعي ، وجماعة من العلماء .

وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة وغيرهما : يصلى ركعةً إيماً .

روى مسلم ، عن بكير بن الأَخنس عن مجاهد ، عن أبن عباس قال : و فوض الله الصلاة على لسان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ق الحضر أُربعا ، وفى السفر ركعتين، وفى الخوف ركعة و.

وضعف هذا الرأى، بأن الاخنس انفرد بهذا الحديث ، وليس بحجة عند الانفراد . والصلاة أولى ما يحتاط فيه .

(فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَّالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ :

أى فَإِذَا زَالَ خُوفَكُمُ الذَى أَلْجَأْكُم إِلَى هَذَهِ الصلاة ، فاذكروا الله بالشكر ، لأَجل تعليمه إياكم مالم تكونوا تطبونه ، من صلاة الخوف التي وقع بها الإجزاء ، ولم تفتكم صلاة من الصلوات ؛ فإن صلاة الخوف المذكورة : هي التي لم يكونوا يعلمونها من قبل . وهذا كما يقول لك قاتل : اشكر معلمك كما علمك . أى لأَجل ماعلمك من العلم ، فالكاف للتعليل .

^{1.5 : 481 (1)}

وقيل إنها للتشبيه: والمعنى: فاذكروه تعالى بأن تشكروه شكرًا بماثل تعليمه إياكم مالم تكونوا تعلمونه من الشرائع ، وكيفية الصلاة : حالتي الأمن والخوف .

والمعنى الأول أنسب .

ويجوز أن يكون المعنى : فإذا زال خوفكم ، فصلّوا الله صلاة الأَمن ، كما علمكم من شأتها مالم تكونوا تعلمون على لسان نبيه ، حيث عرفتم كيفيتها منه ، ولم يكن لكم بها علم قبل ذلك .

والكلام جار مجرى الامتنان من الله عليهم بذلك ، فقد كانوا من قبل يعبدون الأوثان ولا يعرفون هذه العبادة .

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَلَرُونَ أَزْوَاجُا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِم مَّنَدُّعًا إِلَى الْخَوْلِ غَيْرً إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَافَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِن مَّمُرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ إِلَى ﴾ .

التفسير

٢٤٠ - (وَاللَّذِينَ يُتَوَقَّونَ مِنكُمْ وَيَلَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِلْأَزْوَاجِهِم مُنَاعًا إِلَى الْحَوْلِ
 غَيْرَ إِخْوَاجٍ . . .) الآية .

الربط:

بعد أن ذَكَّر الله المؤمنين بوجوب المحافظة على الصلاة : في حالتي الأمن والحوف ، عاد إلى ذكر أحكام أخرى لن توفي عنهن أزواجهن من النساء

وتوسيط الصلاة – بين تلك الأحكام المتجانسة .. لأمّها أهم ومبيلة في تقوى الله : التي تقتضي تنفيذ هذه الأحكام .

المغيى : والذين يتوقَّمُون قرب الوفاة منكم أيها المسلمون، ويتركون بعدهم زوجات : كتب الله عليكم أيها الأزواج ــقبل الاحتضار ــوصية لهن : بأن بُعثمن بعدكم ـبالنفقة. والسكنى ... إلى نهاية عام كامل بَعْدَ الوفاة ، غير مخرجات من مساكنهن طيلة الحول ، أى لايخرجهن منه أولياة الميت .

وسيأتى مزيد بيان لذلك ، بعد الفراغ من شرح الآبة .

(فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مُّمْرُوفٍ ﴾ :

يعنى : فإن خرجن باختيارهن من مسكن عدة الوفاة _ قبل تمام الحول _ فلا إشم على أحد من وفى أو حاكم أو غيره - فيما فعلن فى أنفسهن من معروف لا ينكره الشرع، كالتعليب والمتزين للخطّاب وترك الحداد، أو لا إثم عليكم فى ترك منعهن عن الخروج، أو قطم النققة عنهن .

وقد دلت الآية : على أنهن كن مخيرات بين ملازمة المسكن حولا وأحذ النفقة فيه ، وبين الخروج وتركها .

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ) :

أى والله قوى غالب على أمره ، ينتقم ممن خالف شبثا من هذه الوصايا والأحكام .

(حَكِيمٌ)

يرعى مصالح عباده .

وقد دلت هذه الآية : على أن المتوفّى عنها زوجها : تتربص فى بيت الزوجية عاما كاملا، ينفق عليها فيها ، من مال المتوفى .

وظاهر ذلك : أنها منافية لما سبق تفسيره من قوله تحالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفُّونَ مِنكُم وَيَكُوونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبُّهُمْ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبُكُمْ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ .

وقد ذهب جماعة فى التوفيق بينهما : إلى أن هذه منسوخة بالتى قبلها . فهى .. وإن تأخرت تلاوة .. فهى متقدمة فى النزول على الآية السابقة .

وقالوا فى كلامهم: إن المتوفى عنها زوجها: كانت تجلس فى بيته حولا، وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل ، فإن خرجت لم يكن على الورثة جناح فى قطع النفقة عنها ، ثم نسخ الحول بالأربعة الأشهر والعشر ، ونسخت النفقة بالربع والشمن في سورة النساء

قاله ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما .

وذهب آخرون إلى عدم النسخ ، وسلكوا طريقًا آخر في التوفيق بينهما .

قال الطبرى عن مجاهد : إن هذه الآية محكمة لا نسخ فيها . والهدة كانت قد شبقت أربعة أشهر وعشرا . ثم جعل الله لهن وصية منه : سكني سبعة أشهر وعشرين ليلة - هي تمام الحول - فإن شاءت المرأة سكنت في وصيتها ، وإن شاءت عرجت . وتلك الوصية - على سبيل الإحسان والندب - قائمة لم تنسخ .

قال القرطبي : ماذكره الطبرى عن مجاهد ، صحيح ثابت

خَرَّ جِ البخاري عن مجاهد: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ۚ وَيَلَرُّونَ أَزْوَاجًا ﴾ قال :

كانت هذه العدة ، تُنتَد عند أهل زوجها واجبا `` فأنزل الله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَلَدُونَ أَزْوَاجًا) إلى قوله : (مِن مَّمْرُونُو) قال : جمل الله لها تمام السنة سبحة أشهر وعشرين ليلة وصية : إن شاعت سكنت في وصيتها وإن شاعت خرجت . وهوقول الله تعالى : (غَيْرَ إِخْرًاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ) .

(وَلِلْمُطَلَّقَتِ مَتَكُمُ إِالْمَعُرُونِ ﴿ حَقًا عَلَى الْمُتَقِينَ ﴿ كَذَالِكَ لَا اللَّهُ لَكُمْ ءَايَنتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿) .

القبرنات :

. (مَتَاعٌ) : المتاع ؛ ماممنحه الأزواج للمطلقات ، تطييبًا لنفوسهن .

⁽١) أي أمرا واجها .

التفسير

٢٤١ .. (وَلِلْمُطْلَقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ . . .) الآية .

أى لجميم المطلقات _ سواء كن مدخولا بهن أم لا _ مناع .

وينقسم هذا المتاع إلى قسمين : واجب ، ويكون للمطلقة قبل الدخول ، ولم يكن صعى لها مهر . وقد مرَّ بيانه في الآية (٣٣٧) من سورة البقرة .

ومندوب : في غيرها .

وأوجبه .. في الجميع .. سعيد بن جبير ، وأبو العالية والزهرى .

وقيل : المراد بالمتاع : نفقة العدة للمعتدات .

ومعنى كرن هذا المتناع (بِالْمَمُّرُوفِ): أَن يكون حسب العرف بين الناس، وبحيث يكون على نحو ما قال الله : « وَمَتَّعُومُنَّ عَلَى الْمُوسِمِ قَلَرُهُ وَعَلَى الْمُفْتِرِ فَدَرُهُ ، (١١)

ثم أكدت الآية الكرعة هذه التعة فقالت :

(حَمًّا عَلَى الْمُتَّفِينَ) :

أى : مناعا قد حقمه الله وأثبته على المتفين لربهم ، المسارعين إلى امتثال أمره .. تعالى .. .

والتعبير بقوله : (حَمَّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) مع أنه حق على الجميع ، قصد منه : الترغيب في البلك والإحسان ، وترقيق القلوب : بالإيذان بأنه من الطاعات التي يتحل بها المتقون ، ويحفظون با أنفسهم من عقاب الله .

٢٤٧ - (كَذَٰ لِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَطَّكُمْ تَعْقِلُونَ) :

مشل هذا البيان الواضح ، لأحكام النكاح ، والطلاق ، والعدة بأنواعها ، والمتمة ، وغيرذلك ... يبين الله لكم آياته .. كلها .. في شريعته ، لكي تدوكوا أسرارها ، وتمقلوا أغراضها ، فتنفذوها عن يقين واقتناع .

⁽١) البقرة : ٢٣٦

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيْرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفَ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُونُواْ ثُمَّ أَحْيَنَهُمُّ إِنَّ اللهَ لَلُوْ فَضْلٍ حَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿) .

التفسير

٢٤٣ _ ﴿ ٱلنَّمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَكُمْمُ ٱلُوفُ حَلَىزَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُونُوا ثُمَّ أَخْيَاكُمْ . . .) الآية .

(أَلَمْ تَرَ) : كلمة تُذكَر لمن يعلم مابعدها ؛ لتمجيبه وتذكيره ، وتقرير موضوع التمجيب بأهل الكتاب ، وقراء التاريخ .

وتُذكّر - أَيضًا - لن لا يكون له علم بذلك؛ لتعريفه وتعجيبه، وللتقرير كذلك.

وقد اشتهرت فی خطاب من لایطم ، حتی أُجریت فیه مجری الأمثال ، بأن یشبه حال من لم پر الشیء بحال من رآه ، فی : أنه لاینبنی أن یخفی علیه ، وأنه ینبنی أن یتعجب منه . ثم أُجری الكلام معه كما یجری مع من رأی ، قصدًا إلى المبالغة فی شهرته .

والخطاب فيه هنا ، لمن يعلم ولمن لايعلم ويتألى منه العلم ؛ للأَغراض السابقة . والوَّية فيه علمية ، وتعدت بإلى فى قوله : (إِنِّى اللَّيِينَ خَرَجُوا) لتضمينها معنى الوصول والانتهاء .

والمعنى : ألم ينته علمك إلى اللبين خوجوا من ديارهم وهم ألوف ــ وكانوا فوق عشرة الاف ــ لأن المشرة فما دونها جمع قلة ، فيقال فيها : الاف ، ولا يقال ألوف. إلا لجمع الكثرة ، الذي يزيد على العشرة . . وللما ، روى عن ابن عباس : أنهم كانوا أربعين ألفا ، كما في بعض الروايات عنه . وكان خروجهم جله الكثرة ، خوقا من الموت ، وحفرا منه ، مع أن الحفر لايمنع من القمو ، فإذا جاء أجلهم معا _ أو متفرقين _ لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون .

ويرى بعض الفسرين : أن هذه الآية الكريمة : تنبئنا عن قوم من بنى إسرائيل ، مُعوا إلى الجهاد فى سبيل الله ، فخرجوا من ديارهم فرارا منه ، حتى لا مجوتوا - مع أنهم كافوا ألوفا ، فلا ينبغى لهم أن يفروا - لأن من عادتهم أن يجبنوا عن القتال ، كما حدث عندما أمرهم موسى - عليه السلام - بقتال الجبارين ، فقالوا له : ه اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِكَ إِنَّا مَا هُمَا قَاعِدُونَ هِ⁽¹⁾ . فأماتهم الله جميعا ، عقابا لهم على فرارهم ، ثم أحياهم ليبين لهم قدرة الله عليهم ، وأنه لا ينفعهم الفرار من القتال ، إن كان الموت فيه مكتوبا طبهم ، فقد عوت المرة بدون قتال كما حدث فهم .

ويقول صاحب هذا الرأى : إنه - تعالى - بعد أن أحياهم ، أمرهم بالجهاد بقوله لهم : و وَقَائِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ه (" لعلهم يحتبرون بذلك ، فيخلصوا في الجهاد .

وقال ابن عطية منكرا لهلا وأشاله من القصص : وهلا القصص كله لبن الأسانيد . وإنما اللازم من الآية أن الله تمال - أخبر نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - إخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف، عن قوم من البشر ، خرجوا من ديارهم فرارا من المرت ، فأماتهم الله ثم أحياهم ليروا - هم وكل من خَلَفَ من بعدهم - أن الإمانة إنما هي بيد الله - تمالى - لا بيد غيره ، فلا مني لخوف خالف ولا لاغترار مفتر . وقد جعل الله هذا الآية مقدمة بين يدى أمره للمؤمنين من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بالجهاد . هلا قول الطبرى . وهو ظاهر مني الآية .

YE : FAUL (1)

ويرى الشيخ محمد عبده : أن هذا مَثلُ لا قصة واقعية ، وأن الموت هنا - مجازى . وخلاصة رأيه . أن هؤُلاه القوم فروا أمام أعدائهم دون قتال ، وتركوا أوطائهم غنيمة للأعداء ، فعاشوا أذلاء مشردين ، في حياة أشبه بالموت . فلما عرفوا جنايتهم على أنفسهم – عادوا إلى جهاد أعدائهم ، وتحرير أوطائهم، فاستردُّوا كرامتهم ، وعاشوا حياة

ويرى آخرون: أنها تتحدث عن قوم نزل ببلادهم وباء الطاعون، فعمها بأسباب الموت، فعلما بأسباب الموت، فغائداً أن فرارهم من هذا الوباء ، سيكفل لهم النجاة من الموت ، فأماتهم الله عنائل لهم عند الله كتاب وقدر . وقد فاتهم أنهم سينقلون معهم وباء الطاعون ، إلى بلاد خالية منه . وتلك جرعة أخرى . وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : • إن هذا الشمم ، عُدَّب به الأُم قبلكم ، فإذا سمحتم به في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بارش وأنتم فيها – فلا تخرجوا فرارا منه . . . ه إلخ . أخرجه الإمام أحمد عن عمر .

وهذا الإرشاد منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ مطابق لأَحدث النظم الصحية ، وهو مايعرف اليوم ، بالحجر الصحى .

والتعبير بقوله – تعالى – : (فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَاهُمٌ) : إما على ظاهره ، وإما مجاز عن تعلق إرادة الله تعالى بموتهم دفعة واحدة .

وقيل: هو تمثيل لإمانتهم ميتة نفس,واحدة ، في أسرع زمان ، بأمر مطاع لمأمرو مطيع .
والله يعلم مقدار المدة التي ظلوا فيها أمواتا . ولكنها لابد متراخية فترة عن إمانتهم ،
كما يوحى به العطف بشم في قوله تعالى : (دُمَّ أَخْيَاهُمْ) : أَى ثم أَعادهم الله إلى العياة مرة أخرى ، بعد فترة موت ، ليستوفوا آجالهم ، وليومنوا بقضاء الله وقدره ، وليكونوا عبرة يعتبرون بها هم وغيرهم ، وليظهر فضل الله الذي عبر عنه قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهُ لَلُو فَضْلِ عَلَى النَّاسِ) :

كرعة جديرة بالمجاهدين الأبطال .

عا أنهم به عليهم من نعمة الخلق، ونعمة البقاء والرزق، وبما يرجم من الآيات الباهرة، والحجج القاطعة، التي تنفعهم في دينهم . (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ :

فَهْلَ الله عليهم ، بالاعتراف بهذه النعم ، والعمل بموجبها .

هذا وقد تناول الإصحاح السابع والثلاثون، من سفر حزقيا، هذه القصة . قارجع إليه إن شئت . وكذلك راجع هذا التفسير للآية (٢٥٩) من البقرة .

وقى هذه القصة عبرة ودليل على أنه لايغنى حلىر من قدر ، وأنه لا ملجاً من الله إلا إليه ، فإن هؤلاء فروا من الموت طلبا للحياة ، فعوملوا بنقيض قصدهم ، وجاءهم الموت من حيث لا يشعرون ، وظهر لهم أنهم قد فروا من قضاء الله إلى قضاء الله .

(وَقَنتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴿ اللهِ مَّن ذَا اللهِ عَلَيمٌ ﴿ اللهِ عَرْضُ اللهُ مُرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لِهُ وَأَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ عَنْمِهُ لَهُ وَيَسْمُ اللهِ مُرْجَعُونَ ﴿) .

القبردات :

(سَبِيلِ اللهِ): السبيل ؛ الطريق ، يذكّر ويؤنّث . وإذا أُطلق ، انصرف إلى الجهاد. (يُقْرِضُ) : الإقراض ؛ إعطاء شخص مالًا لفيره؛ ليرده إليه بعد حين .

(يُقْبِضُ): يُضيَّق على من يشاء في الرزق .

(وَيَبْسُطُ): يُوشِّع على من يشاءً .

التفسير

٢٤٤ - (وَهَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهُ سَبِيعٌ عَلِيمٌ) :

هلمه الجملة معطوفة على جملة (أَلَمْ تَزَ) من جهة المعنى ؛ فإن (أَلَمْ تَزَ) بمعنى : انظروا وتفكروا . وإنك لترى الأَمر بالجهاد منثورا فى هذه السورة ، ضمن آيات الأَحكام ، مذكرا به من آن لآخر ؛ لأَنه من أشق التكاليف ، وعليه يدور بقاءً هذا الدين ، الذى يتربص به أعداوً . فلو لم يجاهدوهم لهلكوا ، وضاح دينهم .

وقد بدأ الحديث عن الجهاد – فى هذه السورة ـ بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُمُقَلُ فِي سَسِيلِ اللهِ أَمُواتُ بَلُ أَحْيَا ءُ (١٠ عنى وصل إلى هذا التكليف الكريم ، ثم ينتهى فى آخر السورة : بالحث على الإنفاق فى سبيله .

والخطاب هنا، لأُمة محمد .. صلى الله عليه وسلم .. .

والجهاد في سبيل الله: هو ما كان الإعلام كلمة الله ، فلا يكون الجهاد في سبيل الله ، إلا إذا كان هم المقاتل ومقصده _ إحياء دينه ونشره والدفاع عنه . فإن لم تكن تلك نيته ، فإنما يقاتل الأمر دنيوى . ومن كان كللك ، لا يحصل على الثواب العظيم : الذي أعده الله لن يجاهدون في سبيله .

وفى مضمون الآية الكريمة: تحدير لكل مسلم من أن يجبن عن الفتال ِ حلم الموت، بقوله : (وَاظْلُمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيمٌ عَلِيمٌ) ؛

فإن الموت قدر الآبد منه . قال تعالى : • قُلُ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فَلِمَّهُ مُلَآتِيكُمْ (١٦) ع إذ الموت أجل يبلغه المرة فيموت : سواة أكان على فراشه ، أم كان في حوب ضروس .

كما أن فيها رمزا إلى وعدهم بحسن الجزاء . وكأنه يقول : واعلموا أنه سميع عليم ، فلا يخفى عليه مجاهد أو قاعد . فمن قعد عنه ، عوقب أشد العقاب . ومن جاهد، جوزى أعظم الجزاء .

ثم حرّضهم على الإنفاق في سبيل الله بأموالهم ، بعد أن أمرهم ببذل أنفسهم ، فقال : ٧٤٥ _ (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْمَافًا كَثِيرةً) الآية .

⁽١) البقرة : ١٥٦

⁽٢) الجامة: ٨

مِنَا الأسلوب الاستفهامي البليغ ، يدفعنا الله ... تعالى ... دفعا إلى المشاركة بالمال ، في الإعداد للقتال : إعدادا نرهب به عدو الله وعدو دينه ؛ لتكون كلمة الله دائما هي العليا .

وقد صورت الآية إعطاء الباذل ماله فى سبيل الله : يبتغى ثوابه ، بصورة تقديم قرض إلى مقترض ، للإيذان بـأن ثوابه محقق ، ولازم لزوم أداء الدين . .

وفى الآية :لطف من الله بعباده ، وتوثيق لئوابه ، وأنه لازم الأداء : تفضّلاً منه وتحقيقًا لوحده الذى لا يتخلف ، حيث جعل نعمته التى أنحم بها على عباده ... إذا أنفقوها فى سبيل الله ـ كأنها قرض يقدمونه له ... سبحانه .. مباشرة ، مع أنه غنى عن عباده ، فهو الذى يقول : ووَالله النّفي وَأَنْدُمُ الْفُقْرَاءُ " .

والمراد بكون القرض حسنا : أن يكون الفرض منه وجه الله ، لا الرياء والسمعة ، وأن يكون حلالا طيبا . ومع أن القرض مع الناس يودي بمثله ، فإنه ـ تعالى ـ بيّن لعباده أن القرض معم يودي مضاعفا ؛ إذ قال :

(فَيُضَاعِتُهُ لَهُ أَضْمَافًا كَتَيْرِةً): عوضا عن هذا القرض الذي قدموه خالصا لله . وتلك المضاعفة ، تكون في وقت تشتد فيه حاجتهم إلى هذا الربح الوفير ، وهو يوم القيامة . وقد بين الله هذه المضاعفة في أواخر السورة إذ يقول : * مَثَلُ الَّذِينَ يُسْفِقُونَ أَمُوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمْثَلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبَعَ سَنَالِلَ فِي كُلُّ سُنبُلَةٍ مَّاتُةٌ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِثُ لِمِنْ يَشْلَهُ وَاللهُ وَاسْمَ عَلَيْمُ اللهِ عَلَيْهُ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ وَلِيلًا فِي كُلُّ سُنبُلَةٍ مَّاتُهُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِثُ لِمِنْ يَضَاعُ وَلِيلًا عَلَيْمُ اللّهُ وَلِيلًا عَلَيْمُ اللّهَ وَاللّهُ وَلِيلًا عَلَيْمُ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهِ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ

(وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) :

أى يضيِّق الرزق على بعض ، ويوسعه على بعض ، أو يضيقه ثارة ، ويوسعه أخرى ، حسبما تقتضيه الحكمة .

وإذا علمتم أنه ب تعالى – واهب الأرزاق ، يوسعها ويضيقها كما يشاء ، وأن ما عندكم هو من بسطه وعطائه ، فأنفقوا مما وسع عليكم ، ولا تبخلوا بما هو من فضله ، فإنه مجازيكم على إنفاقكم جزاء مضاعفا ، حسبما وعدكم .

TA : 44 (1)

⁽٧) البقرة : ١٦١

(أَلَّمْ تَرَ إِلَى الْمَلَامِنَ بَنِيَ إِسْرَاءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُومَىٰ إِذْ قَالُواْ لِنَهِي لَهُمُ ابَعَثْ لَنَا مَلِكًا ثَقَنتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَبْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَنتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَنتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيدِنَا وَأَبْنَا بِنَا فَلَمَّا كُثِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا فَلِيلًا مِنْهُمُ الْعَلْمَا لِهَا لَقَلْلِمِينَ ﴿) .

القبردات :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَةِ): الملأَّ من القوم ؛ وجوههم وأشرافهم ، وهو اسم للجماعة لاواحد له من لفظه . سموا بذلك ؛ لأنهم مملأُون القلوب مهاية ، والديون حسنا وبهاء ، والمقصود يه هنا ــ وفى كل القرآن ــ الرجال : كالقوم ، والرهط ، والنَّف .

والرؤية ـ هناـ علمية كسابقتها: ضمنت منى الانتهاء . فعليت بحرف الجر (إِلَى) .
والاستفهام : للتعجيب والتشويق لهذه القصة . ومعنى (مَلَّ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِيَالُ ٱلاَّ تُقَاتِلُوا) : فقد قاربتم عدم القتال إن كتب عليكم كما يتوقع منكم ،
فمسى للتوقم . والمراد : تقرير أن المتوقع منهم كائن . ولابد من وقوعه .

التفسم

٧٤٦ ... (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأَ مِن بَنِي إِسْرَاتِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيُّ لَهُمُ ابْمَتْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ . . .) الآية .

كان العبرانيون جيرانا لبني إسرائيل . وكان يحكمهم ملك يُقَالُ له : جالوت - ولما فسق بنو إسرائيل ، وقتلوا أنبياتهم - سلطهم الله عليهم ، فهزموهم ، وظهروا عليهم ، وأخلوا كثيرا من بلادهم ، وأسروا من أشرافهم عداا كبيرا ، وضربوا عليهم الجزية ، وأخلوا توراثهم ، واستباحوا نساعهم . فلما رأوا ماحل جم - عادوا إلى رشدهم ، وقالوا لنبيهم يوشم - عليه السلام-:أقم علينا ملكا يضم شتاتنا ، وتنصاع له جماعتنا ، وتقائل تحت لوائه في سبيل الله وشريعته ، فقد كفانا مالقيناه من ذل الهزيمة والاستعباد. وكان الملك فيهم هو الملك يسير بالجموع .

أما النبي ، فهو الذى يقيم أمره ويرشده ويشير عليه ، فيطيع الملك أمره كسائر بني إسرائيل .

والخطاب في قوله (ٱلمُّم تَرَ) : لكل من تشأَّتي منه الرؤية والعلم (١١) .

(قَالَ هَلْ حَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا) :

هل: هنا-للتحقيق فهي بمنى وقده، ووعسى وتفيد التوقع، وأدخلت وهل، عليها لتحقيق ما يتوقعه النبي ، و (ألاً تُقَاتِلُوا) خبر وعسى ..

(قَالُوا وَمَا لَنَنَا أَلَّا نُفَاتِلَ فِي سَهِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن بِيَارِنَا وأَبْنَآتِينَا) :

والمعنى : وأى شيء محتمدا من أن نقاتل فى سبيل الله ، ويصرفنا عنه مع وجود مقتضيه ، فقد أخرجنا الأعداء من ديارنا ، وطغى علينا قوم جالوت ، فاستباحوا أبناتنا ونساعنا ، وهذه حالٌ تقتضى الجهاد ، الذى تركناه طلبا للمافية والسلامة ففقدناهما ، فاسأل ربك ماطلبناه منك : من تنصيب ملك علينا : نقاتل معه ؛ لنستردَّ أرضَنا ، وكرامتنا ، ومقدماتينا

(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِنَالُ ثَوَلُّوا إِلَّا قَلِيلًا مُّنَّهُمْ) :

أى : فلما فُرض عليهم قتال أعدائهم - بعد ماانحار لهم نبيهم ملكا كطلبهم وبرزوا لقتاله ، وشاهدوا جده فى قتالهم - وكوَّا فراراً وبُجْبَنًا ، إلا نفرا قليلا منهم : آفروا أعراهم على دنياهم ؛ طمعا فيما عند الله ؛ وإيمانا بأنّ آجالهم قد قدرت عليهم ،

 ⁽١) واجع ما كتبناه عن مثلها في قوله تعالى : و أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّهِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَادِهِمْ
 وَهُمْ أَلُوثٌ ع البقرة : ٣٤٣

⁽٢) المائدة: ١٤

فلا ينجيهم من الموت فرازٌ ، إن كان مكتوبا عليهم ، فصيروا مع ملكهم طالوت على قتال عدوهم جالوت .

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) :

أى جميعا ، ومنهم اللين تركوا القتال من بني إسرائيل ، ونافت أعمالُهم أقوالُهم، فهو مجازيم على ظلمهم ، يتوليهم وسائر معاصيهم .

وهذه الآية إجمال ، يأتى تفصيله في الآيات التالية :

(وَقَالَ لَهُمْ نَيِبُهُمْ إِنَّ اللهَّ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُواْ أَنِّ يَكُونُ لَهُ الْمَلْكُ مَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَنُ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَمَةً مِنَ اللّهَ يَكُمْ وَزَادُو بُسَطَةً فِي الْمِلْمِ مِنْ اللّهُ اللّهِ مَنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَمَةً وَاللّهُ مَنْ وَقَالَ لَهُمْ وَيَعْمِلُهُ المُلْلَكِكُةً مِنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الل

القسردات :

(أَنِي يَكُونُ) : كيف يكون ؟

(سَعَةً مِنَ الْمَال ِ) : بسطة فيه .

(التَّابُوتُ) : صناوق فيه ألواح التوراة ، ويعض مقاساتهم .

(فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَّبُكُمُ): في التابوت طمأنينة لقلوبكم من ربكم ؛ لما فيه من علوم وشوائع .

التفسير

٧٤٧ .. ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ فَدْ بَمَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ :

أى قال لهم نبيهم : إن الله قد اختار لكم طالوت ملكا يدبر أمركم ، وتصدون عن رأيه فى القتال ، واسمه فى العهد القليم : شاول^(١) ، ولم يكن طالوت من سيط الملك _ بهوذا ــ ولا من سيط (لاوى) اللى فيه الأنبياء ، ولا من الأغنياء ، ولهذا ضاقت نفوسهم به ، فاعترضوا على تنصيبه ملكا عليهم .

(فَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَمَةً مِنَ الْمَالِي) :

أى قالوا لنبيهم .. مستنكرين .. كيف يتملك طينا ذلك الرجل وهو لا يستحق الملك في نظرنا ؟ لوجود من هو أحق بالملك منه بيننا ، فنحن الملاً من بني إسرائيل (أحقُ بالمُملكِ منه): نَسَبًا وَحسبًا ! ولأنه لم يؤت سعة من المال ، وتلحقه بالأشراف . والملك عندهم ، يتوقف على المحسب واليسار . ونسوا أنهم سألوا الله أن يبعث لهم ملكا يلى أمرهم ، ويتودهم في حربهم ، وأن الله هو اللى اختاره لهم - لا النبي - ولا مَلك أصلح لهم من اختاره الله أن أد نفييره .

(قَالَ إِنَّ اللَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) :

واختاره ملكا لكم ، والله أعلم به متكم ، وذكر لهممزاياه التي ترشحه للملك فقال :

(وَزَادَهُ بَسْعَلَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) :

أى سعة فيهما . وهاتان الميزتان أصلح للملك من سواهما .

﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ :

أى والله وحده صاحب الخيرة: لا يُسأَل عَما يَمَعل: يؤْتَى ملكه من يشاءً من خلقه ، بمقتضى حكمته ، وينزعه عمن يشاءً من خلقه . (وَاللهُ وَاسِمٌ): فضله ، يختص بوحمته وحكمته من يشاءً . (عَلِيمٌ): من يستحق الملك والقيادة ممن لا يستحقه .

 ⁽١) راجع تمة في المهد القديم : سقو صحوائيل الأول من الإصحاح الثامن ، والحادى عشر .

ثم بين لهم نبيهم علامة تدل على صحة ملك طالوت ، وقد طلبوها منه ، وذلك ماحكاه الله بقوله :

٣٤٨ - (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيَّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةً مِّن رَبُّكُمْ وَيَقِيَّةُ مَنَّ تَرُكَ آلُ مُومَى وَآلُ مَارُونَ تَحْمُلُهُ الْمَلَاكِكَةُ . . .) الآية .

المنى : قال لهم نبيهم إن علامة صحة ملك طالوت لكم وأنه من عند الله : أن يأتيكم التابوت ويرجع إليكم على يديه : في إتيانه طمأنينةٌ لكم ، أو فيه ما تسكنون وتطمئنون إليه ، وهو التوراة وغيرها من مقدساتكم.

وقيل : إنهم كانوا يستفتحون به على مدوهم، ويقدمونه، في القتال .. أمام جيوشهم .. فينصرهم الله بسببه. وكانوا يجدون فيه .. كلما نظروا إليه .. سكينة الفلوبهم ، يطمئنون إليها ، ويتبركون بها .

والآية الكرمة ، تصرح : بأن الملائكة تأتيهم بالتابُوت حاملة له . والظاهر أن ذلك على الحقيقة ؛ ليروه ويطمئنوا .

ووی ابن جریج عن ابن عباس : دقال جاءت الملائكة تحمل التابوت بین السماء والأرض ، حی وضعته بین یدی طالوت ، والناس ینظرون ، .

وقيل : إن الحمل مجاز عن الإيصال ، كما تقول : حمل فلان متاعه إلى مكة ، أى أوصله إليها .

فلما رأوا ذلك آمنوا بصدق نبيهم ، ورضوا بطالوت ملكا عليهم . وكان ختم الآية .

(إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآبَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) :

أى علامة لكم على صدق ، فيما أمرتكم به من طاعة طالوت .

(إِنْ كُنتُم مُوْمِنِينَ) : أي : مصلقين .

وفى التعبير بلفظ (إنْ) إشارة إلى أصالة الشك فى نفوسهم ، وأسم سيتعردون على أمر الله ، ولن يطول سم القرار على الخضوع له ، كما سيأتى ، فهى تفيد الشك فى تحقيق مفهوم خبرها .

الفسردات :

(فَصَلَ): خرج.

(مُبْتَلِيكُم بِنَفَرٍ): أَى مختبركم به ؛ ليظهر الصادق منكم والكاذب فى طاعة الملك، والجهاد فى سبيل الله ، لإخراج العلو من البلاد التى أخذها منكم .

(يَطْعَنْهُ) : يلق طعمه .

(اغْتَرَفَ غُرْفَةً): الغرفة ؛ ما يغرف.

(لَا طَاقَةَ لَنَا الْبَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) : لا قوة لنا على حربه ، فضلا عن الانتصار عليه .

(يَظُنُّونَ): هي هنا بمني ؛ يوقنون بالبعث؛ على حدَّ قوله نمالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقِ حِسَابِيَهُ () ﴾ .

(مُلَاقُو اللهِ) : أَى مبعوثون إليه .

(بَرَزُوا) : ظهروا واصطفوا للقتال، على بارز من الأرض .

التفسير

٢٤٩ - (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهُ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَمْسَى
 مِنْى وَمَن لَمْ يَلْمُمْهُ فَإِنَّهُ مِنْي إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيلِيوِ . .) الآية .

فلما خرج طالوت بالجنود من بيت القدس ، لقتال أعدائهم ، قال لهم : إن الله مختبركم ومستحن مقدار صدقكم .. في لقاء عدوكم ، واستجابتكم الأوامر قائدكم .. (ينهَو) يعترض طريقكم : أطلب منكم عدم الشرب منه ؛ ليظهر منكم المطبع والعاصى ؛ فإن طاعة القائد شرط أساسى للنصر ، فمن غلبته شهوته وشرب من مائه ، فليس من أتباعى : الأنه إذا عصائى البوم ، فهر أحرى أن يعمى أمرى وقت اشتداد الحرب ، فضحات الهزيمة . ومن لم يذق ماعه استجابة لهذا الأمر وصير ، فإنه ينى ، ضائع معى فى لقاء المدوّ ، والرغبة فى الانتصار عليه .

ثم استثنى من القسم الأول وهو : من شوِب من النهر فقال: ﴿ إِلَّا مَنِ اغْتَرُفَ غُرْقَةً بِكِذِهِ ﴾ يبلُّ با ريقه فى هذه الفلاة وشدة العطش، فلا بأُس عليه فى ذلك.

قالوا ـ فى حكمة الأَمر بالاكتفاء بالفرقة ـ إنه اختبار لطاعتهم كما تقدّم ، كما أَن فيه صلامة الجندى، فإن الإسراف في الشرب ـ عند مناجزة العلو ـ يضر ضررا بليغا .

(فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مُّنَّهُمْ) :

أى : فلم بمتثلوا ما أمرهم به طالوت، بل شربوا منه أكثر مما أمرهم به، إلا قليلا منهم ، نفذوا أمره فاغترف كل واحد منهم لنفسه غرفة واحدة .

Y . : # [L] (1)

(فَلَمَّا جَاوَزَهُ مُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْبَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) :

المغنى: فلما جاوز طالوت النهو ، وتركه هو واللين آمنوا معه ، وهم القليل الذى نفد أمره ، وصدق إيمانه بربه ، ونظروا إلى كثرة عدوهم وهم قليل ، فأوجس بعضهم خيفة ، وقالوا : (لا طَاقَةَ لَنَا الْيُومُ) بقتال (جَالُوتَ وَجُنُّودِهِ) أَى : لا قدرة لنا على محاربتهم ، فضلا عن غلبتهم . وهؤلاه- وإن كانوا من الوُّمنين معه ، المنفلين لأمره في اغتراف الغرفة - إلا أنهم قالوه إظهارا لواقع الحال ، ورجاء المعونة من الله ، وليس نكوصا وامتناعا عن القتال .

(قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاهُو اللَّهِ ﴾ :

أَى قال أَفضلهم وخلصاؤهم ، اللَّين يتيقنون أنهم ملاقو جزاء الله يوم القيامة .

(كُم مَّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِنْنِ اللهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ :

أى كم من جماعة – قليلة العدد والعُدد – استمصمت بهايسانها بالله ، وتوكلت عليه – غلبت فشة كثيرة العدد والعُدد ، يهارادة الله ونصره ؟ ! فإن النصر من عند الله ، لا بكثرة الجنود . فلا ينبقى لنا أن نستقل أنفسنا فنجين عن لقاه عدونا .

ثم ختمت الآية بهذه البشرى : ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ : أَى ؛ معهم بالنصر والتَّأْبِيد .

وهمله العجملة إما : من جهته ــ تعالى ــ تقريرا لكلامهم ، ودعاء للسامعين إلى مثل حالهم ، وإما : من كلام هوَّلاء اللمين يظنون أنهم ملاقو الله ، قالوها تشجيعا وترغيبا في الصير .

٧٥٠ – (وَلَمُّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا ۚ ٱلْمَرِغُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَنَبَّتْ ٱقْلَنَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَدْمِ ِ الْكَافِرِينَ ﴾ :

ولما واجه حزب الإيمان أعداة الله ، وصاروا إلى براز الأَرْض ، المتكشف منها ، متأهبين لحرب جالوت وجنوده ، قالوا ذاكرين عبوديتهم : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صُبْرًا) عظيما غامرا من عنطك ، يشملنا ويعمنا، ويقوى نفوسنا . (وَتَبَّتُ أَفْنَامَنَا): بطمأُنينة نفوسنا عند اللقاء ، فإن طمأُنينة النفس تهب الفوة ، وتثبَّت الأقدام . (وَانصُرْنَا): بفضلك . وأعنا بفوتك . (عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ): المجاحدين لأنوهيتك ونعمك المتوالية عليهم .

٢٥١ - (فَهَرَمُومُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَنَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ الله المُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
 وَطُلَّمُهُ مِنَا يَشَاء . . .) الآية .

أى: فاستجاب الله دهامه ، فهزموهم بإرادة الله _ تمالى ـ ونصره لهم ، يسبب إعامه واعتمادهم عليه ، وصبرهم فى ملاقاة العلو ، واستمساكهم بأسباب النصر ، وعدة الحرب (وَعَمَلَ دَاوُدُ) : أحد جنود طالوت (جَالُوتَ) : زعيم العبرانيين ، وانتصرت القلة المؤمنة ، على الكثرة الكافرة .

وفى ذلك ترغيب للمؤمنين فى الجهاد، وتحلير من الضعف والفرار حلو الموت. ثم مات طالوت ملك بنى إسرائيل، فتولى داود الملك بعده (وَآتَاهُ اللهُ) _ بسبب شجاعته وعقله ودينه _ الملك ، ووهبه الحكمة ، وعلمه مما يشآء الله تمليمه إياه ، من العلم الذى اختصه به عليه السلام .

وبذلك دفع الله بداود عن بني إسرائيل معرة الجبن والهزعة .

(وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَغَسَدَتِ الْأَرْضُ):

وهكذا يدفع الله بالصالحين – من الناس – المفسدين فى الأَرض ، المعللين مصالح العباد، ولولا ذلك لفسدت الأَرض ، ووقع الناس فى الفوضى .

(وَلَّكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَالَمِينَ ﴾ : فيدفع الله بعضهم بقوة بعض ، رحمة بهم .

(تِلْكَ ءَايَتُ ٱلْقَرِنَتُلُوهَا عَلَيْكَ وِالْخَيِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿).

التفسير

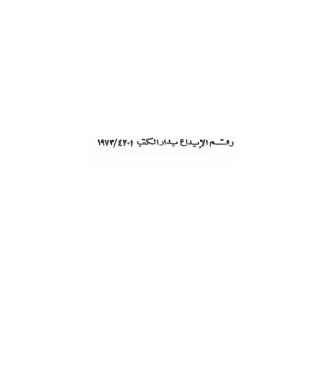
٢٥٧ .. (تلك عابُّتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقُّ وَإِنَّكَ لَينَ الْمُرْسَلِينَ) :

المفى : تلك يا محمد ، قصص قصصناها عليك ، تحكى لك شأن الجهاد والمجاهدين والعاصين والمنافقين ، من بني إسرائيل .

(نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقُّ): الثابت؛ لتكون حجة لك على الناس، ودليلا واضحا على صدق نبوتك .

(وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) : بشهادة إخبارك عن الأَمْم الماضية : من غير مطالعة كتاب ، ولا اجتماع بـأحد يخبرك عنها ، ويدارسك بها .

هذا ، وقد وردت هذه القصة مفصلة فى سفر صموائيل الأَول .. من الإصحاح الثامن إلى آخر الإصحاح الحادى عشر .. والنبي فيها هو صموائيل ، وطالوت هو .. شاول .. وجالوت هو .. جليات .. والله أعلم .





مَعَلِيَهِ مَا لَاصِّرُوفِ الشَّرِيفِ



النَّفْسُيْرُ الْوَسُنِيطُ الفَّنْرِيْرِيْرِ

تأليف ثجنت من العسلماء بإشسال مميرًالبرور الإشكارية بالأزهر

الحرب الخامس الطبتالاول 1992هـ 1974م

(تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَعَنَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضَ مِّنَهُم مَّن كُلَّمَ ٱللَّهُ وَلَكَمَّ ٱللَّهِ اللَّهُ وَالْقِنْ مِرْمَ ٱلْبَيْنَتِ وَأَيَّدْ لَلهُ بِرُوجِ ٱلْقُدُسِ وَلَيْسَتِ وَالْيَدَ مِنْ بَعْدِ مِنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا خَلَّهُمُ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِهم مَنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِهم مَنْ بَعْدِهم مَنْ بَعْدِهم مَنْ بَعْدِهم مَنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِهم مُنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِهم مُنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْمِنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْمُونُ مُنْ مُنْ مُنْ مُنْ مُعْمُ مُنْ مُعْمُ مِنْ بَعْدِمُ مِنْ بَعْمُ مِنْ بَعْدِهِمُ مِن

القسردات :

(تِلْكَ) : يشار بها إلى المؤنث ، ويعامل جمع الذكور معاملة المؤنث بشأويله بالجماعة لهذا أنث اسم الإشارة هنا . أى تلك جماعة الرسل .

(مَن كَلَمُ اللهُ) : أَى كلَّمه بلا وساطة ، ومن غيرسفير ، وهو موسى - عليه السلام -. (الْبَيْنَاتِ) : الحجج والأدلة .

(بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ : أي بالروح المقدس . أي المطهر ، وهو جبريل عليه السلام .

التفسير

٧٥٣ - (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض . . .) الآية .

لما ذكر الله قبل هذه الآية مباشرة قوله عز من قائل : و يِلْكَ آيَاتُ اللهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقُّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ؟ . عقبه بتفصيل الحديث عن شأن هؤلاه الرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام ~ .

وممنى الآية : هُؤُلاه الرسل الكرام ــ اللين بشهم الله تعالى إلى الناس برسالاته وهُداه فى مختلف البقاع والأزمان ــ ففَّىل الله تعالى ، يعضهم على بعض : فى المكانة والمسجزات . وإن كانوا جميما ، قد تآخَوا فى شرف النبوة والرسالة .

(مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ) :

أى منهم من فضله الله بتكليمه مباشرة ودون وسيط مثل : مومى -- عليه السلام -- . ومثل : محمد - صلوات الله وسلامه عليه - ليلة الإسراء والمعراج ، كما سيرد فى تفسير أول سورة الإسراء . ومنهم من كلمه بغير ذلك ، كما فى قوله تعلل : « وَمَا كَانَ لَيُشَرِ أَنْ يُكُمَّهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَرْ مِن وَرَاء حِجَابِ أَرْ يُرْسِلَ رَسُولاً تَبُوحِيَ بِإِفْنِهِ مَا يَشَاءً . . . *(أ)

(وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ ذَرَجَاتٍ) :

قمتهم أُولو العزم ، ومنهم خليل الله ، ومنهم كليمه ، إلى غير ذلك مما يحتاز به يعض الرسل عن يعض .

وعلينا أن نكف عن الموازنة بينهم ، تكريمًا لهم عن أن يكرنوا مجالا المنافشة والمجلال ، والتمصب الجنمي أو الديني ، قال تعالى : « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا ٱلْنَوِلُ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِئُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَتِكِيمِ وَرَكْتِهِ وَرُسُلِهِ لاَنْمَرُّقُ بَيْنَ أَخَد مِنْ رُسُلِهِ . . . ، ، "الآلة .

والإجماع منحّد على أن أفضل الرسل جميعًا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأن وسالته عامة للبشرية جمعاء ، متدة من عصره إلى آخر الزمان .

أَمَّا كُل منهم فرسالته محصورة فى قوم ، وتنتهى رسالته ببعثة خلقه ؛ ولأن الله تعالى أَخْدَ عليهم المهد-جميعًا-بالإيمان به صلى الله عليه وسلم ، وبرسالته ، ومناصرته إذا أدركوا يعثنه . قال تعالى : و رَإِذْ أَخَدُ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مَّن كِياب وَحِكْمَة ثُمَّ جَاتُكُم رَسُولُ مُصَدِّقٌ لُما مَعَكُم تَتُونُينً بِهِ وَلَتَنصُرُتُهُ قَالَ ءَآفَرَرُتُم وَأَخَلُتُم عَلَى ذَٰلِكُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِلَيْنَ مَنْكُم مِنْ النَّياطِينِ) وَالْمَالِّذُ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْكُم مَّن الشَّاطِينَ عَلَى اللهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْنِهُ اللّهُ عَلَيْنَا عَلَيْنَ عَلَيْنَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْنَا عَلَيْنِهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَ

وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا مَينَّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامةِ ، وأُولُ مَن يَنْشَقَّ عنه القبرُ ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقَّ عنه القبرُ ، وأَوَّلُ شَافع ، وأَوَّلُ مُشَقَّع ، (أنا سلام عليه : « أنا سَيَّدُ وَلَكِ القبرُ ، ومَا من نَبِي يَومَئُل سَآدمَ فَمَنَ آدمَ عَمَنَ اللهِ عَلَى اللهِ المحلدِ ولا غَخرَ . وما من نَبِي يَومَئُل سآدمَ فَمَن مواً اللهِ اللهِ عنه وأَوْلُ مُشَعَّم ولا فَخْر ، (8) .

⁽۱) للشورى: ش الآية ۱۱ (۲) البقرة : ش الآية ه ۲۸ (۲) آل عمر أن : الآية 🗚 (4) وداه مسلمواليو طود . (۵) دوله أحمد والقرطي ، واين طبيه .

لَّمَا ما رواه انشيخان من أنالتي - صلى الله عليه وسلم - قال : دلا تَفَضَّلونَ عَلَى الأَسْبِياهِ. ٤ فإن ذلك من باب تواضعه صلى الله عليه وسلم ، وأن الأَسْبِياء إخوة فى الرسالة ، والأَخ لا يُفَضَّلُ نفسه على أُخيه ؛ ولأَن اللجاج والخصام فى هذا التفضيل قد يقود التخاصمين إلى النيل من بخس الأَخبِك ، وفي هذا كفر صريح .

ومردُّ التفضيل _ بعد عدًا كله _ إلى الله وحده ,

ومع أن الإجماع منعقد على أفضلية محمد صعل الله عليه وسلم. قمن الواجب على المسلمين: ألاَّ يحوضوا العالجات حول تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض ؟ السكا بالداب القرآن .

(وَالنَّيْنَا مِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيَّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحٍ الْقُدُّسِ) :

أَصْطِينا هِيسَى بن مريم حمليه السلام- الآيات الواضحة الذائة على تبوته ـ وهي: الصَّجَزَات التي أَجِراما الله على يديه : كابراء الآكمه والأَبرص ، وإحياء الموقى بياذن الله - تعالى وقوَّاه الله كذلك على دفع أَدَّى أَعدائه بروح القلس . وهو جبريل حليه السلام-قال تعالى : ه قُلُ نُرْكَةُ رُدِّحُ الشَّاشِ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ . . ، د (1).

وإضافة الروح إلى القدس من إضافة الموصوف إلى صفته ، أي الروح المطهر .

ولما كانت هذه الآية واردة عقب قعة بنى إسرائيل مع طائوت، ومخافقتهم لأمرهـ عصرالله عيمي بالذكر من بين الرسل، بالتنبيه على بعض معجزاته ؛ للرد عليهم إذ كانبوه ووصفوه وأمه بأوصاف فيها جتان عظم . كما قال تعالى : ٥ وَيِكُمُوْهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ يُهِتَعَلَّا عَظِيمًا * " . *

(وَلَوْ شَنَاهُ اللهُ مَا التَّمْتَلَ اللَّهِنَ مِن بَمْدِمِ مِنْ بَمْدِ مَا جَاهَهُمُ الْبَيْنَاتُ وَلَكِنِ الخَلَقُوا): ولا كان جومر اللهائات المهاوية واحدًا ، وهدتها واحدًا ، فلذا كان الواجب على أثباع كل ومول: أن ووْمنوا بالرسول الذي جاه يعده ، وألَّا يختلفوا معه ولا مع أتباعه . ولكتهم تفرقوا واختلفوا ، واقتلوا ، من يعد ما جاتم، البينات ، والآيات الذيذة (سائد، ولو أراد الله

⁽١) العراب من الأقرب المنافع على المنافع الأقرب المنافع المناف

أَلاَّ يحدث ذلك ما حصل . ولكنه ابتلام ؛ لِيَمِيزَ الخبيث من الطيب ، والمؤْمن من الكافر . وهذا ما قاله الله تعالى :

(فَمِينْهُم مَّنْ آمَن رَمِنْهُم مَّن كَمَرَ وَلَوْ شَنَاءَ اللهُ مَا اتْنْتَلُوا وَلَلْكِنَّ اللهُ يَمْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ :

أى: فانقسوا بالابتلاء إلى فريقين : فسنهم من آمن لطيب سريوته ، وحسن اختياره . ومنهم من كفر لخيث نبته ، وصوء رأيه . ولو شاء الله لآمنوا جميعًا ، ولم يقتنلوا . ولكن الله يفعل ما يريد من ترك عباده لاختيارهم ، حتى يتبين الخبيث من الطيب ، ويلغم للؤمنون شرَّ الكافرين وفسادهم . ثم يجزى كلا على حسب عمله : « وَلُولًا تَلْمُ اللهُ النَّاسَ بِمُضَمّع بِبَعْض لَفَسَكَتِ الْأَرْضُ (1)

(يَنَا يُهَا اللَّذِينَ ءَامَنُواۤ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَنَنكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَومُ لا بَيْعُ فِيهِ وَلا خُلَةٌ وَلا شَفَامَةٌ وَاللَّكِفِرُونَ مُمُ الظَّلِمُونَ ﴿

القبردات :

(خُلَّةٌ): الخلة ؛ الصداقة والمحبة للقرابة أو غيرها .

(شَفَاعَةٌ) : الشفاعة ؛ طلب التجاوز عن السيئة .

التفسير

٧٠٤ - (يَأَلِيُّهَا اللَّيْنَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنَّا رَزَقْنَا كُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأَتِّيَ يَوْمُ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلُةُ وَلاَ شَفَاعَةً . . .) الآية .

هذه الآية ظاهرة الارتباط بما قبلها . فقد دلت الآية السابقة : على أن القتال بين أهل المحق وأهل الباطل، من سنن الله ـ تبارك وتعالى ـ فلهذا ناسب أن يعقب تلك الآية بمناشلة أهل الحق : أن يجاهلوهم بأموالهم التي رزقهم الله إيمام من فضله .

والمعنى : ينادى الله صاده الذين آمنوا به وبكتابه وهدى رسوله ، ويأمرهم : بأن ينفقوا - فى سبيل الله ووجوه الخير- بعض ما آتاهم الله من فضله ، وأنم به عليهم من رزق حلال (1) المردّ : من الآية ودم طيب ، ما كانوا عليه بقادرين لو لا فضل الله وتوفيقه ، وذلك بأن يُشطوا الزكاة الواجية ، عليهم إلى مستحقيها ، ويتطوعوا بالتصدُّق عليهم عا يستطيعونه فوق الزكاة الواجية ، ويأمرهم بالمسارعة إلى ذلك ، قبل أن ينتهى الأجل المجهول للهم ، ويقبل عليهم يوم الحساب بالثواب أو العقاب ، وهو يوم القيامة ، الذى لن يجدوا فيه ما يتقربون به حينقذ إلى الله تعالى ، أو يشاركون به ما فاتهم . فلن يجدوا فيه بيمًا لحسنات ترجع با موازينهم ، ولن تنفع فيه صداقة مهما قويت . ولن تجدى فيه شفاعة شفيع إلا بإذن الله ورحمته . وإنما يأذن الله في ذلك للمستحقين بعلمه وحكمته "أ

(وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) :

واللين كفروا بالله .. جل جلاله .. هم الظالمون لأَنفسهم وللمجتمع .

فكافحوهم بالقتال : بالأنفس والأَّموالُ التي أَمركم الله بإنفاقها في سبيله .

القبرنات :

(الْحَيُّ) : الباق ، الدائم البقاء ، الذي لا يناله الفناء .

(الْقَيُّومُ) : الدائم القيام بتدبير الخلائق وحفظهم .

(سِنةٌ) : ما يكون قُبيل النوم من فتور يشبه النوم. والوسنان : هو من يكون
 بين النائم واليقظان .

⁽١) راجع في موضوع الشفاعة تفسير الآية ٤٨ من البقرة .

(مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) : المراد منه ، النفيا ، أو ما كان قبلهم ، أو المستقبل .

(وَمَا خَلْفَهُمْ) : الآخرة . أو ما يكون بعدهم . أو الماضي .

(كُرْسِيَّةُ) : الكرمى ؛ علم الله ـ تعالى ــ أَوْ عرشه . وقييل : هو تمثيل لِمُلكِ الله تعالى وسلطانه ، وقيل : هو فلك يحيط بالسياه والأرض .

(وَلَا يَؤُونُهُ) : أَى ولا يثقله ، ولا يثنق عليه .

التقسير

٥٠٠ - (اللهُ لَا إِلَـٰهُ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . . .) الآية .

دحت الآية السابقة إلى الإنفاق في سبيل الله - سبحانه وتعالى - من قبل أن يأتي يوم لا بيح فيه ، ولا تنفع فيه صداقة ولا شفاعة . وإنما ينفع الإنسان عمله ، ومرضاته لربه . وهذه الآية بينت لهم : أن الله الذي دعام إلى الإنفاق : هو الإله الواحد ، القيم على كل نفس بما كسيت ، المحيط بكل شيء علمًا ، وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه .

وتُعْرَفُ هذه الآية بين المسلمين ، باسم : آية الكرسي ؛ لأن ذكره ورد فيها .

وقد بدأت الآية الكريمة هذه باسم (الله) جل جلاله ، وأخبرت أنه المنفرد بالإلميية لجميع الخلائق ، وأنه (الَّحَيُّ) : أى اللى له الحياة الكاملة الأَولية ، فلا أول لها ، الباقية فلا آخر لها ، وهو (الْشَيْومُ) : أى الدائم القيام بتدبير شئون الخلائق وحفظهم .

(لَا تَأْخُلُهُ سِنَةً وَلاَ تَوْمٌ) :

لا تحتريه غفلة ولا نوم عن خلقه ، فللك شأن الحادث الضميف ، الذي يحتاج إليهما ، ليمترد قُوتُه ونشاطه .

(لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) :

لهـــ سيحانه ـــ كل ما فى السنوات ، وكل ما فى الأرض من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، وكل كائن .

(مَن ذَا الَّذِي يَغْفَعُ عِندُهُ إِلَّا بِإِنْنِهِ) :

لا يستطيع أحد أن يشفع لأحد عند الله تعالى، إلا إذا أذن الله له . وإنما يأذن سلم وعدلو وحكمة وفضل . وقد نص القرآن الكريم ، والأحاديث الصحيحة ، على أن الله لا يأذن بالشفاحة إلا لمن ارتضى من عباده كالملاككة . وعلى أن الشفاحة العظمى لسينذا محمد - صلى الله عليه وسلم (۱) - . وجملة (مَن ذَا اللّذِي يَشَفَعُ صِندُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) : فيها رد على المشركين ، حين قالوا هن.

الأوفان: و . . . مَوْلَاهِ شُفَعَاوُنَا حِندَ اللهِ . . .) . . " .

وفيها وعيد للمستخفين بأوامر الله تعالى ، الْمُعِرِّين على المصية ، اتكالا منهم على أنه سيُشفع لهم ، وذلك بإقناطهم من قبول الله لشفاعة أحد صهم .

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْلِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) :

والله تعالى يعلم أمور الدنيا والآخرة : ظاهرة كانت أو خفية . فاحلروا أن تفعوا ف للماصي التي لا تغنى فيها شفاعة الشافعين .

(وَلَا يُحْجِيطُونَ بِثَنَّ وَ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء) :

أَى أَنْ الخَلْقُ لا يعرفون أَى شيء من معلومات الله –سبحانه - إلا ما يشاه لهم أَن يعرفوه: بفضله وترفيقه .

(وَسِعَ كُرْسِيَّةُ السَّمْوَاتِ وَالْأَرْضَ) :

سعة الكرسي للسنوات والأرض : كناية عن نفوذ سلطان الله تعلل فيهما ، وسعة علمه لهما ، ولجميع ما فيهما . فإنه تعالى أحاط بكل شيء علما .

فإن أُريد بالكرسي: الفلك المحيط بالسنوات والأَرض –كما قال بعض العلماء – فسعته لهما ، على الحقيقة .

وقد أعلوا ذلك من ظاهر النص ، ومن حديث رواه ابن مردويه عن أنى ذَرّ قال : قال صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسى بيده ، ما السنوات السبم ، والأرضون السبع عند الكرمى إلا كحلَّقة ملفاة بأرض فلاة . وإن فضل المرش على الكرمى كفضل الفلاة على تلك المكلمة » (المكلمة على الكرمى كفضل الفلاة على تلك

⁽١) راجع تفسير الآية ٤٤ من سورة البةرة. ﴿ ٢) تيونس من الآية : ١٩

 ^(*) 歴史記載(*)
 (*) 歴史記載(*)

^{ાં.} કાર્યોતી ...વા

وهذا يدل على أن العرش غير الكرسي ، وأنه أعظم منه .

(وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) :

ولا يثقله سبحانه حفظ السموات والأرض . وهذا ناطق بدوام حفظه وتدبيره لهما ، لا يتخلى عن ذلك طرفة عين .

(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) :

وهو سبحانه الذى يتعالى عن الشبيه والنظير . ويتعالى عن النقص والعجز ، وهو العظيم قدرًا وشرفًا .

(لَا إِكْرَاهُ فِي الدِّيْ قَد تَّبَيْنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيُّ فَمَن يَكْفُرُ وِالطَّلُفُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسُكَ بِالْمُرْوَةِ الْوُثْقَ لَا انفِصَامَ لَهَا قَاللَّهُ سَمِيعً عَلِيمٌ ﴿ ﴾

القبرنات :

(لَا إِكْرَاهَ فِي اللَّذِينِ) : لا إِجبار ، ولا قسر على الإعان .

(الرُّشْدُ) : الصواب ، أو الهدى ، أو النحق .

(الْغَيُّ) : الخطإ ، أو الضلال ، أو الباطل .

(بِالطَّاغُوتِ) : الشيطان ، أو كل ذي طغيان ، أو كل معبود سوى الله تعالى .

(بِالْمُرْوَقِ الْوَثْفَى) : العروة ؛ ما يُتحلقُ به ، كالمقبض . والوثنى ؛ مؤَنث الأوثق ،
 وهو الأشد الأحكم .

(لَا انفِصَامَ لَها) : لا انقطاع لها .

التفسير

٢٥٦ - (لَا إِكْرَاهُ فِي النَّبِنِ) الآية .

ذكرت الآية السابقة صفات الله الساسية ، المقتضية لتفرده بالألوهية واستحقاق المهادة. ولم يعد- بعد ما جاء فيها - مجال للمكابرة أو الإنكار ، أو إكراه أحد على الإنمان؛ لأن أدلتها القوية تدعو إليه ، دون قسر أو إكراه ، فلا يحتاج العاقل إلى الإكراه أو الإنزام ، بل يختار اللين الحق من غير تردد . ولذا قال تعلى عقبها :

(لَا إِكْرَاهَ فِي اللَّبِينِ) :

أى لا ينبغى أن يحتاج عاقل إلى الإكراء على دين الإسلام ؛ لوضوح أدلته ، فعليه أن يشجه إليه باختياره .

ويجوز أن يكون النني بمغي النهي للمسلمين عن إكراه أحد على النَّين . ولذا قال تعالى :

وَاللَّهُ عَلَيْكُوهُ النَّاسَ خَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ اللَّهِ وقال تعالى: و لَيْسَ عَلَيْكَ هُللهُمْ وَلَلْكِينَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاخُ ... "". إلى غير ذلك من الآيات .
 من الآيات .

والمغنى: لا تكرهوا –معشر المسلمين – أحدا على الإسلام؛ لأن الحق فيه واضح بَيِّن، لا يحتاج إلى إكراه أحد طليه .

(قَد تَبَيِّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيُّ) :

تعليل للحكم السابق مقرون بكلمة التحقيق (قَدْ) ؛ لتأكيد مضمونه أى : قد تبين الرشد والحق فى دين الإسلام ، كما تبين الفى والضلال فيا عداه . فلا حاجة للإكراه على الإسلام .

⁽١) يونس : من الآية ٩٩ (٢) البقرة : من الآية ٢٧٢

⁽٣) المائدة : من الآية ٩٩

﴿ فَهُن يَكُفُرُ بِاللَّافُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ :

أَى قَمَن يِكُفَى مَا يَعِدُ مَن دُونَ اللهُ ، ويؤْمَن بِاللهُ وحده .. بعد ما تبين له الحق من الباطل بالحجيج الواضحة

(فَقَدُ النَّفَسُكَ بِالنَّرْوَةِ الْوَثْقَى) :

فقد صار بمسكا بالسبب الأوثق الذي يصله بالحق .

(لَا اتَّفْهَامُ لَهَا) :

أَى لا تنقطاع لهذه الصلة الفوية . ويذلك يكون آمنا من النهلكة ومن كل مكرُّوه .

(وَكُفُّ سَبِعٌ) :

أَى شَامَلُ السمَّ ، لأيتيب عن سمه ثيءٌ .

(عَلِيمٌ) :

ولم العلم : يحيط علمه بكل ثيء .

⁽١) البقرة بين الآية ١٩٠ (٢) الجينين الآية ٢٩ (٢) الأهال من الآية ١٩٠

⁽٤) التحل: من الآية ١٢٥

(اللهُ وَلِي اللَّذِينَ اَمَنُواْ يُحْرِجُهُم مِّنَ الطُّلُمَنتِ إِلَى النَّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّلِمِ الْوَهُمُ الطَّنْفُوتُ يُحْرِجُونَهُم مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَنتِ أُوْلَئِكَ أَصَّحَبُ النَّارِ مُمْ فِهِا خَلِلُونَ ﴿) .

القبردات :

(وَلِّي الَّذِينَ آمَنُوا) : متولى أمورهم ، بهديم ويعينهم .

(الطَّاغُوتُ) : للرادبه ؛ الشياطين .

جادى النور إلى طريق ا**لسلامة** .

(يُشْوِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ لِلَى الطُّلْمَاتِ) : يخرجونهم من نور العش إلى ظلمات الكفر .

التفسير

٧٥٧ - (اللهُ وَلِّيُ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظَّلْمَاتِ إِلَى التَّورِ . . .) الآبة .

الله جل جلاله - هو معين المؤمنين الطائمين ، ومنوليهم بتوقيقه وتأييده وهدليته
إلى طريق الحق ، فيخرجهم - بلطته ورحمته - من ظلمات الحيوة والضلال والكفر ،
إلى نور الإستقرار والهدلية والإنمان .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاوَّهُمُ الطَّافُوتُ يَخْرِجُونَهُم مَّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) :

واللين كفروا بالله .. جل جلاله .. وأنكروا رسالة نبيه صلى الله طيه وسلم ، أُولِيارُهُم الشياطين : يوسوسون لهم ، ويضاومهم عن صراط ربهم ، ويبعلونهم عن طريق الهلتى، ويوقسهم فى ظلمات الضلال والشر ، ويحبونهم عن فطرة الإيمان فى نفوسهم . فكأتهم يبعدونهم عن طريق مضىء منير ، ويوقعونهم فى طرق كثيرة الظلمات ، فلا يتبلون سبيلا . وحبر عن دين الإسلام بالنور ، تشبيها له به ، لأنه بهدى إلى الحق والسعادة . كما

والتعبير عن الشرك بالتثلمات : تشبيه له بها ؛ لأنَّه يُغِيل عن الدين والسعادة ، كما يُتمِل الظلام عن طريق السلامة . (أُولَٰئِكَ أَصْحَابِ النَّارِهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) :

أولئك الضالون، هم الذين يستحقون عذاب النار لايفارقونها . بل يستقرون فيها ، ويدوم عليهم عذابها .

(أَلَمْ تَرَ إِلَى اللِّي حَاجَ إِبْرُهِمَ فِي رَبِّهَ أَنْ ءَاتَنهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرُهِمُ فَي رَبِّهَ أَنْ أَدْعَ وَأُمِيثُ قَالَ إِبْرُهِمُ مَنِي اللَّهِ عَلَى عَلَى مَوْمِيثُ قَالَ أَنْ أَحْي وَأُمِيثُ قَالَ إِبْرُهِمُ فَإِنَّ اللّهَ بَأْلِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ إِبْرُهُمُ الظَّلْمِينَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلْمِينَ ﴿)

الفيردات :

(أَلَمْ نَرَ) : عبارة استفهامية لطلب التعجب .

(حَاجٌ إِبْرَاهِمٍ) : محاصمه وجادله في شأن ربه .

(فَبُهِتَ) : فتحير وانقطعت حجته .

التفسسير

٢٥٨ - (أَلْمُ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آ نَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ . . .) الآية .

اتضح مما صيق : أنّ الرشد قد تبين من الني، وأن الله يتولى المؤمنين فيهديهم، وأنّ إ الشيطان يتول الكفار فيضلهم .

ولتوضيح هذه للعانى، ذكرت هذه الآية ــ وما يعدها ــ ثلاث قصص واقعية ، تـدور حول الموت والحياة ، وإبراز قدرة الله :

الأُولى : قصة رجل كافر تبين له الحق ، ولكنه أَصُّ على كفره .

الثانية : قصة رجل تبين له الحق فاقتنم به ، واعترف بأن الله على كل شيء قلمير .

الثالثة : قصة نبي أظهره الله على بعض آياته ، فازداد إيمانا وتثبيتا .

وفيا يلي بيان القصة الأولى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) :

أى هل رأيت في الفملال مثل ذلك الملك الطاغية الكافر، الذي جادل إبراهم .. عليه السلام .. تجبرا منه وطغيانا بسبب ما أحطاه الله من صعة الملك ، وقوة السلطان .

(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِمُ رَبِّي الَّذِي يُحْمِي وَيُعِيثُ قَالَ أَنَا أُحْمِي وَأُمِتُ):

كانت المحاجة ، حينا أعلن إبراهم : أن ربه هو الذي يحيى ويميت ؛ لأنه هو الإلم الخالق القادر على كل شيء دون سواه : فأجابه الطاغية – وهو لايملك من أمر نفسه شيئا – قائلا : أنا أحيى بالهفو عن محكوم عليه بالموت ، وألميت بقتل إنسان حى . ظانا بجهله أن قتله الإنسان إماتة ، وعفوه عنه إحياة . فاقتضت حكمة إبراهم أن يخلق باب الجدل ويجابه بما الايستطيم أن يجادله فيه .

(قَالَ إِبْرَاهِمُ قَإِنَّ اللَّهَ يَنْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ قَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَقْرِبِ):

قال إبراهيم : إن الله تعالى ، يظهر الشمس فى أول النهار من جهة المشرق ، فإن استطمت فأظهرها من جهة المترب ، لتمود إلى الإشراق والإضاءة ، وينعكس بذلك نظامها . فيكون شروقها من جهة المغرب ، وغروبها من جهة المشرق 1 أ

(فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) :

فانقطعت حجة الطاغية ، وسكت متحيرا ، ولم يستطع الاستمرار فى التمويه . فظهر المحق ، واندحر الباطل ، عن طريق محاورة إبراهيم النافعة ، التى كشفت الفرق بين الحق والباطل ، وبين الصدق والكذب ؟ !

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِحِينَ) :

والله العادل ، لايعطى الهداية لغير مستحقيها من أولئك الكافرين الماندين ، فهم ظالمون. والله تعالى لايهدى القوم الظالمين ، أي لايوفقهم إلى حجة يغلبون بها أهل الحق . (أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرَيَة وَهِى خَوْيةً عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى عُمُو مِهَا قَالَ أَنَّى عُمُو مَهَا عُمَّ بَعَنَةً قَالَ عُمْ مَعْدَةً عَلَمَ عُمَّ بَعَنَةً قَالَ عَلَمَ عَلَمْ عُمَّ بَعَنَةً قَالَ عَلَمْ عَلَمْ عَلَى عَلَمْ عَلَمَ عَلَمُ عَلَمَ عَلَيْ عَلَمَ عَلَمُ عَلَمَ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمَ عَلَى عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ عَلَمُ عَلَمَ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمَ عَلَمُ عَلِمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلِمُ عَلَ

كفسر دات :

أوْ): للتخيير والتنويع فى التعجيب بين ماجاء فى هذه الآية والتى قبلها من العجائب. والكاف اسم بمعنى: مثل مفعول الفعل محلوف دل طيه (أَلَمْ تَرَ) السابق . والتقلير: أوَ رَأَيت مثل الذى مرَّ على قرية . والجملة معطوفة بلقظ (أوْ) على جملة :

(أَلُّمْ ثَرَ إِنَّى الَّذِي خَاجُّ إِبْرَاهِمَ فِي رَبِّهِ)

(فَرْيَةٌ) : اسم للعوضع الذي يسكن فيه الناس ولو كبيرا ، كما في قوله تعالى : و وَاسْأَلِ الْقَرْيَةُ الَّذِي كُنَّا فِيهَا ... ، ('') وقوله : « لِيُنْـلِزُ أَمَّ الْقَرَك ... ، ".

(خَاوِيَةٌ): أَي ساقطة من : خوت الدار ، إذا سقط بنيانها .

(مَلَ مُرُوشِهَا): العرش ؛ السقف . والمراد: أنها متهدمة أو (خَاوِيَّةٌ) بمفى خالية . والمراد حينثذ: أن القرية خالية من أهلها ــ مع بقائها ، قائمة سليمة العروش ــ ؛ لموت أهلها .

(نُنشِرُهَا) : مفيارع أنشز ، أى نركب بعضها فوق بعض وننشئها . وقرىء (نَنْشُرُهَا) بالراء بحتى : نبشها إلى الحياة من جليد ، من النشر . وهو إعادة الحياة بعد الموت

⁽١) يوسف: من الآية ٨٢ (٢) الشورى: من الآية ٧

التفسير

٧٥٩ .. (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّى يُعْجِي مُلْمِو اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا . . .) الآية .

تناولت هذه الآية القصة الثانية عن الموت والحياة . فقالت ما معناه : أرأيت يامحمد مثل ذلك الرجل الذي مَرَّ على قرية مات أهلها ، وسقطت على سقفها : بأن سقطت العروش أولا ، ثم الحيطان عليها ! أو المنى : أنه مر عليها –وهي خالية من أهلها مع بقائها قائمة على عروشها لم تنهدم ولم تسقط – فقال في نفسه متعجبا ، أو بلسان حاله :

(أَنَّى يُحْبِي مَلْنِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) :

على معنى: كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موشم ؟ . أُوكيف يردالحياة إلى هذه القرية ، بعد هذا الخراب الشامل ؟ !

والسؤَال هنا عن كيفية الإحياء ، لا عن وقوعه .

لم يَرِد في القرآن الكريم ، ولا في السنة النبوية ، ما يعيَّن صاحب هلمه القصة ، ولا المم القرية التي مرّ عليها ذلك الرجل ، لأن العبرة هنا، في إحياء موتاها، لا في اسمها واسم من مرّ عليها . وإن كان بعض المفسرين قد ذهب إلى أن هلما الرجل نبي ، وأنه : عزير بن شرخيا ، كما ذهب إلى أن هلم القرية هي التي وردت قصتها في الآية الكريمة : « أَلَمْ تَرَ إِلَى اللَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم ومُمْ أَلُوفَ حَلَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحَيَاهُمْ... * `` . ولملهم قد استندوا في ذلك إلى ماجاء في : العهد القديم . عن هذه القصة ، فقد وردت في الإصحاح السابع والثلائين من سفر حزقيا ، على نحو قريب نما جاء في الآية المذكورة .

وقيل : هي المؤتفكة . وقيل : غيرها .

ونحن نفوض الأمر في علمها ــوعلم أهلهاــ إلى علَّام الفيوب، ونسكت عما سكت عنه القرآن الكريم ، ولم تشر إليه السنة النبوية المطهرة .

⁽١) البقرة : من الآية ٢٤٣

قال تعالى : (فَأَمَاتُهُ اللهُ مِآلَةَ عَامٍ ثُمٌّ بَعَثُهُ) :

جعله الله ميتا مائة سنة ، ثم ردَّ إليه الروح ، فعادت إليه الحياة بعد تلك المدة الطويلة ، وقد أعاده إلى الحياة مهيًّا للتفكير والتدبر ، بدليل هذا الحوار ، وطلب منه النظر . ولم تذكر الآية ما حدث لجثته أثناء هذه الفترة . أَبُلِيَتُ وتحللت . أَم ظلت محتفظة بتكوينها ؟

(قَالَ) له الله تعالى : (كُمْ لَبِثْتَ) ؟ :

كم مكثت فى رقعتك ؟ والله يعلم كيف كانت هذه المساقلة . أكانت على لسان ملك جاء فى صورة بشر، أم كانت على لسان نبى ذلك الزمان، أم كانت إلهاما نفسيا، كما حصل لأم موسى – عليه السلام – أم كان ذلك الرجل نبيا ؟

والسؤال لم يكن من الله لهذا الرجل مباشرة ؛ لأنه سبحانه وتعالى يقول: • وَمَا كَانَ لَيْمَا إِنْ مُولِكُ فَيْوَ لَيُشَوِّ أَنْ يُكَلِّمُ اللهُ إِلاَّ وَحَيَّا أَوْمِن وَرَاهِ حِجَابٍ أَوْيُرْسِلَ رَسُولًا فَيْوِجِى بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ... ه``. وإنما سأله الله لهذا السؤال ــ وهو عالم بجوابه ــ ليظهر عجزه التام عن الإحاطة بشئون الله تعالى . بل بشئون نفسه هو ؛ وليبين له قدرته تعالى على إحياء خلقه .

وقد أجاب ذلك الرجل :

(فَالَ لَبِثْتُ يُوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) :

مكثت فى رقدتى هذه يوما أو بعض يوم . ولعله قال ذلك ؛ لأَنه لم يشاهد فى نفسه ، ولا فى طعامه تغيرا، حتى يظن أنه مكث مدة طويلة . ولعله ظن أنه كان نائمًا فقدر زمنين متقاربين، من المحتمل أن يستغرق الإنسان أحلهما فى نومه .

(قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِأْتُهَ عَامٍ) :

أى لم تلبث هذا القدر اليسير الذى ظننته . بل مكتت_ميتا_ مائة عام؛ ليظهر الله لك قدرته على ما سألت .

⁽١) الشورى : من الآية ؛ ه

ولهذا أمره الله أن يتدبر ويفكر ، فقال :

(فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ ﴾ :

والذاة فى قوله تعلل : (فَانظُرُ) للإفصاح ، لأنها أفصحت عن شرط مقد ... يممى : إذا علمت أنك مكثت مائة عام ميتا ، ثم بعثت ... فانظر إلى هلم الآيات البينات ، وتبصر فيها . وقد أمره الله أن ينظر إلى طعامه وشرابه المللين كانا معه لزاده ... وقد مرّ عليهما مائة عام ... وما زالا صالحين للتناول ، لم يلحقهما أى تغيير، مع أن شأتهما المتاد . هو سرعة التغييروالفساد .

وذلك دليل على أن المؤثر هو الله تعالى ، لا الأسباب بلماتها ، ولذا تخلف تأثيرها فى الطعام والشراب ، اللذين مكتا مائة عام ، لم يتغير فيهما شئ منهما . وهذا هو موضع الاعتبارالأول . وقد أفرد الضمير المستتر فى قوله : (لَمْ يَتَسَنَّهُ) مع أنه راجع إلى الطعام والشراب ، لاعتبارهما غذاة واحدا ، لتلازمهما .

(وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾ :

وأمره الله أن ينظر إلى حماره ، كيف نخرت عظامه ، وتفرقت أوصاله . على حين بقى الطعام والشراب على حافهما لم يتغير فيهما شئء ؟ وذلك هو موضع الاعتبار الثلث، الناطق بقدرة الله على الإحياء والبحث .

وقوله تعالى : (وَلِنَجْمَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ) :

معطوف على مقدر يقتضيه المقام . أى : فعلنا ذلك من إحيائك ، وحفظ طعامك وشرابك ، ويلى عظام حمارك ؟ لتدرك صدق إخبارنا : أنك بقيت مينا مائة عام ؟ ولنجعلك -- أنت وهذه الأمور -- آية وعلامة يستنل بها الناس الموجودون -- وقت بعثك -- على عظيم قدرتنا على البحث ، وإحياء الموتى . ويستنك على ذلك أيضا -- مَنْ يَأْتَى بعنهم ممن يؤمن بالوحى ، الله يروى هذه القصة .

ثم أمره أن ينظر نظرا ثالثا، فقال :

(وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا) :

المراد من المظام : عظام حماره البالية التفرقة . . طلب إليه أن ينظر كيف يعيد ألله تركيبها كما كانت عليه ، بعد إعادة الصلاحية لها، بأن يرفع بعضها فوق بعض على الشكل الذي كانت عليه ، قبل موت ذلك الحمار . ثم يكسوها لحما ، ثم ينفخ فيه الروح فيعود كما كان جبيا وصورة وحركة وصوتا ؟ ليعرف - بالمشاهلة - قلموة الله على إحياء هذه القرية ، التي سأل عنها متعجبا :

(أَنَّى يُحْيِي كَلْمِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْنِهَا ﴾ [ا

ويرى بعض المقسرين: أن الحمار بق حيا لم يمت على الرخم من مرور هذا الزمن الطويل، دون أن يأكل الحمار أو يشرب: حفظه الله حيا كما حفظ الطعام خلمًا ، والشراب سائقا هنيتا. وأن المظام التي أمر أن ينظر إلى إعامتها وكسوتها باللحم - هي عظام أهل هذه القرية التي مر عليها ، وهي خاوية على عروشها ؛ لأن التعجب الصادر منه ، كان بشأن كيفية إعادة سكاتها إلى الحياة !

وقيل : هو منظر عظام الأَجنة ، وكيفية تكوينها ، ثم إكسائها باللحم ، ثم صريان الحياة فيها بعدهذا التكوين .

وفى قراءة : (نَنشُرُهَا) بالراء أى : نبعثها ، ونحييها بعد الموت . والمودّى فى القرابقين واحد . فلم الإحياء -على الصورة السابقة -- يصدق فيه الانشاز والنشر . فكلاهما فيه إحياءً يعد موت ! .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ ۚ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَامِرٌ ﴾ :

والمعنى: فلما ظهرت أمامه هذه الآيات الثلاث، واتنصح له ــبالمشاهدة-كيفية إحياه الله أهل هذه القرية بعد موتهم، قرر- في ثقة وإيمان-علمه بأن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السهاء ، وأنه على كل شيء قدير ، وفي جملته: إحياة هذه القرية بعد موتها ! ! قال الآآومى : والإتيان بصيفة المضارع (أُعْلَمُ)؛ للدلالة على أن علمه بقدرة الله على كل شيء مستمر ؛ لأن أصله لم يتغير . بل تبدل وصفه بالعيان .

ولعل اقتران القصتين ، كان من أجل اشتراكهما في هذا الغرض.

أَمَّا القَوْلُ بِأَنَّهُ كَانُ كَافِرًا ، فلا دليل عليه . . بل ماجرى منه في القصة ، يبعد أَن يجرى على لسان كافر . فني تحريه الصدق بقوله : (لَيَيْتُ يُومًا أَوْ بَمْضَ يَوْمٍ) . ثم قوله بعد ذلك : (أَطَلَمُ أَنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ ثَيْءٍ قَلِيرٌ) مايرجع إيمانه .

هذا ، ومغزى القصة : أن هذا الرجل تولاه الله ، فبين له الرشد من الغي، فاستنجاب لهذا التوجيه ، ولزداد إعانه ، ولم يركب رأسه عنادًا كالكافر المذكور في القصة السابقة .

⁽ ١) للبقرة من الآية : ٢٦٠

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِمُ مُرَبِّ أَرِنِي كَبْفَ تُحْيِ الْمُوَثَّى قَالَ أَو لَمْ تُوْمِنُ قَالَ بَالْمُوثَّى قَالَ أَو لَمْ تُوْمِنُ قَالَ فَخُذْ أَدْبُعَةً مِنَ الطَّيرِ فَهُرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلَ عَلَى كُلِّ جَبِلِ مِّنْهُنَّ جُزَّ الْمُ آدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سُعْبًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَزِيزُ حَكِيمٌ ﴿) .

القبرنات :

(بَلَى) : إيجاب لما بعد الننى السابق . والمراد : نعم ، آمنت .

(لِيَطْنَئِنَّ قَلْبِي) : ليزداد يقينا بالقيامة ، بعد خبر الوَحْي والبرهان .

(فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) : أَمِلْهِن واضممهن إليك .

التفسير

٢٦٠ - (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِمُ رَبُّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى . . .) الآية .

هذه هي القصة الثالثة عن الموت والحياة . وهي القصة الثانية : عن إبراهيم عليه السلام .

وقد جاء ترتيب النصوص الثلاث في تناسق تصاعدي .

فالأُولى : قصة كافر تبيَّنَ له الرشد من الغيُّ ، فأصَّرُّ على الكفر .

والثانية : قصة رجل التمس معرفة كيفية البعث ، فلما بينها الله له ، أقر بعلمه بـقـدرة الله تعالى .

والثالثة : قهمة نبي زاده الحق إعانا وتثبيتا .

والعبرة بأُغراض القصص الثلاث ، لا بالتتابع التاريخي أو الزمني .

ولهذا ذكرت القصة الثانية بين قصي إبراهيم عليه السلام . قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِمُ رَبُّ أَرِنِي كَيْفَ ثُحْبِي الْمَوْفَى ﴾ : ؟

والمعنى: واذكر يا محمد، حين نادى إبراهيم .. عليه السلام .. ربه ، طالبا منه أن يويه .. عمليا - كيفية إحياء الموتى .

والسَوَّال يدل على أنه يوُمن بإحياء الموتى ، ولكنه يطلب رؤية طريقة الإحياء عمليا ؛ ليزداد إيمانا ويقينا .

(فَالَ أُولَمْ تُؤْمِن) : ؟

أَى لقد آمنت . . فلماذا تسأَّل هذا السوَّال ؟ . .

(فَالَ بَلَى وَ لَكِن لَّيَعْلَمَثِنَّ قَلْبِي) :

اعْلَمْ أَن اللهُ تعالى عَلِم بإيمان نبيه وخليله إبراهيم، وليس بحاجة إلى استفهام عنه . لكن الحكمة فى ذلك: أن يعلن إبراهيم إيمانه العميق بقدرة الله، حَى لايتطرق إلى الأَذْهان، أن إبراهيم حين سأَّل ذلك ــ خطر له أَى شك فى الله .

فالسوَّال في الحقيقة : سوَّال تقرير .

ولهذا أجابه إبراهيم مؤكدا إيمانه ، نافيا عن نفسه أية خاطرة من الشك أو الارتياب .

فقال : بلى . آمنت . ثم علل سؤاله لربه بحرصه على الاطمئنان القلبي - عن طريق المشاهدة والعيان ، إلى جانب طريق الوحى والبرهان - ليزداد إيمانه ثباتا فوق ثبات .

والله يشبت إيمان أنبياك وأوليائه دائما فيقول : ١٠٠٠ كَذَّلِكَ لِيُنْتُبَّتَ بِهِ فُوَّانَكَ وَرَثَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ١^{١١}٠.

⁽١) الفرقان : من الآية ٢٢

ويقول جل شأنه : « يُغَبَّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ النَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ اللَّذَيَا وَفِي الْآخِرَةِ ... ، (1) .

ولهذا ، ثبت الله إيمان إبراهيم وطمأنه، فأراه كيف يحيي الموتى، كما سيأتى بياته .

(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْمُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى 'كُلَّ جَبَلرٍ مِّنْهُنَّ جُزُّ^{عا ثُ}مُّ إِذْمُهُنَّ بِثَلِينَكَ مَنْهَا) :

أمره الله سبحانه، أن يأخذ أربكةً من الطير ، وأن يضمهن إليه ؛ ليناً مل فى كل منها فيعرف معرفة يقينية مميزات كل طائر عن غيره، وحتى إدا ذبيحها رفوق أجزاتها سمختلطة على الجبال التي حوله ضمَّ اللهُ أجزاء كل طائر، وأعاده إلى ماكان عليه :جسيا وصورة وحركة.

ويروى : أن كل طير كان من نوع يخالف نوع الآخر .

قال أبو السعود: وناهيك بالقصة دليلا على وسمن الخليل ، ويُعنِّي الضراعة فى الدعاء، وحسن الأدب فى السؤّال ، حيث أراه الله تعالى وا سأّل ـ فى الحالـ على أيسر مايكون من الوجود . ا . ه .

ولما كانت هذه القصص الثلاث ، مسوقة للدلالة على قدرة الله على بعث الموتى وإحيائهم للحساب والجزاء –ختمها مخاطبا كل مكلف بقوله :

(وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) :

أى واعلم أيها للكلف_بـمد تلك الحجج النماطعة..أن الله تعالى غالب لايعجزه شيءُ أراده. حكيم في أفعاله .

وإذا كان الأمر كذلك ، وجب الإيمان بالبعث ، وإدراك الحكمة فيه ، وهي : أن يجزى الله المحسن بإحسانه ، والمسيء بإسامته .

⁽١) إبراهم: من الآية ٢٧

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَلْبَلَتَ مَائِكَةً مَائَةً حَبَّةً وَاللهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءً وَاللهُ يُضَعِفُ لِمِن يَشَاءً وَاللهُ يُضَعِفُ لِمِن يَشَاءً وَاللهُ وَاسِحُ عَلِمٍ ﴿ ﴾ .

الفسردات :

(فِي مَسِيلِ اللهِ) : أَى في طريقه الموصل إلى مرضاته ، والمراد منه : الجهاد ، وأعمال البر المتنوعة .

(سَنَابِلَ) : جمع سنبلة وهي : ما يتكون فيه الحب .

(يُضَاعِثُ لِمَن يَشَآءُ): يزيد الأَجر لمن يشاءُ من أَهل الإِحسان،على النحو الذي يشاؤُه من الزيادة . كسبممائة وما دونها ، وأكثر منها .

والضعف : المثل .

(وَاسِعُ) : جزيل الثواب .

التفسير

٧٦١ ـ (مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمُوْالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَنَظُرِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سُبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلُّ سُنبُكَة بِاللَّهُ حَبَّةً ، . . .) الآية .

لا قص الله ما في القصص السابقة من البراهين على البعث ، حث على الإنفاق في سبيل الله ، لينال المنفقون ثوابهم بعد البعث الذي أثبته الله لهم بتلك البراهين . فقال جل فناؤه :

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ . . .) الآية .

سبب النزول :

رُوى أن هذه الآية نزلت في عيّان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما حث الناس على الصدقة – جين أراد الخروج إلى غزوة تبوك -جاءه عبد الرحمن بن عوف بـأربعة آلاف، وقال : أقرضتها لربى . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

و بارك الله لك فيها أمسكت ، وفيها أعطيت ، .

وقال عَيَّانَ : يَا رَسُولَ اللهُ ، عَلَّى جَهَازٌ مَّنْ لا جَهَازُ له . فَنزلت الآية فيهما .

وقيل : نزلت في نفقة التطوع .

والمعنى : أراد الله ـ تمال .. أن يصور لعباده النواب العظيم ؛ الذى ينالونه على الإنفاق فى سبيل الله ، الشاء المساهدا ، في سبيل الله ، الشامل للجهاد ووجوه البر المتنوعة ، فضرب لهم فى ذلك مثلا مشاهدا ، ليحثهم ، ويحرضهم على مواصلة الإنفاق فيه ، فَشَيَّ لهم اللين ينفقون أموالهم لوجه الله صبحانه بالزارع المفلم الناجع ، الذى يضع الحبة فى الأرض الطبية فتنبت نباتًا حسنًا ، ويتضاعف خيرها وثمرها ، فيخرج منها سبع سنابل ، فى كل سنبلة منها مائة حبة ، فيكون المجوع سبعمائة حبة .

ثم عقب الله بقوله :

(وَاللَّهُ يُضَاعِثُ لِمَن يَشَآءُ) :

أى يضاعف تلك المضاعفة ، أو دونها أو فوقها لمن يشاة،حسب حال المنفق ، من إخلاصه وتعبه .

(وَاللَّهُ وَاسِمٌ) :

كثير الجود ، فلا يضيق بهذه المضاعفة .

(عَلِيمٌ) :

بِنِيَّةِ المنفق ، ومصدر ما ينفقه ، ومقداره ، فيجازيه حسب حاله .

روى مسلم ، وأحمد ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم .. أنه قال :

و كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء
 أله . . . و الحديث .

والمقصود من العدد هنا : الدلالة على الكثرة ، لا التحديد .

(اللهِ يَ يُنفِقُونَ أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتَيعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنْ اللهِ عَلَيْهِمْ وَلاَ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَخْرَنُونَ ﴿ وَلاَ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَخْرَنُونَ ﴿) .

الفسرنات :

(مَنَّا) : المن ؛ أَن يذكر المنفق لمن أحسن إليه فضله ؛ مستوجبا به حقه عليه . (أدَّى) : الأذى هنا ؛ أن يتطاول المنفق على آخذ الصدقة بالقول أو العمل .

التفسير

٢٦٧ – (اللَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُثْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مَنَّا وَلاّ أَذْى ...) .
 الآية .

هذه الآية مستأنفة، جيء بها لبيان كيفية الإنفاق المستتبع لمضاعفة الثواب، التي مرت في الآية السابقة .

ومعى الآية : اللين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، من جهاد وغيره من وجوه البر ؛ ابتغاء مرضاته تعالى ، ثم لا يُتْمِعون ما أَنفقوا منَّا على من أَنفقوا عليهم : بنَّان يُذْكُرُوا لهم إحسابهم ويعتلوا به عليهم ولا يفهمونهم أَنهم أُوجبوا به حشًّا عليهم ، ولا يتبعونه أَنْنى لهم بالقول ، أو بالقعل — هؤلام :

(لَهُمْ أَجْرُهُمْ) :

الذي سبق بيانه في الآية السابقة .

(عِندُ رَبُّهِمْ) :

في دار الكرامة والمثوبة .

(وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنْ)

ف الدارين بن بيجية مكاورة يمم .

(P & C & C & V)

عَلَى قُومِيْ مِعْ الْمِيْدُ الْمُعَالِينِهِم حاضرة بين أيلسِم ، ومسراتهم دائمة بين جوانحهم .

(ثَوْلُوْ اللَّهُ اللّ مَنْ حَلِينَ اللَّهِ اللَّهُ ا

الفسرنات : `

(قَوْلُ مُعْرُونُ ﴾ ؛ قَالْعِرُونَ ﴾ أم لكل قعل يُعرف حسنُه ، والمراد بالقول المعروف هنا . القول الجميلي ﴾ في المنطق

(ومُغْوِرُكُ) ﴿ الْمُؤْمِدُ وَ جَالِمُ الْمُعْوِيةِ .

(خَلِمُ ٤ : الإيماني بالمقوية .

التفسير

٢٦٣ - ﴿ إِنَّ إِنَّ مُ اللَّهِ مُ اللَّهِ مَنْ مُن صَلَقَة يَتُبُعُهَا أَدًّى) الآية .

القول المجدل، الذي تقبله النفول على من يسأله الصدقة بالقول الجديل، الذي تقبله النفوس ولا تدخل المجدل الذي يعتب بالماونة في المنفوس ولا تدخل المجدل ا

والآية الكرمة في المجاهدة المنظمة المالك مع السائل هذا المسلك ، فإنه يكون أحسن وأفضل من النهجية في المنظمة المناولة عليه ، أو إيذات له يقول أو عمل .

(وَاللَّهُ غَنِينٌ ﴾ :

فلا يحوج الفقراء إلى تحمل متونة المن والأذى عَنْهِل يعرفهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ الْحَرى .

(حَلِيمٌ) :

لا يمجل بالعقوبة لأصحاب المن والأذى ؛ لعلهم يجوبون.

فعل القَيِّيِّ السلم: أن يتعظ جِمَهَا التذكير ، فيعطى بِهلا مَنْ بِهِ الْمُلْتُهُمُ أَوْ يرد السائل ردًا جميلا ، مع حسن الاحمَال لما يتقل من السائل .

(يَتَأْلِهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبَطِلُواْ مَنْهُ وَلَيْهُمْ وَالْفَقْ وَالْأَذَى كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِضَاءَ النَّاسِ وَلَا يُرَّمِنُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالُمُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالِمُ وَاللَّهُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالِمُ وَالْمَالِمُ وَالْمُوالِمُ وَالْمُؤْلِمُ وَالْمَالِمُ وَالْمُؤْلِمُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْلِمُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

الشردات :

(لَا تُبْطِلُوا صَلَقَاتِكُم) : لا تبطلوا ثوابها بالنَّ أُوبَالأَأْكُ .

(رِقَّاء النَّاسِ) : مراعاة للناس .

(صَفْوَانِ) : الصفوان ؛ الحجر الأملس .

﴿ وَابِلُّ ﴾ : الوابل ؛ أشد المطر ، أو المطر العظيم القَعلُّم .

(صَلْدًا): الصلد ؛ الحجر الصُّلب.

التفسير

٣٦٤ ــ (يُأَيُّهُا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَنَعَاتِكُم بِالْمَنُّ وَالْأَذَى. . .) الآية .

يُلِّها اللَّين آمنوا لا تضيعوا على أنفسكم ثواب صدقاتكم بالفخر على الفقراء ، اللَّين تدفعونها إليهم ، أو بالتطاول عليهم ، وإيذائهم بالقول أو الفعل .

(كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِثَنَّاء النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ :

شبهت الآية الكريمة المتصدق الذي يُتَّبِعُ صدقاته بالمن والأَذي ، بالذي يتصدق بالأَموال ؛ ليرائى يها الناس ، وهو – مع هذا – لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر . فهو لا يرجو ثوابًا ، ولا يخشى عقابًا من الله ، بل يلتمس بصدقته رضوان الناس ، لا رضوان الله .

(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانِ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا) :

شبه الله المراتى ونفقته التي لا ثواب لها ، يحجر أملس عليه تراب ، هطل عليه وابل أى مطر شديد ضغر القطر ، فأزال عنه التراب ، وتركه ناعماً أملس خاليًا من التراب .

والغرض من هذا التشبيه : أن المرائى بنفقته ، الذى لا يؤمن بالله واليوم الآخر : لا ثواب له كما سيأتى التصريح به .

(لَا يَقْلِرُونَ عَلَى مَنْ هِ يَمَّا كَسَبُوا) :

أى هؤلاء اللين ينفقون أموالهم رقاء الناس ، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، لا يقدون يوم القيامة على نيل ثواب شيء بما بالموه فى الدنيا ؛ لأنّهم لم يعملوا لمادهم ، ولا لطلب ما عند الله فى الآخرة .

وإذا كان هذا الفسياءُ مآل أُولئك المراثين ، فكذلك مآل من يشبههم ، وهم اللمين يبعلمون ثواب ما أنفقوا بللن والأذى .

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ) :

. . . والله سيحلفه وتعالى لا يوفق هوُّلاه الكفار لإصابة المحق في نفقاتهم ؛ لأَنهم آثَروا الرياء على ابتغاء مرضاة الله ، فتركهم في ضلالهم يعمهون . وقد نبى الله المؤمنين – بهذا التشبيه – عن أن ينزلقوا فيا انزلق فيه هؤلاء الكفار . فإن ف الآية تعريضًا بأن كُلاً من : الرياء ، والمن والأذى ، من خصائص الكفار ، ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها .

(وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ الْبَيْفَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثُلِ جَنَّةٍ بِرَبُوةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَعَاتَتُ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنَ فَإِن لَهُ عَاتَتُ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنَ فَإِن لَمْ يُصِبُهَا وَابِلٌ فَطَلُّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرُ (١).

القبريات :

(ابْيُّغَآء مَرْضَاةِ اللهِ) : طلبًا لرضا الله سيحانه .

(وَتَشْبِيتًا مَّنْ أَنفُسِهِمْ) : أَى وتشبيتًا للبذل والإتفاق في أَنفسهم ، حتى يكون ذلك عادة لها ، فلا تتردد فيه .

(جَنَّةٍ) : الجنة ؛ البستان .

(بِرَبُورَةٍ): الربوة ؛ المكان المرتفع عن الأَرض .

(فَأَنَّتُ أَكُلُهَا) : أعطت مأْكُولها وتمرها .

(ضِعْفَيْنِ) : مثلين . أَى مثلَىٰ ما كان يعهد منها ، أَو مثلَىٰ ما يعطيه غيرها عادة .

(وَابِلُّ) : مطر عظيم القطر .

(فَطَلُّ): مطر خفيف ، صغير القطر ، وهو الرذاذ .

التفسير

٧٦٥ - (وَمَثَلُ النَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُّ البِّيقَاةَ مَرْضَادِ اللَّهِ وَنَشْبِينًا مَّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلُمر جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابُهَا وَابِلُّ فَاتَتَثَ أَكْلُهَا ضِفْتَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلُّ فَطَلٌ . . .) الآية .

لا بهي ألله المؤمنين في الآية السابقة -عن أن يبطلوا «ملقاتهم بالمن با على من أعطّوهم ، وزجرهم عن أن يؤفوهم بتمدادها والفخر بها عليهم ، وحدرتم من مشاجة المراتين بالنفقات ، فإن الرباء والمن والأذى من صفات الكافوين - أنس ذلك بيان جزاء الإنفاق في سبيل الله ، ومعناه : ومثل إنفاق المؤمنين اللين ينفقون أموالهم في وجوه البر " طلبا لمرضاة الله تعلل ، وتثبيتاً للبلل من أنفسهم ، حتى يصبح الإنفاق في سبيل الله عادة لنفوسهم ، وطبيعة فطرية لها ، فلاريترددوا في وضع صلقاتهم في مواضعها الجايرة بها كلما دعا داع إلى ذلك - مثل ، هذا الإنفاق ، كمثل بستان بمكان مرتفع من الأرض تجود فيه الأشجار ، وتزكو البار: أنهم المناه من عاده على أصحابه من المار ضعفين ؛ لطبب تربته ، وفؤارة ماته .

ثم يقول الله تعالى :

(فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلُّ) :

فرذاذ يكفيها ؛ لتجود بشمرها ، فهي – في كلتا الحالين ــ مثمرة نافعة .

وهذا مثل ضربه الله تمالى للطائمين المنفقين في سبيل الله بحسب نياتهم ونفقاتهم ، فكلما حسنت نياتهم ، وزاد بذلهم في نفقاتهم في سبيل الله تضاعف ثوابهم كما يتضاعف ثمر البستان المرتفع : الطيب التربة ، الغزير المطر .

وإن حسنت نياتهم وقُلَّ بذلهم وإنفاقهم فى سييل الله ومندهم الكثير ، أثيبُوا كذلك ^{الن} على قدر بذلهم ونياتهم ، كما يشمر البستان المرتفع الخصب : الذى يصبيه الطل ويستى نياته المطر القليل .

قال الآلوسى : وخلاصة هذا النشبيه : أن نفقات هؤُلاه زاكية عند الله ، لا تضيع بحال ، وإن كانت تتفاوت بحسب نفاوت ما يوازنها من الإخلاص والتعب وحب المال ، والإيصال إلى الأحوج الثنى وغير ذلك .

ثم خدمت الآية بقوله تعالى :

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِبِيرٌ) :

الإيذان بـأنّه مطلع علىأعمالهم ، فيعلم قلتها وكثرتها ، وإخلاصهم فيها إن أعلصوا ، ودرجة هذا الإخلاص ، ويعلم رياعهم فيها إن لم يخلصوا ، ودرجة هذا الرياه ، وأنه يجازى كلاً على حسب حاله .

فنى هذه الجملة : ترغيب للمتفقين فى الإخلاص ، ووعيد للمراثين ، وتحلير **لهم** من عاقبة الرياء .

وفى الحديث القدمى : ﴿ أَنَا أَهْنَى الشَّرَكَاهِ عَنِ الشَّرْكُ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكُ فِيهِ مَهِى خَبْرِى، تَرَكَّتُهُ وَشَرِيحُهُ ﴾ .

(أَيَوَدُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن تَخِيلِ وَأَحْنَابِ تَجْرِى مِن تَحْيَهُ اللَّهَ مُركَدُهُ فِيهَا مِن كُلِّ الشَّمَرُتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ شُعَفَاتًا فَأَصَابَهَا إِعْمَارُ فِيهِ نَادٌ فَاحْتَرَفَتْ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَنتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿) .

القبريات :

(إِعْصَارٌ): الإعصار ؛ الريخ التي تهد بشلة فتجتاح ما أمامها .

التفسي

٧٩٦_ (أَيْرَدُّ أَحَدُكُمُ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَخيلٍ وَأَخْتَابٍ تَجْرِى مِن تَحْقِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلُّ الشَّمَّاتِ . . .) الآية . الاستفهام هنا ، للننى . والمنى : لايحب أحد أن يحدث له ما أوردته الآية الكريمة ، وهو : أن يكون له بستان فيه نخيل وأعناب -- وهما من أنفس أشجار الفواكه المعروفة وأكثرها نفمًا -- والأبار تتخلل هذه الأشجار ، ويملك فى هذا البستان - إلى جانب النومين السابقين -- جميع أنواع الأشجار الشمرة ، ثم يصيبه التلف . 1 ؟ على ماسيأتى بيانه فى بقية الآية .

(وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَاتَهُ) :

أى وتقامت السن بصاحب هلما البستان ، فصار شيخًا كبيرًا ، حاجزًا عن الكسب ، على حين أن له أولادا ضعافًا لا يقدرون على الكسب . . وهذه الحديقة هى مصدر أرزاقهم ومعاشهم .

(فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاخْتَرَقَتْ) :

فأصابت الحديقة - بغتة - ربح عاصفة مدمرة: فيها نار شديدة ، فاحرقت .

يروى: أَنْ عُمَرَ سَأَل عن هذه بعضَ الصحابة ، فقالوا : الله أَعلم . فقال عُمَرُ : قولوا : قعلَم أَو لا تعلم .

فقال لبن عباس : في نفسي منها شيء ، يا أمير المؤمنين .

فقال عمرُ : قل يا ابن أخى ، ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس : ضُربَتُ مثلا لعمل . فقال عمرُ : لأن عمار ؟

فقال ابن عباس : لرجل غنَّ يعمل الحسنات ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق – أو أحرق – أعمائه كلّها .

(كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَمَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) :

أى مثل ذلك البيان الواضح ، يوضح الله لكم الآيات ، لكى تتفكروا وتعتبووا بما فيها من العظات وتعملوا بموجبها . (يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ اَمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَتِ مَا كَسَبْمُ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِنْ الْأَرْضُ وَلَا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم وَعَاجِدِيهِ إِلَّا أَن تُغمِضُواْ فِيهٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَنِيً
وَلَسْتُم وَعَاجِدِيهِ إِلَّا أَن تُغمِضُواْ فِيهٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَنِيً
حَمِيدُ شَلَى اللهُ اللهُ عَنِي اللهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

القبر دات :

(مِن كَلِيُّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ): مِن حلال ما كسبتم وخياره .

(وَمِمَّا ٱخْرَجْنَا لَـكُم مِّنَ الْأَرْضِ) : أى ومن طيبات ما أخرجناه لكم من باطن الأَرض من النيات والحيوب والنار والمعادن وغيرها .

(وَلاَ تَيَسُّوا أَلْغَيِثُ): لا تقصدوا .. بما تنفقون .. الردىء والحرام . والتيمم في اللغة : القصد .

(أَن تُغْيِضُوا فِيهِ) : الإِضاض فى اللغة ؛ غض البصر . منُّعوذ من القموض ، وهو الغفاء . والمرادهنا : أن تتسامحوا فى أخله وتترخصوا فيه .

(حَبِيدٌ) : محمود على نعمه ، أو حامد أى مكافئ لن أنفق في سبيله من الطيبات .

التفسي

٧٦٧ – (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَنَبِئُتُمْ وَمِمَّا أَغْرَبُهَا لَكُم مُّنُ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمُمُوا الْفَنِيثَ مِنْهُ تَنفِقُونَ . . .) الآية .

سبب النزول: روى الحاكم فى المستدرك ... وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ... أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بزكاة الفطر ، فجاء رجل بشمر ردىء ، فنزلت الآية .

وروى ابن أبي حاتم والترمذي ، عن البراء بن عازب - في الآية - قال :

و نزلت فينا معشر الأنصار : كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتى من نخله على

قدر كثرته وقلته . وكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين (1) ، فيعلقه بالمسجد . وكان أهل المُستِّد ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو ، فضريه بعمماه ، فيسقط البسر والتمر فيأكل . وكان ناس ممن لا يرغب فى الخير ، يأتى الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف - والشيص : ردى التمر . والحشف : أردا التمر – وبالقنو قد انكسر فيعلقه ، فأدّول الله تبارك وتعالى :

(يَأَيُّهُا اللَّهِنَ آمَنُوٓا النفِقُوا بن طَيَّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ رَبِّمًا اَخْرَخَنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلَا تَيْسُمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَنشُمْ بِآخِلِيهِ إِلَّا أَن نَفْيضُوا فِيهِ) :

قال : لو أَنْ أحدكم أَهدى إليه مثل مَا أَعْلَى ، لم يَأْخُلُه إلا على إغماض أو حياء ، قال : فكنا بعد ذلك ، يأتل أحدنا بصالح ما عنده » .

قال الترملي : حديث حسن صحيح .

والمعنى : يُنلِّها اللين آمنوا أنفقوا من جيَّد ما كسبّم وحلاله ، وأنفقوا من طيبات ما أخرجه الله لكم من جوف الأرض ، صواء كان من النبات ، أم المعادن ، أم غير ذلك . ولا تقصلوا الردىء من أموالكم ، أو الحرام منها لتُنْفِقُوا منه .

(وَلَسْتُم بِآخِلِيهِ إِلَّاأَن تُغْيِضُوا فِيهِ):

أى أنكم لو أعطاكم أحد من هذا الصنف ، ماقبلتموه ولا أخذتموه إلا تساهلا في بعض حشكم . فأُعطوا الناس مثل ماتحبون أن تأخلوه .

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِي حَبِيدً) :

فلا يدعوكم إلى الإنفاق فى سبيله لحاجة أو عوز ، ولكنه يأمركم به لمنفعتكم . وأنه مستحق للحمد ، لأنه هو الذى يرزقكم هذه الأموال ، ويثبيكم على ما أنفقتموه منها .

(اَلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءَ ۚ وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ۚ وَاللهُ وَاسِمُّ عَلِيمٌ ۞) .

الفـرنات :

(الشَّيْهَانُ يَهِدُكُمُ اللَّهُ مَن اللَّهُ مِن اللَّهُ وإذا أَنفقتم شيئًا من الأَموال أو الشمرات.

⁽١) القنوق الأرة بملزلة المنفود من البنب .

والوعد: يستعمل فى الخير أكثر من الشر، وهو هنا، مستعمل فى الشر، كما فى قوله تعالى: و النَّارُ وَكَلَمَا اللَّهُ اللَّهِينَ كَشَرُوا ، (١١ .

(رَيَّأَمُّرُكُم بِالْفَحْشَاءَ): أَى ويحضكم على البخل بالصدقات. فالمراد بالفحشاء هنا : البخل . والعرب تطلق كلمة الفاحش : على البخيل . ومنه قول طرفة بن العبد : أرى الموتَ يعنام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد ٢٦

وقيل : المراد بالقحشاء ؛ جميع الماصي .

(وَقَضْلًا) : أَى زيادة فى الرزقُ ، أو ثوابا فى الآخرة ، أو الأمرين جميعا .

(وَّاسعٌ) : أي صاحب سعة . والمراد بها هنا : سعة النعمة والمغفرة ..

التفسير

٧٦٨ ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَمِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ . . .) الآية .

 لما رضّب الله تعالى عباده فى الإنفاق من أجود ما يملكون ، حدّرهم بعد ذلك من وسوسة الشيطان فقال :

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) : أَى يقول لكم إِن تصلقتم افتقرتم .

(رَيَّـأُمُّرُكُمْ بِالْفَحَشَـآهَ) : أَى يحضكم على البخل بلَّوالكم وحبسها عن وجوه البر؛ لتبقى لكم ، فتظلوا أغنياء ، ويعرضكم بوصاوسه هذه للبعد عن رضا الله ورحمته .

(وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ) : على الإنفاق في سبيله .

(مَغْفِرَةً مُّنْهُ) : للنويكم .

(وَلَقَشْلًا) : أَى زيادة في المخير لكم بالبركة في المال ، والسعة في الرزق ، والثواب في الآخرة . فلا تثقوا بوحد الشيطان، ولا يغرنكم بالله الغرور ، فإنه علو لكم ، وثقوا بوعد الله فإنه ريكم وهو أرحم يكم ، وأعلم بما فيه صلاحكم .

(وَاللَّهُ وَاسِمٌ) : يسم بمفشرته وفضله من أطاعوه فيها أمر ، وانتهوا عما حلم منه وأنمام . (كَلِيمٌ) : يكل شيء ، فلا يخفي عليه من أطاع شيطانه وهواه ، ومن امتثل أوامر مولاه .

⁽١) الحج من الآية : ٧٧ (٧) يعتام : بمش يختار . مثيلة مال : أي خيره ، المشدد : الشديد البخل .

(يُؤْنِى الْحِكْمَةَ مَن بَشَآءٌ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدَ أُونِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُونُواْ الْأَلْبَدِ ۞) .

القبرنات :

(الْحِكْمَةَ): هي إصابة الحق، في قول أو فعل أو رأى . وهي من الملكات النفسية العليا، التي يحنحها الله مَن هو أهل لها .

التفسير

٧٦٩ - (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآهُ . . .) الآية .

أى : يعطى الله فضل التعييز بين الحق والباطل، من يشاءُ من عباده الأُخيار، فيخار الحق ويعمل بمقتضاه ، ويذر الباطل ويبعد عن طريقه .

(وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْرًا كَثِيرًا) :

ومن يحله الله نعمة التمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والعمواب والخطم يبعده عن الماطب ، ويصل به إلى السلامة والنجاة .

(وَمَا يَذُكُّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) :

وما يتفكر كما يتفكر أهل المحكمة ، أو يتعظ اتماظهم ، إلا أصحاب العقول الخالصة ، ين شوالب الفباء والجهل ، ومتابعة الهوى ، ووساوس الشيطان .

(وَمَا أَنْفَقُتُم مِن نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرِ فَإِنَّ اللهِ يَعْلَمُهُمُّ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ أَنصَادٍ ﴿ ﴾ .

الضربات :

(مِن نَّفَقَةٍ) : النفقة ، ما ينفقه الإنسان من المال في خير أو شر .

(مِن نَّلْوِ): النَّلُو ؛ هو مايوجبه الإنسان على نفسه ، من غير أن يلزمه الله به قبل نذوه ، ثم يعمير – بالنذر – واجب الأداء شرعًا .

التفسير

٧٠٠ - (وَمَاۤ أَنفَقُتُمُ مِّن نُفَقَةٍ أَوْ نَذَوْتُم مِّن نَذْرٍ فَإِنَّ اللهِ يَعْلَمُهُ . . .) الآية .

هذه الآية مسوقة للحث على تنقية النفقات والنلور ، وتخليصهما من شوائب الشر .
ومعناها : وما أنفقتم ــأيها المكلفون ــمن نَفَقَتَم قليلة أوكثيرة ، أو نلرتم من نذر هَانَ أَو عظّم ، فإن الله يعلمه بجميع أحواله وأوصافه ، من طيّب أو خبيث ، قلة أو كثرة ، ابتغاء وجه الله به ، أو ابتفاء وجه سواه ، وتوجيهه إلى مايرضي الله أوما يغضبه ، ويجازيكم عليه .

(وَمَا لِلظَّالِمِينَ) :

اللين يضعون الأمور في غير مواضعها ، ويبللون المال في غير وجوهه المشروعة ، ويضنون به على مستحقيه .

(مِنْ أَنصَارٍ) :

عنمونهم من عذاب الله على ظلمهم .

(إِن تُبَدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِمِمًا هِيَّ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمَّ وَيُكَفِّرُ حَنكُم مِّن سَيِّفَا تِكُمَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞).

الفرنات :

(إِن تُبْدُوا السَّلَقَاتِ) : إِن تظهروها بحيث يراها الناس ليقتدوا بكم .

(فَنِعِمًّا هِيَ) : فنعم شيئا هذه الصدقات التي أبديتموها .

وفي الكلام مضاف مقدر ، أي : فنحما إظهارُها .

التفسير

٢٧١ - (إِنْ تُبِنُوا السُّلَقَاتِ فَنِصًّا هِيَّ ...) الآية .

أى إن تظهروا الصلقات للفروضة أو للقطوع بها - وأَنَّمَ تَعْفُونها لمستحقيها من المحاجين - فنم شبئا إظهارها، لما فيه من تنى تهمة البخل منكم، وحمل الفير طى الاقتداء فى التصدق بكم .

(وَإِن تُخْفُوهَا ﴾ :

أى تسترونها عن أهين الناس ، ابتعادا عن مظنّة الرياد والنفاق ، وحماية لآخليها من موقف الذلّ والهوان أمام الناس .

(وَتُؤْتُوهَا اللَّهُ قُرَّاتُهُ) :

أى تعلوها من يستحقها من الفقراء ، بعد أثماً كد من فقرهم بالتحرى عنهم ، لتقع الوقع الشرعي المطاوب .

(فَهُوَ خَبْرُ لُكُمْ) :

فالإنتقاء خير لكم وأقفيل عند الله من الإظهار .

(وَيُكَفِّرُ حَنكُم مِّن سَيَّاتِكُمْ) : (مِنْ) : بمني بعض .

أَى والله يكثر منكم بعض ذنوبكم اقبل الصلقات يُكثُرُّها بعض السيئات الاجميعها . وقد دلت هذه الآية ، عل أن الصدقة سرًّا ، أفضل من الصدقة حلنًا .

قال الآلوسى : والأكثرون على أن هذه الأقصلية فيا إذا كان - كل من صدقتى السر والعلاتية – تطوعاً مِنْنُ لم يعرف بمال و أي لم يعرف بغى ، وإلا فيلمناء الفرض لغيره و أي لغير المتطوع المذكور ، ألفضل لنفى التهمة ، وكلما الإظهار ألفضل لمن يقتلك يه وأَمِنْ نَعْسُه . انْبَصِى .

وهن أبن خَاص - رضى الله حنه - و صلقةً السَّر فى التطوع تفضل على حلاتيتها سبعين ضعفا ، وصلقةً القريضة حلاتيتُها أفضلُ من سرَّما يخسمة وعشرين ضعفا ، و كذلك جميع الفرائض والتوافل فى الأشياء كلها ، انتهى . وفضل صدقة السر على صدقة الملاتية ، يؤيدها ما رواه الشيخان مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم - قال : وسيمة يُظِلِّهم الله تعالى في ظلَّه يوم لا ظلَّ إلا ظله : إمام عَدْل ، وشابٌ نشأ في حادة الله ، ورجلٌ قلبه مطنّى في المساجد، ورجلان تحابًا في الله : اجتمعا عليه وتفرّقا عليه ، ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةً ذاتُ منصب وجمال فقال : إلى أخافُ الله ، ورجلٌ تَملّق بعدقة قاّخاها حتى لاتعلمُ شِمَالُه ما تنفقُ بمينّه ، ورجلٌ ذكر الله خاليا ففاضَتْ عَيْناه ء (١٠)

وأخرج الطبراني مرفوعا : • إنَّ صدقَةَ السَّرُّ تُطفيعُ غَضَبَ الرَّبُّ ، .

(وَاللَّهُ بِمَا تَمْمَلُونَ خَبِيرٌ) :

فهو يعلم جميع أعمالكم سرها وجهرها ، ويعلم صلقاتكم ودوافعها .

(لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَنهُمْ وَلَنكِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءٌ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا أَبْتِغَآء وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴿ ﴾).

القبرنات :

(هُدَاهُمْ) : الهدى لغة : الدلالة والإرشاد ، وقد يطلق على الاهتداء والرشاد ، وهو المراد هنا _ تقول : هديته فهدى واهتدى أي أرشئته ودللته فرشد واهتدى .

(الْبَيِّكَآءُ وَجُّهِ اللهِ) : طلبا لوجهه سبحانه ، والمراد بوجه الله : ذاته ، أو جهته.

التفسير

٧٧٧ ... (لَيْسَ عَلَيْكَ مُدَاهُمْ ...) الآبة .

كان – النبي صلى الله عليه وسلم – حريصا على أن يتدى الناس لما هداهم إليه . وكان يهذل فى ذلك أشد الجهد ، ويتحمل فى سبيله عبثا نفسيًا شديدا .

⁽١) التص البشارى فى باب الصنفة باليمين .

فأَنزل الله عليه هذه الآية ، ليخفف عنه أعباءه النفسية ، ببيان أنه ليس عليه سوى التبليغ . وأما الاعتداء ، فمن الله . وأن من أحسن فلنفسه .

والآبة متوسطة بين آيات الحث على الإنفاق ، مبالغة فى حمل المخاطبين على الامتثال . وإلى هذا ذهب العصن وأبو على الجبائى .

والمعنى : ليس واجبا عليك يامحمد ، أن تجمل هؤلاه المأمورين بتلك للحاس ، المنهيين عن أضدادها - مهتدين إليها عاملين بها فعلا ، فللك ليس من شأتك ، ولست مكلفا به ، ولكنه شأن الله الذي بهدى من يشاء إلى الخير ، وهم أولئك اللين اتجهوا باخيارهم إليه ، فيعينهم ويوفقهم وياميم .

واتجه بعض المتسرين إلى أن الضمير فى ﴿ هُدَاهُمْ ﴾ لايرجيم إلى من أمروا بالنفقة فى الآيات السابقة واللاحقة ، بل يرجع إلى الكفار، وإن لم يُذكّروا ، مراحاة لسبب النزول .

فقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره ، عن ابن عباس رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يأمرنا ألا نتصدق إلاً على أهل الإسلام ، حتى نزلت هذه الآية .

وأخرج ابن جرير عنه قال : و كان أناس من الأُنصار لهم أُنسباء وقرابة . و كانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ، ويريدونهم أن يسلموا ... فنزلت » .

وأخرج ابن أبي شيبة ، عن سعيد بن جبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يَصَدَّقُوا إِلَّا عَلِي أَهْلِ وِينِكُم ، فأقرل الله تعلل : (لَيْسَ صَلَيْكَ مُدَاهُمْ) .

والمعنى على هذا الرأى : ليس واجبا عليك أن تُلْجِئَ هُؤُلاهِ الكافرين إلى الإسلام ، إن عليك إلا البلاغ ، وقد فعلت ، فلا تجعل التصدق عليهم منوط بإسلامهم .

والآية على هذا، لاتعتبر بعيدة عما قبلها وما بعدها من آيات الإنفاق ، إذ هي لإباحة الإنفاق على من خالفنا في الدين .

(وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ :

أى وما تنفقوا فى الوجوه المشروعة من مال طيب .

(فَالْأَنْفُسِكُمْ) :

لا يعود نفعه إلا طبيكم ، قلا تنفقوا من الخبيث ، ولا تبطلوه بالمَنَّ والأَذَى ، ومراعلة الناس .

أو ، فلا تمنعوه عن الفقراء من الكفار ، فإن نفحكم به ديني ، ونفع الكافرين به دنيوى ، فلا يُمَندُ عنهم ؛ لأن الإسلام لا يمنع البيرٌ عن الناس ، مهما كان دينهم .

(وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِفَاء وَجْهِ اللهِ) : الجملة معطونة على ما قبلها ، أو حال .

وللمنى : وماتنفقون من الخير –لسبب من الأسباب – إلا ابتفاء وجه الله ، وطلبا لرضاه . وإذا كان أمركم كذلك ، فلا يضيركم أن تعطوا منه الفقراء الكفار ، فلاتمنعوهم إياه ، فإن لكم ثوابه .

ويجوز أن يكون النفى فيها بمنى النهى ، أى لا تنفقوا الخير إلا لوجهه تمالى ، لارباة ولالغرض من الأغراض العنيوية (١٦

﴿ وَمَّا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفُّ إِلَيْكُمْ ﴾ التوفية : إكمال الشيء .

أى وما تنفقوا من خير تُعْطُون جزاته وافرا وافيا ، فلا عدر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه ، على أن يكون على أحسن الوجوه وأجملها .

وقيل : المنى : يوف إليكم خلفه فى اللنيا ، ولا ينقص به من مالكم شىء . نقول : ولا يمنع هذا ثواب الآخرة .

(وَأَنتُمْ لَاتُظْلَمُونَ): أَى لاتنقصون شيئا مما وُعدتم به من الثواب .

⁽ ١) و بما أنه تمال ليس كشاه لميه ، فالمراد بوجه أنه ، ذاته أمر جهته . وعلى كل ، فالمقصود من التعبير به أن الدر ت القدرى : الإسلام وعدم الإشراك . أنى ماتتفقود إلا إبتفاء أنه تمالى ، هرن أن يكون لكم مأرب آخر سوى رشماه سيحانه . وإذا كانت الجملة عبرية ، فقيها شهادة من أنه تمال الاسحاب رسوله ، وثناء طبيم باتهم مخلصون أن إنفاقهم ، فلايتبطون به سواه سيحاله .

وفى الآية : دليل على جواز دفع صدقة التطوع للكافر .

أما الصلقة المفروضة في المال والزرع ونحوها – أي الزكاة – فلا يجوز دفعها له .

(لِلْفُقَرَآء الَّذِينَ أَحْمُرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضُ عُسَبُهُمُ الْمَاهِلُ أَخْنِيآء مِنَ التَّعَفُواْ تَعْرِفُهُم بِسِيمَنُهُمُّ لَا يَسْعَلُونَ النَّاسَ إِلَّمَاقًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرِ فَإِنَّ اللهَ يِهِ عَلِيمٌ شَلِيمٌ ﴾ .

الفيريات :

(أَخْصِرُوا فِي سَهِيلِ اللهِ): حبسوا في سبيله تعالى بالجهاد ، أو العمل في مرضاته . (ضَرَبًا في الأَرْض) : سَعيا فيها للتكسب .

(منَ التَّعَمُّف) : من أجل تعففهم وامتناعهم عن السؤَّال .

(تَمْرِقُهُم بِسِيمَاهُمْ) : أَى بعلامتهم كرِقَّةِ الحال ، أَو صُفْرَةِ الوجه أَو نحوهما .

(لَا يَسْأَلُونَ آلنَّاسَ إِلْحَاقًا) : لا يسأَلونهم - ملحين في السوَّال - حتى يعطوا .

التفسير

٧٧٣ -ـ (لِلْفُقَرَآء الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ...) الآية .

سبب النزول : نزلت فى أهل الصفة ، وكانوا نحو ثلاثمائة من فقراه المهاجوين يسكنون سقيفة مسجد المدينة ، يستغرقون أوقائهم بالتعلم والجهاد ، وكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله - صلى الله عليه وسلم --

قاله ابن عباس ومحمد بن كعب القُرُظي .

وعن سعيد بن جبير : هم قوم أصابتهم الجراحات في سبيل الله ، فصاروا زَمْنَى ، فجعل الله لهم في أموال المسلمين حشًا .

نقول : والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب . فكل من كان على مثل حالهم ، يستحق الصدقة . وكذا . كل من كان كسبه لا يكفيه .

(لَلْفُقُرَآهِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ):

أى اجعلوا صنقاتكم للفقراء اللين حبسهم عن التكسب العملُ في سبيل الله ، كالجهاد وطلب العام ؛ لأَمِم بسبب ذلك - لايستطيعون صعيا في الأَرْض للتكسب وجلب الرزق .

(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّانِ) :

أى يظنهم من لايعرف حالَهم - أغنياء : لا يستحقون الصلغة من أجل تخفهم ، وامتناعهم عن السؤال .

(تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ) :

أى تمرف فقرهم بملامتهم الملازمة لهم ، المنبهة انفقرهم . وهي صفرة الوجوه ، والجهد والانكسار ونحو ذلك .

والخطاب قى (تَعْرِفُهُمْ) عام ثلرسول – صلى الله عليه وسلم – وغيره ممن يَنْظُر حالهم .

(لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَالًا): أَى لا يسأَلُون الناس مُلِحِّين في السوَّال؛ كعادة الفقراء.

> والمراد : أنهم لا يستألون الناس أصلا ، كما قاله ابن عباس . ومن أجل ذلك جُهِل حالهم ، ولم يُعرَفوا إلا استنباطا من علاماتهم . فالنَّفي هنا موجه ، للأَمرين جميعا : السؤال ، والإلحاح . وإلى هذا ذهب الفراة ، والزجاج ، وأكثر الفحسرين .

وڤيل : المراد ، أنهم لا يسألون ، وإن سألوا عن ضرورة – لم يلحوا . والأول هو الراجع . (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ) :

فيجازيكم عليه ؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ، وهو ترغيب فى الإنفاق عموما ، وهلى هؤلاه خصوصا .

أخرج البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ : و لَيْسَ المسكين الَّذِي تَرَكُهُ التمرةُ والتَّمرتان ، واَلْقُمَةُ واللَّفَتانِ ، إنمَا المسكينُ الذي يَتعفَّفُ ، واقرءوا إن شئتم قوله تعالى :

(لَا يَشَأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ .

(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَ النَّهَارِ مِرًّا وَعَلَانِيَةٌ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ ﴿ ﴾).

التفسير

٢٧٤ = (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالُهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَكَرْبِيَةً . . .) الآية .

لما بين الله فى الآية السابقة أوْلَى الناس بالصلغة ، بيَّن فى هذه أكْمَلَ وجوه الإنفاق . سبب النزول :

أخرج ابن المنذر ، عن ابن المسيب : أن الآية نزلت في عيَّان بن عفان ، وعبد الرحمن ابن عوف ، في نفقتهم في جيش العسرة .

وَرُوِيَ غَيْرُ ذَلكِ .

والآية عامة الحكم ، وإن نزلت بسبب خاص .

(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَادِ) :

أَى في جميع الأَّوقات ، فلا يخصون وقتا دون وقت .

(سِرًّا وَعَلَاتِيَّةً) : أَى في جميع الأَّحوال ، فلا يلتزمون حالا معيَّنَّةً .

(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) : اللائق بهم .

(عِندُ رَبِّهِمْ) : في دار كرامته .

(وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) : من لحوق مكروه بهم .

(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : على فوت شيء من مطالبهم .

وفى تقسيم : الليل على النهار، والسر على العلانية، إشعار بِأَنْ إخفاء الصدقة أُولى من إظهارها .

وفى الآية :حثَّ لأَهل الفنى واليسار ، على الإنفاق فى جميع الأَوقات والأَحوال ، وترغيبٌ لهم ــ فى ذلك ــ بما وعدهم الله من الأَجر العظيم عنده فى دار كرامته . كما أَن فيها إشعارا ــ عن طريق المفهوم – بأَن البخلاء محرومون من هذا الأَجر الجزيل، وأَنهم عرضة للخوف والحزن .

روى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ، لما استُخْلِفَ - خطب الناس فَحمِدَ اللهُ وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس : إن بعضَ الطبحِ فقرٌ ، وإن بعضَ اليقْبِي غنى ، وإنكم تَجمعونَ ما لَا تَأْكُونَ ، وَيُونَمُ مَا لَا تَتُحِمُونَ ما لَا تَأْكُونَ ، وتَوْمُلُونَ ما لا تُدوكونَ ، واعلموا أنَّ بعضا من الشع شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيرًا لأنفسكم ، فأين أصحاب هذه الآية ؟ وقرأً هذه الآية الكريمة التي تحن خيرًا لأنفسكم ،

القبرنات :

(اللَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرَّبَا): المراد بأُكله؛ الانتفاع به، عبر به عنه لأنه أهم ما قصد به. والربا لغة : الزيادة. وشرعا : مال زائد في معاوضة – مبادلة - مالية ليس له مايقابله .

(يُتَخَبِّقُهُ الشَّيْطَانُ): بمسه بالأَذى – قاله صاحب القاموس – وهو كما قال الآلومي : ضربات متوالية على أنحاء مُختلفة . ثم تُجَوِّزُ به عن كل ضرب غير محمود .

(فَانتُهَى): أَى كُفُّ مِن الربا .

(يَسْحَنُ اللَّهُ الرُّبَّا) : يذهبه ويهلكه – أو المغنى يهلك المال والربح الحرام .

(رُيُرْبِي الصَّلَقَاتِ) : أَى يزيد ثوامها ، أَو يزيد المال الذي أُخرجت عنه ...

(كُلُّ كُفَّارٍ) : كل مبالغ في الكفر بإقامته عليه .

(أُثِيرٍ) : منهمك في ارتكابه الإثم .

التفسير

٢٧٠ – (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرَّبَا ۚ لَا يَقُومُونَ إِلَّا ۚ كَمَا يَقُومٌ الَّذِي يَتَخَبُّقُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ النَّسْ ...) الآية .

بعد أن بين الله فضل الإنفاق ، ومدٌّ يد المونة إلى الفقراء والمحرومين ــ أتبعه دم أهل الربا : اللين تتصون دماء الناس بدلا من معلونتهم والإشفاق عليهم . والمنى : الذين يأعلون الربا ويتصرفون فيه : بأى وجه من وجوه التصرف: أكلا أو غيره مثلهم - فى جشعهم وحرصهم على تشير أموالهم ، وشدة تفكيرهم فيها وتحركهم فى اكتسابها ، والكلب عليها - كمثل الذى يتخبطه الشيطان ، ويصرعه بسبب مسَّه له ، فهو دائم الحركة كالمسعور والمجنون .

وتأويل الآية بنذا الوجه ، هو رأى ابن عطية . وهلي هذا النحو . يقول الناس فيمن يسرع بحركات مختلفة : فلان كالمجنون .

ويرى غير ابن عطية أن الآية على منى : أن من يأ كلون الربا لايقومون من قبووهم

-يوم القيامة- إلا كالمجانين اللين يتخبطهم الشيطان من المس . مُستدلين ينحو ما أخرجه
الطبرانى عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله حسل الله عليه وسلم - : « إياك واللنوب
التي لاتُنفَر : المُلولَ .. فَمَن فلَّ شيئا أَتَى به يوم القيامة ، وأكّلَ الربا ، فمن أكلَ الربا
بُوتُ يوم القيامة مجنونا يتخبط ، ثم قرأ الآية ، قالوا : ولعل ذلك جعل علامة له يعرف
ها في ذلك اليوم الرهيب .

وممن نسب إليه القول بذلك ابن عباس ، وابن مسعود وقتادة ، واختاره الزجاج .

ومس الشيطان الذي يحدث به التخيط يحتمل أن يكون الوسوسة الدائمة ، فإنها تنتهى إلى الجنون ، ومن إطلاقه على الوسوسة قوله تعالى : د ... إذا مَسَّهُمْ طَائِكُ مُنَ السَّيطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُّيْصِرُونَ * أَهُ أَن يكون ضربا من اللقاء الجسدى بينه وبين من يمسه من الإنس ، يحدث به الاختلاط والجنون ، كما يقوله المعنيون جلما الضرب من العلم .

والمنى الأُخير، هو المعروف عند العرب، ومن ذلك ماقالته قريش فيا عرضوه على النبي -صلى الله عليه وسلم -ليكف عن التحرض لآلفتهم وتسفيه أحلامهم 3 وإن كان الذي يأتيك رئيًّا أى- جنيًّا - قد غلب عليك، بَذَلتا أموالنا في طلب الطب لك، حتى نُبْرِتُكُ أَوْنُعْلَرُ فيك ٠

(ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرَّبَا) :

الإشارة فى (ذَٰلِكَ) راجعة إلى أكلهم الربا ، يعنى أنهم استحلوا الربا وأكلوه وانتفعوا
به ، بسبب أنهم جعلوه مثل البيع فى الحل ؛ لاتفاقهما فى المعلوضة والزيادة من أحد
الجانبين . فكما أنه يحل بيع ماقيمته أربعة دراهم بخمسة ، فكذلك يحل بيع أربعة
(1) الأحراف عن الآية ٢٠٠١

هراهم بخمسة ، وقد أخطأترا في الحكم تبعا لخطائهم في القياس ، على ماستبينه . وإنما قالوا : (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) ولم يقولوا : إنما الربا مثل البيع؛ لإرادة المبالغة ، كأَمِم جعلوا الربا أشلا للجل ، وشبَّهُوا البيع به في الحكم كما في قول الشاعر :

> ومَهِمَهُ مُنْبِّرةً أَرجاؤه كَأَن لُونَ أَرضه مياؤه (وَأَخَلُّ اللهُ الْبُيْمَ وَخَرُّمَ الرُّبَا) :

هذه جملة مستأنفة للرد عليهم ، والمني : وأحل الله البيع وحرم الربا بالنص ، ولايممع القياس مع وجود النص بمن له حق التشريع . وهو الله سبحانه وتعالى .

والقرق بينهما فى الحكم ، تابع للفرق بينهما فى المتنفى للحكم ، فإن من باع ثوبا قيمته أربعة دراهم بخسة ، فقد جمل الثوب كله فى مقابل هذه الخبسة ، فلاشىء منه إلا وهو مقابل لجزو من الدراهم الخبسة ، أما من باع أربعة دراهم بخبسة ، فقد أخذ الدرهم الزائد بغير عرض ولايمكن جمل الإمهال فى مقابلته ، لأن الإمهال ليس بمال حى يكون فى مقابلة المال . فضلا عن أن الربا يمنع أصحابه عن الاشتفال بالتجارة والصناعة ذات المنافع العامة ، ويفضى إلى انقطاح المعروف بين النامى ، فتضيق الحياة عليهم . فلو أن المأتفع العامة ، ويفضى إلى انقطاح المعروف بين النامى ، فتضيق الحياة عليهم . فلو أن المأتبع ، لاستكل المرابى حاجة النامى ، وأكبّل أموالهم بالباطل ، وسد عليهم أبواب الفرج والرحمة .

فلذا كان من رحمة الله بـأصحاب الحاجات ، أن حَرَّم الربا على أصحاب الأموال؛ حتى يسود التراحم بين الناس . . . وتلك سنة الإسلام في التشويع .

(فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةُ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَاسَلَتَ) :

أى فمن بلغه موخلة وتذكير فى شأن الربا من ربه ومالك أمره، فانتهى عنه، وامتنع من الاستمرار فى التعامل به، فله ماتقدًم من المال الربوى لايُستَرَدُّ منه ، ولايُقُهرُ على رده

وهذا ملعب الباقر وسعيد بن جبير ، في فهم الآية .

وقال السدى وغيره ، معناها : لامؤاخلة على ما أخله ^(۱) ، لاق الدنيها ، ولا في الآخرة . وقال القرطبي : هذا حكم من الله لمن أسلم من كفار قريش وثقيف، ومن كان يُتَّجرِ هنالك .

⁽١) أي ما أعلد قبل أن يبلنه التمري.

ونقولُ : إن غيرهم ممن أسلم ، وكان فى كفره مرابيا ، له هذا العحكم لّيضا . (وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ) :

أى وأمر المنتهى عن الربا إلى الله تعالى : إن شاء ثبتّه على الانتهاء عن الربا أصدق نبيته ، وإن شاء خذله لعدم النجدُّ في انتهائه وخور عزعته .

ويجوز أن يكون المعنى : وأمره متجه إلى طاعة الله ، كما تقول : وأمره في مُعوِّ وإقبال إلى الله وطاعته .

وأجاز يعضهم عود الضمير على الريا ، أَى وأَمر الريا إلى الله تعلى فى العفو هنه ، وإسقاط التَّبَة عليه .

﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِلُونَ ﴾ :

أى ومن عاد إلى الربا مستحلاً له ، قائلا : إن الربا مثل البيع فى الحل ، لأنه حَمَلُ تجارى مثله ، فأُولئك العائدون المستحلون أصحاب النار ، الملازمون لها ، هم فيها خالدون لايخرجون منها أبدا ؛ لأن من استحل ماحرمه الله نَصًّا ومداولاً . فهو كافر بالإجماع . والكافر خالد فى النار أباما .

وإن جعلنا الآية فى مسلم يقول بحرمة الوبا ، ولكنه يعمى ربه باستدامة التعامل به بعد النوية ــ فالمراد بالخلود هنا : المكث الطويل ، كما تقول العرب : « خَطَّد اللهُ ملكك ، أَى أَيقاك أَمّدا طويلا .

٢٧٦- (يَمْحَنُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّلَقَاتِ) :

أراد الله أن يوقف سيل الطمع فى نُمُوّ المال عن طريق الربا ، وأَن يفتح القلوب على الصدقات، فبين عاقبة كليهما، فقال مامناه : ينقص الله الربا ، فَيُذهب البركة من ماله فى اللمنيا وإن كان كثيرا ، ويجعل عاقبته فى الآخرة خسراتا وعقابا ، ويزيد الصدقات ، وينميها فى اللمنيا بالمبركة فى مالها ، وفى الآخرة بمضاعقة الأَجر عليها .

روى ابن مسعود أنه ... صلى الله عليه وسلم .. قال : و إنَّ الربا وإن كَثُرَ مَعاقِبَتُهُ إلى ثُلًا . .

وروى البخارى، ومسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم - :

⁽١) أغرج أجد، واين جرير، والحاكم وصمحه .

ه من تصدّق بعيدًا تشرة من كسب طيب - ولا يقبل الله تعالى إلاطيبًا - فإن الله تعالى يقبلها بسهنه ، ثم يُرثيها الصاحبها كما يربي أحدكم فُلُون (أأ حتى تكون مثل الجبل ».

وفى الآية لطيفة فائقة ؛وخلاصتها: أن المرابي إنما يطلب فى الربا زيادة المال ، ومانع الصلغة إنما يمنعها طلبا لزيادة المال أيضا ، فبين الله تعلى أن الربا سبب لنقصانه ، وأن الصلغة سبب ليائه ، فلذا عقبت آيات الإنفاق بآيات النهى عن الربا وبيان ضرره .

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلُّ كَفَّارِ أَثِيمٍ) :

أى والله لايرضى عن كل مقيم على الكفر ، بليغ الإثم ، بِجُمَّلِهِ البيع مثل الربا في الحل ، أُو بغير ذلك من ألوان الكفر .

وإنما حرم الربا لما فيه من التضييق على الناس وتخريب البيوت ، كما هو مشاهد فيمن يتعاملون به يخلاف التجارة، فإنها مورد للأرزاق سائغ ، ولاضرر فيه على الناس، فلذا أطها الله تعالى مادامت فى الحدود المشروعة .

(إذَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَدَتِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوَةَ وَدَاتُواْ الرَّكُوةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخَزَنُونَ ۞).

التفسير

٢٧٧ - (إِنَّ النَّذِينَ آ مَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَانُوا الصَّلَاةَ وَآ تُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
 عِندٌ رَبِّهِمْ وَلا خَوْلُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزُنُونَ) :

لما بين الله تعالى ضور الربا ، وفضل الصلقة فى اللنيبا والآخرة ، عقب ذلك ببيان فضل الإيمان والعمل الصالح بصفة عامة .

فقال الآية .

⁽¹⁾ أي أمهره.

والمدنى : إن اللذين صدقوا بالله ورسله واليوم الآخر ، وعملوا الصالحات التى اشتمل عليها كتاب الله وسنة رسوله ، وخصُّرا الصلاة والزكاة بعناية خاصة ، فأدَّرًا الصلاة في أوقاتها : بأركائها وشروطها ، والخشوع اللائق بها : وأعطّرا الزكاة لمستحقيها ، وداوموا على ذلك لم أجرهم المرعود في الكتاب والسنة عندرهم في الآخرة ، إذ ينعمون بجنة فيها ما لاعين وأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولاخوف عليهم من مكروه يصبيهم ، ولاهم يحزنون على فوت مرغوب لهم ، فهم في طهأتينة دائمة ونعم مقم .

وخصى الصلاة والزكاة بالذكر - مع دخولهما فى العمل الصالح - تنبيها على فضلهما على غبرهما من العبادات . فالصلاة وأمن الأعمال البدنية والروحية . والزكاة وأمن الأعمال المالية . فلذا ينبغى أن يخصا بعناية خاصة . كما خصهما الله بالذكر من بين الأعمال الصالحة التي ذكرها عامة .

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ التَّقُواْ اللهَ وَذَرُواْ مَا بَقَيَ مِنَ الرِّبَوَاْ إِن كُنتُم مُوْمِنِينَ ﴿ فَي فَإِن لَمْ تَفْعَلُواْ فَأَذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ كُنتُم مُوْمِنِينَ ﴿ فَي فَإِن لَمْ تَفْعَلُواْ فَأَذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبتُم فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَ لِكُمُ اللهُ وَلَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿ لَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

الفيريات :

(وَذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرَّبَّ) : واتركوا مابقى لكم منه عند الناس . (فَالْفَنُوْ ا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) : فَأَيْقِنُوا بحرب من الله ورسوله ، وبذلك قرأً الحسن .

التفسير

٧٧٨ - (يَا أَيُّهَا النَّلِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَى مِنَ الرُّبَا إِن كُنتُم مُّوّْمِينِينَ ﴾ :

سبب النزول:

قال السدى : نزلت هذه الآية لى العباس بن عبد المطلب، ورجل من بنى المنيرة ، كانا شريكين لى المجاهلية ، وكانا يتعاملان بالربا مع ناس من ثقيف ، فجاء الإسلام ، وفهما أموال مظيمة عندهم ، فتركوها حين نزلت .

وأخرج لمن أبي حاتم عن مقاتل قال: نزلت هذه الآية في بني عمرو بن عمير ، وهم الطالبون ، وللطلوبون بنو المغيرة من بني مخزوم، وكاتوا يداينون بني المغيرة في الجاهلية بالريا . وكان النبي - صلى الله طيه وسلم حسالم ثقيفا ، فطلبوا دباهم إلى بني المغيرة ، وكان مالا عظها . فقال بنو المغيرة : والله الإيعام الريا في الإسلام ، وقد وضعه الله تعالى ووسوله عن المسلمين ، فعرفوا شأتهم معاذ بن جيل ، ويقال غناب بن أسيد ، فكتب إلى رسول الله حاسل الله عليه وسلم - إن بني عمرو يطلبون دباهم عند بني المغيرة ، فأتزل الله تعالى الميان بالمين آكثوا . . .) المغ فكتب رسول الله حاسل الله عليه وسلم - إلى معاذ المناب على معرو يطلبون راهم معلى الله عليه وسلم - إلى معاذ المن جبل و أن اعرض عليه علم الآية ، فإن قدارا فلهم دعوس أموالهم ، وإن أبرًا فآؤتهم بحرب الله ورسوله » ذكره الآومي .

والمنى: يا أيها اللين آمنوا، قوا أنفسكم واضطوها من حقاب الله ، واتركوا مابقى لكم على الثلس من مال الربا إن كتتم مؤمنين صادقين، فإن من شأن الإيمان الحقيقى ، أن يكف أصحابه من حصيان أوامر الله تعالى ، ويخاصة ما كان متعلقا بحقوق الآدبيين .

٢٧٩ - (فَإِن لَّمْ تَفَكُّوا فَأَفَنُوا بِحَرْبٍ مَّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ . . .) الآبة .

أى فإن لم تفعلوا ما أمرتم به ، فأيقنوا بحوب من الله ورسوليه ، وإن تبتم عن الربا ، فلكم رئوس أموالكم لاتظلمون فرماة كم يأتحد الربا طبيها ، ولاتظلمون منهم بالنقص منها ، أو الحلق ق أدائها ، فإن التقص منها حرام وظلم ، وكذا المطل والتأثير في أدائها مع الغني والسعة .

والمراد بحرب الله ورسوله: إهدار دم المرايي. كما قال ابن عباس. فقد ورد عنه أنه

قال : من كان مقبا على الربا لا يَنْزِع عنه ، فحق على إمام المسلمين أن يستنيبه ، فإن نَزَع (أ والأ ضرب عُنُقَه .

وقال قتادة : أوعد الله أهل الربا بالقتل، فجعلهم بَهْرَجاً _أَى شيئا مباحا_ أَيها ثقفوا.

وقيل: المننى: إن لم تنتهوا فأنّم حرب لله ولرسوله ، أَى أعداء . وقال ابن خُويُوْمِنْداد : وَكُوْ أَنْ أَهَلِ بلد اصطلحوا على الربا استحلالا كانوا مرتدين ، والعكم فيهم كالعكم فى أَهْلِ الرَّدة ، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالا ، جاز للإمام محاربتهم .

وكما شدد القرآن في تحريم الربا شددت السنة .

روى البخارى عن أبى جعيفة قال : « نمى رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – هن ثمن الدم (أى أجر الحجامة) وثمن الكلب ، وكسب البَغِيَّ ، ولعن آكلَ الربا وموكله ، والواشمة ، والمستوشمة ^(۲) والهموَّر » .

وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. قال :

اجتنبوا السبم الموبقات، وذكر فيها آكل الربا.

وروى أبوداود عن ابن مسعود قال :

العن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - آكل الربا ، وموكله وكاتبه وشاهده ».

وقد تنبأً النبي – صلى الله عليه وسلم – بانتشاره ، فقال : « يأتى على الناس زمان لايبقى أحد إلا أكل الربا، ومن لم يأكل الربا أصابه غباره » صدق رسول الله .

فهذا مانشاهده في جيلنا . . . يرحمنا الله .

قال القرطبي : قال علماؤنا : وكيف يتوب المرة من المال الحرام ؟ . إن سبيل التوبة مما بيده من الأموال الحرام ... إن كانت من ربا فليردها على من أربي عليه ، ويطلبه

⁽١) أي أقلع من الرياو تركه .

^(7) الرائحة : التي تفعل الوشم ، وهو شرز الإبرة في البدن ، ووضع ماهة زوقاء في مكان الوشم وأسمها (النبلج) وتسميا العامة الديلة ، والمستوشمة هي طالبة الوشم .

إن لم يكن حاضراً ، فإن أيس من وجوده فليتصدق بذلك عنه ، وإن أعظه بظلم ، فليقعل كذلك في أمر من ظلمه ، في التبس عليه الأمر ، ولم يكثر كمّ (١) الحرام من الحلال على بيده ، فإنه يتحرى قدر مابيده ، عا يجب عليه رده ، حتى لايشك في أن مابيتي قد خلص له ، فيره من فلك الذي أزال عن يده ، إلى من حرف عن ظلمه ، أو أرب عليه . فإن أيس من وجوده ، تصدق به عنه ، فإن أحاطت المطالم بلمته ، وعلم أنه وجب طبه من قلك مالايطيق أداء أبنا لكثرته ، فتويته : أن يزيل مابيده أجسع : إمّا إلى المساكين ، وإما إلى المساكين ، على يده إلا أقبل مابيزته في الصلاة من اللهاكس وهو مابستر المورة ، وهو من سرته إلى ركبتيه – وقوت يومه ، الأنه هو الملى يحب له أن يأخذه من مال فيره إن اضطر إليه ، وإن كره ذلك من يأخذه منه ب المغ

واجع القرطي في الآية ففيها معاومات نفيسة .

(وَإِن كَانَ ذُو مُسْرَة فَنَظِرةً إِلَىٰ مَيْسَرَةً وَأَن تَصَدَّقُواْ حَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿) .

الأسرمات :

(وَإِنْ كَانَ قُو مُسْرَةٍ ﴾ : العسرة : ضيق الحال ، وقلة المال : أَى وإِنْ كان ذو ضيق وحسر ملل مدينا لكم .

(فَنَظِرَةً إِلَّ مُبْسَرَةٍ) : أَى فيجب إنظاره وإمهاله إلى ميسرة ، وسعة في المال .

التقييم

٢٨٠ - (وَإِنْ كَانَ ذُوصُّرَةٍ فَنَظِرَةً إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تُصَلَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُتنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ :

لما حكم الله –تعالى—لأرباب الربا برئوس أموالهم عند ذوى اليسار ،حكم فى ذوى العسرة. مع ذلك ، يوجوب إمهالهم إلى حال اليسار والسمة .

⁽¹⁾ ACA : Hart.

سبب النزول :

روى أن ثقيفًا لما طلبوا أموالهم من بنى للفيرة ، شكا بنو للفيرة المسرة . وقالوا : ليس لدينًا مال ندفمه لكم ، فأمهلونا إلى وقت طبب البار ، فأبوا أن بمهلوهم ، فنزلت الآية برجوب إنظار للمسر .

المعنى : وإن كان قو ضيق وعسر مالى منينا لكم، فيجب عليكم إنظاره وإمهاله إلى ميسرة بحقكم فلا تضيقوا عليه بالطالبة في عسرته ، وانتظروا وقت الفرج فطالبوه .

مايستنبط من الأحكام :

استنبط العلماء من هذه الآية : وجوب إنظار المسر حتى ييسر الله عليه ، سواء أكان ملينا في دين ربا أو غيره ، لأن الآية برفع (ذُوعُسَرَة) معناها : وإن وقع وحدث ذو حسرة من الناس أجمعين . ولو كان في الربا خاصة ، لقيل في الآية : وإن كان فاصرة بالنمب ، إذ يكون المني حيثك ، وإن كان الذي عليه الربا ذا عسرة . وبهذا الرأى أعذ عطاء والفحك ، والربيع بن غيثم ، والحسن ، وابن عباس في رواية عنه .

وقيل: لايجب إنظار المسر إلا ق دين الربا خاصة، واستداوا بقراعة النصب ؛ (وَإِنْ كَانَ مُسْرَةٍ) وحملوا عليها قراعة الرفع ، وتقلير الكلام على هذا الوجه فى قراعة الرفع : وإن كان ذو عسرة مدينا لكم ياأصحاب الربا . وفى قراعة النصب : وإن كان المايين لكم أيا المرابون ذا عسرة فأمهلوه إلى ميسرة : وعلى هذا الرأى شريح وإبراهم النخى ، وابن عباس فى رواية أعرى عنه ، ومما احتجوا به قوله تعالى : و إنَّ اللهُ يَأْمُوكُمْ أَن تُؤَدَّوا الأَمْلَاقِ إِنَّ اللهُ يَالْمُركُمْ أَن تُؤَدِّوا الأَمْلَاقِ . وَإِنْ اللهُ يَأْمُوكُمْ أَن تُؤَدِّوا الاَمْلَاقِ إِنَّ اللهُ عَالَا الْمُؤْمَا } .

ويقول أصحاب هذا الرأى : إن المدين فى غير دين الريا ، لايقبل منه القول بالإعسار بل يحبس حتى يؤدى ماهليه ، قال ابن عطية : ومحل هذا : إذا لم يكن فقر مدتع . وأما مع الكدم والفقر الصريح ، فالحكم هو النَّظِرَّةُ ضرورة (¹⁷⁾ .

⁽¹⁾ النَّمَاء مِنْ الْآيَةَ : 44

 ⁽ ٢) أي قالمنكم عو الإمهال بمنكم تلشرورة ، أي أنه وأبب لعام الامتطاحة .

والراجع أن لا يحبس المعسر ، لما رواه أهل الحديث واللفظ لمسلم ، عن أبي سعيد المخطرى : أنه قال : و أصيب رجلٌ في عهد رسول الله حصل الله عليه وسلم ـ في ثمار ابتاعها ، فكثر دينه فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ : و تصدقوا عليه » . فتصدق الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء كينيه ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لفرماته : « خذوا ماوجدتم وليس لكم إلا ذلك » .

وعند أبي داود : 1 فلم يزد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ غرماءه على أن خلم لهم ماله 4 . أي أعطاهم ماعنده .

فقد على هذا الحديث على أن الرسول لم يأمر بحبس هذا المدين المسر ، وهو معاذ بن جبل ، كما قال شريح، إذ الحبس لاقائدة منه للدائن ، كما لم يأمره أن يكتسب لبسد دينه .

ومن لم يتبين عسره وشُك في يسره ، يحبسه القاضي حتى يتبين عُدمه وفقره ، قال بذلك : مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة ، فإن صح عسره ، فلا يحبس .

وقد استفید من هذا الحدیث: أن من كثرت دیونه وطلب غرماؤه مالهم، فللحاكم أن يخلعه من كل ماله، ولكن يترك له ماكان ضروريا له، ووى نافع عن مالك: أنه لايترك له إلا مايواريه .

والمشهور – كما قال الفرطبي – أنه يترك له كسوته المتنادة، مالم يكن له فيها فضل، ولا ينزع عنه رِدَاؤُه إن كان ذلك مُزْرِبًا به ، ولا ينترك له مسكن ولا خادم ، ولا ثوب جمعة، مالم تقل قيمتها ، وعند هذا يحرم حبسه (۱۱) .

(وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُم إِن كُنتُمْ تَمْلَمُونَ) :

العنى : وأن تتصدقوا على المصر بكل مالكم عليه أو ببعضه ، خير وأكثر ثوابا لكم من إنظاره ، إن كنتم تعلمون ذلك فافعلوه ، فإن العسر بحاجة إلى البر والمعونة أكثر من الإمهال ؛ ليسد عوزه ويطم أهله من جوع ، ويكسوهم من عُرْى .

وفي قوله تَعالى : (إِنْ كُنتُمْ تَمْلَمُونَ) حض لهم على الصدقة بعظم أَثرها .

⁽١) (قرطبي ح ٣ ص ١١٨٠ طبع عطيمة للشعب) في شرح قوله ثمالي : (وإن كان ذر صرة فنظرة إلى ميسرة) .

روى مسلم فى ذلك عن أبي مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... د حُوسِبَ رجلٌ مِثْن كانَ قَبلكم ، فلم يُوجِدُ لهُ مِن الخَيرِ شَيءً ، إلا أنه كانَ يُعَطِّمُ الناسَ وكان موسرًا ، فكان يأمر خلمانهُ أن يَتَجاوزُوا عَنِ المُسِرِ ، قال : قال الله ـ عز وجل .. : د نَحنُ أَحقٌ بَذلك منهُ . . تَجَاوزُوا عَنْهُ » .

وروى مسلم عن أبي قتادة و أنه طلب غرعا له ، فتوارى عنه ، ثم وجده فقال : إلى معسر . فقال : الله (١) عقل : الله عليه وسلم معسر . فقال : الله عليه وسلم معسر . فقال : الله عليه وسلم معسر ، فقال : فاستره أن ينجيه الله من كرّب يوم القيامة ، فَلْيَنْكُسْ من مُعْسِر ، أو يَضْم عنْه ، وجاه في حديث أبي اليسر – كعب بن عَمْر و عن مسلم و أنه محا عن فرعه الصحيفة ، وقال له : إن وجدت قضاة فاقين ، وإلا فأنت في حل ه (١)

(وَاتَّقُواْ يَوْمَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوقَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّاكَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿).

التغسير

٣٨١ - (وَاتَقُوا يَومًا تُرجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمْ تُوفَّى كُلُّ تَفْيِي مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُطْلَعُونَ : خاطب الله في مله الآية جميع المكلفين - وفيهم الرابون السابقون - بأن يتقوا يوم القيامة : اللي يرجعون فيه بالبعث إلى حكم الله وجزائه ، ثم تمطّى فيه كل نفس جزاء ماكسبته - وافيا كاملا - وهم الإيظلمون ينقص ثواب ، أو زيادة عقاب على ما اكتسبوه . واثقاً هذا اليوم ، هو اتنخذ الوقاية من عذابه بفعل الواجبات ، وترك المنهيات .

وفى الآية، رد على الجبرية الذين ينكرون كسب العيد، ويعتقلون أنه مجبور على ما يفعل من خير أو شر، وأنه كالريشة فى مهب الرياح، فقد أثبتت للعبد كسبا، وأنه مجزيًّ عليه غيرا كان أو شرًا.

⁽۱) بجرور بحرف قسم مقدر ، أي واقد .

 ⁽٢) راجع صميح مسلم ص ٢ ص ٢٩٤ طبعة بولاق .

(يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ إِذَا تَدَا يَفَتُم بِدَيْنِ إِلَّى أَجَلِ مُسَمَّى فَأَكْتُبُوهُ وَلَيَكُتُب بِّينَكُمْ كَاتِبُ بِالْعَدْلُ وَلَا يَأْبَ كَاتِبُ أَن يَكْنُبُ كَمَاعَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكُنُبُ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتِّنِي آلَةُ رَبُّهُم وَلَا يَبْخُسْ مَنْهُ شَيَّا فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْه المَّنَةُ سَفِيهًا أَوْضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَ هُوَ فَلَيُمْلِلْ وَلِيْهُ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِلُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رَجَالِكُمْ فإن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَآمْرَأَتَانِ مِمَّن تُرْضَوْنَ مِنَ ٱلشَّهَدَآء أَن تَضِلُّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرُ إِحْدَاهُمَا ٱلْأَخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ ٱلشُّهَدَآة إِذَا مَادُعُواْ وَلا تُسْتَمُواْ أَن تَكَنُّبُوهُ صَغيرًا أَوْ كَبِرًا إِنَّ أَجَلهم ذَالِكُمْ أَقْسَطُ حندَ اللهِ وَأَقْوَمُ للشَّهَادَة وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوٓا إِلَّا أَن تَكُونَ تَجَدْرَةً حَاضَرَةً تُديرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَلَّا تَكْتُبُوهُا وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعُمُ ۗ وَلا يُضَاّرَّ كَاتِبٌ وَلاشَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ, فُسُوقُ بِكُمَّ وَآتَقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ مَّى وعَلِيمٌ ١٠٠٠) .

الفسردات :

(كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) : كاتب أمين فقيه .

(وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَن يَكَتُبُ) : أَى ولا يمتنع كاتب عن الكتابة .

(وَلَيُمْثِلِرِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقِّ): وليكن المدين الذي عليه العنق : هو النَّمُلَقُّن والنَّمُثَلِ عل الكاتب ما يكتبه ؛ فإن النَّيْنِ عليه ، وهو المستول عنه . (وَلَا يَيْمُخُسْ مِنْهُ شَيْئًا) : ولا ينقص مَنْ عليه الحتى شيئا بما عليه من اللَّيْن ، وإن كان صديرا .

(سَفيهًا) : أَي مُبَذِّرًا الماله .

(أَوْ ضَمِفًا) : بِأَن كان صبيًّا أَو شيخا خَرَفا .

(أَوْ لَا يَسْتَطِيمُ أَنْ يُمِلُّ): أو لا يقدر على التلقين ؛ لخرس أو غيره من العوارض .

(فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْمَدَّلِ) : فليلقن الكاتِبَ المتولِّى الأمر المدين بالعدل بينه وبين دائنه .

(أَنْ تَضِلَّ إِخْدَاهُمُنَا فَتُذَكَّرُ إِخْلَاهُمَا الْأُعْرَى) : أَى شرع لكم شهادة المرأتين ، بدلا من الرجل الواحد فى النَّيْن؛ إرادة أَنْ تُذكَّر إحداهما الأُخرى إِنْ غاب عنها شيء مما تشهد عليه .

(وَلَا يَأْبُ الشَّهَلَـٰلَةُ إِذَا مَادُمُوا) : ولا يمتنع الشهود عن الشهادة إذا دعوا إليها ، و (ما) للتوكيد ، وليست للنفي . وكثيرا ما ترد بعد إذا .

(وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكَتَّبُوهُ صَفِيرًا أَوْ كَهِيرًا إِلَى أَجَلِهِ): ولا تملوا و تضجروا من كتابة اللَّذِن إلى وقت حلوله ، صغيرا كان اللَّيْن أو كهيرا .

(ذَالكُمْ أَنْسُطُ عِندَ الله): أي أعدل عنده تعالى .

(وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ): وأعون على أداثها .

(وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا) : وأقرب إلى انتفاء رَبِبكم وَشَكَّ كُم .

(يُجَارَةُ حَاضِرَةً): أَى لا أَجَلَ فيها . والتجارة: تَصرُّكُ في المال بِعَوْضِ لقصد الربح، سواة أكان المال حاضرا أم في الذمة .

(تُديرُونَهَا بَيُّنْكُمْ): تنصرفون فيها يِّدًا بيد، بلا تأجيل .

(فَلَيْسُ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَلَّا تَكَتُبُوهَا): أَى لاحرج ولا إِلْم طيكم، أو لا مضرة ف عدم كتابتها .

(وَإِن تَغْطُوا) : ما نهيتم عنه .

(فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ) : أَى فإنه خروج عن الطاعة متلبس بكم .

التقسير

٣٨٧ - (يُتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَذَايَنتُم بِلَيْنِ إِلَى أَبَلِ أَسَلَّى فَاكْتُبُوهُ ...) الآية .

لما أمر الله سيحانه ، بياتظار المعسر وتأجيله ،أتبهه بيان الحقوق المؤجلة ، وعقود المداينة . فذكر هذه الآية الكرعة .

المعنى والأعكام :

اللَّيْن كما قال القرطبي -: كل معاملة كان أسد العوضين فيها نَقْدًا ، والآخر في اللمة ؛ نسيشة أي مؤجلا ، فإن الكُمْن عند العرب ما كان ساضرا ، راندّين ما كان غائبا .

وقد بين الله هذا المني بقوله (إِنَّى أَجَلِ مُسَمَّى) .

وهذه الآية نزلت في بيع السَّلم خاصة ، كما قال ابن عباس . فقد أخرج البخارى ، عن ابن عباس أنه قال :

ه أشهدُ أن السلفَ الضمونَ إلى أجل مسمى - أن الله تعالى أحلًه وأذِن فيه . ثم قرآ الآية ه اه .

والسلف للضمون هو السلَم ، فيانه مضمون باليَّار والحبوب المؤجَّلة المتعاقد عليها . ومع ذلك ، فالآية عامة في كل دين .

والسلم بيح من البيوع المجانزة بانفاق ، وهو أن يسلم رجل إلى آخر عَوَضًا كالدراهم والدنانير ونحوها، في مقابل حيوب ، أو ثمار غير موجودة عنده ، في وقت البيع ولكنها مؤجلة إلى أجل معلوم ، ومعددة الأوصاف والمقادير ومكان التسليم .

والشارع وإن كان بمي عن بيع ما ليس عندك لأنّه غير مقدور عليه ؛ ولأنه يفضى إلى الشقاق –فقد رخص مع ذلك فيبيع السّلم رَفّاً للحرج بين الناس -فإن صاحب رأس المال . محتاج إلى أن يشترى الشمرة ، وصاحب الشمرة محتاج إلى تمنها قبل ظهورها؛ لينفقه عليها . ولذا سهاه الفقهاة :بيع المحاديج ^(۱) . ولما قلم رصول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ــورأى أهلها يستلفون في البار السنتين والثلاث، أقرهم على ذلك، بعد أن شرع لهم قواعده،

⁽¹⁾ وهي الى نيما الحديم ، أي النبن في البيع ، ورعس فيه للماجة إليه .

وصحَّع أوضاعه ، فقال : ٥ من أَسْلَفَ فى تَشْرِ فَلْيُسْلِفْ فى كَيْلِ مَثْلُوم ، وَوَزَّنِ مَثْلُومٍ ، إلى أَجَل مَثْلُومٍ ٥ . رواه ابن عباس ، وأخرجه البخارى ومسلم ، وغيرهما

وعَرَّف علماءُ المالكية السَّلم بقولهم: وهو بيع معلوم في اللَّمة ،محصور بالصفة بعين حاضرة ، أو ما هو في حكمها إلى أجل معلوم » .

والمقصود بالمعلوم فى اللمة : أن يكون المبيع محلودا بلَّوصاف معينة ، ترفع الخلاف عليه عند التسليم .

والمتصود من حصره بالصفة : ألا يحصره بعينه ... مثل: اللين كانوا يستلفون في المدينة على ثمار تَخْل بالعيانها ، حين قدم الرسول إليها فقد نهوا عند ذلك لما فيه من الغرر – أَى الخطر ... إذ قد تُخَلف تملك الأشجار فلا تشعر شيئًا .

وقوله : أو ما في حكمها ؛ لينخل رأس المال اللَّبجل يومين أو ثلاثة ، فإنالسلم به جائز عند المالكية . إذ هو مصهر في حكم العين الحاضرة عندهم .

ولا يجيز ذلك الشافعي ، والكوفيون ، فرأس المال صندهم، لابد من دفعه قبل الافتراق من المجلس .

والأَجل المسمى : هو المعين بالأَيام أَو الأَشهر أَو نحوهما ، نما يُميز وقت التسليم تمييزا دقيقا ، لا مجال للخلاف فيه .

أما التأجيل لنحو الحصاد والجذاذ ، ففيه خلاف :

قالمالكية : يجيزونه ، فهو عندهم في حكم محدود الأَّجل .

وغيرهم لايعتبره كذلك ، فيمنع حل السلم به ، لأتَّه يورث الخلاف .

وخلاصة المعنى : يلَّمها الذين صدقوا بالله ورسوله إذا دَاين بمشُكم بعضا بدين ، إلى أجل معين ، تعيينا لا يستتبع خلافا ، فاكتبوه بأجله .

وسيأتى الأَمر بالإشهاد على النَّيْن المكتوب .

والأمر فى قوله : (فَا كُتُبُوهُ) لإيجاب كتابة النَّيْن مطلقا ، مواة أكان فى بهع أم غيره ، لئلا يقع فيه نسيان أو جعود أو خلاف . واختار هذا الرأى جماعة منهم : الطبرى . ومقتضاه : إثم من لم يكتب النَّيْن . وقال الجمهور : كتابة الدُّين ليست واجبة ، بل مندوبة .

وقد صَرَف الأَمرَ هنا عن الوجوب : أن الله أجاز لصاحب المال أن يهب ماله ، فإذا كان ذلك جائزا له ، فإنه يجوز له أن يترك الكتابة الثهانا للمدين ، ولا يعتبر آثما فى ذلك . ولهذا قال الله تمالى :

(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدُّ الَّذِي اثْتُمنَ أَمَانَتُهُ) :

وسواءً قلنا بالوجوب أو الندب فكتابة الدَّيْن من باب الحزم؛ خوفا من حدوث إنكار من المدين. وحاجة الدائن إلى ماله تمنعه من التناؤل عن دينه عند الجحود .

(وَلَبَكْتُ بِيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) :

بعد أن أمر الله سبحانه بكتابة النَّيْن منما للجحود ، صَّن هنا من يتوكّ الكتابة ؛ إذ طلب من المتداينين أن يتولاها بينهم كالب علل ، متمسك بالنَّين ، فقيه ؛ حتى يكون ما يكتبه جاريا على مقتضى الشريعة والعلل ، فإنَّ غيرَ الفقيه لا يستطيع أن يقيم العلل الشرعى بينهما .

وقد أفاد الأَمر فى قوله تمالى : (فَلْيَكَتُبْ) وجوب الكتابة على من يُدْعَى لها من الكُتاب ، كما قاله حطاء وغيره .

وقال السدى بوجوبها عليه مع الفراغ لها ، وقيل بوجوبها إذا لم يوجد غيره . وبه قال الحسن .

واستبعد القرطبي أن يكون الأمر بالكتابة للوجوب على الكاتب ، وقال : لو كانت الكتابة واجبة لما صح الاستفجار بها ، لأن الإجارة على فعل الفروض باطلة ، ولم يختلف العلماء في جواز أخذ الأجرة على كتب الوثيقة . والصحيح أنه أمر إرشاد فلا يكتب حتى يأخذُ حتَّه . ١ ه .

والتعبير بقوله : (بَيْنَكُمُ) بغل (أحدكم) للإيذان بأنه ينبغى أن يكون الكاتب غير المتعاقمين ، ليكونعدلا بينهما ، وشاهداً عليهما ، فإن المدين لايطمئن لكتابة الدائن ، ولا الدائن يطمئن لكتابة المدين . وقد أمر الكاتب أن يحقق القصود من كونه بينهما ، بأن يكتب بالمذل ، فلا يميل إلى أحدهما فها يكتبه ، بل يكون بينهما قر أنا .

وإذا علقنا الباء فى قوله : (بِالْمَلَابِ) بقوله : (فَلْبَكْتُبُ) . بح أن يكتب الوثيقة صَبِيًّ أو عبد أو متحوط غير عادل إذاً أقام فقهها وضبطها نحو العدل الإلْمَهي .

وبذلك أخذ بعض الفقهاء .

أما الإمام مالك، فقد جعل (بالقد) متطقاً بكاتب . ولذلك اشترط فى كاتب الوثائق أن يكون عادلًا ، عارفًا جا دارسًا لأساليبها ، إذ قال رحمه الله : « لا يكتب الوثائق بين الناس إلا عارف جا ، عدل فى نفسه مأمون . لقوله تعالى : (وَلَيْكُتُب بُنْيَكُمْ كَاتِبُ بالقدار) نقله القرطبي . وقال الآلوسى : « ومن لم يكتب كذلك يجب على الإمام ، أو نائبه منمه ؛ لئلا يقع الفساد ، أو يكثر النزاع » .

(وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبُ كَمَّا طَلَّمَهُ اللهُ) :

المدى: ولا يمننع كاتب من أن يكتب للناص وثائقهم وعقودهم لأجل تعلم الله له وتميزه بالكتابة ، فإنَّ تفشُّل الله عليه بعلم الكتابة ، يبعثه ويدعوه إلى أن يشفضل جاعل الناس ؛ ليؤدىً حق الله عليه ، على حد قوله تعالى : « وَأَحْمِسْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ("" » أى لأجل إحسان الله إليك وذلك حسب الفاعدة التى قروها قوله تعالى : « مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ "" »

ريصح أن يكون المنى: ولا يمتنع كاتب أن يكتب بالعدل؛ كما علمه الله يقوله: (وُلْيَكْتُبُ بِنْبَكُمْ كَاتِبُ بِالْمَدَّلِ) والكاف على هذا بمنى مثل ، نمت لصدر مقدر . والتقدير : أن يكتب كَتْبًا مثل اللّذي علمه الله إياه .

(فَلْيَكْتُبُ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) :

لم يكتنف الله بنهى الكاتب المدل الفقيه عن الامتناع عن الكتابة ، بل أمره بها أمرًا صريحا، يقوله تعالى : (فَلْيَكُتُبُ) وذلك مؤذن بنّان كتابته للوثائق حن عليه للمجتمع ، لا يمحق له أن يتخلى عنها ، ولهذا ذهب بعض الفقهاه إلى أنها من فروض الكفايات " . إن وجد عدد من الكتاب ، وإلا فهى فرض عين عليه ، وقد أعطى الله الحق في إملاء الكاتب

 ⁽١) القمم : من الآية γγ (γ) الرحمن : الآية ، γ

⁽٣) وهي الله يسقط فها الطلب إن أداها يُعْسُ من وجبت عليهم .

للمدين ، الذي عليه الحق بقوله :

(وَلُبُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) :

والإملال والإملاء بمنى واحد، وهو التلقين . وإنما أعطى حق الإملاء للمدين؛ لأنَّه هو المشهور . وعليه، فلا بد من أن يكون هو المقر لا غيره ، حتى لا يقع عليه غبن .

(وَلَيْنَتْنِ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْخُسْ مِنْهُ شَيْئًا) :

هذا يصلح أن يكون أمرا للمدين الذي عليه الحق ، وهو ما ذهب إليه سعيد بن جبير ، وأن يكون أمراً للكاتب .

فعلى الأول، يكون المنى: ولينق الله اللهينُ ، الذى عليه الحق، ولا ينقص من الدّين حين الإملاء شيئًا ، ولو كان حقيرًا ، بل يعترف به ، كما اتفق عليه مع الدائن؛ منعًا للنزاع بينهما

وعلى الثانى ، يكون المنى : وليتق الله الكاتب، ولا ينقص من حق كل من الدائن والمدين شيئًا ، بل يثبت لكل منهما حقُّه كاملا، فلا ينحاز إلى أحدهما ، ولا يضيع شيئًا على أى منهما . كما هو الشأن في المدل بين الناس .

وقد علمت بما مضى : أن الله جعل للمدين الحق في إملاء الكاتب ؛ ليكون ُمُقِرًا بدينه ؛ حتى تأتى الشهادة صحيحة على إقراره . وبما أن المدين قد لا يحسن الإملاء على الكاتب ، فلذلك أعطى الله حق الإملاء لوليه ، فقال سبحانه :

(فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَبِيفًا أَوْ لَا يَشْتَطِيعُ أَن يُولً هُوَ فَلَيُمُلِلْ وَلِيُّهُ بِالْمَدَّلِ ﴾ :

والسفيه هو : المبلر لماله ، المفسد لِدَيْنِهِ كما قال الشافعي .

وفسره القرطبي بأنه :«المهلهل الرأى فى المال (١١) ، الذى لا يحسن الأخذ انتفسه، ولا الإصلاء منها ، . راجع ج ٣ فى الآية .

⁽١) تشيها بالثوب المفيه ، و هو النفيف النسج . `

والضعيف من لايقدر على الإملاء ؛ لكونه صبيًّا ، أو شيخًا خوفًا ، أو مريضًا ، ومن لايستطيع الإملاء تسحو الأُخرس . فهؤلاء أربعة أصناف : لا بملى على الكاتب سوى أولهم .

أما الباقون ، فيملى على الكاتب ، عنهم أوليازُهم بالمدل .

والمقصود بالولى : من يتولى أموره ، وإن لم يكن وليه الشرعى . فيلمخل فيه : القيم ، والوكيل ، والمترجم .

والمرادُ من عدالة الولى في الإملاء : أن لا يزيد ولا ينقص عن الحق شيئًا ."

واستُدِلٌ بوصف العدالة في الولى ــ على أنه لا يصح أن يكون ذمبًّا ولا فاسقًا ؛ لأنه لا عدالة فيهما . كما استدل بالآية . على أن إقرار الولى العادل على يتيمه ، صحيح .

(وَاسْتَشْهِلُوا شَهِيلَةِيْنِ مِن رَّجَالِكُمْ) :

لم يكتف الله تعالى فى توثيق الدين بكتابته ، بل أمر المسلمين أن يطلبوا -من رجالهم المؤمنين - شهيلين بكشهدان على ما يجرى عند التحاقد ، تثبيتًا للحق ومنعًا لإنكاره أو صوء تأويل النّص .

وعبر عن الشاهدين بصيغة المبالغة (تَسهِينَيْنِ) الإشارة إلى أنه ينبغى طلب من تكررت منه الشهادة ، فهو عالم بمنزلتها ، دقيق فى أداتها ، قادر على القيام بها . كما أن فيه رَمْزًا إلى عدالتهما ؛ لأنهما لا تتكرر شهادتهما عند الحكام ، إلا إذا كانا مقبولين عندهم . كما أنه لم يقُل: رجلين ، بل قال: (مِن رَّجَالِكُمْ) ، للإيذان بأن الشاهدين من رجال المؤمنين المروفين بالكمال والعدل .

والأَمر بالاستشهاد المذكور، قيل: للندب. وقيل: للوجوب.

وفى إضافة الرجال إلى ضمير المؤمنين المغاطبين، دلالة على اشتراط الإسلام والبلوغ، موالد كورة فى الشهود، وكذا العربية ، لأن المقصود من الرجال : الكاملون فى النصرف. ويدل لذلك، قوله تعالى: (يُطَيِّهَا اللَّهِينَ آمَنُوا إِذَا تَكَايَنتُم بِدَيْنِي) . وصاق الخطاب إلى قوله: (مِن رِبَّجَالِكُمُ) ، فظاهر الخطاب يتناول اللّهِين يتداينون ، والعبيد لا علكون التداين بدون إذن السادة . وهذا هو رأى الجمهور .

وقال شريح ، وعمان التُشي ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبو ثر : نبر:ه العبد جائزة ، إذا كان مسلما عدلا . وأجازه الشعبي ، والنخبي في الشيء البسير ، ورأً، الجمهور هو الصحيح ، كما قاله القرطبي ؛ لما ذكرتاه . ولم تتعرض الآية لشواط الكنار بعضهم علي بعض . وأجازه حيراسًا – الإمام أبوحنيفة ، وإن اختلفت مللهم . واستدل الشيء اللهاء بعموم (رجاليكم) على قبول شهادة الأعمى ، بشرط أن يعلم حيقينًا – ما يشهد اليه .

فقد صثل رسول الله صلى الله عليه وسلم -عن الشهادة ع (مال : ٢٠) ي هذه الشمعين ... فاشهد على مثلها أو كرغ م .

ومنهم من قبل شهادته على الصوت إذا تحقق منه ، وبذلك أُفتي مالك.

قال ابن القاسم : قلت لمالك : فالرجل يسمع جاره من وراء الحائط ولا يراه ، يسمعه يطلق امرأته فيشهد عليه وقد عرف صوته ؟ قال مالك : شهادته جائزة (فَهَان لَمْ يَكُونَا رَجُلِيْنِ فَرَجُلُّ وَالْمَرْآئان) :

أى فإن لم يَشْهَدُ رجلان ؛ لعلم أولسلم الرفية قيهما ، فليشهد رجل وامرأتان. وشهادتهما مع الرجل تصح - صندالشافعية - في الأموال خاصة . وعندالحنفية ، فيا عدا الحدود والقصاص . وقال مالك : لا تجوز شهادة أولئك - أى الرجل مع الرأتين - في الحدود ، ولا القصاص ، ولا الولاء ، ولا الإحمان . وتجوز في الوكالة والوصية ، إذا لم يكن فيها عتق وسائر شئون الأموال .

قال القرطي : قال مالك في الموطا : وإنما يكون ذلك في الأموال خاصة .

واحلم أن الآية نصت عل جواز قبول شهادة المرأتين مع الرجل في الدَّين خاصة ، وذلك موضع اتفاق بين العلماء، ولا يشمل ذلك الشهادة على دين المهر، والصلح على دم العمد. فالشهادة عليهما، ليست شهادة على دين، بل على نكاح في الدُّول ، وعلى دم في الثانية . والنساء لا يشهدن في ذلك .

وأجاز العلماء شهادة النساء منفردات فيم لا يطلع عليه غيرهن ؛ للضرورة : كالشهادة في الولادة والبكارة ، وحياة الصبي عند الولادة . وما يجرى مجرى ذلك ؛ بما بُيِّن في كتب الفقه .

(مِمَّن تُواْضَوْلَ بِنَ الشُّهَدَّآء) :

أى فرجل وامرأتان موصونون جميعًا، يأتهم مرتضون عندكم أيها المسلمون أو العكام . أى صالحون للشهادة ؛ لمدالتهم وأمانشهم .

وَمُلِمٌ من وصف الرجل والمرأتين بذلك، وجوب أن يكون الرجلان إذا شهدا متصفين بهذا الوصف . وإنما لم كُذَّتْر هناك، اكتفاء بذكره فى أحد النظيرين هنا، ليعلم منه حكم النظير الآخر .

وقال أَبوحيان : إِن قوله : ﴿ مِمْن تَرْضُونَ مِنَ الشَّهَدَآهِ ﴾ متعلق باستشهلوا؛ ليكون قيداً في الجميع .

(أَن تَضِلَّ إِخْدَاهُمَا فَتُذَكَّرُ إِخْدَاهُمَا الْأُخْرَى) :

الضلال هنا: مجاز عن النسبان.

وخلاصة المعنى : شرع نشُّ لَنَم شَهَادة المرأَّتين مع رجل، بدلا من الرجل الثناني ؛ الإرادة أن تذكر إحداهما الأُعرى إن نسبت .

وأصل المغى -- حسب النس -- شرع لكم شهادة الرأتين بدل رجل ؛ خشية أن تضل إحدامها فتذكرها الأخرى . نقول : وذلك لأن النسيان غالب على طبع النساء فيا ليس من شأنهن مُكارستُه :

(وَلَا يُئَابُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ :

أى ولا يمتنع الشهداءُ عن أداء الشهادة أمام الحاكم إذا دعوا إليها . وهذا تفسير مجاهد ، ن جبير .

وقيل : إن الآية نزلت فى نحمل الشهادة وآدائها ، وتسمية من يدعى لتحمل الشهادة شاهداً وهو لم يشهد بعد حلى سبيل الجاز ؟ لأنه مشارف لتحملها ، وعلى هذا الرأى ابن عباس والحسن . قال الحسن : جمعت الآيه آمرين على جهة الندب ، فالمسلمون مندوبون إلى معونة إخواتهم ، فإن كانت القُسْمَةُ لكثرة الشهود والأمرين تحليل الحق، فالمدعو مندوب ، وله أن يتخلف لأدنى علم ، وإن تخلف لقير ، هذو فلا إثم عليه ، ولا ثواب له . وإذا كانت الفرورة وخيف من تعطيل الحق أدنى خوف وقوى الندب ، وقرب من الوجوب . وإذا علم أن الحق يلهب ، فقد وجب عليه أن يشهد ؛ لأنها أمانة تقدير الأداء . . .

روى عن الربيع : أن الآية نزلت، حين كان الرجل يطوف في القوم الكثير ، فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم ــ أى نزلت للحث على تحمل الشهادة .

﴿ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ﴾ :

أى ولا تمارا - لكثرة مدايناتكم أوغيرها - أن تكتبوا الدين أو الحق ، صغيرًا أو كبيرًا ، قليلا أو كثيرًا ، مجملا أو مفصلا ، مستقرًا فى ذمة الذى عليه الحق ، إلى وقت حلوله الذى أهر به .

(ذَالِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ وَأَقْرَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ ٱلْاَتَرْتَابُوا ﴾ :

أى ذلكم اللى تقدم من الكتابة والإشهاد على الحق ، أعدل فى حكم الله ، وأعون على أداه الشهادة على وجهها ، وأقرب إلى انتفاه ريبكم وشككم فى جنس الدين وقدره وأجله ونحو ذلك .

(إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً خَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ٱلَّا تَكْتُبُوهَا) :

استثناءً من الأمر بالكتابة ، فقوله تعالى : (وَلَيْكَتُبُ بِّينَكُمْ كَاتِبُ بِالْمَنْلُو) إلى هنا أحكام متوسطة بين المستثنى والمستثنى منه . متطقة بالأمر بكتابة الدين ، واحدما بينهما نص على المطلوب يقوله : (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُمَّاحُ أَلَّا تَكْتُبُوهَا) . وتقلير : لارتباط بين المستنى والستنى منه مكذا :

يا أيها الذين آسنوا، إذا تداينتم بدين فاكتبوه، لكن وقت كون المعاملة تجارة حاضرة بحضور الثمن والمثمن تديرونها ببنكم بتعاطى الثمن والكُشُمَن بداً ببيد ـ فليس عليكم ضرر أو إثم في عدم كتابتكم لها ؛ لِبُند ذلك عن التنازع والنسيان .

وعدم الكتابة فى التجارة الحاضرة مقصور على القليل ، كما قال القرطبي ، كالمطعوم ونحوه ، دون الكثير كالأملاك ونحوها . وقال السدى والفحاك : هذا فيها كان يداً بيه ه . وذلك حق ، فإن الكثير الْحَاضِر ، عرضة للإنكار والمجحود والمنازعات . فكتابته والإشهاد عليه ؛ مطلوبان ؛ متمًّا للتنازع بين الناس .

(وَأَشْهِلُوا إِذَا تَبَايَغْتُمْ) :

أى وأشهدوا على تجارتكم الحاضرة إذا تبايعتم ، أو أشهدوا على كل بيع تجارة حاضرة أو غيرها ؛ لأنه أحوط .

ورأًى بعض الفقهاء : وجوب الإشهاد على البيع ، ولو كان البيع حزمة بقل .

ونمن ذهب إلى ذلك الطبرى؛ إذ قال : لا يحل لمسلم إذا باع وإذا اشترى ، إلَّا أَن يشهد ، وإلَّا كان مخالفًا لكتاب الله عز وجل .

وذهب الشعبي والحسن : إلى أن ذلك مندوب . وهذا قول مالك ، والشاقعي ، وأصحاب الرأى .

وذكر القرطبي أن النبي - صلى الله عليه وسلم – باع واشترى ، ورهن ولم يشهد . ولو كان الإشهاد واجبًا لوجب مع الرهن لخوف المنازعة . ونحن نقول : إن الناس تغيرت أخلاقهم ، فالإشهاد - في هذا الزمان - واجب ؛ لمنع الخلاف والنزاع .

(وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) :

بي عن المضارة ، والفعل يحتمل البناء للفاعل . والدليل عليه قراءة عمر .. رضى الله عنه .. (وَلَا يُشَارِرُ) بفك الإدغام ، وكسر الراه الأولى ، ويحتمل البناء للمفعول ، والدليل عليه قراءة ابن عباس : (وَلَا يُضَارَرُ) بفتح الراه الأولى .

والمفى على الأول : نمى الكاتب والشاهد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما ، وعن التحريف والزيادة والنقصان , فإن ذلك كله مضارة للمتداينين .

والمنى على الثانى : ثبى المتعاملين من الضرار بالكاتب والشهيد: بأن يعطلاهما هن مهم لهما ، أو لا يعطيا الكاتب أجره على الكتابة ، أو يحمل الشاهد مؤونة المجيء من بلده .

ويؤيد هذا المغنى ، ماأخرجه ابن جرير ، عن الربيع ، قال : لما نزلت هذه الآية : (وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ . . .) اللخ كان أحدم يجيهُ إلى الكاتب فيقول : اكتب لى ، فيقول : إلى مشغول أو لى حاجة ، فانطلق إلى غيرى ، فيلزمه ويقول : إنك قد أُمِّرتَ أن تكتب لى ، فلا يدعه ويضاره بذلك وهو يجد غيره . فأنزل الله تعالى : (وَلاَ يُضَارُ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ) .

ا وَإِنْ تَهُ مُلُوا اللهِ أَنْ أَمُدُونٌ بِكُمْ) :

أَى وإن تفسارا ما نهيتم عنه من المضارة، فإن فعلكم هذا فسوق وخروج عن طاعة الله مثلبس بكم .

(وَاتَّقُوا اللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) :

واجعلوا أنفسكم في وقاية وحرز من عقاب الله: بامتثالكم ما أمركم به أو نهاكم عنه . ويعلمكم الله أحكام المتضمنة لممالحكم .

(وَاللَّهُ بِكُلُّ شَيْءَ عَلِيمٌ) ;

فلا يخفى عليه حالكم ، فيجازيكم حسب استحقاقكم .

وتكرير لفظ الجلالة في الجمل الثلاث؛ لقصد التعظيم، وتربية المهابة، وتعليل الحكم . وفي الآية توجيه لتعلم القراءة والكتابة ؛ لحاجة المسلمين إليها في وثائقهم .

(وَإِن كُنْمُ عَلَى سَفَرِ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَنَ مَّقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَهْ مَنَا فَلْكُودَ اللّهِ عَالَّةُ تُمِنَا أَمْنَتُكُم بَهْ مَنْ اللّهُ رَبّهُ وَكَنْتُكُم بَهْ مَنْ اللّهُ رَبّهُ وَكَنْتُمُ الْإِنْهُ وَاللّهُ بِمَا وَلَا تَكْبُدُواْ اللّهُ إِمَا لَهُ مِمَا لَوْلَهُ مِمَا لَهُ مَا مَنْ مَكُنُمْهَا فَإِنّهُ وَاللّهُ إِمَا لَمُعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ وَاللّهُ إِمَا لَمُعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ إِنّ اللّهُ مِمَا لَمُ اللّهُ مِمَا لَمُ اللّهُ مِمَا لَمُ اللّهُ مِمَا لَمُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ إِمْ اللّهُ إِمْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

الفيردات :

(وَإِنْ كُنتُمْ عَلَ مَقَرٍ) : أَى مسافرين فعلا ، ولذا عَبَّر بقوله :(عَلَى مَفَرٍ) إشعارا بمباشرتهم له ، وتمكنهم منه تمكن الراكب بما يركبه .

(فَرِهَانَّ مَّقَبُوضَةً): الرهان جمع رهن ، وهو ما يأخله الدائن من الأُعيان ذات القيمة ضهانًا لدينه ، وهو فى الأُصل مصدر ، وشاع استعماله فى العين المرهونة ،حتى أُصبح فيها حقيقة عرفية .

التفسير

٢٨٣ - (وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ نَجِلُوا كَاتبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ...) الآية .

بين الله تعالى فى الآية السابقة: أن على من تداينوا أن يكتبوا الدَّينَ، وأن يقوم بكتابته بينهم كاتب بالعدل ، لتكون الوثيقة حرزا من النسيان أو الإنكار . وذكر من أحكام ذلك ما شرحناه .

وفى هذه الآية ، يبين لنا ماينبغى عمله عند فقد الكاتب فى حالة السفر الأجل الاستيشاق من الدين ، نيقول ما معناه :

وإن كنتم - أيها المتداينون - مسافرين ، ولم تجدوا كاتبا يكتب بينكم الدين ، فالذى يستوثق به حينفذ ، رهان يقبضها الدائنون ، وتبقى عندهم حتى أداء الدين ، فترد إلى المدينين .

وأخذ مجامد بظاهر الآية . فلم يجز الرهن إلَّا في السفر. وقيده الضحاك في السفر بققدان الكاتب. ولكن الراجع: جواز الرهن سفرا وحضرا.

فقد روى البخارى أن النبي ... صلى الله عليه وسلم ... و رهن درعه فى المدينة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير ؟ (أولم تتعرض الآية للشاهد ، لأن حكم الكاتب يسرى عليه وجودا وفقدانا .

و في التعبير بقوله: (مَقْبُوضَةٌ) دون تقيضونها ، إشارة إلى الاكتفاء بقبض الوكيل. (فَإِنْ أَمِنَ بُعْضُكُم بُعْضًا ۚ فَلَيُؤَدُّ الَّذِي الْتُعْيِنُ أَمَانَتُهُ وَلَيْتُوْ اللَّهُ رَبُّهُ) :

بعد أن بين الله – فيا مضى – طريق الاستيثاق من الدَّيْنِ – وهما الكتابة والإشهاد أو الرهن – ذكر أسلوبا آخر في التعامل ، هو أسلوب الاستثمان والثقة ، فقال ما معناه :

فإن أمن بعض الدائنين بعض المدينين ـ فى حضر أوسفر بسبب حسن الغلن والثقة ، فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن ــ فليؤَد المدين اللى اتَّدمنه الدائن أمانة صاحب الدين ، أى دينه الملى له عليه .

 ⁽١) مكمناً يتمامل البود دائما. قلا يقبلون أن يكون لم دين على أحد إلا برعن، ولو كان أشرف الشرقاء • المثالل
سهودهم الأول. وإنز ال الناس منازطم › إيس من الليم المصيرة عدهم .

(وَلَيْتُنِّ اللَّهُ رَبَّهُ) :

فلا يخونه بإنكار كل حقه أو بعضه ، فإنه تعالى رقيب حسيب ، شديد العقاب للخالتين .

وبهذا، تضمنت الآية الكربمة ثلاثة أصناف من البيع : أحدها بيع بكتاب وشهود، وثانيها بيع يرهن ، وثالثها بيع بأمانة .

(وَلَا تَكْتُمُوا الشُّهَادَةَ) :

هذا خطاب للشهود المؤمنين ،كما قاله سعيد بن جبير وغيره .

والمعنى عليه : ولا تخفوا الشهادة بما علمتم إذا دعيتم لأدائها .

والآية وإن نزلت فى اللَّيْشِ إلا أنها عامة – توجب أداء الشهادة على وجهها فى كل حال . وقيل : هو خطاب للمدينين على هنمى : ولا تكتموا شهادتكم على أنفسكم ، بل أقروا بالحق ، ولا تحالوا بابطال شهادة الشهود عليكم بالجرح ونحوه أمام القضاء .

(وَمَن يَكُتُمْهَا فَإِنَّهُ آئمٌ قَلْبُهُ):

أى ومن يكتم الشهادة بالحق، فإنه آثم قلبه. وإستاد الإثم إلى القلب ، لأن الكلام فيمن كتم ما يعلمه ، وهو يذلك يكون قاصدا إخفاء الحق ، وذلك من عمل القلب ؛ فللما أسند الإثم إليه . وإذا أثم القلب أثم صاحبه؛ لأن العبرة بأفعال القلوب .ولذا وفعت المُؤاخلة عمن يفعل المحمية ناسيا؛ لأنه لا قصد له فيها.

كما أن الآية تشير بلدلك، إلى أن أثر المصية بالكتمان يبقى فى قلبه ؛ إذ يستتبع فيه سوادا.

روى الشرملى والنسائى وابن ماجه وأحمد والداكم ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: و إن العبد إذا أخطأ خطيشة نُكِتَتْ فى قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستففر وتاب صقل قلبه ، وإن عاد زبد فيها ، حتى تعلو على قلبه ، وهو الران الذى ذكر الله تعالى : كُلًا بِنْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكُمْسُونَ * (1) .

وجاء فى الحديث الصحيح و ألا وإنَّ فى الجسد مضنةً ، إذا صَلَحت صَلَحَ الجسدُ كله ، وإذا فَسَدتُ فَسَد الجسدُ كله ، ألا وهي القلب ، رواه الشيخان .

⁽١) الطفلين : الآية ١٤

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) :

ختم الله الآية بذلك ؛ تحليرا للكاتمين ، وتنبيها للغافلين ، وإندارا للجاحلين ، وتبشيرًا لأهل الأمانة والوفاء . أى والله بما تعملون من خير وشر ، بليغ العلم، فيجازى كلًا على حسب عمله : إن خيرا فخير، وإن شرًا فشر .

(إِنَّةِ مَا فِي السَّمَنوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضُ ۖ وَإِن نُبَدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ الْوَيْخُفُوهُ كُمَا فِي أَنفُسِكُمْ الْوَيْخُفُوهُ كُمَا سِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۚ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَن وَشَاءً ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَن وَقَدِيرُ ﴿ ﴾ .

القبريات :

(تُبْدُوا مَا في أَنفُسِكُمْ): تظهروه .

(يُحَاسِبُكُم بِهِ) : أي يبينه لكم، ويجازيكم عليه .

التفسير

٢٨٤ - (فِلْوِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...) الآية .

حلر الله .. سبحانه .. في الآية السابقة من كتمان الشهادة ، وجعل من يكتمها آثما عاصيا ، وبين هنا، أنه سبحانه وتعالى بكل ما يعملون عليم ، فلا يخفى عليه ما كتموه . وما يظهرون ، فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء .

(وَاللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيْءٍ قَارِيرٌ) :

وبذلك استكملت صورة التحلير من مخالفة ما أمرهم به جَلَّ وعلا .

والمعنى: لله ما فى السموات وما فى الأرض من أجزائهما ، وما استقر فيهما ، لا يشاركه فى خلقها أو ملكها ، أو النصرف فيها شريك ، فله أن يلزمكم أيها العباد بما يشائح من التكاليف، وعليكم أن تطيعوه ، ولا تعصوه .. وإن تظهروا ما قر أنفسكم من المتاعم. أمام الناس ، قال تباازا بإظهار، أو تخفوه عنهم نقية أر أنفة ، فإن الله تعالى يعلمه ويحاديكم مه . تهقه يعام السرّ ،كدا يعلم العلن .

(فَيَنْفِرُ لِيَمَن يَشَآءُ وَيُعَلِّبُ مَن بَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيْءٍ قَلِيرٌ ﴾ :

أى فيخفر بفضله لمن يشاءً أن ينشر له ، ويمانب بعدله من يشاء أن يعادبه ، والله مل كل شىء قادير . ومن كان كذلك فهو قادر على حساب أهل العصيان ، ومنح النسران لن يشاء ، رحرمانه من يشاء ، لا راد لفاضله وعالمه .

18-209

دلت الآية على أن الله .. تعلل ما عالم بما يعماد عباده . من أعمال : ظاهرة ، أو مستورة عن العبون، أو مضمرة في التبلوب، وأده يحاسبهم عليها . فكل ذلك داخل فحت قوله تعلل : (وَإِنْ تُبَيِّدُوا مَالِحَ النَّمْسِكُمْ أَنْ تُخْذُرُهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللهُ) .

كما دلت على أنه ندال يغفر لن إثناء من للؤسين ، ويدنب من يشاء من المنهبين .

ومن الأحمال الذابية التي يتعاسب الله عليها : الفاق: بالإعان ، وبالعمل ، وسوم الذا . بالإعان ، وبالعمل ، وسوم الذا . بالمسلمين ، والحقد والعسد ونحو ذلك . ولا ، دخل فيا يحفيه الإنسان ويحاسب عليه الوساوس ، وحليث النفس ؛ لأن ذلك ليس أن وسع الإنسان اجتنابه ، والله تعلى يقول : و لا يُكَلِّفُ الله تُعَلَّلُ يُعْمَلًا ، (أ) .

وقى ذلك يقول النبي . صلى الله عليه و«لم مـ كما رواه أصحاب الكتب الستة هن أبي هريرة قال : قال رسول الله مـ صلى الله مايه وصلم ـ :

ه إن الله تجاوز لي عن أُمَّى ما حدثت به نفسها ، ما لم تتكلم ، أو تعمل ، .

بل إن المؤمن لو تجاوز حديث النفس إلى الهَمَّ بالمصية ، ثم عدل عن فعلها فلا تكتب عليه . وفى ذلك يروى الشيخان^{٢٦} ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله

⁽١) البقرة : من الآية الأخيرة .

⁽٢) والفظ لمسلم .

طيد بريام من وقال الله : إذا هُمُّ جيئ يسيه فلا تكنيوها طيه عقيق عملها ه الكبرياء بن وإذا تمَّ محسنة فلم يعملها والكبير الحسنة فلا عملها وفاكنوها على واعفرته. يقد الله بن تعدر من الشريعة بالكافلة على الدينات القليمة: كالحقاء والعمادة والذاتي كانتها.

(اَمَنَ الرَّهُون بِمَا أَازِنَ إِلَى مِن رَبِهِ وَالمُوْمِنُونَ كُلُّ اَمَن بِاللهِ وَمَلَتَهِكُوهِ وَكُوبِهِ وَرُسُلِهِ لاَنُمُرِقُ بَيْنَ أُحَدٍ مِن رَسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا خُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَعِيرُ ﴿).

الغيردات :

(وُمَكَّاتِكِنَّتِهِ): اللائكة ، أَجسام نورانية قادرة على التشكل، خطقوا للطاعة: لايمصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمِّرون .

(لاَنْفَرْنُ بَيْنَ أَخْدِ مِنْرُسُلِدِ) : أحده معزته أصلية . وهو اسم يطلق على الواحد والمثنى والجمع، مذكرا كان أن وَدَنا والذاصح دخول : بين عنيه ، كأنه قيل بينهم . ومنه مافي قوله تعالى : وقَمَا يَنْكُم مِنْ أَحَدِ هَنَهُ حَاجِرِينَ ، (1)

التفسير

٨٥٪ ... (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَنَّا أَنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ...) الآية .

قال الزجاج : لما ذكر الله تعالى - عَزَّ وجَلَّ - فى هذه السورة فرض العبلاة والزكاة والطلاق والحيض ؛ والإيلاء ، والجهاد ، وقصص الأنبياء - عليهم العبلاة والسلام - والسَّين والربا ، خدمها بهذا تعظيما لنبيه وأنباهه ، وتأكيدا وجمعا لما ذكر من قبل ... : ه بتصرف يسير .

^{1 1}대 1일 기계

الممنى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه -ى هذه السورة وغيرها - إجمالا وتفصيلا، وآمن المؤمنون به كذلك .

والفرق بين الإعانين، أن إعان الرسول مبنى على المشاهلة والوحى ، وإعان المؤمنين تاشئء من الحجة والبرهان .

(كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَاتِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ :

هذه جملة مستأنفة لتقرير الإعان المذكور وتفصيله ، أى كل من النبي وأفراد المؤمنين ، صدّق بالله وما يتصف به من كل كمال ، وما يتنزه عنه من كل نقص ، وصدق علاتكته وطهارتهم من المماصى ، وأنهم منفلون لأوامر الله تعالى ، وأن بعضهم سُفَراة بينه تعلى وبين رسله الأكرمين، وآمن بكتبه التي أنزلها على رسله متعبدا بها عباده ، وآمن برسله من حيث إنهم مبلئون لكتبه وشرائعه إلى خقه .

(لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُسْلِهِ) :

أَى كُلُّ آمَن قائلا : لا نفرق بين رسله . فلا نقول : تؤمن ببعض وتكفر ببعض ، كما فعل أهل التوراة والإنجيل ، بل تُؤمِّنُ بهم جميعا ، فهم رسل الله إلى خلقه ، فمن كفر بأحدهم ، فهو كافر بهم جميعا ، فلا يقبل الله منه صرفا ، ولا عدلا .

(وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا خُفْرَانَكَ رَبُّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) :

جملة : قالوا سمعنا ... إلخ مطوفة على (آمَنَ) ، وهذه الجملة من الآية ، سكاية لامتثالهم الأوامر والنواهي إشرحكلية إعانهم . والمراد من سمعهم : إجابتهم وامتثالهم . والمراد من إطاعتهم : قبولهم ما كلفوه - طواعية واختيارا - دون إكراه .

ولما كان المكلف لا يخلو من تقصير قالوا: غفرانك ربنا لما قصرنا قيه . ثم خدموا كلامهم بالاعتراف بالبعث بعد الموت، فقالوا: وإليك المصير والانتهاة : لا إلى غيرك . (لا يُكَلّفُ اللهُ نَفْسًا إِلّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَبَرَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَبَرَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَبَرَتْ وَبَنَا وَلا تَحْمِلُ مَا اكْتَبَرَتْ وَبَنَا وَلا تَحْمِلُ عَلَيْنَا إِمْرًا كَا مُحَلِّنَا وَلا تُحْمِلُنَا وَالْمَعْرَبَا وَمُعْرِدًا وَلَا عُمْلِنَا مَا لا عَلَيْنَا وَالْمَعْرَبَا وَالْمَحْرَبَا أَنْ مَوْلِئَنَا فَانَعُرْنَا عَلَى اللّهِ مِنْ فَلِينًا وَارْجَمَنَا أَنْ مَولَئَنا فَانعُرْنَا عَلَى اللّهَ وَمِ اللّهَ اللّهُ وَمِ اللّهُ اللّهُ وَمِ اللّهُ اللّهُ وَمِ اللّهُ اللّهُ وَمُ اللّهُ اللّهُ وَمِ اللّهُ اللّهُ وَمُ اللّهُ اللّهُ وَمِ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَمِ اللّهُ وَمُ اللّهُ اللّهُ وَمِ اللّهُ وَمِ اللّهُ وَمِ اللّهُ وَمِ اللّهُ وَمِ اللّهُ وَمُ اللّهُ وَمُ اللّهُ وَمُ اللّهُ وَمُ اللّهُ وَمُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمُ اللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ وَاللّهُ وَاللّهُ

القسردات :

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا): التكليف؛ الأَمر بما يشتى. والوسع: الطاقة .

(لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ): الكسب والاكتساب. بمنى واحد: وهو التحصيل.

(نَسِينَا ۗ أَوْ أَعْطَأَنَا): المراد من النسيان؛ ترك الواجبات، ومن الخطإ: فعل المنهيات. (وَلَا تَحْمَلُ عَلَيْنَا إِصْرًا): الإصر ؛ معناه - هنا ... العبد الثقيل، مأخوذ من

(مَا لَّا طَاقَةَ لَنَا بِه) : ما لا قدرة لنا على تحمله من العقوبات .

أصره يَأْصرُه أي حبسه ، والمراد به : التكاليف الشاقة .

التفسي

٢٨٦ ــ (لَا بِكُلِّتُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا لَهَا مَا كَسَبِتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . . .) الآيد .
هده جملة مستأنفة : بيِّن فيها الله ــ سبحانه وتمالى ــ يُسْرَ التكاليف على عباده ، فقد ذكرها سبحانه بمد تلتى عباده لتكاليفه بالطاعة والقبول .

والمثى: أنه تمالى، جرت سنته: ألا يكلف نفسا من النفوس، إلا ما تطيقه وتتمم له قدرتها. بل هو فى الحقيقة دون وسعها وطاقتها . فالصلاة : كلفنا منها خمسا فى اليوم والليلة ، والطاقة تتمم لأكثر مثها . والصيام : كلفنا منه شهر رمضان ، والطاقة البشرية تتسع لاَّ كنر منه . وهكا.. وإذا كانت سنته .. تعلق ـــ ألا يكلفنا إلا ما نطيقه ، فإن ذلك يدل على أنه لايكلف بالمحال : فضلا منه وكوما ، وحكمة ورحمة .

(لَهَا مَا كُسَيْتُ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) :

بعد أن بين الله ... تعالى ... أن تكاليفه دائيا في وسعنا ، وبقدر طاقتنا ، عقب ذلك يبيان أن فعلها ، تمود منفعته على فاطيها ، وأن تركها تعود مضرته على تاركيها دون غيرهم ، ترغيبا للمكافين في المحافظة عليها ، وتحليرا لهم من الإخلال بها ، أي للنفس ثواب ماكسبت من الطاهات ، وعليها عقاب ما اكتببت من المعاصى .

وهبر بالكسب مع الطاعة ، والاكتساب مع المحمية ، من باب التناوين في تمط الكلام ، كمة في قوله تعلق : و فَمَهُل الْكَانَارِينَ أَمْهِلُهُمْ وَرُيْدًا و (١١)

(رَبُّنَا لَا تُوَاعِلْنَا إِن نَّسِينَا أَزْ أَعْطَأْنَا) :

شروع فى بقية دعوات العباد ، بعد أن تخللها بيان أن الله لا يكلفهم إلا بما يطيفون . والمعنى : هذا الدعاة من إرشاد الله بعباده ، فهو على تقدير الأمر منه _ سبحانه _ كما نقله أبو حيان فى المحر ، عزر العصير :

أَى : قولوا في دهالكم : (رَبُّنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِن نَّسِينَا أَو أَخْطَأْنَا) :

وظاهر الآية يفيد : أن من ترك واجبا ، أو فَمَلَ محرما ، نسيانا ، أو حملاً ، أى جهلا بالحكم الشرعى يؤاخذ طيه ، ولهذا يعلمنا الله ـــ تمالى ـــ أن ندعوه ألا يؤاخذنا على ذلك ، ولكن هذا يخالف قوله -ــ صلى الله طيه وسلم -ـ :

إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ع (٢).

كما أننا لو أوخلنا بما نسينا أو أخطأنا ، لكنا مكلفين وقت النسيان أو الخطأ ، وذلك لا يصح ؛ لأنه تكليف مما ليس في وسمنا ، والله ... يتمالى ... يقول :

^{· (}۱) اطارة ۱۷۱ ·

⁽٢) أخرجه ابن ماجه ، وابن أب حاتم ، وابن تَحبَّان في صميحه ، والعابراني. والقط للاعبرين .

(لَا يُكلَّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا): والمخرج من هذا ، أن يفسر النسيان بالترثه عمدا ،
 فهو من معانيه اللغوية .

ومنه قول الشاعر:

ولم ألك عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع للطاغين ناسيا

ويفسر الخطأُ بفعل أو ترك الصواب من الواجبات - أو المنهبات - كسلا أو غواية . أو انحرافا ، فإن فسر بذلك ، استقام الدعاء بعدم المؤاخذة عليهما .

وقال الزمخشرى : ذُكِر الخطأُ والنسيان . والمراد ما هما سببان هنه من التفريط والإغفال . ١ ه .

ومقتضى هذا : أن الذي يعرف من نفسه النسيان يجب عليه أن يحتاط بما يُذَكُّرُهُ ، وإلا كان آثمًا . وكذا المخطىءُ إذا لم يجتهد في تجنب الخطإ بسؤال أهل العلم .

(ربُّنَا وَلَا تَحْسِلُ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا) :

أى ربنا ولا تحمل علينا عبثا ثقيلا ، كما حملته على اللين من قبلنا .

والمقصود منه - كما قال ابن زيد - اللنب الذي ليس له توبة ولا كفارة .

وقيل : هو ما كلفه الله بني إسرائيل من قتل النفس في النوبة ، أو في القصاص ؛ لأنه كان لا يجوز غيره في شريعتهم ، وقطع موضع النجاسة من الثوب ونحوه ، وصرف وبع المال في الزكاة . وما إلى ذلك .

(رَبُّنَا وِلَا تُحَمُّلُنَا مَالًا طَاقَةَ لَنَا به) :

يعلمنا الله بذلك: أن نستعفيه من العقوبات التي لا تطاق، بعد أن علمنا الاستعفاء ثما يؤدى إليها .

ويجوز أن يكون للراد مما لا طاقة لنا به من المحن والبلايا ، التي لا نطيق تحملها ، كالأمراض الجمدية والنفسية ، والعسر بعد اليسر ، والمشكلات التي لا نعجد لها حلًا ونحو ذلك .

(وَاهْتُ مَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا) :

أى وامع آثار ذنوبنا بترك عقوبتنا عليها، واغفر انا بستر القبيح، وإظهار الجميل، وتعطف علينا بكرمك وفضلك، رحمة منك.

قال أَبُو حِيان : ولم يأت في هذه الجمل الثلاث بلفظ : رينا ، لأَبَا نتائج الجمل الثلاث بلفظ : رينا ، لأَبَا نتائج الجمل التي تقلمت ، فجاء (وَاغْيَرْ لَنَا) . وجاء (وَاغْيَرْ لَنَا) مقابل : (رَبَّنَا لاَ تُوَاخِلْنَا) . وجاء (وَانْخِمْنَا) مقابل : (رَبُنًا وَلاَ تَحْمُلُ عَلَيْنَا مِصْرًا كَمَا حَمَلْتُهُ مَلَى اللَّهِينَ مِن قَبْلِنَا) . وجاء (وَارْحَمْنَا) مقابل ، (رَبِّنَا وَلاَ تُحَمَّلُنا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ) . إلى آخر ما قال .

(أَنتَ مَوْلَاتًا فَانصُوْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) :

أى أنت مالكنا وسيدنا ومتولى أمورنا . وإذ كنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين الذين يريدون الكروه بنا ، فمن كنت مولاه لا يضام .

روى عن معاذ بن جبل: أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة قال (آمين) .

قال ابن مطية : هذا يظن أنه رواه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن كان ذلك فكمال ، وإن كان بقياس على صورة الحمد ، من حيث هنالك دعاء وهنا دعاء ، فحسن .

وقال على ين أبي طالب كَرَّم الله وجهه : ما أظن أن أحدا عقل وأدرك الإسلام ، ينام حتى يقرأهما .

وروى مسلم فى هذا المعنى، عن أبي مسعود الأنصارى، قال: قال وسول الله – صلى الله عليه وسلم –: 3 من قرأً هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه ¢ .

قبل : مُثمَّناه كفتاه من قبام الليل . كما روى عن ابن عمر . وقبل : كفتاه من شر الشيطان ، قلا يكون له عليه سلطان ، كما روى عن حليفة بن البمان .

والله أعلم .

سورة آل عمران : مدنية وآياتها : ماثنان نزلت بعد الأنفال

أهم مقاصدها:

١ -- بدأ الله تعالى هذه السورة بتوحيده ، وذكر بعض أمياته الحسنى ، وأنه سبحاته أنزل
 القرآن : مصدقا لما سبقه من الكتب الساوية .

وذكر أن من آياته : المحكم ؛ الذي يتمسك به المؤمنون، ومنها المتشابه الخقى ؛ اللت يؤوَّله الكافرون حسب أهوائهم .

٢ ــ ثم ذكر أن اللذائد الدنيوية زائلة ، وأن الآخرة خير وأبق ، ومافيها إنما هو
 للمؤمنين الذين أيقنوا أن الدين ألحق : هو الإسلام .

٣ ــ ثم طلم الله الرسول مايقوله عند محلجة الكفار . وأبان أن أهل الكتاب بعضهم
 مهتد وبعضهم كافر : يقتلون الأنبياء ، ويلم ون أنهم لن تمسهم النار إلا أياما قلائل . وأمر
 المؤمنين أن لايتخلوم أولياء .

٤ - وأعلم أن محبته صبحانه لا تَترم إلا بمتابعة الرسول صلى الله عليه وصلم .

د وذكر قصص بعض المصطفين الأخيار: كمريم ، وذكريا ، ويحيى ، وهيمى
 عليهم السلام – وما جرى لعيمى من المعجزات ، وردَّ على ما اعتقده النصارى فيه من
 أنه ابن الله .

٦ - وأمر النبيّ ، أن يدعو أهل الكتاب إلى المباهلة والدعاء ، بنّان ينزل الله لعنته
 على الكافوين .

 ٧ ــ وردَّ على اليهود اللين قالوا : إن إبراهيم على ديننا . وذكر أن أوْنى الناس بإبراهيم : اللين البعوه ، والنبي والمسلمون م. ونَبَّهُ المُرْمنين إلى ألا يغترُّوا بكلام اليهود ــ الذين من عادتهم ألفاء الشبهات ،
 وإظهار الإيمان في بعض الأوقات ، وإصرارهم على الخيانة ، وتحريفهم الثوراة .

 ٩ - وأبان أنه تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء : أنهم يؤمنون بجميع الرسل ، وأن من صفة محمد كونه مصدقاً لما مهم .

١٠ وأظهر أن من مات على الكفر لايُقبل منه مال ولا ولد فداً له .
 وطّم المؤمنين كيفية الإنفاق .

١١ - وكذَّبَ اليهود اللبن ادعوا أن كل شيء يحرمونه كان محرماً على نوح وإبراهيم !!
 ١٧ - وأمر النبئ أن يحاجهم بكتابهم الناطق بصحة ما يقوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يعاجهم إلى النباع دين الإسلام .

١٣- ثم ذكر أفضلية البيت الحرام على غيره ، وأن حجه واجب على المستطيع .

١٤ وحلَّر فريقا من المسلمين من استاع كلام الكافرين . وطلب إلى المسلمين جميعا ،
 أن يكونوا دعاة إلى الإيمان والعمل الصالح .

١٥- وأبان أحوال ألناس يوم القيامة . وبشَّر المؤمنين بالنصر . والكافرين بالعذاب .

١٦ ونَهَى المؤمنين أن يتخذوا بطانة من الكفار ، وحثّهم على أن يخاطبوهم خطاب
 الأعداء وبعلموهم أن الله مطلع على على قلوبهم من : الحقد والبغض للمؤمنين . . .

ودعا المسلمين إلى الصبر ، ووعدهم بالحفظ من كيد الكافرين .

١٧- وذُكر قصةً بَلْر ، ونصر الله للسلمين .

١٨- ونهى - سبحانه وتعالى - عن أكل الربا .

١٩- وذكر صفات أمل الجنة .

 ٢٠ وأخبر - عزّ وجلّ - أن رسالة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - قد تستختر الشرائع السابقة . ٢١ ــ وذكر غزوة وأحد ، وقرر أن طريق الجنة : الجهاد والعمل العماليح ، وأن كثيرا مناالامم حاربت مع أنبيا الله ، وكرر زجر المؤمنين عن متابعة الكفار . وكرر تبشيوهم بالنصر . وقم المنهزمين الفارين .

٣٢ وأبان للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رحيم بأمنه وأنه لوكان سبئ الأخلاق ، لايتمد الناس عنه . وحنه على مشاورة أصحابه والدرم والنوكل على الله . وأبان أنه سيحانه تفضل على البخلق ، برصالة سيهذا محمد صلى الله عليه وسلم .

٧٧- وبيَّن حالَ الشهداء ونضلهم ، ومنزلَّتُهم السامية عند الله .

٢٤ وذكر أن الشيطان وأولياه يثبطون الهمم ، وأن شأن المؤمن الالتجاء إلى الله الينجيه منهم ، وأنه سيحانه سيميز المنافقين من المخلصين .

٣٥ - ونَفَر من البُخل . وأبان أن اليهود يدعون أن الله فقير وأنهم أغنيا . وتوصلهم على هذا القول القاجر .

٢٦_ وسلَّى نبيه بأنه - تعالى - سيحاسب النجميع بعد الموت ، وأنه - سبحانه يختبر عباده ، وأن من صبر ، قله الأجر .

٧٧ - وبيَّنَ أَن اليهود كتموا ما أَنزل الله . وكذَّبُوا الرسول وهم يعلمون صلقه .

٢٨ وقرر أنه يَبتكي المؤمنين ليمحمهم ويرفع درجاتهم ، ودعاهم إلى الصبر والتقوى .

٢٩ ودعا الناس إلى استعمال عقولهم ، ليصلوا إلى معرفة الله ، ووصف أصحاب
 المقول بالصفات الطبية

وأبان أن أعداء الله - وإن كانوا في صولة في الدنيا - لا ينيني أن يغتر المؤمنون بما
 نالوه، فمصيرهم إلى جهم . وطيّب خاطر المؤمنين ، بأنه أعد لهم الثواب والنجم .

٣١٠ـــ وأبان أن بعض أهل الكتاب آمنوا ، وطلب إلى المؤمنين الصبر والمرابطة والتقوى والتمسك بالوحدانية المطلقة والعمل|الصالح رجاة الظفر بقربه تعالى .

بمشسيانة الزَّمْزُ الزَّحْدِ

(المّم آللهُ لا إلك إلا هُوَّ الحَّيْ الْفَيْرُمُ ﴿ نَزُل عَلَيْكَ الْمَيْرُمُ ﴿ نَزُلُ عَلَيْكَ الْمَكِنَبَ اللّهِ الْمَلْمَ اللّهُ عَلَيْكَ الْمَكِنَبَ الْمُلْمِينَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْقً وَأَنْزَلَ اللّهُ عِلَيْكُ ﴿ مِن قَبْلُ هُدُى لِنَا اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

القسردات :

(السم): سبق الحديث عنها في أول سورة البقرة .

(ٱلْقَيُّومُ) : القائم بذاته ، أو عظم القيام على تدبير خلقه .

(ٱلفُرْقَانَ) : القرآن ، أو جميع الكتب الساوية ؛ لأنها تفرق بين الحقُّ والباطل .

(ذُوانتِقَام ٍ) : ذو عقوية شديدة لن مصاه . لايقدر على العقاب بمثلها أحد .

التفسي

١-(الم):

٧- (اللهُ لَا إِلَّهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) :

سبب النزول : نزلت في وفد نجران ، حين قدموا إلى المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحاجزنه في شأن عيمي بن مريم .

رؤى ابن جرير ، عن الربيع عن أنس ، قال :

و إن النصارى أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخاصدوه في عيسى بن مريم ،
 وقالوا له : مَن أَبوه ؟ ، وقالوا على الله الكذب واليهنان . فقال لهم النبي - صلى الله عليه

وسلم - : ألسم تملمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى ، قال : ألسم تعلمون أن ربنا حي لا عوت ، وأن صيحي يأتي عليه القناء ؟ قالوا : بلى ، قال : ألسم تعلمون أن ربنا عيم على كل شيء : يَكُلُوه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل علمك حيمي من ذلك شيئًا إلا ما حُلَّم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل يعلم حيسي من ذلك شيئًا إلا ما حُلَّم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل يعلم حيسي من ذلك شيئًا إلا ما حُلَّم ؟ قالوا : لا ، قال : قال يشرب الشراب ، ولا يحدث الحدث ؟ قالوا : بلى ، قال : ألسم تعلمون أن مهمي حملته يشرب الشراب ، ولا يحدث الحدث ؟ قالوا : بلى ، قال : ألسم تعلمون أن مهمي حملته أمه كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع لمرأة ولدها ، ثم غُلُثَى كما يغلى الصبي ، ثم كنا نعم كون هذا العلم ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ قالوا : بلى ، قال : قال : فكيف يكون هذا كنا نعم والا العلم ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ قالوا : بلى ، قال : قال : فكيف يكون هذا كما زعم ؟ ! فعرفوا ، ثم أبوا إلا جمودا . . فأترل الله :

(اللَّمْ . اللهُ لَا إِلَّهُ إِلَّا مُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ):

المنى : ذهب بعض الفسرين: إلى أن (الَّمَّ) وأمثالها ، من التشابه الذى استأثر الله بعلمه .

وقال آخرون: إنها أمياة حروف هجائية: ترمز إلى تحدى العرب بأن القرآن مؤلف من كلمات ذات حروف كهذه، فأتوا عمثله إن صح ترصكم أن محمدا الدراه، المؤاف عجزتم ، فمحمد مثلكم لا يستطيع أن يأتى عمثله ، فيجب الإيمان بأنه من عند الله تعلى [ارجم إلى ما قبل فيها في صدر سورة البدرة] .

(اللَّهُ لَا إِنَّهُ إِلَّا مُوَ ﴾ :

(الله): هو الإله ، المنفرد بالألوهية ، المستحق وحده للعبادة ، فالألوهية مقصورة عليه ، ثابتة له ، منفية عن غيره ، وبذلك ننى الشريك كما تزعم النصارى في عيمى ، وكما تزعم اليهود في عُزير ، فإن اعتقاد البنوة شرك . كما نفَى أن يكون هناك إِلّه غيره ، كما يزعم المشركون .

كما أن الآية تنني أن يكون الكون بغير إله خالق ، كما يقول الدهريون .

(الْحَيُّ) : المراد بالحي : الدائم الحياة ، الذي لاعوت أبدا .

(الْقَيْومُ) : الدائم القيام بتنجير الخلق وحفظه .

والوصفان ، كالدليل على استحقاق الله للتفرد بالألوهية .

٣ ، ٤ ـ (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِمَابَ بِالْحَقِّ مُصَلِّقًا لَمَنا بَيْنَ بَلَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ . ين قَبْلُ مُنَّى لَمُنَّاسِ . . .) الايتان .

أى نزل عليك القرآن : وعبر عنه بالكتاب ؛ للإيذان بأنّه هو الكتاب المتعيز ، الذى ينصرف إليه هذا الاسم عند الإطلاق^(۱) ، أو للإشارة إلى أنه مشتمل على مافى غيره من الكتب المسهوية من المقاصد المشتركة بين الأديان فكأنه جنس الكتب السهاوية (۱۲)

وعبر فى جانب الفرآن بالتنزيل، وفى جانب التوراة والإنجيل بالإنزال-كما سيجىء ــ لأن التنزيل للتكثير، والله نزل الفرآن مفرقا حسب الوقائع شاملا لجميع شئون الحياة، فكان مغى التكثير حاصلا فيه . وأما التوراة والإنجيل فإنه ــ تعالى - عالج فيهما بعض شئون الحياة .

ومعنى تنزيل القرآن على الرسول بالحق ، أنه ستعالى سنزله عليه ملتبسا بالحق فى جميع صوره : من توحيد الله وتنزيه عن الصاحبة والولد ، وإخباره عن أحوال الأمم السابقة مع رسلهم ، وشهادته بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم _ وإخباره بأن أهل الكتاب يجنونه مكتوبا عندهم فى التورأة والإنجيل بأوصافه المهزة له ، وماجاء به من المبادات والمعاملات والأعلاق ، وأحوال الآخرة ، فكل هذه الصور من الحق ، جاء بها القرآن العظيم .

وكما نزله الله على وسوله بأنواع الحق التي ذكرناها ، فقد نزّله مصدقًا لما بين يديه ، أى لما سبقه من الكتب السياوية التي أنزلها الله على رسلة تمبل محمد صلى الله على وسلم ــ أى موافقًا لها فيا اشتملت عليه من المقائلة ، وأصول الأسكام . فكل مايوجد في التوواة والإنجيل مخالفًا لما جاء فيه ــ كجملهم لله صاحبة أو ولدا أو غير ذلك ، من المقائلة وأصول الأحكام ــ فهو من تحريف أهل الكتاب ، وهو مردود على أصحابه .

⁽١) فأَلُ فيه على مِنَا السِّف . (٢) فأَلُ فيه على مِنَا السِّف .

فالغرض من هذين الوصفين ، رد ماعليه أهل الكتاب ، وإيذان بأن ماهم عليه ، إنما هو مخالف للحق ، ولما جاء فى التوراة والإنجيل النازلين من عندالله ـ تعالى ـ وبيان أن المحق - الوافق لسائر الكتب السهاوية ـ هو ملجاء فى القرآن المجيد . ولذا عقبه يقوله :

(وَأَنزَلَ الثُّورَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلٌ هُلَّى لَلنَّاسِ) :

أى فأنزل التوراة والإنجيل من قبل القرآن ؛ لأَجل هداية الناس حين أَمْزلهما على موسى وعبسى، فلم يكن فيهما شيءً من الفلال ، الذي يشتملان عليه الآن .

(وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ) :

أى وأنزل القرآن بعدهما: فارقا بين الحق الذى كانت عليه الكتب الساوية ، وبين البطل الذى عليه أهل الكتابين الآن ، وسائر أصحاب الملل والنحل . فقد بين الحق فى أمر حَرَيْر وعيسى، وبنى أنهما ولَذَكان فَهُ . وأحلّ الحلال ، وحرَّم الحرام ، وفرض الفرائض ، أمر حَرَيْر وعيسى، وبنى أنهما ولَذَكان فَهُ . وأوجب توحيد الله فى العبادة ، وبنى عنه الشركاء ، وأخير عن يوم القيامة الذى تجزى فيه كل نفس بما عملت من خير أو شرّ ، وأقام الأدلة على شوته .

فعن استحب العمى على الهدى - بعد هذا الفرقان - فأُولئك هم الطالون . و وَسَيَعْلُمُ الَّذِينَ ظُلْمُوا أَى مُنقَلَبُ يَنْقَلَبُونَ ﴾ (1)

أخرج ابن جرير ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : أنه - أى القرآن - الفاصل بين الحق والباطل فيا اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى - عليه السلام - وفيره .

و أيد هذا ، بأن صدر السورة نزلت فى محاجة النصارى للنبى. صلى الله عليه وسلم ... فى أمر أنسيه عيسى .

ولما ذكر الله ما يتعلق بمعرفة الإِلَّه ، وتقرير النبوة ، أنبعه الوهيد للكافرين المعرضيين عبر هذا الدخر ، فقال :

⁽١) الشمراء من الآية : ٢٢٧

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُّوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ :

المراد بالكافرين : النصارى الذين نزل صدر السورة بسببهم، أو كل كافر، فيدخل هوُّلاه فيهم دخولاً أوليًا .

والمراد بآيات الله : الكتب المنزلة على الرسل ، أو مايعمها وغيرها . كالآبات الكونية والمعجزات ، وإضافة الآبات إلى اسم الله – تعالى – تبويل لقظاعة تكذيبها ، وتأكيد لاستحقاقهم العذاب ، وتنكير (عَلَابُ) لتعظيم أمره . أى أنه عظيم لايقدَّر قدره .

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ نُو انْتِفَام ِ) :

العزيز : الغالب الذي لايفلب . والانتقام : العقوبة . وكلمة (عَزِيزٌ) : للإشارة إلى القدرة التيامّة على العقاب .

والجملة سيقت لتقرير الوعيد السابق عليها .

(إِنَّ اللَّهُ لَا يَضْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءَ ﴿
هُوَ الَّذِي يُصَوِّدُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءً لَآ إِلَكَهُ إِلَّاهُ وَالْمُوالْعَزِرُ

القبرنات :

(لَايَخْفَى): لا يغيب.

(يُصَوِّرُكُمْ) : يخلقكم على ما شاء من صورة .

(الْأَرْحَامِ) : جمع رحم . وهي مكان الحمل . مشتق من الرحمة .

التفسير

٥ - (إنَّ الله لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآء) :

إن الله واسع العلم ، لا يخل عليه شئة كانن في الأرض ولا في السهاء؛ لعلمه عا يقع في العالم من كُلِيٍّ أَو جُرِيٍّ ، فهو العالم عا كان وما يكون ، وهو مطلع على كُفْر مَنْ كَفَرَ بآيات الله ، وإعان من آمن بها . وهو مجازيهم عليه ، والمسيحيون يؤمنون بالوهية عيمي غافلين عن أنه بشر محدود المعرفة فكيف يكون إلَها ؟

وعبر عن علمه ـ تمالى - بذلك ؛ إيذانًا بأن علمه - سيحانه - بالكائنات ـ ولو كانت فى أقصى خايات الخفاء ـ ليس من شأنه أن يكون فيه شائبة خفاء بوجه من الوجوه ، بل هو فى غاية الوضوح والجلاه .

٦ - (هُوَ الَّذِي يُعَمُّورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَكُّهُ . . .) الآية .

أى يخلقكم على الصورة التي يريدها .

والآيتان رَدُّ على نصارى نجران فى دعواهم ألوهية عيسى . ووجه الرَّد: أن الإلّه هو الذى لايخنى عليه شيءٌ ما: فى الأرض ولا فى السياه . وعيسى - كخلق الله- يخنى عليه مالم يُعْلِمَهُ اللهُ إياه . فلايصلح أن يكون إلّها .

والله هو المناى يصور الخلق فى الأرحام كيف يشاة . وعيسى لايقدر على ذلك . بل صَوَّره الله فى رحم أُمه كسائر خلقه فهو مخلوق لا خالق . ومن كان كذلك – لايصلح أن يكون إلّها . كما أن الآية الثانية كالدليل على أن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى الساء . فإن من صَوَّر الأَجنة فى الأرض ولا فى الساء ، فمفهوم هذه الجملة كانتيجة لما قبلها . فكأنه قبل : ومن كان لايخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى الساء – وجب أن ينفرد بالألوهية ، فلا يشاركه فيها ولَدُ أَوْ غيره . وأن يكون هو العزيز الذي يغلِّب ولا يُعلّب ، الحكم فى صنمه وتدبيره .

(هُوَ الَّذِيَ أَنزُلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ مِنْهُ عَالَيْتُ غُنكَمَنتُ هُنَّ هُنَ الْكِتَبِ مِنْهُ عَالَيْتُ غُنكَمَنتُ هُنَ أَمُّ اللّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ ذَيْغٌ فَيَنْبِعُونَ مَا تَشْبَهُ مَنهُ الْمِينِةِ وَالْمِعْقَاءَ الْفِئْنَةِ وَالْمِعْقَاءَ الْفِئْنَةِ وَالْمِعْقَاءَ الْفِينَةِ وَالْمِعْقَاءَ الْفِئْنَةِ وَالْمِعْقَاءَ الْفِئْنَةِ وَالْمِعْقَاءَ الْمُعْلَمُ اللّهِ مِن اللّهِ مَن اللّهِ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

الفسردات :

(مُحْكَمَاتُ) : واضحة الدلالة على معاتبها .

(مُتَشَادِهَاتُ) : محملات لعدة معان لايتضع مقصودها ، فاشتبه أمرها على الناس . (زَيِّمُ) : ميل عن الحق إلى الباطل .

(لَبُتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ : طلبا لها .

(الرَّاسِخُونَ فِل العِلْمِ) : الثايتون فيه .

(الْأَلْبَابِ) : المقول الخالصة .

التفسير

٧ - (هُوَ اللَّذِي أَنْزَلَكَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتُ مُّحْكَمَاتٌ هُوَ أَمُّ الْكِتابِ . . .)
 الآية .

بعد أن بين الله : أن الفرآن نزَّله الله مصندقا للكتب السياوية التي سبقته ، وأنه فارِقٌ بين الحق والباطل ، وتوَعَدَّمَ كَفر به ، وأ كدالوعيد بذكر أنه لايخفى عليه شيءٌ في الأَرض ولا في السياه – عاد إلى الحديث عنه في هذه الآية ، على ماستشرحه . والمعنى : الله الذي تقدم بيان صفاته الجليلة ، هو الذي أُنزل عليك -يامحمد - القرآن فيه آيات محكمات : أي واضحة الدلالة على معانيها .

وقد وصف الله هذه الآيات المحكمات بأنها : أم الكتاب . أى مرجع أحكامه ، وأصل معانيه . وسنوضح ذلك فى الكلام على المتشاجات .

(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) :

أى وفيه آيات أخرى متشابهات ، أى غير واضحة اللالاة على معانيها بنفسها . فهذه ترجع – فى أحكامها ومعانيها .. في المحكمات التى جعلت أصلا ومرجعا لأحكام الفرآن ومعانيه المتشابهة . فأطلق عليها : أم الكتاب ، من أجل ذلك . فكما أن الولد يرجع إلى منبته وأصله وهى أمه - فكذلك المتشابهات ، ترجع إلى المحكمات ، فهى أصلها وأمها ومالها .

ومن ذلك قوله تعلى : و لا تُنْوِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ ¹⁰ وقوله : وَجُوهُ يُومَّئِذُ نَّاضِرَةً . إِلَى رَبِّهَا نَاظرَةً وَ أَنَّ مَ فَتَحصل الأُول على معنى :لاتحيط به الأَبْصار ، وتُحمل الثانية على معنى أنها تنظُر إليه من غير إحاطة . . بردَّها إلى المحكم وهو قوله تعسلى : ولَيْسَ كَيْظُهِ مَنَ وَهُو السَّبِعُ الْبَصِيرُ وَ " ، فإنها تقتضى أن النظر إليه -سبحانه - لايصح أن يكون فيه إحاطة به ، حتى لاياثل مخلوقاته في ذلك ؛ وليتفق هذا التأويل مع نفى إدراكه الذي اشتملت عليه الآية الأولى . وهكذا كل مايكون متشاجا في القرآن ، يحمل على محكمه .

⁽١) الأنعام من الآية : ١٠٣

 ⁽٢) ألقيامة الآيتان: ٢٢ و ٢٣
 (٤) وهو التفكر العقل والتدير أن الآيات.

⁽٢) لمشودى من الآية : ١١

كلام الله ، ولا اختلاف فيه - إذا رأى فيه ما يناقض ظاهره - وأهمَّهُ طلبٌ ما يوفَقُ بينه ويجريه على سَنَن واحد ، ففكّر وواجع نفسه وغيره ، ففتح الله عليه ، وتبين مطابقة المتشابه للمحكم - ازداد طمأنينة إلى منتقده ، وقوة في إيمانه . . . ١ ه والله أعلم .

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) :

لَمَّا بين الله أن فى الكتاب: محكمًا ومتشابها ، فرَّع على ذلك موقف أَهل الزيغ من المشابه .

وأهل الزيغ: هم الماثلون عن الحق إلى الأهواء الباطلة ، فيدخل فيهم نصارى تجران، اللمين نزل صدر السورة بسببهم .

(لَمَيْتَبِعُونَ مَاتَشَابَهُ مِنْهُ) :

أَى فيتعلقون بذلك التشابه وحده ، ولاينظرون إلى المحكم ليردوه إليه ، بل يأخذون بنَّحد الاحمَالات الباطلة التي توافق أغراضهم الفاصدة ، ومذاهبهم الباطلة ؛ إلحادًا , كفرًا .

(ابْتِفَاتُه الْفِتْنَةِ وَابْتِفَاتَه تَأْوِيلِهِ) :

. أى طلب فتنة الناس عن دينهم ؛ بالتشكيك فى كونه من عند الله ، بزعم تناقضه ، وطلب تأويله إلى معان توافق مذاهبهم المبتدعة فى الدين ؛ ليحطنوا فِرَقا تشق وحدة المسلمين ، كتلك الفرق التى ظهرت ، مثل النصيرية والقاديانية والبهائية .

والذين يتبعون التشابه فريقان : فريق من الكفار صرحاء مجاهرون ، يريدون هلم التَّين يزعمهم تناقضه (۱^{۱)} ، وفريق منافقون ملحلون منحرفون عن جماعة المسلمين .

(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) :

أى ومايعلم تأويل المتشابه – حسبا ينبخى له – إلا الله . ولذا أوَّله وفسَّره بآياته المحكمات؛ التي (هُنَّ أَمُّ الْكِتَابِ)، ومرجع المتشابه فيه .

⁽۱) کا ضل النصاری فی شمان میسی ، سیت ترحموا تنافش الفترآن حین این پدو میسی فت تاره ، واثنیتها اعری حین ذکتر آنه دوح مه. رحطا زیغ مهم پیمتون به الفتنة ، فإن المراد من قوله ، و وروح مه آنه مصادر من الله ، فکماً آن کل شیء صادر من الله بالخلق والإیمناع ، فکطك روح میسی ، وصفق الله إذ يقول . و آم پیگر آم پر فراد » .

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بِنَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبَّنَا ﴾:

يحتمل أن يكون الكلام تم "، عند قوله تعالى : (وَمَا يَخْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا الله) وابتداً كلاما جليلا ابقد الدار المتناب لا يعلم تأويله الله . أما الراسخون في الولم يمكونون آمنا بالمتشابه ، أما الراسخون في العلم ، فلايزيقون كما زاغ أهل الفتنة ، بل يقولون آمنا بالمتشابه ، فكل من المتشابه والمحكم صادر من عند ربنا ، فهم بذلك يحسكون عن تأويله ، مفوضين العلم بمعناه إلى من أنزله - سبحانه - ويحتمل أن يكون : (وَالرَّاسِتُونَ فِي اللهم) معطوفا للعلم العنا الحلالة في قوله : (وَمَا يُطَلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله) والمعنى عليه : ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم أيضا . فهم يعلمون تأويله برده إلى المحكم الذي هو أم المعتشابه ومن المتشابه ومن المتشابه ومن عند ربنا .

ويشهد لصحة هذا الرأى أمران :

أحدهما أن الله – تعالى – ما أنزل القرآن إلا ليُمْمَلَ به . فلا ينبغى أن يكون فيه ألفاز ومصيات لا يمكن فهمها وإدراكها . فمتشابه يجب أن يرد إلى محكمه . . كما قال الله فى الآيات للحكمات : (هُنَّ أَمُّ الْكِتَابِ) : أى مرجعه عند الاشتباه .

وثانيهما: فى أن الله تعالى أثنى على الراسخين بقوله: ﴿ وَمَا يَذُّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ فى وصفهم بأنهم أصحاب العقول الخالصة المتذكرة ، دليل على أنهم استعملوها فى كشف المتشابات والتذكر بها .

والراسخون فى العلم : هم الثابتون فى العلم الشرعى ، اللين استناروا بمشكاة الكتاب والسنة ، ومنّ الله عليهم بالفقه فى الدين .

روى الشيخان وأحمد عن النبي - صلى الله عليه وصلم - « مَنْ يُرِدِ اللهُ به غيرا يفقيهُ في الدِّين » .

(وَمَا يَذَّكُّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) :

أى وما يتدبر القرآن فلا يزيغ فى تفسير الششابه منه ، إلا الراسخون فى العلم ، اللين قالوا: (آمَنًا بِهِ كُلُّ مِنْ عِندِ رَبَّنا) فهم أصحاب العقول الخالصة من الركون إلى الأهواه . الزائدة .

(رَبَّنَا لاَ تُزِعْ فَلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَنَا وَهَبْلَنَا مِنْ لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّهُ النَّاسِ لِيَوْمِ لَا رَبْ فِيهِ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَابُ فِي وَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ لَا رَبْبُ فِيهٍ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَابُ فِي إِنَّالًا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ لَا رَبْبُ فِيهٍ إِنَّكَ أَلْفَ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

القبرنات :

(لَا تُنزِغُ قُلُوبَنَا): لَا تُعِلْهَا عن اللحق .

(من لَّدُنكَ) : من عندك .

(لِيَوْمِ إِلَّارَيْبَ فِيهِ) : لِيوم لايصح أن يشك فيه ، رهو يوم القيامة .

التفسير

٨ - (رَبُّنَا لَا تُرْغُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ مَدَيْتَنَا . . .) الآية .

يحمل أن يكون هذا من تمام كلام الراسخين؛ ويحمل أن يكون تعليها من الله لهم، أى : قولوا ذلك وادعوا به ؛ لأن القارب تنقلب .

وللعنى: لَا تُمِلْ قلوبنا - يا ربنا - عن نهج الحق بتأويل الششابه تأويلا لا ترتضيه ، كما أزغت قلوب أولتك . أو: لا تَفْيَنا ولاَ تَبُلُنَا ببلايا تَزيغ فيها قلوبُنا .

(وَكُمْبُ لَنَا مِن لَمُنكَ رَحْمَةً) : الرحمة المطلوبة لهم : إمَّا الإحسان والإتعام مطلقا ،
 وإمَّا الإحسان بالتوفيق للثبات على الحق ، كما يُشْمِر به ما قبله .

والمعنى على ألثانى : وهب لنا من عندك توفيقا وثباتاً على الحق : رحمة منك وفضلا .

(إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ):

أى كثير الهبات والعطايا ، وهذا تعليل للسؤال ، أو لإعطاء المسئول ، أى أنك - أنت وحدك - الوهاب لكل موهوب .

وفيه دلالة على أن الهُدَى بتوفيق الله ، والضلال بعدم الإعانة منه ؛ لتقصير العبد فى سلوك سبيله، وأنه متفضل بما ينتم به على عباده ، من غير أن يجب عليه شيء .

٩ ـ (رَبُّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ لَّا رَيْبَ فِيهِ . . .) الآية .

أى : أنت ياربنا ، جامع المهتدين والزائفين ؛ لحسابهم وجزائهم فى يوم لا يشبغى أنْ يُرتاب فى وقومه ووقوح مافيه من الحشر والنشر والجزاء .

ومقصود الراسخين فى العلم من هذا الدعاء، عرض افتقارهم إلى الرحمة ، وأنها المقصد الأمنى عندهم، وتأكيد إظهار ماهم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة ، لزيد الرغبة فى استنزال الإجابة .

ا إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) :

هو كلام الله – مزَّ وجلَّ – بعد أن تم كلام الراسخين عند قولهم : (لِيَوْمٍ, لَّا رَيْبُ فِيهِ) كَانَ القوم لما قالوا : ﴿ إِنَّكَ جَاسِمُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبُ فِيهٍ ﴾ صدقهم الله فى ذلك ، وأيَّد كلامهم بقوله : ﴿ إِنَّ اللهُ لَا يُدَخِّلُ الْسِيَادَ ﴾ .

وقيل ; هو من كلام الراسخين .

والمعنى على هذا : إنّك لاتخلف وعدك للصلمين والكافرين بالثواب والعقاب ، أو وهك بمجىء يوم لا ربب فيه . فهذه الجملة تعليل لمضمون الجملة السابقة التركدة لانتقاء الريب فى مجيئه . وإظهار الاسم المجليل سالله - لإبراز كمال التعظيم والإجلال . وللإشعار بعلة المحكم ، فإن الأثرمية منافية للإضلاف فى الوعد .

والتأكيد بإنَّ ، وإظهار لفظ الجلالة بللا من الضمير : يفيد – إلى ما سبق – تأكيد نفى الريب ، كما يفيد تأكيد قيام الماحة تأكيدا حاميا .

ئائسردات :

(وَقُودُ النَّارِ) : وقود النار – بالفتح – ماتوقد به . وبالضم : الاشتعلل .

(كَدَّأْبِ): الدأبِ ؛ العادة .

(الْمِهَادُ): الفراش.

التفسير

١٠ (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا . . .)
 الآية .

المراد باللَّمِين كفروا: جميع الكافرين . وفي جملتهم وفد نجران . اللَّمِين نزل صدر السورة بسببهم .

والمعنى : إن اللين كفروا جميعا ، لا تنفعهم - ق يوم لاريب فيه - أموالهم التي أعدوها ليبللوها في جلب المنافع ودفع الأذى ، ولا أولادهم اللين جم يتناصرون ، وعليهم في دفع الخطوب المدلهمة يعتمدون . فكل ذلك لا يعنى عنهم من الله وعلابه شيئا من الإهناء . . أو لن تغنى عنهم بدك رحمة الله وطاعته .

﴿ وَأُولُئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّادِ ﴾ : .

أَى وأُولئك المتصفون بالكفر، حطب النارالتي تشتعل بهم ؛ لكفرهم .

وفى الآية : إشارة إلى أن الكفار ألْهَتْهُم أموالهم وأولادهم عن الله، والنظر فيا ينبغيله ، حتى كنَّهم يعتقدون أنها تغنيهم عن رحمة الله وطاعته ، وتدفع عنهم عذابه .

١١ - (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن فَبْلِهِمْ . . .) الآية .

المنى: لن تغنى عن هؤلاء الكفار أموالهم ولا أولادهم اشأتهم في هذا ، شأن آل فرهون ، حيث لم يُعن صفهم ماملكره من أموال طائلة وما أنجبوه من أبناء عديدين، فأغرقوا وأدخلوا نارا ، بسبب كفرهم . فكما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستئصال ، فكذلك ينزل بمم أبا الكفار بمحمد حول الله عليه وسلم حمن القتل والسبى والإجلاء وضيمة الأموال . وكما دخلوا النار لكفرهم ، فستدخلونها أنم لذلك . وفي ذلك يقول الله تعالى بعد هذه الآيد : و قُل لَمُلكِينَ كَمْرُوا سَتُطَكِينَ وَيُحْدَمُونَ إِلَى جَهَنَمَ وَيَشَى الْجِهَادُ ،

والمراد عن قبلهم : الأم الكافرة التي كذبت الرسل ، ثم فسر ذلك فقال :

(كَلُّبُوا بِآيَاتِنَا) :

الآيات : المعجزات والبراهين التي أيد بها الرسل، أو الأدلة على وجود الله ووحدانيته، أو هما معا .

(هَأَخَذَهُمُ اللهُ بِنُنُوبِهِمْ) :

أستعمل الأُنتذ؛ لأَن من ينزل به العقاب، يصير كالمُنتوذ المُأسور، الذي لا يقلر على التخلص .

والمعنى : فأخذهم الله وعاقبهم ، ولم يجدوا من بأس الله محيصا ، وذلك يسبب ذنوبهم التي أصرُّوا عليها ولم يقلموا عنها .

(وَاللَّهُ شَدِيدُ الْمِقَابِ) :

أَى لمن كفر ، وهذا تُذْبيل مقرر للضمون ماقبله من الأَّخذ للجميع ، وتكملة له .

١٧ - (قُل لِّلَّالِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيِثْسَ الْيهَادُ) :

سبب النزول:

أخرج ابن جرير ، وابن إسحاق ، والبيهقى، عن ابن عباس : ه أن رسول الله ــ
سلى الله عليه وسلم ــ لما أصاب ما أصاب من البدر، ورجع إلى المدينة ــ جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال : يامعشر يهود، أسلِموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا، فقالوا: يا محمد، لايغرنك من نفسك أن قَتَلَبَ نفرا من قريش : كانوا أضارا لايعرفون القتال، إنك ــ والله ــ لو قاتلتنا ، لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تكن مثلنا .. فأتول الله :

(قُل لُلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ) إِلى قوله : (لِأُولِي الْأَبْصَارِ) .

وحُكم الآية يعم جميعَ الكافرين ، وإن نزلت بسبب البهود ، فسيغلب الوَّمنون الكفار جميعا ، ويُنْصرون عليهم ، كما قال تعالى : • هُوَ اللَّذِي أَرْسُلَ رَسُولَهُ بِالْهَاتَى وَعِينِ الْحَقُّ لِيغَلِهُومُ عَلَى اللَّذِينِ كُلُّهِ ، *`` ، وقال : « وكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصُرُ السُّوْلِينِينَ ، *``

المبنى: قل بامحمد، لهؤلاه الكفار: ستغلبون - ألبتة - عن قريب، وستحشرون - بعد موتكم ثم بعثكم - إلى جهنم: مستقركم الدائم وبئس الفراش: جهثم، التى مهدتموها لأتفسكم يلغويكم وآثامكم .

والتعبير عن جهنم بالمهاد ؛ للتمكم بهم . فإن المهاد هو الفراش اللي يمهد ليستراح عليه ، ولا مهاد ولاراحة في السعير .

وقد تحقق وعيد الله لهم بأنهم سيغلبون ، وذلك بقتل يهود بنى قريظة ، وإجلاه بنى النفسر ، وفتح خيبر ، وضرب الجزبة على من عداهم . . فكان الإخبار عن ذلك - قبل وقوعه ثم تحققه بعد ذلك -- معجزة للرسول

وفى الآية دليل على حصول البعث بعد الموت ، وحصول الحشر والنشر ، وأن مرد الكافرين إلى النار . فكما تحقق الوعيد الأول ، يتحقق الوعيد الثاني يوم الحساب . (قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةً فِي فِقَتَيْنِ الْتَقَتَا فَيَةٌ تُقَنِيلُ فِسَبِيلِ اللهِ وَأَخْرَىٰ كَافِرَةً يَرَوْنَهُم مِّفْلَيْهِمْ رَأَى الْمَيْنَ وَاللهُ يُوَيِّدُ بِنَصْرِوماً مَن بَشَآةً إِنَّ فِ ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأَوْلِي الْأَبْصَرِ ۞) .

القسردات :

(آيَةٌ) : الآية هنا ؛ العبرة والعظة .

(فِيَّةٌ) : الفئة ؛ الطائفة من الناس .

(الْأَبْصَارِ) : البصائر والعقول .

التفسير

١٣ _ (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةً فِي فِتَنَبْنِ الْتَقَنَا . . .) الآية .

الخطاب لليهود الذين اغتروا بأتفسهم ، أى قد كان لكم – أيها اليهود علامة عظيمة دالة على تحقق ما توعدتكم به ، وهو أنكم ستغلبون قريبا ، وهذه العلامة والآية : في جماعتين التقتا في الفتال : يوم بدر ، وهم جيش رسول الله وأصحابه وجيش مشركى مكة.

ولاشك أن فى غلبة المسلمين - للكفار مع كثرتهم وعظيم علتهم - آيةً بيئة على صدق وعبد الله لهؤُلاء الكافرين، ووعده بنصر المؤمنين. مع العلم بأن المشركين خرجوا مستعدين للفتال أثم استعداد . يعكس المسلمين .

(فِئَةٌ تُفَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ) :

أى فئة موَّمنة في أعلى درجات الإيمان : تجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمته . وهم أصحاب د بدر a .

(وَٱخْرَى كَافِرَةً ﴾ :

أى وفقة أخرى كافرة . والمراد بها : كفار قريش . ولم توصف هذه الفقة عا يقابل صفة الفقة الأُولى بنان يقال : إنهم يقاتلون في سبيل الشيطان ؛ إسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار ؛ وإيدانا بأنهم لم يتصدّوا للقتال حسب استعدادهم ؛ لما اعتراهم من الرعب والههبة . (يَرَدُونُهُم مُثَلِّمُهُمْ) :

الرَّامُونَ : المشركونَ ، والمرثيونَ : المؤمنونَ .

والمعنى : أن المشركين كانوا يرون المؤمنين مِقْلَ هدد المشركين ، أو مثلي هدد المسلمين . والمحنى . والمرد من الرؤية : الظن والحسبان . وقد كثَّر الله المسلمين في أعين المشركين – مع قلتهم – ليهابوهم ، فيحرزوا عن قتالهم ، أو أن الله أنزل الملاتكة حتى صار عدد المسلمين كثيرًا في نظر المشركين ، فكانوا يرونهم مثلين (رَأْىَ الْمَيْنِ): أي رؤية ظاهرة للا لبس فيها .

روى محمد بن الفرات ، عن سعيد بن أوس ، أنه قال : أسر المشركون وجلا من المسلمين قسألوه : كم كتم ؟ قال : ثلاثمائة وبضمة عشر . قال : ما كنا نراكم إلا تُضْعِفُون علينا ـ وأرادوا أنهم كانوا ألفًا وتسمعائة وهو للراد مِنْ ﴿ يَرَوْتُهُمْ مُثْلَيْهِمْ ﴾ .

وقد يقال : إن هذه الآية تناقض آية الأنفال التي تقول : « وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ
التُّمَيِّئُمْ فَى الْمَشْرِكُمْ قَلِيالاً وَيُمَلِّلُكُمْ فِي الْمَشْرِهِمْ هُ ... فإن تلك الآية تقتضى
أن كلا من الفريقين قُلُل في أعين الآخر ، وهذه الآية تقتضى أن المسلمين ضاهفهم الله في
أمين الكافرين . إ والحق ألا تناقض بينها ، إذ المراد بآية الأنفال و وَإِذْ يُرِيكُمُومُمْ ،
أما المُرمون « إِذِ التَّمَيُّمُ فِي آهُيُهُمْ قَلِيلاً » إِنما كانت هذه الرقية قبل الالتحام
ثما المؤمون « إِذِ التَّمَيُّمُ فِي آهُيُهُمْ وَلِيلاً » إِنما كانت هذه الرقية قبل الالتحام
لتقلموا عليهم و وَيَقَلَلُكُمْ فِي آهُيُهُمْ » ليقلموا عليكم . ، ولا يجبُنوا عن القتال ، فلما
التحم الفريقان ، أَرى الله المشركين المسلمين مثلين ، فكثر عدد المسلمين في أمين الكفار؟
ليها وم وتنزازل أقدامهم ، فيفشلوا وينهزموا ، وكان عدد المسلمين الحقيق في بدر ، ثلاثمائة
وبضمين رجلا ، وعدد المشركين المحقيق تسمعانة وتحميين رجلا .

⁽١) الأنقال: 11

(وَاقُّهُ يُؤْيُّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآهُ) :

والله يقوّى بنصره وبمونه من يشاء من عباده . فالنصر والظفر ، إنما يحصلان بتأييد الله ونصره ، لا بكثرة العدد، ولا بقوة الشوكة ، ولا بقوة السلاح : وقد تقف بعض العقبات في طريق النصر ، ولكن العاقبة دائمًا للمتثمين .

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَمِبْرَةً لَّأُولِي الْأَبْصَارِ) :

الإشارةُ إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيرًا ، المستتبعة لظبة القليل عديم العدَّة على الكثير وافر العتاد والسلاح . والعبرة : الاعتبار أى الاتعاظ ، وأولو الأَبصار : أُصحاب البصائر أى العقول كما يقال لفلان بَصَرَّ بهذا الأَمر ، أى علمٍ ومعرفة .

(زُيِّ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ اللِّمَاآه والْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنَّطُرَةِ مِنَ اللَّهِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْمَامِ وَالْحَرَّبُ ذَلِكَ مَنَامُ الْحَبَوَةِ اللَّانِيَّ وَاللَّهُ عِنسَدَهُ حُسْنُ الْمَعَابِ (١).

القبريات :

رْحُبُّ الشَّهَرَاتِ) : حب المشتهيات للنفس .

(الْمُقَنطَرَةِ) : المجمعة أو المُصَّفة .

(الْمُسَوَّمَةِ) : الراعية في المرعى . مَأْخوذ من : سوَّم خيله ، إذا أرسلها في المرعى ، أو المطهمة الحسان .

(وَالْأَنْكَامِ ِ) : الإبل والبقر ، والغنم والمعز .

(وَالْحَرَّثِ) : مصدر مراد به : للزروع .

التفسير

١٤ - (زُيَّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ . . .) الآية .

بعد أن توحد الله الكافرين بالهزيمة من المؤمنين ، وآذيهم بوجوب الاعتبار بما أصاب المشركين يوم بلد ، بسبب كفرهم- مع كثرتهم ووفرة علميهم من المؤمنين مع قلتهم وضعف استعدادهم أتبعه التنفير من زينة الدنيا الفانية – إذا صرفَتْ عن الله ... والحثَّ على العمل للاتحرة ، فإنها عير وأبثى . فذكر – سبحانه – هذه الآية الكريمة .

والمزَّيِّن لحب الشهوات ، هو الله تعالى كما روى عن عمر بن الخطاب .

والمرادم تزيين الله حب المشتهيات الدنيوية: أنه جعلها حسناه، ترغب فيها النفوس لحسنه، وترغب فيها النفوس لحسنها، وتميل لحيازتها والتمتع بها . ولذا ، أحب الرجال النساء ليتزوجوهن، وأحبوا البنين ليعاونوهم ويرثوهم ، وأحبوا المال لآن به قضاء المصالح ، وأحبوا الدغيل والأنمام للزينة وحمل المتاع وغير ذلك . ولولا أن الله أعطى هذه الحياة الدنيا: أسباب الحسن والجمال وجعلها أسامًا للمنافع - لما تزينت ولما تحسنت لهم ، ولأعرضوا عنها ، كما يعرضون عما ليس فيه جمال ولا منفحة ، كالحيوانات الفسارة ، أو ضئيلة النفع .

وكما زيَّمها وحَسَنها لهم ، حلوهم من فنتنها ، والركون إليها ، والاغترار جا . كما يشير إليه . آخر الآية ، وكفوله تعالى : « قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَٱبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَوْرَاجُكُمْ وَصَتِيرِنُكُمُ وَالْمَوْالُ الْقَرَقْتُسُوهَا وَيَجَارَةٌ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضُونَهَا آحَبٌ إلَيْكُم مَّنَ الله وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَمِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَى يَأْقَ اللهُ بِأَثْرِهِ "" . وغير ذلك .

وقيل المرّين : الشيطان . وتربينه حب الشهوات : حضه على الرغبة فى ارتكاب المحرمات منها .

ويؤيد هذا قوله تعالى: ٥ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَعْمُونَهُ ۚ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَعْمُونُهُ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَعْمُونُهُ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَعْمُونُهُ السَّبِيلِ فَهُمْ السَّبِيلِ فَعَلَمْ السَّبِيلِ فَعَلَمْ السَّبِيلِ فَعَلَمْ السَّبِيلِ فَعَلَمْ السَّبِيلِ فَعَلَمْ السَّبِيلِ فَعَلَمْ السَّبِيلِ السَّبِيلِ فَعَلَمْ السَّبِيلِ السَّبِيلِيلِ السَّبِيلِ السَّبِيلِيلِ السَّبِيلِ السَّبِيلِ السَّبِيلِ السَّبِيلِ السَّب

وقيل : غير ذلك .

⁽١) أَعْلَى: مِنْ الْأَيْةَ ٤٧ . ﴿ (٧) أَعْلَى: مِنْ الْأَيْةَ ٤٧

والشهوات : جمع شهوة وهي : توقان النفس إلى الشيء .

وفي تسميته المستهيات سذا الاسم فالدنان :

إحداهما: أنه جمل الأُعيان التي ذكرها شهوات ، مبالغة في كوثها مشتهلة، محروصا على الاستمتاع جا .

وثانيهما: أن الشهوة صفة مسترذلة عند العكماء، ملعوم من اتبعها، شاهلة هل نفسه بالبهبية. فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ التنفير عنها.

ولقد عدد الله هنا سبعة أنواع من المشتهيات إذ قال: (مِنَ النَّسَآهِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُتَنظَرَةِ مِنَ الذَّمَتِ وَالْغَيْلِ وَالْحَيْلِ الْسُرَّمَةِ وَالْأَنْمَامِ وَالْعَرْثِ ﴾ .

والمراد من النساء مايشمل الإماء ، وقلَّمهن على الكل ، لأن التمتع بهن أكثر ، والاستثناص بهن أتم .

(وَالْكِنِينَ) :

أى الأولاد الذكور ، وخصهم لأن حب الولد الذكر ، أكثر من حب الأثثى. ووجه التمشع يهم : السرور والتكاثر بهم ؛ إذ هم المعلون للدفاع .

وثني بالبنين؛ لأبهم من تمرات النساه .

وقيل : المراد بالبنين الأولاد مطلقا . والتذكير للتغليب .

﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ اللَّعَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ :

القناطير ؛ جمع قنطار ، ويطلق أحيانًا على المال الكثير بغير عدد . وهو المراد هنا . كما أخرجه ابن جرير عن الضَّحَّاك .

وقد يستممل في مقدار كثير معين من للمال . كما أخرجه أحمد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رمول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ :

القنطار اثنا عشر ألف أوقية ع كما يستعمل في وزن محدود ، وهو مائة رطل . فني
 القاموس : القنطار مائة رطل من ذهب أوفضة .

ووصف الفناطير بالمقتطرة؛ للمبالغة . . فمن عادة العرب : أن يصفوا الشيء بما يشتق منه للمبالغة ، كظل ظليل . وقيل معناه : المحمَّنة . من قَنْظَرَتُ الشيء . إذا عقدته وأُحكمته . وإنما كان الذهب والفضة معبوبين ، لأنهما سبب للحصول على كل معبوب .

(وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ) :

المسوَّمة : بمنى الراعية . ووصفت الخيل بذلك ، لأَنها إذا رعت ازدادت حسنا . وقيلَ : المسومة ، بمنى الطهمة الحسان . مأُخوذة من السيا وهى الحسن . أو هى المعلمة ذات الغرة والتحجيل . من السمة وهى العلامة .

(وَالْأَنْعَامِ) :

هى : الإبل والبقر والغنم والمعز .

(وَالْحَرْثِ) :

أى الزرع من حبوب وبقل وتمر .

(ذَالِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) :

الإشارة إلى ماذكر من الأَصناف التي زُيِّن للناس حبها روالمتاع : مايتمتع به في الدنيا زمنًا قليلا ، لأن الآجال مهما طالت فهي قصيرة .

(وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) :

المآب : المرجع ، وإضافة حسن إلى المآب من إضافة الصفة إلى موصوفها ، أى المآب الحسن وهو الجنة .

وليس المراد من الآية الكريمة الصرف عن التمتع بزينة العياة الدنيا ، فإن التمتع با حلال ، كما قال-تعالى - في سورة الأعراف: و قُلْ مَنْ حَرَّمْ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَمُ لِيكِايُو. وَالطَّبِّبَاتِ مِنَ الرَّذِي عَلَى هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، (10 أَى خالصة من العقاب عليها يوم القيامة .

ولكن المراد : ألا يشتغل المؤمنون بها عن الله تعالى ، ولايغتُروا بمفاتنها ، وأن يجملوها وسيلة لحسن المآب ، بصرفها في طاعة الله ومرضاته ، إلى جانب تمتعهم الحلال بها .

⁽١) الأعراف : ٢٢



مطنبت المشخف الشتريف



النفنينيرالؤسنيط

لِلْقُ ثُرَآن الْكَرَبِيْمِ

تأليف أجسنة من العسلماء بإشسواف مجمعً البخرث الإشلاميّة بالأزهرً

الحزب السادس اللبتالال ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

(قُلْ أَقُنَيْفُكُم عِنْيْرِ مِن ذَالِكُمُّ لِلَّذِينَ اتَقَوْا مِندَ دَيِّهِمْ جَنَّتُ عَيْرِ مِن ذَالِكُمُّ لِلَّذِينَ اتَقَوْا مِندَ دَيِّهِمْ جَنَّتُ عَيْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَجٌ مُطَهَّرةً وَمِشُونَ مَن اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللْمُواللِمُ اللَّهُ اللَّهُ الل

الفيرنات :

(ٱَوْتَبَكُّكُم): الهمزة للاستفهام . والمراد منه : التنبيه والتشويق إلى ما ينبثهم به والإنباء : الإخبار . فكأنه يقول : إنى مخبر كم يخبر يسترعى انتباهكم وشوقكم إلى سياحه ، فاستمعوا إليه .

(وَأَزْرًاجٌ مُّطَّهَّرَةً ﴾ : وزوجات مطهرة من الأدناس : حسية ومعنوية .

(وَالْقَانِتِينَ ﴾ : والطيمين لله ، الخاضمين له ، المقرّين بعبوديتهم له .

(بِالْأَسْحَارِ) : الأَسحار جمع سحر . وهو آخر الليل قبيل الفجر .

(وَرَضُوَانَّ) : الرضوان : الرضا العظيم .

التفسير

١٥ ــ (قُلُ أُونَٰبُنَّكُم بِغَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَقَوَّا هِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَمبُرِي بِن تَلْخِهَا الْأَنْهَارُ . . .) الآية .

لما ذكر الله فى الآية السابقة ، أنه قد زُيَّن للناس مشتهيات الدنيا من النساء والبنين ، والكثير من الذهب والفضة ، والخيل الحسان المطهمة ، والأتمام والزرع ، وَنَبَّهُمُ إِلَى أَنها متاع الحياة العنيا، وأن لديه (حُسْن الْمَآبِ) – أنبع ذلك بيان حسن المآب، وأنه خير من هلما المتاع اللذى يغتر به قصارُ النظر ، وأن الذى يحظى به هم : المتقون . فقال جَلَّ ثنائُوهُ : (قُلْ ٱلْوَئْمِنُكُمُ . . .) الآية .

والمعنى: قل يا محمد، لهؤُلاء اللمين يخدعون بزينة الحياة وما فيها منجمال وحسن، فيحبون مشتهياتها ولذاتها: هل أخبركم بخير من ذلكم اللنى تحبونه ، وتمبلون إليه من متاح الحياة اللغيا ؟ شم أجابهم عن هذا الاستفهام المشوق ومهناه :

للغين اتَّقَوًّا عقاب ربهم فخافوه ولم يعصوه ،وأعرضوا حما سواه فلم يفتنوا به، وكانوا بـللك فى وقاية من غضيه وحلابه .

لِهِوَلاه : بساتين عظيمة الحسن ، تجرى من تحته الآبار ، فيتضاعف بدلك حسنها ، ويكمل به التمتع بجاهبها وقطوفها ، وهي لهم حال كونهم خالك ين يبرحونها ، ولهم معذلك ووجات مطهرات من الأدناس الحسية والخُلقية ، فلا يرون فيهن ما يتومم من عوارض تعفي من جعالهن وطهرهن ، وبدلك تكتمل الهجة النفسية ، ولهم حفوق ذلك رضا عظم صادو من الله ينمعون به ، وهم يتقلبون في هذه العالميا فلا يسخط عليهم بعد ذلك أبدا .

والله تجير بجميع العباد ، يعلم أعمالهم وأقوالهم وخواطرهم النفسية ، فبثيب المحسن فضلا وكرمًا ، ويعاقب المسيء عدلا لا يشويه حيث .

والتعبير عن الجنات بأنها (عِندَ رَبِّهِمْ) : الإِشارة إلى علو رثبتها ، وسمو شرفها ، وقالتعرض لمنوان الريوبية -مم الإنماقة إلى شمير المتقين- تاطف بهم ، وتشريف وتكريم لهم.

وقد بدأ الله ... مسيحانه .. في هذه الآية بذكرالجزاء المقرر وموالجنات ، ثم ثنّى بذكر ما بـحصل به الأنس التّام وهو الأرواج العلهرة ، ثم ذكر ما هو أعظم وأفخم وهو رضا الله الذي يسعى إليه الحبيب الواليه . . نـ أنه تعالى ألا يحرمنا رضاه

⁽١) الحرية : ٢٧

١٦ - (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَلَابَ النَّارِ ﴾ :

المنى : هؤلاء المتقون الذين ينعمون بنا النم ، هم الذين يقولون - بإخلاص ويقين - ربنا إننا صدقنا بالذي أنزلته على رسولك محمد وسائر من سيقه من الرسل ، فاضفر لنا - ببركة هذا البقين الثابت - فنوبنا : صفائرها وكبائرها ، واحفظنا من علاب النار التي لاطؤق لأحد بقليلها ، فكيف يعليق سعيرها !

١٧ - (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) :

هلم الأوصاف الكريمة ،هي بقية أوصاف المتقين ،اللين وعدوا بالجنات وما فيها من نعم مقبم .

والمعنى : الصابرين على مشاق الطاعات والنّوانيب ، ومن مغريات الماصى من مُتّع الحياة الدنيا . والصادقين في إعانهم وأقوالهم وأقمالهم . والخاضمين المطيمين لتكاليف رجم ، والمنافضين المواجه البر التي نلمبهم . والمنافضين الأموالهم : في حقوق الله تعالى وحقوق ذوبهم ، وفي أنواع البر التي نلمبهم الله ورسوله إليها . والمستغفرين ربهم في أواخر الليل والناس نيام . فهم ينهضون من لليل المنام، وينتزعون أنفسهم من فراش الراحة والنفلة ، ويطلبون غفران ربهم لما عمى أن يكون قد وكل منهم من ذنوب . وهم قائمون في محاربهم ، أو جالسون بين يدى مولاهم ، إيشارا لطاعة ربهم على هوى نفوسهم .

وقد جاء في فضل الطاعة في الأماحار آثار عديدة :

منها ما رواه النسائى بسند صحيح ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم --: • إن الله سبحانه يُمهل حتى عِضىَ شطرُ الليل الأول ، ثم يأَسر مناديًا فيقول : هل مِنْ دَاعٍ يستجاب له ؟ هل من مستخفر يُنفَرُ له ؟ هل من سائل يعلَى ؟ ، .

وفى الصحيحين عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : ٥ مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أوله وأوسطه وآخره ، فانتهي وتره إلى السحر» . (شَهِدَاللهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَتَهِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَآبِمَا الْعِلْمِ قَآبِمَا

القبردات

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَّا هُوَ) : أَى بَيَّنَ لعباده ذلك بالأَدلة الواضحة . فكأن ذلك منه شهادة وأى شهادة . أما شهادة الملائكة وأولى العلم فهى : إقرارهم بذلك .

(قَائِمًا بِالْقِسْطِ) : أَى قائمًا بالعدل في تدبير الكون .

التفسير

١٨ - (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَاكِكَةُ وَأُولُو الْمِلْمِ قَالِمًا بِالْقِسْطِ . . .) الآية .

لما ذكر الله في الآية السابقة - أن اللين استحقوا حسن للآب هم اللين قالوا: ربَّنا إننا آمنا - أتبع ذلك ببان ما آمنوا به ، وهو توحيد الله اللى شهدت به آياته القرآنية والكونية ، وأقرت به الملائكة وأولو العلم .

للهتى : هذه الشهادة موجهة إلى أهل نجران ، الذين جادلوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى أمر عيسى عليه السلام ، ونزل بسيبهم صدر هذه السورة . وإلى هذا تميل محمد بن جيفر بن الزَّبْيْرُ .

وشهادة الله المراد بها هنا : تقرير وحدانيته تعالى عا أقامه من الأداة في الأنفس والآفاق، وعاجاء في الكتب السياوية من البراهين ، كقوله تعالى في الفرآن : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَ الله الله لَهَ لَكَتب السياوية من البراهين ، كقوله تعالى في الفرآن : « وَقُلْ هُوَ الله فيهِمَا آلَهُ لا الله الدوحيد كقوله : «قُلْ هُوَ الله أَحَدُ " . وكما شهد الله أَحَدُ " . وكما شهد الله يبلك لللاتحكة اللين « لا يَمْصُونَ الله مَا آمَرُهُمُ بيلك لللاتحكة اللين « لا يَمْصُونَ الله مَا آمَرُهُمُ وَيَهُمُونَ مَا يُوْمُرُونَ » . وكما شهد بدلك لللاتحكة اللين « لا يَمْصُونَ الله مَا آمَرُهُمُ ويَهُمُونَ مَا يُوْمُرُونَ » . وكما من فكر ق آيات الله الكونية قامن به . هؤلاء جميعا والمرسلين ، ومن آمن به ، وكل من فكر ق آيات الله الكونية قامن به . هؤلاء جميعا الم

شهدوا لله بالوحدانية ، حال كونه قائمًا بالقسط والعدل فى تدبيره للكون ، لَمُبِعَدُلُهِ قامت السموات والأرض .

والعدل هنا، هو : الحكمة فى التدبير ، الذى استقامت به أُمور الكون . . ويختم الله هذه الآية فيقول :

(لَا إِلَٰهُ إِلَّا مُوَ الْعَزِيزُ الْعَكِيمُ) :

فيوَّ كد - بِمُه الخاتمَة -وحدانيته ويقررها ، ويضيف إليها وصف العزة -وهي الغلبة والقهر -وكلا وصف الحكمة - وهي فعل ما به صلاح الكون - ولولا أنه واحد عزيز حكمٍ ، لما وُجد هذا الكون ، ولما تم له هذا الكمال .

الفيردات :

(بَغْيًا بَيْنَهُمْ) : ظلمًا قائمًا فيهم ، وحسدًا موجودًا في بيثتهم .

(فَإِنْ حَاجُوكَ) : أَى جادلوك .

(أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ فِيمُ) : أخلصت ذاتي ونفسي له تعالى .

(وَالْأُنْتِيْنَ) : المراد بهم ؛ من لا يكتبون من مشركى العرب من غير الكتابيين ؛ لشيوع الأمية فيهم .

التفسير .

١٩_ (إِنَّ اللَّمِنَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . .) الآية .

الهني : إِنَّ اللِمُلَّةُ المُرْضِيةَ عَنَّد اللهُ حَمِى الإسلام .. فلا يُقبل من أحد دين غيره ٥ وَمَن يَبُتَعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ٥٠٠. فليس لأحد من أهل الكتاب أن يتمسك بملته بعد ما أنزل الله دستوره القرآن ناسخًا لما قبله من الأديان والشرائع ، كبا أنه ليس للمشركين أن يتمسكوا بشركهم : ٩ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِمٌ ٥٠٠ فلا يرضاه الله لأحد دينًا .

وكما أن الإسلام هو دين هذه الأمة الذي رضيه الله لها ، فهو دين جميع الأنبياء والمسلين وأمعهم من قبل محمد ، فهو دين الله دائمًا في جميع الأزمان ؛ لاشباله على توحيده تعالى وتنزيه عن الصاحبة والولد ؛ واحتوائه علىأصول الشرائع الشتركة بينهما .. أما الفروع ، طياً مختلفة ، تبمًا لاختلاف الأمر .

ُ قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ " ، فإن ما يصلح منها لأمة ، لا يصلح لأمة أخرى .

> فالصيام مشروع فى جميع الأديان ، ولكن كيفيته تختلف باختلاف الأُمم . والميراث مشروع فى جميع الشرائع ، ولكن كيفيته تختلف باختلاف الأُمم .

> > وهكذا الأمر بالنسبة لباقى الأحكام .

وبالجملة ، فالأمر كما قال صلى الله عليه وسلم : والأنبياء إخوة لملات ⁰⁰ أمهاتم شق ، ودينهم واحد ، ولملني :أنهم إخوة في الدين ، وإن تفرقت الأمهات . ولمله يقصد بالأمهات : الأمم التي بعثوا فيها . ويدل لذلك قوله تعالى : فقرَعَ لكُمْمَنَ اللَّينَ مَا وَصَّى بِهِ تُوحًا وَاللَّينَ أَوْسَانًا إِلَيْكَ وَمَا وَاللَّينَ وَكُومَ وَمُوسَى وَيُوسَى أَنْ أَلْيِمُوا اللَّينَ وَكَا تَتَمَرُّوا فِيهِ » ⁰⁰ .

(وُمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاعَمُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ :

الهنى : كان أهل الكتاب مجمعين في اينهم على الإسلام إذا جاعتم رسوله الموعود به ف كتبهم .

وكان فريق منهم - وهم اليهود - يعادون مشركي المدينة .. وكانت تحدث بينهم حروب،

⁽١) آل صران . من الآية : ٨٠ (٣) لقيان . من الآية : ١٣ ^{(٩} (٣) المائعة . من الآية : ٨٠

⁽ ٤) أي : إخوة الهراث . حديث رواه الشيخان وأدَّله : و أنا أولى الناس بعيس بن مرم

⁽ه) الترزي : ١٣

فيقولون : اللهم افتح علينا ، وانصرنا بالنبي المبعوث آخر الزمان . ويقولون لأعدائهم المشركين : قد أظلَّ زمانُ نَبِيٌّ يخرج بتصديق ما قلنا ، فنقتلكم معه قتل عاد وإزم

وكان هذا حالهم قبل بحثة النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعاته الناس إلى الإسلام: الذي جاء به مصححا للأخطاء المتصدة التي اقترفوها في دينهم ، كدعواهم بنوة عُرير وديسي، لله تمالى. فحسدوه صلى الله عليه وسلم، لأنه من ولد إساعيل، وليس من ولد إسحاق عليهما السلام.

واختلفوا في أمر الإسلام: فعنهم من آمن به كعبد الله بن سلام، وزيد بن سعنة ، من أحبار اليهود وغيرهما . ومنهم من كفر به وهم أكثرهم . وكان كفرهم هذا من بعد ما جاعم الطم اليقيبي بأنه المحنى ، إذ أتاهم على وفق أوصافه ونعوته في كتابم . وكان هذا أقبح القبح . ما جاعم الطم التمام عن عنهم . وإن الجحود ـ بعد الطم – أشنع من الكفر عن غفلة أو جهالة .

وما كان اختلافهم فيه - بعد ما أناهم العلم - إلا بنيا وحسدا فاشيا بينهم ، لا لشبهة تقتضيه .. وصدق الله إذ بقول : و أمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَصْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكَتَابَ وَالْحِكْمَةُ وَآتَيْنَاهُمُ مُلْكًا عَلِيمًا ﴾ (١)

(وَمَن يَكُفُرُ بِآلِيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) :

ختم الله الآية بهذا الوعيد .

والمعنى: ومن يجحد آيات الله الشاهدة بأن الإسلام هو الدين عند الله فلا يؤمن به --يعاقبه الله عن قريب ، فإنه صريم الحساب ومن كان صريع الحساب ، كان صريع المقاب ، قريب الجزاء .

وقد نفذ الله وهيده فيهم ، فقُتلوا ، وأخرجوا من ديارهم حول المدينة ... وما ينتظرهم من الجزله في الآخرة أعظم .

٧٠ _ (فَمَانٌ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ إِلَٰهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ...) الآية .

⁽١) التماء ٤٠

المسى : فإن جادلك أهل الكتاب ، أو جميع الناس فى اللدين بعد ما جاعمم العلم به ، وظهرت لهم براهينه ، فقل لهم : أسلمت وجهى الله ، أى أخطصت ذاتى ونفسى له ، ومَن آمن ممى أخلصوا له أنفسهم كذلك .

وإطلاق الوجه على اللـات كلها ؛ لأنه ترجمان النفس ، وعليه تظهر آثارها ، وهو من إطلاق امم الجزء على الكلِّ لأهميته .

والمراد من الآية : أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يقول الأهل الكتاب ذلك ؛ ليعلموا أنه ليس مسئولا عن انحرافهم و كفرهم ، وأن تبعة ذلك عليهم وحدهم ، وأنه سائر في طريق عبادة الله وحده هو وأتباعه ، دون اكتراث بضلالهم ؟ الأن المحاجة والجدل معهم ـ لا فائدة فيهما ، بعد ما جاعهم العلم بأن ما عليه هو الحق .

(وَكُلِ لَلَّذِينَ أُوتُوا الْكَتَابَ وَالْأُمَّيِّينَ أَأْسَلَنْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَكُّواْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرُ بِالْعِبَاهِ) :

المهنى: وقل يامحمد للهمل الكتاب من اليهود والنصارى، والأميين – وهم مشركو المرب: الذين عرفوا بهذا الوصف؛ لمدم معرفة سوادهم الأعظم القراعة والكتابة –قل لهم سبعد ما أعلمتهم بترك المحاجة معهم وبإسلام وجهك وتابعيك أنه تمال –هل أجارى ممكم هذا وأسلمتم متيمين لى كما فعل المؤمنون، فإنه قد جاء كم من الآيات ما يقتضى الإسلام، أو أنتم الاتزاؤن مصرين على المناد والكفر ؟ .

وهذا كما تقول ... إذا لَخَصْتُ نسائل مسألة بعد ما بينتها له بسعة وإفاضة ... هل فهمت ما قلته لك ؟ وذلك على نظام قوله تعالى : « فَهَلَّ أَنْتُم مُّنتَهُونَ » (١) بعد تفصيل المبوارف عن تعاطى ما حرم الله تعالى.

وفي ذلك توبيخ واتهام لهم بالبلادة وجمود القريحة .

فإن أسلموا متأثرين بذلك ، فقد اهتموا إلى الحق بإسلامهم ، وخرجوا 1م كانوا فيه من ضلال .

وإن أعرضوا عن الإسلام فلا يضرك إعراضهم ؛ فما عليك إلا تبليغهم ، وقد فعلت، فخلصت بذلك من التبعة .

(وَاللَّهُ بَمِيرٌ بِالْعِبَادِ) :

⁽١) الثالثة . من الآية : ٩١

عليم بنَّحوالهم، فلا تخفى عليه أَعمالهم ، فيجزى من أَسلم بهِسلامه ، ويعاقب من تولى وأعرض بتوليه وإعراضه .

(إِنَّ الَّذِينَ يَكَفُرُونَ عِايَدِتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّثَنَ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّثَنَ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّثُنَ بِغَيْرِ حَقِي وَيَقْتُلُونَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِمَدَابِ أَلِيمٍ ۞ أَوْلَتَهِكَ الَّذِينَ حَبِطَتُ أَعْمَنُلُهُمْ فِي الذُّنِيَا وَالْآخِرَةَ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ۞).

الفسردات :

(يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ) : القسط ؛ المدل .

(فَبَشَّرُهُم بِعَلَابٍ أَلِيمٍ): التبشير هنا ؛ بمنى الإنذار . استعمل فيه ؛ على سبيل التهكم .

(حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) : بطلت أعمالهم الحسنة ، فضاع ثوابها .

التفسير

٢١ – (إِنَّ الَّذِينَ يَكَفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقَتُلُونَ النَّبِيَّينَ بِفَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ اللَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْفِسْطِ مِنَ النَّاسِ مَنْقُرُونَ بِالْفِسْطِ مِنَ النَّاسِ مَنْقُرُهُم بِعَدَابٍ إلَّيهِمِ) :

بعد أن توعد الله الكافرين بصرعة الحساب وألم الفقاب . وبعد أن بين لرسوله أنه ليس عليه سوى البلاغ ، فإن أسلموا قُبل منهم ، وإن أعرضوا أعرض عنهم وترك محاجتهم وأسلم وجهه مع من تبعه إلى ربه ــ أتبع ذلك بيان العقوبة التي يستحقها الكافرون بآيات الله ، القاتلون للأتبياء ولن يأمر بالعلل من الناس .

المغنى : المراد من اللين يكفرون بآيات الله ، كل من جحد براهينه تعالى ، وحججه ، فلم يؤمن بما أنزله على رسله . ويدخل فيهم : أهل الكتاب المعاصرون للنبي من اليهود والنصارى ، اللين كفروا بما أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ووصفهم بأتهم قتلوا الأُتبياء بغير حتى، مع أن قاتليهم هم آباؤهم ؛ لأن فعل الآباه، ينسب إلى الأبناه إذا كانوا موافقين عليه أو لم يتكروه . أو أنهم وصفوا بللك، الإيلانان بأن هلا شأتهم، وأنه متغلغل فى دمهم ، وأنهم لو وجلوا أنبياعهم لقتارهم ، كما فعل آباؤهم .

ووصف قتلهم الأنبياء بأنه بغير حق، ليس للتقييد، بل للإيلان بأنه - دائِمًا - يكون بغير حق . فإن الأنبياء لايرتكبون ما يوجبه أصلا، إذ هم معمومون من المعاصى مطلقا، فضلا عن عصمتهم هما يقتضى أن يقتلوا به .

واللين يأمرون بالتسط من الناس، هم أهل الحق من بينهم: اللين كانوا يأمروجم بالمعروف ، وينهوجم عن المنكر

ولما كان هذا لايرضيهم؛ لتأصل التصيان ق.نفوسهم .. قتاوهم كما قتلوا أنبياعهم ؛ ليستريحوا من وعظهم وتذكيرهم ولومهم ؛ وليخلُو لهم جو الفحشاه والمنكر .

روى ابن جرير عن أبي عبيدة بن الجراح ،قال : ﴿ قلت يارسول الله : أَى الناس أَشَدُ عَلَابًا يوم القيامة ؟ . قال : رجلٌ قتل نبيًّا ، أَو رجلًا أَمر بالمعروف ونبي عن المنكر ﴾ شم قرأً الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهِنَ يَكُفُرُونَ بِالْيَاتِ اللهِ . . .) .

وتبشيرهم بعذاب ألم: إخبارهم بعذاب شديد الإيلام .

ولما كان الإخبار بوعيد مؤلم يسمى إنـلارا ، والإخبار بوعد سارٌ يسمى تبشيرا ، فإطلاق التبشير على ما هو إنـلار ، من باب التهكم والسخرية بأولئك المجرمين اللين لا يعقلون .

٢٧ - ﴿ أُولَٰظِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي اللُّنْيَّا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ :

للمنى : أولئك للوصوفون بالكفر ، وقتل الأنبياء ومن يأمر بالقسط من الناس – هم اللمن بطلت فى الدنيا أهمالهم الصالحة :كالصنقة وصلة الرحم ، فلم تستتبع آثارها للرجوة ، حيث لم تحقن مها مماؤهم ، ولم تحفظ بها أموالهم ، ولم يستحقوا بها ملحا أولا ثناة ، ولم يكن لها حظ الاعتبار فى الاترة .

وصلق الله تعالى إذ يقول : • وَقَلِمُنَنَا إِلَى مَا عَبِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَمَلْنَاهُ مُبَاءً مُنْفُورًا ﴾ (﴿ وَمَالَتُهُم مُّن نَّاصِرِينَ ﴾ : مانعين من العلماب ·

(أَلَمْ تَرَإِلَى الَّذِينَ أَوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَنْبِ يُدَّعُونَ إِلَى كِتَنْبِ
اللهَ لِيحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَمَّ يَتُولَى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُم مَّعْرِضُونَ ﴿ ذَالِكَ
بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيْلَما مَعْدُودَتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْرُونَ ﴿ فَكَيْفُ إِذَا جَمْعَنَهُمْ لِيُومٍ لَلْوَيْبَ فِيهِ وَوَقِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿).

الضرنات :

(أُوتُوا نَصِيبًا مَّنَ الْكِتَابِ) : أعطوا حظًا منه . والكتاب : اسم جنس لكل كتاب مياوى . والمقصود من النصيب : التوراة والإنجيل .

(وَهُم مُعْرِضُونَ) : وهم منصرفون.

(أَيَّامًا مُّعْدُودَاتِ) : يقصدون بِها أَيام عبادتهم للعجل .

(وَغَرَّهُمْ) : وأطمعهم .

(مَا كَانُوا يَمْتَرُونَ) : ما كانوا يكنبون من أن النار لن تمسهم ، إلا أياما معلودات.

(وَوَلِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مًّا كَسَيَتْ) : وأعطيت كل نفس جزاء ما عملته - من خير أو شرَّ- وافيا .

⁽١) الفرقاة : ٢٣

التفسير

٢٣ – (أَلَمْ ثَرَ إِلَى اللَّينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْمُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ
 بَيْنَهُمْ ثُمُّ مُثَمِّ يَتُولًى فَرِينَ مُنْهُمْ وَهُم مُعْرِضُونَ) :

المعنى : الخطاب في قوله تعالى : (أَلْمُ ثَرَ) لكل من تشألى منه الرؤية .

والاستفهام ، التعجيب من حال الذين أوتوا نصيبًا وحظًا من كتب الله تعالى: التي أنزلها على رسله . وخص اليهود منهم بالتصيب الأوفر .

وذلك أنهم دعوا إلى كتاب الله ـ وهو التوراة على ما ذهب إليه ابن عباس ــ ليحكم بينهم فها اختلفوا فيه مع النبى صلى الله عليه وسلم .

أخرج ابن إسحاق وجماعة عنه : دخل رسول الله صلى الله طبه وسلم ، ببت المدارس على جماعة من بود ، فدعاهم إلى الله تعالى، فقال نُشِيمُ بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أى دين أنت يامحمد ؟ قال : على ملة إبراهم ودينه . قالا : فإن إبراهم كان موديا . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلَمًا إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم . فأبيا ، فأتزل الله تعالى الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى النَّيِينَ أَرْتُوا نَمُوسِياً مِّنَ الْكِتَابِ . . .) .

فلما دُموا إلى كتاب الله ليحكم بينهم، تولى فريق منهم وأعرض عما دعوا إليه. وهم قوم عابتهم : الإعراض والتولى عن الحق . مع أن ما بلِيسهم من الكتاب، ينيغي أن يجلهم إلى الإقبال عليه .

والمقصود من الفريق الذي تولى منهم: علماؤُهم. فهم اللبين كانوا يقولون الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢٤ - (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّهْلُودَاتٍ وَقَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَعْشَرُونَ ﴾ :

المنى : ذلك الإعراض والتولى ، من اللين أوتوا نصيبا من الكِتاب ـ وهم اليهود ... هو بسبب أنهم قالوا : لن تصيبنا النار إلا أياما معدودات ، معتقدين صحة ما يقولون ، مُهونين بلنك كفرهم بالحق ، وجرائمهم ، ومعاصيهم على أنفسهم ، زاهمين ـ بذلك ـ أنهم لايعاقبون عليها .

والمراد بالأيام المعلودات: أيام عبادتهم العجل ، في غيبة موسى عليه السلام ، لتلتى ألواح التوراة . أو أنهم يريدون بمقالتهم هله : أنهم لايعلبون إلا ملة قليلة ؛ لزعمهم أنهم أبناءً الله وأحباؤه . وخدعهم في دينهم ماكانوا يفترونه عليه من هذا الزعم ، الذي لانصبب له من المصحة .

الأضربات :

(اللَّهُمُّ) : أَصَله؛ ياأللُهُ . فحلف ديا ، وعوض عنها الم وشدت ؛ لكوما عوضا عن حرفين . ولا تجمع الم مع ديا ، إلا شلوذا . كقول الشاعر :

إلى إذا ماحَسسنَتُ أَلمُّسا أَقسول يا اللهُمُّ يا اللهما

⁽١) آل عراث من الآية يـ ٣٠

(مَالِكَ الْمُلْلِكِ): الملك- بضم المم وفتحها وكسرها- معناه : الاحتواءُ. أَى الحيازة مع القدرة على التصرف. مُنْخوذ من : مَلَكَ الشيءَ علكه : احتواه قادرا على حرية التصرف فيه . وهو چذا المغي – يطلق على : ملك الله وملك غيره . ومعنى (مَالِكَ الْمُلْلِكِ): صاحب السلطان والتصرف المطلق . وميدُّلَى لذلك مزيد بيان .

(بِيَالِكَ الْخَيْرُ) : بقدرتك مَنْعُ الخير ومنعه .

(تُولِحُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) : تلخله فيه ؛ بأن يأخذ من زمن النهار فيطول .

(وَتُولِيجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) مضاه : حكس المعني السابق .

(وَكُمْعِيُّ الْمَنَّ مِنَ الْمَيَّتِ) : أى وتكون الأَحياء من المواد الأَولية التي لاحياة فيها : كالهواء والماء ، والغلاء والتراب .

(وَكُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّ) : وتجعل الحي يموت. فتخرجه بذلك من جنس الأحياء . التفسيم

٣٦ - (قُلِ اللَّهُمُّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُوَّى الْمُلْكَ مَن تَشَاءَ وَكَنزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَثُبِرُّ مَن تَشَاءُ وَتُلِكُ مِن تَشَاءُ بِهِكِ الْخَيْرُ إِنَّكَ مَلَ كُلُّ مِّيْء فَيِيرٌ) :

لما بين الله - فيا تقدم - أن الدين عند الله الإسلام ، وأن أهل الكتاب كانوا متفقين على أن يؤمنوا برسوله ، حين يبحد الله داعيا إليه ، ليما كانوا يجدونه فى كتبهم من الدعوة إلى الإيمان به حين يبعث ، ومن بيان أماراته التي تدل عليه ، وأنهم ما اختلفوا - في شأنه - إلا يحد بعثته ودعوتهم إلى الإيمان به . وكان ذلك بغيا منهم وحسدا - أتبع ذلك بيان أن الملك في : يعز من يشاه ويدل من يشاء ، ليكفوا عن حسد من أعزه الله بالنبوة ، ويؤمنوا بدينه المذى هو دين من بهده الملك .

سبب النزول:

رَوَى الواحدى عن ابن عباس ، وأنس بن مالك: أنّه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحد أمنه ملك قارس والروم ، فقال المتافقون واليهود : هيهات هيهات : من أبن لمحمد ملك فارس والروم ؟ هم أعز وأمنع من ذلك. ألم يكف محمدا مكةً والمدينةُ ، حتى يطمع في ملك فارس والروم ؟ . فأمّول الله تمالى هلم الآية .

وروى غير ذلك في سبب النزول .

السُّلك - بضم المم - فى حق الله تعلى ، هو - على ما قاله المحقة ون - صفة قائمة بلماته تعالى ، متعلقة بماسواه ، تعلق التصرف التام ، المقتضى استغناء المتصرَّف وافتقار المتصرَّف فيه . ولا يصحح إطلاقه - بهذا المغى - على غير الله تعالى . وهو أخص من البلك - بكسر المم - فهته صفة تقتضى الاستيلاء والتسلط على شيء بطريق مشروع ، وتجعله صاحب الحق فى التصرف فيه ، من غير نظر إلى استغناء المتصرف وافتقار المتصرف فيه . ولهذا ، يصح إطلاقه على غير الله تعالى .

وممى الآية : قل يامحمد ، ذاكرا وشاكرا لربك أن آتاك نعمة الرياسة والنبوة اللتين نزعهما عن بني إسرائيل ، أهل الحقد والحسد: اللهم ياصاحب صفة التصرفالتام في جميع الكون ، بلاشريك ولا عاتم : تمطى السلطان والرياسة من تشاء ، وقد تفضلت فأعطيتني السلطان والرياسة على أمنى .

وتمنع السلطان والرياسة من تشائد ، وقد منعتهما بنى إسرائيل الذين غرهم بالله الغرور . وتعز من تشائدى الدنيا والآخرة ، بأسباب العزة والكرامة ، وقد تفضلت علَّ بالنبوة والعلم بك وبشريعتك فأعززتني .

وتلك من نشاء وقد أذلك بنى إسرائيل المتطرسين، بتحويل النبوة عنهم إلى العرب بقدرتك الخير كله . تتصرف فيه أنت وحدك ، حسب مشيئتك منْحًا ومنعا لايملكه أحد سواك . إنك على كل شيء قدير . فلا يليق بناً حد أن يحقد على خير قسمه الله لمض عباده، فإنه من حطاء من له الملك، وبيده الخير . وهو على كل شيء قدير .

ومن كان كذلك ، فهو الحكم الذى يجب التسليم بما أُعطى ووهب ، والرضا به من أعماق النفس دون حقد أو اعتراض .

وإنما خص الخبر بالذكر ؛ تعليا لحصن الأدب، ومراعاة لسبب النزول . وإلا فالشر أيضا بيد الله . ويدل لذلك قوله تعالى : (وكُذِلُّ مَن تَشَاءُ) .كما يدل عليه التعميم فيقوله : (إنَّكَ عَلَى كُلُّ شَيْءٍ قَلِيرٌ) .كما أَن في القرآن آيات كثيرةً تدل على ذلك: كقوله تعالى : «قُلْ كُلِّ مَنْ صِدْ اللهِ ال

⁽١) الساء: من الآية ١٨

واهلم أن الشرّ الذى يكتبه الله على صاده ليس شرّا معضا ، بل هو مشوب بعثير دائما . فن نقل الرياسة من إسرائيل للعرب ، شرّ على بنى إسرائيل ، ولكنه خيرللعرب ، وخير للناس أجمعين ، لأن بنى إسرائيل لايصلحون لزعامة العالم - دينيا ودنيويا .. فى رسالة عامة كاتى كلف ها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم : قوم غلاة مستكبرون معترون . فلو كُلف أحد منهم يمثل هذه الرسالة لكان ذلك نكبة على العالم .

وحسبك مانعلمه من تاريخهم - في ماضيهم وحاضرهم - من الظلم والطنيان والمجبروت !!

قلما نقلت الرسالة منهم إلى العرب ، وكان بها سيدنا محمد خاتم الأنبياء
والمرسلين المتعوث بقوله تعالى : و وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُق عَظِيمٍ (١١) - حَمَّ العالمَ العدلُ
والمرحمة والبركة .

وكللك شأن الله فى كل بلاء كتبه ، فإنه لحكمة إلهية ، كشرب الدواء الكريه ، والحجامة والفصد ، وقطع العضو الذي يخشى من انتقال مرضه إلى سواه ، ونحو ذلك من الأمور المؤلة ، فإنها – مع كراهتها – تستعقب الصحة والعافية . وهي خير . كما أن الصبر عليها يورث حسن الجزاء . ثم إن فيها تحصما « ليَجْزِي الله الصَّادِقِينَ بِصِنْدَهِمْ ويُعَلَّبَ المُسْادِقِينَ إِن ضَاء أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ وَالعَالَمَةِ المُسَادِقِينَ إِن ضَاء أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ وَالعَالَمَةِ المُسَادِقِينَ إِن ضَاء أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ وَالعَلَمَةُ وَالعَلَيْمَ وَ العَلَيْمِ وَ العَلَيْمِ وَالعَلَمِ المُسْادِقِينَ إِن ضَاء أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ وَالعَلَمَ اللهُ المُسَادِقِينَ إِن ضَاء أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَالعَلَيْمَ وَالعَلَمَ المُسْادِقِينَ إِن ضَاء أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَالعَلْمَ اللهُ السَّادِقِينَ إِن ضَاء أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ وَالعَلْمَ اللهِ العَلَيْمَ وَالعَلَمَ اللهِ اللهِ اللهِ العَلْمَ اللهِ اللهِ العَلْمُ اللهُ السَّادِقِينَ إِن فَيْعَالَمُ عَلَيْهِمْ وَيُعَلِّمُ اللهُ السَّادِقِينَ إِن فَيْعِلَمْ وَالعَلَمَ العَلَمُ اللهُ المُسْادِقِينَ اللهُ العَلَيْمَ العَلَيْمَ اللهُ المُعْلَمُ اللهِ اللهِ اللهُ المُعْلَمُ اللهُ اللهُ المُعْلَمِ اللهُ المُعْلَمُ المَالِقِينَ إِلَيْهُ اللهُ المُعْلَمُ اللهِ العَلَمُ اللهُ المُعْلَمُ اللهُ المُعَلَمِ اللهُ المُعْلَمُ اللهُ اللهُ المُعْلَمِ اللهُ المُعْلَمُ اللهِ اللهُ المُعْلَمُ اللهُ المُعْلَمِينَ إِلْهُ اللهُ المُعْلَمُ اللهِ اللهِ اللهُ المُعْلَمُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ الْعَلَمُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

ولاشك أن الشرُّ إذا استتبع خيرا كثيرا كان تقليره مصلحة وحكمة .

٧٧ - (نُولِجُ اللَّبْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْمَىَّ مِنَ الْمَيْتِ وَتُعْفِيجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَىَّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَالُه بِغَرِ حِسَابٍ ﴾ :

هذه الآية مترَّرة لما تبلها من أن الملك لله : يعز من يشاة ويلل من يشاة ، وأن بهيده الخير ، وأنه على كل شىء قدير . فإن من أولج الليل فى النهار والنهار فى الليل ، وأخرج الدىً من الميت والميت من الحى ، ورزق من شاء بغير حساب ، لابد من أن يكون متصفا بالصفات الكريمة ، التى اشتملت عليها الآية السابقة .

واللبل لايدخل فى النهار، ولا النهار يدخل فى الليل على الحقيقة . ولكنه مستعار لزيادة زمان الليل وقبًا يقصر النهار ، ولزيادة زمان النهار وقبًا يقصر الليل .

ولما كانت زيادة الزمان في كل منهما على حساب التقص في الآغر، جبل ذلك إدخالا لأحدهما في الآخر على سبيل الاستعارة .

أما إخراج الحى من المبت، فالمراد منه تكوينه مِن المراد الأولية التي تبنى الأجساد ؛ كالماء والهواء ، وأشعة الشمسر، والغذاء الذي فقد الحياة بنزعه من أصله .

فمن هذه المواد الميتة تشكون النطفة المملوعة بالحياة . ومن النطفة يتكون الجنين الحي .

وكما أن منشأً الحيوان ماذكر ، فكذلك منشأً النبات الحى : المله والهواله ، وأشمة الشمس والفذاء . وغذائا النبات تربة الأرض . وكل ذلك من قبيل الميت . وبدلمك اتضح قوله تعالى: و يُعفّرجُ الْحَيِّ بِنَ النَّيِّتِ ﴾ (١٦)

ولاينبغى أن يفهم أحد أن النبات ليس مقصودا من الآية ، يزعمه أن النبات ليس فيه حياة . كلا.. لاينبغى له ذلك . . فإن النبات إذا فقد أسباب العياة فبل وتلاشي ، ولم يؤت ثمرا ولاحبًا . فهو— لذلك – داخل في الآية قطعا .

وأمًّا إخراج الميت من الحي ، فالمراد منه إيطال الحياة من الحي بنًّى صبب أراده الله . فتبطل آفارها ، ويعود الجسم إلى أصله الميت ، وهو المائه والتراب ، بعد التحلل والتفاعل مع العوامل التي تنشهي به إلى ذلك .

ومدى الآية : يطيل الله الليل فى بعض فصول السنة ، بإضافة جزّه من النهار إليه . ويخرج الحجّ من المواد ويطيل النهار فى بحض فصولها ، بزيادة جزء من زمان الليل فيه . ويخرج الحجّ من المواد الأولية المبتة التي خال منها ، كالماء والتراب وبعض عناصر الهواء . ويخرج المبت منّ الحجّ بأن يفقده أسباب الحياة ، فيموت ويعود إلى أصله . ويرزق من يشاءً رزقه بغير حساب . أي رزقا واسعا ، يغير تضييق عليه .

ر كما يرزق من يشائح بغير حساب، يضيقه على من يشائد لحكمة تقتضيه . ولم يذكر ذلك في الآية لعلمه من أمثاله فيا سبق؛ ولأن من بملك الإعطاء بملك المنم .

ويرى بعضالمفسرين : أن إخراج السى من الميت ، معناه : إخراج الجنين من النطقة أو الفرخ من البيضة . وأن إخراج الميت من السى ، معناه : إخراج النطقة من السيوان أو البيضة من الدجاجة .

ولكن هذا الرأى لايقبل إلا على سبيل التشبيه ، بجعل النطفة – أو البيضة بجانب العيوان الذي يتكون منها - كالشيء الميت ، لعظم الفرق بينهما . أما على الحقيقة فلا ،

⁽١) الروم. من الآية : ١٩

لأن التطفة ملية بالكاتنات الحية المتحركة ، كما يتبين ذلك تحت آلة التكبير - للجهر- ومثلها البيضة.

وكذا القول بأن للراد من المبت الذي يخرج من الحي : النطفة أو البيضة التي يخرجها الله من الحيوان، الايصح أن يقبل إلا على سبيل للجاز؛ لما قدمناه .

وقال الحسن في معني إلآية: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ، فحمل الحياة وللوت على المجاز . وروى هذا التفسير عن أئمة أهل البيت .

وعكن تفسيرها مجازا بمنى : يخرج الطيب من الخبيث ، والخبيث من العليب ، والعالم من الجاهل ، والجاهل من العالم ، والذكئ من البليد، والبليد من الذكرة ، إلى غير ذلك . ولاتنفل حما قلناه في موضوع النطقة من أن اعتبار النطقة ونموها كالبيضة ميتة ، إنما هو على سبيل التشبيه بها ، عند مقارنتها بالحيوان الذي يتخلق منها ، وليس على سبيل الحقيقة ؛ فني النطقة وما ما لها اسبياة . كما تقدم .

(لَا يَتَّخِذَ الْمُؤْمِنُونَ الْكَنفِرِينَ أَوْلِيَآ عَمِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكُ قَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي مُنَى و إِلّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمَّ تُقَانُّ وَيُحَدِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَدُ وَإِلَى اللهِ الْمُصِيرُ ﴿ اللهِ الْمُعَالِمُ اللهِ الْمُعَالِمُ اللهِ الْمُعَا

القبرنات :

(أَوْلَكُمْ): أَصِلقَاء ، أَو أَنصادا .

(مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) : متجاوزين المؤمنين إلى الكافرين .

(فَلَيْسٌ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ) : فليس من دين الله في شيء .

(إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) : إلا لِتَقُوا أَنفسكم وتحفظوها مما يُتَّنِّى ويحقر منهم .

(الْمَعِيرُ) : الرجم .

التفسير

٢٨ – (لَايتَحْوِل الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِياتَه مِن مُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَعْمَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ
 اللهِ في مَيهُ إِلَّا أَن تَتَمُّوا مِنْهُمْ مُقَاةً ...) الآية .

سبب النزول : روى عن ابن عباس ، قال : كان الحجاج بن عمرو ، وكهمسُ بن أبي الحقيق ، وقيس بن زيد – والكل من اليهود – يباطنون نفرا من الأنصار؛ ليفتنوهم عن دينهم . فقال رفاعة بن المنذر ، وعبد الله بن جبير ، وسعيد بن خيشمة لأولئك النفر : اجتنبوا هؤلاء اليهود واحتروا مباطنتهم ؛ لايفتنوكم عن دينكم . فأبي أولئك النفر ، إلا مباطنتهم وملازمتهم . فأمّول الله هذه الآية .

وروى الفسحك عن ابن عباس : أنها نزلت في عبادة بن الصامت الأنصارى . وكان بدريا نقيبا . وكان له حِلْفٌ من اليهود . فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الأحزاب . قال عبادة : يانبي الله ، إن معى خمسائة رجل من اليهود ، وقد رأيت أن يحرجوا معى، فأستظهر جم على العلو . فأنزل الله تعالى : (لَايَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَهَ . . .) الآية .

لريط:

بعد أن أشار الله إلى إعزازه المؤمنين ، وإذلاله الكافرين ، وذكر أن بيده المخبر ، وأنه على كل شيء قنير ، وأنه يولج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، ويخرج اللحي من الملبت ، والمبت من الحمى ، ويرزق من يشاء بغير حساب ؛ ليعلم المؤمنون أنهم يأوون من الله إلى ركن شديد- بعد أن ذكر الله تعالى ذلك- أنبهه تحفيرهم من اتخاذ الكافرين أولياء بعد أناذكم بإعلائهم عليهم ؛ فإن المؤثور الاتخد في نفسه جذوة الحقد على من وتر ، والايبغي . الوائره سوى الشر ، فحسبهم تأييد الله وولايته لهم .

المعنى : تقرر الآية : أن موالاة الكافر خطر على من والاه ، وأنها لاتكون إلاعند الفعرورة؛ لاتقاه ضرر يكون من ناحيته ، على ألا تبلغ الموالاة درجة المباطنة بخفايا المؤمنين .

والموالاة تطلق لغة : على الحب والصداقة والمباطنة بالأُمرار . وتطلق : على النصرة . وكلا المغنيين تصح إرادته في الآية .

ولهذا ، لا يحل للمؤمنين أن يوالوا الكافرين ، بدِّى معنى من معانى الموالاة . ومن يفعل ذلك فليس من دين الله في شيء .

وقد ذكر ذلك صريحا فى قوله ثعالى: « يَأَلِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاَتَشْخِلُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَــَّة بَشْهُمْ ۚ أَوْلِيـَـّة بَعْض وَمَن يَتَوَلِّهُمْ شَكْمٌ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ * " . .

⁽١) المالدة . من الآية : ١٠

وقد تكرر النهى - عن موالاة المؤمنين للكافرين .. في عليد من آى الفرآن؛ لخطورتها على كيانهم . فهم حداثا - يتربصون بهم الدوائر ، ويبغوبهم الفتنة . وفي المسلمين سياعون لهم ، وهم المنافقون ، وضماف النقوس .

فمن الآيات الناهية عن موالاتهم ، قوله تعالى : « يَالَّيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَنْجِنُوا عَلَوَّى وَقَالُوكُمْ أَوْلِهُ أَنْ الْمُؤْمِنِينَ آمَنُوا لَاتَنْجِنُوا عَلَى . وقوله : « وَمَنْ يَفْطُهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاتَه السِّبِيلِ () . وقوله : « يَنْفُهَا اللَّهِينَ آمَنُوا لَهُوبِينَ آمُوبِينَ آمُوبَينَ آمُوبِينَ آمُوبَينَ آمُوبَينَ آمُوبَا وَاللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ الْمَالِمِينَ اللَّهُ عَلَيْهَا اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُمُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَالِهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَي

فعل المؤمنين أن يحدروا موالاتم، عتى يأمنوا شرهم، ويكونوا بذلك أهلا لتأييد وسم مالك الملك ، وصاحب العز والسلطان .

وعليهم أن يقصروا موالاتهم على المؤمنين : لا يتجاوزونهم إلى الكافرين لغرض من الأغراض ، إلا لأن يتقوا أويحفظوا أنفسهم من ضرر شأنه أن يتتى ويُحُلر.. فإذا اضطر للمطلون لموالاتهم دفاها عن الوطن، أو المال ، أو العرض ، فلهم ذلك... في حدود الفرورة . وأجاز المحققون من العلماء : الاستعانة بالكفار، بشرط الحاجة والوثوق .. أما بدوتهما، فلا تحدة .

على أن بعضهم ذكراًن الاستمانة المنهى صنها ، هى استمانة الذليل بالعزيز. أما غيرها قلا. وفى المتاوى ابن حجر : جواز القيام فى المجلس الأمل اللمة . وَصَدَّ ذلك من باب البرّ وحسن المعاملة المأفون به فى قوله تعالى : و لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ اللَّذِينَ لَمْ يُمَاتِلُوكُمْ فى اللَّبِنِ وَلَمْ يُعْمِّرُكُمُ مُّ مِنْ وَيَارِكُمْ الْدَ تَبَرُّومُ وَتُعْصِطُوا إِلَيْهِمْ إِلَّ اللّٰهُ يُحِبُّ الْمُقْصِطِينَ *)

ثم خم الله الآية بهذا التحذير الخطير ، فقال :

(وَيُحَلُّونُكُمُ ۚ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِنَّى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ :

أَى يحلوكم اللهُ – أَمِّا المؤمنون – عقابَ نفسه ، إن واليتموهم فى غير ما أُبيح لكم . . واعلموا أن إلى الله المرجع ، فسوف يجازى كل امرئ بما كسب . وفى إضافة تحذيرهم إلى نفسه وإلى ذاته العلية ، إيذان ببلوغ المنهى عنه منتهى الخطورة .

⁽١) المتحتة : ١ (٢) اللساء : ١٤٤ (٣) أي أصلاهم مالاقلياد في مقابل معوثهم . (١) المتحنة : ٨

القبرمات :

(مُحْضَرًا) : يُحْضِرُه ملائكة الله في الصحف .

(أَمَدًا بَعِيدًا) : غاية أو مسافة بعيدة .

التفسسر

٩٩ – (قُلْ إِن ثُمْ فَغُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمُواتِ وَمَا فِي السَّمُواتِ وَمَا فِي السَّمُواتِ وَمَا فِي اللَّرْضِ وَاللهُ عَلَى إِلَى السَّمُواتِ وَمَا فِي اللَّرْضِ وَاللهُ عَلَى إِلَيْ اللَّهِ عَلَى إِلَيْ) :

هذه الآية ـ والى تليها ـ واضحا الارتباط بالآية التي قبلهما ؛ فإنهما مثلها: في تحلير المؤمنين من موالاة الكافرين ، وإن كان التحلير فيهما أشمل وأوسع، لعمومه لجميع المنهبات .

والمعنى :قل يا محمد، المؤمنين : إن تُسِرُّوا ما فى نفوسكم من الفيائر المنهى عنها ، التى من جملتها ولاية الكفار ، أو تظهروه – يعلمه الله فيؤائنذكم به عند مصيركم إليه ، ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض، فوق علمه بما فى صلوركم .

(وَاللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيْءٍ قَلِيرٌ) :

ومن كان كذلك ، فهو قادر على مقابكم ، فلا تجسروا على مصيانه وموالاة أعدائه . ٣٠- (يَوْمَ تَجِدُّ كُلُّ نَفْسِ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ َ عَمِلَتْ مِن سُوّة تَوَدُّ لَوْ أَنَّ يَيْشَهُا وَبَيْنَهُ أَمْدًا بَعِيدًا) الآية .

المعنى : اذكر لهم ـ يا محمد ـ يوم تجد كل نفس من نفوس المكلفين ، ما عملته من محير

- وإن قل - محضرا أمامها في صحائفها ، لتنع به ١٠ فَهُو َ فِي عِيشَةَ رَّافِسِيَّةَ ، فِي جَنَّةِ عَالِيَةِ . قَعُونُهَا دَائِيَةً ، (١)

وتجد كل نفس أيضا: ما عملته من سوء وشرٌ في الدنيا، محضرًا يوم القيامة في صحائفها لتساه به ، وتتمنى حين تراه لو أن بينها وبين ذلك اليوم - أو بينها وبين ما عملته من سوه -أمدًا يعبدًا . والأمد : الفاية والمنتهى . أى تود لو أن بينها وبين يوم القيامة - أو بينها وبين عملها السيء - غاية ونهاية بعيدة .

وذهب بعض العلماء ، إلى أن المراد به : المساقة البعيدة . واستظهر ذلك حملا لهذه الآية على قوله تعالى : ، يا لَيْتَ بَيْنِي وَيَئِيْنَكَ بُعْدَ الْمُشْرِقَيْنِ ... ، ° ..

ثم خثم الله الآية ، مكررًا ماسبق من التحفير ، وواصفًا نفسه الكريمة بالرأفة ، ففال : ﴿ وَيُحَدِّرُكُمُ اللهُ نَدْسُهُ وَاللهُ رَوُّوكُ بِالْسِيَادِ ﴾ :

أَى ويخوّقكم الله من نفسه إن خالفتم ما كلفكم به . والله عظيم الرحمة بالعباد، حين نهاهم عن موالاة الكافرين ، وحذرهم من عقابه إذا خالفوا أمره ، فإنَّ بُعدَهم عن موالاة الكافرين، فيه السلامة لهم، وتحليرهم من عقابه تعلى، يدفعهم إلى طلب رضاه، واجتناب سخطه . . وكل ذلك رأفة بهم ، ورحمة بالئة نافعة لهم .

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحَبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي تُحَبِّبُكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولُ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَ لَا مُحِبُّ الْكَنفِرِينَ ۞).

التفسير

٣١- (قُلْ إِن كُنتُمْ تُدِيُّونَ اللهُ فَاتَبِعُونِي يُحْبِينكُمُ اللهُ وَيَنْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) : صبب النزول والربط :

قال القرطبي : رُوِي: أن المسلمين قالوا : يا رمولَ الله ، واللهِ ، إنا لنُنحِبُّ ربنا . . فَأَمَّوْل اللهِ عز وجل (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَنبِحُونِي يُحْبِبُكُمُ اللهُ) . وقال محمد بن جعفر بن الزبير: ٥ نزلت في نصارى نجران . وذلك أبم قالوا: إنما نعظم المسيح وتعبده؛ حبًّا لله تعلم المسيح وتعبده؛ حبًّا لله تعلم المسيح وتعبده؛ حبًّا لله تعلى وتعظيا له . قائزل هذه الآية ردًّا عليهم، وواء محمد بن إسحق . وسياق الآيات من قبل، يرجع الآول. فقد نُهي قبها المؤسون عن اتخاذ الكافرين أولياء، وتولل تحذيرهم بعد ذلك من المخالفة ، حتى اتصل الكلام هنا بحضهم على اتباع وسول الله وطاعته : فيا يأمرهم به وينهاهم عنه .

وسواءً كان السبب هذا أو ذاك ، فالآية صالحة لخطاب الجميع .

والمعنى: قل يا محمد: لِمَنْ يدعى حُبُّ الله: إن كنتم تحبون الله كما تقولون، فاتبعولى فيا بلَّمَتكم عن الله تعالى ، وبرَّهِيُّوا-بهذا الاثباع-علىصدق محبُّتكم لله تعالى ، فإن المحبة ليست ادعاء ، ولكنها اتباع لما يرضى للحيُّوب . فمن أُحبُّ الله فَهْ لَمْيتم حبيبه ومصطفاه ، ولَيتَّادِب نِنَا دعا إليه من فضائل وآداب . وإلا فهو كاذب في دعواه .

وثمرة هذا الاتباع، لا غاية ورامعا لكم وهي حبُّ الله ، وغفران ما عسىأن تقترفوه من ذنوب .. ولا شئء أسمى من ذلك تطمع إليه قلوب المحبين .

وليس الفضل في أن تقول : إنى أحب . ولكن الفضل في أن تفعل ما تكون به محبوبًا عند حبيبك .

وقد ختم الله الآية ، بما اتصف به دائمًا، من صفى الغفران والرحمة فقال : ﴿ وَاللَّهُ خَهُورٌ رَّجِمٌ ﴾ :

ولا يتمتع ببركة هلين الوصفين ، إلا من لازم اتباع الرسول فيا أمر به ونبي عنه .

قال ابن كثير: هذه الآية ، حاكمة على كل من ادّمي محبة الله ـ وليس هو على الطريقة المحمدية - بأنه كاذب فى دعواه ، حتى يشبع الشرع المحمدى والدين النبوى فيجميع أقواله ، وأفعاله ، وأحواله . كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ومَنْ عَبِلً عَمَلًا كَيْسَ طَكِيْهِ أَمْرُنًا فَهُورَدٌ * ا ه .

وقال الحسن البصرى : زعم قوم : أنهم يحبون الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية (قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُسَجِّدُنَ اللهُ فَالتَّبُونِي يُحْبِيْكُمُ اللهُ ﴾ :

والحسن البصرى، من كبار أساتلة التصوف. وهو إذ يقول ذلك ، يعلمنا ألا نحفل بمن يزعم أنه من المتصوفة للحبين رجم، وهو فى واد وانباع الرسوك فى واد آخر. فلا ولاية ولا حي له: إلا باتباع كتاب الله وسنة رسوله؛ عملا جاه الآية وبقوله تعالى: ﴿ وَهُوْ يَنَوَلَّ (١) الصَّالِحِيْنَ ﴾ . .

وأعلى درجات الحب لله : أن يحبه تعالى للنقه، ويتفاق فى طاعته .. أما حبه لثوابه، فدرجته نازلة عن هذه المنزلة .

وإذا كافأً الله عبدًا بحبه، عُرِف ذلك من حب عباده له .

فق صحيح مسلم: حن أبي حريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ اللهُ إِذَا أَحبُّ عبدًا دعا جيريل فقال: إنَّى أُجبُّ فلاناً فأَحبُّهُ. قال: فَيُرجُهُ جِريلُ. ثم ينادِي في الساء فيقولُ :إنَّ اللهُ يُرجِّ فلانناً فأَحبُّرهُ ، فَيُجبُّهُ أَهْلُ السَّاهِ . قال: ثُمَّ يوضَّعُ له القبولُ في الأرض. وإذا أَيْفَضَّ عبدًا دعا جريلُ فيتولُ : إِنِّ أَيْفِضُ فلاننا فأَيْنِضُونَهُ ، قَلَ النَّبَيْفُهُ جِريلُ . ثم يُنادِي في أَهْلِ السَّاهِ : إِنَّ اللهُ يَبْغِضُ فَلاناً فأَيْفِضُوهُ . قال: فَيُبْغِضُونَهُ ، ثَمَّ تُوضَعَ لَهُ النَّفَاعِ والأوضى.

٣٧ ـ (قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرُّسُولَ فَإِن تَوَلُّواْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ :

المنى : قل لهم يامحمد، أطيعوا الله والرسول فى جميع الأوامر والنواهى ، قإن أعرضوا عن ذلك ، قإن الله يبغضهم ولا يحبّهم ، لتوليهم وإعراضهم عن طاعة الله ورسوله . وإطلاق وصف الكافرين على المرضين عن طاعة الله ورسوله ــ لأن من تولى وأعرض يقلبه ،

فهو نافر من شرع الله كاره له . فيكون بذلك كافرا ، والعياذ بالله تعالى .

أما لو كان تولّيه وإعراضه مجرد ترك لما أمر به ؛ اتباعا لشهواته ـ مع اعتقاده أن ذلك حرام ، وأنه مذنب فيا يفعل ، ومقصر فى حقه تعالى ـ فإن الكفر بالنسبة له كفر للنعمة ، ومنام بشكرها . أو هو من باب التنفير من المعصية . وفى كلتا الحالتين ، يكون تارك الاتباع محروما من حبّ الله تعالى ؛ لأنّ الله سبحانه ؛ لا يحبّ من عصاه بكفر أو فجور .

(إِنَّ اللهِ ٱصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرُهِمَ وَءَالَ عِمْرُانَ عَلَى الْعَمْلُونَ عَلَى الْعَلْمِينَ ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعً عَلَيمٌ ﴿).

القبرنات :

(اصْطَفَىٰ) : اختار .

(وَكُلُّ إِبْرَاهِمٍ وَآلَ عِمْرَانَ): المراد بالآل فيهما : منكان من ذريتهم من الأنبياه. وسيأتى شرح ذلك .

(دُرِيةً) : الذرية النُّسُل . يطلق على الواحد وخيره .

التفسير

٣٣ .. (إِنَّ اللهَ أَصْطَفَى ٓ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِنْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) :

قال الآلوسى: قال شيخ الإسلام - رحمه الله الله عند الم بين الله سبحانه : أن اللين عند الله الإسلام . وأن اختلاف أهل الكتابين إنما هو للبغي والحسد . وأن الفوز برضواته ومغفرته ورحمته ، منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم - شرع في تحقيق رسالته ، وأنه من أهل بيت النبوة القديمة ، ممهذا إلى ذلك : بذكرجلالة أقدار الرسل ، ومنتهيا إلى تنزيه ساحته ، عما هم عليه من اليهودية والنصرانية المبدلين . وأن الأمم -قاطبة - مأمورون بالإممان بمن هو مصدّق لرسالات الرسل ، تحقيقا لوجوب الإيمان بالرسول وطاعته . . ا ه . ملخصا .

الشرح: ذكر الله ، أنه اصطفى طائفة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وبدأ بآدم أي البشر الأول . وثنى بنوح الأب الثانى لهم بعد الطوفان . وعقبه بآل إبراهم أبى الأنبياء وواسطة عقدهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر آل عمران - مع دعولهم فى آل إبراهم - اعتناك بأمر عيمى اللك اختلفوا فى شأته .

والمراد بناً إبراهم: ذريته من الأنبياء، والمراد بعمران: والد مريم، وهو ابن ماثان. وآله: ابنته مريم وابنها عبسى ، عليهما السلام .

وقيل: عمران هنا ، هو عمران بن يصهر أبو موسى . وآله: هم موسى وهارون .

والظاهر الأُول؛ فإن السورة تسمى: سورة آل عمران . ولم تشرح قصة عيمى ومريم في سورة أبسط من شروحها هنا .. أما قصة مومى وهارون فلم يذكر منها هنا شيءٌ .

وللراد من العالمين النين اختارهم وفضلهم عليهم : عالم زمانهم . وقد فضلهم الله عليهم ، ما آتاهم من النيوة والكتاب في معظمهم . وفي مريم : بحملها وولادتها من غير عمله بشر ،مع طهارتها وانقطاعها لعبادة ربها ، وإمدادها في مصلاها برزق الله في غير أوانه ، واختيارها لتكون أمًّا لهيمي : الذي شاء له مولاه أن يكون بغير أب .

٣٤ - (دُرِيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضِ وَاللهُ سَيِيعٌ عَلِيمٌ) :

المغى : اصطنى الله آل إبراهيم وآل عمران.حال كونهم ذرية بعضها من بعض في النسب ، فالتناّخرون منهم سلالة للتقامين .

وقال قتادة فى معناها : بعضها مزيمضى النية والعمل الصالح، والإخلاص والتوحيد . وقد أثبتت الدواسات الحديثة ، آثار الوراثة فى التكوين الخلقى ، والعقلى ، والجسمائى . وإلى هلما أشار الحديث الشريف ، تَخَبَّرُوا لِيُطَلِّكُم ، فَأَذْكِحُوا الأَّكْفاء وانكحوا إليهم ، رواه ابن ماجه والحاكم والبيهتى .

ويختم الله الآية بقوله: (وَاللهُ سَعِيعٌ عَلِيمٌ) ليشير بذلك، إلى أنه اختارهم واصطفاهم؟ لهملاحيتهم وأهليتهم التامة للاختيار: في أقوالهمالتي يسمعها، وأفعالهم ونياتهم التي يعلمها، فيقه مسيع بكل قول ، علم بكل حال وفعل ونية .

(إِذْ قَالَتِ آمَرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّدًا فَتَعَبَّمًا قَالَتُ رَبِّ فَتَعَبَّمًا وَضَعَبَّمَا قَالَتُ رَبِّ إِنِي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّدًا فَتَعَبَّمًا مَا أَنْكَ رَبِّ إِنِّي وَشَعْتُهَا أَنْقَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتُ وَلَئِسَ الذَّكُرُ كَالْأَنْقَ وَلَيْنَ الذَّيْكُ اللَّهُ عَلَيْنِ وَلَيْ سَعَيْنُهَا مِنَ الشَّيْطُانِ وَلَيْ سَعَيْنُهَا مِنَ الشَّيْطُانِ اللَّهِ مَا يِكَ وَذُرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطُانِ الرَّحِيمِ ۞):

طبردات :

(تَلَوْتُ لَكَ مَا فِي يَطْنِي) : أُوجِبت على نفسى : أَن يكون ما في بطني لك الخدمة بيتك . (مُحَوَّرًا) : خالصا .

(أُعِيلُمًا بِكَ) : أُجيرِها بك .

(الرَّجِيمِرِ) : المعلرود .

التفسير

٣٥ - (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةً عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَفَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّهِيمُ الْعَلِيمُ) :

امراًة عمران ، هى : حَنَّةُ بَنت فَاقُودًا ، كما رواه إسحق بن بشر ، عن ابن عباس والحاكم ، عن أنى هريرة ، وهى جلة عيمى عليه السلام لأمه .

وكانت هذه السيدة عاقرا لا تلد. وكانوا أهل بيت من الله مكان. فتحركت نفسها يوما لأن تكون أمًّا . فلاذت بربها ودعته بضراعة أن بهب لها ولدا، ونفرت إن حقق الله أمنيتها: أن تجمل ولدها محرَّرًا : أى خالصا للمبادة وخدة بيت المقلس ، عنيقا من سوى ذلك . و كان ذلك جائزا فى شريعتهم . و كان على أولادهم أن يطيعوهم فيا نفروا . وكان تخدة البيت والإقامة فيه للمبادة ، قاصرة على الفلمان . فلما تحقق حملها ، قال لها زوجها :أرأيت إن كان ما فى بطنك أننى - والأثنى عورة - فكيف تصنعين؟ . فقالت عند ذلك (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحرَّرًا فَتَمَّرًا بِنِّي إِنَّكَ أَنْ السَّبِيعُ الْمُلِيمُ): تريد بهذه الفهراعة : الماس الولد الذكر ؛ لعدم قبول الأثنى فى خدمة البيت . فكأنها تقول : رب إنى نذرت ما فى بطنى ، فاخعله ذكرا ؛ لأستطيع تحقيق نذرى .

وجمله بعض الأُمِّة تأكيدا لنفرها ، وإخراجا له عن صورة التعليق ، إلى هيئة التنجيز .

ومعنى (نَكَرَتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي) : نفرته لأَجلك . وهي تريد بذلك: أنها نفرته
لخدمة بيته وعبادته فيه . وتقصد بقولها: (مُحَرَّرًا) أنها ستخلصه لذلك ، فلا تصرفه
في حوائجها . مأخوذ من التحرر . وهو : التخليص من الشوائب .

وختمت ضراعتها بقولها : (فَتَقَبَّلُ مِنَّى إِنَّكَ أَنتَ السَّعِيمُ الْعَلِيمُ) وهو تعليل الاستدعاء القبول ، أى إنك أنت السميع بكل للمسوعات فتسمع دعائى ، العليم بكل المعلومات ، فتعلم نيتى وإخلاص فَتَفَصَّلُ مَن أَجل ذلك بقبول الياسى .

٣٦ _ (فَلَمَّا وَضَمَتْهَا قَالَتْ رَبُّ إِنِّى وَضَمَّنُهَا أَنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَمَتْ وَلَيْسَ الذَّكُو كَالأَنْشَىٰ ...) الآية .

ضمير الغائبة فى (وَضَعَنْهَا) عائد على ما فى بطنها ، وتأُنيثه باعتبار الواقع . والمنبى ظما وضعت أنثى-على خلاف ما كانت تأُمله ـ قالت متحسرة حزينة على فوات رجائها ، رب إنى وضعها أنثى. قالت ذلك وهى لاتمام بمكانة ما وضعته ، والله وحده هو اللك يعلم بشأنها ، وما علق بها من عظائم الأُمور ودقائق الأَسرار. وقالت فى تحسرها: وليس الذكر كالأنثى فى خدمة المسجد الأَقصى ؛ فإنها مقصورة على الظمان دون الإِناث. فكأنها تقول: فماذا أصنع فى نذرى يارب ؟ . ثم عطف على ذلك قولها :

(وَإِنِّي سُمِّيتُهُا مَرْيَمَ وَإِنِّي أَعِيلُهَا بِكَ وَذُرِّيَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) :

دل هذا الكلام :على أنها ـ لما وضعتها -. قالت ما تقدم . وأطلقت عليها اسم مريم في اليوم الذي وضعها فيه . وهي السنّة في شريعتنا أيضا .

فقد أخرج الشيخان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ﴿ وُلِكَ لِيَ اللَّهِلَةَ ولدُ سَيِّته باسم أَنِ إبراهيمَ ﴾ وأخرجا أيضا، عن أنس بن مالك : ﴿ أنه ذهب بأخيه حين ولئمه أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحنّك وسياه عبدالله ﴾ .

لم تشأُّ أم مريم أن ترجع فى نذرها حَمَّلها لخدمة البيت وعبادة الله فيه ، بعدأًن تحقق أنه أنشى .

وكان أول شيء انجهت إليه - في هذا الصدد -أن تسميها بالاسم المناسب لما أرادته في تلوها وهو مريم . فإن معناه : العابدة ، في لغنها . وعنّبت ذلك بضراعتها إلى الله : أن يحصمها ويحفظها وفريتها من الشيطان الرجيم ، المطرود من رحمة الله . بحيث يكونون - جميعا - في مرضاة الله وجادته .

هذا ، وقد قال بعض المتأخرين من المفسرين : إن مريم معرب مارية . بمعني جارية.

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَنَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا
زَكُوبِنَّا كُلُما دَخُلَ عَلَيها زَكْدِياً ٱلْمِحْرابَ وَجَدَ عِندَها رِزْقًا قَالَ
يَسْرَمُ أَنِّى لَكِ عَنداً قَالَتْ هُو مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن مِشْآة
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿) .

القبردات :

(فَتَقَبَّلُهَا) : أَى قبل مريم - في النار - مكان الذكر .

(وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) : وربَّاها تربية طيبة .. حيث نشأت في طاعة الله .

(وَكَفَّلَّهَا زَّكُريًّا ﴾ : أي جعله كافلا وضامنا لها .

(الْمِحْرَابَ) : غرفة عالية ، بنيت لها ، أو هو المسجد .

(أَنَّىٰ لَكِ هَذَا) : من أَيْنَ لك هذا الرزق اللي لا يشبه أرزاقنا ؟

التفسير

٣٧ - (فَتَقَبَّلُهُمَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَن ٍ وَأَنبَقَهَا نَبَاقًا خَسَنًا وَكَفَلُهَا زَكْرِيًّا . . .) الآبة .
 قلنا :إن أم مريم ، مضت فى نلرها مع وليلمبا الأنثى ، مخالفة بللك مألوف قومها :
 من أن خادم بيت المقدس يكون من الذكران .

وهمنا، تصرح الآية :أنه تعالى ، تفضل فقبل منها مريم قبولا حسنًا، وفاء بنلوها ؛ لما تعلقت به مشيئته من أمور عظيمة، ترتبط بوليدتها الأزثى .

والقبول الحسن منه تعالى: أنه اختصها .. دون سواها - بإقامتها مُقَام الذكر في خدمة بيت المقدس .

وكما تقبل الله مريم في خدمة البيت لأَمر يعلمه ، أنبتها ورباها تربية حسنة ، إذ نشأت على طاعة الله تعالى .

وقد ساعد على ذلك: أنه تمال ، جعل زكريا -عليه السلام -كافلا لها ، لتقتبس منه المعلوم والمعارف ، ولتمضي على سنته من المملاح والتقوى . وكان زَوْج أختها ، كما ورد في المعلوم و فإذا بيحيى وعيمى وهما ابنا الخالة ، ويحيى : ابن زكريا عليهما السلام . وهكلا تهيأت لها الوراثة الصالحة . فكانت سيدة نساه المعلمن .

وذكر ابن اسحق وابن جوير :أن زكريا ،كان متزوجًا خالة مريم . ويجمع بينهما ،بأن خالة الأم خالة لولدها . والسبب فى كفالته لها :أن أباها كان متوفيا .أو أن السّنة كانت جنباء ذكر ذلك ابن إسحق . (كُلُّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيًّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ مِندَهَا رِزَقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ مُلَمًا قَالَتْ هُو مِنْ مِندِ اللهِ إِنَّ اللهُ يَرُزُقُ مَن يَضَا لَه بِغَرِ صِنابِ) :

كان زكريا يأتى مريم بطمامها ، عقتضى كفالته لها . ولكنه كان - حين يأتيها - يجد هندها رزقا جميلا ، وطماما وفيرا . فيحب لذلك ، ويقول لها : من أين لك ها ١٩ ١ يقول لها ذلك متمجيا من وجود رزق عندها ، ولا كانل لها سواه . فتجيبه قائلة : (هُوَ مِنْ عِندِ الله إنَّ الله يَرْزُقُ مَن يَضَاهُ) رزقا واسما (بِغَيْر عِسَابٍ) . ويحمل أن تكون جملة (إنَّ الله يُرَدُّقُ مَن يَضَاهُ بِغْيرٍ حِسَابٍ) من كلام الله تعالى ، ولبس من كلامها ، سيفت : الإيغان بأنه لاينهني أن تعجب من هاماً الرزق ، فإن الله يوزق من يشاه بغير حساب .

والمحراب الذي كانت فيه ، قيل : إنه غرفة بنيت لها في بيت المقدس ، لا يصمد إليها إلا بسلم . وقيل : إنه ذات المسجد ، وكانت مساجدهم تسسى : محاريب .

والحق؛ أن المحراب لغة: يطلق على الغرفة، وهى السجرة العالية. وعلى ممدر البيت وأكرم مواضعه . وإطلاقه على المسجد – أو على مكان الإمام فيه – لرفعة شأنه .

(هُنَالِكَ دَعَا زَكِرِيًّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنكَ دُرِيَّهُ طَيِّبَةً
إِنْكَ سَمِعُ الدُّعَآهِ ﴿ فَنَادَتُهُ الْمُلَتَهِكَةُ وَهُوَ قَآمٍ يُصَلِّ فِ الْمَحْرَابِ
أَنَّ اللهُ يُكِشِّرُكَ بِيَحْنِي مُصَدِّقًا بِكُلِمَة مِن اللهِ وَسَيِّدُا وَحُمُورًا وَنَبِيًّا
مِن الصَّلِحِينَ ﴿ قَالَ كَذَالِكَ اللهُ يَمْكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبُرُ
وَالْمَوْلَقِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَالِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاهُ ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِنَ اللهِ عَلَيْمَ وَقَدْ بَلَغَنِي اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

القبريات :

(مُعَالِكَ): أى فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب، أو فى هذا الوقت اللكى رأى فيه من الكرامات ما رأى، على غير المألوف. وهنالك: يشار به إلى المكان والزمان. (مُصَدُّقًا بِكَلِيمَة مِنَ اللهِ): المراد بكلمة الله ؛ عيمى عليه السلام ، حيث جاء بقوله تعالى: (كُنُّ) مِنْ غِير توصط أب .

(وَحَصُّورًا) : الحصور ؛ الذي لا يباشر النساء . أو هو الذي تمنع نفسه من المعاصى . (تَكَفَّعَ الْكُنَّ) : أُهر كتن الشيخة :

> . (وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) : عقيم لا تلد ، من المَقْروهو القطع ، لقطع أولادها .

(أَلَّا تُكَلَّمُ النَّاسَ): أَى لا تقار على كلامهم من غير آفة .

(إِلَّا رَمْزًا): إِلَّا إِشَارة .

(بِالْعَثِيُّ): هو من الزوال إلى الغروب . وقيل: من العصر إلى ذهاب صدر الليل . (وَالْإِيْكَارِ): أَى وقت الإيكار وهو من الفجر إلى الضحى .

التفسير

٣٨ - (هُنَالِكَ دَمَا زَكَرِيًّا رَبُّهُ قَالَ رَبُّ هَبْ لِي بِن لَلْنَكَ ذُرِيَّةٌ طُبِّبَةً إِنَّكَ سَبِيمُ اللَّهَاء) : هذه قصة مستفلة . سيفت في أثناء قصة مريم ؟ لأنها -مع ارتباطها بها -مقررة لها ، عا فيها من عجيب قدرة الله مثلها .

والمعنى : أن زكريا ، لما وجد عند مريم رزقًا عظيا ، وتحقق أنه من عند الله تعالى: لا يأتيها به أحدمن الناس – قال فى نفسه : إن اللدى جاء مريم بذلك الرزق ، لَقَالِدٌ على أن يصلح لى زوجتى ، ويرزقنى منها ذرية .. فعند ذلك ،قام فى المحراب ، وأبتهل إلى الله تعالى قائلا : رب مب لى من عنك ذرية طيبة مباركة صالحة ، إنك كثير الإجابة لمن يدعوك .

وهنالك ، وإن كان يشار به إلى المكان البعيد ، إلَّا أنه قد يستعمل بمنى : في تلك الحال، مجازا ؛ كما تقول : من هنالك ، قلنا : كلما . أى في تلك الحال كذا . ومن هذه الجهة ، قلت : كلما . ذكره الزجاج .

وقد علل زكريا طلبه بقوله : (إنَّكَ سَمِيعُ النَّعَاه) : وأصله بمنى : كثير السمع للدهاء ؛ ولكنه أُريد منه هنا مجازا : إنك كثير الإجابة لمن يدعوك . فهلما هو الأكثر مناسبة للتعليل . ٣٩- (فَنَاتَتُهُ الْمَلَاكِكُةُ وَهُو قَائِمٌ يُسَمِّلُ فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَخْتَى مُصَدَّقًا بكليمة عِنْ اللهِ وَسُهِّنًا وَحَصُّورًا وَثَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) : أكرم الله ذكريا فَأَجاب دعامه ، وبعث إليه بالملائكة يبشرونه بذلك ، فناده - وهو قائم يصلى فى المسجد - أن الله تعالى يبشرك بولد ذَكر ساه الله يحيى : مصدقًا بعيسى عليه المسلام ، الذى سُكَّى كلمة الله ؛ لأنه خلقه بقوله : (كُنْ) فكان . ومعنى تصديقه به : إيمانه بأنه رسول الله . وهو بذلك ، يكون أول من آمن به . ويحيى أكبر من عيسى .

فهذه البشارة كانت قبل أن تحمل مريم بعيمى ، أو حالى الأقل - قبل أن تلده . وذكر هذا التصديق ؛ لتسفيه رأى البهرد في عيمي عليه المسلام .

وقال أبوعبيدة : المراد بالكلمة هذا، الكتاب أو الوحى :

وقد وصف الله يحيي على لسان ملاتكته المبشرين ، بأنه سيكون سيدًا. والسيد: من يسود قومه . ثم أُطْلَق على كل فائق في الدين أو الدنبا. كما قاله بعض المحققين .

ويمكن أن يُجتمع فيه الأَمران : الرياسة فى قومه ، والتفوق فى الدين . فإنه فبى الله، ومن الصالحين . كما سيأتى تشتّه بذلك .

ووصفته الملاتكة أيضًا بأنه حصور.. وفسره ابن عباس: بأنهالذى لا يأتى النساء مع القدرة على ذلك . ولعل هذا؛ لأن الهماكه في العبادة ، شغله عنهن .

ولللح بدلك، كتابة عن مدحه باشتفاله بالعبادة عن متع الحياة الدنيا. وليس معناه أن ذلك أفضل من الله في الأنبياء. ومن الله أفضل من الله في الأنبياء. ومن سنن الله في الأنبياء. ومن سننه في الجنس البشرى؛ ليبقى خليفة عن الله تعالى في عمارة أرضه. وقد كان على سنة يحيى ـ في ذلك عيمي، عليهما السلام.

وفَشَر الحصورَ بعضُ للفسرين: بأنه المبالغ فى حصر النفس ، وحبسها عن المعاصى والشهوات، وكان ضمن بشارة الملاتكة لزكريا عن ولده يحيى: أنه سيكون نبيًّا ناشئًا من الأُصول الصالحين، أو معدودًا فى عدادهم .

والمراد من الصلاح: ما فوق الصلاح الذي لابد منه في منصب النيوة، بأن يكون في أقصى مراتبه، حتى يكون للوصف به بعد النبوة فائدة .

وتأتيث الفعل (قَالَتْ) عند إسناده إلى الملاكة ، لجواز ذلك عند إسناده إلى الجماعة . فالملاتكة ليسوا إناشا . ولهانا رَدَّ اللهُ على المشركين حين ادعوا ذلك فضال : • وَجَعَلُوا الْمَكْرِكَةَ النَّهِنَ هُمْ هِيَادُ الرَّحْمَنِ إِنَائَا أَشْهِلُوا خَلْقُهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَاتَتُهُمْ رَيْسَأَلُونَهُ (1). وقد

⁽۱) الزغران ۽ ۱۹

جاء تذكير الفعل معهم بشأُويل الجمع ، كفو له تعالى : « وَالْمَكَاثِكَةُ يَلَمُخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلُّ بامبو (۱) .

ويحبي هذا ، هو المسمى عند المسيحيين: يوحنا المعمدان .

٤٠ (قَالَ رَبِّ أَتَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَقَنِيَ الْكِيْرُ وَامْرَأَتِي مَاوِرٌ قَالَ كَلَّلِكَ اللهُ يَعْمَلُ مَا يَشَاهُ) :

لَمَّا بشرته الملائكة بللك، وتحقق من البشارة ، تسجب من وفوع ذلك مع وجود الموانع ، فقال : يا رب، من أين يكون لى خلام ، وقد أدركتني الشيمفوخة - فقدكانت مِنَّهُ - على ما روى عن ابن عباس - مائة وعشرين سنة - وامرأتى عاقر لاتلدا وقد كانت هي الأُخرى متقدمة في السن ، إذ بلغت ثماني وتسمين سنة ، على ما روى عن ابن عباس .

وإنما خاطب بذلك ربه ولم يخاطب الملائكة الذبن بشروه ؛ مبالغة فى التضرع إلى الله تعالى . وسينشد أجابه المدلى تاثلا: (كَالَلِكَ اللهُ يَعَمَّلُ مَا يَشَاءُ) أى : الله يفعل ما يشال ، مثل ذلك من الأفعال المنارقة العادة ، الخارجة عن القياس .

21 - (قَالَ رَبُّ اجْدَلِ لَى آيَةً قَالَ آيَتُكُ الَّا تُكَلَّمُ النَّاسَ فَلَاقَةً أَيَّامٍ إِلَّا رَمُّوا ...) الآية. قال زكريا - لما سمع عنا المجواب الحاسم من الله رب العالمين - اجعل لى علامة أستدل بها على حدل امرأتي . قال الله له : علامتك ، ألا تقدر على مكالمة الناس ، ثلاثة أيام متوالية من غير آنة .

تَبييد عدم الكلام بالناس؛ مؤذن بأنه كان غير محبوس عن ذكر الله تعالى . وكان
 ديثه مع الناس ... في هذه المدة رمزا.كما قال تعالى : (إِلّا رَمْزًا) والرمز : الإشارة باليد
 أو الرأم أو نحوهما .

ثم أمره الله أن يذكره سبحانه ، في وقت لا يحتبس فيه لسانه عن الناس، فقال:

(وَاذْكُرْ وَبِلْكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْمَثِيِّ وَالْإِبْكَارِ) يسى: واذكر ربك ذكرا كثيرا، ونزهه عما لا يليق به : في وقت العشى –من الزوال إلى الغروب –أو من العصر إلى أن يذهب صدر الليل، واصنم مثل ذلك في وقت الإيكار–من الفجر إلى الضحى .

والمراد من العشى والإبكار . جميع الأوقات. والذكر : يتناول ما كان باللسان والقلب .

⁽١) الرمة : ٢٣

القبريات :

(إِنَّ اللَّهُ أَمُّ طَفَاكِ): اختارك لخدمة بيته لصلاحك .

(وَطُهِّرُكِ) : من الأَدناس أو طهرك بالإيمان عن الكفر ، وبالطاعة عن العصيان .

(وَاصْعَلْمُنَاكِ عَلَى نِسَلَمَ الْمَالَّشِينَ): اختارك عليهن: بأن تكونى أمَّا لعيسى من غير أب. وجعلك وإياه آية للعالمين . ولم يكن ذلك لأحد من النساء .

(اقْنْتِي لِرَبِّكِ) : دوى على طاعته .

(وَاسْجُلِين) : واخضمي .

(وَارْكَتِي مَعَ الرَّاكِينَ) : وصلى مع المصلين .

(وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقَلَامُهُمْ أَيْهُمْ يَكُفُلُ مَرْيَمَ) : وما كنت عند المتنازعين فى كفالتها، حين يلقون أقلامهم التى يكتبون جا التوراة، أو سِهَامَهُمْ عند الاقتراع على كفالتها فى طفولتها .

(وَمَا كُنتَ لَلَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) : أَى إِذ بِتنازعون في ذلك .

التفسير

٤٧ - (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهْرَكِ) الآية .

هذا عود إلى قصة السيدة مريم عليها السلام – بعد أنْ توسطتها قصة ولادة يسعي لزكريا، بعد أن بلغ من الكبر عتبًا، من زوجته المسنة العاقر-التشويق إلى باق قصتها، ولتقرير ما فيها من عجائب صنع الله ، المخالفة للنواميس المألوفة ؛ ولتقرير اصطفاء مريم . والملاككة هنا، كالملاككة في قصة زكريا، يجوز أن يكونوا جماعة ، أو أن يكون المراد منهم الجنس الصادق بواحد . والمقصود به جريل؛ لأنّه هو الذي يبلغ رسالات الله إلى المصطفين من خلقه عادة .

والمعنى: واذكر يا محمد، من شواهد اصطفاء الله لأُولئك الكرام، وقت قول الملائكة: يامريم، إن الله اختارك لخدمة بيته، ولم يكن يخدمه قبلك إلا الرجال. وطهرك من الأُدناس: حِسَّية كانت أَر خُلُقِية أَو اعتقادية. واختارك على نساء العالمين ؛ ليهب لك عيمى من غير أُب ، فكنت فريدة فى ذلك بين نساء العالمين؛ لطهرك وفضلك !

وظاهر النص: يقتضى أن كلام الملاتكة لها، كان مشافهة . ويجوز أن يكون إلهامًا . 4٣_ (يَا مَرْيَمُ ٱلْفُنْتِي لِوَبَّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَمِي مَعَ الرَّاكِجِينَ) :

المعنى: وقالت الملاتكة لمريم بعد أن أخبروها بعلو درجاتها وكمال قُربًا إلى الله ...
يا مريم : دومى على طاعة ربك اللي رباك بنعمه ، واخضعى له ، وصَلَّى هم المصلين . وقد
أمرها الله بالك ، حقى لا يحدث لها فتوراً أو غضلة ، بعد ما علمت مكانتها عند الله تعالى ...
المرها الله بالله من الإيجاد الله المنافقة المنافقة

وإذا كان الله يذكّر مريم بذلك ـ وهى من جلالة الشأن على ما وصف الله ـ فالأجلو بمن هم دونها : أن يعلموا أن الله تعالى لا يغفل عن حقوقه لديهم ؛ ليشمروا عن ساعد الجد، حتى لا يفوتهم ركب النجاة .

£\$_ (ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَآهِ الْغَيْبِ نُوجِيهِ إِلَيْكَ . . .) الآية .

الممنى: ذلك الذى تقدم من أُعبار النيب، ذات الوقائع الدقيقة الفصلة، فعلمك بها عن طريق الوسى . وقد سبقت عهدك بقرون عديدة : ما كنت تعلمها أنت ولا قومك . ولولاه لما وصل إلى علمك .

وصدق الله إذ يقول : « وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُلُّهُ بِيَعِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ، " .

كما أنه لم يعرف عنك مجالسة أهل الكتاب حتى تعرفه منهم .

⁽١) المتكبرت : ١٨

ثم أعلمه الله بغيب آخر فقال :

(وَمَا كُنتَ لَكَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقَلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَكَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِدُونَ) :

الأصل فى الكفالة : أن تكون للوالد ، فلا يقوم غيره ما إلا عند فقده ، أو عند الضيق ، كما كفل النبي صلى الله على وسلم عليًا . وكفل الساس جعفرا ، عن أبى طالب والدهما ؛ لكثرة عياله وشدة الحال عليه . وخصام بنى إسرائيل على كفالة مريم ، لا يكون إلا لواحد من هلين السببين .

وقد دلت الآية : على أن بنى إسرائيل تنازعوا : أبيم يكفل مريم ويقوم بتربيتها؟ ودلت الأعبار : على أن الفراء منهم تنافسوا -- مع زوج خالتها زكريا - فى كفالتها . فكان زكريا يريدها ؟ لأن خالتها مه ؟ ولأنه كان رئيس الأحبار . ويرى أنه أحق بها لذلك .

وكان كل واحد من القراء يريدها ؛ لأنها ابنة عالمهم. فاقنرحوا -علاً لهذه المشكلة أن يقترعوا . وكانت وسيلتهم إلى القرعة أقلامهم ، كما قال القرآن الكريم .

واختلف فى هذه الأقلام فقيل : إنها الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة . وقيل : هى سهام جمل منها سهم معين لمن يأخلها .

وطريقة الاقتراع لم يَرِدُ بها خير صحيح . وأمام وصحوا الأقلام في كيس أو نحوه . فإن كانت أقلام الكتابة ، كان إخراج أي قلم منها يدل على صاحبه ، وعلى أنه هو اللك يكفل مريم ، وإن كانت السهام ، كان السهم المعين لمريم ، إذا أخله أي واحد منهم يكون هو الكنيل . وكانت هله القرعة سبيلا إلى فوز زكريا عليه السلام بكفائتها .

وفى هلم الآية دليل على أن القرعة سبيل مشروع لتمييز الحقوق .

والاستهام (⁽⁾ ورد في القرآن في موضعين:هلما الموضع ، وقوله تعالى: «فَسَاهُمَ فَكَانَ م**نَّ الْمُن**َّضِينَ » ⁽¹⁾ .

وكان صلى الله عليه وسلم و إذا أراد سَفرًا أثَّرِع بين نسائه ، " وقال صلى الله عليه وسلم : و لَوْ يطَم النَّاس مَا في النَّدَاد والسَّفَّ الْأَوَّال ثمَّ لم يجلوا إلَّا أن يستمموا عليه لاستهموا أ ⁽⁶⁾.

وإنباءُ القرآن بما وقع فى كفالة مريم من نزاع وخصام ، ولجوه المتنازمين إلى القرحة ، هليل على نبوته صلى الله طيه وسلم ، لأن ذلك لا يعلم إلا عن طريق الوحى .

. (١) الاستمام : إبير أم المترمة. ﴿ ٢) المساقات : ١٤١ ﴿ ٢) رواً اللهيمان .

ولذا ، أشار الله إلى هذه المعجزة بقوله :

(وَمَا كُنتُ لَنَهُمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقَلَامَهُمْ أَبُّهُمْ يَكُفُلُ مَرْيَمْ وَمَا كُنتَ لَنَيْهِمْ إِذْ يَخْتُوسُونَ):

أًى ما كنت عندهم فى الحالين، حتى تعلم أمرها . وإنما أعلمك الله بوحيه .

(إِذْ قَالَتِ الْمَلْئَمِكَةُ يَدَمَّرُ مُ إِنَّ اللهُ بُيشِّرُكِ بِكَلَّمَةٍ مِّنَهُ اسْمُهُ الْمَسْمُ عِسَى ابْنُ مَرْمَ وَجِعِها فِي الذُّنْيَا وَالْأَخْرَةِ وَمِنَ الْمُفَرَّيِنَ ﴿ وَمُنَ الْمُعْلِحِينَ ﴿ وَمُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمَنَ الصَّلْحِينَ ﴿ قَالَتَ رَبِّ أَنِّى لَيَكُونُ لِي وَلَدَّ وَلَمْ يَمْسَنِي بَشَرُّ قَالَ كَذَالِكِ اللهُ يَعْلُقُ مَا يَشَاءً إِذَا يَنْهُ عَلَى مَا يَشَاءً إِذَا وَمَنَ المَعْمَلُومِنَ ﴿ وَلَهُ اللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءً إِذَا وَمَنَ المَعْمَلُومِنَ ﴿ وَلَهُ مَا يَشَاءً إِذَا وَمَنَ المَعْمَلُونُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءً إِذَا وَمَنَ المَعْمَلُومُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءً اللَّهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ وَلَهُ مَا يَشَاءً وَلَمْ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْلًا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

القسردات :

(يُبشِّرُكِ) : التبشير ؛ الإخبار بالبشارة وهي الخبر السَّار . وأُطلق عليه ذلك؛ لظهور أثره على البشرة .

(وَجِيهًا): صاحب جاوِ وشرفٍ .

(فِي الْمَهْدِ) : المهد هنا ؛ فراش الطفل الرضيع .

(وَكُهُلاً): الكهل؛ مَنْ وَخَطَهُ الشيب في جلال ووقار. وهو بين حالى الظومة والشيخوخة. ومنه: اكتهلت الروضة إذا عمها التُوار. وقيل: من جاوز ثلاثين إلى إحدى وخمسين سنة.

(وَلَمْ يَمْسَشنِي بَشَرٌّ) : اللَّس هنا ؛ كناية عن الجماع .

التفسير

(إذْ قَالَتِ الْمَكْرِيكَةُ يَامَرْيَمُ إِذَّ اللهِ يَبْشُرِكُ بِكَلِيمَةِ مِنْهُ السَّمُ الْمَسِيعُ عِيسَى بْنُ
 مَرْيَمَ وَرِيهًا فِي اللَّذِيكَ وَالْآخِرَةِ وَبَنِ الْمُكَرِّئِينَ):

هذه الآية ــومايليها من الآيات ــ تحكى قصة عيسى بن مريم عليهما السلام . والمراد بالملاتكة هنا : الجنس . والمقصود منه جبريل عليه السلام ،على المشهور. والقول من الملاتكة لمريم ،كان مشافهة .كما وواه ابن أبي حاتم هن قتادة .

وإطلاق لفظ: (كلمة) على عيسى عليه السلام؛ لأنَّه لم ينجر على نسق البشر . إذ خلق بغير أَب . . مَتَاثَّرًا بقوله تعالى ف شأنه : (كُن) كما قال تعالى: د إذَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلُ آكمَ خَلَقَهُ مِن ثُرَّابِ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ، (1) وعا أَل (كُنْ) كلمة ، فلذا سُمَّى: (كلمة) .

والمسيح: لقب لعيسى عليه السلام .وهو من الأَلقاب ذات الشرف. كالفاروق لعمر. وهو لقب هبرى . ومعناه : القائم على عبادة الله . ومع كونه لقبا ، فقد صرحت الآية بدَّه اسم له . والأَلقاب إذا اشتهرت ، صارت أَساه .

ووجاهته فى الدنيا : شرفه وقدره العظم ؛ بقبول دعائه: إحياه الموتى ، وإبراء الأكمه والأَبرص، وغير ذلك ، مما أكرمه الله به .

وقيل: وجاهته فيها: برائته من العيوب التي افتراها عليه اليهود .

أما وجاهته فى الآخرة : فهي بقبول شفاعته ، وعلو درجته، وظهور كذب اليهود فيها الفتروه عليه ، وهقاج على ما الفتروه .

والمراد من كونه (مِنَ الْمُمَرَّبِينَ): أنه عمن علت مكانتهم حند الله تعالى وعند الناس.

وخلاصة المنى : اذكر يامحمد ، حين قالت الملاككة لمريم - يامريم : إن الله يحبّرك بخبر يسرك . هو : أنه سيمن طيك بغلام إسمه المسيح عيمى بن مريم : ذا جاه وشرف في الننيا ، بما يظهره الله على يليه من المعجزات ، وبما اتصف به من المعلاح والتقوى . وذا جاه في الآخرة : يقيول شفاعته ، وظهور صلقه وعلو درجته . ومن المغربين إلى الله والناس ، للحبوبين للهم .

⁽¹⁾ آل حران: ٥٥

وبما أن الولد عادة ينسب إلى أبيه ، فإضافة عيسى بالبنوة إلى أله ، فيه إشعار لها _ حين البشارة - ينَّته سيكون بغير أب... قبل التصريح لها بذلك . وسيأْتي بعد .

٤٦ ـ (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ :

وبشرتها الملاتكة أيضا: بأن ولناها عيسى عليه السلام ، سيكون ذا شأن عظم ، وذلك أنه يكلم الناس وهو طفل بالازم فراش الطفولة ، مثلما يكلمهم وهو رجل نو جلال ووقار. ` فكلامه فىكلتا الحالتين،كلام رصين، مفيد تافع ،يننى الريب ويزيل الشكوك، ويعمق الحق.

ومن كلامه فى طفوك . أنه قال لقومه ، حين أشارت أمه إليه ليدافع من عرضها : و إنَّى عَبَّهُ الله آتا فى الكِتَّابَ وَجَمَّلَنِى نَبِيًّا . وَجَمَّلَنِي شُهَارَّكَا أَنِّنَمَا كُنتُ وَأَوْصَا فِي بِالصَّلَاةِ وَالرَّكَاةِ مَا مُثَنَّ حَبًّا، ⁽¹⁾ . وذلك حين جاعت به قومها تحمله ، بعد أن وضعته فلما رأوا ذلك: و قالُوا يَامْرُيُّمُ لَقَدْ جِنْدِ غَنِيُّا فَرِيًّا . يَا أَخْتَ مَارُونَ مَاكَانَ أَبُولِهِ الرَّا سُوْهِ وَمَاكَنَتُ أَلْمُلِهِ بَيِيًّا ، ¹⁰ .

أما كلامه في كهولته ، فهو كلام الوحي والرسالة .

وكما بَشَّرْتها الملاتكة بوجاهة ولدها فى الدنيا والآخرة ، وأنه سيكلم الناس فى المهد وكهلا ، بَشِّرتها أيضا: بلَّنه سيكون فى عداد الكاملين فى الصلاح والتقوى .

29 _ ﴿ قَالَتْ رَبُّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِ وَلَدٌ وَلَمْ مِكْسُنِي بَفَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَايَضَكُمْ إِذَا قَضَى ٓ أَثْرًا فَإِضَّا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ :

قالت السيدة مريم ستحجة من تبشيرها بالولد وهي غير متزوجة سيالآتي. مِنَّ أَيْن يكون في ولد ولم يتصل في بشر، والمادة جارية على خلاف ذلك؟ قال الله تعلى سيلسان الملائكة وتبليغهم، ردًّا على استغرابا سالله يفعل مايشا، ولو خالف القياس، بدون معاناة والاصعوبة.

ولايحتاج تحقيق المراد إلى قوله تعالى (كُن) بل يكنى أن يريده الله ، فيتحقق فى الحين الذى أراده سبحانه فيه . والأمر بِكُن محمول ــعند الأكثرين ــعلى أنه تمثيل لتأثير قامرته تعالى فى مراده : بنام المطاع للمطيع فى حصول المأمور به ، من غير امتناع ولاتوقف .

وأجاز بعضهم : أن يكون ذلك على الحقيقة ، بأن يتعلق كلام الله النفسى : اللدى هو ممنى : كن ، على ماأراد الله تكوينه ، فيكون ويحدث . (وَيُمَيِّهُ الْكَتَنَبَ وَا هِ كُمْهَ وَالتَّوْرَنَةَ وَالْإِحِيلَ ﴿ وَرَسُولًا اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهَ عَلَى اللّهُ وَالْبَوْنُ اللهُ وَالْبَوْنُ اللّهُ وَالْبَوْنُ اللهُ وَالْبَوْنُ اللهُ وَالْبَوْنُ اللّهُ وَالْبَوْنُ اللّهُ وَالْبَوْنُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

الأضرمات :

(الْأَكْمَةُ وَالْأَيْرَسُ): الأَكمه ؛ من ولد أَحمى. والأَبرص: من بجلده بقع بيضاء تخالف لون سائره .

التغسي

٨ = (وَيُعَلِّمُهُ الْكِمَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ) :

فى جملة مابشرت به الملاتكة مريم ، عن وللما عيسى المنتظر : أن الله تعالى : يعلمه الكتاب . والمراد به : الكتابة بالقالم . كما قاله ابن عباس وابن جريج .

أو هو بعض الكتب الإِلْهية التي أنزلها الله على أنبيائه ، سوى التوواة والإِنجيل اللذين سيدّكران بمد. وهذا رأى أبي على الجيائي . والأَول أظهر .

وكما يعلمه الكتاب، يعلمه الحكمة. وهي إصابة المحق القول والعمل، ويعلمه التوراة التي أنزلها على موسى من قبله، والإنجيل الذي سينزله الله عليه. وقد كانحليه السلام، يحفظ هلما وذاك. وتعليمه ماتقدم: صالح الأن يكون موهبة إلهية ، والأن يكون بمعلم .

روى أنه لما ترعرع أسلمته أمه إلى المعلم . ولكن لاندرى ماذا علمه المعلم . ولعله علمه ماتضمنته الآية من الكتابة والتوراة . أما الإنجيل ، فقد أنزله الله عليه .

٩٥ - (وَرَسُولًا إِنَى بَنَيْنَ إِسْرَائِيلَ أَنَّى فَدْ حِثْتُكُم بِنَايَةٍ مَن رَبُّكُم ۚ أَنَى أَظْنُ لَكُم مَن الطَّينِ كَايَبُهُ الطَّينِ كَايَبُهُ الطَّينِ كَايَبُهُ الطَّينِ كَايَبُهُ الطَّينِ كَايَبُهُ الطَّينِ عَلَيْهُ أَنْ طَيْرًا بإِذْن الله . .) الأية .

أى: ويجعله رسولا إلى بنى إسرائيل ، يضرم ، أنى قاء جئتكم ببرهان من ربكم على فبوق . هو أنى أنشىء لمكم من الطين تمثالا كهيئة الطير وشكله ، فأنفخ فيه فيكون بعد النفخ طيرا بياًمر الله اللكى جعل ذلك معجزة وبرهانا على أنه أرسانى إليكم . فإن مثل ذلك لايقدر عليه البشر ، الأنه تما اختص الله به ، فإذا أمكن الله بعض عباده من ذلك ، فذلك يعتبر تأبيدا من الله له في دعوى الرسالة .

والتعبير بقوله: (رَرَسُولًا إِلَى بَنِينَ إِسْرَائِيلَ) للإيلنان بخصوص بعثته إليهم . أما الرسالة العامة، فهي لمحمد صلى الله عليه وسلم: لايشركه فيها أحد سواه .

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَانَّةً لَّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَلِيرًا ٥٠٠ .

وقد انقدمت بنو إسرائيل فيه إلى فرقنين: فرقة ترميه بالدعش مارمت به أمة نبيها ، وهم الأكثرون من اليهود. وأخرى تصلقه في مواعظه وإرشاداته . وتقول: إنه لم يخالف التوراة ، بل قررها ودها الناس إليها ، وإنه من المستجيدين لمرسى عليه السلام ، ومن بني إسرائيل فرقة أخرى تسمى الأكفياء ينفون رسالته ونبوته ، ويقولون: إن سائر اليهود ظلموه : حيث كلبوه أولا ، ولم يعرفوا ملحاه . وقتلوه آخرا ولم يعرفوا مرماه ومغزاه . وهله القرقة تسمى : العانبية . أصحاب عنان بن داودرأس الجائوت .

ذكر ذلك الألومي ناقلا عن بعض المصادر المشهورة ولم يسمه .

﴿ وَأَبْرِيُّ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْبِرِ الْمَوْكَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ :

وأشنى الأكمه الذى ولدته أمه أحمى، فيصير بصيرا. وأشنى مَنْ بجلده برص. وهو بياض يخالف لون سائر الجلد. وهاتان الطنان أعجزتا الأطباء. ولهذا أراهم الله المعجزة على يد عيمى من جنس الطب. كما أرى قوم موسى المعجزة بالعصا واليد البيضاء ، حيث كان

YA : 1- (1)

الغالب عليهم المسحر . وأرى العرب معجزة القرآن. حيث كان الغالب عليهم فى عصر الرسول: القصاحة والبلاغة .

والاقتصار على هلمين الرضين ، لاينتى قدرته على شفاء غيرهما ببإنَّذ الله . وكما كان يقام على شفاء للرضي ، كان يدعى الوتى ببإنَّد الله .

ولى كل هدالمعبزات كان يلجأً إلى الله ويدعوه ، فيحقى الله دعاته . دون بمارسة الوسائل الطبية . (وَالْتَهْكُمُ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَسْجُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) : وأخبر كم بما تأكوله فى بيوتكم ولم أشاهد ، وماتدخرونه للمستقبل من مال وطعام لاسبيل فى إلى علمه .

والمراد: الإعبار بهلين النومين بخصوصهما . وقيل: المراد أنه يخبرهم بالمنيبات .

والتصر على ذكر هذين الأمرين؛ لحضورهما لليهم . فلا يبنى لهم شبهة . ولاشك أن صدقه فيا أخير به شاهد على صدقه في دعواه الرسالة إليهم .

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ) :

هذه الجملة من كلام هيسى حكاها الله تعالى ، أو من كلام الله ، سيقت للتوبيخ . والمغنى: إن فى ذلك لعلامة لكم على صحة رسالة عيسى ، أو رسالة محمد اللتى أخبر بما لم يعاصره، من غير معافجة أسباب توصله إلى علمه ، كما يفعله المتجمون .

لَّما ما يفعله علماء الفلك ، من الإعبار عن بعض المغيبات ، فناشئ عن قوانين وضوابط ، لولاها لما عرفوا ما أخبروا به . . فلا يقال : إنهم أخبروا بالمغيبات .

على أن مليخبرون به لا يصل إلى درجة العلم المقابل للظن . بل أقصى ما يحصل به هو الظن الفالب - وقد يخطئون - وبينه وبين علم النيب بَرْنٌ بعيد، بخلاف ما يخبر به للرساون، فهومن باب العلم الذى لاشك فيه ؛ لأنه إخبار عن الشتمال . ولذا لايتم فيه عطاً. وأما التنبؤ كى شئون التجارة والحروب والحظوظ ونحو ذلك ، فهو إهدار لكرامة العقل ؛ ومخالف للشرع .

ثم عَمْ الآية بقوله تعالى : (إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ) :

لَّى: إن كتنم مريامين الإيمان أو موفقين إليه : فذلك الذى تقدم آية لكم تعينكم على تحقيقه . ٥٠ - (وَمُصَدَّقَالُما بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَا وَ وَلِأْحِلَّ لَكُمْ مَنْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ...) الآية .
 أى: جثتكم بآية من ربكم ، ومصدفا لما تقدمنى من التوراة النازلة على موسى :
 مؤمنا بماجاءفيها ، وأنها نازلة من عندالله تعالى . وجثتكم لأحل لكم بعضَ اللى حُرَّم هليكم .

واختلف العلماءُ في المراد من قوله : ﴿ وَلاَّحِلُّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي خُرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ :

فستهم من قال: المراد منه: أن عيسى عليه السلام ، أحَلُّ لهم بعض ما حرم الله عليهم في التوراة ؛ تخفيفا عليهم .

أخرج ابن جرير وابن أب حاتم عن الربيع أنه قال : ٥ كان الذي جاء يه عيمى أَلِيُسُ نما جاء به مومى عليه السلام a .

ومنهم من قال : المراد منه : أنه أَخَلَّ لهم بعض ما كانوا يتنازهون فيه فأخطأُوا ، فكشف لهم من ذلك ما كان معلى .. لقوله تعالى : ووَلِأَبُينَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، (" (رَجَتْنَكُمُ بِآيَة مِّن رَّبِكُمُّ) :

وَحُدَّ الآيةَ ـ مَعَ أَنها آيات عديدة ـ لأنها جنس واحد فى الدلالة على رسالته . وقد جامت هذه الجملة فى آخر كلامه ـ مع أنها جامت فى أوله ـ لتكون كنتيجة لِسَرْد هذه المجزات التى تقامت ، وليرتب عليها قوله لهم :

(فَاتَّقُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ :

وكأنه يقول لهم: وإذا كنت قد جنتكم ملم الآيات والمعجزات، فاتقوا الله وخافوه، وأطبعون فيا آمركم به عنه سبحانه وتمالى. فإن ذلك يجب عليكم ، عند ظهور العق ضا أدع كم إله .

٥١ - (إِنَّ اللَّهُ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُلُوهُ هَلْنَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) :

بعد أن أمرهم بتقرى الله وطاعته ، علل ذلك بقوله : (إِنَّ اللهُ رَبِّى وَرَبُّكُمْ) : يعنى ومن كان كللك ، وجب أن يُتَّقَى ويُطَاعَ رسولُه فيا كلفهم به من تكاليفه تعالى. ورتب على ذلك : ما هو تفسير للتقوى والطاعة ، وما هوفرع وأثر لربوبيته تعالى ، فقال : (فَاعْتُدُهُ) :

أى : اجعلوا عبادتكم له وحده؛ لأنه ربكم دون سواه .

⁽۱) الزعرف ۱۳۱

وأرشدهم إلى استقامة مذا المنهج فقال:

(هَلْمَا صِرَاطً نُسْتَة بِمُ) : فإنه يجمع بين الاعتقاد السلم ، والعمل القويم .

قال تعالى:

(قُلَمَآ أَخَرَى عِيسَمِ مِنْهُمُ آاكُنْمِ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ

عَالَ الْفَوَارِيُّونَ ثَعَن أَنهُ اداً اللهِ وَامَنا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٢

رَبَّنا عَامنًا بِمَا أَنْزَلْتُ وَاتَّبَعَنَا الرَّسُولَ فَا كُتُبَنا مَعَ الشَّنهِدِينَ ﴿ وَمَكُولُ وَاوَكُو الشَّنهِدِينَ ﴿ وَمَكُولُ وَاوْكُو الشَّا وَلَا السَّاعِدِينَ ﴿ وَمَكُولُ وَاوْكُوا الشَّاعِدِينَ ﴿ وَمَكُولُ الشَّاعِدِينَ ﴿ وَمَكُولُ الشَّاعِدِينَ السَّاعِدِينَ السَّعِدِينَ السَّاعِدِينَ السَّاعِينَ السَّاعِدِينَ السَّاعِينَ السَّاعِدِينَ السَّاعِدِينَ السَّاعِينَ السَّاعِدِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِدِينَ السَّاعِينَ السَّاعِدِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّعْمِينَ السَّاعِينَ السَّعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّاعِينَ السَّعِينَ السَّعِينَ السَّاعِينَ السَّعِينَ السَاعِينَ السَاعِينَ السَاعِينَ السَّعَامِين

الأسرنات :

(فَلَسَّا أَحَسَّ عِيتِي مِنْهُمُ الْكُفُرُ) : أصل الإحساس؛ الإدراك ببإحدى العواس. ويستعار للعلم بلا شيهة . أى: فلما علم متهم المعاومة على الكفر علما لاشبهة فيه .

(مَنْ أَنْصَارِيّ إِنَّى اللهِ): أَى من أَنصارى متجها إِلى اللهُ ؟ وحاصل المعنى: من ينصرنى حال كونى متجها إلى الله ملتجنا إليه ؟ والأَنصار: جمع نصير. وهو من يؤيدك وينصرك.

(الْمُوَلَوْيُونَ): جمع حوارى . وهو الصَّفيُّ والناصر . يقال: فلان حولمنُ فلان ، أَى خاصته مِن أصحابِه وناصره .

التفسير

٥٧ - ﴿ فَلَمَّا ٓ أَضَّى عِيتَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى اللهِ ...) الآية .

بعد أن بين الله في الآيات السابقة ، ما يؤكد رسالة عبسى عليه السلام ، ويدعو إلى تصليقه والإيمان بنبوّته ، عقبها بتلك الآيات التي أوضح فيها : كفر بني إسرائيل ومكرهم به ، وإنجاء الله له من مكرهم ، ووقوف أهل الحق معه ، وسائر قصصه الحق الذي زيفه أهل الكتاب. فقال جلَّ ثناؤه :

(فَلَمَّا آ أَخَسُ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ...) الآبة .

والمغيى : فلما استيقن حيسى طلومتهم على الكفر، وعدم استجابتهم للحوته ، انتجه إلى من خلصت نيتهم من قومه ، مخاطبا لهم بقوله : من ينصرفي ويؤيلكي وأنا متجه إلى الله داعبا لدينه ، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يحتمه مانع 9 فاستجاب لندائه عليه السلام ، صفوته وخاصته من قومه .. وقاد حكى الله استجابتهم بقوله :

(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آكَنَّا بِاللَّهِ وَالْمَهَدُّ بِأَقًّا مُسْلِمُونَ) :

أى: قال المخلصون له من قومه : نحن أنصار دين الله: ننضم معك فى نصرته، وفى تهليغ دعوته ، وتوضيح رسالتك ؛ الأُتنا آمنا بالله . ومن يؤُمن به سيحاله، فعليه أن ينصر دينه. واشهد علينا يارمول الله ، بأثنا منقادون لما يريده الله منا .

> ثم توجهوا إلى الله مؤكدين ما خاطبوا به عيسى عليه السلام ، فقالوا : ٣٠ ــ (رُيِّنَا آمَنًا بِمَنَا أَمْرَكُمَ وَاكْبَضًا الرَّدُولَ فَاكْتُمْبُنَا مَمَ الشَّاهِلِينَ) :

المنى : أكّد الحواريون إعانهم الذى أشهدوا عليه عيسى --متجهين به إلى وبهم -قاتلين : ربنا آمنا بما أنزلته على جديم رسلك ، وانبحنا الرسول، عليه السلام ، قاكتينا
عندك - ببيركة هذا الإمان -- مع الشاهدين من جديع الأمم : بعمدق الأنبياء والمرسلين .
ولا تجملنا من للماندين للكابرين ، الذين ينكرون الحق مع وضوح دليله .

وهن ابن عياس معناه : واكتبنا مع أمدّ مصد عملي الله طيه وسلم ، الشاهلين للرسل بالتبليغ .

شم حكى الله تدبير بنى إدرائبل اغتيال حبسى وإدباط الله لكيدهم فقاله: ٤ه ــ (وَمَكُرُوا وَمَكُرُوا وَمَكَرُوا وَمَكَرُوا وَمُنْكَرِ اللهُ وَاللهُ عَيْرُ الْمَاكِرِينَ) :

للني : قال ابن عباس في تفسير ما : لما أراد مَلكُ بني إسرائيل قتل عيمي طيه السلام ، دخل سأى عيس حتوخة فيها كوة ، فرفعه جبريل عليه السلام ، من الكوة إلى الساء . فتال المالكار جل خبيث منهم : ادخل عليه فاقتله . فلخل الخوصة ، فألقى الله عليه شبه عيمي عليه السلام ، قضر ج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس في البيت ، فقداره وصليوم ، ظنا منهم أنه عيمى ، وقدجاء في إنجيل ميرتايا عما يصدق ما المروى عن ابن عباس . وزاد على ذلك : أن ها الخبيث هو يهوذا . و كان من الحواريين المنافقين . وهو الذى دلّهم على مكانه . وذلك أن عيمى جمع الحواريين تلك الليلة . وأوصاهم وقال : ليكفرن في أحدكم . فذهب يوذا إلى ملك اليهود وأخيره بمكانه ، ومكان حوارييه . فلما توجه إليه الملك برجاله ودخاوا عليه البيت ، لم يجدوه ، فقد رفعه الله إليه . وألقى شبه عيمى على جوذا . فأمر الملك : يتنا عيمى فقال يهوذا . فأمر الملك : إن كنت عيمى وقال الهوذا : إن كنت عيمى فلي يهوذا : إن كنت عيمى فلي يهوذا . فأم الملك ، وصليه لشبهه بعيمى .

ومن العجيب أن النصارى لا يعترفون بها الإنجيل ، مع أنه وجد بمكتبة بابا روما ، وترجم إلى اللغة الإيطالية ، ثم إلى الإنجليزية ، رغيرهما من لغات العالم . ولم يوجد بالعربية إلا بعد ترجمته من الإنجليزية أخيرا !!

يل من الأصعب أن النصارى لا يعترفون بهلا. الإنجيل لمجرد مخالفته لما هو عليه من الأناجيل الأخرى . . وليس ما عندهم من تلك الأناجيل ما هو أولى بالتصديق منه ؛ لأنها ليس فيها ما يرجمها عليه ، بلإن المكس هو الصحيح .

هلنا هو مكر بنى إسرائيل بعيسى ، وإكرام الله له بإنجائه من مكرهم ، وعقابه المنافق بقتله ، بعد إلقاء شبه عيسى طيه ! !

والمكر لفة: هو تدبير خفى، يقصد به إضرار من يمكر به ، ولا يطلق طى الله بأسلوب المشاكلة المعروف فى طم المعافى . وهو التحبير عن الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته . وقد أطلق هنا على إنجاء الله لعيسى . وانتقامه عن المنافق ، لوقوعه فى صحبة مكرهم . هكذا قالت طائفة عن العلماء .

وقال غير واحد: المكر هو التدبير المحكم . وهو ليس بمنتم على الله تعالى ؛ وفى الحديث الشريف: « رَبِّ أَعِنَّى وَلَاتُمِنْ عَلَّى . . . وامكُنْ لى ولا تمكر على^(١) » ثم ختم الله الآية بقوله : (وَاللهُ مُخِرُّ الْمَاكِرِينَ) :

أى أقواهم ، وأشدهم مكرا . أو أنه أحسنهم مكر ا؛ لبعد تدبيره عن الظلم .

⁽¹⁾ من حدیث رواه : أحمد ، والحاكم ، والتُرمان ، وغیرهم .

ثم فصل هذا التدبير المحكم بقوله :

القبرنات :

(مُتَرَفَّيكَ): أَى مستوفيك وآخلك إِنَّ. مَأْخوذ من قولهم: توفيت ديني على فلان . أَى استوفيته وأَخلته . ويعتبر قوله هقبه (وَرَافِعُكَ إِلَىَّ) : تفسيرا له .

(وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا): أَى مظهرك منهم بيابعادك عنهم بالرفع، فقد دنَّسهم الكفر.

(وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبِيُّوكَ): بتصديق ما جثت به. ومنه: أنه يأْتى من بعلك نبي اسمه أحمد: يجب الإيمان به .

(فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) : بذلك .

(إِلَى يَوْم ِ الْقَيِمَامَةِ): ومن لم يؤْمن منهم بمحمد. فقد كفر بعيمى . فتسلب منه هذه الأفضلية . (مِنَ الْآيَاتِ) : من الحجج الدالة على صدقك .

(وَالذُّكُو الْعَكِيمِ): والقرآن المحكم المتقن . أو المتصف بالحكمة .

التفسير

هه .. (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيمَنَىٰ إِنِّى مُتَوَلِّيكَ وَرَافِيكَ إِنَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...) الآية . اختلف الفسرون فى المواد من التنولى هنا .

قمن العلماء من قال: إنه على حقيقته للمروفة . وإنه مرتبط بالآية السابقة . والمشي : ومكر اليهود بعيمي يريدون قتله . ومكر الله فأحبط تدبيرهم . والله تميّر المحاكمين . فقد قال الله لعيمى : إلى متوفيك حين يأتى أجلك . ولن أسلطهم عليك ليقتلوك . وقد حقى الله وحده له إذ ألقى شبهه على جوذا فقتلوه ، وأنجى عيمى ورفعه إليه . وسيبقى إلى آخر الزمان لبيلغ شريعة محمد . صلى الله عليه وسلم - للنامس . ثم يتوقاه يعد ذلك . كما ورد في السنة الصحيحة على ما سنبينه .

قالآية على هسلنا كناية عن عصمته من الأعداد ، مشفوعة بالبشارة برفعه .

وقال آخوون : معناه : إلى مستوقيك ، أي كنفلة من الأرض . مأُنتودْ من ، أول الدوب : توفيت ما لى حلى فلان ، أى أُنفلته . وعلى حلما يكون قوله : (وَرَافِينُكُ إِلَّى) تنسيرا للتَّوْق .

ونقل الحافظ ابن كثير ، عن ابن عباس (إِنَّ مُتَوَقِّبكَ) أَى بميتك .

ولكن هذا النقل معارض بما سند كره من الأحديث الدالة على بقاته إلى آخر الزمان ، وبقوله تعلى : د وإن مَّنْ أَهْلِ الكِيَّابِ إلَّا لَيُرُّئِنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ هِ ¹⁰ . وهذا الموعد لم يتحقق إلى الآنء فإن اليهود – وأكثر الناس - لم يؤمنوا به . وذلك يدل على أنه لا يزال حيا . وسيظل كذلك . حتى يؤمن به جميع الناس قبل موته ؛ تدخيقا لوعد الله تمالى . وسيكون ذلك آخر الزمان .

كما أنه معارض بما صح نقله عن ابن عباس من أنه رفع من غير وفاة .

وعلى هذا يكون قوله تعالى: (وَرَافِعُكَ إِنَّ) مرادا منه: رافعك حيًّا بدون وفاة ..

ويشهد له _ ولنزوله آخر الزمان _ ما رواه الإمام مسلم ، عن أنى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله على مسلم : و وَالْحِي البنزلِّنَ ابن مريم حكمنا حادلا فليكسرَنَّ الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليفيمن الجزية ، ولتتر كنَّ القلاص (١) ، فلا يسمى عليها ، ولتلهبن الشحناء والتباغض والتباغض والتحاسد ، وليَّدَعَرُنَّ إلى المال فلا يقيله أحد »

ولا ينزل عيمى بشرع جليد ينسخ به شريحنا ، بل ينزل مجددا لا درس منها ، متّبما لها ، كما أن صحيح مسلم عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : و كيف أنم إذا أنزل فيكم ابن مريم وإمالكم منكم ١٤

وبما أنه سينزل آخر الزمان، قلابد أنه يبقى حيا إلى حين ينزل ويبلغ شرع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لو مات قبل ذلك، لكان نزوله هذا بعثا له فى اللهنيا . ولا بعث إلا فى الآخرة . كما دل عليه الكتاب والسنة .

والمراد من قوله: (وَمُعَلِّمُوكَ مِنَ الَّذِينَ كَثَرُوا) أنه تعلل ، يبعده عنهم بالرفع ، حَى لا يبقى بين من دنسوا أنفسهم بالكفر ، تنزيها له عن دنسهم . أو أنه يُبُود أَيْلَيْهُمْ عنه، قلا تُمنه بأذى .. فهم أنجاس لكفرهم .

ويصبح أن يكون هذا وعدا من الله له ، بلَّنه ــ فى آخرالزمان ــ يزيل من ظريقه الكافوين ، فلا يستطيعون صده عن الهدى كما كانوا يفعلون قبل رفعه .

﴿ وَجَاهِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُولَا فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ :

لا يقال للرُّمة: إنها اتبعت رسولها إلا إذا كانت تنقذ ما جاء به: اعتقادا وقولا وحملا .
والتصارى - بعد أن رفع الله عبى - انقسموا فرقا وشيعا : فمنهم من آمن به ،
على آله عبد الله ورسوله وابن آمنيه . ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله . ومنهم من قالوا:
عد الله . و انتجون قالوا : هو ثالث ثلاثة .

⁽¹⁾ القلاص حم قلوص ، وهي الناقة الشابة ،

وقد حكى الله مقالاتهم فى القرآن، ورد على من عدا الفرقة الأُولى، التى تعتبر متبعة لرسولها، فى تنزيه الله عن الصاحبة والولد والشريك .

وهله هي العقيدة السليمة التي جاء بها المرسلون جميعا .

وكل من دان جا ، فهو تابع لرسوله . كما هو تابع لجميع المرسلين وأصحابِم هم للمُمنون . ومن عناهم فهم كافرون .

وقد وعد الله .. في هذه الآية .. أنه جاعل من انبع عيسى عليه السلام ، فوق اللمين كفروا إلى يومالقيامة . أي أنهم يكونون أعل منهم .

والعلو المقصود من الآية: يحتمل أن يكون علواً فى العرجة والمنزلة عنده تمالى . فالتيمون له - فى حكم الله وقضائه - فى أعلى الدرجات إلى يوم القيامة . ولا مكانة ولا منزلة عنده -جلَّ وعلا -ليَّنَ لم يتمع عيمى : بأن كفر به ، أو آمن به ولكنه جمله إليَّها أو ابن الله . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

ويحمل أن يكون العلو بمنى الثلبة والقهر . وذلك إما بالحجة والبرهان ــ ولاشك أن أهل الحق منهم ، أقوى حجة على أهل الباطل منهم ومن غيرهم ،كاليهود والمشركين_ــ وإما بالقتل والأسر . وقد حدث ذلك بعد رفع عيمى .

وفى ذلك يقول الله تعالى: و قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ فَآمَنَتَ طَّالِفَةٌ مِن بَسِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِمَةٌ فَأَيْنَنَ اللَّينَ آمَنُوا عَلَ عَلُوْهِمْ فَأَمْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (لله حدث في أُوقات أُخرى مثل ذلك .

وقد انقرض المؤمنون المتبعون لما جاء به عيسى عليه السلام . وأصبح جميع النصارى قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، يؤلمهون عيسى. ويقولون: هو ابن الله . أو هو الله . أو هو ثالث ثلاثة.

وعلى أى حال كانت عقيدة النصارى في عيدى؛ فإنهم - منذ البعثة المحمدية -لا يعتبرون متبعين لعبدي عليه السلام ، إن يحفروا يمحمد صلى الله عليه وسلم .

⁽١) آغر سورة فيث .

فقد بشر به عيسى ، وأوجب عليهم تصديقه . فإذا زال عنهم وصف لتباعهم لميسى عليه السلام - يكفرهم يمحمد صلى الله عليه وسلم ، أوعدم دخولهم فى الإسلام - فقد زال استحقاقهم لوعد الله ، بأن يجعل من يتبع عيسى ، فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة لسببين :

أحدهما : كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويدينه .

وثانيهما: عقيلتهم الباطلة في عيسي .

وكلا السببين: مخرج لهم عن اتباعهم لعبى عليه السلام ، مستوجب لحرمانهم من وعد الله أن يكون متبعوه فوق اللين كفروا إلى يوم القيامة . فإنهم با جنداً أصميحوا كافرين . فانتقل وعد الله ليسمى: (وَجَاعِلُ اللَّهِينَ اتَبْعُوكُ فَوْقَ اللَّهِينَ كَفَرُوا إلى يَومُ إِلْقَيِالَةِ ﴾ من النصارى إلى للمصلميين ، اللين هم بالباعهم محمدا عليه الصلاة والسلام بيعتبرون متبعين لعيمى أيضا : فها جاء به من التوحيد وأمهات الشرائع والأحكام ، التي يشترك فيها جميع الموسلين .

ولهذا، ترى المسلمين ظهروا على من عداهم: -بالحجة التي لاترد، والبرهان الذي لايقهر . كما تراهم ظهروا عليهم ، في الجهاد والاستيلاء على الأقطار والبلاد حقد فتحوا بالاد كسرى وقيصر . وتجاوزوها إلى الصين والهند شرقا، وإلى غرب أوربا وثبال إفريقبا وجنوبا. ولا تجد قارة من القارات ، ولا قطرا من الأقطار ، إلا وفيه الكثير من المسلمين . ولا يزال أمر هذا اللهين مستقيا حتى تقوم الساعة كما قال حسل الله عليه وسلم (١٠) وصدتى الله في وعده إذ يقول : ورَعَدَ اللهُ الدِّينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَيْدُوا السَّالِحَاتِ لَيَسْتَحَلِّلَهُمْ فِي الْآرْضِ كَمَا استَخْلُق اللَّهِينَ يَنقَبُلُمْ وَكُيْكُمُنَّ لَهُمْ وَمَيْدُوا السَّالِحَ الرَّهُمُ وَكَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَلَانَهُمْ وَمَهُمُ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا لَهُمْ وَلَيْمَلَامُهُمْ وَلَيْمَكُمْنَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ الله

(لُمَّ إِنَّ مَرْجِعُكُمْ مَأَخْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) :

المعنى: ثم إِنَّ خُكْمِي وقضائى: مَرْجِعُكم ومصيركم، أَبِهَا المختلفون فى أَمَر عبسى عليه السلام ، فأَلفني بمبنكم فيا كنتم فيه تختلفون من أمره وأمر دينه .

ثم فصل تضاءه فيهم فقال:

⁽ ١) مأخوذ من الحديث الشريف و لا أزال طائفة من أش ظلمرين على الحق حتى تقوم الساعة و رواه الحاكم .

⁽٢) الترر : ٥٥

٥٦ - (فَأَمَّا الَّذِينَ ،تَضَرُوا فَأَصَلْبُهُمْ عَلَاا تَدِيدًا فِي اللَّذَيَا وَالآخِرَةِ وَمَالَهُم مُّن تَاسِرِينَ) :

المنى: فلَّما اللين كفروا بأن جحلوا نبوته وجعلوه إلَّها، أو ابنا له تبمالى ، فيمليهم الله صلايا شهيدا: في الدنيا بالقتل والأَسر ، حتى يخضعوا أو يعطوا الجزية ، في مقابل رهايتهم والدفاع ضهم . وفي الآخرة حبث يخلدون في النار ، ومالهم من ناصرين يدفعون عنهم صلاب الله .

٧٠ - (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَهَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوتِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُدِيبُ الظَّالِمِينَ ﴾ :

المنى : وأما اللين صدقوا بنبوتك ياعيمى ، وصدقوا بجميع الرسالات ، وعملوا المسالحات: في دينهم ودنياهم - فيعطيهم أجودهم وافية وافرة ، والله لايحب الظالمين بالكفر والماصى ، والايرضى عنهم بل يبغضهم ولا يرحمهم . فلللك يعاقبهم في الدنيا والآعوة .

٥٨ - (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالدُّكْرِ الْعَكِيمِ) :

المني : هذا الذي تلوناه طيك يامحمد، من أمر عيمي مع قومه ، هو من البراهين الشاهدة بنبوتك . فإن ذلك نما لايطمه سوى أهل الكتاب -- وأنت أمي ولا صحبة لك مع أهل الإنجيل حتى تعلمه منهم - فلم يبق إلا أفك عرفته من الوحي .

وكما أنه من الآيات، فهو من القرآن الحكم . أى المحكم المتمن المصون من الباطل . أو صاحب الحكمة وهي إصابة الحق .

والتعبير بالمضارع (نَتْلُوهُ) بدل الماضي ـ تلوناه ـ استحضار للصورة التي حصلت ؛ للاعتناه جا .

ويمكن حمـــل المضارع على ظاهره ــ وهو الحال ــ الأن قصة عيسى لم يفرغ منها يمد . (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمثَلِ المَّمَّ خَلَقَهُ مِن تُرَادٍ، مُمَّ قَالَ لَهُ رَكُن مِن المُعتَرِينَ ﴿ لَهُ كُن مَن المُعتَرِينَ ﴿ فَمَنْ حَاجَكَ مِن المُعتَرِينَ ﴿ فَمَنْ حَاجَكَ مِن الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَ نَا وَالْسَاءَ كُمْ وَالْفُسَاءَ كُمْ وَالْفُسَاء كُمْ وَالْفُسَاء وَاللهِ اللهِ اللهُ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ اللهِ إِلا اللهِ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللّهُ وَالل

الفسردات:

(إِنَّ مَثَلَ مِيسَى مِندَ اللهِ): المثل هنا ؛ بمعنى النحال والصفة العجيبة .

(كُن فَيكُونُ): أَى صِرْ بَشَرًا ، فصار بشرا . والتعبير بالمفارع (فَيَكُونُ) بدل الماضى - فكان ــ لتصويره بصورة الحاضر المشاهد ، إيلانا بغرابته .

(فَلَا تَكُن مِنَ الْمُشَرِينَ) : من الشاكِّين . أو من المجادلين فى شأَنه بعد وضوح الحقى . والخطاب لكل مكلف .

(حَاجُكَ): أَي جادلك .

(ثُمَّ نَبْتَهِلْ): أَى ثم ندع الله : مضارع . من الابتهال وهو الدعاء .

(وَمَا مِن إِلَٰهِ) : ما . نافية . ومِن . لتأكيد الاستغراق المفهوم من النكرة المنفية . وهي كلمة (إلّه) قاله الشهاب .

التفسيي

٩٥ (إِنَّ مَثَلَ عِيمَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) :
 سبب النزول :

نزلت هذه الآية على الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند حضور وقد نجران .

وكان من جملة شبههم: أن قالوا ؛ يا محمد لَمَّا سلمت أنه لا أب له من البشر، وجب أن يكون أبوه هوالله تعالى . فقال : « إن آدم ما كان له أب ولا أم .. ولم يلزمه أن يكون ابنا لله تعالى ، فكذا القول فى عيمى ، عليه السلام .

تلك خلاصة ما دار بين وقد تجران؛ وبين الرسول .. صلى الله عليه وسلم - من الحوار في دهواهم أن عيسى ابن الله .

والمعنى: إن خَال عيسى -- وصفته العجبية فى خلقه دون أب -- كحال آدم ألمي البشر ، عليه السلام، أراد الله خلقه من تراب، ثم قال له -- عند تعلق إرادته تعالى بتنفيذ خلقه --صر وكن بأمرى بشرًا سوبًا : ذا نحم ودم، وعظام وأعصاب، وعقل وإرادة .. فصار يشرا، كما أراده الله .

وتم بذلك خلقه من تراب دون أب أو أم ، فكان بذلك أصب من خلق عيسي من أم دون أب !!

وإذا كُتُمْ أَبِا النصارى ، لا تقولون بألوهية آدم ، ولا بينوته لله ـ مع أن خلقه أعجب من خلق عيمى ـ فكيف تقولون بالوهية عيمى ، أو بُنُوته لله ، وهو دون آدم فى غرابة خلقه ! !

والآية دليل على صحة القياس، وشرعية النظر والاستدلال .

فقد احتج الله على فساد ادحاتهم الأثومية لعيمى مججين بأنه ولد بشرآبه .. احتج عليهم بخلق آدم بلا أب ولا أم . فحيث لم يقولوا بألومية من هو أمجب منه علقاء وجب القول بعدم ألوهية عهمى من باب أولى . ولما كان هذا الاحتجاج واضح الدلالة على بطلان زعم النصارى فى عيسى ، أتبعه قوله : ٣٠- (الْحَقُّ مِن رَبَّكَ فَلا تَكُن مَنَ الْمُشَرِينَ) :

لما كان الامتراء منا عمني الشك ، فللما لا يصبح أن يكون الخطاب في الآية للرسول ، بل لن يجادله في شأن عيسي ، ولكل من يخالجه شك في أمره عليه السلام . والمعني : الحق في شأن عيسي، نازل من ربك أما للجادل في شأنه . فلا تكونن من الشاكين في أمره ، بعد ما أسفر الصبح - لذي عينين - بلده الحجة القاطمة لكل ربب .

ويصمح أن يكون الامتراء بمنى المجادلة بالباطل . أى فلا تكونن بعد هذا الحق الناؤل من ربك ، من المجادلين المحاجين فيه بالباطل . والخطاب فيه —كسابقه ،افير الرسول ، فإن الرسول لايجادل بالباطل .

٦١ - (فَمَنْ حَلَبَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَاجَاتِكَ مِن الْمِيْمِ فَقُلْ تَمَالَوْا نَدْعُ ٱلْبَنَاتِهَا وَٱلْبَنَاتُهُ كُمْ
 وَيُسَاتِهَا وَيَسَاتُهُ كُمْ وَٱلنَّسُتِكُ وَآنَفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْنَعِلَ فَنْجَعْلَ لَمْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَافِيمِينَ) :
 أما الخطاب هنا ، فللرسول صلى الله عليه وسلم .

والمغنى: فمن جادلك ق شأن عيسى – من بعد ماجائك من أدلة العلم – بأنه بشر لايستحق الألوهية ، كما هو شأن آدم اللدى هو أُحجب منه خلقاً ، فاترك مجادلتهم فهم مقلدون معاندون : معرضون عن الحق بعد وضوحه . وأفحمهم فقل لهم : تعالوا ندع أبناتنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم يَبْتَهل كل منا إلى الله تعالى ويدعوه ، أن يجعل لعنته على الكاذبين منا .

وقد حدث أن التي - صلى الله عليه وسلم - لما تزلت هذه الآية أخبر وقد نجران بها ، ودعاهم إلى الفعو في اليوم الثانى ، ومعهم نساؤهم وأبناؤهم . وحضر الرسول في للوعد ، ومعه الحسن والحسين ، وفاطمة وعلى ، قلم يجدهم . فقد تشاوروا فيا بينهم ، فقالوا للماقب وكان صاحب رأيهم - : ياحبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصاري، لقد عرفتم: أن محمدا لنبي مرسل ، ولقد بالا تحر عم الفقعل من خبر صاحبكم . ولقد علمتم أنه مالا تمن قوم نبيا قبل في مرسل ، ولقد بالمتحمد أنه مالا تمن قوم نبيا قبل فيتى كبيرهم ، ولا نبت صغيرهم . وإنه للاستثمال منكم إن فعلم . فإن كنتم أبيثم إلا إلى دينكم ، والإتحادة على ماأنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم . فأقوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا نلاصك وفتركك على دينك ، وأن فرجع على ديننا . ولكن ابحث منا رجلا من أصحابك ترضاه لنا:

يحكم بيننا فى أشياد اختلفنا فيها من أموالنا . فإنكم عندنا رضا . فلَّهر آباعبيدة أن يحرج معهم ؛ ويقضى بينهم بالحق فيا اختلفوا فيه - أفاده القرطبي .

وأخرج أبو نعم فى الدلائل، عن الضحاك وابن عباس: أن النبي- صلى الله عليه وسلم --صالحهم على الجزية ، ومقدارها ألف حلة فىصَفَر، ومثلها فى رجب ، ودَرَاهم. وذلك بعد أن أشار عليهم بهود المدينة بالصلح وعدم الملاعنة وقالوا لهم: هو النبي الذى نجده فى الثوراة .

قد يقول قاتل : إن الجزية فرضت بعد فتح مكة . ووفد نجران جاء قبلها . فكيف يقال : إن الرسول صالحهم على الجزية ؟ . والجواب : أن ذلك من باب المصالحة على ترك المباهلة وجاء فرض الجزية ــ بعد ذلك ــ على وفق ماصنعه الرسول .

وقد أُجيب بأَجوبة أُخرى ، قارجع إليها - إن شئت - في تفسير ابن كثير .

وروى البخارى وسلم وضيرهما عن حقيقة قال: جاء العاقب والسيد : صاحبا نجوان ،
إلى رسول الله حسل الله عليه وسلم – يريدان أن يلاهناه (() .
لاتفعل ، فو الله ، إن كان نبيا فلاهناه ، لانفليع نعن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ماسألفنا وابعث معنا رجلا أمينا ، فقال : ولأبعثن معكم رجلا أمينا ، فقال : ولأبعثن معكم رجلا أمينا عنى أميني . فاستشرَف أصبحاب وسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تم ياأبا عبدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله عليه وسلم : وهلا أمين هدا الأمة ، عبدة بن الجراح ، فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهلا أمين هدا الأمة ، عبد الإ الله وإلا أله وإلا أله والله المؤور المحكيم):

المعنى : إن هذا الذى قصصناه عليك-يامحمد على شأن عيمى، لهو القصص المعابق للواقع: الذى لايصح العلول عنه إلى ماعليه النصارى فى شأنه : من أنه الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة .

(وَمَّا مِن إِلَّهُ إِلَّا اللَّهُ) : فلا شريك له في ملكه، بنًاى وجه من الوجوه . ولا معبود بحق سواه . (وَإِنَّ اللهُ لَهُوَ الْمَرْيِزُ) : أَى الغالب المذى يَمَّهُرُ ولا يُمُّهُرُ . أُوالعزيز . بمنى : من لانظيرله . (الْحَكِمُ) : المتقن لما يصنعه وما يلمبره .

٦٣ - (فَإِن تَوَلُّوا فَإِنَّ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) :

⁽١) أي يجيريا إلى ظبه عليه السلام ملاعثهم .

فإن أعرض هؤُلاه النصارى عن الاعتراف بائحى فى شأَن عيسى ، وعن اتباعك فى دينك - يعد ماتبين لهم الحق - فإن الله عليم بهؤُلاء المفسدين ، فيعاقبهم على إفسادهم لمُسَاللهم وعقائد غيرهم . وأظهر فى مكان الإضار ، فلم يقل : عليم بهم. بل قال : (عَلِيمٌ ۖ بِالسُّمْسِلِينَ) لإظهار فسادهم واستحقاقهم للمقوية .

وفي هذا تهديد بليغ لهم .

(قُلْ يَكَأَهُلَ الْكِتَنْبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَهِ سَوْآهِ بَهِنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۚ اللّٰ يَعْبُدُ إِلَى اللّٰهِ اللّٰهِ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ مَنْيَاءً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ الشَّهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞) .

اللبرنات :

(تَعَالُوا): أَقْبِلُوا .

(إِلَى كَلِيمَة): إِلَى العمل بكلمة . والمراد بها هنا: الكملام الآتى بياته فى الآية الكريمة . (سَوَاهِ بَيْنَنَا وَبَنْيَنَكُمْ): مستوية عادلة نعمل بها جميعا ، ولا نخطف فيها .

(وَلَا يَتَّخِذَ بَشْهُنَا بَشْهَا أَرْبَابًا مِّن دُون اللهِ) : أَى لايطيع بخسنا بعضا في معمية الله . وأهمها الشرك . . فإن طاعتهم في ذلك كاتخاذهم أربابا . وهذه الجملة بالنسبة لما قبلها تعميم بعد تخصيص . وسيثُق بيان ذلك في المفي .

التفسسر

٦٤ ـــ (قُلْ يَالَّفُلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِيمَةٍ سَوَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ٱلَّا نَصَّكَ إِلَّا اللهُ وَلَانْشُولِهَ بِهِ شَيْعًا . . .) الآبة .

نزلت هذه الآية في وقد نجران كما قاله : الحسن ، والسدى وغيرهما .

وقال الجبائى: نزلت فى اليهود والنصارى. ورجحه بعض المحققين ، لمموم الخطاب لهما . وإن كان السياق مع الرأى الأول .

ولملغى: قل يامحمد لأهل الكتاب: أقبلوا إلى منهج موحد فى العبادة: يسترى فيه المسلمون والشصارى واليهود . نسلكه جميعا . ولا نعال عنه إلى سواه .

وهلما المنهج مو: (أَلاَ تَعَبُدُ إِلَّا اللهَ وَلاَ نَصْرِكَ بِهِ شَيْعًا) لاصنا ولا كوكيا ولا نارا ولا ملاتكة ولاضر ذلك . (وَلاَ يَشْخِذُ بَعْضَنَا بَصْفًا أَرْبَابًا مَّن دُونِ اللهِ) : فلا يتخذ اليهود عزيرا ابناً للله . ولا يقولوا : إنه ثالث ثلاثة ، التستووا بذلك مع المسلمين اللين لايتخذ بعضهم بعضا أربا) من دون الله ؛ فإن هذا النهج الترجيدى حكما دها إليه القرآن - دعت إليه التوراة والإنجيل قبل تبديلهما . ولاتزال فيهما فصوص كثيرة تدو إلى التوحيد : تركتموها وعملتم بتصوص أخرى : اصطنعتموها ، أو أسلم توليلها

وكما دهت إلى التوحيد هذه الكتب الثلاثة ــدها إليه جميع الرسل. قال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَّهُ إِلَّالًا فَاصَبُدُون مشترك بين جميع الأميان: قامت عليه الأدلة المقلية ، إلى جانب الأدلة النقلية .

ومن اتخاذ البشر أربابًا : أن يأخذ تابعوم بكراه متبوعيهم في تحليل أو تحريم ، دون استناد إلى نص إليي .

أخرج الثرملى –وحسنه – من حديث عدى بن حاتم : أنه لما نزلت هذه الآية قال : ماكنا فعيدهم باوسول الله ، فقال صلى الله طيه وسلم : ﴿ أَمَا كَانُوا يَعْطُونَ لَكُمْ ويحرّمون فشأعلون بقولهم ﴾ . قال : نعم . فقال صلى الله عليه وسلم : ﴿هُمْ ذَاكُ ﴾ .

وإلى هذا المهنى ، أشار قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَخْبَارُكُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ، (٣٠

وقد جاء في أسفار العهد القديم: نصوص عديدة . . ناطقة بتوحيد الله وتنزيمه عن الشريك⁰⁷ .

T1 : 4 pd (T)

⁽¹⁾ Proph : 07

⁽٣) راجع سفر الخروج فقرة (١) وفقرة (١١) وفقرة (٩) من سفر أشعيا .

ثم قال الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: (فَإِن تَوَكُّوا قَقُولُوا الشَّهَلُوا بِإِنَّا مُسْلِمُونَ) : أى فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه : من توحيد الله ، وعدم إشراك غيره معه فى العبادة - مع أن ذلك أمر مجمع عليه فى جميع الرسالات -فاعلموا أنهم لزمتهم الحجة ، ولكتهم أبُوا الحقَّ عنادا، فقولوا لهم: أنصفونا واشهدوا معترفين لنا بأننا مسلمون مخلصون لربنا .

وفى هذا الطلب ، تعريض لهم بأنهم لا إسلام لهم – أى لا إخلاص منهم لربهم – حين اعتقدوا فى عيسى وعزير ما اعتقدوه فيهما . كما أنه يؤذن بأن من قاله واثق بعقيدته فى ربه ، مطمئن إلى الأدلة التي أيقن بها .

(يَتَأَهْلُ الْكَنْبِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَهِمَ وَمَا أَنزِلَتِ التُورَينةُ وَالإَنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ قَافَلا تَعْقِلُونَ هَمَا لَيْسَ لَكُم مِه عِلْمٌ قَلُوكَ حَنجَمُمُ وَمِمَا لَيْسَ لَكُم مِه عِلْمٌ قَلَمَ تُحَاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم مِه عِلْمٌ قَلَمُ وَاللهُ يَعْمُلُمُ وَأَنْمٌ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصَرَانِيّا وَلاَ نَصْرَانِيّا وَلاَ نَصْرَانِيّا وَلاَكُن كَانَ عَرَانِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلاَ عَلَيْن كَانَ عَرَانِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلاَ عَلَيْن كَانَ عَرَانِيًّا وَلَكِينَ كَانَ حَنيفاً مُنْفِرةً وَمَنذا النّبِيُّ وَاللّذِينَ ءَامَنُوأٌ وَاللّهُ وَلِي المُؤْمِنِينَ ﴿ وَاللّهُ مَا كُانَ مِنَ النّبِيُّ وَالّذِينَ ءَامَنُوأٌ وَاللّهُ وَلِي المُؤْمِنِينَ ﴿ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

الفيردات :

(لِمَّ تُحَابِّونَ فِي ٓ إِيْرَاهِيمَ) : أَى لِمَ تجادلون فيه ؟ فيقول كل منكم : إنه كان على دينه. (حَلَجَيُّتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) : كَلِّم مومى وعيمى عليهما السلام . (فِيمًا لَيْشَ لَكُمْ بِهِ عَلَمٌ) : هو أمر إبراهيم عليه السلام . (حَنِيفًا): ماثلا عن الأُميان الزائفة ، من الحنف. وهو الميل.

(إِنَّا أَوْلَى النَّاسِ بِيثِرَاهِمَ لَلَّذِينَ لَتَبُّتُوهُ) : إِنْ أَحق الناس بالانتساب إليه ، هم اللين النجوه فى شريعته ، ممن أُرسل إليهم .

(وَ هُلَّا النَّبِيُّ): محمد؛ لأن دينه التوحيد، كدين إبراهم عليهما السلام .

(وَاللَّهُ وَيُّ الْمُؤْرِنِينَ) : مجتبيهم ومحب لهم ، فلهذا ينصرهم ويحسن جزاعم .

التفسير

٦٥ ـــ (يَلْفُلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّرَةَ فِيَّ إِيْرَاهِمَ وَمَاۤ أَنزِلَتِ النُّوْرَاةُ وَالْإِسْجِلُ إلَّا مِن يَشْهِو آلَلا تَشْقِلُونَ ﴾ :

سبب النزول :

روى عن ابن صاس أنه قال : اجتمعت نصارى نجران ، وأحبار يهود ، عند رسول الله صلى الله طيه وسلم ، فتنازعوا عنده . فقال الأحبار : ماكان إيراهم إلا يهوديا . وقالت النصارى : ماكان إيراهم إلا نصرانيا . فأقرل الله : (يُلْقُلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَكِّونُ . . .) الآية . ذكره ابن كثير .

وللمنى : يأهرا الكتاب الذا تجادلون فى إيراهيم ، فينسبه كل منكم إلى دينه ، والحال أنه مأأنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده بأزمان بعيدة ؟ فكيف يكون بوديا على شريعة مومى ، أو نصرانيا على شريعة عيمى وهو سابق عليهما ؟! كما أن كلنا الدياتين دخلهما التبديل ، وزال ما بهما من المقائد السليمة والأحكام الصحيحة . فلا يشبهان ماكان عليه إيراهم عليه السلام ، من التوحيد والأحكام الشرعية الإقهية السليمة من التبديل . فكيف تقولون: إنه كان بوديا أونصرانها ؟! أتحاجون فى ذلك ؟ فهل تتعقلون ؟

فإن قبل : لماذا يتكر الله على اليهود والنصارى ماقالوا ؟ ويدائل على جهلهم وعدم تعقلهم ، بتقدم زمان إبراهيم على كتابيهم – مع أن القرآن قال مثل ماقالوا في حقه : و ولكون كان خريفاً مُسْلِماً » كما سيأتى .. فكيف يكون مسلما وهو سابق على الإسلام ؟ ولماذا صع هذا عن إبراهيم بالنسبة إلى الإسلام ، ولم يصبح عنه بالنسبة إلى اليهودية أو النصرانية ؟ فالجواب: أن المراد من كونه مسلما: أن دينه يتفق مع الإسلام: فى الخضوع والاستسلام لله وحده دون شريك ، وفى تنزيه تعالى عن الصاحبة والولد . كما أنه يتفق ممه فى سائر أسول المقائد والأحكام . كشأن جميم الأديان السهاوية .

أمًّا ما عليه اليهود والنصارى ، فمخالف الأَدبان السهاوية ؛ حيث بنَّلوا الثوراة والإنجيل ، وحرَّفهما عن أصليهما النازلين من عند الله ، تحريفا يتصل بالنص وبالتنُّويل.

فإذا ننى القرآن عن إبراهيم: أنه كان بهوديًا أو نصرانيًّا بقوله : (مَاكَانَ إِبْرَاهِمُ يَهُودِيًّا وَلَا تَصْرَانِيًّا ، وَمَعَنَاه : أنه لم يكن على ماجاء فيهما من العقائد العاطائة : كالبنوة لله والتثليث، وكذلك الأحكام المعرفة التي لايمكن أن تكون شرعا فه فى أى زمان .

وإذا أثبت له أنه كان حنيفا مسلما بقوله: و ولكين كَانَ حَيفًا مُسْلِمًا و قمعناه: أنه كان ماثلا عن الأديان الباطلة ومنها ماعليه اليهود والنصارى ومنصرفا إلى الحق الذي جاء به الإسلام؛ فإنه هو الدين الساوى النظيف من تحريف البشر: المشتمل على المعارف والأحكام الإلهية الرئيسية: التى اشتركت فيها جميع الأديان الساوية، وإن انختلفت في كيفية تلك الأحكام المشتركة وطريقة أدائها .

٣٦٠. (كَمَاتُنَمُ كَاؤُلَاهِ خَجَجُمُ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَجُّونَ فِيمَا لَئِسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَانْتُمْ لاَ تَطْدُونَ) :

المعنى : مُلَّتُم هَوُّلاء حاجبتم فيها لكم به علم من أمر مومى وهيمى ومحمد عليهم السلام . فمندكم التوراة والإنجيل تعرفون منهما أمرهم ، وإن كنتم غيرتم فيهما وبدائم. فلماذا تحاجون فى أمر دين إبراهم ، وأنتم لاعلم لكم يتفاصيله ولابماجاء في صحفه ؟

(وَاللَّهُ يَمْلَمُ وَأَنتُمْ ۚ لَاتَّمْلَـنُونَ ﴾ : فلهذا جهّلكم ورماكم بـأنكم لا تعقلون

٧٧ -- (مَا كَانَ إِبْرَاهِمُ بَهُوييًا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيغًا أَسُلِمًا وَمَا كَانَ يِنَ النَّسْرِكِينَ) :

المبنى: ماكان إبراهم جوديا كما ادعى اليهود، ولانصرانيا كما ادعى النصارى. ولكن كان منيذًا: أي مائلاً عن الأديان الباطلة. مسلما: أي على طريقة الإسلام من النوحيد وتنزيه الله صما لايليق ، والمحافظة على أحكام الله دون تباديل . فلم يقل: إن الله النخذ له ولدا كما قالوا . ولم يقل : إن له شريكا فى الألوهية والعبادة كما زصوا .

٦٨ - (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِيْرَاهِمِ لَلَّلِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَلَنَا النَّبِيُّ وَالْلِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَكُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

ميب التزول :

روى من ابن عباس رضى الله منهما أندقال: قال رؤّماك اليهود: والله يامحمد، لقد طمت أنّا أولى يدين إبراهم منك ومن غيرك، وإنه كان جوديا. ومابك إلا الحسد. فأنزل الله تمثل هذه الآية.

والمنى : إن أحق الناس بإبراهم وأولام بالانهاء إلى دينه ، هم مؤلاه اللين اتبعوه من أمنه ، هم مؤلاه اللين اتبعوه من أمنه ، قإن دينهم الإسلام ، من أمنه ، قإن دينهم الإسلام ، وهو يقوم على توحيد الله وتنزيم عن الصاحبة والزلد ، ودين إبراهم كذلك ، أما أنم ، فقد بعلم دويرا ابن الله ، وجملم المشميما عكن النظر إليه ، وغيرتم في دينكم ، وحرقم في كتابكم ، وكليم على أنبياكم ، وقسيم إليهم الموبقات . فكيف تقولون : إذكم أولى منا ؟ .

ثم عمَّ الآية بقوله :

(وَاللَّهُ وَلِّي الْمُؤْمِنِينَ): أي ناصرهم ومجازيهم أحسن الجزاء .

(وَدَّت طَّلَمْهُمُّ مِّنَ أَهْلِ الْكِتْتِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ يَتَأَهْلَ الْكِتَنِ لِمَ تَكْفُرُونَ هِا يَئتِ اللهِ وَأَنتُمْ مَشْهَدُونَ ﴿ يَتَأَهْلَ الْكِتَنِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَمَلَّمُونَ ﴿).

الغبرنات :

(وَدُّتُّ) : أَحبت .

(لَوْ يُضِلُّونَكُمْ): لو ؛ بمعنى. أن . أي أن يضلوكم .

(وَمُلْيُصِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ): الإِصلال هنا يمنى: الإملاك مجازا . فللمنى: وما سلكون إلا أنفسهم بتمنى إضلالكم . أوبمنى: الإخراج عن الهدى . فللمنى : وماتمودعاقبة الإصلال إلا على أنفسهم . أو يمنى : الخداع . فهم يخدعونكم ، ومايخدعون إلا أنفسهم فى الحقيقة .

(وَمَايَشْمُرُونَ): ومايفطنون الذلك .

(وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) : أَى وأَنتم تعلمون مايدل على صحتها من التوراة والإنجيل .

(لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ِ) : أَى لماذا تسترونه أَو تخلطونه به ؟ .

التفسير

٦٩ - (وَدَّت طَّائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَايُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) :

سبب التزول :

دعا اليهود حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية . فنزلت الآبة .

وقيل: نزلت فى اليهود وفى النصارى ، وعلى كل، فهى لبيان إضلالهم لغيرهم، إثر بيان ضلالهم فى أنفسهم ، والإضلال هنا : بمعنى الرد إلى الكفر . كما قاله ابن عباس . أو الإهلاك : كما قاله ابن جرير الطبرى .

والمنى : أحبت جماعة من ألهل الكتاب أن يوقعوكم فى الضلال والكفر الذى تَردَّوا فميه -- بعد أن من الله طليكم بالهدى ، وشرفكم بالإسلام -- وماتمودعاقبة الإضلال لغيرهم ووباله إلاعل أنفسهم ، ومايفطنون لذلك ؛ لما اعترى قلوبهم من الفشاوة وزعمهم أنهم على الحق .

ويجوز أن يكون المنى : أُحبت طائفة من أهل الكتاب أن بهلكوكم : بالتكفير والإخراج عن الإيمان ، ومابهكون إلا أنفسهم بما يفعلون . ومايفطنون لذلك؛ لزعمهم أنهم على الحق. وحاصل المفى فى كليهما: أن محاولتهم إضلال المؤمنين غير مجدية. فقد عصمهم الله بقوة الإيمان. فلا قائدة ترجى نما يفعلون. بل الأَمر بالعكس. فإن ما أرادوه سينقلب وباله عليهم وهم لايفطنون لذلك.

٧٠ - (اَبْنَالْقُلَ الْكِيَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ) :

للمنى: يَلِمَّمل الكتاب، الذا تكفرون بآيات القرآن النازل من عند الله وأنّم تملمون من القراة وأنّم تملمون من التوراة والإنجيل مايدك على صحفها، ووجوب الاعتراف بها ؟ أو : الذا تكفرون بآيات التوراة والإنجيل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنّتم تملمون صدفها عليه، وموافقة أوصافه لما جاء فيها ؟ أو : الماذا تكفرون بآيات الله الشاهدة بوحدانيته، وأنّم تملمون ذلك بلا شبهة ؛ في تمكم تشاهدون دلالتها على ذلك فى كل حين ؟ فكيف جماتم له ولدا وهو غنى عن الولد ؟ وكيف قلم إنه لذا وهو غنى عن الولد ؟ وكيف قلم إنه ثالث ثلاثة ؟ ! .

٧١ ـ (يَنْأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ :

المعنى : يَشَاهل الكتاب ، لماذا تسترون الحق بالباطل أو تخلطونه به ، وذلك بتحريفكم آبات التوراة والإنجيل وسوء تأويلكم لها؟ ولماذا تكتمون الحق فى شأن محمد وبشاواته المرجودة فى كتبكم ، وأنثم تعلمون أنه حق ، وأن ماجاء به هو من عند الله تعالى ؟ .

القبرنات :

(وَجُّهُ النَّهَارِ) : أوله سمى وجها ؛ لأَنه أول مايواجهك منه .

(أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مُّثْلَ مَا ٓ أُوتِيتُم ۚ) : أَى كراهة أَن يؤتى أحد مثل ما أُوتيم .

(أَوْيُحَاَّجُوكُمْ عِندَ رَبُّكُمْ) : أي يحاجوكم به عند كتاب ربكم : بالتحاكم إليه .

التفسير

٧٧ - (وَقَالَت طَّنَآفِقَةً مَّنْ أَلْمَلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّة النَّهَارِ وَاتَخْمُرُوا آخِرَهُ لَمَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ :

سيب النزول:

قال الحسن والسدى : تواطأً اثنا عشر رجلا: من أحيار بهود خيبر وقرى عُرينة . وقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد .. واكفروا آخره ، وقولوا : إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماتها فوجئنا محمداً ليسى بلناك ، وظهر لنا كنبه وبطلان دينه . فإذا فعلم ذلك ، شك أصحابه في دينهم وقالوا : إنهم أهل كتاب . وهم أهلم به . فهرجود فن دينهم إلى دينكم . . . انتهى .

والمغى : وقالت طائفة من أهل الكتاب .. وهم أحبار اليهود ــ لآخرين من قومهم: آينُوا ظاهرا بالقرآن الذي أُنزل على المؤمنين أول النهار، واكفروا آخره . . لهل هؤلاه

⁽۱) يرست: ۲۰ (۲) آل عراق: ۵۰ (۲) آلعرية: ۲۲

المؤمنين يرجعون عن دينهم ،حين يروتكم ــوأنتم أهل الكتاب ــبعد أنخالطتم المؤمنين ــ كفرتم به ، ودرستم دينهم ــ وأنما قالوا : (آمنُوا بِالَّذِي أُنْـزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا) مع أنهم لا يعترفون بقّه أنزل عليهم من الله شيء ــ من باب المجاراة لما يقوله المؤمنون .

٧٣ ــ (رَكَا تُؤْمُوا إِلَّا لِمَن تَعِمَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَن يُؤْتَى أَخَد مُثْلَ
 مَمَ ٱلْوَيْمَةُ إِنْ يُحَامُّوكُمْ عِند رَبُكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَالسُّوَا عَلَيْهِ }
 عَلِيمٌ) :

أشارت الآية السابقة ، إلى أن رؤساء اليهود ، قالوا لأتباعهم: أظهروا الإمان أول النهار بما أنزل على المسلمين ، واكفروا آخره المرجعوا عن دينهم إذا رأوكم -- وأنتم أهل الكتاب، رجعتم عنه وكفرتم به . وإتماما لهله المؤامرة الشيطانية : أوصوا هؤلاء الأتباع ألا يطلعوا المسلمين على شيء من أسرار كتابم : كالبشارة بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأماراته .. فقالوا لهم :

(وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن نَبِعَ دِينَكُمْ) : "

من معانى الإيمان فى اللغة: الثقة والطمأنينة . وهو المراد من قولهم:(وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن قَبِعَ هينتَكُمْ ﴾ :

والمنى: ولا تثقرا إلا بنِّبناه ملتكم من اليهود . ولا تطمئنوا إلا إليهم . فلا تليعوا أسرارنا إلى المسلمين ، فإن ذلك يفسد علينا تدبيرنا ، ويجعلهم يتمسكون بدينهم أكثر مما هم متمسكون به، ويبجعلهم أيضا ، يحاجوننا تا تخبروهم به .

وقد انتهى كلام اليهود عند قولهم :(وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِحَ دِينَكُمْ) كما رجحه القراءُ .

وبعد أن بين الله لرسوله مؤامرتهم هذه ، وفضحهم بهذا البيان أتبعه هذا التكليف :

(قُلْ إِنَّ الْهُلَىٰ هُدَى اللهِ) أَى قُل يا محمد . لهؤُلاه المُسَلَّدِين ، توبيخا لهم : إِن الهدى هدى الله . فلا يتوقف على إظهار كم ما عند كم من البشائر بنبوة محمد ، والملامات الدائة عليه ، ولا يزيله كفركم آخر النهار بعد إيمانكم أَوله ، فمن أَراد الله هداء ، أَقَمَعه تما أيد به رسوله من الآيات البينات ، وأورثه الطمأنينة التامة فى قلبه، وحفظه من كيد الكائدين، وكشف له دسائسهم ومؤامراتهم .

وأما قوله تعالى : (أَن بُؤْتَنَىٰٓ أَحَدٌ مَثْلُ مَا أُوثِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبُّكُمْ) فهو بما أمر الله رسوله أن يقوله لليهود .

وفى الكلام جملة مقدرة يقتضيها المقام . والتقدير : أتكيدون هذا الكيد كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أونيتم : أو يحاجوكم به عند ربكم؟!

والمدى على هذا: قل لهم باسحد: إن الهدى هدى الله . أتفطون ما تقدم من أمركم أتباعكم بالإعان أول النهار والكفر آخره ، وألَّا يُنيموا للسلمين نعت محمد فى كتابكم ، كراهة أن يُعطَى أحدُ مثل ما أعطيتم من النبوة والكتاب ، أو أن يحاجوكم عا أوتيم من كتاب عند ربكم ، بأن يقولوا لكم : تمالوًا نختكم إلى الله تعالى بقراءة كتابه اللدى أنزله على موسى ، ليظهر ما كتستموه من نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم - وليتملو بذلك حفهم على باطلكم ، فقد جاءت فيه بشاراته فأخفيتموها حقدا وحسدا ؟! قل لهم يامحمد ، إن الفضل بيد الله : عنحه من يشاء . فلماذا تحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، والله واسع الفضل فلا يغميق على أحد من أهل الاستحقاق ، بليغ العلم فهو أعلم حيث يجمل رسالته ؟ !

وقد حكت سورة البقرة عنهم مثل تلك المؤامرة. فقد زَجُّوا جماعة منهم لينافقوا بالإيمان، وحدروهم من أن يخبروا المؤمنين بشيء من صفات الرسول في النوراة، حتى لايحاجوهم به، فلما أخبروهم ما، أنكروا عليهم مافعلوا، وذلك ما حكاه الله فيها بقوله: • وَإِذَا لَمُوا النَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنًا وَإِذَا خَلاَ بَعْشَهُمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوا أَتَحَلَّمُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحاجَّرُكُم بِهِ عِندُ رَبِّكُمْ أَفَلاً تَعْتُلُونَ * (").

ويرى بعض الفسرين: أن الآية ـ كلها- يمكن أن تكون خطابا من الله للمؤمنين على جهة التثبيت لقلوم. وتنوير بصائرهم، وحفظهم من تشكيك اليهود، وتزويرهم في دينهم.

^() البقرة الآية : ٧٦ فارجع إلى تفسير ها إن ثقت .

والمعنى: ولا تصدقوا-يا معشر المؤَّمنين- إلا من تبع دينكم . أما غيرهم فاحذروهم .

قل لهم يامحمد : إن الهدى هدى الله الذى أنزله على محمد . أما ما يقوله أعداء الإسلام فهو من تزويرهم ، فلا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتهم من الهدى والحق ولا أن يحاجركم عا للسهم من ديتهم عند ربكم. فلا قدرة لهم على ذلك.قل: إن الفضل بيدالله ... إلخ .

وفي الآية تفسيرات أُخرى : لا تخلو من مآخذ ــ فلذا تركناها .

٧٤ - (يَخْتَصُّ بِرَحْمَنِهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْمَظِيمِ) :

يختص بنبوته من يشائد من أهل الجدارة والاستحقاق، ومحتح قضله من هو جدير به . والله فو الفضل العظيم . فلا تمنعه عن أهل الفضل ومصححيه .

(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ بِفِنطَارِ يُؤَدِّهِ ۚ إِلَّبِكُ ۗ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنُهُ يِدِينَارِ لَا يُؤَدِّهِ ۚ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتُ عَلَيْهِ قَآيِماً ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوالَيْسُ عَلَيْنَا فَى الْأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهَ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ بَنَى مَنْ أُوفَى بِمَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللهَ أَيْكِذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ بَنِي اللَّهِ مِنْ الْوَفَى بِمَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللّهَ أَيْدِ اللَّمُنَّةِ بِنَ ﴾).

القبريات :

(يِفِينطَارٍ): المراد به هنا، المال الكنير. وقد تقدم الكلام عليه فى قوله تعالى: و وَالْفَنَاطِيرِ الْمُفَنطَرَةِ مِنَّ النَّهَبِ وَالْفِيضَّةِ * 10 .

(بِدِينَارِ): هو عملة ذهبية مستعملة في الجاهلية والإسلام .

⁽١) آل مران ۽ ١٤

(لَيْسَ عَلَيْنَا ۚ فِى الْأُمَّتِينَ سَبِيلٌ) : يعنون بالأَميين : العرب؛ لجهلهم وقنثذ بالكتابة والفراءة: ومعنى كلامهم : ليس علينا فيا نأُخذه من أموالهم مأخذ ولا حساب .

التفسسر

٧٥ - (وَمِنْ أَمْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارِ يُودَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنَهُ بِلِينَارِ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَادُمْتَ عَلَيْهِ فَالِهَا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْيِّيْنَ سَبِيلُ وَيَقُولُونَّ عَلَى اللهُ الْكَلْمِتَ وَمُمْ يَقَلُمُونَ) :

لا يزال الكلام موصولا في أهل الكتاب ، وبيان أحوالهم . فني هذه الآية: يبين الله أن أهل الكتاب لم يكونوا- في المعاملة المالية مع العرب-على خلق واحد .

فمشهم أمناء يؤدون الحق إلى من استأمتهم عليه ولو كان مالا كثيرًا ، كعبد الله بين سلام ، استودعه عربي قرشي ألفًا وماثني أوقية ذهبًا – حين كان ابن سلام على جوديته – فلما طلبها القرشي ، أداها إليه كاملة .

ومنهم خَوَنَةٌ يجحبون أمانات العرب التي استأمنوهم عليها - ولو كانت مالا قليلا - ولا يؤدوا إلا بتكرار المواجهة والمطالبة . زاعمين: أن الله أحل لهم سلب أموال الأميين ؛ إذ يقولون:

(لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْيِينَ سَبِيلٌ) : أى لبس علينا إثم فى أكل أموالهم . فلاحساب ولاعقاب من الله تعالى ، من عمد وعلم بأنهم كاذبون على الله تعالى ، من عمد وعلم بأنهم كاذبون .

ومنْ هؤُلاء ـ رجل اسمه فنحاص بن عازوراء استودعه قرشى آخر دينارًا فجحله .
وقد استفيد من الآية : أن الخيانة فى الأمانة من أخلاق هؤُلاء، ولهذا يجب أن يتنزه عنها
المُمنون : امتثالا للمنهج الكريم الذى أوجب الله علينا نهجه وسلوكه : ﴿ إِنَّ اللهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ

يُدُدُّهُ الْأَمْانَاتِ إِنِّى أَهْلِهَا . . . (11) و

فلا يحل لمسلم أن يخون أحدًا ولو خالفه في اللمين ..

⁽۱) النساء: ۵۸

قال رجل لابن عباس: « إنا نصيب - فالعمد من أموال أهل الذمة -الدجاجة والشاة ، ونقول : ليس علينا في ذلك بأس .. فقال له : هذا كما قال أهل الكتاب: (لَيْسَ عَلَيْنَا في الأُمْيِينُ سَيِعلُ) ، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم ١٠ هـ .

كما لا يصح لمسلم أيضًا : أن يتصف بالخيانة مع من خانه . قال صلى الله عليه وسلم : • أَدُّ الْأَمَانَةُ إِنَّى مَرْ التَّمَنَّكُ ، وَلَاتَخْنُ مَنْ خَانَكَ ، أَ وَاللهُ تَمَالَى يَقُول : • وَلَا يَبْجُرِمُنَكُمْ ـ شَمَّانُ قَوْمَ عَلَى أَلَا تُطْلِعُوا ، "" .

قال الفرطبي: في الآية رد على الكفرة : اللين يُحَرَّمُونَ وَيُحَلَّلُونَ غير تحريم الله وتحليله ، ويجملون ذلك من الشرع .

واستدل أبوحنيفة بالآية ، على ما ذهب إليه من مشروعية ملازمة الغريم بقوله تعالى : (لا يُوتِّه إنسُك إلاَّ مَادَّسُتَ عَلَمْه قَاتَمْهَا) :

واعلمَ أن الآية جاءت مثالا للإنصاف. فلم ترم اليهود جميعًا بالخيانة . بل ذكرت أن فيهم بعض الأمناء ؛ إحقاقًا للحق .

٧٦ - (بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّفَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) :

هذه الآية ردُّ لقولهم : (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْيَّينَ سَبِيلً) وإيجاب للوفاه بالحقوق ، وبيان لمحبة الله لأمل الوفاه .

والمعنى : بلى .. عليهم سبيل ومؤاخلة فى عدم رد الأمانات إلى أهلها : من أوفى بمهده فأدى المحقوق للوجا ، واتنى الله فى أمره كله ، فلم يحن الأمانة ، ولم يكلب على الله . ولم يفعل سوءًا – فإن الله يحبهم لتقواهم ووفاتهم ، ويترتب على حبه لهم، منحهم أجزل النواب .

⁽١) وواه البخارى فى التاريخ . كما زواه أبوداود والترمذي والحاكم والطبرائي .

A : FASH (Y)

(إِنَّ الَّذِينَ بَشَّتُرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَنيهِمْ ثَمَنَا قَلِيلًا أَوْلَئَهِكَ لاَ خَلَنَى لَهُمْ فِي اللَّاحِرَةِ وَلا يُكْلِمُهُمُ اللهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَنَمَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿) .

القبرنات :

(يَشْتَرُونَ) : يستبدلون .

(بِعَهْدِ اللهِ) : بِأَمْرِ اللهُ الْمُؤَكِد.

(ثَمَنَّا قَلِيلًا) : عوضًا قليلا .

(لَا عَلَاقَ لَهُمْ) : لا نصيب لهم .

(وَلَا بُزَكِّيهِمْ) : ولا يطهرهم .

التفسير

٧٧_ (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِمَهْدِ اللهِ وَالْبِمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَّئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ . . .) الآية .

سبب النزول :

ذكرت لهذه الآية أسباتٍ نزول عليلة .

نذكر منها : ما أخرجه أصحاب الكتب السنة وغيرهم ، عن ابن صهعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١ من حلف على بمين هو فيها فاجر ليقطع جا حتى أمرى مسلم لَقِيَى الله وهم عليه غضبان ٥ . فقال الأسمث بن قيس : في والله كان ذلك . كان بيثى وبين رجل من اليهود أرض فجحانى ، فقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَكَ بَيْنَةً ؟ قلت : لا . فقال لليهودى : الحلِف . فقلت : يا رسول الله ، إذ يحلف فيذهب مالى . فَذَّرَل اللهُ تعالى : (إنَّ الَّلِينَ يَشْتَرُونَ بَمْهُدِ اللهِ . . . ﴾ الآية .

وما أخرجه ابن جرير ، عن حكرمة قال : نزلت هذه الآية فى أب وافع ولبابة بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف، وحيى بن الأخطب : حرّفوا التوراة ، وبذّلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحكم الأمانات وغيرهما ، وأخذوا على ذلك الرشوة .

والمعنى : إن اللين يستبداون عا عاهدهم الله عليه ، من بيان نعت محمد وعدم كيانه ، ويعتاضون عن أعانبهالكانية الفاجرة ، بالأتمان القايلة من أعراض الدنيا الزائلة ... مهما عظمت ... أولئك لا نصيب لهم ف ثواب الآخرة ، ولا حَظَّ لهم ف نعيمها .

(وَلَا يُكُلِّمُهُمُ اللهُ): كلامًا فيه الطف بهم.

(وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) : بعين رحمته تعالى .

(وَلَا يُرُكِّيهِمْ): أَى لا يعلههم من دنس اللذوب بالمنفرة . بل يأمر جم إلى النار . ولهم علماب ألم على الكتان ، واستبدالهم عهد الله ، والحلف زورًا ، واستحلالهم أخذ المقابل على التزوير .

قال القرطبي : وقد دلت هذه الآية والأُحاديث على أن حكم الحاكم لا يحل المال في الباطن بقضاه الظاهر ، إذا علم المحكوم له بطلاته .

وفى الحديث الصحيح عن أم سلمة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ا إنكم تخصمون إلى ، وإنما أنا يشر ، ولَكلَّ بعضُكُم أن يكونَ أَلْحَنَ بحجيه مِن بَشْفِي ،

فَقَّفِينَ له على نحوما أسمع . فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطمة من النار .. فليأخلما
أو ليتركها ها ...

⁽١) رواء ألفيناة وأحد

(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَقَرِيقًا يَلُورُ نَ أَنْسِنَتَهُم بِالْكِتَنْ لِتَحْسُوهُ مِنَ الْكِتَنِ لِتَحْسُوهُ مِنَ الْكِتَنِ وَمَنَ اللهِ وَيَقُولُونَ هُو مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ اللهِ أَلَكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾ .

الفسردات :

(يَكُوُونَ ٱلْمِنتَهُمْ بِالْمُكِتَابِ): يميلونها بالكتاب؛ علولا به عنالحق تحريفًا أو تأويلا . والَّذَى : الميل . يقال : لوى برأسه إذ أماله . والكتاب : التوراة والإنجيل .

التفسير

٨٧- (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيغًا يَكُونُونَ ٱلْمِنتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَخْسُبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُو مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُو مِنَ الْكِتَابِ وَمَعْ مُكَلَّمُونَ) :
 الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُو مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَمُمْ يَعْلَمُونَ) :
 روى الفحاد عن ابن عباس : أن الآية نزلت فى البهرد والنصارى جميعًا . وذلك أنهم حرفوا الثوراة والإنجيل ، وألحقوا مكتاب الله تعالى ، ما ليس منه .

ولملفى : وإن من أهل الكتاب الخائنين ،جماعةً من طمائهم : يحرفون كلام الله ، ويميلون به عن القصد؛ لتظنوا - أبها المسلمون - حينا تسمعونهم : أن ما حرفوه هو من صميم كتابهم الذى أنزله الله على رسولهم . وما هو - فى الحقيقة - من الكتاب ، بل من كلامهم . ويؤكلون نسبته إلى الكتاب بقولهم : هو من عند الله ، وما هو من عند الله . بل من عند أنفسهم . ويقولون على الله الكتاب بنسبته إليه ، وهم يعلمون أنهم عليه - سبحانه - يكذبون .

ولهذأ ترى التناقض والتكاذب والتهافت بين نسخها . .

فمن يقرأ الأنّاجيل الأربعة ، يجد الاختلاف بينها واسع النطاق . ويعناصة: فيا تورده عن صلب المسيح عليه السلام (١٠) ، وكذلك النوراة !!

⁽١) أنظر إنجيل منَّ : إصماح ٢٢/٢٧ - ٢٤، وإنجيل يوحنا : الإصماح ١/١٩ – ١٢

وأَما احتجاج الرسول بقوله: ﴿ فَأَنُوا بِالنَّوْزَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1]. فيحمل على أن الرسول كان يعلم ببشاء بعض ما يني بالغرض سالماً عن النغيير . فإنهم لم يغيروا جميع ما فى التوراة : إما لجهلهم بدلالة ما بتى على المقصود ، أو لصرف الله إياهم عن تفسره .

القبريات :

(وَالْمُحُكُمُ) : أَى الحكمة .وهي إصابة الحق .

(رَبَّالِيَّةِينَ) : منسوبين إلى الرب سبحانه . والأَلف والنون يُزادان للعبالفة كثيرًا كَلِحْيانًّ لعظيم اللحية ، وَرَقَبَاتِيَّ لفليظ الرقبة . والمراد من الربانى : العالم الفقيه ، الراسخ فى علوم الديل . وقيل : الحكيم التقى .

(بَعْدَ إِذْ أَنتُم تُسْلِمُونَ ﴾ : منقادون مستعدون للدين الحق .

التغسبي

٧٩ - (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُوْتِيهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكُمْ وَالنَّبُوَّةُ فُمْ يَقُولَ لِلنَّامِي كُونُوا
 عِبَادًا لَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَيَّانِيمِن بِمَا كُنتُمْ مُشَدُّونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدُرُّسُونَ) :

⁽١) آل هران الآية : ٣٠

لا يترال الكلام متصلا معوف نجران، فإنه ّ روى: أن السورة ــكلها ــ إلى قوله: ووَإِذْ غَمُوْتُ مِنْ أَهْلِكَ . . . ، نترلت بصبيهم .. ذكره القرطمي .

وَرَوَى ابن اسحق وغيره ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال أبو رافع القُرظى - حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام- أتريد يا محمد، أن نعبلك كما تعبد النصارى عيمى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصرائي يقال له : الرئيس : أوذلك تريد منا يا محمد ؟ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غيره . ما بذلك بعشى ، وما بذلك أمر في » فأنزل الله تمالى الآية .

وأخرج ابن أبي حاتم قال : كان ناس من بهود : يتعبدون الناس .. من دون وبهم -بتحريفهم كتاب الله عن موضعه . فقال : (مَا كَانَ لِيَشَرِ . .) الآية .

وأيا كان سبب النزول، فعنى الآية: ما صح وما استقام ليتشر اصطفاه ربه لتبليغ الرسالة إلى خلقه ، وأعطاه الكتاب الذي يرشد الناس إلى عبادة ربم، وأعطاه الحكمة ...أى حسن التصرف في الأمور .. وأعطاه النبرة العاصمة من الغطأ ، ثم يتنكر لربه الذي اختاره لهالمية خلقه فيقول للناس : كونوا عبادًا لى إشراكًا مع الله أو إفرادًا : متجاوزين توحيد الله إلى ما طلبته منكم . ولكن يقول لهم : كونوا علماء عاملين، كالملين في العلم والعمل؛ لأمكم تعلمون الناس الكتاب وتدرسونه . فأولى بكم أن تتبعوه ولا تحيدوا عنه .

والتعبير بلفظ(ثم) لاستبعاد حصول ذلك القول من الرسول .

وإذا كان لا يصح لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة : أن يلمو الناس إلى عبادة نفسه ، فلا يصح له أن يلموهم إلى عبادة غيره من باب أولى .

وبهذه الآية حصل الرد البليغ من الله تعالى على النصارى الذين ألَّهوا المسيح وعبدوه، وعلى البهود الذين ألَّهوا عزيرًا وقدسوه، وعلى من زعم أن محمدًا عليه الصلاة والسلام، يقصد بنبوته : أن يدعو الناس إلى عبادته، وعلى الأحبار الذين يتعبدون الناس من دون ربع؛ يتحريفهم كتاب الله هن موضعه لمصلحتهم .

وخلاصة الرد: أن رُسُلَ الله برآء مما يصنحه أتباههم . فإنه لايحقل أن يأمروهم بهذا الكفر . وذلك هو ما يقوله عيسى عليه السلام ، لربه لما يسأله: ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ التَّخِلُوفَى وَأَكُى إِلْمُهَيْنِ مِن نُونِ الله ﴾ إذ أجاب : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولُ مَالَيْسَ لِي بِحَقَّ، ثم قال : ﴿ مَاقَلْتُ لُهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنَى بِهِ أَنِ اشْبُلُوا اللهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴿ حَكْثَ مَلْهِمْ مَانْتُ نِيهِمْ فَلَمَّا تَوْلَمْتِنَى كُنتَ أَنتَ الرَّيْبِ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ مَلَى كُلُ قَيْءٍ هَنهِيدً ﴾ ".

والآية توجب على أهل العلم أن يقرنوه بالعمل ؛ حتى لاتَزِلَّ قدم بعد ثبوتها .

٨٠ ﴿ وَلَا يَأْمُرُ كُمْ ۚ أَن تَقَافِلُوا الْمَلَاتِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا . . .) الآية .

﴿ وَلَا يَشْرَهُمْ ۚ ﴾ : بالنصب، معلوف على ﴿ يَشُولُ ﴾ في الآبة السابقة ، داخل معه في حيز ما لا يجوز على الرسل .

والمعنى : ماكان لبشر آناه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للنام كونوا هيادًا لي من هون الله ، ولا أن يأمركم أن تتخلوا الملاككة والنبيين أربابا .. أيليق به ... وهو رسول الله ... أن يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مخلصون منقادون لربكم !!

ومن قرأ : (وَلَايَأْمُركُمْ) بالرفع ، فعلى الاستثناف .

والمقصود من القراءتين واحد . وهو استحالة حدوث ذلك من الرسول .

وإذا كان سبب النزول وفد تحران ، قلا إشكال فى قوله تعلل لهم: (بَهْدَ إِذْ أَنْتُمُ مُسْلِمُونَ) قان الإسلام براد منه حينثذ ، الاستعداد للدين الحق ، إرخاة للمنان ومجاراة لهم .

¹¹⁹ c 171 : 24U (1)

وقيل: إن سبب نزول الآيتين إما أخرجه عبد بن حديد من الحسن قال : بلغى أن رجلا قال : يارسول الله ، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض ؟ أفلا نسجد لك ؟ قال : ولا . ولكن أكرموا نبيكم ، واعرفوا الحق لأهله . فإند لايتبغى أن يُسْجَد لأحد من دون الله تعالى ع. وعلى هذا ، فالإسلام على ظاهره .

(وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيئَانَ النَّبِيِّنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَلْبِ وَحَكَمَةٍ

مُّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُعَيْدِ لَ لِمَا مَعَكُمْ لَتُوْمِئَنَّ بِهِ وَلَتَنْعُرَنَّهُ فَالَ

ءَأْفُرَتُمْ وَأَخَذَتُمْ مَلَ ذَلِكُمْ إِمْرِى قَالُواْ أَقْرَدَنَا فَالْ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا

مَعَكُم مِّنَ الشَّلِهِدِينَ ﴿ فَمَن تَوَكَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَتَهِكَ مُمُ

الْفَنسِمُونَ ﴿) .

المفسردات ؟

(مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) : الميثاق ؛ العهد الموثق المؤكد .

(لَمَّا ٓ آتَبِتُكُمُّ) : اللام موطئة للقسم .وما : يعنى اللهى .كما نقله سيبويه عن الخليل . أى للذى آتيتكموه . وقيل : إن ما شرطية يمنى إن . وهو الظاهر .

(وَجِكْمَةٍ) : أَى نبوة . سميت حكمة ؛ لأَبَّها منبعها .

(إصْرى) : عهدى وميثاقى .

التفسير

٨١ - (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِينَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ٓ آتَيْتُكُم مَّن كِتَابٍ وْمِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُصدَّقٌ لِنَا مَشْكُمْ لَتُؤْمِنُ بَهِ وَلَنتَصُرُنُهُ ...) الآية .

واذكر يامحمد ، لأمل الكتاب ، كيف أعلد الله المهد على النبيين جميمًا : لتن آتيتكم من كتاب تبلغونه الأمكم ، وحكمة - أى نبوة ورسالة إليهم - شم جاءكم رسول مصدق لما ممكم لتصلفُنَّ بلَّه مرسل من عندى إلى الناس ، ولتنصرنه بالنبشير به ، وحض أممكم على أن تؤمن به ، إذا بُرث إليهم ، وتنصره وتؤيده فها جاء به ؟

قال تعالى لهم بعد أعد الميثاق عليهم : هل أفررتم بالإعان به ونصرته وأخنتم على فلكم عهدى وقبلتموه لتنفلوه وتعملوا به؟ قالوا : أقررنا ووافقنا. قال الله تعالى : قليشهد بعضكم طل بعض بلا الإقرار ، وأقامعكم من الشاهلين على إقرار كم ، وشهادة بعضكم على بعض . والمراد من الرسول الذى يجيئهم مصلقا لما معهم : كل رسول يعاصرهم أو يأتى بعدهم . فالآية الكرعة ، تفيد : أن الله تعقل ، أخذ الميثاق على الأدبياه : أن يصلق بعضهم بعضا

فالآية الكريمة ، تفيد : أن الله تعالى ، أخذ الميثاق على الأنبياء : أن يصدق بعضهم بعضا ويؤليده ولا يعارضه ، ويوصي بانباعه . فإن دين الجميع واحد . قال صلى الله عليه وسلم : و الأنبِيّلةَ بَنُو عَلَامَةٍ ⁽¹⁾ أُمْهَاتُهُمْ شَتَّى وَيَبُنُهُمْ وَاحِدٌ » .

ويعموم الرسول ، أخذ سعيد بن جبير وقنادة وطاووس والسدى والحسن . وهو ظاهر الآية . قال طلووس : أخذ الله ميثاق الأوّل من الأنبياء : أن يؤّمن بما جاء به الآخر .

ومن العلماء من قال : للراد من الرسول ، هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الأرجع ، وبه قال الإمام على رضي الله عنه .

فقد أخرج عنه ابن جرير قال : ٥ لم يبعث الله تعالى نبيا ، آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليه العهد في محمدصل الله تعالى عليه وسلم : لئن بعث ــوهوجي..ــ ليؤمن به ولينصرنه . ويأخره فيأخذ العهد على قومه ، ثمرة لا الآية .

وسوالا أكانت الآية عامة فى تأييد جميع الرسل بعضهم لبعض ، وحث أممهم على التباههم ، أم خاصة بتغيّ أممهم التباههم ، أم خاصة بتغيّ من الآية : أن محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أيده الله على تأييده إن بعث - فالنرض من الآية : أن محمدا صلى الله عليه وسلم وقد أيده الله بالمعجزات المحققة لرسائته ، وجاء مصدقا لما مع الأنبياء قبله ، فهو مؤيد من المرسلين قبله . وأن على أهل الكتاب الماصرين له : أن يؤمنوا به ؛ امتثالا لما جاء عنه فى كتب وسلهم . فإن كتب الرسلين توصى بالإعان يكل رسول .

4

^(1) أَن يَسْرِ ضَرَات . رواه الشيخان من حديث أوله : « أنا أول الناس بعيس بن مرح ... » .

والفترآن الكريم جرى على هذا النهج قال تعالى : و قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَاأَنْدِلَ ۚ إِلَيْنَا وَمَاأَنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِمَ ۚ وَإِنْسَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَشْبَاطِ وَمَا أُوقِى مُوسَى وَعِيمَى وَمَا أُوتِى النَّبِيِّلَانَ مِن رَّجِمْ لَاتَقَرْقُ بَيْنَ آخَدٍ مُنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۚ * `` .

٨٧ - (فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَا لِكَ فَأُولَكِكَ هُمُّ الْقَاسِقُونَ) :

أًى فمن أعرض عن الإعان بمحمد صلى الله عليه وسلم ــ بعد هذا الميثاق والإقرار والشهادة- فَأَوْلَئِكَ هُمُّ الخارجُون في الكفر إلى أفحش مراتبه: المستحقون لأَشد العقاب .

ولما كان دين الأَّنبياء واحدا ، ودين محمد هو دين الأُّنبياء جميعا - أتبع هذا التهديد قوله:

(أَفَفَيْرُ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَنُواتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿ قُلْ ءَامَنًا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْذِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْذِلَ عَلَيْنَا مَنْهُمْ وَمَنْ وَمِيمَنِ وَاللّهِ مِنْهُمْ عَبْرًا الْإسلامِ وَينا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُو فِي اللّهِ عِرَةً مِنَ الْمُحْمِرِينَ ﴿).

الأفسرنات ا

(أَسْلَمُ) : دان بالإسلام . أو انقاد وخضم .

(وَالْأَسْبَاطِ) : الأَسْبَاط ؛ الحفلة . والمراد بهم هنا : ذرية يعقوب عليه السلام . فهم حفلة لأَبْديه إسحاق وجده إبراهيم .

(وَمَنْ يَبْنَغُمُ) : ومن يطلب .

^{181 : 545 (1)}

التفسير

٨٣- (أَفَقَيْرٌ بِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَسَكَرَهًا وَإِلَيْهِ يُوجَعُونَ ﴾ :

. سبب النزول :

ذكر الواحدى في سبب النزول ، عن ابن عبا-، رضى الله عنهما : أن أهل الكتابين المحصوا إلى رسول الله عليه السلام : اعتصموا إلى رسول الله عليه السلام : كل فرقة رعمت أنها أولى بدينه . فقال صلى الله -له وسلم : «كلا الفريقين برىء من دين إيراهم» فنضيوا . وقالوا : والله ما نرضى بقضائك ، ولا تأخذ بدينك . فأنزل الله ملم الآية .

وحل أي حال كان سبب النزول ، فالكلام - في مله الآية - مع أمل الكتاب الذين استعسكوا يلينهم ، ونازعوا فى الإسلام ، وأعرضوا عنه . . فيعد أن أخبرهم الله تعالى ، أنه أوصى الأنبياء يتأيياه ونصرته ، وأنكز من تولى عنه ، ووبخهم الله على إعراضهم ، وألكره عليهم ــقال عاممناه :

 ويحتمل أن يكون المراد به : مايشمل العقلاء وغيرهم ، ويكون المنى : ولشيئته تعالى ، خضع وانقاد جميع الكاتنات فى السلوات والأرض : طائعة أو مسخرة . كما فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ ۚ تَرَ أَنَّ اللهَ يَصْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمْوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ وَالشَّمْشُ وَالْفَرَمُ وَالنَّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجِرُ وَالدَّوَآبُ وَتَكِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَتَكِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْمَلَابُ … ، "الآلِّية .

٨٤- (قُلْ آمَنًا بِاللهِ وَمَمَّا أَنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَتَفُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُولِنَ مُومَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ بِن رَّبُّهِمْ لَانْفَرْقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَعْشُ لَهُ مُشْلِيدُونَ) :

لمّا بين الله تعالى : أنه أخذ الميثاق على كل نبى : أن يؤمن بغيره من الأنبياء ، وأنه لايمسح لأهل الكتاب أن يكفروا بدين الله الذى أنزله على محمد - وهو ممن أخذ الله الميثان على الإيمان بهم ويدينهم -لَمّا بين الله هذا كله - أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، أن يؤمن بمن سبقه من الأبياء ، وألا يفرق فى الإيمان بين أحد من رسله ؛ ليكون فى الإيمان بهم ، كما كانوا فى شأن إخوانهم الأنبياء ، وهو خاتمهم .

والمعنى : قل يا محمد، معبرا عن نفسك ، وهن المؤسنين : آمنا بالله تمال ، وعا أنزل علينا من القرآن العظيم ، وما أنزل علي إبراهيم وإساعيل وإسحق ويعقوب والأنبياه من أبنائه الأسباط ، من كتب . وما أوق موسى وعيمى من التوراة والإنجيل ، وما أعطى سائر الأنبياه من ربهم من مختلف الكتب : لانفرق بينهم ، فلا نؤمن بيمض ، ونكفر بيمض كما فعل البهود ، إذ كفروا بعيمى ومحمد عليهما السلام ، وكما قعل التصارى إذ كفروا بمعمى عمد صلى الله عليه وسلم ، ونحن له منقادون : نطيعه فيا أمرنا به ، وننتهى عما ثمانا عنه .

٨٥ - (وَمَن يَبْتَغ ِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ بِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ :

ومن يطلب دينا غير دين الإسلام يتدين به : عقيدة وحملا ، فلن يقبله الله منه ؛ لأنه غير ماشرعه الله لخلقه . وإذا كان الله لايقبل دينا غير الإسلام ــ فكل من دان بغيره ، يكون فى الآخرة من الخاسرين ؛ لأنه محروم الثواب ، خالد فى المقاب .

⁽۱) المع : ۱۸

روى أحمد فى مسئله عن النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيله ، لو أصبح فيكم موسى بن عمران، ثم اتبعتموه وتركتمونى لفمالتم ، .

وروی أبو يعلى، والبزار، وأورده ابن كتير: « لو كان موسى حيا بين أظهركم ماحل له إلا اتباعى ، وفي رواية: « لو كان موسى وهيمي حَيَّيْنِ لما وسعهما إلا انباعي ،

(كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَنِيهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقَّ وَجَاءَهُمُ النَّيِّئِتُ وَاللهُ لا يَهْدِى الْقُوْمُ الظَّلْمِينَ ﴿ أُولَتَهِكَ جَزَاتُوهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعَنْهُ اللهِ وَالْمُلْتِيَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ جَزَاتُوهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعَنْهُ مَ الْعَدَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿ إِلّا لَيْنَ تَابُواْ مِنْ بَهْدِ ذَالِكَ وَأَسْلَحُواْ فَإِنَّ اللهَ عَفُودٌ رَّحِيمٌ ﴿) .

القسردات

(لَغْنَةَ الله) : أي الطرد من رحمته .

(وَكَاهُمْ يُنظَرُونَ) : أى ولاهم بمهلون . فعالمهم موصول مستمر . أوْ لا يُنظَر إليهم ، ولايعتد بهم .

التفسم

٨٦-(كَيْفَ بَهْدِى اللهِ ۚ فَوْمًا كَفَرُوا بَهْدَ لِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَنَّ وَجَآتُهُمُ الْمُيَنَّاتُ وَاللهُ لَايَهْدِى اللَّمَوْمُ الظَّلْوِينَ ﴾ :

سبب النزول:

أخرج عبد بن حميد وغيره ، عن الحسن : أنهم - أى أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى --رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ، فى كتابهم ، وأقروا وشهدوا أنه حتى . فلما بعث من غيرهم ، حسلوا العرب على ذلك . فأتكروه . وكفروا بعد إقرارهم . والمعنى : أى سبيل لأن يهدى الله قوما كفروا بمحمد، بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ؛ امتثالا لما جاء فى كتبهم ، وعلموا أن الرسول محمدا حق حيما رأوه ... بعد مبعثه - مطابقا لما جاء عنه فى كتبهم ، وجاءتم الآيات الواضحات والمعجزات الشاهدات بصدقه !! والله لامدى القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم ، ماداموا مُصِرِئين على عنادهم وحسدهم للرسول ، على ما آتاه الله من فضله .

٨٥ ، ٨٨ ــ (أُولَـٰئِكَ جَرَا وُمُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَغَنَةَ اللهِ وَالْمَكَثِيكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِمِينَ فِيهَا لاَيْمَقَّتُ عَنْهُمُّ الْمَدَابُ وَلاَمْمُ يُنظَرُونَ ﴾ :

بعد أن بين الله شناعة الكفر بعد الإعان ، ووضع أن شريعة الرسول حق عا أبعه الله به من الآيات ، أنبعه عقاب أولتك الكافرين . وذكر أنَّ : أولتك اللين كفروا ببعد ماجاهم الرسول مؤيدا بالآيات وللمجزات بعد ماعقدوا العزم على الإعان به حين يبعث يلمنهم الله ، ويطردم من رحمته ، وتلمنهم الملاتكة ، وتطلب لهم الطرد من رحمة الله ، ويلمنهم الناس أجمعون ، من أهل الإعان أتباع الحق ،خالدين في اللمنة أو في جهنم التي هي مقر الملمونين : لا يخفف عنهم علاب الله ، ولاهم يجهلون بأن يؤخر عنهم العلاب من وقت لآخر ، بل العلاب موصول مستمر .

ويجوز أن يكون معنى :(وَلَاهُمْ يُنظُرُونَ) ولا ينظر الله إليهم نظر رحمة ، ولا يعتد يهم . فهم مهملون متروكون في عذابهم .

وهذه الآية وما قبلها وما بعدها إلى قوله تعالى: (وَمَا لَهُم مُّن نَّاصِرِينَ) - وإن نزلت في أهل الكتاب الذين جحلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد مبعثه ، مع أتهم كانوا مجمعين على الإيمان به حين يبعث - لكنها عامة الحكم في كل من يكفر بعد الإيمان ، فتشمل للرتدين بعد الإسلام . ٨٩ - (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) :

يعنى: أنّ من تنابوا من بعد كفرهم، وأصلحوا ما أفسده بالندم والإقبال على الطاعة بعد الإنبار صها ، فإن الله يففر لهم ويرحمهم ؛ لأن الله عظيم النفران ، بليغ الرحمة ، وذلك من عظيم كرمه ، ووافر رحمته .

وقيل : معنى أصلحوا : دخلوا فى الصلاح . كما يقال : أصبحوا : دخلوا فى الصباح . وعلى هذا يكون الفعل لازما غير متمد ، بخلافه على للمنى السابق فهو متمد .

(إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَنِيهِمْ أَمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَن تُفْبَلَ تَوْبَعُمْ مُ الْفَالُونَ ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلُ مِنْ أَحِدِهِم مِنْ اللَّاضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِيَّةَ أُولَيْ فَلَن يُقْبَلُ مِنْ أَحِدِهِم مِنْ اللَّهِمِ مِنْ اللهِمِينَ ﴿ لَنَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

القبرنات :

(وَأُولَئِكَ هُمُّ الضَّالُّونَ) : اللين أخطأُوا طريق النجاة .

 (وَكُورِ الْفَتَكَىٰ بِهِ) : معطوف على شرط مقدر يقتضيه المقام . والتقدير : لوأنفقَه فيا يراه خيرا في اللغيا ولوافتدى به في الآخرة .

﴿ لَمَن تُنْالُوا ﴾ : لن تُصيبوا ولن تدركوا .

(الْبِرُّ) : الخير والإحسان .

(مِمَّا تُحِبُّونَ) : بعض ماتحبون فلا ينفقونه كله ..

التفسير

٩٠ - (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا ْكَفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبُتُهُمْ وَأُولَـ فِكُ الضَّالُّونَ ﴾ :

سبب النزول :

لايزال الكلام موصولا في أهل الكتاب .

ققد نزلت هذه الآية فى اليهود،كما قال قتادة وعطاء والحسن ـ واختاره الطبرى ــ كفروا بعيمى والإنجيل ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن وباللنوب الى اكتسبوها .

أَو نزلت فى البهود والنصارى، كما قال أَبر العالية : كفروا بمحمد صلى الله طيه وسلم ، بعد إيمانهم بنَمْنيه وصفتِه . ثم ازدادوا كفرا بإقامتهم على كفرهم .

وَسُواء أَكَانَ سبب النزول ، اليهودَ وحدهم أَم اليهود مع النصارى ، فالآية -بعمومها-تشمل كل من كفر بعد إنمان . فيلخل في حكمها : من ارتد عن الإسلام .

والمعنى : إن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما يبجب الإيمان به بعد ماكانوا مؤسنين ، ثم ازدادوا كفرا بباديهم فى الكفر والمعاصى ... لن يقبل الله توبتهم إن تابوا بعد نوات الأوان . وذلك حين يحضرهم الموت . (وَاُولَئِكَ مُمُ الضَّالُونَ) : عن طريق المحق ، المخطفون سبيل النجاة .

فإن قبل : إن قبول التوبة مطلق في قوله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي يَقْبُلُ التَّرْبَهُ عَنْ عِبَادِهِ وَيَقَفُو عَنِ السَّيِّنَاتِ ... ، '' فكيف قيد قبولها هنا بكونها قبل حضور الموت ؟

قلنا: إن ذلك راجع إلى تقييدها بذلك فى قوله تعالى : • وَلَيْسَتِ التَّوْيَةُ لِلَّلِينَ يَشْكُونَ السَّيْقَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّنِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفُارٌ ... " وقوله صلى الله عليه وسلم : • إِنَّ الله يَقْبُلُ تَوْيَةَ الْمُبْدِ مَا لَمِ

⁽۱) الشورى : ۲۰ (۲) النساء : ۱۸ (۳) رواه أحمدو التر ملدى وابن ماجه .

٩١ - (إِنَّ النَّذِينَ كَنْتُرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْارٌ فَلَن بُقْبَلَ مِنْ أَخْدِهِم مَّلُ الْأَرْضِ فَمَبًا
 وَلَمْ الْفَتْدَى بِهِ . . .) الآية .

المعنى : إن اللبين كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وماتوا وهم كفار هون أن توقظهم الآيات ، وتلفتهم النلر، فلن يقبل من أحسم مل الأرض شمها او أنفقة حقبل أن بحوت في الميرات والمغيرات ، وكلما لو افتدى به يوم القيامة ، لوفرض أن له مالا يومفد وأن القداء بالمال ينفع .. قال تعالى : وإنَّ اللِّينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّ أَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَشِلْكُ مَتُهُ لِيُعَتَّدُوا بِهِ مِنْ عَلَابٍ يَرَّم الْقِيامَةِ مَاتَشَكِرًا لَوْ أَنَّ كُهُمْ مَلَابُ أَلِيمٌ "" . "

والغرض من قوله تعلى : (وَلَوِ الْقَنْدَى بِهِ) تعميق اليَّأْس فى نفوس الكافويين المصريين على كفرهم ؟ حتى يعلموا أنّهم لاتجاة لهم بغير الإيمان .

(أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ) :

أُولئك المُصِرُّون على الكفر حتى ماتوا ، لهم عذاب شديد الإيلام. ومالهم من ناصوين ينقذونهم من ذلك الجزاء الخالد .

٩٧ - (لَن تَنَالُوا الْبِرْ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُعِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءً فَإِنَّ اللَّهِ بِهِ طَلِمٌ) :
 هذا كلام مستأنف ؛ لبيان ماينفع المؤمنين ويقبل منهم ، إثر ببان مالاً ينقع الكفار والإيقبل منهم .

المنى : اختلف فى تفسير البِرِّ الوارد فى الآية . فابن عياس وابن مسعود وغيرهما ، فسروه بالجنة .

وقيل : هو العمل العمالح . فقد جاء ق الحديث الصحيح : «عَلَيْكُمُ بِالصَّدْق ، فَإِنَّ الصَّدْقَ يَقْدِى إِنَّى البِرَّ . وإِنَّ البِرِّ بهنى إلى الجنة . . ، وواه مسلم والبخارى وأحمد والترملَّى. وقيل غير ذلك ، نما يدور حول هذين للعنيين .

^{42 2 20}HI (1)

والأتسب تعييمه فى كل خير وإحسان فى النفيا والآخرة : يمنحه الله ثمالى لعباده (١٠) . والمراد من الإنفاق : ما يشمل الزكاة ، وصدقة التطوع ، والأوقاف المغيوية ، والهبات ، وماثر وجوه الإنفاق فى سبيل الله .

ومنى الآية: لن تدركوا برَّى الوافر، وتصيبوا إحسانى الغزير فى الدنيا والآخوة -حَى تنفقوا- فى وجوه الخير التى شرعتها لكم - بعض ماتحبون من الأموال للكسوية من وجوه الحل . فلا يقبل الله الإنفاق من كسب حرام . فهو ردٌّ على مُنفِقه . ولا يعظم الله تواب من أنفق نما لايحبه ولا تميل إليه نفسه من الأموال، لقلة منفحة لآخله . قال تعلل : و وَلاَ تَيَهُمُوا أَنفِي مُنْ الأَمْولُوا فِيهِ عُنْ .

فالإنفاق: ينبغي أن يكون مما له أثر نافع هند من يأُخله، فإنه يدل على وفرة الرغبة في العطاء، وشدة الإحساس بحاجة من ينفق عليه، والرغبة في تنفيس كربته، ودفع حاجته.

والتعبير بقوله : (مِمَّا تُعِبُّونَ) يؤذن بمشروعية إنفاق البعض دون الكل .

ولشدة عناية المولى سبحانه ، باعتيار مال التفقة من أحسن ماهند المنفق ، وأعظمه نفعا ـ ختر الآية بقوله:

(وَمَّا تُنفِقُوا مِن مَّى مِ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ طَلِمٌ) :

يريد : وأى شيره تنفقونه ــ قلّ أوكتر ــ يطمه الله ، فيثيبكم بحسن نياتكم ومقدار نفقاتكم وصفائها .

وفى ذلك مافيه من الحث على إنفاق الجيد ، والتحلير من إنفاق الردىء .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تيسارعون إلى ما يدعوهم إليه مولاهم على خير وجه . فما إن نزلت هذه الآية عتى بادر المياسير منهم إلى تنفيذها .

^(1) داجم ما سبق في تقسير قوله تمال: « ليس أبر أن تراوا وجوهكم قبل الشرق والفرب ... » البقرة: ١٧٧٠

⁽٢) البترة: ٢٦٧

يروى أصحاب الممحاح ــ واللفظ النسائي عن أنس ــ قال : لما نزلت هذه الآية :

(لَن تَنَالُوا الْبِرِّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قال أبو طلحة : إن ربنا لبساّلنا من أموالنا . فاشهدك يا رسول الله أن جعلت أرضى لله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجعلها في قرابتك ؟ في حسان بن ثابت ، وأبي بن كعب » . وفي الوطأ « وكانت أحب أمواله إليه بيرحاء . وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله يدخلها ، ويشرب من ماه فيها طيب » وذكر الحديث : وجاء فيه أنه أرشده إلى أن يوصى بالثلث الإبالكل . إذ قال له : « بالثلث ، والثلث كثير . إنك إن تذرور ثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

وكذلك فعل زيد بن حارثة . فقد عمد إلى فرس يقال له : سَبل. وقال : اللهم إنك تعلم أنه يسل الله عليه وسلم ، تعلم أنه ليس لى مال أحب إلى من فرسى هذه . فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذه في سبيل الله ، فأجابه الرسول و إن الله قد قبلها منك » .

وأُهتق عُمْرُ نافعا مولاه . وكان عبد الله بن جعفر عرض عليه ألف دينار ثمنا له . وهكذا كانوا يفعلون .

فليتأس بهم مياسير المؤمنين ، فينفقوا في سبيل الله مِمَّا يحبون، لا مِمَّا يسترذلون .



مَطْبَعِتَ الْصُبَحَفِ الشَّرِيفِ

